السراج المنير

في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم

تصنيف العلامة

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الحسيني

(١٣١١ - ١٤٠٧هـ)

يتضمن

دراسة عن جهود

تقي الدين الهلالي

في التحذير من الجماعة الإلياسية

وأثر «السراج المنير» عليهم

وفي آخره

ثلاثة ملاحق

دراسة وتحقيق

أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

مركز سطور للبحث العلمي

دار الإمام مسلم

السِّرَاجُ المُنِيرُ

فِي تَنْبِيهِ جَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ عَلَى أَخْطَائِهِمْ

تَصْنِيفُ العَلَّامَةِ

الدكتور محمد تقيّ الدين الهلالي الحسيني

١٣١١ - ١٤٠٧هـ

يَتَضَمَّنُ

دِرَاسَةً عَنْ جُهُودِ

تقيّ الدين الهلالي

فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الجَمَاعَةِ الإِلْيَاسِيَّة

وأَثَرُ «السِّرَاجِ المُنِيرِ» عَلَيْهِم

وَفِي آخِرِهِ

ثَلَاثَةُ مَلَاحِق

دِرَاسَةُ وَتَحْقِيقُ

أبي عُبَيْدَة مَشْهُور بن حَسَن آل سَلْمَان

مركز سطور للبحث العلمي

دار الإمام مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا في جماعة التبليغ

فتوى العلَّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

فتوى الشيخ العلَّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ **وبعد:**

فقد تلقيت خطاب سموكم رقم ٣٧ - ٤ - ٥ في ٢١/ ١/ ٨٢هـ وما برفقه وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من محمد عبدالحامد القادري وشاه أحمد نوراني وعبدالسلام القادري وسعود أحمد دهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سموها: «كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية» وكذلك الكتيبات الثلاثة المرفوعة ضمن رسالتهم.

وأعرض لسموكم أن هذه جمعية لا خير فيها، فإنها جمعية بدعة وضلالة، وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك الأمر الذي لا يسع السكوت عنه، ولذا فسنقوم إن شاء الله بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها[1]، ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته.

---

(١) وقد رد الشيخ العلَّامة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كتابهم «الجواب المشكور»، وهو كتاب مليء بالشرك والضلال، والبناء على القبور، وتسمية القبور مقدم من قبل رئيس جمعية الدعوة الإسلامية بباكستان محمد عبدالحامد القادري، وقد وقع عليها جماعة وافقوه على ما فيها، وكتاب الشيخ محمد بن إبراهيم الذي رد به عليهم هو «شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور»، وهو مطبوع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[١].

فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء، رقم: (١٧٧٧٦)، وتاريخ: ١٤١٦/٣/١٨هـ

سؤال: قرأت لسماحتكم عدة فتاوى، وتحثون عليها طالب العلم للخروج مع جماعة التبليغ والحمد لله خرجنا معهم واستفدنا الكثير، ولكن يا شيخي الفاضل رأيت بعض الأعمال لم ترد في كتاب الله ولا سنة الرسول ﷺ؛ **مثل:**

١- التحلق في المسجد كل شخصين أو أكثر، فيتذاكرون السور العشر الأخيرة من القرآن، والمواظبة على هذا العمل بهذه الطريقة في كل مرة نخرج فيها.

٢- والاعتكاف يوم الخميس بصفة مستمرة.

٣- تحديد أيام للخروج، وهي ثلاثة أيام في الشهر، وأربعون يومًا كل سنة، وأربعة أشهر في العمر.

٤- والدعاء الجماعي المستمر بعد كل بيان.

فكيف يا شيخي الفاضل -إذا خرجت مع هذه الجماعة- أتعامل مع هذه الأعمال والأفعال التي لم ترد في كتاب الله ولا سنة الرسول ﷺ، علمًا يا شيخي الفاضل أنه من الصعب تغيير هذا المنهج، وهذه هي طريقتهم فنرجو التوضيح؟

الجواب: ما ذكرته من أعمال هذه الجماعة كله بدعة، فلا تجوز مشاركتهم حتى يلتزموا بمنهج الكتاب والسنة ويتركوا البدع.

وقد وقع هذه الفتوى أعضاء اللجنة الدائمة للإفتاء:

الشيخ عبدالعزيز بن باز.

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ.

الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

الشيخ بكر أبو زيد[٢].

---

(١) «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (١/ ٢٦٧ - ٢٦٨) الطبعة الأولى، مطابع الحكومة.

(٢) «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٤٥).

قالوا في الخروج التبليغي

«الواقع أنهم مبتدعة ومُحَرِّفُون وأصحاب طرق قادرية وغيرهم، وخروجهم ليس في سبيل الله، ولكنه في سبيل إلياس، هم لا يدعون إلى الكتاب والسنة، ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلاديش، أما الخروج بقصد الدعوة إلى الإسلام؛ فهو جهاد في سبيل الله، وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ، وأنا أعرف التبليغ من زمان قديم، وهم المبتدعة في أي مكان كانوا، هم في مصر، وإسرائيل، وأمريكا، والسعودية، وكلهم مرتبطون بشيخهم إلياس».

«فتاوى ورسائل سماحة

الشيخ عبدالرزاق عفيفي»

(١٧٤/١) فتوى رقم (١٨٥)

«اقعدوا في بيوت الله، وتعلَّموا كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ، ذلك خير لكم من أن تخرجوا هذا الخروج، الذي لا يعرفه سلفكم».

العلَّامة محمد ناصر الدين الألباني

في «سلسلة الهدى والنور» (٧١٥)

«فهي -أي: السياحة- الركن الأساسي عندهم، فهي بمنزلة الشهادتين عند أهل الاستقامة، فمن قبلها واشتغل بها، أحبوه وأكرموه، وغفروا له ذنوبه، وتقصيره وضلاله وبدعته، ومن خالفهم فيها؛ لم يقبلوا منه شيئًا، وإن كان

مؤدِّيًا لجميع الواجبات، قائمًا بالفرائض والسنن، متَّبعًا لأقوم السنن؛ فهي خلاصة دينهم، عليها يوالون أو يعادون، ويحبون أو يبغضون، وقد ترتبت على دعوتهم مفاسد عظيمة في الدنيا والدينا».

العلَّامة محمد تقي الدين الهلالي

في «السراج المنير» (ص٢٣٨-٢٣٩)

«فيا أصحاب التَّبليغ! اتقوا الله! واذكروا وقوفكم بَين يَديه، إنَّ هذهِ السِّياحة التي فَتنتم بها النَّاس، وقَطعتم بها الأرحام، وضَيعتم بها العيال مِن الأولاد، والوالدين، والوالدات، ولو لم تكن مَأخوذة مِن دين البراهمة لكانت بِدعة مِن أقبح البدع، وضَلالة مِن شَر الضَّلالات، فكيفَ وهي عُمدة دين عبدة الأصنام في الهند؛ بل هي كل شيء عندهم، فجَعلتموها أنتم كل شَيءٍ في الإسلام؟! أما تَخافون الله الذي إليه تُحشرون؟! إننا نَخاف عَليكم، فخافوا على أنفسكم، فاليوم دُنيا، وغَدًا آخرة، وكأني بكم قَد فارقتم الدُّنيا، وظَهرت لكم الحَقائق، ونَدمتم على عَملكم المُبتدَع حيث وحين لا يَنفع النَّدم، فنَحنُ كلُّنا مُعرضون للمَوت في كل لَحظة، ولا يَنفعنا إلا ما قَدَّمنا مِن عَملٍ صالح؛ مُوافق لسُنة النَّبي ﷺ، بَعيدين عَن المُبتدَعات».

العلَّامة محمد تقي الدين الهلالي

في «السراج المنير» (٣٠٧-٣٠٨)

مقدمة المحقق

إنَّ الحمد لله نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهدِه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد:

فهذا تحقيق لكتاب مهم يخص (جماعة التبليغ) لمحمد تقي الدين الهلالي، ألَّفه صاحبه من خلال تجواله في قارات الدنيا، ومعرفته بأحوال التبليغ، ومقارعته إياهم، بعد إنكاره الشديد عليهم! ولا سيما زيارته الأخيرة إلى بلجيكيا، وإقامته هناك لنشر التوحيد والسنة واللغة العربية(١)!

وكان الشيخ الهلالي يقول للشيخ ابن باز رَحِمَهُمَاٱللَّهُ عن جماعة التبليغ، معلِّلًا شدَّته عليهم: «إنهم يسرقون أهل التوحيد مِنَّا»، ويريد: إن طالب العلم السلفي لمَّا تكاد ترسخ قدمه في الطلب؛ يحرِفوه إلى طريقتهم.

سمعتها من العلَّامة الشيخ عبدالمحسن العبَّاد -حفظه الله- في بيته بالمدينة النبوية، ثلاث مرات، آخرها: بعد عصر الثلاثاء ٨ ربيع الأول ١٤٤٤ يوافق ٤ تشرين الأول ٢٠٢٢.

○ سؤال مهم.. وجوابه:

«بادئ بدء؛ أجيب على سؤال يذكره بعض الغيورين فيسأل: «لماذا يُخصُّ بعض الدُّعاة بالنقد، ومحاولة التصحيح؟ ألم يبق من الملمات ما هو أولى من ذلك: كيد الكافرين والمُلحدين، الحكم بغير ما أنزل الله، الأراضي المغتصبة، الأقليات المسلمة المُستضعفة في بلاد الكفر؟

---

(١) كان الهلالي يدرِّس هناك عدة كتب، من بينها: «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك».

وسأحاول الإجابة عن هذا الاعتراض الذي يقذفه الشيطان -كثيرًا- في وجه الدعوة إلى الله على منهاج النبوة، راجيًا من الله التسديد:

أولًا: جميع كتب وخطب ومؤتمرات ما يسمَّى بـ(الفكر الإسلامي) و(الثقافة الإسلامية) موجه للقضايا المذكورة، فهي لا تشكو من الإهمال والتفريط؛ بل تشكو من الإغراق والإفراط.

وفي المقابل، لا نَجد بينها ما ينبئ بأي قدر من الشجاعة في إنكار مظاهر الشرك، والوثنية، والبدعة التي لا يَخلو منها بلد مسلم، وهي أولَى بالإصلاح وأيسر، وأقرب صلة بالجمهور الموجهة له الدعوة.

ثانيًا: أغلبية من ينتسب إلى الإسلام (صالحين أو فاسقين، موحِّدين أو مشركين) يطالبون بعودة الأراضي المغتصبة، وبالحكم بما أنزل الله، ويلعنون الكفرة والمُلحِدين؛ ولكن أكثرهم يلتزم بالبدع المُحدثة في الدين، ويعيش الثقافة المُلحدة، ولا يَحكم بما أنزل الله في أهم أمور دينه ودنياه، وينافس معظمهم اليهودَ والنصارى وطوائف الضلال في صرف أنواع من العبادة لغير الله، والتقرب إلى الله بالتوجه إلى الأموات، والتوسُّل بهم إليه، وسؤالهم ما لا يجوز طلبه إلا منه جَلَّوَعَلَا وفي أحب البقاع إلى الله.

ويُحكِّم في جميع أمره بما يُمليه عليه هواه وهوى شيخه وقائد حزبه، ورئيس طائفته، أو عشيرته، وشيخ طريقته، ويعرض عن اتباع كتابِ الله، وسنة رسوله ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، وفقهِ سلف الأمة.

فليس من الشرع، ولا من العقل -والحال على ما ذكرته- أنْ يُشغل المسلمون بأخطاء غيرهم عن أخطائهم، وبالأخطاء التي لا يملكون من أمرها شيئًا عن الأخطاء التي يستطيعون (ويَجب عليهم) إصلاحُها، وبالأخطار البعيدة عن الأخطار القريبة، وبترديد ما ينقلونه من حقائق أو شائعات (عن غيرهم) عن تعلم ما جهلوا من دينهم وغاية حياتهم.

ثالثًا: أخطاء الدعاة إلى الله -تعالى- أبعد أثرًا من أخطاء الفاسقين، فالدعاة إلى الله يُظن فيهم (خطأً أو صوابًا) -أنهم علماء بما يدعون إليه،

ثقات فيما يقولون، قدوة صالحة فيما يعملون، وعلى هذا تنتشر أخطاؤهم بانتشارهم، ثُم ترسخ في القلوب والأعمال؛ فتقاوم كل إصلاح.

ومن هنا صار أكثر المسلمين يتقرب إلى الله بالبدعة والخرافة؛ بل وبالشرك بالله اقتداءً بأفراد أو فرق الضلال.

رابعًا: وفضلًا عن كل ما تقدَّم، فالاعتراض المذكور أمر جدلي مَحض، فمن الذي لا يأمر -إلا الدعاة- بالمعروف؟ ولا ينهى -إلا الدعاة- عن المنكر؟

إنَّ مُحاولة رد الدعاة إلى العقيدة الصحيحة، والعبادة الصحيحة، والدعوة الصحيحة -مرحلةٌ ثانية اكتشف الحاجةَ إليها منْ حاول تصحيح العقيدة والعبادة، ونشر السنة، والتحذير من البدعة والضلال عامة حيثما وُجد، أو وجد خطره.

ثم تبيَّن له أنّ بعض الدعاة سبب مهم من أسباب حدوث الانحراف أو استفحاله، بل إنّ أكثر الجماعات الإسلامية، والطرق والطوائف المبتدعة في الدين؛ بَنَت مناهجها على مُخالفة شريعة الله في الدعوة إليه، أو طوَّرتها لتساير ركب المخالِفة»[1].

○ الأطوار التي مرَّ بها تقي الدين الهلالي في موقفه من جماعة التبليغ:

- مدحُ الهلالي لجماعة التبليغ، وتراجعُه عن ذلك:

كان الهلالي بادئ بدء يمدح جماعة التبليغ، ولم يكن مُلمًّا بمبادئها ولا عارفًا بحقيقتها، وإنما سمع أشياء حسنة مليحة عنها، فكتب مقالة في مدحهم إبان بواكير وجود جماعتهم في بعض البلاد الإسلامية! قال في كتابه «الدعوة إلى الله»[2] عن جماعة التبليغ:

«وهي جماعة مشهورة في الهند، عندها شيء من التصوف، يطوف رجال هذه الجماعة في جميع أرجاء الهند وفي أوروبا وأمريكا وفي أفريقية، وكانوا يزورون المغرب في كل سنة يدعون الناس إلى قول «لا إله إلا الله»

---

(١) «الدعوة إلى الله في جزيرة العرب بين الوحي والفكر» (ص٨ - ٩).

(٢) (ص٥١٧ - ٥٢١، بتحقيقي).

والمحافظة على الصلاة، وهم موجودون هنا في المدينة -أيضًا-، ومن عادتهم أنهم لا يَقبلون من أحد من أهل البلدان التي يزورونها شيئًا، لا مالًا ولا طعامًا، إلا إذا تحققوا أنَّ مَن قدَّم لهم ذلك الطعام مِن أهل العِلم والصلاح وإخلاص النية لله، **وكان يخرج معهم بعض أصحابنا السَّلفيين إلى القرى والبوادي للدعوة**، والذي **أخذته عليهم** هو الالتزام الشديد لفروع الحنفية؛ فلا يكادون يعملون بالأحاديث الصحيحة إذا خالفت فروع الحنفية، وهناك شيء آخر **أقبح من ذلك**؛ وذلك أنهم يصلُّون في المساجد المبنيَّة على القبور التي اتُّخِذَتْ أوثانًا تُعبد من دون الله، ولا ينكرون على عبَّادها!

وحضرتُ **مجالسَهم في بيشاور**؛ يجتمعون كل يوم جمعة بعد العصر في بيت أحدهم، وما عندهم لا رقص ولا غناء ولا ذِكر مشتمل على بدعة، يقرأ كل واحد منهم ما تيسر من القرآن في المصحف، ثم يترجمه إلى لغة يفهمها الحاضرون، إما لغة أردو أو الفارسية أو الإنكليزية، وقرأت أنا -أيضًا- نصيبًا من القرآن وترجمته بالإنكليزية، وأنا لا أمنع أصحابنا من مرافقتهم(١)؛ إلا أنني أحذرهم من الصلاة في المساجد المبنية على القبور، وآمرهم بإنكار الشرك والبدعة كلما رأوا شيئًا من ذلك بقدر جهدهم».

وظهر مدحهم قبل ذلك، فكتب الهلالي مقالة له بعنوان (الرحمة والمودة

---

(١) قال العلَّامة الشيخ عبدالعزيز بن باز في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٣١): «جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة، فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة؛ حتى يرشدهم وينصحهم».
قلت: هم -غفر الله لهم- بحاجة إلى من يدعوهم، وعلَّق الشيخ الفوزان بقوله: «**هؤلاء أصحاب مبدأ يبايعون عليه، فلا يقبلون الدعوة إلى تركه**»، نقله الشيخ محمد ابن فهد الفريح في كتابه «نقض كتاب تحقيق المقال وتوضيح ما عليه جماعة التبليغ من تصوف وضلال» (ص١٢).

والتسامح في الإسلام)[١]، ولا يشعر القارئ بأي انتقاد له عليهم، وأسوق كلامه بفصِّه ونصِّه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

«كنت ومعي شقيقي الأستاذ محمد العربي في مدينة (راول بندي) في باكستان نريد السفر إلى مدينة (بيشاور) عاصمة الولاية الشمالية من باكستان، وكان معنا من ركاب السيارة المصلِّين نفر من الأفغانيين وواحد من الدعاة من **جماعة مولاي إلياس**، فأردت أن أصلي الظُّهر إمامًا ومعي -أي: المذكور- وابني شكيب، فجاءني هذا الأستاذ متلطِّفًا ببشاشة، وقال لي: «ألا نصلي جماعة؟». فقلت: «نعم». وكنتُ واقفًا في موضع الإمام، فهمس في أذني: «إن أولئك الأفغانيين من العوام وهم لا يعرفونك، فأخاف أن يمتنعوا من الاقتداء بك، فلو سمحتَ لي بالإمامة؟». فقلتُ: «حُبًّا وكرامة». فتقدَّم، وصلى بنا الظُّهر ركعتين.

وكنتُ أخاف أن يُتم فيصلي أربعًا؛ وأضطر أنا إلى مخالفته، فأكتفي بركعتين وَفْقَ مذهبي، وهو وجوب القصر على المسافر، وبطلان الصلاة إن أتمَّ عمدًا، وهذا القول مَروي عن ابن عمر[٢] ....

(١) نشرت في مجلة «الأخوة الإسلامية» البغدادية، السنة الثانية، العدد الأول، يوم الجمعة، بتأريخ (٢٠/ ربيع الأول/ ١٣٧٣هـ يوافق ٢٧/ تشرين الثاني/ ١٩٥٣م).

(٢) انظر روايته في قصر النبي ﷺ في السفر: «صحيح البخاري» (١١٠٢) و«صحيح مسلم» (٦٨٩).

وأما مذهبه في بطلان من أتمَّ عمدًا؛ فقد روي عنه أنه قال: «صلاة السفر ركعتان، من ترك السنة فقد كفر». أخرجه عبد بن حميد (٨٢٩ - المنتخب) والطحاوي (١/ ٤٤٢، ٤٢٧) والبيهقي (٣/ ١٤٠) والأصرح منه: قوله: «من صلَّى أربعًا في السفر كمن صلَّى ركعتين في الحضر»، كذا في «العيون الزلالية» (١/ ١٩٢- بتحقيقي) للمصنف.

قلت: أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» -ومن طريقه ابن حزم في «المحلى» (٤/ ٢٧٠)- من طريق حميد بن علي العقيلي عن الضحاك بن مزاحم قال: قال ابن عباس... وذكره؛ فالأثر عن ابن عباس لا عن ابن عمر، ولم يعزه العيني في «عمدة القاري» (٧/ ١٣٣) إلا لابن حزم.

وقد أخذ به الظاهرية[١] وبعض المالكية[٢]، وهو مذهب الحنفية[٣] -على ما أذكر- إلا أنهم لا يقولون بالبطلان، بل يعتبرون الثالثة والرابعة نافلة؛ لأن السلام عندهم ليس بفرض[٤].

ولكن الذي خفت منه لم يقع؛ فإن الرَّجل صلى ركعتين، ولمَّا رآني أولئك النفر أرفع يدي عند الركوع وعند الرفع منه، سألوا الإمام عن ذلك مستنكرين له، فأخذ يشرح لهم أن الرفع سُنَّة ثابتة[٥] عن النبي ﷺ وقد أخذ بها الشافعي وأحمد، وهو أحد القولين عند المالكية، وهو الذي ذَكره مالك في «الموطأ» وبوَّب له، وهو رواية المدنيين من أصحاب مالك، ولم يأخذ به أبو حنيفة وسفيان الثوري وأكثر الكوفيين[٦]؛ لأنهم أخذوا الأحكام عن عبدالله ابن مسعود، ولم يكن يرفع.

ثم أفاض ذلك الأستاذ في وجوب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين، بل ومحبتهم وموالاتهم على أي مذهب كانوا من مذاهب الأئمة الهداة، والبعد عن التعصب لمذهب بعينه؛ لأن ذلك يوقع الشقاق بين المسلمين، وهو من أعظم أسباب تفرقهم، وفساد أحوالهم، واستيلاء العدو عليهم، وكان يشرح لهم ذلك باللغة الأُرديَّة...» وقال فيها:

«عدد المسلمين اليوم في الدنيا كلها زهاء أربع مئة مليون[٧]: في بلاد

---

(١) انظر: «المحلى» (٥/ ١٩).

(٢) انظر: «المعونة» (١/ ٢٦٧)، «التفريع» (١/ ٢٥٨)، «الكافي» (٦٧ - ٦٨)، «المنتقى» (١/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «شرح معاني الآثار» (١/ ٤١٥).

(٤) هو واجب عندهم، وتكبيرة الإحرام كذلك، وليست ركنًا.

(٥) **قال أبو عُبيدة**: بل متواترة، قاله الذهبي في «السير» (٥/ ٢٩٣).

(٦) انظر: ما زبرناه في «رحلات الهلالي إلى الهند»، وفيه (٢/ ٧١٥ - ٧٣٢) كلام الكوثري على المسألة، واستدلاله على تقي الدين الهلالي، والرد عليه فيها؛ فإنها (مهمة).

(٧) كان عددهم هذا قبل ما يزيد على نصف قرن من الآن، وهم هذه الأيام يزيدون =

باكستان والهند نحو مئة وعشرين مليونًا، وفي إندونيسيا نحو سبعين مليونًا، والباقي متفرق بين إفريقية وآسية وأوروبا، ولا نرى جماعة من المسلمين -يبلغ عددها مليونًا- مُتَّحِدِين في المقاصد والوسائل والغايات، مرتبطين برباط الأخوة الإسلامية بالحبل المتين بالعروة الوثقى لا انفصام لها، متعاونين على غرضهم الواحد، باذلين جهودهم لبلوغه، فما السبب في ذلك؟

هنالكم أسباب كثيرة -أعدُّ منها ولا أعددها-، فمن أهمها: كثرة الاختلاف في الرأي، وعدم التسامح أو ضعفه، وعدم القيادة الحكمية، وضعف التمسك بالشريعة المحمدية، والاختلاف في العقائد، وقصر النظر.

ورحم الله مولاي -إلياس الهندي- الذي أسس جماعةً لها فروعٌ في جميع أنحاء الهند وباكستان، وجعل هدف هذه الجماعة (لا إله إلا الله)، والصلاة والمحبة.

ومراده بـ(لا إله إلا الله): تحقيقُ الشهادتين علمًا وعملًا[١]، ومراده بالصلاة: المحافظةُ عليها بشروطها وآدابها، ومراده بالمحبةِ: التأليفُ بين المسلمين وبث التسامح فيما بينهم».

ثم قال: «وكنت قد سمعتُ بوجود هذه الجمعية من قبل، وأن أحد نجباء تلامذتي في الهند -وهو أبو الحسن علي بن عبد الحي الندوي اللكنوي[٢] -أحد رؤسائها، ولكني لم أرَ أحدًا من دعاتها قبل ذلك الوقت.

= على مليار وخمسة ألف مليون، أسأل الله أن يبارك فيهم، ويزيدهم ولا ينقصهم، ويحفظهم من شرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ومؤامرات أعدائهم.

(١) ليس كذلك؛ هذا ما قاله الهلالي أخيرًا، بعد أن خبرهم وعرف حالهم، فكان يُحذِّر منهم وينفِّر عنهم بسبب قصورهم في التوحيد، وبُعدهم عن العِلم الشرعي، وألَّف في الرَّد عليهم كتابَه هذا «السراج المنير في تنبيه (جماعة التَّبليغ) على أخطائهم»، وانظرْ ما سيأتي.

(٢) للهلالي مراسلات معه، وله ردود عليه، فيها خشونة على ما يستحق من شرود عن التوحيد، وسيأتي بيان ذلك، ويُنظر -لزامًا-: كتابَ أخينا الشَّيخ صلاح مقبول «الأستاذ أبو الحسن الندوي: الوجه الآخر من كتاباته»، وهو مطبوع.

وفي أثناء إقامتنا بمدينة (بيشاور) دُعِيتُ إلى حضور اجتماع فرع هذه الجماعة في قصر أحد كبار المحامين خارج المدينة، وكان ذلك يوم الجمعة في وقت صلاة العصر، فاجتمع منهم نحو ثلاثين رَجُلًا، وأول ما بدؤوا صلاة العصر، فصلى بهم رئيسهم، ثم جلسنا في مقصورة واسعة على شكل حلقة على الكراسي، وفي يد كل واحد منهم مصحف، ففتح رئيسهم الدرس، وكان من سورة سبأ [١٥] في قوله -تعالى-: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾.

كانت كيفية الدرس عجيبة بالنسبة إلى أهل البلاد العربية، فإن الرئيس أمر مَن كان على يمينه بقراءة الآية، وكان يُصلح له ما يخطئ فيه من الألفاظ، ثم أمره بترجمتها بأسهل اللغتين عليه: إمَّا الأُرديَّة أو الإنكليزية، فلمَّا فرغ من الترجمة؛ تلاه مَن كان على يمينه، وهكذا دواليكَ واحدًا بعد واحد، ولمَّا وصلتني النوبة؛ طلبوا منِّي أنْ أشاركهم في ذلك العمل، فاعتذرتُ بأني لا أُحسن واحدة من اللغتين، فقالوا لي: «تكلَّمْ بقدر ما يتيسر لك»، ففسرت الآية بالإنكليزية، لأني أعرفها أكثر من الأُرديَّة، ومضوا كذلك حتى انتهى الأمر إلى رئيسهم، ففسر الآية باللغة الأُرديَّة وأطال بعض الشيء، ثم عملوا مثل ذلك في الآية التي تليها إلى أن انتهى الوقت المحدد وهو ساعتان في كل أسبوع.

ثم جاء صاحب البيت بالحلوى والشاي، وأكلوا وشربوا وتفرقوا إلى يوم الجمعة من الأسبوع التالي.

فسألت عن الجماعة؟ فقيل لي: «إنهم كلَّهم من ذوي الثقافة العالية ما بين محام، وطبيب وعالِم وأديب»، وسألت عن صاحب البيت، فقيل لي: «إنه غير مسلم، وهو محام فارسي -وهم ينطقون به (بارسي)-، والفارسية طائفة من طوائف الهند، أصلُهم من سكان فارس، هاجروا إلى الهند قبل الإسلام، ودينُهم المجوسية، وقلَّ أن تجد أحدًا منهم غيرَ مثقفٍ ثقافةً عالية، ولهم مراكز مهمة»، فقلت: «وكيف اجتمعتم في بيته؟»، فقالوا: «نحن ليس لنا مركزٌ

نجتمع فيه، وهذه الجماعة لا تتخذ مركزًا، وإنما تجتمع في المعابد أو في بيت أحدهم؛ اقتداءً بأصحاب رسول الله ﷺ، وهذا المحامي الفارسي اطلع على جماعتنا ونظامها فأحب أن يشاركنا، فرحبنا به، وهو يحب الإسلام ويعجب به، ولكنه إلى الآن لم يدخل فيه».

والمسلمون اليوم في أشد الحاجة إلى هذا المسلك[1]، وهو مسلك التأليف، وبث المودة، وإزالة الخلاف والتدابر والضغائن التي يورثها التعصب للمذاهب والعقائد الخاصة.

لأن التعاون على البر والتقوى -الذي هو فرضٌ على جميع المسلمين- لا يمكن أن يدفعوا عنهم شرًّا أو يجدوا لأنفسهم خيرًا إلا به، لا يمكن مع وجود التجاهل والتدابر والقطيعة والحزازات المذهبية والفرقية.

إذنْ يكون أعظمُ واجبٍ على مَن يريد صلاحَ هذه الأمة وخيرَها؛ التأليفُ بين المسلمين، وبث المودة بينهم، وتقوية رابطة الأخوة الإسلامية، وإزالة ما ينافي ذلك» إلى آخر كلامه.

قال أبو عُبيدة: هذا حال (التبليغيِّين) عند محمد تقي الدِّين في **أول معرفته بهم، وقبل معرفة واقعهم؛ فاغترَّ بظاهرهم، وأُعجب بتسامحهم**، ورضي منهم ما يُظهرون من أهمية الاجتماع على الخروج والجهد في سبيل نشر الدِّين!

---

(١) نعم؛ هم بحاجة إلى الوَحدة؛ ولكن على التوحيد، وبحاجة إلى إزالة الخلاف والتدابر بتحكيم السُّنَّة النبوية الصحيحة بينهم، وكل وَحدة دون (توحيد) و(اتباع) إنما هي على مصالحَ، ومواضعة بين المجتمعين، فـ(التبليغي) -في همه وحرصه وبذل وقته- لا يَعرف مثلَ (الخروج)، فهو في واقعه -وإن نطق لسانه خلاف ذلك- مسيطر عليه (الخروج في سبيل الله)، ومن لا يخرج عنده آثم، ولا تتحقق عنده (الدعوة إلى الله) إلا بالخروج، وأنه لا يعمل لنصرة دين الله، **وهذا تعصب وتحزب على وسيلة في أحسن الأحوال، ولم أرَ تعصبًا وتحزبًا في حياتي أشد من تعصبهم لجماعتهم، فإن خرج الواحد -بغض النظر عن معتقده ومشربه- صلح حاله، وسار في طريق النجاة المزعومة عندهم! فإلى الله المشتكى.**

ولكن يا ترى، بعد أن خَبَرَهُم، وزار بلدانهم، وأقام مدة طويلة في الهند والباكستان، والتقى برؤسائهم؛ ما هو آخرُ رأي له فيهم؟

رأيه فيهم هو رأي صديقه العلَّامة ابن باز، وإخوانه العلماء المشايخ: الألباني، والتُّويجري، وابن العثيمين، وصالح الفوزان، وغيرهم كثير.

- **هل بقي الهلالي على رأيه في جماعة التبليغ؟**

لَمْ يَكنِ الهلالي محيطًا بأحوال جماعة التبليغ لمَّا كَتب مقال (الرحمة والمودة والتَّسامح في الإسلام)، واغترَّ في سنة (١٩٥١م) -وهو في الباكستان- بأحوالها، وهكذا بقي إلى سنة (١٩٥٣م) حين كتب المقالة المنوَّه بها، ثمَّ اكتشفَ -فيما بعد- حقيقةَ أمرِهم، وحذَّر منهم.

○ **استطراد بشأن جماعة التبليغ:**

روَّجَ التبليغيون -عن صاحب هذه السطور- أنَّ شيخنا الإمام الألباني تاب قبل موته عن التحذير من ضلالات جماعة التبليغ، وعدم إقبالهم على العلم الشرعي، وساقوا كلامًا ليس عليه أثارةٌ مِن عِلم أو برهان أو نور!

وكانوا يَستدلون على توبته بالعبد الضعيف، ويقولوا عنِّي: «إني سمعتُ توبته، وتبعتُه، فتبتُ مثلَه، وقد خرجتُ على طريقتهم في الدعوة أربعة شهور مرتين»! تواتر هذا عندي عنهم، واتصلَ بي عددٌ يستحيل تواطؤهم على الكذب، والمتَّصلون من بلاد شتى!

وكان هذا من دواعي تأليفي كتاب «الإمام الألباني وجماعة التبليغ»، وطُبع -ولله الحمد- أكثر من مرة.

○ **ظاهرة الكذب والتدليس في جماعة التبليغ:**

القائمون على العمل التبليغي حريصون كلَّ الحرص على عدم تغيير المنهج الذي ورثوه عن مشايخهم، وعلى سلامته من الاعتراض والانتقاد، ولم يكن أمامهم إلا التحييد، والكلام المعسول، فإنْ لمْ يُفلحْ ذلك؛ عمدوا إلى التدليس، بل الكذب الصراح على منتقديهم، ولا سيَّما مَنْ عملوا على التحذير منهم.

ولا يستبعد كاتب هذه السطور لما تيقَّن على كذبهم عليه في زعمهم أني رجعت عن التحذير منهم، وإني تُبت إلى الله عن ذلك، وصادوا عصفورين بحجر، لما زعموا أن سبب توبتي هو سماعي لشيخنا الألباني لتوبته من الطعن فيهم، وأنهم أشهدوني على ذلك قبيل وفاته.

أقول: ولا أستبعد عنهم إشاعةَ توبتي مِن التحذير منهم، بعد صدور هذا الكتاب، بلْه بعد وفاتي، وإلى الله المشتكى.

وقد أشاعوا تراجعَ العلَّامة حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمَّا كتب عنهم في «القول البليغ»، واضطر أولاده الستة -حفظهم الله- من كتابة منشور يَنفون ذلك، وأنهم ما زالوا على رأي أبيهم في التحذير منهم، وصدَّروا (الطبعة الثانية) من كتاب «القول البليغ» (ص٥) بنفيهم لِمَا أشاعه التبليغيون عنهم وأذاعوه[١].

وهكذا صنعوا مع العلَّامة الشيخ عبدالعزيز ابن باز، والعلَّامة الشيخ ابن العثيمين[٢]، وغيرِهم من العلماء.

وهذه ظاهرة أصبحت شهيرة عنهم، والواجب عليهم الإقلاع عن الكذب والتدليس، وأنْ لا يقتطعوا من كلام العلماء ما لهم، وحذف ما عليهم، فهذا منهج أهل الكتاب! وقد أخبرنا نبيُّنا ﷺ عن اتِّباعهم حذوَ القذة بالقذة!

○ شبهة ثناء بعض العلماء على (التبليغيين):

يقول بعض (التبليغيِّين): العلماءُ معنا، ويَمدحون خروجنا، ويَشكرون

(١) انظر: وثيقة رقم (١) في آخر الكتاب.

(٢) انظر -على سبيل المثال- ما كتبه صاحب «التعريف المختصر بالهيئة الدولية التطوعية لنشر المعروف وتغيير المنكر» (ص٣٧ - ٤٧) من أسماء العلماء والدعاة المؤيدين والمشاركين لهذه الدعوة الإصلاحية العالمية! وأورد مِن ضمنهم علماء المملكة العربية السعودية، وعلى رأسهم ابن باز وابن العثيمين، وجماعة، وسَمَّى بعضَ مَن له صلة بشيخنا الألباني! وتسميتُه (التبليغيين) بـ(الهيئة الدولية التطوعية) وقولُه عنهم: «وتغيير المنكر» ليس بصحيح، وسيأتيك بيانُه (ص١٨٠)!

صنيعنا! يُروِّجون بضاعتهم بمثل هذه الكلمات، التي لا تُساوِي شيئًا عند البحث والفحص.

فكم من مرة سمعناهم(١) يتعلقون بفتاوى العلَّامة ابن باز والعلَّامة ابن العثيمين، والحقّ أنَّ كلام هذيْن الجبليْن الشامخيْن، والعَلَمَيْن الربانيَّيْن في (التبليغيِّين) هو التحذير منهم، وقد جرى ذلك على ألسنتهما: نُصرةً للحق، ورحمةً بالخَلق.

ولكن؛ الذي زوَّر في نفسه تعظيمَ الخروج، وندَّ به عن منزلته في الدين؛ لا يستجيبُ إلا أنْ يتداركه أرحمُ الراحمين بأنْ يَمنَّ عليه بالعلم الشرعي الصحيح، الذي يميز به بين الحسن والقبيح، والسنة والبدعة، والتوحيد والشرك؛ وإلا جمع قواه، وحفَّز طاقاتِه النفسيةَ والعقلية بمكر وخديعة، حتى يُروِّج الباطل بأي طريقة، ويسلك أي سبيل، ولا قوة إلا بالله.

وقد تَنبَّه العلَّامة حمود التُّويجري لهذا المسلك منهم، وأكَّد عليه في مواطنَ من كتابه القيم «القول البليغ في التحذير من (جماعة التَّبليغ)».

واقتصرُ على ما ورد فيه من:

○ تدليسهم على العلَّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ(٢):

قال الشيخ حمود رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن أورد ما في «فتاوى ورسائل الشيخ محمد ابن إبراهيم» (١/ ٢٦٧ - ٢٦٨) من التحذير منهم، والذم لطريقتهم، قال (ص٣٠):

---

(١) بل أسْمَعَني بعضُ أحبَّائي مقاطع مِن صوت العلّامة العثيمين في عدم بدعيَّة تحديد الخروج بثلاثة أيام -مثلًا- يتداولونها بينهُم في رسائل صوتيَّة على (الجوّالات)! فمنهجُهم: يذكُرون ما لهم دون الذي عليهم!

(٢) هو شيخ العلّامة ابن باز، وكان مفتي الديار السعودية قبله، وهو من العلماء الربانيين، الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، لا يخشى في الله لومة لائم، مات قبيل فجر الخميس (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ)، رحمه الله -تعالى- رحمة واسعة.

«وإذا عُلم ما في جواب الشيخ محمد بن إبراهيم من الرد على (التبليغيِّين)، والذم لجمعيتهم، والتصريح بأنها جمعيةُ بدعةٍ وضلالة، وأنه لا خير فيها؛ فَلْيُعلمْ -أيضًا- أنه لم يأت في «مجموع فتاوى الشيخ محمد» شيء يخالف هذا الجواب.

وقد ذكر لنا أنه قد سُئل عنهم قبل جوابه الذي تقدم ذكره بعشر سنوات؛ فأجاب بأنَّ أمرهم لم يتبيَّنْ له، ثمّ لمَّا تبيَّنَ له أنهم أهل بدعة وضلالة؛ صَرَّح بأنه لا خير فيهم، وأن جمعيتهم جمعية بدعة وضلالة.

فهذا هو الثابت عن الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، **والعمدة عليه لا على ما كان قبله**»[1].

ومِن بديع ما قرره الشيخ حمود في كتابه «القول البليغ» (ص ٢٨٨) في المآخذ عليهم -(قلةُ المبالاة بأداء الأمانة العلمية)، وذكر عن بعض (التبليغيِّين) أن الشيخ محمد بن إبراهيم قد أيد دعوة (التبليغيِّين)، وحث عليها، **وفنَّد هذا التدليس**، بقوله:

«والجواب أنْ يقال: إنّ **مشايخ (التبليغيِّين) ذوو مكر وخديعة**، وذلك أنهم في أول أمرهم كانوا يحرصون على كتمان بدعهم وضلالاتهم، ويظهرون للناس أنهم من الدعاة إلى العمل بالكتاب والسنة، وقد جاء بعضهم إلى الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، فطلبوا منه كتابًا إلى العلماء في الأحساء والمقاطعة الشرقية؛ ليمكِّنوهم من الوعظ والإرشاد في المساجد، فكَتب لهم الشيخ كتابًا يطلب فيه تمكينهم من ذلك؛ بناءً على حسن ظنه بهم؛ وهذا الكتاب مؤرخ في ١٩/ ٥/ ١٣٧٣هـ..

---

(١) اعتمدَ على ما كان قبلَه صاحب «هذه دعوتنا» (ص١٣٩)، ودلَّس على القرّاء أنَّ الشيخ العلَّامة محمد بن إبراهيم يمدح التبليغيِّين، بل زَعَمَ أنَّ قَدْحَ الشيخ محمد بن إبراهيم المثبت في «فتاويه» ليس في جماعة التبليغ!! وللردّ عليه مجال آخر، ولولا خوفي مِن الاستطراد وتطويل الكتاب لفعلت، ولا سيَّما أنَّ عندي بعض مصوّرات لوثائق تدلّ على أنّ (التبليغيِّين) هُم المعنيُّون بكلامِ العلَّامة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ لما تَبَيَّنَ له أنهم أهل بدع وضلالات؛ كتب كتابًا آخر، صرَّح فيه بأنهم أهل بدعة وضلالة، وحذَّر منهم، وهذا الكتاب ناسخ(١) للكتاب الأول، ومبطل لما ذكر فيه من تحسين حالهم، وهو مؤرخ في ٢٩ / ١ / ١٣٨٢هـ(٢).

○ **الكتاب الأول للعلَّامة الربَّاني محمد بن إبراهيم في تأييد طريقة (التبليغ):**

«بسم الله الرحمن الرجيم، من محمد بن إبراهيم إلى من يراه من علماء الأحساء والمقاطعة الشرقية، جعلني الله وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى، ومن المعينين المساعدين لمن على الدعوة إلى الله ينشط ويقوى آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، **وبعد:**

فحامل هذا الكتاب سعيد محمد علي الباكستاني ورفقاؤه كانوا من (جمعية التبليغ) في باكستان، ومهمتهم العظة في المساجد والإرشاد، **والحث والتحريض على التوحيد وحسن المعتقد، والحث على العمل بالكتاب والسنة، مع التحذير من البدع والخرافات من عبادة القبور ودعاء الأموات وغير ذلك من البدع والمنكرات**، كتبتُ عنهم بذلك طلبًا لمساعدتهم من إخوانهم بالتمكين لهم من ذلك، سائلًا الله -تعالى- أن يرزقهم حسن النية والتوفيق للنطق بالحق والسلامة

---

(١) النسخ يخص الشرع، وله حق إنشاء الأحكام ونسخها، وأمَّا العلماء فلا يملكون ذلك، وإنما يُبيِّنون، فكان الصواب في حقِّهم الرجوع لا النسخ، والعبرة بآخر أقوالهم، وهذا مراد الشيخ حمود رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) عند (التبليغيِّين) (تدليس) مِن نوع جديد، لمْ يُعْرَفْ عند السابقين، وهو تدليس التَّأريخ، فالواجب على مَن أحضرت له فتوى فضيلة المشايخ ابن باز، أو ابن عثيمين، أو ابن إبراهيم، أنْ لا يكتفي بفَحْص تأْريخِها، بل الواجب: التأكُّد هل التأريخ المزبور عليها هو تأريخ نشرها أم تأريخ الإفتاء بها، فوجدتُ على بعضِ فتاوَى العلَّامة ابن باز تأريخًا لتأريخ نشر الفتوى، وليس تأريخًا للفتوى، ويزعم بعضهم أنَّها آخِر فتاوَى ابن باز فيهم!! فاحذَرْ وتنبَّه.

من الزلل، وأن ينفع بإرشادهم وبيانهم؛ إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه».

وهذا الكتاب لم يوضع مع «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم» لما طُبعت؛ لأنه قد رَجع عنه بما صرَّح به في كتابه الأخير الذي هو ناسخ لما قبله، وكتابه الأخير مذكور في (ص ٢٦٧-٢٦٨) من (الجزء الأول) من «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم»، وهذا نصه:

○ آخر قولَي العلَّامة الربَّانِيِّ في التحذير من (التبليغ):

«من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد ابن سعود رئيس الديوان الملكي الموقر، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقيت خطاب سموكم (رقم ٣٧ / ٤ / ٥-د في ٢١ / ١ / ١٣٨٢هـ) وما يرفقه، وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من محمد عبدالحامد القادري وشاه أحمد نوراني وعبدالسلام القادري وسعود أحمد دهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سموها «كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية»، وكذلك الكتيبات الثلاثة المرفوعة ضمن رسالتهم.

وأعرض لسموكم أنّ **هذه الجمعية لا خير فيها؛ فإنها جمعيةُ بدعة وضلالة، وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم؛ وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك، الأمر الذي لا يسعُ السكوتُ عنه، ولذا فسنقوم -إن شاء الله- بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها،** ونسأل الله أنْ ينصر دينه، ويعلي كلمته، والسلام عليكم ورحمة الله».

ص- م- ٤٠٥ في ٢٩/ ١/ ١٣٨٢ هـ.

وإذا عُلِمَ هذا؛ فليُعْلم -أيضًا- أنّ اقتصار المفتون على ما جاء في الكتاب

الأول من تأييد الشيخ محمد بن إبراهيم لدعوة (التبليغيِّين)، وإعراضه عما جاء في كتابه الأخير من الذم لهم ولكتبهم والتحذير منهم ومن كتبهم، ظاهر في **قلة مبالاته بأداء الأمانة العلمية، وقصده الغش والتلبيس على ضعفاء البصيرة**.

وقد روى الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قلما خطبنا رسول الله ﷺ؛ إلا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[1].

وروى الإمام أحمد -أيضًا-، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من غشنا فليس منا**»[2].

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

قال: «وفي الباب عن ابن عمر وأبي الحمراء وابن عباس وبريدة وأبي بردة ابن نيار وحذيفة بن اليمان».

قلت: وفي الباب -أيضًا- عن عائشة وأبي موسى والبراء بن عازب وأنس ابن مالك رضي الله عنهم.

فليتأمَّل المُفتون ما جاء في هذه الأحاديث حقَّ التأمل، وليتَّق الله -تعالى-، ولْيبادرْ إلى التوبة النصوح، وبيان الحق **والرد على أهل البدع والضلالات من (التبليغيِّين) وغيرهم**، ولْيَحذرْ أشدَّ الحذر من الإصرار على **الغش والتدليس والتلبيس على ضعفاء البصيرة**، وتقديم رضى مشايخ (التبليغيِّين) على رضى الله -تعالى-، وإن لم يفعل؛ فلا يأمن من زيغ القلب وانتكاسه؛ لأن الله -تعالى- يقول: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف:٥]».

ثم ذكر في كتابه «القول البليغ» (ص٢٩١) أن من دعامات دعوتهم: (قلب الحقيقة المعروفة عن جماعة التَّبليغ).

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١)، وابن حبَّان في «صحيحه» (١٩٤) وغيرهم، وهو حسن بشواهده.

(٢) أخرجه مسلم (١٠١)، وأحمد (٢/ ٤١٧)، وأبو داود (٣٤٥٢)، والترمذي (١٣١٥)، وابن ماجه (٢٢٢٤) وغيرهم.

ونقل عن بعض (التبليغيِّين) شبهة مترددة على ألسنة، متكررة في المجالس العامة والخاصة: «والظاهر لمن يتأمل أحوال (جماعة التَّبليغ) أنهم إنما يريدون بدعوتهم الخير والنصح لأنفسهم وللمسلمين عامة، وأنهم لا يريدون ببذل جهدهم إلا الإصلاح، وليسوا معصومين عن الخطأ، لكنهم يعتقدون جازمين أنهم على الحق، طالما أنهم يدعون الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة والرجوع إلى ما عليه سلف الأمة، كيف لا وهم يعلنون دائمًا قائلين: إنّ فلاحنا ونجاحنا في الدنيا والآخرة بامتثال أوامر الله -تعالى- على طريق رسول الله ﷺ...».

إلى أنْ قال -على لسان التبليغي-: «ولكن الذي يغلب على الظَّن أنَّ من كان يبذل ماله ووقته وفكره في خدمة الإسلام؛ فإنه -إذا وفقه الله -تعالى-؛ يقبل الحق إذا تبيَّنَ له أنه على خطأ في بعض ما يتصوره صوابًا، وهذا ما لمسناه»، ثم فند ذلك بقوله:

«والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن كل ما ذكره المفتون في هذه الجملة عن (التبليغيِّين) على وجه الثناء عليهم؛ فكلامه في رسالته إلى إنعام الحسن وغيره من مشايخ (التبليغيِّين) يناقض ذلك ويبطله، وذلك أنَّه ذَكر عنهم أشياءَ كثيرة من البدع والأعمال السيئة، وأنكرها عليهم، ونقدها نقدًا جيدًا؛ فلْيراجعْ ذلك في الفصل الذي قبل هذا الفصل[1]؛ ففيه كفاية في الرد على ما جاء في هذه الجملة من المغالطة والتدليس والتلبيس على ضعفاء البصيرة.

الوجه الثاني: أنْ أقول: قد ذكرت في أثناء الكتاب عن مشايخ (التبليغيِّين) أشياء كثيرة من الشرك الأكبر وأشياء كثيرة من البدع والضلالات والخرافات والجهالات التي تناقض الثناء الكاذب الذي أثنى به المفتون عليهم، ولا سيما

---

(١) انظره من «القول البليغ» (ص٢٤٣ - ٢٥٧).

زعمه أنهم يدعون الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة والرجوع إلى ما عليه سلف الأمة؛ فليراجع ما تقدم ذكره عنهم[1]؛ ففيه أبلغ رد على ما جاء في هذه الجملة المبنية على التدليس والتلبيس.

ويقال -أيضًا-: قد ذكر الأستاذ -سيف الرحمن بن أحمد الدهلوي- عن (التبليغيِّين) -أنهم يحاربون العلم بالأدلة من الكتاب والسنة، ويسمونها جدلًا وشغبًا وخصامًا، ومن كانوا بهذه الصفة الذميمة؛ فلا شك أنهم بعيدون غايةَ البعد عن دعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة، والرجوع إلى ما عليه سلف الأمة، وبعيدون -أيضًا- عن إرادة الخير والإصلاح والنصح لأنفسهم، وللمسلمين.

ويقال -أيضًا-: إنَّ المعروف عن (التبليغيِّين) أنهم يحرصون على دعوة الناس إلى الانضمام إليهم وتكثير سوادهم، ولا يبالون بإصرارهم على ما هم واقعون فيه من شرك أو بدعة أو فسوق أو عصيان، **بل يتركون كلًّا منهم على ما هو معتاد عليه من المنكرات، ويعللون ذلك بأن التابع لهم سوف يترك ما هو واقع فيه من المخالفات إذا تدرب على عمل الدعوة**، ولو كانوا يدعون إلى التمسك بالكتاب والسُّنَّة والرجوع إلى ما عليه سلف الأمة؛ لما تركوا المسيئين على أعمالهم السيئة، بل كانوا يأخذون على أيديهم، ويأطرونهم على الحق أطرًا؛ لأنَّ رسول الله ﷺ قد أمر بذلك، وشَدَّد في تركه، وتوعد التاركين له باللعن، وقد قال الله -تعالى-: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

الوجه الثالث: أنْ يقال: إنَّ المَفتون قد ذَكر في رسالته إلى إنعام الحسن وغيره من مشايخ (التبليغيِّين) كثيرًا ممّا هم واقعون فيه منَ البدع والمنكرات، وطلب منهم أنْ يعرضوا جميع اعتقاداتهم وأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم على منهج الرسول ﷺ، وذكر لهم أنه ينتظر الجواب منهم.

---

(١) انظره من «القول البليغ» (ص٣٨ - ١٥٠).

وقد ذكر بعض المطلعين على أخبار مشايخ (التبليغيِّين) أنهم رفضوا الإجابة على رسالته، وفي هذا أبلغ رد على قوله: «وهذا ما لمسناه»، ولو كان ما ذكره من اللمس صحيحًا؛ لمَا رفضوا الإجابة على رسالته.

وفي رفضهم الإجابةَ على رسالته دليلٌ على أنهم كانوا مُصرِّين على البدع والضلالات والجهالات التي أنكرها عليهم، وطلب منهم الإقلاع عنها.

وفيه -أيضًا-: دليل على أنهم بعيدون غاية البعد عن إرادة الخير والإصلاح والنصح لأنفسهم وللمسلمين، وعن دعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة والرجوع إلى ما كان عليه سلف الأمة، وأنّ ما **يعلنونه دائمًا بأنّ فلاحهم ونجاحهم في الدنيا** والآخرة بامتثال أوامر الله -تعالى- على طريق رسول الله ﷺ؛ إنّما هو مجرد **قول يخدعون به أتباعهم ويخالفونه بأفعالهم**».

○ عودة إلى شبهة ثناء بعض العلماء على (التبليغيِّين):

مع كل ما سبق ذكره، يبقى في قلب التبليغي، وفي عقل المائل إليهم أنّ بعض العلماء مدحوا (التبليغيِّين)، وسوغوا طريقتهم، وشجَّعُوا دعوتهم!

وينبغي أنْ يكون الجواب على ذلك بعلم «ولا شك أنّ **المرجع في مثل هذا لأهل العلم والفضل والصلاح مِمَّن لهم دراية بقواعد الجرح والتعديل، وليس** هذا لعامة الناس، ولا هو كذلك **لأهل (جماعة التَّبليغ)** أنفسِهم، إذ لا يصحُ أنْ يَحكم الإنسان على نفسه أو أنْ يزكي نفسه، بل لكل علم أهله.

والناقدون لهذه الجماعة من أهل العلم كثير، وهم مع نقدهم لا ينكرون مزاياها، فلا يصح الاعتراض عليهم بذكر ما فيها من مزايا، ولا يصح كذلك نقل كلام بعضهم في وصف مزاياها دون ذكر انتقاداتهم الكثيرة والمعروفة لهذه الجماعة، **فمن قواعد هذا العلم المبارك (علم الجرح والتعديل):**

١- الجرح المفسَّر مقدَّم على التعديل.

قَلَّ مِنَ العلماء المعاصرين السَّلفيين مَن عرف معرفته، ومرَّ بتجربته[١]، فهو ممن أدرك جماعة من بقية السَّلف في كثير من البلدان، وممن تنقل بين بلاد المسلمين (المغرب -مسقط رأسه-، والجزائر، ومصر، والعراق، وسورية، ولبنان، وتركيا، والكويت، والسعودية) وشبه القارة الهندية (الهند والباكستان)، وزار أفغانستان، وعاش فترة في ألمانية، وتجول في ربوع بلجيكيا، وسويسرا، وهولندا، وبريطانيا، وإسبانيا، وفرنسا، ووصل إلى المناطق القطبية الشمالية (النرويج)، وعدَّه بعض الكنديين[٢] المعاصرين -ممَّن خَصَّه بدراسة نال بها الدرجة العالمية (دكتوراة)- سببًا لـ(عولمة) الدعوة السَّلفية في العالَم، **وهذا صحيح بلا ريب.**

وقد اِغترَ العلَّامة محمد تقي الدِّين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في أوائل نشأته العلمية، قبل تمكُّنه من التأصيل، وتطوافه في البلاد، ومعرفته لأصول الدعوة (التبليغية)؛ فكتب مقالة في (مدح التبليغيِّين)[٣] إبَّان إقامته في العراق، وكانت أول وصول الدعوة (التبليغية) إلى ذاك البلد.

---

(١) إذ نشأ على البيعة وتعظيم الطريقة، ثم خبر أحوال الإفرنج، وكان -فيما بعد- قريبًا من العلماء والأمراء والملوك، وله مشاركات في الصحافة والإذاعة، وعنده معرفة بعدة لغات: الإنكليزية، والفرنسية، والإسبانية، والألمانية، والبربرية، والعبرية، والأُرديَّة، واللاتينية، وله تتبع لكتب اليهود والنصارى، وعنده عناية بالمخطوطات والتراث، وله مشاركات قوية في الذَّب عن بلاد المسلمين ومقارعة الاستعمار الفرنسي والإسباني والبريطاني، وأمَّا معرفته بالعربية فهو إمام لا يُجارى وفحل لا يُبارى، وله شعر في مصاف أشعار المتقدمين، وكان مراقبًا على المدرسين في المسجد النبوي في أوائل قيام الدولة السعودية، ثم مدرسًا في المعهد السعودي بمكَّة المكرَّمة، ثم معلمًا للعربية في ندوة العلماء بلكنهو.

(٢) ناقش هنري لوزيير في جامعة جورج تاون بأمريكا أطروحته للدكتوراة بعنوان «تطور السَّلفية مِن خلال حياة وفكر محمد تقي الدِّين الهلالي»، وهي مطبوعة باللغة الإنكليزية.

(٣) سبقت برمَّتها.

○ تحذير العلَّامة السَّلفي محمد تقي الدِّين الهلالي من غلو (التبليغيِّين) في (الخروج):

افتتح العلَّامة محمد تقي الدِّين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ كتابه البديع «السراج المنير في تنبيه (جماعة التبليغ) على أخطائهم» (ص...-بتحقيقي) ببيان (غلو) (التبليغيِّين) في (الخروج)، فقال[١]:

«ظهرتْ في هذا القرن الرابع عشر في بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ دعوةٌ عُرف أهلها بالإخلاص لها، والصبر وتحمل المشاق في نشرها، والاستماتة وبذل النفس والنفيس في خدمتها، ألا وهي دعوة قوم يُسمون أنفسهم (أهل التبليغ).

ووضعوا لدعوتهم أركانًا ستة (مدارُها على السياحة)، فهي الركن الأساسي عندهم، فهي بمنزلة الشهادتين عند أهل الاستقامة، **فمَنْ قَبِلها واشتغل بها؛ أحبُّوه وأكرموه، وغفروا له ذنوبه وتقصيره، وضلاله وبدعته، ومَن خالفهم فيها؛ لم يقبلوا منه شيئًا، وإن كان مؤديًا لجميع الواجبات، قائمًا بالفرائض والسُنن، متَّبِعًا لأقوم السُّنن، فهي خلاصة دينهم؛ عليها يوالون أو يعادون، ويحبون أو يبغضون، وقد ترتبت على دعوتهم مفاسد عظيمة في الدِّين والدنيا:**

فأولها: الابتداع في دِين الله، ومخالفة سُنَّة رسول الله ﷺ.

وثانيها: تضييع العيال والوالدَين والأزواج، وإهدار حقوقهم.

ومنها: صرف المتعلِّمين عن تعلُّم العلوم النافعة في الدِّين والدنيا.

ومنها: تعطيل تجارة التجار، وتضييع أهلهم، ومَن يعيش معهم، أو يأخذ منهم صدقة أو زكاة، فكم من أولاد فصلوهم عن آبائهم وأمهاتهم! وكم من

(١) ابتدأ به في السادس عشر رمضان سنة (١٣٩٨هـ)، بعد نحو خمس وعشرين سنة من كتابته المقالة السابقة التي اغتر فيها بظاهر حالهم!

بعول فصلوهم عن أزواجهم وأولادهم! فصار هؤلاء يشتكون إلى الله ثم إلى الناس من هذا الإفساد العظيم والتضليل الكبير، **فوجب على مَن كان عنده عِلمٌ -يُقلل به شرَّ هذه الطائفة- أنْ يُبرز علمه، وأنْ يُظهر للمسلمين ضلالهم وتضليلهم**، عاملًا بقوله -تعالى- في سورة البقرة الآية المرقومة بـ [١٥٩] وما بعدها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقد ألَّف القائد محمد أسلم الباكستاني[1] جزءًا سماه «جماعة التبليغ: عقائدها وأفكارها ومشايخها»، ذكر فيه ما لهم وما عليهم، ونقل أخبارهم مِن كتبهم.

وقد رأيتُ أن أُلخِّص كلامه رجاءَ أن ينفع الله به مَن لم يكن وقع في حبائلهم واستهوته حيلُهم، ولكنِّي رأيت أن أقدِّم قبل ذلك مقدِّمة في الحكم الشرعي بدليله على هذه الفرقة وذِكر بعض آثارها السيئة، فأقول...» وذَكَرَها.

ومِن دقة فَهْم عالِمنا الهلالي وعِلمه، وشدة حرصه، وسعة اطلاعه: رَبْطُه المخالفات العقدية والإصلاحية بما عليه أهل الفرق الضالة، وبيان كيفية انتقالها إلى المسلمين، فذكر -مثلًا- أنّ السياحة من أعظم أركان الدِّين الهندي البرهمي، وأفاض في نقل ذلك عن كتاب الدكتور أحمد شلبي «مقارنة الأديان»، ثم ربطها بما عليه أهل البدع من المسلمين، فقال في كتابه «سبيل الرشاد» (٣/ ٢٣٠-٢٣١) نقلًا عن الدكتور المذكور:

«**إنه يجب على البرهمي أن يقسم حياته ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: من طفولته إلى أن يبلغ الخامسة والعشرين مِن عمره، يسيح في الأرض لطلب العِلم ولا يشتغل بالكسب، بل يعيش على ما يجده من الثمر الساقط من الأشجار والنبات، وإذا اضطر إلى السؤال سأل الناس.

---

(١) ستأتي ترجمته.

القسم الثاني: بعد نهاية خمسة[1] وعشرين سنة يشتغل بالكسب ويتزوج، ويكون له أولاد إلى أن يبلغ خمسين سنة.

القسم الثالث: بعد نهاية خمسين سنة يسيح في الأرض على الصفة التي تقدم ذِكرها من التقشف والبُعد عن الملاذ والاعتزال عن الناس، إلا إذا كانوا زهادًا مثله، ويستمر على ذلك إلى أن يموت».

وجاء في سيرة (بوذا)[2]: أنه كان ابن أحد كبار الأغنياء، ولمَّا بلغ خمسًا وعشرين سنة تزوج فوُلِد له ولد، ثم هجر معيشة الترف، وساح هائمًا على وجهه، فلقي خمسة من الزهاد فصحبهم مدة، ثم تركهم واستمر في السياحة والتقشف وتعذيب النفس إلى أن جاءته الحكمة وهو جالس تحت شجرة في الغابة، ثم توجه إلى (بنارَس) وأخذ يُعلِّم الناس دِينه.

وهذه السياحة الهندية الوثنية هي التي ذُكِرَتْ عند رسول الله ﷺ فنهى عنها وقال: «**قد أبدلنا الله بذلك؛ الجهاد في سبيل الله، والتكبير على كل شَرَف**»[3].

وقد اقتبس بعض الجهال من المتصوفة تعذيب النفس من الدِّين الهندي الوثني، وقد ذَكر الحافظ ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس» حكايات كثيرة في تعذيب المتصوفة أنفسهم بالجوع، زادوا فيها عن نساك الهند الوثنيين أضعافًا كثيرة، **أذكر منها شيئًا يسيرًا:**

فمِن ذلك ما ذكره الحافظ ابن الجوزي في الكتاب المذكور (ص٢٠٠):

«حكى أبو حامد الطوسي عن سهل -يعني: ابن عبد الله التَّسْتُري- قال: كان سهل يقتات ورق النبق مدة، وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين، واقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين».

---

(١) هكذا في الأصل، والصواب: «خمس».

(٢) قال الهلالي: «بُوذْها، والعرب يسمُّونه غلطًا: (بوذا) بالذال، وتُلفظ هاؤه مختلسة»، انظر: كتابي «جمهرة مقالات الهلالي في التوحيد» (١/ ٢٧٧)، وانظر: ما سيأتي في التعليق على (ص٢٤١).

(٣) سيأتي تخريجه (ص٢٤٤).

ثم قال الهلالي[١]: «ولم يزل جهال المتصوفة يأخذون هذه الضلالات عن عَبَدَة الأصنام في الهند، وعن رهبان النصارى إلى يومنا هذا، **ومن ذلك السياحة التي يدعو إليها (طائفة التبليغ) المتبعين[٢] للشيخ محمد إلياس الهندي، وهم منتشرون في جميع أنحاء الدنيا، والركن الأعظم من طريقتهم هو ما يسمونه الخروج في سبيل الله، فإنهم يبذلون جهودًا عظيمة في الدعوة إلى هذا الركن.**

وهم في ذلك مُخْلِصُون بطريقتهم وناجحون في عملهم، وكل داع مخلِص ناجح على قدر إخلاصه يكون نجاحه، سواء دعى إلى حق أو إلى باطل.

وهذا الركن الذي يسمونه الخروج في سبيل الله وما يلزمه من التقشف في المعيشة؛ هو بعينه السياحة التي تقدم ذِكرها، ونهى عنها النبي ﷺ، **وهي بدعة محضة لم يفعلها النبي ﷺ**، فإنه خرج إلى الطائف لدعوة أميرها ولم يكن معه إلا خادمه ومولاه؛ أي: عبده المعتق زيد بن حارثة، فلمَّا دعا أمير الطائف؛ ردَّ عليه ردًّا قبيحًا، وقعد له سفهاء الطائف في طريقه سِماطين -أي: صَفَّين-، ورموه بالحجارة حتى سال الدم من رجليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم رجع إلى مكَّة، والقصة معروفة في السيرة[٣]، ولم يخرج معه أحد من المسلمين من أهل مكَّة.

وكذلك توجه إلى دعوة أحد رؤساء العرب وهو ابن عبد ياليل بن عبد كلال وحده، فردَّ عليه ردًّا قبيحًا، فأصابه من الغمِّ ما أذهله، حتى إنه مشى في البرية مغمومًا محزونًا، فلم يشعر إلا وهو في قرن الثعالب، فرفع بصره إلى السماء، فرأى سحابة وفيها جبريل ومعه مَلَك الجبال، فسلَّم مَلَك الجبال على النبي ﷺ، وأخبره أنّ الله -تعالى- أمره أن يفعل ما يأمره به النبي ﷺ، وقال له: إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين -أي: الجبلين-. فقال النبي ﷺ: «**إني أرجو أن يُخرج الله من ظهورهم مَن يعبد الله ولا يشرك به شيئًا**»[٤].

---

(١) بنحوه في «السراج المنير» (ص٢٣٨، ٢٤١) دون التأصيل والتفصيل الذي هنا، فآثرت بسطه من كتابه «سبيل الرشاد» (٣/ ٢٣١ - بتحقيقي).

(٢) هكذا في الأصل، والصواب: «المتبعون».

(٣) أخرجها مسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٩٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا أشد يوم على النبي ﷺ، فإنّ عائشة رَضِوَاللَّهُعَنهَا سألته: هل مرَّ عليك يوم أشد من يوم أُحُد؟ فقال لها: «نعم». وأخبرها بالحكاية المتقدمة.

وفي غزوة أُحُد؛ كان المشركون قد حفروا حُفرًا في الجبل، فسقط النبي ﷺ في إحدى الحُفر، فأُغمي عليه، ودخلت حلقة من حلقات المغفر في خدِّ النبي ﷺ، فأخرجها أحد الصحابة عاضًا عليها بأسنانه، حتى انكسرت له سنٌّ، وكُسرت رباعية النبي ﷺ -أي: سِنّه- في ذلك السقوط، وجُرحت شَفَتُه، وسال الدم مِن وجهه، ولمَّا استفاق ورجع إلى المعسكر خرج له أُبَيُّ بن خَلَف، راكبًا على فرس له مُدجَّجًا بالسلاح، فقال: أين محمد؟ فانتدب عشرة من الصحابة لقتاله، فمنعهم النبي ﷺ، وخرج له -وهو على تلك الحال-، وأخذ حربة، وكان عدو الله قد غطَّى جسمه بالحديد، ورأسَه كذلك، ولا يظهر منه إلا ثغرة في نحره، فطعنه النبي ﷺ بالحربة في تلك الثغرة، فسقط على الأرض ومات[١] بعد ذلك، ورجع النبي ﷺ مظفَّرًا منصورًا.

فهذه هي الشدائد التي أصابته في يوم أُحُد، ومع ذلك، كانت هذه الشدائد أهون عليه مما أصابه مِن الغمِّ حين دعا ذلك الكافر ولم يُجبْه؛ لأنه كان في يوم أُحُد معه جيش، وفي يوم قرن الثعالب لم يكن معه أحد.

وادِّعاؤهم أنّ تلك البدعة[٢] سُنَّةُ النبي ﷺ وأصحابِه، ولولا ذلك لم ينتشر الإسلام في الشرق والغرب: **باطلٌ**؛ لأن الصحابة حين نشروا الإسلام خرجوا للجهاد في سبيل الله، وكانوا لا يتركون بلدًا حتى يُسلِمَ أهلُه أو يصالحوا المسلمين، أو يكونَ تحت ذمتهم، وترتفعَ فيه راية الإسلام ويُحكمَ بشريعته،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٥/ ٣٥٥)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٠٤) في «مصنَّفيهما»، والحاكم (٢/ ٣٢٧)، **وله طُرق عديدة يثبت بها**، وينظر له: «فتكات الأسد في مقاعد القتال بأُحُد» (٥٧، ٧٠، ٨٢، ١٥٣) لأبي تراب الظاهري.

(٢) يُريد الهلالي: (الخروج التبليغي).

ثم يتقدمون إلى بلد آخر؛ **لا على طريقة السياحة الصوفية المقتبسة من الديانة الوثنية التي ليس فيها جهاد ولا تغيير منكر!!**

بل فيها إقرار المنكَرات والسكوت عليها، والصلاة عند الأضرحة المعبودة، وفاعلها ملعون على لسان النبي ﷺ.

فقياس هذه السياحة على الجهاد في سبيل الله؛ **مِن أفسدِ القياس**، وفي هذه السياحة مفاسد كثيرة، منها تضييع العيال، وقد قال النبي ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّعَ مَن يعول**»[1].

وقد جاء رَجُل إلى النبي ﷺ وعرض عليه نفسه ليجاهد في سبيل الله معه، فقال له: «**ألك والدان؟**». قال: نعم. قال: «**ارجعْ فَفيهما فَجاهدْ**»[2]؛ أي: ارجع إلى برِّهما وخدمتهما فهي أفضل من الجهاد.

وهؤلاء الإلياسيُّون يُكْرِهُونَ الناس بسيف الحياء على السياحة، فإذا اعتذروا لهم بالوالدَين الضعيفَين، أو بالأولاد والزوجة، أو بالتجارة، أو بالعمل الذي الْتَزمَهُ الإنسان، فوجب عليه أداؤه، وحرم عليه تركه، كالأجير والمعلِّم؛ يقولون: «اترك ذلك وتوكل على الله»!!

وكيف يترك ما أوجبه الله عليه، ويَنقُض عهد الله من بعد ميثاقه، ويخون الأمانة، ويكون مع ذلك متوكلًا على الله وخارجًا في سبيل الله؟!

وقد أخبرني أحمد الزوين -الذي يسوق سيارة النقل للأخ السَّلفي الحاج مصطفى بن هاشم الودغيري-[3]: أنه قد حمل في سيارته ما يساوي خمسة عشر ألف درهم من فواكه، فجاءه جماعة الإلياسيِّين، وقالوا له: «تخرج معنا في سبيل الله؟». فقال لهم: «انظروا هذه السلعة المحمولة على السيارة، أنا متوجه بها إلى الجزائر». فقالوا له: «اتركها وتوكل على الله».

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩٦) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) ستأتي ترجمته.

وذهبوا إلى السيد أحمد بن إدريس الإدريسي -وهو صاحب معمل النسيج في مدينة مراكش، وصاحب تجارة واسعة، يؤدِّي زكاته، وله زوجة شابة- فأخرجوه من بيته وأخذوه إلى الهند، فبقي سبعة أشهر غائبًا.

وهذا حرام بلا شك مِن وجوه:

منها: ما تقدم.

ومنها: أنَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل أُمَّ المؤمنين حفصة ابنته: «كم تستطيع المرأة أن تصبر عن زوجها إذا خرج للجهاد في سبيل الله؟». فقالت: «أربعة أشهر»(١). فأمر أن لا يتغيب جندي عن أهله أكثر من أربعة أشهر.

كم مِن عامل وموظَّف ومعلِّم وطالب؛ كانوا لهم سببًا في طردهم من أعمالهم! **ولا نُنكر أنه تاب على أيديهم كثير من الفسَّاق، والفجَّار، واهتدوا، وتمسَّكوا بالدِّين، ولكن المحافظة على رأس المال وهو سُنَّة النبي ﷺ قبل التشوف إلى الربح.**

وكذلك نعترف لهم بحُسنِ الخُلقِ، وحُسنِ المعاشرة، والسَّمتِ الحسنِ، فعسى الله أن يوفِّقَهم لترك بدعة السياحة، وتغيير المنكر، والحُب في الله والبغض في الله، والموالاة لله والمعاداة لله، ويوفِّقَ أهلَ الهند والباكستان منهم أن يتركوا بدعة الجمود على المذهب الحنفي، ويعملوا بكل حديث

(١) وقع اضطراب في تحديد المدة، فأخرجه عبدالرزاق (١٢٥٩٣) عن ابن جريج عمن يصدق: أنَّ عمر... وذكر القصة وفيه تحديد المدة بثلاثة أشهر.
ووردت في قصة مختصرة عند إسماعيل بن إسحاق القاضي -كما في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٩)، أو (١٨/ ١٠٠ - ١٠١، ط هجر)-: «ستة أو أربعة أشهر» **وإسناده صحيح.**
ووردت «ستة أشهر» في رواية أبي بكر بن الأنباري -كما في «مسند الفاروق» (رقم٥٥١)- ومن طريقه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (٢٨٢)، وأبو محمد السرَّاج في «مصارع العشاق» (١٤٦)، وتكلَّمت على القصة بتطويل في كتابي «درة عمر بن الخطاب وحاجة الناس إليها اليوم»، وانظر: «العيال» (٤٩٦)، و«الإشراف» (٢٥٦) كلاهما لابن أبي الدنيا، «تاريخ المدينة» (٦/ ٧٥٩) لابن شبة، «مسند الفاروق» (رقم٥٥٢).

صحَّ عن النبي ﷺ، ويتركوا كذلك العقيدة الأشعرية والماتُريدية، ويعتقدوا ما كان عليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون، ومنهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رَحِمَهُ اللَّهُ فإن عقيدته كانت مطابقة لعقيدة الصحابة والتابعين، جعلنا الله من أتباعهم».

تعريف عام بكتاب
«السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم»

○ **صحة نسبة الكتاب لمؤلِّفه:**

هذا الكتاب صحيح النسبة لتقي الدين الهلالي بيقين، والأدلة على ذلك كثيرة، **من أهمِّها:**

أولًا: نسبه المصنِّف لنفسه.

ذَكره الهلالي في رسالة إلى الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل أرسلها من مكناس بتأريخ ٢١ رجب سنة ١٤٠٠هـ؛ قال: «وقد كتبتُ إلى فضيلة الشَّيخ عبدالعزيز، والتمستُ منه شراء ألف نسخة مِن «سبيل الرشاد»، وألف نسخة مِن «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم»»[1].

وذكره الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في رسالة إلى الهلالي بتأريخ ٢٠/ ١٠/ ١٣٩٩هـ؛ قال: «وصلني الطرد المرسل لنا من قبلكم، والمشتمل على ثلاثة كتب من تأليفكم؛ وهي: «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم»، وكتاب «تقويم اللسانين»، وكتاب «سبيل الرشاد»»[2].

ثانيًا: ذكره له عدد كبير، وجم غفير.

مثل: إدريس خليفة في «الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال (١٣٣١- ١٣٧٦هـ/ ١٩١٢- ١٩٥٦م)» (٢/ ٦٦٦)، وصلاح الدين مقبول أحمد في «الأستاذ أبو الحسن الندوي، الوجه الآخر من كتاباته»

---

(١) انظر: كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (١/ ٥٧٤- ط الثانية).

(٢) انظر: كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (٣/ ١٢٧٣ - ط الأولى).

(ص ٨١). وكذلك عبد الصمد العشاب في مقالته (من أعلام الشمال: الدكتور العلّامة محمد تقي الدين الهلالي) المنشورة في جريدة «الشمال» المغربية، العدد (٤٤٧) الثلاثاء ٢٨ شوال ١٤٢٩هـ - ٢٨ أكتوبر إلى ٣ نوفمبر ٢٠٠٨م.

ثالثًا: نقل منه غير واحد من الباحثين، وسيأتي ذكر بعضهم عند كلامنا على أثر الكلام.

رابعًا: ذكر الهلالي في كثير من الأحايين استدراكًا أو تعقبًا أو شرحًا وبيانًا لكلام نقله عن غيره، وقال قبله: «قال محمد تقي الدين»، وهذا كثير في الكتاب.

خامسًا: نقل كثيرًا من الوقائع عن نفسه، مثل: أنه كان تيجانيًّا، وأنه كتب فيهم كتابه «الهدية الهادية». وكذا نقل أشعارًا -هي له- هجى فيها بعض المبتدعة، وهي في «ديوانه». وكذا ذكر تلميذه أبا الحسن الندوي، وهذا كله يؤكد أنّ الكتاب له.

سادسًا: الأسلوب الذي فيه هو أسلوب تقي الدين الهلالي، والأشعار التي فيه، وطريقة ردّه وألفاظه تدل بوضوح أنَّ الكتاب لتقي الدين الهلالي ومن تأليفه.

○ مادة الكتاب:

عاش الهلالي أحداثًا في دعوته إلى الله عَزَّوَجَلَّ في المغرب جعلته يصطدم مع جماعة التبليغ، **فاعتنى عناية خاصة وقوية ودقيقة في بيان اعوجاجهم والمؤاخذات عليهم!** فألَّف كتابه «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم».

وتعرض فيه لتاريخ هذه الجماعة، وكيفية نشوئها، والتعريف بزعمائها البارزين، والأشخاص المؤثِّرين، وانطلق الهلالي في الحكم عليهم من خلال الدلائل الشرعية، وأكثرَ مِن ذكر آثارهم السيئة، وتعرض للأسس التي اعتمد

عليها مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس الحنفي الديوبندي، وهي عندهم بمثابة منهج يسيرون عليه، ويسمونها (المبادئ الستة).

عرَّف الهلالي بمؤسس الجماعة، وبيَّن مقرها الرئيس، والمدارس الكلامية والفقهية التي تأثرت بها الجماعة، وأهمهما مدرسة ديوبند -وكان الشيخ(١) ينتمي إليها-، وكان أصحاب المدرسة يقولون: (إنّ مؤسسها النبي ﷺ، وكان يأتي إليها أحيانًا مع أصحابه)! ثم يسترسل الهلالي في ذكر مبادئ مدرسة (ديوبند) التي ينتمي إليها مؤسس التبليغيين، وسريان أثر هذه المدرسة إلى أفرادها، **ويظهر من ذلك الكشف عن جذور الاعوجاج، والمعرفة الجيدة المحيطة والعميقة بهذه الجماعة**، ولا سيما أنه عاش في الهند، وأكثرَ التجوالَ في كثير من البلاد، واتَّسعتْ دائرة لقائِه بالعلماء والدعاة والمصلحين.

❍ مصادر المصنِّف:

لم تكن الدراسات عن جماعة التبليغ عند تأليف المصنِّف كتابَه هذا بكثيرة، واعتمد فيما يخص جماعة التبليغ على دراسة القائد -سابقًا- في الجيش الباكستاني ميان محمد أسلم(٢) المعنونة بـ«جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها»، وهي بحثُ تخرُّج قدَّمَه لنيل الشهادة العالمية (الليسانس) من الجامعة الإسلامية للسنة الدراسية ١٣٩٦-١٣٩٧هـ في كلية الشريعة فيها، وهو بحث مضروب على الآلة الكاتبة.

واعتمد المصنف على تلخيصه لكلام محمد أسلم، ونقل عنه عبارات فصيحة، سدَّد فيها القول، وصوَّب الأخطاء والتعبيرات، وعدَّل في تركيب الكلام وَفق اللغة العربية الفصيحة، وأحال على المصادر التي نقل منها، ووقع خلل -سيأتي توضيحه- لمن أنابه في صنع ذلك.

وبعد ذلك، فقد علَّق على أقواله، وزادها وضوحًا، بالنقل من المصادر المعروفة من كتبه، ولا سيما «تفسير ابن كثير».

---

(١) أي: مؤسس جماعة التبليغ.

(٢) ستأتي ترجمته.

وأورد ما في محفوظاته من أحاديث وآثار السلف، واعتمد -كعادته- على «صحيح البخاري»، وشرحه «إرشاد الساري» للقسطلاني، و«صحيح مسلم»، ونقل من «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز، و«الفقه الأكبر»، و«جامع بيان العلم» لابن عبدالبر، و«تلبيس إبليس» لابن الجوزي، في معرض القبول والرضى، ونقل من «الفتوحات المكية» لابن عربي، و«دلائل الخيرات»، و«البردة»، و«الهمزية»، و«الإبريز في مناقب الشيخ عبدالعزيز» لأحمد الملطي، في معرض الرد والنقد.

وتعرض إلى ما في مصادر التيجانيين -مثل: «جواهر المعاني» و«جوهرة الكمال» و«صلاة الفاتح»- من أغلاط، وربطها بمثيلاتها مما هو عند جماعة التبليغ.

وأحال إلى بعض كتبه وأشعاره، مثل: «الصلاة وحكم تاركها» و(القصيدة الحمزية)، واستدل بمحفوظه من الحكم والأشعار والقصص، ونقل عن «دالية محمد بن إسماعيل الصنعاني»، وهنالك نقولات من كتب الديوبنديين، نقلها المصنف من محمد أسلم، مثل: «تحذير الناس» للقاسم النانتوي، و«الشهاب الثاقب» لحسين بن أحمد الديوبندي، و«إيضاح الأدلة» لمحمود حسن الديوبندي، و«حكايات الأولياء» لأشرف علي التهانوي، و«مكالمة الصدرين» و«حياة محمد يوسف» و«سيرة السيد أحمد شهيد» كلّها لأبي الحسن الندوي، و«حقيقة كذب منكري التقليد» والرد عليها، و«نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود» للشيخ سلطان محمود جلال.

ونقل من محمد أسلم ما أورده من تحريف في النسخ المطبوعة القديمة من «سنن أبي داود»، ونقله محمد أسلم من كتيب «نعم الشهود».

ومما ينبغي أن يذكر: أن أسماء الكتب التي في حواشي الكتاب، وبعدها (منه)، فهي منقولة من كتاب محمد أسلم المنوَّه باسمه سابقًا.

وذكر فيه مشاهداته، كزيارته للهند لأول مرة في صفر سنة ١٣٤٢هـ، وما حدَّثه به الشيخُ السلفي الحاج مصطفى بن هاشم الودغيري عن بعض أمراء التبليغ في المغرب، وما جرى بين الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ مع الشيخ أحمد السنوسي في الروضة النبوية.

○ تاريخ تأليف الكتاب:

اِبتدأ محمد تقي الدين الهلالي بتأليفه في ١٦رمضان سنة ١٣٩٨هـ، وانتهى منه صباح يوم الثلاثاء الثالث من شوال سنة ١٣٩٨هـ، وكان ذلك وهو في مكناس، والكتاب في (٩٣) صفحة في طبعته الأولى.

○ طبع الكتاب:

طُبع الكتاب لأول مرة في مطبعة النجاح في الدار البيضاء سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م في حياة المصنف.

ثم طُبع بعد ذلك عن هذه الطبعة عدة مرات، منها: طبعة دار الكتاب والسنة في مصر سنة ٢٠٠٧م في (١٠٢) صفحة.

○ طريقة تأليف الكتاب:

كان الهلالي ضعيف البصر، ثم أصبح فاقدًا له عند تأليف هذا الكتاب، وكان يملي مؤلفاته على تلاميذه، ولذا وقع في هذا الكتاب في رسم الكلمات كثير من الأخطاء الإملائية! بل تجد بعض الكلمات مرسومة على أكثر من وجه، مثل: «الديابندية» و«الديوبابندية»، و«الماتوردية»، و«الماتريدية»، و«البرلوية» و«البريلوية»، وفي آخر كلمة من بيت الشعر: «كذلك»[1] وصوابها: «كذلكا».

وكان الناسخ يكتب على نحو ما يسمع من الشيخ، ولم يراعِ في بعض الأحايين قواعد الإملاء، مثل: «السانوسي» بدل «السنوسي»، و«السانوسية» بدل «السنوسية».

---

(١) (ص ٤١ - ط سنة ١٣٩٩هـ) أو(ص ٤٥ - ط دار الكتاب والسنة).

وتثبت ما يمليه عليه الشيخ. حتى أنه أخطأ في الآيات المتشابهة، مثل:
قوله -تعالى-: (لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولًا)[(١)].
وفي هذا دمج بين آيتين، هما:
١ - ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].
٢ - ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].
وقوله: (هل عندكم من سلطان بهذا)[(٢)] وصواب (هل): «إن».

وهناك أخطاء كثيرة من المصادر التي نقل منها محمد أسلم، ولا سيما في أرقام الصفحات ورسم بعض الكلمات، وكأنَّ كتابه «جماعة التبليغ» كان تصويرُه ليس بجيد، فوقع اشتباه للناسخ في كثير من المواطن؛ مما اضطره إلى الاجتهاد، وعدم توفيق الكاتب للصواب.

وكذلك وقعت هذه الأخطاء جميعًا في طبعة دار الكتاب والسنة، وكأنهم اعتمدوا -أيضًا- على مصورة غير واضحة من الكتاب[(٣)]، واجتهدوا في إثبات ما في الحواشي، وقرؤوا بعض ما فيها على وجه يخالف الصواب[(٤)].

---

(١) انظر (ص ٢٩ - ط سنة ١٣٩٩هـ) و(ص ٣٣ - ط دار الكتاب والسنة).
(٢) انظر (ص ٢١ - ط سنة ١٣٩٩هـ).
(٣) لذا لم يثبتوا بعض الحواشي، بل في (ص ٥٤) هامش (١) هكذا: «(...) مكاتيب إلياس ص ١٠٧-١٠٨ (مكان النقط غير واضح بالأصل)»، وكذا في الحاشية التي بعدها، وسقطت الحاشية التي بعدها.
(٤) عدا الأخطاء التي انفردت بها هذه الطبعة، مثل (ص ١٦ س ٢): «قال» وصوابها: «لقال»، و(ص ١٣ س ٣): «العبادات كلها وفرائضها» والصواب: «فرائضها» من غير واو في أولها، و(ص ١٤ - س ١١): «مليون» صوابها: «مليونًا» بالنصب، و(ص ٤٣ - س ١٤): «يدخل الجنة... هو ووالداه وأولاده وأزواجه لا الحفدة» وصواب (لا): (ثم)، وفي الصفحة نفسها (س ٩): «وهل أخر» وصوابها: «وهل أخذ»، وفي (ص ٥٧ س ٣): «كتب [كتاب] «إيضاح الأدلة»» وسقط ما بين المعقوفتين، وفي الصفحة نفسها (س ١٤): «ذاد» صوابها: «زاد»، وفي (ص ٦٠ س ١٠): «عقد» صوابها: «عقائد»... وهكذا.

بل وافقوا ما في المطبوع من التحريف في الآية السابقة، وكذلك في السقط في بعض المواطن، مثل: «أن [لا] تدع قبرًا مشرفًا» فسقط ما بين المعقوفتين في الطبعتين(١)!

وكذلك في (٤٣ - ط سنة ١٣٩٩)(٢): «وولد الشيخ محمد إلياس سنة ١٣٠٣هـ، قال: واسمه التاريخي (أختر [إلياس])» فسقطت (إلياس) من المطبوع، ولا بد منها، وعدد حروف الجُمَّل لها (١٣٠٣)، ولا يصح الكلام إلا بوجودها.

ومما ينبغي أن يذكر بهذا الصدد: أنّ نظر ناسخ الكتاب انتقل في بعض الحواشي، فأثبتها في غير محلها، وأسقط بعضها، واختصر بعض الفقرات على وجه مخل، لا يقبله الهلالي(٣).

○ أثر «السراج المنير» على التبليغيين:

أزعج هذا الكتاب التبليغيين، وانطلقوا في محاكمته، لأنه يصدّ الناس عن **أكبر واجب في نظرهم، ولا أقصد التوحيد**، فحاشا الهلالي أن يصنع ذلك، وإنما صدّهم عن الخروج في سبيل الله -على زعمهم-، وعن (السياحة المبتدعة) في تأصيل الهلالي، المعتمد على الفهم الصحيح لقوله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وليس على معنى (أخرجت) على فهم محمد إلياس، وقد فسَّرها بتفسير **دخيل لا أصيل**، ولم يقل به أحد من المعتبرين(٤).

هذا «السراج المنير» هو أول مؤلَّف اشتهر وانتشر «في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم»، **وكانت له آثار حسنة في تنوير الناس وتفهيمهم فيما يخصُّ (الأخطاء) و(الآفات) التي يدعو إليها التبليغيون، ولذا عمدوا إلى شرائه وإتلافه**(٥)!

---

(١) انظر (ص ٢٤ - ط سنة ١٣٩٩) أو (ص ٢٩ - ط دار الكتاب والسنة).

(٢) مثلها في (ص ٤٧ - ط دار الكتاب والسنة).

(٣) انظر (ص٣٥٩، ٣٨٩) وتعليقي عليها.

(٤) انظر (ص٣٤١ وما بعدها).

(٥) انظر ما سيأتي (٢٠٧).

مكاتبة التبليغيين الهلاليَّ بشأن «السراج المنير»

ظفرتُ في أوراق الشيخ عبدالحميد الرحماني[1] الخاصة -وأرسلها لي

(١) هو الشَّيخ الفاضل عبد الحميد بن عبد الجبار الرحماني، من أعلام جماعة أهل الحديث بالهند، وكان عالِمًا جليلًا، وخطيبًا بارعًا، وأسس مركز أبي كلام آزاد للتوعية الإسلامية بنيو دلهي في الهند سنة ١٤٠٠هـ، وتم تسجيله رسميًّا لدى الجهات الرسمية والحكومية في سنة ١٩٨٣م، وله فروع عديدة في مدن الهند، وأحضر لي الشَّيخ تعريفًا بهذا المركز، وفيه ترجمة لأبي كلام آزاد، وتزكيات أهل العِلم لهذا المركز.
وعمل على نشر «ترجمة معاني القرآن الكريم في لغة أردو»، وطَبع «زوابع في وجه السُّنَّة قديمًا وحديثًا»، و«دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة»، و«الزهر النضر في حال الخضر» لابن حجر، وجميعها تحقيق الشيخ صلاح الدِّين مقبول، وترجم إلى الأردو «زاد المعاد» لابن القيم، وإلى الفارسية «المنتقى» للذهبي، وإلى الإنكليزية «مناظرة بين الإسلام والنصرانية» لابن باز.
توفي الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صباح يوم الثلاثاء ١٣ شوال سنة ١٤٣٤هـ يوافق ٢٠ أغسطس ١٩٨٤م.
ترجمته في: «ذكرياتي عن الوالد العلَّامة عبد الحميد الرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ» بالأردية (مطبوع) ومترجم إلى العربية (غير مطبوع) للشيخ محمد الرحماني بن الشيخ عبدالحميد الرحماني، الرئيس العام لمركز أبي كلام آزاد للتوعية الإسلامية في نيودلهي بالهند، «حياة وخدمات الشيخ عبدالحميدالرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ» بالأردية (مطبوع) ومترجم إلى العربية (غير مطبوع) للشيخ عاشق علي الأثري، الأمين العام لمركز أبي كلام آزاد للتوعية الإسلامية في نيودلهي بالهند، «رمز شناس سلفيت (العارف بالرموز السلفية العلامة الشيخ عبدالحميد الرحماني)» بالأردية (مطبوع) للشيخ عبدالحكيم عبدالمعبود المدني، عدد خاص لمجلة «المعراج» الشهرية باللغة الأردية عن حياة العلامة الشيخ عبدالحميد الرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، «مجموع مقالات عن حياة العلامة الشيخ عبد الحميد الرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ المشتملة على أكثر من ألف صفحة وأكثر من مئة مقالة قُدِّمت في المؤتمر الدولي عن حياة الشيخ عبد الحميد الرحماني تحت ضيافة =

من الهند ولده الأستاذ محمد جزاه الله خيرًا- بمكاتبتين للهلالي حول كتابه هذا، هما:

الأولى: مكاتبة الشيخ أحمد شفيع[1] رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وهي مكاتبة عامّة، همُّه فيها عدمُ ترك الخروج، وما دام الخروج قائمًا؛ فكل شيء هيِّن. فالمهم أنْ يَسلم الخروج، ثم نعمل بحكمة ورويَّة وتعاون على زوال البدع والشركيات -وهو يقر بوجودها-، ولم يصرِّح باسم الهلالي ولا كتابه. وهذا نصُّ ما فيها:

«إلى كل مسلم غيُور همُّه الفكرُ للدين، دعوة إلى الله وفقَّني الله وإياه للصواب والسداد. [بإذن] الله العلي القدير، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم. لا معبود لنا سواه، ولا معطي ولا مانع غيره، ولا معين ولا مغيث إلا هو جَلَّجَلَالُهُ. لا يحتاج إلى واسطة ولا توسل بأحد من المخلوقين كائنًا من كان، سبحانه الفعال لما يريد، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا شبيه له في ذاته وأسمائه وصفاته، له الكمال المطلق [في] ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن نبيَّنا محمدًا رسول الله سيد الخلق، وأفضل الرسل، وخاتم النبيين، طاعتُه طاعةُ الله، وباتباعه ننال حب الله والتقرب إليه، فلا فلاح لنا ولا عزَّة لنا في الدنيا والآخرة إلا بطاعة الله على [ملَّة] رسول الله ﷺ، فاللهم صلِّ[2] وسلم وبارك على هذا النبي الكريم

= الشيخ عبد المحسن القاسم -حفظه الله- إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف» (تحت الطبع) بالأردية والعربية.

(١) هو أحمد شفيع بن بركة علي، ولد في بنكلادش، وترأس دار العلوم، وأصبح شيخ الحديث فيها، وأمير حركة حفاظت إسلام، ورئيس وفاق المدارس العربية، تعلّم في دار العلوم بديوبند، ودرس فيها أربع سنوات على حسين أحمد المدني، وأخذ الإجازة من عدد من شيوخها، وتوفي في مساء الجمعة ٢٩ ذي الحجة ١٤٤١هـ - يصادف ١٨ سبتمبر ٢٠٢٠م عن عمر ناهز المئة عام، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

ولم تظهر بعض الكلمات في الأصل، فوضعتها بين معقوفتين.

(٢) في الأصل: «صلي»!

المبعوث رحمة للعالمين، الذي [بعثه] بالهدَى ودين الحق، ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون، وهو القائل: «**إنما بُعثتم مبشِّرين ومُنذِرين، وميسِّرين لا معسِّرين**»(١)، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به، واتبعوا النور الذي جاء به، وساروا على دربه مبشِّرين ومنذِرين، [وانتشروا] في العالم دعاةً إلى الله ورسوله، بأنفسهم وأموالهم، وبذلوا كلَّ غالٍ ورخيصٍ في سبيل خدمة الإسلام، حتى [لقوا] الله ورضي عنهم ورضوا عنه، **أما بعد:**

فإني كتبت هذا الخطاب لِمَا أحزنني كثيرًا، وتألَّمتُ من تفرُّق بعض إخواننا في الله، الذين تعارفنا معهم على الله ورسوله والدعوة إليه، بسبب أمر لا نختلف معهم في كثير أو قليل، بل نحن جميعًا متَّفقون على أن **إخواننا في [الهند] وباكستان عندهم أخطاء لا سيما بالنسبة لما جاء في كتاب «تبليغي نصاب»**، ونحن معهم كمتعاونين على الإصلاح [فيما] استطعنا، وما لمسناه من الأغلبية الساحقة -لا سيما العرب- أنهم لم يتأثَّروا بتلكم الأخطاء، بل إنهم استفادوا كثيرًا [منها]، وبعد الفساد(٢) ومع ذلك فنحن لا نعتبر إنهم قدوتُنا في كلِّ شيء، فهم يُخطئون كما نحن نُخطئ، ونحن لسنا بأصلح [منهم]، حيث أن الشِّركيات والأخطاء أصبحت منتشرة لا يَسلم منها أحد، فإذا كان عند إخواننا في كثير من بلاد العالم شرك الأولياء والصالحين(٣)؛ فنحن عندنا شرك الشهوات والماديات، مما لا جدال فيها، إلا أننا لا نشعر به، ولكن في قرارة نفوسنا وأعمالنا نحن أكثر شركًا منهم، وهذا الخروج في سبيل الله وتعاوننا مع

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٠) من حديث أبي هريرة: «**فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**».

وأخرجه البخاري (٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة: «**ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين**».

(٢) كذا في الأصل!

(٣) أي: الشرك الذي يخص الغلو في الأولياء والصالحين.

جميع المسلمين [في] الله رحمة بنا، لا سيما في هذا الزمان، وبسبب خروجنا بدأ يتخلص كثير منا من هذا الشرك والمعاصي، فهم لهم [فضل] كبير علينا، ومع ذلك هم يعتبرون أنفسهم تلاميذ لنا، كما سمعنا ورأينا من كثير من مشايخهم، وهم يحبونـ[ـنا ويستفيدوا] منا، بل يريدون أن تعود الدعوة الصادقة من مصدرها من أهل الحرمين، فلا بد أن نحسِّن الظَّنَّ بهم، ونعالج [هذه الأمور] بحكمة وروية، لا بالعجلة والجدال والنقاش الذي فيه التنفير والتفرُّق، فجميع الإخوة لمسوا فوائد الخروج واستـ[طابته نفوسهم]، ولم يقع في الأخطاء إلا الشواذ من الناس، فكيف نحكم على العمل كله بالخطأ، ونبدأ في تنفير الناس منه؟ أهذا هو طريق الإصلاح أيها المُنصِف الكريم!

فإذ كنا مصلحين -حقًّا- ونريد أن يتخلَّص الناس من الشركيات والخرافات والصُّوفيات، فعلينا أولًا أن نأتي [من الرفق] بهم في الخروج في سبيل الله، ونبيِّن لهم محاسن الخروج والفوائد التي جنيناها، حتى إذا اقتنع بالخروج نبيِّن له [الشركيات]، قد ترى بعض الناس أو بعض المشيخة في هذا الخروج عندهم من البدع، فانتبه لها واحذر أن تتأثر به، بل عليك [أن تنصحهم] وتنبههم عليها بلطف وحكمة، ونقول: أنت تخرج لإصلاح نفسك وصلاح غيرك، فأحِبَّ لهم ما تحبُّه لنفسك، وما عليك إلا البلاغ، والهداية بيد الله، وعليك أن تدعو الله لجميع الناس بالهداية والتوفيق، لا سيما في أوقات الليل، ومع العبادة والحكمة تزول هذه البدع والشركيات -بإذن الله-، بحسب صدقنا وجهدنا وإخلاصنا وتضحياتنا لا باعتزالنا عنهم، والمشايخ في الهند يفخرون -كما عرفنا عنهم- أن يأتيهم التذكير من قبل مشايخ المملكة؛ لأنهم لا يريدون الخوض في المسائل الخلافية، سواء كانت في العقيدة أو العبادات، ولذلك سمعتُ من بعضهم أنهم تركوا البيعة نهائيًّا، وطلبوا من [الأحباب ترك] قراءة كتاب «تبليغي نصاب»، ويحبون من يتولى تلخيص وتصحيح «حياة الصحابة»، ومثل هذا التغيير لا يتم في يوم [وليلة،

بل] يحتاج إلى وقت طويل وحكمة وروية، وتعاون الجميع بشكل أخوي، وحسن ظن، فما أحوجنا في هذا الزمان إلى تآلف المسلمين وتعاونهم، ولن يقوَى الدين ولا يتم الإيمان، ولن تزول البدع والمخالفات إلا بالتحابب والتعاون بين المسلمين.

يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم؛ أفشوا السلام بينكم»**(١).

ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»**(٢)، و«من كفَّر مسلمًا فقد كفر»(٣). كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

جعلني الله وإياكم ممن ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(٤).

كتبها:

الشيخ أحمد شفيع

○ تعليقي على كلام الشيخ أحمد شفيع رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

أولًا: الخروج في سبيل الله ومدى مشروعيته:

لا يَفرح بالتفرق في الدين إلا أعداؤه، وجمع الله المسلمين على الشهادتين،

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) هذا ليس بحديث نبوي، ويغني عنه قوله ﷺ: **«أيما رجل قال لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما»**، أخرجه البخاري (٦١٠٤) ومسلم (٦٠).
و(من كفَّر مسلمًا فقد كفر) ليس على إطلاقه، والمراد: من كفَّر مسلمًا من غير تأويل، وانظر: «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٨) للبيهقي، «موسوعة العلامة الألباني - جامع تراثه في العقيدة» (٥/ ٦١٦) للأخ الدكتور شادي آل نعمان -حفظه الله-.
(٤) انظر مصورة كتابه: في وثيقة رقم (٢).

ولا يقبل بديلاً عنهما إلا جاهل أو غافل، والخروج -على أحسن أحواله- وسيلة(١)، فإنْ أصبحت هذه الوسيلة غايةً، يُستدل لها، ويُكذب على الله ورسوله ﷺ بسببها؛ **فالواجب تركها.**

وأعني بالكذب على الله: ما قاله مؤسس هذه الطريقة الشيخ محمد إلياس متأوِّلًا قول الله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] بأن (أخرجت) هو طريقته في الخروج.

وجَرَّأ هذا كثيرًا من المنتسبين لهذه الدعوة بإطلاق الكلام على عواهنه في حماسهم للخروج، والاستدلال به على أنه **الطَّريقة الحصرية** في الدعوة إلى الله، فمَن لم يخرج؛ كائنًا مَن كان، فهو آثم ومقصِّر، لأنه متنكِّب طريق رسول الله ﷺ وصحابته.

استقر في عقول التبليغيين مشروعية (الخروج) بطرق غير علمية، وهي منقوضة في الرواية والدراية.

وجرى مع كاتب هذه السطور -منذ نشأته العلمية الأولى- مباحثات ومناقشات مع أعيانهم في داخل الأردن، وعلمائهم -على حد قولهم- من خارجها، وسمعت حججهم وأدلتهم، ووجدت عندهم آفاتٍ وخَطِيئات تُفرح أعداء الله عَزَّوَجَلَّ، **وهذا هو سرُّ دعمِ الغرب لهم، والإذنِ لهم بالتجوال في سائر أنحاء العالم، والرضَى التام عن طريقتهم، والسماحِ لهم** -دون سواهم-

---

(١) يا ليت التبليغيين يصرِّحون بهذا، فإن فعلوا فهذا يهدم عمل مؤسِّسي دعوتهم وتفسيرهم للآيات وافتراءهم للأحاديث النبوية، وسيأتيك بعض ذلك في (ص١٠٩، ٣٤٦، ٣٦٢).
وما كتبه الشيخ أيمن أبو شادي في كتابه «نظرة علمية في أهل التبليغ والدعوة» -وقد تعب في النقولات فيه- فأحسنُ **أحوال الخروج هو وسيلة، وحام حوله**؛ ولكن هذا خلاف دعوتهم وأصولهم، فاحذر من الاغترار! وحقيقة كتابه -للمتأمِّل فيه- هو هدم لدعوتهم، لأنه قرر أنَّ الخروج وسيلة، وهذا بخلاف أصولهم الباطلة في إسقاط الخروج على الآيات والأحاديث!

بالدروس في المساجد والمحافل، مع عقد المؤتمَرات الدعوية في كثير من البلدان.

دعاني بعض المحبين -وكان متأثرًا بهم-، وكنت أسمع بأسماء أمرائهم والقائمين على عملهم في الدعوة في الأردن، ولا أعرف أشخاصهم، وأصرَّ عليَّ في تلبية دعوة الغداء عنده.

وبعد طعام الغداء، تكلَّم أميرهم عن الخروج، **وأفهم المستمعين أن مصائب المسلمين مجتمعة من وراء تركه، وبه فقط يفلح المسلمون، ويعودوا إلى عزِّهم ومجدهم!**

كان صاحب هذه السطور يحسِّن الظَّنَّ بهم، ويخرِّج جهدهم على طريقة مباحة، جعلوها وسيلة لهم، وبالغوا في تحسينها في نظرهم! ثم تبيَّن لي أن هذه الطريقة (مقصد المقاصد) عندهم، ومع التلبس بها يُغفرُ كلُّ ذنب، وتزول كل خطيئة!

فقلت للأمير المتكلِّم: ما حكم الخروج؟ وهل يأثم تاركه؟ وهل تقوم الأمة دونه؟ وهل يرجع العز المنشود دون الخروج في سبيل الله؟

فكان الجواب مُغمغمًا، ولم ينفِ ما قاله سابقًا، وأكَّد على أهميته دون تفصيل في حكمه، ولكنه أكد على أثره، **وأنّ المسلمين لن يفلحوا دونه!**

ثم صرَّح بالسؤال مستهجنًا ومستنكرًا كلامي: كان ينبغي أن يكون السؤال عن حكم القعود لا الخروج!

فأجبته: بأن حكم القعود تعتريه أحكام شرعية، ويختلف الحكم بحسب المضاف إليه، فالقعود في التشهد ركن في الصلاة، والقعود مع الرحم فرض لصلة الرحم، والقعود عن الجهاد حرام فيمن تَعيَّن عليه الجهاد، والقعود عن الدعوة والتدريس حرام فيمن تعين عليه، **والقعود عن الخروج التبليغي لا شيء فيه؛ إذ لا دليل على وجوبه، فضلًا عن سنيته!**

ثم أخذتُ أفحص حكم الخروج عند التبليغيين بمُساءلَتِهم، تارة بأسئلة صريحة، وأخرى غير صريحة؛ **فوجدتُ أنّ (الخروج) على طريقتهم هو الجهاد في سبيل الله، وأنهم يسقطون جميع ما ورد في نصوص الوحيين الشريفين من الجهاد وفضله وآثاره على خروجهم! فأدركتُ سرَّ رضَى الغرب عنهم!**

ولا أدل على ذلك مِما جاء فيما كتبه الشيخ إنعام الحسن -وكان الأمير العام للجماعة-؛ فإنه يستدل بأحاديث الجهاد مرغِّبًا وحاثًّا على الخروج في الجولات التبليغية؛ مثل الحديث: «**لا يجتمع على عبد غبارٌ في سبيل الله ودُخان جهنم**»[1]، و«**لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا**..............................

(١) أخرجه الترمذي (رقم ١٦٣٣ و٢٣١١)، والنسائي في «المجتبى» (٦/ ١٢)، والحميدي (١٩٠١)، وأحمد (٢/ ٥٠٥)، وعبد الله بن المبارك في «كتاب الجهاد» (٣٠)، وهنَّاد في «الزهد» (٤٦٥)، والطيالسي في «مسنده» (٢٤٤٣)، والحاكم (٤/ ٢٦٠)، وابن حبَّان (٤٦٠٧)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٤٨٨ و٨٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (٨٠٠)، والبغوي في «شرح السنَّة» (١٤/ ٣٦٤)، وفي «التفسير» (٤/ ١٨٩) من طرقٍ عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي».

والصواب أنه حسنٌ -فقط-؛ فإنه من رواية المسعودي عن محمد عبد الرحمن -مولى آل طلحة- عن عيسى بن طلحة، به.

والمسعودي: صدوق، اختلط قبل موته؛ كما في «التقريب» (٣٩١٩).

لكن جعفر بن عون، ممن سمع منه قبل الاختلاط -كما في إسناد الحاكم-؛ ذكره ابن الكيَّال في «الكواكب النيِّرات» (ص ٢٩٣)، **فالحديث -كما قال الترمذي- حسن صحيح**.

وروي موقوفًا من طريق يونس بن بكير، عن المسعودي به؛ أخرجه **هنَّاد في «الزهد»** (٤٦٦)، ويونس متكلَّمٌ فيه.

وروي -أيضًا- من طريق جعفر بن عون، عن مِسعر، عن محمد بن عبد الرحمن -مولى آل أبي طلحة- عن عيسى به؛ أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٠١). =

وَمَا فِيهَا»(١)، بل يعتقد أن الخروج التبليغي هو علاج لسائر المصائب، وحل لجميع المشاكل في الدارين، كما بيَّن هذا في رسالة كتبها إلى المراكز التبليغية بعد وفاة الشيخ محمد يوسف فيقول: «**إنّ الحقَّ -تعالى شأنُه- هدانا جميعًا -بفضله وكرمه- إلى أمر عال لجهد الدين -يعني: الخروج التبليغي-، وفيه علاج كامل لمصائب الدارين للأمة المحمدية المرحومة، فما عليكم إلا أن تبذلوا جميع مجهوداتكم لتوسيع هذا العمل منهمكين فيه، وموقنين أنه علاج لكل مصيبة**... وأفرغوا أوقاتكم لأماكن بعيدة ولمدة طويلة، وأهدوا ثوابها إلى حضرة الشيخ محمد يوسف»(٢)، وهذه الرسالة كان لها تأثير بالغ حتى خرجت مئات الجماعات لإيصال الثواب إلى الشيخ محمد يوسف.

وينصح المسلمين مبينًا بركات الخروج قائلًا: «إن علاج كل بلاء ومصيبة وصعوبة أن تنتسب إلى الأمر الديني -**يعني: البرنامج التبليغي**- بكل إخلاص، فتشارك في تعليم المسجد -أي: قراءة وسماع «تبليغي نصاب»-، وفي جولة محلية، وإذا وصلت جماعة من الخارج فارتبط معهم وشاركهم في الجولة، وأفرغ من أوقاتك لتخرج في سبيل الله لمدة ثلاث شلات -أي: أربعة أشهر-، فتزول المصائب التي ذكرتها وغيرها -إن شاء الله تعالى-»(٣).

= **والصوَّاب رفعه عن المسعودي**، وقد صححه شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، انظر: «صحيح سنن الترمذي».

وروايات الحديث مطولة ومختصرة، وألفاظها متقاربة.

وللحديث شواهد من حديث أبي عَبْسٍ بن جَبْر، ومن حديث جابر بن عبد الله وغيره.

وانظر: «كتاب الجهاد» لابن أبي عاصم (رقم ١١٢ و١١٣ و١١٥ و١١٦ و١١٧) وتعليق محققه -حفظه الله تعالى-.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٢، ٢٧٩٦، ٦٥٦٨)، ومسلم (١٨٨٠) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) «سوانح حضرت جى ثالث» (١/ ٢٨٥).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٤١٣ - ٤١٤).

ولا يظن ظان أن تقدير الخروج بأربعة أشهر أو ثلاثة أيام هي عملية تنظيمية ووسيلة دعوية، بل يستغرب الباحث عندما يقف على كلام الشيخ محمد يوسف بأن هذا الخروج قامت الأدلة على مشروعيته، إذ يقول: «إذا أراد النبي ﷺ الدعوة في الخارج **فرغَّب الصحابةَ لمدة ثلاثة أيام**، ثم قال لهم: تقومون بنفس العمل في الخارج كما قمتم به هنا»[(١)].

ويقول: «إنه ﷺ قام بترتيب الأوقات، **فخرج الصحابة من أهل المدينة لمدة أربعة أشهر بأموالهم في سبيل الله**؛ لكي يقوم جو العبادة في الدنيا، ومكثوا ثمانية أشهر في منازلهم حيث يقضون النصف من النهار في المسجد والنصف الآخر في التجارة، والنصف من الليل في المسجد والنصف الآخر في المنزل، **ومن هذا الاعتبار كانوا يصرفون أربعة أشهر لقيام بيئة العبادة المحلية،** وشهرين للتجارة وشهرين لمنازلهم، **وأربعة أشهر في الجولات الخارجية لقيام بيئة العبادة.**

وهذا الترتيب أعلى، وهناك ترتيب أدنى، وهو أن يخرج مرة لمدة أربعة أشهر، وأربعين يومًا سنويًا، وثلاثة أيام شهريًا، وجولتين أسبوعيًا، والالتزام بالتعليم والتسبيح يوميًا، والاجتماع الأسبوعي، **وهذا الترتيب كالذي دميت أصبعه وسمي شهيدًا**»[(٢)].

وهذا هو مربط الفرس معهم، وهو من أهم أسباب تحرير الخلاف مع التبليغيين، فالواجب عليهم إظهار هذه النصوص التي فيها ترتيب الخروج ثلاثة أيام، أو أربعة أشهر، وكتب السنة مطبوعة وشهيرة، فليظهروا لنا هذه النصوص الدالة على ذلك، وإلا فليعلنوا أن طريقتهم وتحديد مدد خروجهم

---

(١) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف الكاندهلوي» (٧٦٠)، «تذكرة حضرت جى» (١٠٤).

(٢) «حضرت جى كى ياد كار تقريرين» (١٠١).

ليست من الشرع، أو يتركوا تأثيم الناس بعدم التزامهم هذه المدد! وليتقوا الله في تأثيمهم الناس بعدم التزامهم!

فالخروج عند التبليغيين ليس وسيلة، ولو أنك قلت: هو (غاية الغايات) و(المقصود الأول) و(الأكبر) لأصبت كبد الحقيقة، وكل ما دونه يهون عندهم، لذا تجدهم -وقد سمعتُ ذلك مرَّات وكرَّات على ألسنتهم- يستدلون على مشروعيته بقوله -سبحانه-: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢].

وبعضهم يستدل بالأربعة أشهر بحديث تكوين الجنين في بطن أمه، ويقولون: الأربعون مرحلة تحويلية! ويستدلون بالمثل (من عاشر قومًا أربعين يومًا صار منهم)، فهذا العمل المنتشر في الدنيا قائم على هذه الاستدلالات؛ فيا ليتهم أحكموا الاستدلال عليه بشيء ثابت ومقنع حتى يروج، **ولكن أسَّسُوا عملهم على منامات واستدلالات لا تنهض، ولا تصح.**

وناقشتهم في هذه الاستدلالات، وفجأة تجد بعضهم يتدخل للإسكات؛ **بحجة أن (الخوض في المسائل الفقهية) ليست من متطلبات الخروج**[1].

---

(١) **من مبادئهم: أن الخارج يقضي وقته في أمور أربعة:**
١- الدعوة. ٢- التعليم. ٣- العبادة. ٤- الخدمة.
ويتجنب أربعة:
١- الإسراف. ٢- الاستشراف (الطمع بما في أيدي الغير). ٣- السؤال.
٤- استعمال ملك الغير بدون إذنه.
ويتقلل من أربعة:
١- الطعام والشراب. ٢- النوم. ٣- قضاء الحاجات.
٤- الكلام المباح الدنيوي.
انظر: «تبليغي جماعت كيليى روانكى كى هدايات» (١٥ - ١٦).
ولا يخوض في أربعة:
١- المسائل الفقهية. ٢- المسائل السياسية. ٣- أوضاع الجماعات الأخرى.
٤- الجدل، انظر: «جماعة التبليغ في الهند» (٤٧٣) للباحث محمد جنيد عبدالمجيد.

وفهمت على وجه فيه يقين، من غير ظن ولا تخمين: أن الاستدلال على وجوب الخروج صحيح في نفوس كبارهم، وهو قائم في قلوبهم وعقولهم، ويظهرون الشفقة والرحمة بالذي ينكر عليهم ذلك، فهو مريض، وهم الأطباء، والواجب الرفق والرحمة!

هكذا يتعاملون مع المخالفات، لا يناقشون ولا يستمعون للعلماء، ولا يستفيدون منهم، ولا سيما فيما لا يوافقونهم عليه -فهم حكم عليهم، لأن عندهم أصل العمل (الخروج)-، ولكنهم يجهدون على تحييدهم وتسكيتهم، فمن مبادئهم: (زيارة العلماء) إلا الذين يعرفونهم ويحذرون منهم! فهم حريصون في خروجهم على زيارة ثلاث طبقات من الناس، هم:

الأولى: القدماء؛ والمراد منهم الذين خرجوا في الجماعة من قبل ولو لثلاثة أيام، فيذهب إليهم أصحاب الدعوة الخاصة (وهم ثلاثة أو أربعة)[(١)]، ويقولون لهم -مثلًا-: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أتى بالجماعة إلى قريتكم، وهذا بسبب جهدكم ودلالتكم، فعليكم أن تتفضلوا معنا إلى المسجد حتى تشاركوا معنا في ترتيب الأعمال[(٢)].

الثانية: الأثرياء وعمداء القرية وأعيان الحارة أو البلدة؛ يدعونهم إلى الدعوة بألفاظ مناسبة، ولا يقبحون الدنيا أمامهم ببيان مفاسد المال وقبحه، بل يشرحون لهم الدعوة بأدب واحترام، ويخبرونهم بأنه في هذا الشأن وصلت جماعتنا إلى قريتكم، وأحبابنا يفرحون بزيارتكم، فنرجوا منكم أن تتفضلوا معنا إلى المسجد[(٣)].

الثالثة: العلماء؛ يتحدث عن زيارتهم إكرام الله جان القاسمي، حيث يقول: «قبل الذهاب إلى العلماء يلزم علينا أن نعرف وقت فراغهم؛ حتى لا ندخل في أشغالهم الدينية، أو لا نوقع الخلل في استراحتهم، ونقدم لهم

(١) «تبليغي جماعت كيلبى روانكى كى هدايات» (٣١).

(٢) «زاد الداعي» (٤٤)، المشاهدة الذاتية. (٣) «زاد الداعي» (٤٢).

بعض الهدايا من نوع السواك والطيب والكحل والمسبحة، ولا ندعوهم ولا نرغبهم في الخروج، ونلتمس منهم الدعاء، وإذا وجدنا عندهم الفرصة ورأينا في وجوههم البشاشة، فلا بأس بأن نبيِّن لهم أحوال الدعوة داخل البلاد وخارجها في شتَّى أنحاء العالم»(١).

فهذه الزيارات للعلماء من أجل تسكيتهم وإدخال الحياء في نفوسهم، لئلا ينفِّروا الناسَ منهم ومِن خروجهم.

وممّا ينبغي التركيز عليه أولًا: أنّ **اعتراف الشيخ أحمد شفيع بوجود الأخطاء في العمل التبليغي** من الشركيات والخرافات والصوفيات؛ إنما مردُّه إلى عدم الخروج في سبيل الله، ثم ذكر ترك البيعة وعدم قراءة كتاب «تبليغي نصاب» وتلخيص وتصحيح «حياة الصحابة»، **وترك هذا من أجل التآلف والتعاون، لا من أجل ما في هذه الكتب مِن الأوابد والطامات!**

ولذا وجد القائمون على العمل التبليغي من استرضاء العلماء العرب، ولا سيما علماء المملكة العربية السعودية -كما ورد في كلام أحمد شفيع- بترك هذه الأشياء حتى يخرجوا في سبيل الله؛ فإن تولعوا به، وأصابهم الهوس، فحينئذ يقلعون عن هذا الإنكار.

فكان لا بد من وجود منهجين عندهم في الدعوة، ليسلم لهم الخروج، وحتى لا ينفر منه: **منهج للعرب وآخر للعجم.**

وإياك أن تظن أن التبليغيين يستجيبون للتغيير، فهم مدرسة عميقة، لها باطن وأسرار، وإنْ أظهروا الاستجابة، فإنما هي وسيلة مشروعة عندهم -كيفما كانت- إن كانت مروِّجةً للخروج، أو غير منفِّرة منه!

جاءني أمير من أمرائهم، ويحمل الدكتوراة في الصيدلة، وقال لي -مظهرًا الاستفادةَ وقبولَه للتوجيه-: ألسنا نستدل في خروجنا وحلقات تعليمنا بالأحاديث الضعيفة والموضوعة؟

---

(١) المرجع السابق (٤٤ - ٤٦)، و«جماعة التبليغ في الهند» (٤٧٥ - ٤٧٦).

فقلت له: نعم، والواجب عليكم قبل ذكر أيِّ حديث أن تتأكدوا أن النبي ﷺ قد قاله.

فقال: إذًا يتعيَّن عليك الخروج معنا، لتنبِّهنا على الأحاديث التي نذكرها!

فقلت: سبحان الله! ما هذه **الحجة الإبليسية** التي خطرت في بالك، فإنك تكذب، وتعلم أنك تكذب، **ولا تقلع عنه حتى أخرج معك!**

فالخروج مسيطر على عقولهم وقلوبهم، وبه يزنون الناس، وعليه يُعقد سلطان الحب والبغض، والولاء والبراء.

والخلاصة: أن أهمية **الخروج** عند التبليغ، **مثل أهمية التوحيد عند السلفيين، فهو شبيه له، ومماثل من كل الجهات**[1].

ثانيًا: ورد في كلام أحمد شفيع الاعتراف الضمني بوجود مخالفات للمقرر التبليغي عند الأعاجم، وهو كتاب «تبليغي نصاب»، وهو في الحقيقة وثيقة تظهر معتقدات الجماعة، **ومن قرأ ما فيه فرَّ منهم، وولَّى مدبرًا عن معتقداتهم**، وهذا تعريف موجز به[2]:

○ تعريف موجز بالمقرر التبليغي «تبليغي نصاب»:

كتاب «تبليغي نصاب» (المقرر التبليغي)، ألَّفه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الذي كانت له مكانة ومرتبة لديهم، فاشتهر بـ«شيخ الحديث» و«المحدث الكبير» و«ريحانة الهند» و«بركة العصر» و«العارف الكبير» و«قطب الأقطاب» حسب زعمهم، وسمي الكتاب -فيما بعد- باسم جديد «فضائل أعمال»، وهو باللغة الأردية، **وهذا الكتاب يقع في مجلدين:**

أمَّا الأول فيشتمل على أقسام: حكايات الصحابة، فضائل الصلاة، فضائل التبليغ، فضائل الذكر، فضائل القرآن، فضائل رمضان، فضائل الصلاة والسلام على النبي ﷺ.

---

(١) تفطَّن لهذا العلَّامة الهلالي، فانظر كلامه (ص٢٣٨ وما بعدها) من هذا الكتاب.

(٢) مأخوذ من «جماعة التبليغ في الهند» (١٨٣ - ١٨٩).

وبين دفتي (المجلد الأول): رسالة صغيرة ألَّفها مولانا محمد احتشام الحسن الكاندهلوي بحكم مرشده مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، وسماها «مسلمانون كی موجوده پستی کا واحد علاج»؛ أي: العلاج الوحيد لانحطاط المسلمين الراهن[١].

وأمّا (المجلد الثاني): فهو يشمل على فضائل الصدقات، وفضائل الحج.

وأصبحت هذه الكتب والرسائل وسيلة إرشاد لأرباب جماعة التبليغ، فجعلوها كمنهج علمي لأهل التبليغ يقرؤونها ويدرسونها دراسة حفظ وإتقان[٢]، لأن دراستها إجبارية عليهم، فأقبلوا عليها إقبالًا عظيمًا، حتى قال عنها مدير مجلة «الرشيد»: الكتاب الذي يقرأ أكثر قراءة ودراسة بعد كتاب الله هو «تبليغي نصاب»، الذي يتدارس يوميًّا في آلاف الأماكن والاجتماعات والمساجد دبر الصلوات[٣].

ويقول الشيخ محمد تقي عثماني: «وما زالت تستمر مطالعته الجماعية في المساجد، ولا يكاد أن يوجد وقت من أربع وعشرين ساعة لا يقرأ فيه في ناحية من نواحي الدنيا»[٤].

وحاول الشيخ محمد زكريا أن يروج كتابه بدعاية تتوافق مع مشربه الصوفي فيقول: «رأى أحد المشايخ في هذه الليلة ١/ ٨/ ١٣٩٧هـ، فقال:

---

(١) «مسلمانون کی موجوده پستی کا واحد علاج» (٢).
قال أبو عبيدة: قارِن ما في هذه الرسالة مع ما خطَّه يراع أمير البيان شكيب أرسلان في كتابه «لماذا تخلَّف المسلمون ولماذا تقدم غيرهم»، مع تقريرات المصنف (تقي الدين الهلالي) عليها، وملحقاته التي أرفقتها معه؛ ليتبيَّن لك الحق من الباطل، والنور من الظلمات، والله الواقي والهادي.

(٢) مقدمة «أوجز المسالك» (٩).

(٣) مجلة «الرشيد» شعبان ١٤٠٢هـ/ ٣، وانظر: «تبليغي جماعت اور اس کی ناقدين» (٧).

(٤) «البلاغ»، رمضان المبارك ١٤٠٢هـ.

كنت أنت (محمد زكريا) حاضرًا في المجلس ساكتًا، والنبي ﷺ جالس في مكان مرتفع قليلًا، وأمامه كتب عديدة في مجلدات جميلة رائعة الجمال، فوق كلها فضائل الحج، وتحته فضائل الصلاة على النبي، وتحته حكايات الصحابة لمحمد زكريا، ثم كتب أخرى، ولم يلبث حتى جاء الشيخ محمد يوسف البنوري والرسول ﷺ يسمع تحاوركما ويبتسم»[1].

ويقول: «إن الشيخ خدا بخش كان صوفيًّا ذاكرًا في زاوية الرائيفور، رأى يومًا في المنام أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ والشيخ محمد زكريا يعمران بيت الله الحرام»، فسئل الشيخ عن ذلك، فقال: «أنا أؤلف رسالة فضائل الحج في هذه الأيام، ستكون معاونة في التعمير الروحاني لبيت الله -إن شاء الله-»[2].

ويقول: «إن ماجد علي في عليگرة رأى النبي ﷺ في المنام أنه يقول: إن زكريا قد سبق معاصريه بتأليفه فضائل الصلاة على النبي»[3].

○ **دواعي التأليف:**

كانت الجماعة في بداية تأسيسها تقرأ وتتدارس بعض الكتب للشيخ أشرف علي التهانوي، مثل «بهشتي زيور» وغيره[4].

وكانت أمنية الشيخ محمد إلياس تأليف كتاب؛ ليكون مقررًا على الجماعة في خروجها وفي حلقات تعليمها[5].

فكانت البداية أنه أمر ابن أخيه الشيخ محمد زكريا في الشروع في تأليف كتاب يقرر على الجماعة، فكتب بناءً على طلبه «فضائل الصلاة»، و«فضائل الذكر»، و«فضائل التبليغ»، و«فضائل رمضان»، و«فضائل الصدقات»[6]، وألف

---

(١) «بهجة القلوب» (١٦). (٢) «بهجة القلوب» (ص ٢٠).

(٣) المرجع السابق (٢٤).

(٤) «جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات» (٨٣)، «بهشتي زيور: حلية الجنة».

(٥) «مكاتيب الشيخ محمد إلياس» (٢٨، ٩٢).

(٦) مقدمة «فضائل أعمال» (١/ ٣)، «فضائل نماز» (٣)، «فضائل الذكر» (٤)، «فضائل تبليغ» (٣)، «فضائل صدقات» (٧).

«فضائل الحج» بطلب ابن عمه الشيخ محمد يوسف أمير الجماعة سابقًا، ثم جمع ما كتبه قبل ذلك، مثل: «حكايات الصحابة» بأمر مرشده الشاه عبدالقادر الرائيفوري[(١)]، و«فضائل القرآن»[(٢)]، و«فضائل الصلاة والسلام على النبي ﷺ» بإرشاد الحافظ محمد ياسين النكينوي[(٣)] وسمَّى هذه المجموعة بـ«تبليغي نصاب»[(٤)].

○ منهج المصنف في كتبه:

صنَّف المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كتبه في الفضائل، فذكر بعض الآيات القرآنية فيها أولًا، وهي الآيات التي لها علاقة بالموضوع والباب، وترجمها إلى الأردية مع شرح يسير.

ويورد عقب هذا بعض الأحاديث بشرح يسير -أيضًا-، ثم يعقبه بإيراد بعض آثار الصحابة والتابعين وأقوال المشايخ الصوفية وحكاياتهم الغريبة.

وعلى هذا النمط صنف كتب الفضائل في الغالب، إلا إنه يقدم أحيانًا الأحاديث على الآيات القرآنية كما فعله في «فضائل الصلاة» و«فضائل القرآن» و«فضائل رمضان».

وبعض الأحيان يقدم حكايات الصوفية على الأحاديث النبوية، كما يقول في «فضائل الصلاة»: «أذكر في هذه الرسالة حكايات الصوفية ثم أذكر أقوال النبي ﷺ»[(٥)].

---

(١) مقدمة «فضائل أعمال» (١/ ٣)، «حكايات الصحابة» (٧)، «آپ بيتي» (٢/ ١٥٠).

(٢) مقدمة «فضائل أعمال» (١/ ٣)، «فضائل قرآن» (٣-٤)، «آپ بيتي» (٢/ ١٤٨).

(٣) الحافظ محمد ياسين: هو الشاه محمد ياسين النكينوي خليفة رشيد أحمد الكنكوهي، ولد سنة ١٢٨٥هـ وتوفي عن ٧٥ سنة.

يقول عنه الشيخ محمد زكريا: كان شيخنا صاحب الكشف والتصرفات. «فضائل درود» (٥)، «آپ بيتي» (٢/ ١٥٤).

(٤) مقدمة «فضائل أعمال» (١/ ٣)، «فضائل حج» (٦)، «آپ بيتي» (٢/ ١٥٢).

(٥) «فضائل نماز» (٦٠).

وبما أن المؤلف له اطلاع واسع على دواوين السنة، وقد شرح بعض كتب الحديث -أيضًا-، فالعجب من حشوه هذا الكتاب بكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وشطحات الصوفية، وغير ذلك من الخرافات والقصص والحكايات!

ومعظم تلك البلايا نجدها في كتبه باللغة الأردية، أمَّا **النسخة المترجمة باللغة العربية فنجدها خالية منها**، ولعل ذلك خشية أن يطلع الإخوة العرب على ذلك(١).

وللعلم فإن النسخة الأردية تتضمن نصوص الأحاديث باللغة العربية، مع بيان الحكم عليها من الضعيف، والمنكر، والمرسل، والموضوع، والباطل باللغة العربية، وعندما **يقوم بترجمة النص؛ إنما يترجم الحديث فقط دون الحكم عليه**، بل بالعكس يذكر فوائده ويستدل به ويستنبط منه ما يريده لتأييد موقفه، وأغلبية القراء لا يعرفون العربية.

وتارة ينقل نص الحديث باللغة العربية أو يذكر معناه باللغة الأردية بدون أن ينقل متنه في العربية، ويكون الحديث ضعيفًا أو موضوعًا، ولم يذكر الحكم عليه؛ بل يستدل به لتأييد موقفه.

---

(١) والدليل على ذلك: أن لدى الجماعة **منهجًا ازدواجيًّا، هناك منهج للعرب ومنهج للعجم**، لذا قرروا في التعليم «رياض الصالحين» للعرب و«تبليغي نصاب» للعجم، مع العلم أن هناك تراجم في اللغة الأردية لـ«رياض الصالحين» متوفِّرة، وحينما ترجموا من كتاب «تبليغي نصاب» بعض الأجزاء إلى العربية حذفوا منها كثيرًا من الخرافات، وقد أشار إليه الشيخ أبو الحسن النَّدْوي في المقدمة حيث يقول: «وقد تناولنا الترجمة بشيء من التعديل والتلخيص لم يفقد الكتاب تأثيره ووقعه في القلوب، **نظرًا إلى اختلاف البيئات والعقليات**» «مكانة الصلاة في الإسلام وأهميتها» (ص ٩).
وكذلك حينما تُرجم كتاب النَّدْوي عن مؤسس الجماعة، فحذف منه الشيء الكثير من المؤاخذات عليه، مثل: **المراقبة عند القبور، وانتظار النبي ﷺ مع خلفائه!**

وهذا يدل على عدم التزامه بالأمانة العلمية، وعلى عدم التحري في بيان الصحيح من السقيم، والقوي من الضعيف، وعلى عدم التثبت والتتبع في أسانيد الأحاديث النبوية، مع أنه شيخ الحديث؛ يعرف قبل غيره قول الرسول ﷺ: «من حَدَّثَ بِحَديثٍ وهُو يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فهو أحدُ الكاذِبِين»[١].

ثم إنه لم يكتف بإيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة فحسب، بل أورد إلى جانب تلك الأحاديث الواهية مجموعة كبيرة من القصص والحكايات التي لا يصدقها العقل، ولا يجيزها الشرع، ولكن الشخص الجاهل إذا قرأ تلك الأحاديث الواهية والقصص المنكرة، ويجدها خالية من أي تعقيب وتنبيه؛ يظنها صحيحة.

وعلى هذا يفهم العامة من الناس بأنّ الروايات والحكايات المروية في هذا الكتاب كلُّها صحيحة، ويحسنون الظن بالمؤلف المحدِّث -أيضًا-، بحيث أنه لا يمكن أن يكتب كتابًا لإفادة الآلاف المؤلفة من الناس يحتوي على سيل من البدع والخرافات، ويَزيد حسنَ ظنهم بالكتاب -أيضًا- سكوتُ كبار علماء ديوبند وسهارنفور من الرد عليه، حتى أصبح منهجًا مقررًا لجماعة التبليغ.

ويؤكد ذلك ما أجاب به الدكتور أسامة[٢] مسؤول الجماعة في منطقة «كوريني» بجونفور الهند -حينما اقترحتُ عليه أن يجرد كتاب «تبيلغي نصاب» عن الأحاديث الموضوعة الواردة فيه- قائلًا: «إن كتاب «تبليغي نصاب» ألفه الشيخ محمد زكريا رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي قال عنه سماحة الشيخ أبو

(١) رواه مسلم في «المقدمة» (١/ ٦٢)، والترمذي في «السنن» (٥/ ٣٥) (ح ٢٦٦٢)، وابن ماجه في «المقدمة» (ح ٤١)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٥٠، ٢٥٢)، من حديث المغيرة بن شعبة، مرفوعًا. وقال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح.**

(٢) للعلم هو رجل مثقف بالثقافات الدينية والعصرية، فهو تخرَّج في دار العلوم ديوبند كما تخرَّج في جامعة عليگرة، وهو طبيب عام ومسؤول عن الجماعة في منطقته.

الحسن النَّدوي: «إني زرت جميع البلدان الإسلامية ولم أجد مثله، شيخ الحديث في العصر الحديث في العالم»، فشهادة مثل الشيخ الندوي لشيخ الحديث محمد زكريا، وسكوتُ علمائنا الأجلاء من ديوبند وسهارنفور يدل على أنّ هذه الأحاديث **تصلح للعمل، وتقوم بها الحجة**»[1].

وهذا قول واعتقاد رجل مثقف بالثقافات الدينية والعصرية، فما بالكم بالعوام...؟! والله المستعان.

كَثُرَتُ الانتقادات لـ«تبليغي نصاب»، وبقي التبليغيون يدرِّسونه منذ أكثر من سبعين سنة، وينظرون إليه نظرة الاحترام والتقديس، ويقرأ بعد الصلوات في المساجد، وما زال مقررًا في دروسهم! **وما استجابوا للاعتراضات عليه؛ اللهم إلا أنهم غيَّروا اسمه من «تبليغي نصاب» إلى «فضائل أعمال»، وحذفوا منه (باب فضائل الصلاة على النبي ﷺ)، ثم أُعيد في الطبعات اللاحقة.**

وقام أخونا الأستاذ حسن جناحي بنقل (مقتطفات) منه، وترجمها إلى العربية، ونشرها في كتابه «جماعة التبليغ، مفاهيم يجب أن تُصحح» (ص ٣٠، ٦١).

ووضعتُ في الملاحق[2] آخر الكتاب مصورة ما في كتاب «تبليغي نصاب» بالأردية، مع ترجمته إلى العربية، وبيان رد فضيلة الشيخ حسن جناحي[3] عليه، واقتصرت على ذكر الذي نقله تقي الدين الهلالي منها في «السراج المنير»؛ فاقتضى التنبيه والتنويه.

○ محاولة يائسة:

قام الأستاذ لطيف الرحمن البهرائجي بتأليف كتاب اسمه «تحقيق المقال

---

(١) تم هذا الحوار الذي قمت به معه في جمادى الأولى ١٤١٩هـ بعيادته.
قاله الباحث محمد جنيد عبدالمجيد في كتابه «جماعة التبليغ في الهند» (١٨٩).

(٢) انظرها: في وثيقة رقم (٣).

(٣) في كتابه «جماعة التبليغ، مفاهيم يجب أن تصحح» (٣١، ٣٣، ٣٩، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١ - مرقوم).

في تخريج أحاديث فضائل الأعمال»، ونشرته مكتبة الحرمين بدبي، وحشا مقدمته بأغاليط كثيرة، وقصص ومنامات وأقوال، جعل لها عناوين مخالفة لدين الله وشرعه، وعقد لها (الفصل الثالث) من (الباب الثاني) في كتابه، ثم أتبع ذلك بتخريج أحاديث فضائل الأعمال الذي ألَّفه محمد زكريا الكاندهلوي.

وناقشه الشيخ الدكتور محمد بن فهد بن عبدالعزيز الفريح في كتابه «نقض كتاب تحقيق المقال وتوضيح ما عليه جماعة التبليغ من تصوُّف وضلال»، وقدَّم له فضيلة الشيخ العلَّامة صالح الفوزان -حفظه الله-.

فردَّ عليه الشيخ الفريح، وأشار إلى جملة من أغاليطه، ووضح الحق بدليله، وبما ذكره علماء السنة، ثم ذكر تحذير علماء السنة من كتاب «فضائل الأعمال»، لأجل وجود الأحاديث الضعيفة، وذكر الكرامات، والمقام لا يتسع للتفصيل، واللبيب تكفيه الإشارة، وجزى الله الشيخ محمدًا خيرًا على ما قام به.

ثالثًا: قول الشيخ أحمد شفيع: «ويحبون من يتولى تلخيص وتصحيح «حياة الصحابة»».

قلت: قام بذلك مجيزنا فضيلة الشيخ الدكتور الأستاذ عاصم القريوتي -حفظه الله تعالى-، وطبع «منتقى» للكتاب، ولم يصح منه إلا اليسير، ووصلت النسخ المحققة المختصرة إلى (مركزهم) في الأردن، فغضب القائمون على المركز من هذا الصنيع، **واعتبروه مسخًا ودمارًا لدعوتهم، وقام إمام مركزهم أمام الناس وذم هذا الصنيع، واتَّهمه بشتَّى التهم، وإلى الله المشتكى من غربة الإسلام والسنة!**

رابعًا: قوله عن (البيعة): «إنهم تركوا البيعة نهائيًّا» وهذا الترك من بعض المتأثرين بالمناهج الأخرى كـ(السلفية)، وممن نوَّر الله بصائرهم للتمسك بالسنة، **واغتروا بالتبليغ**، وخرجوا معهم، وأمَّا أئمتهم فهم أصحاب بيعة، ولا

سيما محمد إنعام الحسن فقد كان يبايع المئات من الرجال والنساء[١]، وشهد الشيخ سعد الحصين عليه أنه أقر ببيعة التوبة، وذكر في رسالته إلى الشيخ يوسف بن عيسى الملاحي أنه[٢] ذكر أن الشيخ محمد عمر بلمبوري -وكان الرجل الثاني في مركز دهلي- اعترف للشيخ رجب الزهراني بالبيعة على الطرق الصوفية الأربعة: الجشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية.

وشهد الشيخ الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ على رئيس التبليغ في المملكة العربية السعودية سعيد أحمد أنه اعترف بمبايعة بعض السعوديين لهم[٣].

فالبيعة ما زالت موجودة عند الأعاجم من التبليغيين، ولا يظهرونها أمام الحدثاء من العرب.

الأخرى: مكاتبة الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تقي الدين الهلالي بشأن كتابه «السراج المنير».

ظفرت بهذه المكاتبة في الأوراق الخاصة للشيخ عبدالحميد الرحماني[٤]، وكتبها شيخنا العلّامة سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إبّان تأثره بالتبليغ، ثم تبيّن له ضلالهم وألاعيبهم، فكتب فيهم رسائل خاصة وعامة، وسيأتي بيان ذلك مفصّلًا.

ما زال بعض السُّذَّج متأثرًا بما كتبه الشيخ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، **فنسوق كلامه** لتعلّقه الشديد برسالة «السراج المنير»، ونقده المباشر له، ثم نورد مآخذنا على كلامه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ملاحظات على ما كتبه الدكتور الهلالي «التنبيهات على أخطاء جماعة

---

(١) انظر: «السراج المنير» (ص٤١٥) وتعليقنا عليه. (٢) أي: الملاحي.

(٣) «جماعة التبليغ، مفاهيم يجب أن تصحح» (١٢ - مرقوم).

(٤) سبقت ترجمته.

التبليغ في كتابه «السراج المنير» بقلم سعد الحصين[(١)]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وهو المستعان، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه، وبعد:

العنوان لا يَصْدُقُ على محتوى الكتاب، فهو ليس تنبيهًا على أخطاء حقيقية للجماعة؛ ولكنه تشهير بهم على غير أساس صحيح.

١- (ص٥)[(٢)]: يقول إنهم «وضعوا لدعوتهم **أركانًا** ستة مدارها على السياحة، **فهي** الركن **الأساسي** عندهم، **فهي بمنزلة الشهادتين**».

أولًا: هم لا يسمونها أركانًا، وإنما يسمونها صفات من بين صفات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين نصر الله بهم الدين، وينبغي التعرف على هذه الصفات والاتصاف بها، لمن يريد أن يقوم بما قاموا به من [أعمال فيها] الطاعة لله ورسوله والدعوة لنشر هذا الدين[(٣)].

ثانيًا: ما يسميه بالسياحة تشبيهًا لها بالسياحة البرهمية والبوذية (ص٦)[(٤)].

هي الصفة السادسة «النفر في سبيل الله» (ص١٢)[(٥)]، «ولا أشك في أنه يعرف الفرق بين السياحة المحرمة في غير الإسلام، وخروج الجماعة للدعوة في سبيل الله، مركزهم المسجد، ومجلى دعوتهم في الشوارع والبيوت والمساجد»[(٦)].

---

(١) انظر مصورتها بخطه: في وثيقة رقم (٤) آخر الكتاب، وما بين المعقوفتين غير واضح فيها.

(٢) أو (ص٢٣٧-٢٣٨) من هذه الطبعة.

(٣) لا أثر لتسميتها (أركان) أو (صفات)، فالعبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني، وسيأتيك (ص٥٧٧) اقتراح العلَّامة ابن العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بجعل حديث جبريل الطويل هو الشعار الذي ينبغي أن يتداول، وهو في وثيقة رقم (٨) -وهي بخطه- في آخر الكتاب.

(٤) أو (ص٢٤١) من هذه الطبعة.

(٥) أو (ص٢٦٨) من هذه الطبعة.

(٦) السياحة ممنوعة، وكون أصحابها يخرجون من الجوامع إلى الشوارع، فرق غير مؤثر في الحكم الشرعي، وسيأتي بسط ذلك.

ثالثًا: هو يعرف -أيضًا- أن الصفة الأولى والرئيسة هي: تحقيق الشهادتين (ص٦)[1].

رابعًا: لا أظنه يجهل (وإن لم يشر إلى ذلك) أن وسيلتهم الأساسية في الدعوة: نقل المسلم من بيئة الغفلة (البيت والشارع والمقهى والملهى) إلى بيئة الذكر والطاعة (المسجد).

٢- يتَّهمهم تهمًا عامة بالابتداع في دين الله ومخالفة سنة رسول ﷺ (ص١)[2].

ولا أعرف والله جماعة للدعوة أكثر منهم تقيدًا بالسنَّة قولًا وعملًا[3].

٣- يتهمهم بتضييع العيال والوالدين والأزواج، وصرف المتعلِّمين عن العلم، والتجار عن تجارتهم[4].

وزيارة واحدة لاجتماع واحد من اجتماعاتهم تبيِّن جورَ هذه التهمة، لأن المشتركين في هذه الجماعة من مختلف الفئات والمِهَنِ: العلماء والعمال والأساتذة والطلاب والتجار والمعلِّمين والأطباء والمهندسين، ولا أعرف عاطلًا واحدًا بينهم، ثم إن خروجهم للدعوة لا يكون إلا في أوقات فراغهم وفي العطل ونهاية الأسبوع، فليس بينهم منقطع للدعوة، وإن كان الانقطاع

---

(١) (ص...) من هذه الطبعة، ولكن لا يعتنون بتحقيق معنى الشهادتين، ولا يركزون عليها، وعنايتهم بالخروج أشد من عنايتهم بالشهادتين بكثير.

(٢) أو (ص...) من هذه الطبعة.

وسيأتيك أن صاحب السطور المزبورة، رجع فوافق الهلالي إلى أنهم مبتدعة! بعد أن خبر حالهم، وعرف حقيقتهم.

(٣) لم يتق الشيخ سعد على هذا، وإنما علم أنهم صوفية يبايعون على عدة طرق، وسيأتي من كلامه ما فيه مُقنع، وفيه ما يُشبع على تحققهم بالابتداع!

(٤) انظر ما زبرناه في التعليق على كلام الهلالي (ص...)، وهذا الكلام في (ص...) من هذه الطبعة.

ليس بمسبّة لمن لا يحتاج إلى الكسب[١].

٤- يقول: إنهم لا يخوضون في السياسة حتى لا يتعطل «ركن السياحة المبتدعة المضلّة» (وهي رأس مالنا وأساس دعوتنا كما أنها أساس دين البراهمة).

والواقع أنني لا أعرف -أيضًا- جماعة للدعوة أكثر اتصالًا بالمسؤولين ومناصحة لهم، ولقد زرت معهم نائب رئيس الوزراء في بنگلادش وجميع السفراء العرب، ورئيس الجمهورية يحضر اجتماعهم الرئيس في بنگلادش، كما زرتُ معهم عددًا لا أحصيه من العلماء والتجار والمسئولين الرسميين والقضاة وأمراء المناطق.

هم لا يشتركون في اللغو السياسي في المفاضلة مثلًا بين السادات وحافظ الأسد والبكر[٢]..إلخ، ولا يشتركون في الانتخابات؛ لأنها لا تقوم على أساس صحيح في جميع البلاد الإسلامية، وغالبًا غير الإسلامية بما في ذلك أمريكا، ولكن تنظيمهم يقوم على السياسة الشرعية بقدر استطاعتهم وفهمهم لها أكثر من أي جماعة أخرى أعرفها.

٥- يقول: إنهم يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر (ص١٠):

ولم أجد أحدًا يتهمهم بهذه التهمة إلا ويعترف بتأثيرهم في إصلاح الفاسدين، بل يقول بعض مناوئيهم: إنهم لا قيمة لهم إلا بين عصاة المسلمين، لأن لهم طريقة راجحة (بإذن الله) في تغيير واقعهم من الغفلة عن ذكر الله إلى تذكّر الله[٣].

---

(١) نعم، هو كذلك، شريطة القيام بما أوجب الله عليه ممن هم تحت سيادته من الزوجة والأولاد، وكثير منهم يضيّع هذا الواجب، وأشق واجب في دين أن يعطي المسلم كل ذي حق حقه، وأن لا يسترسل مع هواه، ولو كان في عبادة!

(٢) يريد: أحمد حسن البكر، كان رئيسًا للعراق من (١٩٦٨ - ١٩٧٩م)، وفي هذا إشارة إلى أن تأثر الشيخ سعد الحصين قديم في جماعة التبليغ، وستأتي الإشارة إليه.

(٣) انظر كلام الهلالي الآتي (ص٢٥٣) وتعليقي عليه.

٦- يقول: إنه أخبرني أحد رؤسائهم أنه أقام يومًا وليلة في قُبة تعبد من دون الله (ص١٠)[1].

من هو هذا الذي قال له؟ وماذا كان نص مقالته؟ حتى نحكم حكمًا صحيحًا، لأنه -هداه الله- يلوي الكلام ويتقوله حتى يغلب خصمه الغائب عنه، ثم هل هو أحد رؤسائهم فعلًا؟[2]

ولنفرض أن واحدًا من أمرائهم (ولكل ثلاثة منهم أمير عملًا بالحديث) أخطأ، فهل يصحُّ تخطئة كلِّ الجماعة وكلِّ الحركة بسبب ذلك؟ وسيتكرر منه مثل هذا الهجوم على أساس كلام منسوب لأحدهم، مع أنه ليس للجماعة عضوية ثابتة، وهذا دأب أكثر منتقديهم.

٧- مع أنه كتب كراسته على أساس مقالة ركيكة للأخ محمد أسلم -عفا الله عنه- فإنه لم ينقل اعتراف محمد أسلم بفضلهم وتأثيرهم، ولما وجد أن ما سماه بمبادئ جماعة التبليغ (ص١٢)[3] تَرِدُ ما سبق أنه اتهمهم به (ص٥)[4] حاول أن يَرُدّ أكثر نصوصها على أنها من تأليف محمد أسلم، وإنما نقلها محمد أسلم نقلًا أقرب إلى الصحة من كل ما ذكره عنهم (ص ١٣-١٥)[5].

٨- اتهمهم باتباع مذهب أبي حنيفة، ولو أن صلاته «مخالفة لصلاة رسول الله ﷺ» (ص١٣)[6]، وهذه التهمة السخيفة لا تخص جماعة الدعوة والتبليغ في كل مكان، إنما هي لأهل الهند وأتباع المذهب في كل مكان.

---

(١) أو (ص٢٥٥) من هذه الطبعة.

(٢) عدم غيرة التبليغيين على التوحيد أمر معروف، وهذه الظاهرة لا تعلق بشخص معين، فإن سلم الخروج لهم؛ فهو فوق كل مطلب، وهو (غاية الغايات)، فلا وجه للاعتراض.

(٣) أو (ص٢٦٠) من هذه الطبعة. (٤) أو (ص٢٣٩) من هذه الطبعة.

(٥) أو (ص٢٦١-٢٧١) من هذه الطبعة، وينظر تعليقي هناك.

(٦) أو (ص٢٦١) من هذه الطبعة، وينظر تعليقي هناك.

٩- الصفحات (من ١٦ إلى ٤٢)[1] سبّ لمدرسة ديوبند ومؤسِّسيها وللماتريدية والتيجانية، ولا يتضح لي ما علاقة جماعة الدعوة بكل هذا[2]، إلا أنه أشار إلى أن مؤسس الجماعة ديوبندي، ولكن ما علاقة كل ذلك بالملايين من المساهمين في نشاط الجماعة؟ ومن بين ألفاظ سبّه لمدرسة ديوبند الإشارة إلى أنها حنفية المذهب.

والمعروف والمؤكد أنه ليس لجماعة الدعوة مذهب محدّد[3] ولا يتعرضون للخلاف بين المذاهب؛ لأن من مهماتهم الرئيسة تجميع المسلمين لا تفريقهم، وإذا كان أكثرهم في الهند أحناف فأكثرهم في مصر شوافع، وفي السعودية حنابلة، وفي المغرب مالكية، وفي المغرب يتفق جماعة الدعوة مع الأخ الهلالي في ترك القراءة الجماعية للقرآن بعد المغرب والفجر، لأنها طارئة ولم تؤثر عن زمن النبي ﷺ وأصحابه[4].

١٠- يعترض على تفسير روي له عن مؤسس الجماعة لآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] بأنها تعني الخروج للدعوة (ص٤٥)[5]، **وقد تكون هذه هي الواقعة الصحيحة في كل كتابه، لأني سمعتها من أكثر من واحد منهم لا ينسبها إلى محمد إلياس، ولكنه تبنَّى هذا التفسير، والله أعلم بمراده.**

---

(١) أو (ص٢٧٢-٣٣٥) من هذه الطبعة.

(٢) العلاقة واضحة، وهي أن مؤسِّسيها من أهل هذه المدرسة، وهي -أي: الدعوة- منصبغة بصبغة ما تلقوا فيها من مخالفات عقدية، وخرافات وبواطيل وترهات، وسيأتي بيان ذلك.

(٣) نعم، هو كذلك في المعلن، ولكن العبرة بمذاهب الذين تناوبوا على إمرتها، ومن مصلحتهم عدم الإعلان عن ذلك، ولكنها لا تخفى على الدارس، أو المتتبع لما هم عليه من معتقدات أو قناعات، لذا لا تجد تبليغيًّا ينتقد المخالفات العقدية، وإن وجد فهو من مؤثرات خارجية عمَّا تلقاه من المدرسة التبليغية.

(٤) ليس هذا من قناعاتهم، بل هي من (المسائل الخلافية) التي لا يخاض فيها، فإن وجدوا من يقرؤها، لا ينكرون عليه ذلك.

(٥) أو (ص٣٤١ وما بعدها) من هذه الطبعة، وينظر لزامًا تعليقنا هناك، وما سيأتي قريبًا.

والظاهر أن المعنى أعمّ، وعلى كل؛ فهي ليست من أساسيات منهج الدعوة!! وإنما مجرد فقرة ترد في موعظة أو أخرى، وجلّ من لا يخطئ[١]!!

١١- ينقل عن آخر (ص٤٨)[٢] أن أمير الجماعة في المغرب طلب التبرع لعدد من الفرنسيين للخروج للدعوة في أوروبا، والله أعلم بصدق هذه الرواية، لكن المعروف عن هذه الجماعة أنهم لا يقبلون التبرعات لأنفسهم، ولا يطلبونها للخارجين معهم.

١٢- بقية الكتاب ترديد لبعض الاتهامات السابقة، ونقل لروايات الأخ محمد أسلم عن بعض أمراء الجماعة وشيوخهم، وهو يأخذ هذه الروايات وكأنها آية من كتاب الله أو حديث صحيح، ومِن بين مَن هاجَمهم الأخ أبو الحسن النَّدْوي، والله أعلم بالحقيقة، ولكنني بالمقَارنة بين ما أنتجه الأخ تقي الدين الهلالي والأخ محمد أسلم في سبيل الدعوة الرسمية، وما قدمه الأخ أبو الحسن الندوي وجماعة التبليغ في سبيل الدعوة الشخصية: أجد الفرق شاسعًا، ولعلّني مخطئ في ظنّي أن الباعث على العداء هو الحسد[٣]!

حَسَدوا الفَتى إذ لَم يَنالوا سَعيهُ ....[٤] إلخ

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

❍ **تعليقي على الكلام السابق:**

تراجع الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عن مدح جماعة التبليغ:

مما ينبغي أن يذكر بادئ بدء: أنّ مدْح الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

---

(١) هذا التهوين من هذا الخطأ في مشروعية الخروج؛ من الاحتجاج الباطل، بل من أشدّه، وانظر ما سيأتي.

(٢) أو (ص٣٥٢) من هذه الطبعة.

(٣) سيأتيك ما في هذا الكلام من المجازفة والتهور!

(٤) عجز البيت: «فَالقَومُ أَعداءٌ لَهُ وَخُصومُ»، والبيت لأبي الأسود الدؤلي في «ديوانه» (ص١٢٩).

لجماعة التبليغ قد رَجع عنه، واعترف في أوراق صورتها منه، وكتبها لشيخه العلَّامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يشرح حالهم ويفصل في بيان صوفيتهم، وذكر فيها أنه لازمهم أكثر من شهر[1]، **فمعرفته بجماعة التبليغ عند كتابته للهلالي**

---

(١) قال في كتابه «الدعوة إلى الله في جزيرة العرب» (٦ - ٧): «لم أرغب من قبل في أن أكون طرفًا في التجمعات الدينية التي أحدثت أو زادت شقة الخلاف بين الدعاة إلى الله، وشغلتهم بمناهجها الخاصة عن منهج النبوة في الدعوة إلى سبيل الله على بصيرة، ولكنِّي قبل بضع عشرة سنة وجدت تيار ما سُمي بـ«الصحوة»، الذي اكتسح العالم الكافر ثم المسلم، ورَدَّ عددًا كبيرًا من الناس إلى الدين الحق أو أديان الضلال، وجدته يدفعني إلى طريق الدعوة الحديثة.

واخترت جماعة التبليغ إذ بدت لي بعيدة عن احتمال غرور طالب العلم بعلمه؛ لأن غالبية أهلها من العوام، وبعيدة عن احتمال طمع الفرد في المال؛ لأن أفرادها يتحملون نفقات دعوتهم، وبعيدة عن احتمال تطلع الحزبي إلى السلطة؛ لأن عامة أهلها من المستضعفين الراغبين عن خوض معارك الزعامات الدينية والدنيوية.

وعِشتُ بضعة أعوام من حياتي مع هذه الجماعة مشاركًا في نشاطها ومؤيدًا لها وداعيًا إليها، **ومدافعًا عنها التهم التي لم تثبتها لِي المُمارسة، ولم ترافقها البينات التي تُجيز الأخذ بها.**

وفي يوم من أيام رجب عام أربعة وأربع مئة وألف من الهجرة (١٤٠٤) **جاءني بالبينات على ثبوت اتِّهامها بالتصوف والخرافة والبدعة بل والشرك من هو أعرف منِّي بهذه الجماعة، وأسبق منِّي إليها، وأكثر التصاقًا بمناهجها ومشايخها.**

واعترف لي بمبايعته -وعددٍ من أبناء جزيرة العرب من الرجال والنساء- أميرَها العام في دلهي على الطرق الصوفية الأربع في الهند، وأطلعني على «تبليغي نصاب» منهج التبليغ لغير العرب، ونصوصه البدعية والخرافية والشركية.

ولم يكن بد من قبول الحق بعدما تبين، وأعانني الله على تخطِّي حاجز التعصُّب للرأي السابق والحزب، فبادرتُ إلى تحذير أهلها ومؤيديها، ولمَّا رأيت إصرارًا على الباطل بادرت إلى تحذير غيرهم من أخطائها وأخطارها.

وقد رأيت ختام هذه الجولة من مُحاولة الإصلاح التي أرجو الله أن يجعل رائدها الحق برسالة أخيرة في الدعوة إلى الله، **توازن باختصار بين المنهج الذي اختاره الله لرسوله، وبين مُجمل مناهج الدعوة الحديثة التي اختارها البشر لأتباعهم.**

ورأيتُ تركيز الدراسة على «جزيرة العرب»؛ لأنها القدوة اصطفاءً من الله رب =

قاصرة، واغترّ بظاهرهم، فلما وقف على حقيقة أمرهم حذَّر منهم ورجع، فوافق الهلالي على ما قال، وسيأتيك بيان ذلك مفصَّلًا.

وهذا هو نصُّ الكتاب الذي وجهه لشيخه العلَّامة عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ(١):

من: سعد الحصين - الأردن - عمان - ص ب/ ٩٢٥٧٤٤.

إلى: الوالد رئيس اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، وفقه الله لطاعته، وبلَّغه رضاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. **وبعد:**

فقد كتبت لكم قبل عام موضِّحًا أنني رافقت جماعة التبليغ بضع سنوات في السعودية والخليج والأردن، وزرتُ مركزهم الرئيس في الهند ومراكزهم الرئيسة في بنگلادش والباكستان، وتجوَّلت معهم في القارة الهندية أكثر من شهر، وصحبتهم في جولاتهم في أمريكا الشمالية أكثر من ذلك.

وقد أحببت فيهم محافظتهم البالغة على العبادات وسنن العادات، والجهد والتضحية في تنفيذ منهجهم الذي لم أتبيَّن منه (بين العرب) إلَّا خيرًا، وقد تأثَّر بهم كثير من العصاة فالتزموا بالطاعة، والغافلين عن ذكر الله فعادوا

= العالمين، وعلى «جماعة التبليغ»، وجماعة «الإخوان المسلمين»؛ لأنهما من أكبر الجماعات المعاصرة وأنشطها وأحراها بالصلاح والنجاح، **لو أدركت الخطأ وطرحت التعصُّب والتحزُّب وسعت إلى التصحيح على هدى من شرع الله**».

قال أبو عبيدة: ملازمة الشيخ سعد للتبليغ أكثر من شهر في مدة متوالية متتابعة، وأما تأثره بهم فقديم قديم، مكث بضع عشرة سنة، وقد سبق في مؤاخذاته على كلام الهلالي ذكر البكر، وكان ذلك إبان حكمه للعراق بين سنة ١٩٦٨ - ١٩٧٩م، وكان تأريخ كتابته هذا الكتاب للعلَّامة ابن باز رَحِمَهُمَااللَّهُ في ١١/ ٦/ ١٤٠٧هـ، وجاءته البينات على ثبوت اتهام الجماعة بالتصوف في رجب عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م كما سيأتي من كلامه في (ص١٢٩).

(١) وجدته سمَّاه -فيما بعد- «القول البليغ في جماعة التبليغ»، وتنظر مصورة (أوله و(آخره): في وثيقة رقم (٥) آخر هذا الكتاب.

إلى ذكره، وقد كتبت عنهم كثيرًا، ومدحتهم، ودافعت عنهم التُّهم التي لم أتبيَّن صدقها أو ما لا أهمية له في مقابل إنجازاتهم، وزكَّيتهم عند الجميع!

ومنذ أكثر من عامين زار الرياض أحد أفراد الجماعة من أكثرهم جهدًا وتضحية، ترك وظيفته الرسمية في جدَّة وأهمل حياته المعيشية؛ حتى يستطيع الالتزام بالخروج معهم أربعة أشهر كلَّ عام[1]، واعترف لي ولعدد من أفراد الجماعة هنا بأنه أثناء خروجه للعام الثالث -وبعد أن اعتبره قدماؤهم وأمراؤهم ثابتًا على منهج الدعوة لا شك في إخلاصه لها وثقته فيها- بدأ بعض زملائه في الدعوة من السعوديين والهنود يزيِّنون له بيعة أمير الدعوة العام في دلهي، وضرورة ذلك لتأثير دعوته في الناس، وتمهيدًا لذلك لاحظ اهتمام الأمير به وتقريبه من مجلسه، وأخيرًا سُمح له بالاشتراك في تكبيس الأمير (وهذه عادة سيئة في القارة الهندية رأيت غيره من أمراء الجماعة يستخدم لها بعض أفرادها، ومثلها مضغ التنبولة والتنباك في مراكز الجماعة أمام الجميع).

وبعد أن حُذِّر من أنَّ أهل نجد لا يحبون ذلك تمت البيعة على الطرق الأربع المعروفة عند المسلمين في القارة الهندية عامة، وهي: الجشتية والقادرية والسهروردية والنقشبندية، وذكر الأمير أثناء البيعة تسلسلها وسندها من إنعام الحسن إلى محمد إلياس (الأمير الحالي -هداه الله- والأمير الأول رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، (وفهمت من أحد الواقفين على البيعة حديثًا -وهو إمام مسجد في حلة ابن دايل- أنه حضر بيعة الأمير العام لعدد من الدعاة يبلغ الأربعين (قبل شهرين)، وأن سلسلة البيعة متصلة بالنبي ﷺ، وأنه أدير عليه وعليهم أثناء البيعة حبل من القماش الأحمر، معلَّق بصفة دائمة في سقف غرفة الأمير العام في مركز الجماعة بدلهي لهذا الغرض)، ورغبة في التثبت من ذلك؛ ذهبت إلى جدَّة

(١) قارن هذا الكلام بردِّه على الهلالي في كلامه المتقدم (ص٧٠)، ومثل هذا كثير، ولا قوة إلا بالله!

وقابلت أحد أفراد الجماعة ممن ذكر لنا أنه أخذ البيعة نفسها، فأكد لي ذلك، وزاد: بأن زوجته بايعت قبله بإمساك عمامة الأمير وترديد البيعة، ولكنه لم يتأكد من نصِّ البيعة، وعندما واجهتُ أمير الدعوة في السعودية والبلاد العربية بذلك ذكر لي أنه لم يتلق البيعة من السعوديين غير اثنين أو ثلاثة، وبسؤال عدد من قدماء الدعوة (أي: الثابتين عليها) ذكر لي أحدهم في مكة والآخر في الكويت مشاهدة كل منهما مبايعة الأمير للآلاف من العجم الدعاة بعد نهاية كل اجتماع لهم في القارة الهندية، وعندما كتبت للأمير العام إنكارًا لهذا الأمر المبتدع في دين الله ردَّ عليَّ (في رسالة أطلعتكم عليها) ردًّا يحيد فيه عن الإجابة المباشرة للأسئلة التي طرحتها عليه[1]، ولكنه اعترف بالبيعة بحجة أنهم يطالبونه بها «ويصرُّون عليه»!! وأنه لو لم يبايعهم لبايعوا غيره من المتصوفة الملحدين، وزيادة في التثبت سألت اثنين من أمراء جماعة التبليغ في إنكلترا أثناء زيارتهما لكم في الرئاسة قبل عامين عن أوراد هذه الطرق، وعن علاقتها بمنهج الدعوة؟ فذكرا لي بحضور عدد من الإخوة أنها اختيارية لا يجبر عليها الدعاة، وأنَّ من أورادها: المراقبة الجشتية عند أحد القبور في الأسبوع نصف ساعة، وترديد: «الله حاظري الله ناظري»، والأنفاس القدسية النقشبندية: الذكر بالأنف (وعدم تحريك اللسان) بالتنفس على صورة لفظ «الله»، بالإضافة إلى لفظ الإثبات من «لا إله إلا الله»: «إلا الله» أربع مئة مرة، ولفظ «الله» ست مئة مرة!

وقد بيَّن لنا -أعظم من ذلك- أنَّ كتابهم الأول بعد القرآن: «تبليغي نصاب»[2] أي: نصاب التبليغ الذي خُصَّ به العجم أو على الأصح: عُمَّ به

---

(١) هذا منهج لهم، فما من أحد يذكر مؤاخذة عليهم، إلا ويجهدون في تحييده، ويعملون بكل ما أوتوا من قوة إبعاد تأثير هذه المؤاخذة على جناب (الخروج) الشريف! فهو من (أقدس المقدسات) عندهم، ولا يجوز أن يمسَّ بأذى، أو يحام حوله بتشكيك، وإلى الله وحده المشتكى!

(٢) انظر ما تقدَّم عنه (ص٦٠).

الجميع عدا العرب، يشتمل على نصوص شركية مثل: «يا رسول الله أسألك الشفاعة» (ص٩٢٢)، وأن أحدهم أوصى بدفن ثلاث شعرات من شعر الرسول ﷺ في قبره، فرأى بعضهم من يقول له في المنام: «إذا مسَّتكم الحاجة فاذهبوا إلى قبر هذا الرجل الصالح»، ونصوص خرافية مثل: خرافة خروج يد النبي ﷺ من القبر للشيخ أحمد الرفاعي ليقبلها (ص١٤٢)، وأن أحدهم سلَّم على الرسول ﷺ في قبره فجاءه الجواب من القبر: «وعليك السلام يا ولدي»[1] (ص١٤٣)، ونصوص بدعية مثل: الحثّ على زيارة المدينة بنية زيارة القبر لأنها قربة، وسيل من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يبيِّن المؤلف بالعربية أنها موضوعة، ولا يبيِّن ذلك بالأردية لمن سيقرؤها.

وإليكم هذه الصلاة المبتدعة على الرسول ﷺ الذي شرَع غيرها من عند الله: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد: بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وطراز ملكك، وخزائن رحمتك، وطريق شريعتك، المتلذِّذ بتوحيدك، إنسان عين الوجود، والسبب في كلِّ موجود...» إلخ. (ص٦٥) «فضائل درود».

وقد طلبت من الجامعة الإسلامية بالمدينة، ومكتب الدعوة في الباكستان ترجمة لبعض ما في هذا الكتاب، وقدمت لكم نسخة من الترجمة مع رسالتي: «رأي آخر في جماعة التبليغ».

كنتُ في الماضي -مثل غيري من الموالين لهم- أردُّ التُّهم الموجَّهة لهم، بأنني لم أطَّلع عليها، أو بأنَّ هناك أخطاء، ولكنها ليست جزءًا من منهجهم، وإنما تقع من بعض أفرادهم، ولكن بعد أن ثبت لي أنهم ملتزمون بالتصوف، ويبايعون على طرق صوفية، ليس من بينها طريق محمد ﷺ، وأن منهجهم محشوّ بالمخالفات الشرعية التي هي أعظم من المعاصي والغفلة العامَّة، لم

---

(١) انظر دراسة هذه الخرافة في (الملحق الثاني) لهذا الكتاب.

يعد في وسعي السكوت أو الاستمرار في تقبُّل الخداع: «رياض الصالحين» للعرب و«تبليغي نصاب» للعجم، يرغِّب العجم في البيعة الطرقية، ويحذِّر العرب من إبدائها.

كنتُ أسمع العرب والعجم يؤكدون في أغلب مواعظهم أنَّ مقصد «لا إله إلا الله» اليقين بأنه الخالق الرازق، فأبادر في موعظتي إلى بيان أن مقصدها: أنه لا معبود بحق إلا الله، دون إنكار مباشر للخطأ طبقًا لأصول الجماعة، وأظن أن ذمتي برئت بذلك عند الله، وكنتُ أرى القبور داخل مسجدهم الرئيس في دلهي، وبجوار مسجدهم الرئيس في الباكستان، وفي فناء مسجدهم الرئيس في السودان، فأقبل تفسيرهم للأمر بأنه حدث عرضًا، ولا دخل له بمنهج الدعوة عندهم!!

أما وقد عرفت التزام أمرائهم بالتصوُّف، فلم يعد من شكٍّ في أنه مصدر الخطأ في معرفة مقصد «لا إله إلا الله»، ومصدر البيعة الدائبة يوميًّا في المركز العام في دلهي بعد الفجر، ومصدر ربط المسجد بالقبور، ومصدر ادعاء الكرامات وتصديق المنامات والمبالغة في ذكر نتائج خيالية لخروجهم، ومصدر الألفاظ الصُّوفية التي لا تفتقد من أحاديثهم مثل: الأحوال، الذَّوق، وأمثلتهم مثل: «الناقد محروم»، وأكثر هذه قد وجد له مكانًا ثابتًا بين العرب، حتى في بادية الجزيرة المغربية، التي لم تألف من قبل قبرًا في مسجد أو بيعة صوفية، أو توسلًا إلى الله بغير العمل الصالح، بل لقد سمعتُ كثيرًا من الملتزمين بمنهجهم والموالين لهم في قلب هذه المملكة يؤكدون أن بيعتهم صحيحة، ويسمُّونها بيعة التوبة، علمًا بأن من بايعوهم من السعوديين معروفون بطاعتهم والثبات على دعوتهم بضع سنين، ومنهم من يؤكِّد أنّ شرك الجماعة المتعلِّق بالأولياء والصالحين أخف من شرك السعوديين المتعلِّق بحب الدنيا.

ولأنني لم أتلق منكم إجابة حتى الآن على طلبي الفتوى منكم في هذه

الأمور الخطيرة، فإني لأرجو التفضل بإعطاء هذا الأمر الأولوية في أعمال اللجنة الدائمة؛ لأهميته وخطره على مستقبل الإسلام والمسلمين في هذا البلد وفي كل مكان، **وأن تشتمل الفتوى على ما يلي:**

١- البيعة الدينية أو السياسية بأي اسم وأي نصّ لغير ولي الأمور.

٢- الصلاة في المساجد المبنيَّة على قبور الأنبياء والصالحين لغرض الدعوة فيها.

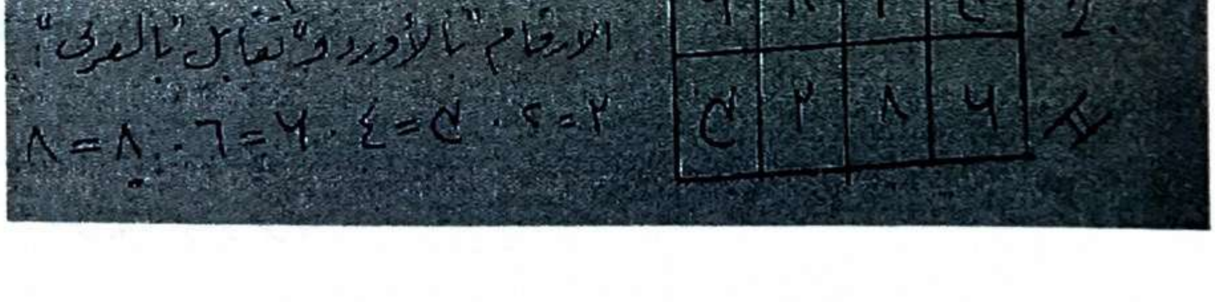
٣- هل يجوز تأخير إنكار الشرك في هذه المساجد أثناء الإقامة والدعوة فيها، تجنُبًا **لتنفير أهلها عن الخروج مع الجماعة؟**

٤- كتابة الحجب المشتملة على الآيات والأدعية والمربَّعات والأرقام والرموز[1] واستكتابها وتوزيعها في مراكز الجماعة.

٥- هل يجوز جمع الناس من هذا البلد، أو غيره من بلاد العرب أو العجم على دعوة يتضمن منهجها ما ذكرته من نصوص في كتابها الأول «بعد السور القصيرة من القرآن» **تحثُّ على البدعة والخرافة والشرك، وتتضمن ممارساتها التمائم وطرق التصوُّف الجاهلة؟**

٦- لو صحَّ أنهم غيَّروا كتاب «تبليغي نصاب» أو حذفوا جزءًا منه كما

(١) هذه صيغة الحجاب مأخوذة من كرَّاس أحد الطلاب في مركز جماعة التبليغ برايوند - باكستان يعلّمه مدرِّس القرآن لطلابه تيسيرًا لنشره:



يدَّعون (مع أنني تأكدت من أنهم غيَّروا اسمه وطبعوه طبعة محدودة للذّ الرَّماد على العيون -وبين يديكم نسخة منه-، ولم يترجم إلى لغة واحدة من اللغات التي ترجم لها «تبليغي نصاب»)، لو صحّ ادّعاؤهم إدراك الخطأ والاعتراف به بعد ستين سنة من قيام الجماعة وعشرين سنة من قيام أمرائها الحاليين عليها.

فهل يصح اعتبارهم أهلًا لقيادة الدعوة إلى الله في هذا البلد أو في غيره من بلاد المسلمين؟

وقد ترغب اللجنة الدائمة قبل إصدار فتواها في استدعاء أمير الجماعة في البلاد العربية، وهو بين أيديكم، أو إيفاد بعض أعضائها لمقابلة قدماء الجماعة وأمرائها في مراكزها الرئيسة، وهم معترفون بالبيعة على الطرق الأربع، ويبررونها[1] بأنها بيعة السنة والتوبة، وجمع شمل المسلمين، وملتزمون في عقيدتهم بالمنهج الأشعري والماتريدي، ويرون أنها الحق، وأنها المنهج الصحيح لأهل السنة والجماعة.

ولكن لا بدّ من مواجهة صريحة وموقف واضح، فإن دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب تتعرض لخطر عظيم لأول مرة في الجزيرة العربية، خطر يصِفُه مصدره بأنه «مثل السوس ينخر في الخشب والأسنان»! ولا يظهر لغير صاحب الخبرة إلا فائدة الخشب والأسنان وجمالها.

وجميع من ذكرت أقوالهم في هذه الرسالة على استعداد لإعادة الشهادة بما رأوا وبما سمعوا وبما فعلوا، وكلهم من أكثرنا خبرة بالجماعة «حملوا فرشهم» وتبعوها في مشارق الأرض ومغاربها، وكلهم ولله الحمد عدول، فهم دعاة إلى الله بالتطوُّع.

ثبَّتكم الله وثبَّت الجميع بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة،

(١) صوابها: «يسوِّغونها».

وأعزَّكم بطاعته، ونصر بكم دينه، ووجَّهكم إلى إصلاح منهج الدعوة إلى الله على بصيرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعد الحصين

الملحق الديني بالأردن

○ تعليق على الكتاب:

تأمَّل أخي القارئ قوله رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «وقد كتبت عنهم كثيرًا ومدحتهم، ودافعت عنهم التُّهم التي لم أتبيَّن صدقها، أو ما لا أهمية له في مقابل إنجازاتهم، وزكَّيتهم عند الجميع»، ثم بدأ يسرد الطامات التي عندهم، وأن البيعة الصوفية موجودة عندهم، ولا يعلمها إلا القليل من العرب من قدماء الدعوة (الثابتين عليها).

وذكر كتاب «تبليغي نصاب» -المتقدِّم وصفُه- وحذَّر منه.

وتأمَّل -أيضًا- قوله: «كنتُ في الماضي -مثل غيري من الموالين لهم- **أردُّ التُّهم الموجَّهة لهم، بأنني لم أطَّلع عليها، أو بأنَّ هناك أخطاء، ولكنها ليست جزءًا من منهجهم، وإنما تقع من بعض أفرادهم**، ولكن بعد أن ثبت لي أنهم ملتزمون بالتصوُّف، ويبايعون على طرق صوفية ليس من بينها طريق محمد ﷺ، **وأن منهجهم محشوّ بالمخالفات الشرعية التي هي أعظم من المعاصي والغفلة العامَّة؛ لم يعد في وسعي السكوت أو الاستمرار في تقبُّل الخداع**: «رياض الصالحين» للعرب، و«تبليغي نصاب» للعجم، يرغِّب العجم في البيعة الطرقية، ويحذِّر العرب من إبدائها».

قال أبو عبيدة: هذه هي عقدة موسِّعي الظن بالتبليغ، يوازنون بين حسناتهم وسيئاتهم، فيرون الحسنات راجحة؛ فيمشّون حالهم، ويتساهلون معهم، ولم يقفوا على حقيقة حالهم، أو لا يقدِّرون السيئات التي عندهم بميزان الشرع، **فمن انتبه للأمرين، فلا مناص له من التحذير منهم.**

وخُدع بهم -في فترة من حياتهم- كثيرٌ من الصالحين وأهل العلم، منهم: الهلالي -وتقدَّم بيان ذلك-، ومنهم العلَّامة ابن باز، وغيرهما.

○ تراجع الشيخ العلَّامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عن رأيه في جماعة التبليغ:

سُئِلَ العلَّامةُ الشيخُ عبدُ العزيزِ بن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِن سائلٍ تبليغيٍّ عن الخروجِ مع (جماعةِ التَّبليغِ)، فكانَ جوابُه في فتوى رقم (١٠٠٧) بتاريخ ١٧/ ٨/ ١٤٠٧هـ:

«ولا شكَّ أنَّ الناسَ في حاجةٍ شديدةٍ إلى مِثلِ هذه اللقاءاتِ الطيِّبةِ المجموعةِ على التذكيرِ بالله والدعوةِ إلى التمسُّكِ بالإسلامِ، وتطبيقِ تعاليمِهِ **وتجريدِ التوحيدِ مِن البِدعِ والخُرافاتِ...**».

نَعَمْ، جميعُ عُلماءِ الإسلامِ يُرَدِّدُونَ هذا الكلامَ، فالتَّمسُّكُ بالإسلامِ وتطبيقُ تعاليمِهِ، **وتجريدُ التوحيدِ مِن البِدَعِ والخُرافاتِ هو عَمَلُ السَّلفيين**، والناسُ بحاجةٍ إلى عِلمِهم وحضورِ لقاءاتِهم.

ولكنْ؛ **عندَ السائلِ تَدْلِيس**، ووُظِّفَتِ الفَتْوَى على نَهْجِ إبْلِيس، فاتَّخَذَهَا بعضُ مَن أعمَى اللهُ بصيرتَه ذريعةً لِنَشْرِ الخُرافةِ والكَذِبِ، **إذْ هَمُّ هذا الصِّنْفِ أنْ يَسْلَمَ (الخروجُ) المُصطلَحُ عليهِ عِندَهُم** مِنْ (أيِّ) مُؤاخذةٍ، مَهما كانتْ!

فهو[1]: (الأساسُ) و(الأهمُّ) و(الوسيلةُ) و(الغايةُ) و(واجبُ الوقتِ)، ولا (عِزَّ) للمسلمين (دونَهُ)، ولا (دعوةَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ) سواهُ، وكُلُّ مَن لَمْ (يَتَلَبَّسْ) بِهِ فهو (آثِمٌ) و(أوزارُ) (الكُفَّارِ) في (رَقَبَتِهِ)... إلى آخر عواطِفِهِم المُنْفَلِتَةِ عن تقاريرِ العلماءِ، وعلى رأسِهم العلَّامةُ ابنُ باز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ومِن المُسَلَّماتِ التي لا تَقْبَلُ النِّقاشَ أنَّ دعوةَ ابنِ باز التي عاشَ مِن أجلِها، وماتَ عليها: نصرةُ التوحيدِ والسنةِ، ونبذُ الشركِ بألوانِه وأنواعِه، ومحاربةُ الفُرقةِ والبِدعةِ، وَمِنْ ذلكَ:

---

(١) أي: الخروج في سبيل الله في زعمهم!

○ تحذيرُ العلَّامةِ ابنِ باز من الدعوةِ الإلياسيَّة:

مِن المعلوم -عندَ جميعِ عُقلاءِ الدُّنيا- أنَّ أعلمَ النَّاسِ بتقريراتِ العالِمِ تلاميذُهُ وخواصُّهُ، وأنَّ المُعتمَدَ في لُغَةِ العِلْمِ مِن أقوالِه هو آخِرُها، إلّا (جماعة التَّبليغ)؛ فالمُعتمَدُ عندَهُم هو القولُ الذي يوافقُ مَشْرَبَهُم، ويَنْصُرُ (خُروجَهم)، ولو لمْ يَخْطُرْ ذلك في بالِ قائلِه، ولا سَنَحَ في خيالِه.

وقد خَرَجَ علينا بعضُ (الإلياسيِّين) بفتوى (مَدْحِ ابنِ باز) لـ(التبليغيِّين)[1].

نَعَمْ، هو يَمْدَحُ المُبلِّغِين عن الله عَزَّوَجَلَّ دينَه، النَّاشِرينَ سُنَّتَهُ، الغَيُورِينَ على العقيدةِ السَّلفيةِ الصحيحةِ، والمنهجِ النبويِّ القويمِ، القائمِ -ذلك كلُّه- على عِلْمٍ مُنَقَّحٍ مُوَثَّق، ونَقْلٍ شرعيٍّ مُصدَّق.

وأما الطيرانُ بمثلِ العباراتِ السابقةِ وغيرِها[2]، فهو طيرانٌ بلا رِيش، واعتمادٌ بلا حُجَّةٍ، وقولٌ بلا بُرهانٍ، وإلى الله المُشتكَى مِن طَيْشِ أهلِ الزَّمان، وتَعَصُّبِ أهلِ القبائلِ والبُلْدَان!

---

(١) ناوَلَنِي بعضُ التَّبليغيِّين أوراقًا فيها كلامٌ للشيخ ابن باز، يحتجُّ به على تأييدِ العلّامةِ ابنِ باز لهم! فقلتُ له: أَرْضَى أنْ يكونَ الشيخُ العلّامةُ ابنُ باز حَكَمًا بينِي وبينك على (جماعة التبليغ)، فإنْ أثبتُّ لك أنَّهُ يُحذِّرُ منهم ترجع عن طريقتِك! وإلّا فأنا أسيرُ معك، فسَكَتَ ولمْ ينبس بكلمةٍ.
ثم وعلى كون ذلك، أَعْطَى الأوراقَ لبعضِ النَّاس، وأخبره أنَّهُ أعطانِي إيَّاهَا، ولمْ أردّ عليه!
فسُبحانَ الله! لا أدري مَن الذي يذكر الذي له دون الذي عليه! فهُو منهج معروف بـ(المُبتدِعة) عند أهل العلم، وأرجو الله أنْ يَسْلَمَ هذا الأخ منهم ومِن شُرورِهم، وأنْ يتوبَ مِن طريقتِهم.

(٢) مثل مكاتبة الشيخ ابن باز للشيخ سعد الحصين في عدم قسوته عليهم، وحثه على الرفق بهم، فكان ماذا؟! فقد يدعو العالمُ -لحكمة يراها- مَن يدعو النصراني بأن يرفق به، ولا يقسو عليه، فهل يفهم من هذا أن (النصارى) على حق! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

فتوى العلّامةِ ابنِ باز في (التبليغيِّين) بيْنَ مسلكَيْن: عاصِمة علميَّة، وقاصِمة عاطفيَّة:

فتاوَى العلّامةِ ابنِ باز -في الجُملة- قائمةٌ على حقٍّ وعدلٍ، فينْزِعُ مِن نُصوصِ الشَّرْعِ بحقٍّ، ويُسْقِطُهُ في مَحَلِّه بعدل.

ومِن ذلك: أنَّهُ لـمَّا ذُكِرَ له أنَّ بعضَ مَن يَعرِفُهُم مِن أهلِ العقيدةِ الصحيحةِ يَزُورُونَ النَّاسَ، ويُذَكِّرُونَهُم بالله: امتدحَهُم، وأثْنَى عليهِم، **فَطَارَ بهذا (الإلياسِيُّون)!**

ولـمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ أُناسٍ يتهاوَنُونَ في التوحيدِ، ولا يَعُدُّونَهُ (رأسَ المالِ) لَهُمْ، وإنَّمَا يَعْمَلُونَ جاهِدِين لِلمُناداةِ بـ(الخُروجِ) دُونَ أيِّ مَنْهَجٍ عَقَدِيٍّ، أو تَرَسُّمِ الطريقِ النبويِّ في العِلْمِ والمَحَجَّةِ، وإنَّمَا هو (تقليدُ) مَن هُم مُرتبِطُونَ به مِن (ترتيباتٍ) تَجمعُ (أبدانَهم) دونَ (أفهامِهم)؛ **ذَمَّهُم وحَذَّرَ منهم.**

هذا خُلاصَةُ ما وَرَدَ عنِ ابنِ بازٍ في (جماعةِ التَّبليغِ)، وهو قائمٌ على الدليلِ والإنصافِ، بعيدٌ عنِ الجَوْرِ والاعْتِسَافِ!

وإليكَ بعضَ ما وَرَدَ عنه مُوَثَّقًا مِمَّا نُشِرَ في حياتِه، وسُمِعَ بصوتِه، وتلقَّاهُ عنهُ نُبَهاءُ طَلَبَتِه، مِمَّنْ لازَمُوهُ وأخذُوا عنه، هذه هي الطُّرُقُ العلميَّةُ الصحيحةُ لِفحصِ الأخبارِ، «إذِ العلمُ إمَّا نَقْلٌ مُصَدَّق، وَإمَّا اسْتِدْلالٌ مُحَقَّق، والمنقولُ إمَّا عن المعصوم أو غيرِ المعصوم»[1]، و«**أَمَّا النُّقُولُ الضَّعيفةُ -لا سِيَّمَا المَكْذُوبَة- فلا يُعْتَمَدُ عليها، وكذلكَ النَّظرياتُ الفاسدةُ، والعقليَّاتُ الجهليَّةُ الباطلةُ لا يُحْتَجُّ بها**»[2].

ومِن بيْنِ النُّقولِ الضعيفةِ، بل المكذوبةِ الَّتي لا يُعتمدُ عليها: دَنْدَنَةُ (التبليغيِّين) بمَدْحِ العلَّامةِ الشيخِ ابنِ بازٍ لهم، **ونُجلِّي هذا الأمْرَ بالنِّقاطِ التاليةِ:**

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٣/ ٣٤٤)، وقال عن النقل عن المعصوم في تتمة كلامه: «منه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه، وهذا القسم الثاني من المنقول، وهو ما لا طريق لنا على الجزم بالصدق منه، عامته مما لا فائدة فيه، فالكلام فيه من فضول الكلام».

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٢/ ٦٣).

أولًا: حُبُنَا للعلماءِ حُبٌّ شرعيٌّ لا عاطفيٌّ، ولا يجوزُ للعامَّةِ -بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ- تجاوُزُ تقريراتِ العلماءِ، والعملُ مِن أمامِهِم.

وعليه: فنَقُولُ:

هل عملُ (جماعةِ التَّبليغ) أساسًا صَدَرَ عن رأيِ العلماءِ الربَّانيِّين، والفقهاء المحقِّقين، مِمَّنْ هم مُنتسِبون للسَّلَفِ الصالحِ، أمْ أنهم أوجَدُوه، ثُمَّ راحوا يبحثُون له عن مُسَوِّغ؟!

هل (جماعةُ التَّبلِيغِ) على مُعْتَقَدِ ومنهجِ مَن يَسْتَدِلُّونَ بكلامِه لتأييدِ الخُروجِ معهم؟

فإنْ كان حُبُّهم لابنِ باز حُبًّا (لِـمُعْتَقَدِهِ السليمِ، ومنهجِهِ الصحيحِ)[1]؛ فَلْيَجْهَرُوا به، ولْيَعْمَلُوا على تعليمِ أفرادِهم ومَن يَخرُجونَ إليهم ذلك، **ونحن -حينئذٍ- نُؤَيِّدُهُم، ونَدْعُوا لهم -بِمَا أُوتينا مِن قوّةٍ- دعوةً لله** عَزَّوَجَلَّ.

فولاؤُنا وبَراؤُنا، وحُبُّنا وبُغضُنا، قائمٌ على كتابِ ربِّنا، وسُنَّةِ نبيِّنا ﷺ، على وَفْقِ تقريراتِ علمائِنا المُعتبَرين، مِن السَّابِقِين واللَّاحِقِين.

مِن المعلوم أنَّ (رأسَ مالِ) التبليغ: (الخُروجُ في سبيلِ الله)؛ فهو (الدائرةُ المقدَّسةُ) عندَهُم، فإنْ سَلِمَ، فما بَعْدَهُ أهونُ منه، ومَن نالَ منه؛ فالويلُ له، ومَن تَرَكَهُ فهو آثِمٌ مَوْزُورٌ، **وهذه العُقْدَةُ التي لا حَلَّ لها في أفهامِهم، فهُم يُجنِّدونَ قِواهُم، ويحفِّزون هممَهم، ويجمِّعون طرائقَهم لِيَسلمَ لهم رأسُ المال، ولو بالتدليس، بل قد يقعُ الكذبُ الصُّراحُ مِن بعضِهم**[2] على ذلك، وهذا ما سيتبرهن لك بعد قليل.

لذا: هم لا يتعاملون مع فتاوى العلماء بتجرُّدٍ وإنصاف، وبالطرقِ الشرعية

---

(١) هذا هو الحب الشرعي للعالم.

(٢) ويسكت عليه الكثرة الكاثرة منهم، لموافقته غرضًا نفسيًّا، مركوزًا في طبائعهم بمرض العدوى تحت ضغط المألوف فحسب!

المسلوكة عند العلماء، **وإنما العاطفة الجامحة هي الأصل**، فهم ينفخون في سرابٍ؛ لأنهم (سماسرة) للخروج، يدللون عليه، وينادون به، **وسوقه هو الرائج عندهم**، فلو بلغتهم كلمة فيها ذِكر للخروج من وراء وراء على لسان أيِّ إنسان له قبول (شرعي أو اجتماعي أو سياسي أو...)، فهم يطيرون بها، وعليه: فهم ليسوا -أصالةً- أهلًا لأن ينفردوا بأمثال هذه المسألة للهوى الذي لهم فيها، **وهذا أصلٌ معروفٌ عند علماء الحديث**[1].

ثانيًا: خبرُ نَقْلِهم عن العلَّامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه يمدح الخروج (التبليغيَ) **باطلٌ ومنكرٌ على قواعد أهل الصَّنعة الحديثية**، وذلك أنه تواترَ عنه التحذيرُ مِن المعتقدات الباطلة، بل أصلُ دعوتِه قائمةٌ على الدعوة إلى التوحيد الذي جاء به المرسلون، ولو قلنا: **إنَّ أهمية (التوحيد) عند العلَّامة ابن باز يساوي أهمية (الخروج) عند (التبليغ)، لما أبعدنا عن الصواب**، فأنَّى لابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن يطلق المدح في حق أقوام لا يقيمون وزنًا للدعوة إلى التوحيد الصحيح في جهودهم واجتماعاتهم الخاصة والعامة؟!

أين أصحاب العلَّامة ابن باز وتلاميذه من مدح (التبليغيِّين)؟ **وهل مدحه لهم خبر يحتمل الخفاء، ويقبل الكتمان**؟! فكيف إذا وجدنا تلاميذه -وهم ما زالوا أحياء- يُطْبِقُونَ على أنه كان يلين معهم القول في فترة من حياته، ويحكم بعدم سلامة منهجهم العقدي، **ثم صرَّح في أواخر حياته -بحسمٍ وحزمٍ وجزمٍ- بضلالهم**، وسيأتي ذلك عنه.

نسأل بتجرُّد: مَن أَعْرَفُ بقول ابن باز في (التبليغيِّين): تلاميذُه -وعلى رأسهم العلَّامةُ الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله، وأمتع به-، أم هم؟

يقول العلَّامة الفوزان -حفظه الله تعالى- ونفع به: «آخر ما صدر من الشيخ ابن باز قبل أيام في مجلة «الدعوة» يقول: **إن هؤلاء الجماعة ليس**

(١) أعني: في رواية المُبتدِع.

عندهم بصيرة في التوحيد، هذا هو الأساس، إذْ صار ما عندهم بصيرةٌ في التوحيد؛ خَلَصْنا منهم، نَفَضْنا أيدينا منهم.

ويقول -أي: الشيخ ابن باز-: «فلا يجوز الخروج معهم إلا لعالم يُبَصِّرُهُم».

إذنْ: صاروا هم بحاجة إلى الدعوة، إذا كانوا هم بحاجة إلى الدعوة كيف يدعون الناس؟!»[1] انتهى كلامه.

وأورد الشيخ سلطان بن عبد الرحمن العيد -وهو من تلاميذ العلَّامة ابن باز المعروفين- في كتابه «تعرَّف على (جماعة التَّبليغ) الأحباب» (ص ٢١ - وما بعد) تحت عنوان (فتوى سماحة الشيخ ابن باز)، وذكر بعض فتاوى سماحته في (التبليغ)، وعلَّق عليها بكلام جيد، وأسوق لك ما قاله بالحرف:

فتوى لابن باز في (التبليغ):

سأل سائل فقال: خرجتُ مع جماعة للهند والباكستان، وكنا نجتمع ونصلي بمساجد فيها قبور، وسمعت بأن الصلاة بالمسجد الذي يوجد به قبر باطلة، فما رأيكم في صلاتي؟ وهل أعيدها؟ وما حكم الخروج معهم إلى هذه الأماكن؟

فأجاب سماحته -غفر الله له- بقوله: «بسم الله، والحمد لله، أما بعد: فإن (جماعة التَّبليغ) ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة، فلا يجوز الخروج معهم، إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة، حتى يرشدهم وينصحهم».

ثم قال -غفر الله له-: «أما الصلاة في المساجد التي فيها قبور فلا تصح،

---

(١) نقلها عنه سيد طالب الرحمن في كتابه «جماعة التَّبليغ: عقائدها وتعريفها» (ص٤٤٤)، وهو مطبوع عن دار البيان بإسلام آباد -باكستان، وفي أوله تقريظ الشيخ صالح الفوزان، وظفرتُ للعلّامة الفوزان بمثلِه وأشد منه، وسيأتيك في (ص١٠٧).

والواجب عليك إعادة ما صليت فيها»(١).

○ **وعلم من هذا الجواب المبارك أمور منها:**

أولًا: إن هذه (الجماعة التَّبليغية) ليس عند أهلها بصيرة بمسائل العقيدة كما يقول سماحته، وإذا كان كذلك: فلا خير في جماعة لا بصيرة لأهلها بالعقيدة الصحيحة؛ **لأنها تفسد ولا تصلح**، نعم... عندهم معرفة بعقائد الصوفيَّة الخرافيين.

ثانيًا: لا يجوز الخروج معهم كما يقول سماحته لخلل عقائدهم.

ثالثًا: إذا أمكن أن يَخرج معهم طالبُ العلم ليبصِّرهم بالعقيدة الصحيحة؛ فَلْيفعل، لكن الواقعَ أنهم لا يأذنون بذلك، **فعندهم أنّ التحذير من البدع والشرك يُفرِّق الأمة ولا يُجمِّع!!**

رابعًا: إنّ هذه الجماعة تعتكف وتصلي في المساجد المبنية على القبور، وتجعلها مركزًا لدعوتها كما قال هذا السائل، وهذا يدلك على شيء من فساد معتقَدهم، فيَخرجون بك من بلاد التوحيد لتصلي صلاة غير صحيحة في شرع الله، تلزمك إعادتها كما يقوله العلَّامة ابن باز، فأفسدوا عليك صلاتك وعقيدتك من قبل!!

فتوى أخرى:

هذا سؤالٌ ثانٍ وُجِّهَ لسماحته في اليوم السادس من ذي الحجة سنة (١٤١٦هـ) بمكة المكرمة، يقول السائل: تسمع يا شيخ عن (جماعة التَّبليغ) وما تقوم به من دعوة، فهل تنصحني بالانخراط في هذه الجماعة؟ أرجو توجيهي ونُصحي.

فأجاب سماحته بقوله: «كل من دعا إلى الله عَزَّوَجَلَّ فهو مبلِّغ، «**بلِّغوا عني**

(١) نقلها فضيلة الشيخ محمد العريني في كتابه النافع «كشف الستار» (ص ١١٤، ط. الثانية).

ولو آية»[1]، لكن (جماعة التَّبليغ) المعروفة (الهندية)، **عندهم خرافات، عندهم بعض البدع والشركيات، فلا يجوز الخروج معهم، إلا إنسان عنده علم يخرج معهم ينكر عليهم ويعلِّمُهم، أما إذا خرج يتابعهم: لا؛ لأن عندهم خرافات، وعندهم غلطًا، وعندهم نقصًا في العلم»**[2].

وفي جواب سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوائد:

أولًا: ظهر لك أنّ الشيخ تبيَّن له ضلالُهم وانحرافهم، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ عندهم خرافاتٍ وبدعًا وشركيات ونقصًا في العلم، ولذا حذر من الخروج معهم إلا لعالِم يُنكر عليهم، وهُم أهل عناد لا يَرضون ولا يأذنون بالخروج لمن يُخالف منهجهم وأصولهم، ويُحذر من بدعهم.

ثانيًا: هذا التحذير من سماحته يلغي ما صدر منه أولًا من شيء من التزكية لهذه الجماعة؛ لأنه قد تبين له حالهم، ولا يمكن أن يثني عليهم شيخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد ذلك، وقد نص على أنهم أهل خرافات وبدع وشركيات.**

ثالثًا: من تلبيس أتباع هذه الجماعة؛ **نشرُهم لفتوى الشيخ القديمة قبل أن يتبيَّن له حالهم، ثم يُخفون هذه الفتاوى، التي استقر فيها رأي الشيخ على وصفهم بالبدعة والخرافة، والتحذير من الخروج معهم.**

فتوى أخرى مهمة:

ومن آخر ما قاله الإمام ابن باز في هذه الجماعة ما ورد في شرحه لـ«المنتقى» قبل وفاته بسنتين، وذلك في مدينة الطائف[3]، **حيث يقول السائل:**

---

(١) أخرجَهُ البُخاريُّ (٣٤٦١)، مِن حديثِ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاص.

(٢) «كشف الستار» (ص١١٦).

(٣) انظر «أقوال علماء السنة في جماعة التَّبليغ» (ص٢-٣، ط. مكتبة الفرقان).

قال أبو عُبيدة: وفتوى ابن باز -هذه- نشرت في «المجلة السَّلفية» العدد السابع (ص٤٧)، سنة (١٤٢٢هـ) وفي كتاب «هذه الجماعات» (ص٩-١٠)، وفي كتاب «الموجز البليغ في التحذير من فرقة التبليغ» (ص٥٧)، وفتواه موجودة ضمن شرحه =

سماحة الشيخ: حديث النبي ﷺ في افتراق الأمم، وقوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»[1]، فهل (جماعة التَّبليغ) على ما عندهم من شركيات و بدع، و(جماعة الإخوان) على ما عندهم من تحزُّب وشقِّ العصا على ولاة الأمر والسمع والطاعة، هل هاتان الفرقتان تدخلان في الفرق الهالكة؟

فأجاب العلَّامة ابن باز -غفر الله له، وأسكنه فسيح جناته- بقوله: «تدخل في الثنتين والسبعين، من خالف عقيدة أهل السنة دخل في الثنتين والسبعين، المراد بقوله: «أمتي» أي: أمة الإجابة، أي: استجابوا له، وأظهروا اتباعهم له، ثلاث وسبعون فرقة، الناجية السالمة التي اتبعته واستقامت على دينه، واثنتان وسبعون فرقة؛ فيهم الكافر وفيهم العاصي وفيهم المبتدع، أقسام».

فقال السائل: يعني: هاتين الفرقتين من ضمن الثنتين والسبعين؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «نعم، من ضمن الثنتين والسبعين».

فتوى أخرى للعلَّامة ابن باز:

ولما قيل للشيخ ابن باز: إن أفراد هذه الجماعة ما زالوا يوزِّعون ورقة قديمة لكم فيها شيء من التزكية لهم، وجعلوا لها تاريخًا جديدًا متأخرًا!

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «هناك مقال[2] لنا بمجلة «الدعوة» جيد، فَصَّلْنا فيه،

= المسجل على «المنتقى» للمجد ابن تيمية، وكان ذلك سنة (١٤١٩هـ)، فكل فتوى له قبل هذا التاريخ فيها مدح، أو يُشَمّ منها ذلك، فاحذرها، واعلمْ أنها من المرجوع المُتراجَع عنها عند صاحبها.

(١) أخرجَهُ الترمذيُّ (٢٦٤٠)، وأبو داود (٤٥٩٩)، وابنُ ماجه (٣٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، وغيرُهم مِن حديثِ أبي هريرةَ، وإسنادُهُ حَسَنٌ.

وفي البابِ عن جماعةٍ مِن الصحابةِ، انظر: «الاعتِصام» (١/ ١٠ و١٦٨ و٣/ ١٥٧ و٢٥٩) وتعليقي عليه.

(٢) قال أبو عُبيدة: سيأتي بفصّه ونصّه.

ومختصر منشور من قريب، خذوا الذي في المجلة، خذوا الذي في المجلة»[١].

هذا كلام الشيخ ابن باز، يأمر بأخذ كلامه الذي في مجلة «الدعوة»، دون تلك الورقة التي يوزعها (التبليغيُّون)، **تلبيسًا وتغريرًا، مع علمهم بتغيُّر رأي الشيخ فيهم، وأنه مات وهو يذمهم، ويحذر من الخروج معهم، إلا لمن يصحح عقائدهم، إن كانوا يَقبلون، وهيهات هيهات!!؛ فهم معاندون!!**

فوصيته رَحِمَهُ اللَّهُ نشرُ كلامه المذكور في مجلة «الدعوة». انتهى كلام الشيخ سلطان -حفظه الرَّحمن-.

فتوى أخرى للعلَّامة ابن باز:

جاء في «مجموع فتاوى ومقالات ابن باز» (المجلد الثامن والعشرين) (ص٥٧) **ما نصه:**

«**س: أخ يسأل عن بعض الجماعات الإسلامية، مثل (جماعة التَّبليغ) و(جماعة الإخوان المسلمين)، ويقول: هل هؤلاء من أهل السنة والجماعة؟**

ج: كلهم عندهم نقص (جماعة التَّبليغ) و(جماعة الإخوان المسلمين)، يجب أن يحاسبوا أنفسهم وأن يستقيموا على الحق، وأن يُنفِّذوا ما دل عليه الكتاب والسنة، في توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به واتباع شريعته.

وعلى (الإخوان المسلمين) -وفقهم الله- أن يحاسبوا أنفسهم، وأن يُحكِّموا شرع الله فيما بينهم، وأن يستقيموا على دين الله: قولًا وعملًا وعقيدة، وأنْ يَحذَروا مخالفة أمره أينما كانوا.

وعلى (جماعة التَّبليغ) -أيضًا- **أنْ يَحْذَرُوا ما كان يفعله أسلافهم** من تعظيم القبور، والبناء عليها، أو جعلها في المساجد، أو دعائها والاستغاثة

---

(١) «جماعة التَّبليغ: عقائدها وتعريفها» (ص٤٤٤) لسيد طالب الرحمن، وقال ذلك -أيضًا- لتلميذه وجامع «فتاويه»: الشيخ محمد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وذكره الشويعر في رسالة إلى الدكتور محمد بن فهد الفريح -حفظه الله-، انظرها: في وثيقة رقم (٦).

بها، كل هذا من المنكرات، والاستغاثة بها من الشرك الأكبر، فعليهم أنْ يَحذَروا ذلك، لهم نشاط في الدعوة إلى الله، وكثير منهم ينفع الله به الناس، **لكن عند أسلافهم عقيدة غير صالحة، فيجب على الخَلَفِ أنْ يتطهَّروا منها، وأنْ يَحذَرُوا العقيدة الرديئة، وأن يستقيموا على توحيد الله؛ حتى ينفع الله بهم وبجهادهم**».

فهذان تلميذان لابن باز - بل عالِمان - ضَبَطَا مرادَ شيخِهما في جماعة (التبليغ)، وهو رأي جميع تلاميذ ابن باز، مِمن لازموه وأخذوا عنه، فكيف يُترَكُ نقلُهم ورأيهم لنقل نكرات، وأصحاب بدعة وهوى؟!

كلام ابن باز في الخروج بين فهمين:

القاعدة عند (التبليغيِّين) **في الخروج**: (اعتقِدْ ثم اسْتَدِلّ)، فهم رابطون قلوبهم على أن أعظم واجب في دين الله (الخروج)، **ولذا يجب تسويغه بأي سبيل!**

قال ابن باز فيما تقدم عنه: «(جماعة التَّبليغ) ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة، فلا يجوز الخروج معهم، إِلَّا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة؛ حتى يرشدهم وينصحهم».

انظروا كيف فهم (التبليغيّ) هذا الكلام! وما هو فهم (عالم رباني) له.

لم ينظر التبليغي -بل (التبليغيُّون)- إِلَّا إلى قول ابن باز: «إلا لمن لديه علم وبصيرة...حتى يرشدهم وينصحهم»، فنظروا إلى كلام العلَّامة ابن باز بعين عوراء، **فغضوا الطرف عن قوله:**

أولًا: «لا يجوز الخروج معهم».

ثانيًا: «ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة».

نعم؛ لأن جماعتهم جماعة أبدان لا جماعة أفهام! وليس كذلك السلف الصالح، ونعتهم بـ(ليس عندهم بصيرة) **دقيق غاية!** فلو وجدت (البصيرة) في

(العقيدة) لتفرق صفُّهم، ولافتضح أمرُهم، وظهر زيفُهم، وانكشف باطلُهم.

ويفترض أن يكون مَن يستدل بكلام الشيخ ابن باز مقتنعًا به، وبناءً عليه نسأله هذا السؤال:

مَن الذي يقرر وجود العلم والبصيرة عند الذي يريد أن يَخرج؟

والجواب محصور في ثلاثة لا رابع لهم:

الأول: الخارج نفسه، وهذا غير صحيح؛ لأنه يَفتح باب الهوى.

الثاني: (التبليغيُّون) أنفسُهم، وهذا ليس بسديد، بضميمة آخر كلام ابن باز: «حتى يرشدهم ويعلمهم»، فمَن لا إرشاد ولا علم عنده لا يكون مقررًا هذا الشأن.

الثالث: عالم رباني، عارف بأحوال الذي يريد الخروج، بحيث لا يلعب عليه هؤلاء، وبأحوال الخارجين ونظامهم وترتيباتهم في الخروج، ومَن يَعرفُ أحوالَهم وإحكامَهم لأمورِهم، وتعصبَهم المَقيتَ لخروجهم، ونظامِه الذي أَلِفوهُ؛ **لمْ يَبْقَ له إلَّا أنْ ينادِيَ بآخرِ**[1] **ما قاله العلَّامة ابن باز فيهم.**

آخر[2] **أقوال ابن باز في (جماعة التَّبليغ):**

أقول هذا تجوُّزًا، وإلا فابن باز يعلم حقيقة (التبليغيِّين)، **ولم تصدر كلمة واحدة منه في مدح معتقدهم ولا منهجهم، ولكنه ألانَ القول فيهم، وركز على ظهور أثرهم في الأمة، وهذا لا يشك فيه عاقل، وهذا الذي دعانا إلى كتابة هذه الأسطر، حتى يتنبه المغرورون من سكرتهم، ويفيقوا من نومتهم، ويتمحَّصوا الحقَّ بدلائله لا بقائله!**

---

(١) كلمة (آخر) فيها تجوز، وسيأتي توضيحه لاحقًا.

(٢) يقرر ابن باز في ردوده (أولوية نصح المخطئ ابتداءً إن كان يرجى نفعه)، وهذا الذي فعله مع (التبليغيِّين)، فلما يئس من تغييرهم والعدول عن منهجهم؛ حذر منهم، فكلامه فيهم (خلافُ زمانٍ وأوان، وليس بخلاف دليل وبرهان)، وانظر لتفصيل الأصل المذكور: «أصول الشيخ ابن باز في الرد على المخالفين» (ص٢٤٩)، و«فتاويه» (٤/ ١٣٦ و ٢٧/ ١٩).

وممَّن نقل أنَّ آخرَ أقوال ابن باز في (التبليغيِّين) الذمُّ والتحذير: فضيلةُ الشيخ عبد العزيز السدحان -حفظهُ الله تعالى-.

قال أخونا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ريِّس الرَّيِّس في كتابِهِ «الإمام ابن تيميَّة وجماعة التبليغ» (ص٣٤): «كانت لسماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ [يُريد العلَّامة ابن باز] فتاوى قديمة فيها تزكية للجماعة، ثم بعد ذلك لم يعد يزكيهم، وصار في فتاويه يحذِّر منهم، ويبيِّن أنّهم جُهَّال في العقيدة، ويَنصح طُلّاب العِلم خاصَّة بالخُروجِ معهم لدعوتِهم وإصلاحِهم، أفادَهُ تلميذُه فضيلةُ الشيخ عبد العزيز السدحان -حفظهُ الله-».

وكلام ابن باز في (التبليغيِّين) هو المُستقِر عند أخيه العلّامة محمد بن ناصر الدين الألباني، وقد سمعتُ بصوتِه أنّه قيل له: إن الشيخ ابن باز يمدح (التبليغيِّين)، فلم يقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا، **وقال العلّامة الألباني:** «هذا مذهب الشيخ أبي بكر الجزائري لا مذهب الشيخ ابن باز».

وظفرتُ في «سؤالات أخينا فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي لشيخِهِ الألباني» -رحمهما الله تعالى- (٢/ ١١٨) سؤال رقم (١٥٨) **تحت عُنوان (من منهج الشيخ ابن باز في الفتوى) ما نصُّه:**

- **السُّؤال:** الشَّيخُ عبدُ العزيزِ بنُ بَازٍ إِذا استُفتِيَ لَا يَعْرِفُ إِلّا مَا يُقالُ لَهُ عَنْ جماعةٍ أَو أَمرٍ مَا، فَتُنقلُ لَهُ الصّورةُ، يُقَالُ: كذا وَكذا!! ولذلك أنا عندي ثَلاثُ فَتَاوى عنهُ فِي (جماعة التَّبليغ)؛ كُلُّها تُناقِضُ الأُخرى، في إِحداها يَقُولُ: إنّ هؤلاءِ يُحَرِّفُونَ نُصوصَ الشَّريعةِ.

- **أجاب شيخُنا الإمام الألباني بقوله:** «اللهُ يَكُونُ في عَوْنِهِ، الحقيقةُ موقفُه دَقيقٌ، الشَّيخُ ابنُ بَازٍ -اللهُ يذكرُهُ بِالخَيرِ-، وَهُنا يُذكرُ أَهمِّيَّة البِطانةِ: البِطانةُ الحَسَنَةُ، والبِطانَةُ السَّيِّئَةُ، وَبِخَاصَّةٍ مِثْلَ الشَّيخ -جزاهُ اللهُ خيرًا- وَضعَهُ وَانْكِفَافُ بَصَرِه-، فَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلى أَنْ تَكُونَ بِطَانَتُهُ أقوَى ما تَكُونُ حَسَنَةً».

وقفة مع فهم العلماء لكلام العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

سَبقَ كلامٌ متينٌ غايةً للعلَّامة الشيخ صالح الفوزان في التعليق على كلام ابن باز المزبور قريبًا، ومما أفاده: إنَّ آخرَ كلامٍ لابن باز -التحذيرُ مِن (التبليغ).

يُستفاد من قول ابن باز: «لا يجوز الخُروج معهم إلا لعالِم يُبَصِّرُهم» بأن (التبليغيِّين) صاروا بحاجة إلى دعوة؛ وعليه: فهم لا يصلحون ليتصدَّروا الدعوة، فتأملْ كلامه جيدًا؛ فإنه مهم.

ظلم واعتساف:

قال بعض مِن نصَّبَ نفسَه محاميًا عن (التبليغيِّين)، لِيُبَرِّئَ ساحتهم مما هو ظاهر منهم:

«ولم يقم بالدعوة إلى الطرق الصوفيَّة أحد من أئمة الدعوة إلى الله، فإن كان وجود شيء من الصوفيَّة، فإنما هو في حياته الخاصة به، ولم يدعو إليه، ولم يجعله منهجًا للدعوة، فنحن علينا الدعوة للإصلاح وتقبل الدعاة على منهج الدعوة، ولا يسمح لأحد أن يدعو إلى ضلالة[1] أثناء الخروج في سبيل الله.

وهذا ما أفاد به فضيلة الوالد الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتواه مجيبًا على سؤال (مسجل على شريط موجود عندي) بصوته:

- السؤال: سمعنا بما لا يقبل الشك تورُّط (جماعة التَّبليغ) بالشرك؛ كدعاء الرسول، وطلب الشفاعة منه بعد موته، وكذلك البيعات والخرافات الصوفيَّة... إلى آخره.

---

(١) الضلالة مِن عدمِها تحتاج إلى منهج يَحكمُها، فيا ليت يُفصِحُ التبليغيُّون عن منهجهم، وإلَّا فلا يمنع -في بعض الأفهام- أنْ تجتمعَ (الطُّرُقيَّة) مع (الإصلاح)، وأخشَى أنْ يكونَ التعميمُ في الكلَام السابقِ مِن (التدليس)! ومِن (منهج أهل البدع) التعميماتُ والإطلاقات، فيما أصَّلَهُ الشاطبي في كتابه البديع «الاعتصام»، فانظر منهُ (٢/ ٥٢) وتعليقي عليه.

- الجواب: (جماعة التَّبليغ) -إن كان عندهم شيء من الأعمال الصوفيَّة، ولكن هذا ليس أصلًا من أصول دعوتهم، وباتصالهم بالأخيار استفادوا كثيرًا، وأنهم جماعة طيِّبون نفع الله بهم كثيرًا من المسلمين... فإن كان عندهم خطأ لجهلهم (!!) فيجب أن يشجعوا ويتعلموا ما دام أمر البدع ليس من أصولهم ولا من دعوتهم»[١].

قال أبو عُبيدة: لي ملاحظات على الكلام السابق، يتلخص بالآتي:

الكلام السابق ناقص، وهو في سياق موهم، فقوله: «لم يقم بالدعوة إلى (الطرق الصوفيَّة) أحد من أئمة الدعوة إلى الله، فإن كان وجود شيء من الصوفيَّة فإنما هو في حياته الخاصة، ولم يدعو - كذا - إليه، ولم يجعله منهجًا للدعوة... ولا يسمح لأحد أن يَدْعُوَ إلى ضلالةٍ أثناء الخروج في سبيل الله».

فيُقال مثلُه تمامًا في (العقيدة السَّلفية)، فلو أنك قلت: «لم يقم بالدعوة إلى (العقيدة السَّلفية) أحدٌ من (التبليغيِّين الإلياسيين)، فإن وجد شيء منها عند بعضهم، فإنما هو في حياته الخاصة، ولا يدعو إليها، ولم يجعلها منهجًا للدعوة، ولا يسمح لأحد أن يدعو إلى العقيدة الصحيحة ونبذ الخرافات والبدع، والمناداة بضرورة الاحتجاج بالصحيح، وطرح الواهيات والموضوعات أثناء الخروج في سبيل الله»؛ لكان الكلام صوابًا، **ومَن نفاه يصادم الواقع، ويناطح الحقيقة!**

وعلى القارئ بهذه المناسبة أن يتنبه ويتيقظ إلى أن بعض من يخرج من (التبليغ) له معتقَد سليم، ولكنه لم يأخذه منهم[٢]، وإنّما امتنَّ الله عليه بعالم سلفي، أو كتاب أو شريط فاستفاد منه.

---

(١) «هذه دعوتنا» (ص ٨٦-٨٧) لأحمد عبد الكريم.

(٢) وإن أخذه من بعضهم، فعلى خلاف منهجهم الذي يدعون إليه! فهم لا يفصحون عن منهج عَقَديّ، ولا مذهب فقهي لهم، وأما بعض أفرادهم إن فعل، فهذا مِن غيرِهم. ونبّه على هذا شيخُنا الألبانيُّ في أكثر من مجلِس، والله الهادي والواقي.

والعجبُ قولُه: «وهذا ما أفاد به فضيلة الوالد الشيخ ابن باز في فتواه مجيبًا على سؤال مُسجَّل على شريط موجود عندي بصوته...».

فكون الشريط عنده ليس له معنى، فهذه (العندية) موهمة أنه غير منشور، أو لم يعرفه أحد غيره، والشريط موجود على الشبكة العنكبوتية العالمية للمعلومات (النت) -هذا أولًا-.

أما ثانيًا: فقوله: «هذا ما أفاد به فضيلة الشيخ ابن باز» يعود على «ولم يقم بالدعوة إلى الطرق الصوفيَّة أحد من أئمة الدعوة» يريد (التبليغ)، والعبارة فيها توسع[(١)]، فإن كلام ابن باز: «(جماعة التَّبليغ) إن كان عندهم شيء من الأعمال الصوفيَّة، ولكن هذا ليس أصلًا من أصول دعوتهم..»، فلَمْ يَنْفِ ابن باز عن أحد من أئمة (التبليغ) كونه صوفيًّا، ولكنه نفى أن يكون الشرك والخرافات والبيعات من أصول دعوتهم، على الرغم مِن تَلَبُّس بعض أعيانهم -قديمًا وحديثًا- بذلك، والتطويل فيه لا داعي له، إذ هَمِّي محصور في التركيز على (الدعوة) لا على (الدعاة)! وإن كان نوع تلازم بين الكبراء والموجِّهين والدعوة، فأبناء الدعوات (الموجَّهين) يتأثرون ولا محالة بـ(الموجِّهين)، وهذا في جميعِ الدَّعوات، وليس خاصًّا بهم!

ونفي كونِ الشرك والخرافات والبيعات أصلًا من أصول (التبليغ) أمر يفرح كل سنِّي، ويشرح صدره، ولكن لَمْ يَرُدّ العلَّامة ابن باز على السائل، ولَمْ يَزْجُرْهُ عن تقريره[(٢)]، فهو يعلم وجوده في كثير منهم، ويشهد بهذا جمع ممن خالطهم، وتاب من الخروج معهم، **وعمل -كعادته** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**- على تلقين (التبليغيِّين) الصواب، وليجعل فاصلًا وحاجبًا بين أصول الشر والمتحركين بالدعوة، وهذا من حكمته وحنكته،** أما أن يأتِي شخصٌ فَيُحَمِّلُ كلامَه ما لم

(١) انظُر -لِزامًا- ما سيأتي في (ص١٠٧-١٠٨).

(٢) ولو لم يكن فيهم؛ ما فاتَ ابنَ باز رَحِمَهُ اللَّهُ تنبيهُهُ على ذلك؛ فهو عالم على بصيرة، دقيق في الفهم، وقَّاف على الحق، رحيم بالخلق.

يَحتَمِلُ، فهذا (ظلم) و (اعتساف) وبُعد عن (العدل) و(الإنصاف)، فتنبَّه ولا تكن من الغافلين.

لماذا يَغضُ النَّظرَ عن كلام ابن باز: «وباتصالهم بالأخيار[1] استفادوا كثيرًا»، فيا ترى! ماذا استفادوا؟ وما المراد بـ (الكثير)؟ إنهم -بل من يحب علماء أهل السنة منهم- استفادوا العقيدة الصحيحة.

ولكن هذه الاستفادة لَمْ تَتَعَدَّ إلى منهجهم الذي يدعون إليه؛ **ولذا لا يُميِّزهم مَن يسمع كلامَهم عن القبوريِّين ولا أصحاب الحلول والاتحاد، ولا عن المُؤَوِّلَة ولا عن المُعَطِّلَة ولا عن السَّلفية، وهم حريصون أنْ يَبْقَوْا على هذا النهج، لئلَّا يُنَفِّرُوا مَن لا يعجبُه التميُّزُ بالعقيدة الصحيحة عن الخروج!**

فهذه آفةُ القوم، يريدون اجتماعًا لا على عقيدة صحيحة، ومنهج علمي سليم في الأخذ والتمحيص، ولذا هم يعمِّمُون ويَبْسُطُون عبارات العلماء، **ويَلْوُونَها ويُطَوِّعُونَها لِنُصْرَةِ خروجهم، وإلّا فقل لي -بالله عليك-**: ما فائدة مدح العلَّامة ابن باز، والجهود والأموال والأوقات التي تصرف وتبذل من قبلهم، ولا توافق دعوته إلى التوحيد الصحيح، **وهل ذلك إلا بمثابة ذرِّ الرماد في العيون، وتطييب الخواطر، لإزالة التحذيرات، وإبعاد العقبات من أمامهم، ليَسلم لهم خروجُهم، والخروج -لا غير- فحسب؟!**

قول العلَّامة ابن باز: «فإن كان عندهم خطأ لجهلهم، فيجب أن يُشَجَّعُوا ويتعلَّموا».

---

(١) يا أحباءنا! ممن تخرجون في سبيل الله، وتضحُّون بأوقاتكم وأموالكم: ماذا يضيرُكم اتصالُكم بالأخيار من طلبة العلم، ولزومُ حلقاتهم، والتعلمُ منهم، فإن لم تفعلوا لن (تستفيدوا) كثيرًا، واقتصرتم على ما لا يحصِّلُ لكم علمًا، وفَّقكم الله لمرضاته، وجعلنا وإياكم من العاملين على نشر دينه، ونصرة سنة نبيه ﷺ، الذابِّين عن العقيدة السلفيَّة الصحيحة.

نَعَم؛ الواجب على كل حريص على النجاة أنْ يَمتثِلَ أمر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:٣]، أن يتواصى مع جميع المسلمين بأن يشجِّعهم على التعلم، وأن يحذرهم من البدع والجهل، أمَّا أن يصبح (الجاهلون) موجِّهين -بكسر الجيم- لا (موجَّهين) -بفتح الجيم- فهذا من عظائم الأشياء، وقلبِ الحقائق، وهو من باب إتيان البيوت من ظهورها لا من أبوابها.

وقد رفعتُ أنا ومجموعة من إخواني من طلبة الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مع بعض من يحبُّنا[1] -ممن هو مقبول عندهم- أن نخصَّهم بدروس علمية عقدية منهجية، امتثالًا لنصيحة شيخنا العلَّامة ابن باز هذه وما هو من بابتها، وحصل من صاحب هذه السطور إلحاح ومطالبة بالجواب، فجاءنا الخبر المبدئي أن الأمر يحتاج إلى مشورة المركز العام، ثم فوجئنا بالقول: **إن العلم سلاح، إنْ وضع بين يدي الصبيان، فإنه يضرهم!! فلا أدري! لماذا الإصرار على جهل الأتباع، والحرص على عدم تفقيهِهم وتعليمِهم؟**

فإنْ قيل: إن هذا لم يصل لأمراء الجماعة.

فنقول: الدعوة قائمة، وإننا حريصون كل الحرص على أن نعلِّمَهم ونشجعهم، شريطة أن يكونوا (موجَّهين) لا (موجِّهين)[2].

---

(١) هو الشيخ محمد السيد، كان إمامًا لمسجد أبي انشيش في منطقة القويسمة عمان، ثُمَّ بَلَغَنِي وَفاتَهُ في عجمان (الإمارات العربية المتحدة) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وانظر تفصيل الخبر فيما يأتي قريبًا (ص١١١).

(٢) آفة الحزبيين بجميع شاراتهم وأسمائهم ومذاهبهم: أن العلماء -إن وجدوا فيهم- **فهم (موجَّهون) لا (موجِّهين)**، والتوجيه دائرة على حذق طرائق القوم وما اصطلحوا عليه، دون العلوم الشرعية، والتقعيدات العلمية، وحدَّثني شيخنا المربي العلَّامة الأديب المفسر الشيخ محمد نسيب الرفاعي الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه درَّس في (مدينة الحجاج) -مركز (التبليغ) في الأردن-، وألقى كلمة عن (علوّ) الله عَزَّوَجَلَّ، واستوائه على خلقه، فسكّته (التبليغيُّون)، وقالوا له: إن نظامهم لا يسمح بمثل هذه الدروس، وأنهم آذوه، وسكَّتوه، ومنعوه من تكميل درسه.

وأخيرًا، أنا أردد مع أخي صاحب كتاب «هذه دعوتنا»[(١)] (ص٨٧):

«ماذا يريد [هؤلاء] من الشيخ ابن باز؟ ولماذا الإصرار على استخراج فتوى من كلام الشيخ [بعدم المشاركة] مع (جماعة التَّبليغ)؟ لَعلّي أبيِّن لكم أن بين يَدَي من فتاوى الشيخ [في التنفير منهم] ما لا أعتقد عدوله عنه، وإن وجد ما أفتى به بغير ذلك، فلا أراه إلا من باب التلاعب في السؤال الموجّه لفضيلته رَحِمَهُ اللَّهُ».

هذا الذي تقتضيه النقولاتُ المشهورة عنه، ولا سيما آخرها، وهو الذي فهمه تلاميذه والعارفون به، بل هو الذي صَرَّح به لما نُقل له أن (التبليغيِّين) يوزِّعون ورقةً فيها شيءٌ من التزكية لهم، **ومِن تدليسهم العجيب فيها**: أنهم جعلوا لها تأريخًا مجدَّدًا، **أُثبت فيها تأريخُ نشرها، لا تأريخ قولها**[(٢)]، فقال

(١) تصرفت في كلامه لأقلبه عليه، وما بين المعقوفتين في كلامه من زياداتي أو هو مناقض لما في نقله، فاقتضى التنويه والتنبيه، وسيأتي كلامُهُ بحروفِهِ قريبًا.

وبهذه المناسبة أذكِّر الأخ الشيخ محمود عبدالكريم صاحب كتاب «هذه دعوتنا» لما قال فيه (ص٨٥): «إن المناهج الصوفيَّة في الهند مناهج كثيرة، ولكن لا تخلو المدارس من رجال قاموا بحركة إصلاحية في هذه المدارس، وقد ساهموا في إحياء أعمال السنة والجماعة».

فهل -يا ترى- نجد (حركة)!! إصلاحية في المدرسة!! التبليغية[(أ)]، مساهمة لإحياء العقيدة السَّلفية، والدعوة لتطبيق السنة النبوية، ونبذ المذهبية والحزبية، والتعصب المقيت لـ (الخروج)، الذي هو في أحسن أحواله (وسيلة) من وسائل الدعوة إلى الله -تعالى-، وعدم عقد سلطان الولاء والبراء، والحب والبغض عليه؟ هذا ما نرجوه وندعو إليه، ونسأل الله تحققَه، فإنّ جهودَ (التبليغيِّين) عظيمة، وإرشادَهم لهذا (مطلبٌ) شرعيٌّ مهمٌّ، ينادي به العلماء والغيورون.

(٢) كان لهذا التدليس أثرٌ سيِّئ على بعضِ مَن يُدافعُ عن التبليغيِّين، وأبرزُ شيءٍ للعيان قولُهُ «هذه دعوتنا» (ص٢٤): «لقد راسلَ كثيرٌ مِن الناس -مِن الأردُنِّ ومِصرَ والمغربِ وغيرِها- فضيلةَ الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وردَّ عليهم رُدودًا مُختلِفة، ولكن=

(أ) هذا ما دَعَى إليهِ العلَّامةُ ابنُ العُثيمين.

الشيخ -وقد سبق نقله عنه-: «هناك مقال بـ«مجلة الدعوة» جيد، فصلنا فيه، ومختصر ومنشور من قريب، خذوا الذي في المجلة، خذوا الذي في المجلة».

وهذا يستدعي الوقوفَ على ما في مجلة «الدعوة» السعودية التي أحال شيخُنا العلَّامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عليها، وكلامُه منشور فيها بتأريخ ٣/ ١١/ ١٤١٤هـ في عدد رقم (١٤٣٨)، وهذا هو -بنَصِّهِ وفَصِّه-[1]:

○ كلام العلَّامة ابن باز -الذي كان يُحيل عليه- لمَّا قيل له إنك تمدح التبليغ:

(جماعة التَّبليغ). والصلاة في المساجد التي فيها قبور:

- س: سؤال مِن (م.ع) مِن أمريكا يقول: خرجت مع (جماعة التَّبليغ) للهند والباكستان، وكنا نجتمع ونصلي في مساجد يوجد بها قبور[2]، وسمعتُ أن الصلاة في المسجد الذي يوجد به قبر باطلة، فما رأيكم في صلاتي؟ وهل أعيدها؟ وما حكم الخروج معهم لهذه الأماكن؟

- ج: «بسم الله، والحمد لله، **أما بعد:**

(جماعة التَّبليغ) ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة، فلا يجوز الخروج معهم إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة التي عليها أهل

= مفادها جميعًا أنَّ هذا العملَ والخُروج مع الجماعةِ فيهِ خيرٌ كثير، وما ذُكِرَ له مِن أخطاءٍ وأحوالٍ؛ أفادَ فضيلتُهُ أنَّها ليست مِن منهجِ الجماعةِ، ولا يدعُونَ إليها، وأنَّ مسؤوليَّةَ المُراسِلين أنْ يخرُجُوا مع الجماعة يتدرَّبُون على عملِ الدعوةِ على طريقِ أهلِ التبليغ، وكذلك لِيستفيدَ الناسُ مِن عِلمِهم.

وهذا كُلُّه يَعلمُهُ جيِّدًا هؤلاء المُغرِضُون...».

قال أبو عبيدة: أَترُكُ هذا الكلامَ بِلا تعليقٍ، وتأمَّلْ ما سيأتِي لاحِقًا، لِتعلمَ هذا (التدليس)!

(١) ناقلًا السؤال والجواب.

(٢) (جماعة التبليغ) ليس عندهم غَيْرَة على التوحيد، ولا يَغْضَبُونَ عند رُؤيةِ الشِّرك مِن طوافٍ بالقُبور والتبرُّكِ بها، وكيف يَغارُونَ و(محمد إلياس وزوجتُهُ وابنُهُ) مدفونُونَ في أكبرِ مراكزِهم بالهند؟! مِن تقييدات فضيلة الشيخ (**محمد موسى نصر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ).

السنة والجماعة؛ حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير؛ لأنهم نشيطون في عملهم، لكنهم يحتاجون إلى المزيد من العلم، وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنة[1].

رزق اللهُ الجميعَ الفقهَ في الدين والثباتَ عليه.

---

(١) في شريط «القول البليغ في التحذير من جماعة التَّبليغ» بصوت العلامة ابن باز، ضمن درس له في مكة المكرمة بتاريخ ٦ / ١٢ / ١٤١٦هـ، **لما سئل ما نصه:**

- **سؤال:** **نسمع يا شيخ عن (جماعة التَّبليغ) وما تقوم به من دعوة، فهل تنصحني بالانخراط في هذه الجماعة؟ أرجو توجيهي ونصحي، وأعظم الله مثوبتك.**

- **الجواب:** كل مَن دعا إلى الله فهو مبلِّغ، مَن دعا إلى الله فهو مبلغ، «**بلغوا عني ولو آية**». لكن (جماعة التَّبليغ) المعروفة -الهندية- **عندهم خرافات، عندهم بعض البدع والشركيات**، فلا يجوز الخروجُ معهم إلا إنسان عنده علم يخرج؛ لأن ينكر عليهم ويعلمهم.

أما إذا خرج يتابعهم **لا؛ لأن عندهم خرافاتٍ وعندهم غلطًا، عندهم نقصًا في العلم**، لكن إذا كان جماعة تبلغ غيرهم: أهل بصيرة وأهل علم يخرج معهم للدعوة إلى الله، أو إنسان عنده علم وبصيرة يخرج معهم للتبصير والإنكار والتوجيه إلى الخير وتعليمهم؛ **حتى يتركوا المذهب الباطل، ويقتنعوا بمذهب أهل السنة والجماعة...**».

انتهى، وهي منشورة في كتاب «الموجز في التحذير من فرقة التبليغ» (ص٥٦) وغيره.

قال أبو عُبيدة: تأملْ معيَ قولَ العلَّامة ابن باز: «يَخرج معهم... للتبصير والإنكار... حتى يتركوا المذهبَ الباطل، ويقتنعوا بمذهب أهل السنة والجماعة».

إذن: هم ليسوا -في عملهم- على مذهب أهل السنة والجماعة، أو لم تتضح لهم معالمُ ذلك، فالواجبُ على أفرادهم مراجعةُ أنفسهم، فالخروجُ في سبيل الله معهم -في نظر العلامة ابن باز- لا مِن أجل مناصرتهم في عملهم، وإنما مِن أجل تبصيرهم بترك مذهبهم الباطل، فلا يَغرَّنَّكَ -أخي القارئ- سمسارُ (خروج)، فافهمْ الكلامَ على مراد قائله وبدلائله، وإيَّاكَ مِمَن يُخرجه عن ذلك **بتدليس وتلبيس**.

أما أن يعرف الإنسان أنه منهم، ويزعم أن منهجه سليم، ومعتقَدَه صحيح، ولا همَّ له إلا الخروج، **فهذا مما لم يخطر ببال ابن باز، ولم يسنح في خياله، ولو في المنام، فاتقوا الله يا من تنقلون عنه، وخذوا جميع كلامه، وآخر أقواله التي أحكم فيها عباراته ومراده، فأهل السنة يذكرون ما لهم وما عليهم، وأهل البدعة يذكرون ما لهم، ولا يذكرون ما عليهم**، قاله بنحوه وكيعٌ فيما أسنده عنه الدارقطني في «سننه» (١ / ١٦) وغيرُه.

أما الصلاةُ في المساجد التي فيها القبورُ فلا تَصِحُّ، والواجبُ إعادة[1] ما صَلَّيْتَ فيها؛ لقول النبي ﷺ: **«لَعن اللهُ اليهودَ والنصارى؛ اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ»**[2] متفق على صحته، وقوله ﷺ: **«ألا وإنَّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائِهم وصالحيهم مساجدَ، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ، فإني أنهاكم عن ذلك»**، أخرجه مسلم في «صحيحه»[3]، والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ.

وبالله التوفيقُ، وصلى اللهُ على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم»[4]. انتهى.

ونُشرت هذه الفتوى -فقط- لابن باز فيما يخصُّ (التبليغيِّين) في «مجموع الفتاوى» -له- (٨/ ٣٣١)، **وكان لهذا الاقتصار مقصدٌ عند العلّامة ابن باز، وأفصحَ عن هذا تلميذُه والملازم له الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر -رحمهما الله تعالى-.**

ومِن الجدير بالذكر: أنه ورد في السؤال صلاة (التبليغيِّين) في المساجد التي فيها قبور، وهو دليل عملي على جواب الشيخ بعدم وجود البصيرة عندهم في مسائل العقيدة، فهم لا يَدْعُونَ للصلاة في المساجد التي فيها القبور، ولكنَّ عظمةَ (الخروج)[5] في نفوسهم لا تمنعهم من محاربة ذلك، بل تَحجبُهم عن

---

(١) (التبالغة) لا يَتَوَرَّعُونَ مِن دُخول المساجِدِ المُقامةِ على القُبورِ، ولا يَرَوْنَ غَضاضَةً في الصَّلاةِ فيها دونَ نكير أو صيحة نذير. (**محمد موسى نصر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ (٤٣٦)، ومُسلم (٥٣١) مِن حديثِ عائشةَ وابنِ عبّاس.

(٣) (برقم: ٥٣٢).

(٤) أحسن أخونا الشيخ فيصل الجاسم في كتابه «أصول الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على المخالفين» (ص٢٤٠ - ٢٤١) باقتصاره على ذكر هذه (الفتوى) للشيخ ابن باز في (جماعة التَّبليغ)، إذ هي التي ارتضاها ابن باز من بين سائر كلامه.
ثُمَّ رأيتُ أخانا فضيلة الشيخ حمد العُثمان هكذا صَنَعَ في كتابِهِ «دَفْع المِراء عن حديث الافتراق» (ص٨٨-٨٩)، وقالَ عن (الفتوَى) السابقة: «**هذا آخِر كلام ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قبلَ وفاتِهِ بسنَتَيْن**».

(٥) لذا زيادة (في سبيل الله) دعوى، وإن وقعت في مقدمتي هذه فهي من باب (النقل على الحكاية)، وقد تلم بعض الظروف ببعض العوام فيخرجون على منهج (التبليغيِّين)، =

المنع في الصلاة فيها، أو المناداة بذلك، هذه هي (أصول) دعوتهم، فإن خالف (بعضُ) منهم ممن عنده (غيرةٌ) على التوحيد، فهذا من أثر غيرهم فيهم، تَفَقَّدْ تَجِدْ، وتَنَبَّهْ، وعليك بالعَدْل، وإياك أنْ يغرَّك (التدليسُ) فتقعَ في (التلبيس)!

الشيخ ابن باز يمزق فتاوى (التبليغ) القديمة بيده:

قال فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ (وقد صحب الشيخ ثمانية عشر عامًا) في كتابه «عبدالعزيز بن باز عالم فقدته الأمة» من (ص٥٨١ -٥٨٣)، أثناء حديثه عن عمله في جمع فتاوى الشيخ، حيث أشار إلى أنَّ ما ثبت في «مجموع سماحته» هو الأصل المعدَّل، **وأنَّ الشريطَ**[1] **الذي قد يكون متداولًا، أو ما نُشر عنه في صحيفة، في حُكْمِ المَلغيِّ إذ جرى عليه تعديل بأمر وتوجيه من سماحة الشيخ.**

وضرب الدكتور محمد الشويعر لذلك مثالًا بفتاوى الشيخ عن (جماعة التَّبليغ)، حيث قال (ص٥٨١): «**كما كان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مع اهتمامه وجديته -غفر الله له- يتراجع عن بعض الكلمات والفتاوى ليلغيها أو بعضها، ويعدل كثيرًا من البعض الآخر، كما حصل في فتاواه عن (جماعة التَّبليغ)!! إذ أخذ مني كل ما جمعته عن هذه الجماعة المنتشرة في الهند وباكستان وبنگلادش وغيرها، ومزَّقها بيده، ولم يقر إلا ما صدر عنه أخيرًا في مجلة «الدعوة»، وأثبتناه في (الجزء الثامن) من «مجموع فتاوى سماحته» (٨/ ٣٣١)**». انتهى كلامه.

قال أبو عُبيدة: بناءً على هذا النقل، فكل مَنْ تعلَّقَ بكلامٍ للعلَّامةِ الشيخِ ابن باز في (التبليغ) غيرِ المزبورِ آنفًا؛ **فهو يدلِّسُ على الشيخ ابن باز، أو يجهلُ آخرَ أقوالِه فيهم.**

= بل قد يخرج بعض (المثوّرين) و(المكفِّرين) و(المغرضين) معهم، وقد بلغنا ذلك بيقين، بل جاءني من كان خارجًا معهم هاربًا من صنيع زوجته وأعمالها اللاأخلاقية، مبيّنًا لي أن خروجه هروب من واقعه فحسب! والبواعث تختلف!

(١) هذا يدفعُ ما قالَهُ الشيخ محمود عبد الكريم في النَّقلِ الذي سَبَقَ عنهُ.

ومن الجدير بالذكر: أن هذه (الفتوى) هي التي سَبق أنْ نقلناها، وبَيَّنَّا تدليسَ (الأحباب)! فيها، وأوردنا تعليقَ الشيخ العلَّامة صالح الفوزان حولها، وقد أجاد الشيخُ وأفاد لَـمَّا عَلَّقَ عليها -أيضًا- لَـمَّا راجَعَ كتابَ الأخ فيصل الجاسم «أصول الشيخ ابن باز في الرد على المخالفين»، فقال الشيخ الفوزان في التعليق على آخر الفتوى (ص ٢٤٢-الهامش):

«**أقول**: ما ذكره الشيخُ -أي: ابن باز- حسنٌ لو كانوا يقبلون مِمّن يوجهُهم، ولكنهم لا يقبلون التوجيه، لأنهم أصحابُ مبدأ يسيرون عليه، ويبايعون عليه، ويريدون دعوة الناس إليه».

قال أبو عُبيدة: بلوتُ ألوانًا من تعصب أصحاب الحركات، فلم أجد أشدَّ تعصُّبًا ولا أعنف على المخالف من (التبليغيِّين)، وإن ظهروا بصورة (الحمل الوديع)، **إلا أن هذا التواضع طمعًا لتزيين (الخروج)، فمتى يئسوا من (خروج) بعض الناس -ولو كانوا من (العلماء)- عملوا على تحييدهم عن التحذير من مخالفاتهم بطرق كثيرة**، وإلَّا عملوا على التشهير بهم، ولو بأحد المسبَّات! وهذا ما سنبينه عند حديثنا عن **تدليس (التبليغيِّين)** على العلَّامة السَّلفي المغربي محمد تقي الدين الهلالي.

وممَّا ينبغي أن يُلْفَتَ النظرُ إليه، ليتيقَّنَ القارئُ الكريمُ على ما قرَّرناهُ: أنّ الشيخَ ابنَ باز كان يُقَرِّرُ في كثيرٍ مِن دُروسِهِ ومُحاضراتِهِ وفتاويه حُرمةَ التفرُّق والاختلاف في الدعوة إلى الله، وأنّ الواجبَ الدعوةُ إلى الله ورسولِه ﷺ -فقط-، دون الدعوةِ إلى طريقةٍ مُعيَّنةٍ، أو حِزبٍ معيَّن، فها هو يقولُ في «مجموع فتاويه» (٢/ ٣١٢): «لا يجوزُ التفرُّق والاختلاف، ولا الدعوة إلى حزبِ فُلان، وحِزب فُلان، ورأيِ فُلان، وقولِ علان، إنَّما الواجبُ أنْ تكونَ الدعوةُ واحدةً إلى الله ورسولِه، إلى كتابِ الله، وسُنَّةِ رسولِه ﷺ، لا إلى مذهبِ فُلان، أو دعوةِ علان، ولا إلى الحِزبِ الفُلانيّ، والرأي الفُلانِيّ، يجب

على المُسلمينَ أنْ تكونَ طريقتُهُم واحدةً، وهدفُهم واحدٌ، وهو اتِّباعُ كِتابِ الله، وسُنَّةِ رسولِه ﷺ».

وقال فيه -أيضًا- (٢/ ٣١٢): «كُلّ هذا مِن الأخطاء الجديدة، التي وقع فيها كثيرٌ مِن النَّاسِ».

بقيَ أنْ نقولَ بعد هذا كُلِّه: أليس مِن الظُّلْمِ ومُجانبةِ الحقيقةِ، القولُ: «ماذا يُريدُ المُنكِرونَ لهذا العملِ مِن الشيخِ ابنِ باز رَحِمَهُ اللَّهُ؟ ولماذا الإصرار على استخراجِ فتوَى مِن كلامِ الشيخ بعدمِ المُشاركةِ مع جماعة التبليغ؟

لعلِّي أُبيِّنُ لكم أنَّ بينَ يدَيَّ مِن فتاوَى الشيخ ما لا أعتقدُ عُدولَه عنهُ، وإنْ وُجِدَ ما أُفتى به بغيرِ ذلك فلا أراهُ إلّا مِن بابِ التَّلاعُبِ في السُّؤالِ الموجَّهِ لفضيلتِه رَحِمَهُ اللَّهُ، ومع ذلك يُشيرُ فضيلتُهُ في جميعِ فتاوَاه على الجماعةِ بطلبِ العِلمِ والسَّائلِينَ عن الجماعة.

ويُبيِّنُ لهم دائمًا وُجوبَ الخُروجِ مع الجماعةِ لتنبيهِهِم وتعليمِهِم والتدرُّبِ معهم على حياةِ الدعوةِ، ويحثّ في جميع أقوالِهِ على مرافقتِهم ولله الحمدُ»[1].

ويُمكِنُ بعد تحسين الظنّ إلى غيرِ نهايةٍ أنْ نجدَ مسوِّغًا لكلامِهِ السابق، ولكنْ أنْ يقولَ: «ويبيِّن لهم -أي: طلبة العِلم-... التدرُّب معهم على حياة الدعوة -أي: مع التبليغيِّين-» فهذا مما لمْ يُعَدُّ -البتَّةَ- مِن التدليس؛ بل هو مِن الكذب الصريح، وها قد علِمْتَ تقريراتِ الشيخِ العلّامة ابن باز، وأقوالَ تلاميذِه في مذهبِه.

○ **عودة إلى رسالة الشيخ سعد الحصين إلى أخيه محمد تقي الدين الهلالي:**

بعد هذه المقدِّمات المهمات، والمُمَهدات الضروريات، فلا بد من التركيز على الآتي -والله الهادي-:

إن الأخطاء التي عند أفراد جماعة التبليغ بعضها يخص أفرادًا منهم، وبعضها يخص الجماعة نفسها.

---

(١) «هذه دعوتنا» (ص٨٧).

وفي رسالة الشيخ سعد الحصين حمَّل الأخطاء للأفراد، وتحمَّس وكتب للهلالي، وأبدى ملحوظاته على ما في «السراج المنير»، ثم تبيَّن له خلافُ ذلك، فأصغ إليه وهو يقول لشيخه العلَّامة ابن باز:

«كنتُ أَسمع العرب والعجم يؤكدون في أغلب مواعظهم أنَّ مقصد «لا إله إلا الله» اليقين بأنه الخالق الرازق، فأبادر في موعظتي إلى بيان أن مقصدها: أنه لا معبود بحق إلا الله، **دون إنكار مباشر للخطأ طبقًا لأصول الجماعة**، وأظن أن ذمتي برئت بذلك عند الله، وكنتُ أرى القبور داخل مسجدهم الرئيس[1] في دلهي، وبجوار مسجدهم الرئيس في الباكستان، وفي فناء مسجدهم الرئيس في السودان، فأقبل تفسيرهم للأمر بأنه حدث عرضًا، ولا دخل له بمنهج الدعوة عندهم»، وذكر على إثرِهِ -مباشرة- ما نقلته سابقًا من خرافاتهم وضلالاتهم، **وهو مهم**، وينبغي الرجوع إليه[2].

وتحمَّس الشيخ سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بيان خداع جماعة التبليغ، بعد أن اكتشف حقيقتهم، وألَّف رسالة «الدعوة إلى الله في جزيرة العرب بين الوحي والفكر»، وطبعها مرات عديدة[3].

○ إقرار الشيخ سعد في رسالته إلى الهلالي التفسير المبتدع للخروج عند التبليغيين:

سَبق إقرار الشيخ سعد -في معرض إنكار الهلالي لفهم التبليغ معنى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] -أنَّ التبليغيين يظنون أنهم

---

(١) الرّاجح أنّ الأصوبَ: «الرّئيس» وليس «الرئيسي» بياء النّسبة، نقلًا عن مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية-الفتوى (١٣٥٩).

(٢) فيما تقدَّم (ص٨٠).

(٣) ظهرت بعض الطبعات وليس عليها اسم المؤلف، وكتب عليها: «راجعه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان»، ووجدتُ نقولات منه معزوَّة إليَّ! ثم ظهرت سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م وعليها اسم المؤلف، وعليها «قرأه واطلع عليه مشهور بن حسن سلمان».

المعنيون بالآية دون سواهم، ولذا فالذي قام في قرارة نفوسهم، وعقدوا عليه قلوبهم، واستقرَّ في إفهامهم: أن الدعوة إلى الله محصورة بالخروج، فمن لم يخرج فهو آثم عند الله، قال الشيخ سعد:

«لأني سمعتها من أكثر من واحد منهم لا ينسبها إلى محمد إلياس، ولكنه تبنى هذا التفسير»، ثم قال: «فهي ليست من أساسيات منهج الدعوة»!!

وكلامُه الأخير هذا من أخطائه الجِسَام، فطريقة أهل التبليغ هي الخروج، والخروج مبني على التفسير الدخيل الذي لم يقل به أحد من السابقين ولا اللاحقين إلا هم، ولو أسقطتَ هذا الفهم لم يبقَ لهم من عملهم شيء، فالتبليغيون لا همَّ لهم إلا الخروج، وهم دونه عدم، وليس لهم وجود!

والعجبُ من تسويغه لوجود سياحة مشروعة في معرض إنكار الهلالي على التبليغيين الخروج! ولكن -والحمد لله- تراجع عنه، وسَبق كلامُه بطولِه.

فسياحةُ أمَّة محمد ﷺ هي الجهاد، وثبت ذلك من قوله ﷺ[1]، وحذَّر العلماء قديمًا من السياحة المبتدعة الشبيهة بالخروج التبليغي، وورد ذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وسيأتي[3] في تعليقي على «السراج المنير».

وأمَّا إنكار الشيخ سعد عدم صلة الملايين من المساهمين في نشاط الجماعة بالمدرسة الديوبندية فهو صحيح، ولكن ساقه الهلالي لعدم صفاء مشرب مؤسسي الجماعة، وأنَّ كدرًا عكَّر صفوهم العقدي، وطريقتهم

---

(١) انظره (ص٢٤٣).
(٢) للشيخ عبدالعزيز الريس كتاب جيد بعنوان «الإمام ابن تيمية وجماعة التبليغ»، نبَّه فيه على أسبقية ابن تيمية في ذكر سياحة الصوفية، وأنها مبتدعة، وهي شبيهة تمامًا بـ(الخروج التبليغي).
(٣) انظر (ص٢٣٨).

السُّنِّيَّة، مما جعلها غير سَنِيَّة ولا مرضيَّة، وشابها البدع لعدم اعتمادهم منهج السلف الصالح.

وكذلك تعصُّبهم المذهبي، مع التحزُّب في المشرب، وهذان الأمران مرض فشى بسبب عدم دراسة السنة النبوية، والوقوف على الأدلة النقلية.

وأمَّا عدمُ تحقيق الشهادتين؛ فقد سَبق مِن كلام الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ على حقيقة هذه المسألة.

○ سرّ مهم وتجربة طويلة ولكنها مفيدة:

تجربة الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تجربة رائدة ومهمة، وينبغي للعقلاء من طلبة العلم أن يستفيدوا منها، واطلعتُ عليها بعد تجربة لي معهم، وأخذت مني وقتًا وجهدًا، **وهي بإيجاز:**

اقترحت على إمام -وكان طالب علم ومتأثرًا بجماعة التبليغ- في حيٍّ سكنته قديمًا -بعد مشورة مع إخواني المشايخ في الأردن، ومنهم فضيلة الشيخ علي الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ- بأن نعقد دروسًا علمية في المركز العام لجماعة التبليغ في الأردن (مدينة الحجاج - شنلَّر)، وأنَّ الخارجين في سبيل الله -تعالى- يتعلَّمون، ثم يخرجون، ويعلِّمون، ففرح هذا الأخ بهذا الاقتراح، وقال: «بهذا تكونوا قطعتم كل مؤاخذة عليكم»!

وانتظرتُ الجوابَ، وطال الانتظار، وتابعته بلهفة وشدَّة، وكان التسويغ في التطويل في الرد؛ أنه يحتاج إلى المشورة العالمية في الهند، ثم جاء بعد وقت طويل: إنَّ العلم سلاح، والسلاحُ لا يُوضع بين يدي الجهَّال، ولذا فنحن لسنا بحاجة إليه!

ونسمعُ من بعض الغيُورين بين الحين والحين الطمعَ بهذه الجماعة، وأن تعليمَهم أمرٌ مهم، وهو شرعي، والواجبُ التركيز عليه، وهم في غفلة مِن أنَّ لهم قناعاتٍ لا تتغير، والواجبُ على مَن أراد العلمَ الشرعي الانسلاخُ من

طريقتهم، وتركُه الخروج معهم، والانصرافُ إلى العلم على طريقة العلماء، وإشغالُ وقته به: تعلُّمًا وتعليمًا ومذاكرة، على مَهْيَع العلماء، وهذا الذي سلكه جميعُ مَن تركهم، واشتغلوا بالعلم الشرعي؛ فأفلحوا ونفع الله بهم، وكان النفع عامًّا للبلاد والعباد.

ومما ينبغي التنبهُ له والتيقظُ: أنّ لهم شبهَ أدلة على صنيعهم، وتزييفُها يحتاج إلى علم، وإسقاطُها على واقعهم يحتاج إلى اجتهاد، وهم ليسوا أهلًا لذلك، ولا يتبين ذلك إلا بتدقيق، وقد كَشف عن هذا بعضُ مَن كان معهم، فقال تحت عنوان (وسائل جماعة التبليغ)؛ **ما نصُّه:**

«**أقول:** لقد بينتُ في الفصل الثاني مِنْ كتابي التبليغ وسائلَ الجماعة واستدللت لها بشيء من التفصيل والبيان، ولقد أخطأت في دفاعي عن جماعة التبليغ مرتين: مرةً عندما زعمتُ أنّ منهجهم هو منهج السلف، والأخرى عندما نصرتُ وسائلَهم ودللت عليها -قدَّرَ اللهُ وَما شاءَ فَعَلْ-، وقد أخطأت في كلا الأمرين -كما سأبين إن شاء الله-، وقبل البيان أحب أن ألفت النظر: أنه إذا لم توافق أي جماعة تدعو إلى الله منهج السلف؛ فإن وسائلها -والأمر كذلك- لا قيمة لها وإن وافقت الشرع في الظاهر، لأن أصلَ المنهاج فيه خللٌ، وهذا كما هو حالة جماعة التبليغ، فوسائلُ في منهاجٍ مختلطٌ فيه الحقُّ بالباطل والسنةُ مع البدعة ما ثمرتُها؟!

لقد دافعتُ عن وسائل الجماعة من عدة نواحٍ، فدافعت عن خروج الجماعة بقوة، بحجة إرسال النبي ﷺ جماعةً من القرَّاء، وهم الذين أرسلهم رسول الله ﷺ وجاءه ناسٌ فقالوا أن ابعثْ معنا رجالًا يعلمونا القرآن والسنة، فبَعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار يقال لهم: القرَّاء، يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، كما روَى الحديثَ الإمامُ مسلم في «صحيحه»، رقم الحديث (٣٥٢٢)، وروَى -أيضًا- البخاريُّ في مواضعَ مِن «صحيحه» نحوَه.

فاستدللتُ به على خروج الجماعة، وهذا مِن خطئي وتحميلي للحديث ما لا يحتملُه -عفا الله عنّي-، فإنّ الحديث صريح في أنّ هؤلاء القرَّاء مِن العلماء الذين كانوا يتعلمون القرآن والسنة؛ ثم تأهلوا لأن يكونوا معلمين لغيرهم كما هو واضح من الحديث، فهم من خيرة علماء الصحابة -رضي الله عنهم جميعًا- كما هو واضحٌ بَيِّنٌ في الحديث، فالحديثُ حجة على مشروعية خروج العلماء إلى البلاد التي يرون حاجتَهم للتعليم والدعوة إلى الكتاب والسنة -عند الحاجة-، لذلك فأين هذا مِن خروج العوام للدعوة، بل خروجِ العصاة لإصلاحهم -كما تقول الجماعة- في الدعوة؟!

حقيقةً: أقول: إنني غلبتني عاطفتي في الدفاع عنهم حتى أخطأتُ في الاستنباط، وكما قيل: «**حبُّك الشيءَ يُعمي ويُصم**»، وهو حديثٌ ضعيف لا يصحُّ سندُه[١].

وقد تنبهتُ لهذا الخطأ أثناء البحث فقلت هناك -صفحة (١٣٣)- بعد أنْ قررتُ ما سَبق: ولِقائلٍ أن يقول: «نحن نُسلِّمُ بكل ما قلتَه، ولكن ربما خفي عليك أن هذا الإرسالَ الّذي أرسله رسولُ الله ﷺ إنما كانوا علماءَ، بخلاف خروج جماعة التبليغ، فإنهم يُخرجون عوامَّ للدعوة، فكل ما ذكرته واضح، ولكن للعلماء دون غيرهم، وأما أن تلحق العوام بالعلماء؛ فهذا فيه نظر، وهو قياس مع الفارق».

هكذا أوردتُ على كلامي هناك هذا الاستشكالَ، ثم أَجبت عنه بخطأٍ جديد، حاصلُه أنني زعمتُ أن خروجَ العوام ثابتٌ في زمن النبي ﷺ، **واستدللت لذلك بحديثين:**

الأولِ: حديثُ ضِمامٍ عندما جاء يستثبت من رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام، ثم رجع رسولًا إلى قومه بذلك؛ كما رواه البخاري في «صحيحه» (١/ ٣٥).

---

(١) انظر: «السلسلة الضعيفة» (١٨٦٨).

ثم حديثُ وفدِ عبد القيس عندما وفدوا على رسول الله ﷺ فعلَّمهم شرائع الإسلام، وأمرهم أن يحفظوها ويخبروا مَن وراءهم؛ كما رواه البخاري (رقم ٥٣، ٨٧) ومسلم (رقم ١٧).

فاستدللت بهذين الحديثين على أن قيام العامي بالدعوة له أصل في السنة.

وأقول -ابتداءً-: نَعم، العاميُّ له أنْ يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر فيما عَلمه وأبصره، لا سيما في الأمور الظاهرة الجلية، وهذا الأمرُ لا إشكالَ فيه -والحمد لله-، وحديثُ ضِمام غايةُ ما فيه أنه لما سَمع العلماءَ الذين بينوا لهم شرائع الإسلام؛ جاء متثبتًا من ذلك فأقر رسولُ الله ﷺ ذلك، وأقره أن يكون رسولًا إلى قومه بذلك، ونحن -اليومَ- لو جاء مَن يتثبت من العلماء عن شيء من الشرع؛ فلا شك أنه يؤمرُ بنقل ما علمه لغيره في حدود استطاعته، فهل جماعة التبليغ تفعل ذلك؟!

إن الحديث حجة على الجماعة لا لهم؛ فإنهم لا يسافرون إلى العلماء ليتعلموا منهم ثم يرجعوا إلى قومهم يبلغونهم ذلك، بل يخرجون مع الجهل مكتفين بما هم فيه، فأين حالُ خروج الجماعة مِن حال ضِمام ووفد عبدالقيس حتى يُحتج بالحديثين على ما تفعله الجماعة في خروجهم؟ وهل كان السلف يُخرجون العوامَ للدعوة إلى الله حتى بلاد الكفر كما تفعل الجماعة؟ وهل المُقتضِي لخروج العامي للدعوة لم يكن قائمًا من لدن عصر النبي ﷺ حتى زمننا طيلةَ هذه القرون إلى أن وُجد مُقتضِيه في زمن الشيخ إلياس؟!

لا -ورب الكعبة- ما فعل السلفُ ذلك ولا مَن بعدهم إلى زمن الشيخ إلياس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا علماءُ السنة فعلوا ذلك أو أمروا به، لا في زمن إلياس ولا في زمننا، فمَن مِن علماء زمننا أمرَ عوامَ بلده بذلك؟ فهل أدرك الشيخ إلياس أمرًا غاب عمن قبله ومَن بعده من العلماء مِن أهل السنة؟ أم هي بدعةٌ عصرية نتج عنها بقاءُ هؤلاء العوام على جهلهم وعدم استفادتِهم العلمَ مِن أكابرهم؟!

إنّ أهلَ العلم -مِن أهل الحديث السلفيين، الطائفة المنصورة الناجية، الذين أُمرنا باتباعهم -لم يفهموا مِن تلك الأحاديث الصحيحة ما تقوم به الجماعةُ من الخروج المُحْدَث الذي يَغلب فيه العوام؛ بل هم الأصل فيه لكثرتهم، ولو كان حقًّا لما غاب عن أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، بل الواجبُ أنْ يتعلَّم هؤلاء العوامُ دينَهم، وأنْ يتفقهوا في الضروري مِن العلم بالنسبة لهم، ثم إنْ تيسَّر لهم أن يأمروا بالمعروف أو ينهوا عن المنكر في أهلهم ودورهم فخيرٌ وبركة، وهكذا ما زال أمرُ العامة مع العلماء لا الواقعُ في جماعة التبليغ.

ثم بيَّنتُ بعد ذلك ما تقوم به الجماعةُ مِن تحديد أوقاتٍ معروفة عندهم للدعوة، وقلتُ: إنّ هذا من باب المصالح المرسَلة، وهذا خطأ؛ لأن المقتضِي لترتيب أيام للدعوة ما زال موجودًا طيلةَ زمن النبوة وهلمَّ جرًّا، ولم يعتبر الشرعُ زمنًا معينًا للدعوة، بل ترك ذلك حسبَ مقدرة العلماء واستطاعتِهم، ولمَّا لم ينظر الشرع إلى ذلك الاعتبار في التوقيت كان بدعة، سواء جعلوا ذلك ترتيبًا أو تحديدًا لا يصح الزيادة عليه أو النقص منه -وهم لا يجعلونه تحديدًا ملزِمًا-، وانظر كيف كان موقفُ الصحابي الجليل صِدِّيق هذه الأمة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما عرض عليه الفاروق عمرُ بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جمعَ القرآن بعدما كثر القتل في القرَّاء، فخشي عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ضياعَ القرآن بسبب ذلك، فقال له أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مستنكرًا: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟!

وموقف زيد بن ثابت عندما أمره أبو بكر بذلك فردَّ عليه: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟! كما رواه البخاري في «صحيحه» (رقم ٤٦٧٩).

فانظر إلى هذا الأثر ما أعظمه! يستنكر الصِّدِّيق ذلك الجمع مع علمه أن القرآن كان يُكتب في زمن النبي ﷺ، وكذا زيد بن ثابت -رضي الله عنهم جميعًا-، ومع ذلك لم يجعل ذلك مسوِّغًا للجمع الذي طلبه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

بسبب ما استجد من المقتضِي لذلك مما لم يكن في زمن النبي ﷺ لمجرد اختلاف الوصفين: وصفِ كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ والوصفِ الجديد الذي طلبه عمر، ولم يقل الصدِّيق إنَّ هذا كذاك، بل توقف في وسيلة متفقة مع الوسيلة النبوية أصلًا ومختلفة عنها وصفًا، حتى بيَّن له عمر رضي الله عنهما الوجه في ذلك، وأنَّ المقتضي -وهو قتل القرَّاء- قد استجد مما أحوجنا لجمع القرآن.

فهذا الأثر للجماعات الإسلامية اليوم -التبليغِ وغيرِهم- أنهم يجب أن يُراعوا هدي رسول الله ﷺ في دعوتهم وفي وسائل دعوتهم، وأن لا يجعلوا تلك الوسائل حسب ما يرون دون ذلك القيد السابق: ألا وهو أن ينظروا في تلك الوسيلة أن لا تكون مخالفة لنص شرعي، وأن لا يكون المقتضي لها قائمًا في زمن التشريع، فإن كان المقتضي قائمًا في زمن التشريع ثم لم يعمل بها النبي ﷺ؛ كان تركه لها دليلًا على كون تلك الوسيلة بدعةً لا يجوز العمل بها، وقد أخلَّت الجماعات الإسلامية -ومنها جماعةُ التبليغ- بهذا الأصل الهام في دعوتهم حتى دخلت البدعُ في كثير من وسائلهم، والله المستعان.

وعلى تلك الجماعات الإسلامية أنْ تُصحح مناهجَها في العقائد والسلوك على وَفق ما كان عليه السلفُ الصالح، وإلا بقيتْ -كما هي- أحزابًا تتناحر، وجماعاتٍ مشتَّتةً تُمزِّق الأمةَ بحزبيتها تمزيقًا.

وإنك إذا نظرت لحال جماعة التبليغ ترى أن القوم في هيئة وطريقة دعوتهم لا يتوافقون مع دعوة النبي ﷺ، فالصفاتُ الستة المعروفة عندهم، وجعلُها وسيلةً ينطلقون من خلالها لتربية الأمة -وإن كانوا يقرون أنها مِن الدين لا كله-، والأيامُ التي يحددونها للدعوة، والأصولُ التي يلقنونها لأتباعهم بترتيب معيَّن معروف عندهم؛ لا ترى تلك الأمورَ مِن هدي رسول الله ﷺ يتخذها وسائل في دعوته على نحو ما يفعلون، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فلو أن القوم كانوا يسيرون على المنهج السلفي في دعوتهم لما وقعوا

في هذه المخالفات في أصل دعوتهم ووسائلها -أيضًا-، لا أعني أنه لا يوجد في وسائلهم ما يوافق السنَّة؛ بل فيها الموافِق للسنَّة والمخالِف لها، وكذلك مناهجهم تَعرِفُ وتُنكِرُ، وترى منهجًا مختلطًا فيه الحق والباطل، وسر ذلك أن القوم لا ينطلقون من منهج السلف الصالح، وفاقد الشيء لا يعطيه!»[(١)].

○رسالة[(٢)] إلى الهلالي من الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق[(٣)] حول كتابه «جماعة التبليغ كما عرفتهم»:

ظفرتُ برسالة من الشيخ إسماعيل للهلالي؛ يلتمس منه الاطلاع على كتابه «جماعة التبليغ كما عرفتهم»، وإبداء ملاحظاته عليه، ولم أظفر -للأسف!- برد الهلالي عليه، وانتظرتُ مدة لأحصل على الرسائل المتبادلة بينهما، حتى أفادني تلميذه الأستاذ محمد المشوَّح أن الشيخ إسماعيل أهدى رسائله الشخصية لبعض المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية.

---

(١) «كلمة حق في جماعة التبليغ» (٥٤ - ٥٧) لخالد بن عبدالرحمن.

(٢) وجدتها في كتاب «تحرير المراسلة لمن يعرفني وأعرفه في اثنتين وثلاثين من السنين ١٤٠١ - ١٤٣٢هـ» (ص٤٦) لفضيلة الشيخ إسماعيل نفسه، وأرسله لي فضيلة الشيخ صالح القريري؛ فجزاه الله خيرًا.

(٣) ترجم للهلالي في كتابه «أعلام وعلماء عايَشتُهم» (ص٨٠ - ٨٢)، ومما قال فيه: «في عام ١٤١٢هـ [الصواب: ١٤٠٢هـ، وكان الشيخ في السنة المذكورة قد مضى على وفاته خمس سنوات] كنتُ في المغرب العربي، وبالتحديد في مدينتي فاس والدار البيضاء، وبها التقيتُ بالشيخ تقي الدين الهلالي، وأمضَيتُ معه بعض الوقت، وتردَّدتُ على منزله، كما تمَّ التَّجوال معه في مدينتي فاس والدار البيضاء، ومن حوله التلاميذ الذين يحفُّون به ويتتلمذون عليه -وهم قليل-؛ إذ كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حادَّ الطبع، قويَّ الخصومة ضد خصمه ومعارضيه.

ذهبتُ معه إلى المسجد لأداء الصلاة جماعة؛ فأوقَفَنا عند باب المسجد وقال: «ننتظر حتى يكمل هؤلاء الكفَّار صلاتهم»، يعني بـ(الكفار): التيجانيين! وقد ألَّف كتابًا كفَّر فيه أصحاب الطريقة التجانية».

وهذا نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩/ ٤/ ١٤٠٣هـ.

صاحبَ السماحة، العلامة، النحرير؛ الدكتور تقي الدين الهلالي -زاده الله من المعالي، ورفع درجاته في الدارين-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعدُ: فإنه لمن أسعد الأوقات، وأثمن الساعات؛ تلك التي قضيتها في مجلس سماحتكم في بيتكم العامر بالدار البيضاء بالمغرب العربي -زاده الله عمرانًا على عمرانه بالعمل الصالح والتقوى-، ثم إني أتشرف بأن أرفع لسماحتكم أنه بعد وصولي الرياض أعدتُ النظر فيما كتبتموه عن جماعة التبليغ، أو بالأحرى ما شرحتموه ووضحتموه في كتابة المرحوم القائد محمد أسلم، وقد سرَّني صريح قولكم، وفصيح بيانكم، وجرأتكم على القول بما ترونه وتعتقدونه، من غير مداهنة ولا مجاراة، جعلكم الله كذلك وأقوى من ذلك، ولصلتي القديمة بهذه الجماعة، ومعرفتي لهم؛ كتبتُ عنهم هذه الرسالة «جماعة التبليغ كما عرفتهم»، أحببتُ إرسال نسخة لسماحتكم للاطلاع عليها، وإبداء مرئياتكم حولها، أرجو الله أن يحقق للأمة الإسلامية القيادة الصالحة، والعلماء الذين يقولون الحق وبه يعدلون، وأن يعيد للإسلام قاعدته الشعبية؛ التي يمكن أن يقوم عليها دعائم العمل الإسلامي ومقوماته في العقيدة والسلوك والتشريع.

أرجو أن تكونوا بغاية الصراحة -كما هي عادتكم في مرئياتكم- حول هذه الرسالة، جزاكم الله خيرًا وأثابكم، والسلام.

أصحاب تجاريب مع التبليغيين

دوَّن عشراتٌ مِن طلبة العلم النبهاء تجاريبهم مع التبليغيين، وحاول بعضهم الإصلاح من الداخل، فوجد الطريق مسدودًا، **وأنه نوع من الاحتواء وضياع الوقت**، ويمكن النظر في الكتب الآتية: «جماعة التبليغ، تجرِبة ذاتية، وأحداث حقيقية مأساوية» لأسامة بن عبدالرحيم بن محمود العطياني، -وفيه (ص١٦٥) مناقشة الأستاذ أبي مالك محمد شقرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تأييده لهم!-، و«القول البليغ في نصح جماعة التبليغ» لأبي محمد عصام بن مرعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«الموجز البليغ في التحذير من فرقة التبليغ» لعبدالله بن مبارك القحطاني، و«كلمة حق في جماعة التبليغ والجماعات الإسلامية»[1] لخالد ابن عبدالرحمن، وغيرها كثير!

○ شهادات وتوبات مِن أفراد مِن (جماعة التبليغ):

يَعسُرُ جدًّا حصرُ التائبين من (جماعة التَّبليغ)، وبيان ما في جَعْبتهم مِن تجارِب، وما عندهم من مشاهدات، وأدعو كل واحد من هؤلاء أن يقوم بذلك، فنحن بحاجة ماسة إلى تسديد المسيرة وقيام الحجة بالأدلة المتلاحِقة، والمشاهدات المتعدِّدة والمتنوِّعة.

وحصرُ المخالفات، ووضع اليد على الجرح لمداواته مِن قِبَل العلماء الربانيِّين؛ واجب شرعي، حتى لا نيأس من العلاج، ولا تبقى الهُوَّةُ بعيدةً بين العلماء وضدهم وأعوانهم من الطلبة والخطباء والدعاة.

وكلُّ مصلحة تبدو للقارئ في ضرورة عدم تتبع العثرات[2] وبيان

---

(١) انظر منه -لزامًا- (ص٩ - ١٤) فهو (مهم).

(٢) الوارد في النصوص عدم تتبع عثرات الأشخاص في أمور حياتهم وترتيبات دنياهم، لا المناهج المنحرفة، والعقائد الزائغة، فتنبه، **ولا تكن من الغافلين!**

المخالفات؛ فهي موهومةٌ وليست بحقيقية، إذْ زلَلُ أصل من أصول الدعاة هو في الحقيقة زلَلٌ لأعداد كبيرة، وقد تبقى هذه الزلات مع أصحابها حتى الممات، وهم يعتقدون أنها طاعات!

وقد بيَّن جماعة من العاملين مدّة مِن الزمن مع (التبليغيِّين) أخطاءً جسيمة لهم، وصَرَّح بعضهم بأنهم أصحاب تدليس، وأنّ دعوتهم صوفيَّة، وهذه بعض الشهادات التي فيها توبات.

أسأل الله أن يثبّتنا وإياهم على الإسلام والسنة، وبفهم سلف الأمة.

○ **الشهادة الأولى:**

يقول الأستاذ صديق عيدروس أحمد في كتابه الجيد «جماعة التَّبليغ بعد قرن من الزمان؛ مشاهدات وحوارات داخلية» (ص٤٠-٤١): «سمعت أكثر من واحد من أتباع الطرق الصوفيَّة وفي مناسبات متعددة، يذكر أن شيخهم يوجّه بالخروج مع (جماعة التَّبليغ)؛ لأنه لا فرق بينهم، ولا خوف عليهم من (جماعة التَّبليغ).

وقال لي أحدهم: إن شيخه قال له: نحن و(جماعة التَّبليغ) زريبتنا واحدة، والزريبة هي الشبك الذي يعد لحفظ الأغنام والمواشي، ويقصدون بذلك -والله أعلم- أن المورد واحد.

وأنا أذكر ذلك على سبيل المثال، لأبيِّن الحالة التي نحن عليها -الآن-، والعقلية التي تشكلت عندنا في (التبليغ)، بسبب ذلك وقعنا في كثيرٍ من الفخاخ دون أن ندري أو نشعر، وهذا ليس بالأمر الهيِّن الذي يمكن السكوت عليه أو تجاهله؛ لأن السير في مسار منحرف ولو قليلًا يوصل لنتائج سيئة في النهاية، وقد تكون ضخمة في الحجم، بحسب زاوية الميل عن الصراط المستقيم وطول المسار».

علمًا بأنَّ صاحب هذا الكتاب يقول فيه (ص٢٤) بعد أن قرَّر أنّ أعمال (الدعوة التبليغية) تأكل جهدهم وأوقاتهم، ولم يكن عندهم وقتٌ لطلب العلم، قال: «وأنا أعرف ذلك لأنني مارستُه لأكثر من عشرة أعوام، ويعلم الله أني اختبرتُ كثيرًا من الأحباب ووجدتهم يجهلون معنى لا إله إلا الله[1]، وأكثر

---

(١) هذا الذي قرره الشيخ الألباني مرات وكرات وبطرق مختلفات، وسبق بيانه عن =

الأحباب لا يعرفون الفرق بين سنن الوضوء مِن فرائضه.

وأعرف كثيرًا من الأحباب وهم في الدعوة لأكثر من عشرين سنة، وهم يذكرون الله بأذكار بدعية مخالفة للسنة.

فهل كل هذا ليس من اهتمامنا بـ(التبليغ)؟

وهل هدفنا هو جمع أكبر عدد من الناس مع اختلاف عقائدهم وطرقهم؛ فهذا أشعري، وهذا ماتُريديّ، وهذا صوفي، وهذا جاهل لا يعرف من ضروريات دينه الشيء الكثير؟

فهل نحن على خلاف منهج السلف المنقول عن الصحابة والتابعين والعلماء الأعلام كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد؟».

ويقول (ص٢٧-٣٢): «إن الأحباب اليوم وبسبب الانغلاق **والسياسة المنظَّمة لإبعادهم عن المعارف الضرورية في الدين، وتلقينهم قيم الطاعة والانقياد والتعظيم للمشايخ**، أصبح جميع الأحباب من كل الجنسيات -من العرب وغيرهم- يشكلون نمطًا واحدًا من التفكير[1]، ونسخة مكررة حتى في المصطلحات ولغة التخاطب، أصبح لديهم لغة خاصة بهم، والمشايخ يوحون إليهم أن هذا من فضائل وحسنات (التبليغ)، حيث إن الهدف النهائي هو تكوين جماعة فكرها واحد، وهدفها واحد، وكلامها واحد.

وتحت ظل هذا الهدف تمّ اختيار عناوين ولافتات براقة، حوتها (الصفات الست) وغيرها من أصول (التبليغ)، خدعت الكثيرين، ومنهم بعض طلبة العلم والعلماء، ولا يعمل بها حقيقة في (التبليغ)، وسوف أذكر ذلك لاحقًا.

أما العناية الفائقة والتركيز الشديد من المشايخ على الشورى، والتأكيد

= جماعة من العلماء الربَّانِيِّين بالتفصيل، ويقوله كلُّ مَن يعرفهم، ويعيش معهم، وسيأتي ذلك في عدة شهادات لاحقة!

(١) لعل وسائل التواصل الحديثة، وإبراز الحريصين من طلبة العلم فتاوى العلماء الربانيين ومواقفهم من جماعة التبليغ، تغيِّر هذا النمط، فالصراع بين الأفكار لا بد أن يولد أن الغلبة للصالح منها.

على الالتزام بها، فمقصودها تجسيد قيم الطاعة والولاء للمشايخ، حيث إنّ المشايخ في الهند الذين يقودون هذا العمل لا يرون في أحد أهلية للحديث أو إبداء الرأي في أمر الدعوة، حتى ولو كانوا من علماء الأمة الكبار، أو حتى مراكز الدعوة الكبيرة كمركز باكستان وغيره.

والشاهد على ذلك: التعنيف والإنكار على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومشايخ الباكستان بسبب ترتيب (النفي والإثبات) الذي تم استحداثه هناك في مركز باكستان، ولا يختلف في مضمونه عن موضوع دعوة (التبليغ)، رغم أنّ مركز باكستان يعد من أكبر مراكز (التبليغ) في العالم، والشيخ عبد الوهاب من أكبر المشايخ سنًّا وتجربةً وإسهامًا في نشر (التبليغ) في العالم، وعاصر المؤسسين من مشايخ (التبليغ).

وبمناسبة النزاع حول ترتيب النفي والإثبات، والجفوة التي حصلت بين مركزي باكستان والهند بسبب ذلك، سمعت أمير الدعوة الآن الشيخ سعد -وهو من أسرة الشيخ إلياس، وفي الثلاثينيات من العمر- سمعته يقول: لا نأخذ في الدعوة إلا من الشيخ إلياس والشيخ يوسف.

وهو يقصد ما يقول؛ لأنّ هذا معمول[1] به فعلًا، وهو مهم جدًّا في فهم حقيقة (التبليغ)، وترتيبًا على ذلك أصبحت إمارة (التبليغ) وراثة يتوارثها أبناء الشيخ إلياس، أصبحت هذه الأسرة هي مصدر التلقي والتوجيه بحجة أنها أسرة مباركة، وأنّ الله فاتح عليها كما يقال الآن، **وبذلك لا يختلف (التبليغ) عن أي طريقة صوفيَّة موجودة الآن.**

وبسبب هذا التوجيه المنظم والمدروس فإنَّ جميع الأحباب الآن يكررون ذات الحجج المعدَّة سلفًا للدفاع عن (التبليغ) وتبرير[2] الأخطاء، ويحفظون أقوال بعض العلماء الذين أثنوا على (التبليغ) فترات مختلفة، ويبرزونها عند

---

(١) المراد: آنذاك.

(٢) صوابه: «وتسويغ».

الحاجة للهروب من الإجابة عن الأسئلة الملحّة حول الممارسات الخاطئة في (التبليغ)(١).

وقد أرسل أحد القدماء ومن قادة العمل بالسعودية ثلاث رسائل للشيخ أبي الحسن الندوي وللشيخ أحمد الأنصاري وللشيخ إنعام الحسن، إضافة إلى رسالة أحضرها لي بعض القدماء السعوديين، أعدها ثلاثة من الطلبة خريجي الجامعة الإسلامية، معتقدين أنها تجيب عن كل الأسئلة والاستفسارات التي قدمتها للمشايخ، والتي رفضوا الرد أو التعليق عليها، علمًا أنَّ هذه الرسائل تؤكد جميع ما قلته، ولا تنفيه، **وسوف ألخِّص كلَّ ذلك تباعًا بالقدر المستطاع -إن شاء الله- تحت العناوين التالية:**

ما هي الأسئلة المسموح بها والتي يريدها المشايخ؟

لم يردّ المشايخ على الأسئلة والاستفسارات التي قدمتُها لهم رغم أنهم مكثوا لمدة شهر تقريبًا في المدينة النبوية لعمل المذاكرات والإجابة عن الأسئلة(٢).

---

(١) يتعاملون معها بمنهج صوفي خالص، وهذا الذي أفاده شيخنا الألباني، وإذا كنت أيها (التبليغي) في شك من ذلك فافحص ولو بالابتداء في خطبة الحاجة لتعرف منزلة السنة على وجهها الحقيقي عند القوم، فهي مرفوضة لأنها ليست من طريقة الشيخ إلياس، ومِن دقة العلّامة السَّلفي المغربي محمد تقي الدين الهلالي قوله الدائم لما يذكر (جماعة التَّبليغ) يقول عنهم: (**الطريقة الإلياسيَّة**)، وقد خبر حالهم وعاش في الهند فترة من الزمن، وكان قبل ذلك مغرورًا بظاهرهم، وسيأتي بيان ذلك عنه، وسَبقتْ وَمْضَةٌ مهمةٌ في ذلك، والحمد لله.

(٢) درج المشايخ منذ عهد بعيد على حضورٍ للحج جميعًا في كل سنة وَتْريَّة، والسبب الذي يتناقله القدماء: هو أن المهدي المنتظر سوف يظهر في سنة وترية، لذلك فالمشايخ وأغلب القدماء يحرصون على حضور الحج في كل سنة وترية.
والبعض قد يخالفوننا الرأي بأنَّ ذكر ذلك ليس مهمًّا، ولكني أراه مهمًّا جدًّا، وله مدلولات وأبعاد خطيرة تؤدي إلى السّطحية في تناول أمور الدين وتسفيه وتحجير العقول، وتغييب روح السنة والدليل والأثر، خاصة إذا ارتبطت في أذهان الأحباب بأن الإجابة عنها لا بد أن تكون من أناس خاصّين وهم المشايخ؛ لأنّ الله فاتح عليهم =

ولا أدري! هل اعتبروا هذه الأسئلة غير مهمة؟

وهل الاهتمام فقط على نوعية الأسئلة المتداولة اليوم بين الأحباب، وأصبحت الفقه الذي يشغل الأحباب اليوم؟ وهي أسئلة سطحية بعيدة عن المقاصد الشرعية المعتبرة، ومن أمثلتها:

متى يتم حساب المدة للخارج: منذ تحركه من بيته أم من مكان التشكيل؟

هل الأذكار اليومية تحسب ضمن التفرغ اليوميّ لمدة ساعتين ونصف أم لا؟

الجماعة الخارجة لمدة أربعين يومًا: هل تشكل لمدة واحدة، أم تذهب وترجع وتشكل مرة أخرى؟

وللعلم؛ كان هذا مَثارَ نزاع وخلاف حادٍّ في كثير من المراكز في العالم، وأرسلت جماعات خاصة من المشايخ لمعالجة هذا الأمر!

ومتى تكون مدة حلقة التعليم للجماعة الخارجة: بعد النوم أم بعد الطعام؟

= بسبب جهدهم للدين، وإن الله أورثهم الفهم للدين والفهم للقرآن، وكلامًا كثيرًا من هذا القبيل.

وسوف أعلّق على بعض الأسئلة والملاحظات التي قدمتُها للمشايخ في خطابي إليهم.

وقبل أن أبدأ، أود التأكيد على هذه الحقيقة: وهي أني -إن شاء الله- مسؤول عن كل ما أكتب، وجميع القدماء مسؤولون -أيضًا-؛ لأن هذا من بذل النصح لله، وأن لا تأخذنا العصبية وشهوة الانتماء لجحد الحق والتغاضي عن الباطل، بهدف تحسين الصورة أمام الآخرين والمغرضين، **وإلا أصبح (التبليغ) خطرًا على الدين، وقد كان الصحابة والسلف لا يترددون إذا ظهر إليهم الحق أن يرجعوا إليه ويعملوا به، وهذا كثير لا يحصى لمن تأمّل حياة الصحابة والسلف، وكثير من العلماء السائرين على نهج السلف إلى يومنا هذا**، والحمد لله يتبعون الحقّ والدليل، ويعملون به قدر جهدهم دون تعصب لمذهب أو انتماء. (منه)

وأسئلة كثيرة من هذا القبيل[1].

ما هي مرجعية الجماعة وانتماؤها الفكري؟

لابد أن نفهم شيئًا مهمًّا من خلال مسيرة (التبليغ) خلال ما يربو على قرن من الزمان: وهو **أنه في (التبليغ) ليس لدينا مرجعية محددة، وكل ذلك بسبب الحواجز الحديدية المضروبة بين الأحباب والعلم والعلماء.**

وقد لا يكون هذا الكلام مفهومًا للكثير من الأحباب، مع أنّ كلَّ المنتمين إلى الجماعات والفرق على بصيرة من أمرهم، حتى عوام الصوفيَّة لهم حاسية وقدرة على التميز والتقدير لما يوافقهم وما يخالفهم، وهذا يفسر التأييد المطلق لكل قادة ومشايخ الطرق الصوفيَّة في العالم وبدون استثناء للتبليغ، وهذا له مدلولات عميقة، وهو بسبب رضاهم وتوافقهم مع منهجنا، وما ندعو إليه: وهو التغاضي عن كل شيء **بهدف جمع الأمة على الألفة والمحبة كما نقول، وليس جمعهم على العقيدة الصحيحة والدين الصحيح وهو أساس دعوة الأنبياء**[2].

وكل الفضائل والموعودات من الله التي نذكرها ونرغب الناس فيها

---

(١) **قال أبو عُبيدة**: هذا كله يؤكد لك تدليس (التبليغيِّين) لما يقولون: (إنّ مدّة الخروج من باب الترتيب لا التحديد)، إذ لو كان الأمر كما يقولون فلماذا الخلاف والاهتمام به بينهم مع شيوخهم؟ ما هو إلّا استبدال الأدنى بالذي هو أعلى من المسائل العقدية والفقهية على نهج العلماء، وهذه سنَّة الله لا تتخلف: إن الاجتماع لا يكون إلا على التوحيد والسنة، وما عداه فسبيله التفرق والاختلاف: إن على رأس كل طريق شيطان يدعو إليه!

(٢) أصبحت أصوات كثير من الساسة ترتفع باحتواء الأديان، بحجة الاشتراك في الحب لله، بغض النظر عن المعتقد، وهذا يخالف قول الله -تعالى- عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٦- ٢٨]، وتذكر أن هذه الكلمة باقية في عقب إبراهيم من الموحِّدين.

مترتبة على الدين الصحيح والعقيدة الصحيحة، وهي جوائز من الله بسبب ذلك، فالحب والموالاة بسبب ذلك، والبغض والمعاداة -أيضًا-.

وقد نجحوا في حملنا على مناصرتهم وموالاتهم، وفي نفس الوقت نعادي أهل الحق، ونحن نفعل ذلك متذرعين بحجج منها: الحكمة واللين! وهذه من فخاخ الشيطان التي وقعنا بها دون أن نشعر.

وتوافقهم معنا ومناصرتنا لهم ليست بسبب تشدد الآخرين معهم، كما يقول الأحباب، كما أنه ليس من الحكمة واللين عدم بيان الحق، ولا أقصد الإنكار؛ **لأننا في (التبليغ) اختلط علينا الأمر، وصعب علينا التمييز بين الحق الذي يجب تعلمه ومذاكرته والدعوة إليه، وبين الإنكار**». انتهى.

ويقول -أيضًا- في أول كتابه (ص١١-١٤) بعد خطبة الحاجة: «هذه نصيحة مني لإخواني المنتمين إلى (جماعة التَّبليغ)، وشهادة لغيرهم عن تجربتي لـ(جماعة التَّبليغ)، حيث التزمتُ بفكر وعمل الجماعة لمدة خمسة عشر عامًا، وكنت كغيري من أهل (التبليغ) أتحمس كثيرًا للجماعة، وأحاول تبرير[1] الكثير من الانحرافات والممارسات والمفاهيم الخاطئة، بحجة أنه لا يجب أن ننسب خطأ شخص معين للجماعة، حتى ولو كان هذا الخطأ من المشايخ القائمين على أمر (التبليغ)، ما دام المنهج والتوجه صحيحًا.

وكنا نغضب لأي ملاحظة أو بيان لخطأ ما، أو تساؤلات مشروعة حول منهج وتوجه ومرجعية الجماعة، سواء صدرت هذه الملاحظات من العلماء أو من غيرهم.

وحقيقة كنا نسيء الظن بهم، ونعتقد أنَّهم يكذبون على الجماعة والمشايخ الذين يقودون هذا العمل، والبعض من الأحباب كان يقول: إن هذه من غَيرة القرناء، أي: إن العلماء -وهم عاملون في حقل الدعوة وتعليم الدين- يشعرون

---

(١) صوابه: «تسويغ».

بالغيرة لمن ينافسهم في هذا المجال، أو يتفوَّق عليهم.

أما أنا فكنتُ أرى أنَّ أي إنسان يعمل فهو معرض للخطأ، وكنت أتساءل دائمًا: لماذا **لا يتوجه هؤلاء العلماء والمعترضون على (التبليغ)، لماذا لا يتوجهون بهذه الملاحظات والتوجيهات إلى القائمين على هذا العمل**؟ ولهم مراكز وتجمعات سنوية في الهند والباكستان، وفي كثير من الدول العربية التي توجد فيها مراكز كبيرة؛ كقطر، والإمارات العربية المتحدة، والأردن، والسودان، وغيرها، وتعقد فيها اجتماعات سنوية يحضرها المشايخ وكثير من القدماء، وقيادات (التبليغ) في العالم.

وكنتُ لا أشك أنهم سوف يجدون الإجابات والإيضاحات التي يريدونها، وإذا كان هناك أي خطأ أو تجاوز، فإنهم على استعداد للرجوع للحق والعمل به.

ولكن هذا الاعتقاد تبددَ أخيرًا بتجربتي الشخصية مع المشايخ، رغم أني من أفراد الجماعة ومن القدماء فيها، ولكن عندما طلبتُ مقابلة المشايخ، وطلبتُ الإجابة عن بعض الأسئلة وتفسير بعض الممارسات والمصطلحات الخاطئة المتداولة بين الأحباب، فوجئتُ بالإعراض والتجاهل من المشايخ، والغضب والاستنكار من أكثر القدماء!

وكنتُ أسمع بحرص المشايخ وتأكيدهم على القدماء، وأمراء المناطق في كل العالم، وطلبهم منهم أن يرسلوا إليهم أسئلة بكل ما استشكل عليهم، أو يرسلوا جماعة خاصة بذلك؛ لإفادتهم وتقديم الإجابات المناسبة لها، ويؤكدون على ذلك في كل مرة يأتون فيها أو تذهب إليهم الجماعات، وزودوا أمير كل منطقة برقم الفاكس المباشر للتواصل معهم في ذلك.

فكنت أتساءل -مع هذا الحرص-: لماذا تجاهلوا ما قدمتُه إليهم من أسئلة؟

ولكن دهشتي لم تدم طويلًا حين عرفتُ أني تجاوزتُ الخطوط الحمراء؛

لأنَّ الأسئلة والاستفسارات المسموح بها هي فقط المتعلقة بأعمال ووظائف (التبليغ)، وكيفية تطبيقها، والإشكالات الناجمة عن التطبيق.

وبعد تجاهل المشايخ لتلك المذكرة، سلَّمتُ نسخًا منها لبعض القدماء، وقادة العمل في المملكة؛ للتباحث حولها، لكنهم وأسوة بالمشايخ تجاهلوها ولم يطلعوا عليها مَن معهم مِن القدماء وأهل الشورى، إلا واحدًا من هؤلاء القدماء حوَّل الردّ على ما قدمته للمشايخ، واستعان على ذلك بمذكرة مكتوبة من الشيخ إنعام الحسن إلى الشيخ سعد الحصين، ومذكرة مكتوبة من الشيخ أبي الحسن النَّدْوي، وكذلك رسالة مكتوبة من الشيخ أحمد الأنصاري الأستاذ بالجامعة الإسلامية بـ(لاهور) للتعريف بعمل (التبليغ) وأهميته، وكذلك رسالة أخرى يتداولها الأحباب السعوديُّون باسم برنامج عملي للدعاة، مكتوبة من ثلاثة من الطلبة المصريِّين مِن خرِّيجي الجامعة الإسلامية الذين انضموا للتبليغ، وهم: (شعبان السنهوري، سمير محمد أبو فايد، ومحمد فرج علي)، وكتبت لذلك تعليقًا على ما حوته رسالة الشيخ أحمد الأنصاري، ومذكرة الشيخ إنعام الحسن، ومذكرة الشيخ أبي الحسن النَّدْوي، ومذكرة الطلبة المِصريِّين، وجميعها تمثل ذات الدفوع والمبررات[1] التي يكررها القدماء والمشايخ دفاعًا عن (التبليغ)، وسوف أوردها في هذه الرسالة تباعًا، إضافة إلى المذكرة التي قدمتها للمشايخ عند قدومهم للحج هذا العام (١٤٢٧هـ)، متناولًا في ذات الوقت جميع أعمال (التبليغ) بالتعليق والشرح، وبيان الانحرافات الخطيرة التي تحدث وسط الأحباب، **بسبب تعمُّد إشغالهم وإبعادهم عن العلم الشرعي، وتجهيلهم، لتوجيههم والسيطرة عليهم، وقد تم ذلك وبنسبة كبيرة جدًّا، وأسهم في تكوين عقلية ضعيفة وهشة، قابلة للانحراف، ويتساوى في ذلك العرب وغير العرب، وأهل الخليج وبقية العرب عكس ما يظن البعض».**

---

(١) صوابها: «والمسوِّغات».

قال أبو عُبيدة: ومن الجدير بالذكر -هنا- أن الدكتور عبد الله الجربوع المدرس في الجامعة الإسلامية علّق على رسالة صديق عيدروس -هذه- وكتب لها مقدِّمة، ومما قال فيها (ص١٠): «وكثير من الأخطاء التي ذكرها الأخ صديق كانت لديَّ قناعة بوجودها في الجماعة قبل أن أعرفه وأطّلع على ما كتبه، **وإنّي بذلك أسجل شهادةً تضاف إلى شهادة الأخ صديق وشهادة الأخ سعد الحصين وشهادة الأخ عباس الشرقاوي**[1] **الذي بايع المشايخ على الطرق الصوفيَّة**، وهو الذي فضح أمر البيعة، وغير هؤلاء ممن تبيَّن لهم **جنوح (جماعة التبليغ) عن المنهج القويم، وخطورة التحزُّب والتفرُّق أيًّا كان**».

○ الشهادة الثانية:

يقول فضيلة الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين في كتابه «حقيقة الدعوة إلى الله -تعالى-»[2]: «عشت بضعة أعوام من حياتي مع هذه الجماعة، مشاركًا في نشاطها، ومؤيِّدًا لها، وداعيًا إليها، ومدافعًا عنها وعن التُّهم التي لم تثبتها لي الممارسة، ولم توافقها البيِّنات التي تجيز الأخذ بها.

وفي يوم من أيام رجب عام ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م **جاءني بالبينات على ثبوت اتِّهامها بالتصوف والخرافة والبدعة** -بل والشرك- مَن هو أعرف منِّي بهذه الجماعة، وأسبق مني إليها، وأكثر التصاقًا بمناهجها ومشايخها، واعترف لي بمبايعته، وعدد من أبناء جزيرة العرب من الرجال والنساء للأمير العام في دلهي، على الطرق الصوفيَّة الأربعة في الهند، وأطلعني على كتاب «تبليغي نصاب» منهج التبليغي غير العربي، ونصوصه البدعية والخرافية والشِّركية.

---

(١) ستأتي هذه الشهادة والتي قبلها قريبًا.

(٢) طلب منِّي مؤلِّفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنْ أقرأه قبل الطبعة الثامنة له وأن أزوّده بملاحظاتي عليه، وقد فعلتُ، ونشره دون اسمه هو، وأثبت على طرة الغلاف ما رسمه: «راجعه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان»، فظن بعضهم أنّه مِن تأليفي، ووجدت بعضَ أحبابي ينقل منه فقراتٍ ينسبها إليّ!

ولم يكن بُدٌّ مِن قَبُول الحق بعد ما تَبَيَّن، وأعانني الله على تخطي حاجز التعصب لرأيي السابق، والتحزب، فبادرتُ إلى تحذير أهلها ومؤيِّديها، ولما رأيتُ إصرارًا على الباطل -وهذا حال جميع (التبليغيِّين)- بادرت إلى تحذير غيرهم من أخطائها وأخطارها.

فأرجو من الله أن يقتنع كل تبليغي بهذا التصريح، ويتوب إلى الله، ويبادر إلى تحذير إخواننا المخدوعين من هذا التصوف؛ لأن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل»[1].

○ الشهادة الثالثة:

يقول الشيخ عباس الشرقاوي بعد أن عاش معهم مدة ثماني سنوات، وهداه الله -تعالى- إلى منهج الحق، **فتكلَّم عنهم في شريطين:**

الأول: الصوفيَّة في إطارها الجديد.

والثاني: أتباع إلياس.

ولقد قال فيهما: «**لو أظهرت باطنها للناس لما قبلها بسطاؤهم**[2] **وعوامهم**

---

(١) «حقيقة الدعوة إلى الله» (ص٣٩-٤٠).

(٢) استخدام (البساطة) و(التبسيط) بمعنى (التسهيل) مِن الأخطاء الشنيعة، وقولهم: (مسألة بسيطة... هذا شيء بسيط... تكلّم ببساطة... وهذا لا يعتقده إلّا البُسطاء...) خطأ.

قال صاحب «اللسان»: «ورجل بسيط: منبسط بلسانه، وقد بسُط بِساطة».

قال الليث: «البسيط: الرجل المنبسط اللسان، والمرأة بسيط، ورجل بسيط اليدين: منبسط بالمعروف، وبسيط الوجه: متهلل، وجمعها: بُسُط».

قلتُ: فقد رأيتَ أنّ (البساطة) لا تدلّ على ما يُريد المتكلّم بها، وذلك بعيد عن استعمال العرب، بل هو ضدّه؛ لأنّ البسيط في اللّغة هو الواسع، ومِن أجلِ ذلك سُمِّيَت الأرضُ (البسيطة)؛ لسعتها.

وأصل هذا الخطأ آتٍ مِن اصطلاح الأطبّاء في تسميتِهم الدّواء الذي هو من مادة واحدة (بسيطًا)، ويُقابله (المُركَّب) الذي يتألّف من أجزاء، كل جزء من مادة، وقد=

وجهالهم، فضلًا عن علمائهم، واعلموا أن الكلام الذي يُعطى للذي يَمشي فيها فترة ليس هو الذي يُعطى للمبتدئين فيها.

لقد بلغ مِن بعضهم أن قال: لو خرج محمد إلياس من قبره، وقال: إن هذا المنهج ضالٌّ؛ فاتركُه، لا نتركُه؛ لأنه حقٌّ محض!

وقال أحدهم عندنا: **لو دخلت (جماعة التَّبليغ) النار لدخلت معها!**

فبشِّر هذا المخدوع بقول النبي ﷺ: «**المرءُ مع مَن أحب**»[1]، وننصحه بأن يطلع جيدًا على حقيقة هذه الجماعة، قبل أن يغلُو في محبتها».

○ الشهادة الرابعة:

يقول الشيخ نزار بن إبراهيم الجربوع في كتابه «وقفات» (ص ١٧): «**لقد خالفتْ (جماعةُ التَّبليغ) المنهجَ الشرعي في دعوتها ونشاطها مخالفةً جوهرية:**

منها: انتهاجُها المنهجَ الصوفي في عقيدتها، ودعوتها، وعباداتها، وفي سلوك أفرادها، وأمرائها، ومشايخها؛ إذ تَكثرُ في أفراد الجماعة -وخاصة الأعاجم-: البدعُ والشركيات والحجب والتمائم، التي تكثر فيها الطلاسم، وهذا أمر قد عمَّ وطمَّ في شبه القارة الهندية، **وقد فتحتُ كثيرًا منها، فرأيتُ فيها العُجاب مِن: خطوطٍ ورسوم ومربعات ومثلثات ولفائفَ**، وفي بعضها: آيات من القرآن مع بعض الطلاسم والخطوط غير المعروفة، وفي كثير منها المناداة بأسامي

= استعمله الفلاسفة -أيضًا-، **فقسَّموا الجهل إلى قسمين**: (جهل بسيط)، و(جهل مركّب)، **والأوّل**: أن يكون الشخص جاهلًا، ويعلم أنه جاهل، وقولهم: (بسيط) ترجمة للكلمة الأجنبية (simple)؛ يُرادُ به: شيء سهل غير مركّب، غير معقّد، وأخذ منه كثير من الناس (بسَّطه) -بتشديد السين-: جعله بسيطًا؛ أي: سهلًا غير معقّد، أو قليلًا، أو حقيرًا، وكل ذلك خطأ شهير، وضلال مُبين.

انظر: «تقويم اللِّسانين» (ص ٥٠-٥١، ١٦٧- بتحقيقي) للدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

(١) أخرجَهُ البخاريُّ (٦١٦٩)، ومُسلم (٢٦٤٠) مِن حديثِ ابنِ مسعود.

وأخرجَهُ البخاريُّ (٦١٧٠)، ومُسلم (٢٦٤١) مِن حديث أبِي موسى الأشعريِّ.

غريبة، مثل: (يا شداد! يا بدوح!)، وكثيرًا ما وجدت المناداة بهذا الاسم (يا بدوح!).

وكذلك اعتقادهم بأصحاب المشاهد والقبور، والاستغاثة بهم، ودعائهم، والتبرك بأضرحتهم، يتبيَّن هذا بوضوح لمن رافقهم في بلادهم، مظهرًا لهم الموافقة على أفعالهم».

قال أبو عُبيدة: لا أُريد أن أطيل بالشهادات، فالأربع منها كافٍ لإقامةِ حَدٍّ، والمذكورون هم مِن أهل العلم الذين يقدِّرون معنى شهادتهم وخطورة كلامهم، وما قالوه وشهدوا به إلا نصرةً للمعتقَد الصحيح والسنة، **ومنهج أهلها**.

فإياك أنْ تقلل مِن شأن هذه الشهادات، فهي مهمة وصريحة في التدليل على المطلوب، وهو: إنّ **(جماعة التَّبليغ) دعوةٌ صوفيَّة عصرية** كما قال شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ، وجماعةٌ مِن إخوانه العارفين بهم.

○ الفرق بين الخروج والدعوة إلى الله:

اعتقادُ الفرقِ بين (الخروج) و(الدعوة إلى الله)، أو تَحسسُه: **هو بداية الشفاء من المرض التبليغي**، وهذا أمر ميؤوس منه في حق المتعصِّبين (القدماء) كما يطلقون عليهم.

ثم يبدأ المفرِّق بالسؤال الضروري: عن التأصيل الشرعي لنظام التبليغيين، فيجد أنه لا أصل له، فلا معنى لقولهم (إن نجاحنا وفلاحنا...)؛ فإنّ النجاح والفلاح غير متحقِّق في (المنهج التبليغي)، وهو فراغ علمي وعملي يقضون فيه أوقاتهم، مع وجود حظوظ للنفس في التنقل والتجوال، مع ألقاب لا تُستحق، وتبجيل وثناء لا حقيقة له، ولا فائدة معه[1]!

○ الكثرة والنشاط والتبعية ليست دليلًا على صحّة المنهج:

تلمس مِن مؤاخذات الشيخ سعد الحصين على كتاب الهلالي: أن للتبليغيين

(١) بيَّنتُ هذا مفصَّلًا في كتابي «الإمام الألباني وجماعة التبليغ» فانظره غير مأمور.

أثرًا في الإصلاح، ولكنه في رسالة له إلى الشيخ راشد بن حمد بن راشد المري مؤرَّخة بـ١٠/ ١١/ ١٤١١هـ، **يقول فيها بعد كلام:**

«كون جماعة التبليغ أكثرَ الجماعات تبعيةً -كما ذكرتُم- لا يعطيها أي ميزة شرعية، بل إنّ كثرة التبعية دليل غالب على الضلال[1] الذي لا تعارضه النفس ولا يعارضه الشيطان: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤]، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، ولا يصح اتِّخاذ العدد دليلًا على أي حال، فإن النَّبيَّ يأتي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد، وأولُ أولي العزم من الرسل نوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، بعد أن لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا»، **ويقول -أيضًا-:**

«والنشاط في الحركة والدعوة ليس دليلًا على صحة المنهج، فأهل الضلال عمومًا أنشط من أهل الحق؛ لأن النفس الأمَّارة بالسوء -إلا ما رحم ربي- والشيطان يزينان الباطل ويثبطان عن الحق، وقد قال رسول الله ﷺ: **«وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»**[2]، وهي الطائفة التي لا تزال على الحق منصورة،لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم -وإن كثروا-»، **ويقول -أيضًا- على إثره مباشرة:**

«أمّا أنَّ لهم فضلًا في هداية بعض الناس: فلا شك أن المنهج الفاسد يَلقى أقل معارضة من النفس والشيطان، وعلى هذا يَلقى المتصوفة والشيعة قبولًا أكثر من أهل السُّنَّة، وإذا ضَمِنَت النفسُ والشيطان فسادَ المعتَقد والمنهج،

(١) ألَّف فضيلة الشيخ محمود بن عطية كتابًا بعنوان «القلة المحمودة والكثرة المذمومة في ضوء الكتاب والسنة»، وهو مطبوع عن دار البلاغ - دبي، وللباحث توفيق علي زبادي «منهج القرآن الكريم في مدح القلة وذم الكثرة»، وهو مطبوع -أيضًا-.

(٢) سبق تخريجه، **وهو صحيح.**

فلا أهمية لصلاح غيره، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٤]، **ولقد لَمست خلال اشتراكي مع الجماعة كثرة التساهل في المعتقد والتشدُّد فيما دونه، خلاف شرع الله:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، ويكفي النفس والشيطان أن يطرأ اللين في المعتقد على جزيرة العرب (الملاذ الأخير) في أي مقابل.

ثم إن نشاط جماعة التبليغ -وغيرها من الفرق والأحزاب- في العقدين الماضيين؛ نتيجة لا سببٌ لِما يُسمَّى الصحوة، وقد قضت أربعين سنة في الركود والخمول ثم نشطت مع الجميع، والفضل لله وحده في الاتجاه الديني الحاضر وإن ادّعاه كلٌّ لحزبه»، ويقول -أيضًا-:

«أما إن بعض العلماء في السعودية أو غيرها قد أيَّد الجماعة، **فلا يُعرف عالمٌ يُعتدُّ به خرج مع الجماعة ثم زكَّاها**، وإنما يأخذ بعض العلماء بتزكية بعض أفرادها لها، ومبالغتهم في ذكر إنجازها، وستر عيوبها، فيصدر منهم تأييد لها، وقد حذّر منها عدد أكبر من العلماء، منهم المشايخ: حمود التويجري، وعبدالرزاق عفيفي، وصالح اللحيدان، وعبدالله الغديان، وصالح الفوزان، من هيئة كبار العلماء، وغيرهم من طلاب العلم الذين رافقوهم شهورًا وأعوامًا وانقطعوا لدعوتهم، حتى أمن مشايخهم منهم، فأظهروا الجانب الخفيَّ من دعوتهم وبِدعهم، فأعلنوا مبايعتهم على التصوف، وأطلعوا الناس على النصوص الشركية والخرافية والبدعية في مناهجهم، وبخاصة «تبليغي نصاب».

وقد كنتُ وقعتُ في تأييدهم وتزكيتهم لدى العلماء ودافعت عنهم، حتى اطَّلعتُ على ما خفي عليَّ من فساد الجماعة، هداناالله وإياهم».

○ تحذير:

احذر أن تنظر إلى الأخطاء على أنها شخصية، فالأخطاء التي هي ظاهرة

عامَّة بين جميع أفراد الجماعة تحتاج إلى **معالجة من القائمين على الدعوة، وتجهيل أفراد التبليغ أمر مقصود من قبل الكبراء من الدعوة، ومحاولة التسكيت بإنشاء مدارس، إنما هو ذرٌّ للرماد في العيون!**

ومن الأخطاء التي انتبه لها الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قوله: «أما وقد عرفت التزام أمرائهم بالتصوف، **فلم يعد من شك في أنه مصدر الخطأ في معرفة مقصد (لا إله إلا الله)**...» إلى آخر كلامه المتقدِّم[١].

فإياك أن تنظر إلى الأخطاء على أنها مبعثرة ولا جامع بينها، بل هي تُرد إلى أصل واحد، **وهو الجهل بالتوحيد، مع قيام الحُجَّة عليهم**، ومكاتبة العلماء لهم، بما فيهم الشيخ سعد الحصين -نفسه-، فقد كاتب في ٩/ ٩/ ١٤٠٤هـ أمير جماعة التبليغ -آنذاك- الشيخ إنعام الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وكتب إليه ما نصُّه**[٢]:

❍ مكاتبة الشيخ سعد الحصين إلى الشيخ إنعام الحسن:

من: سعد الحصين.

إلى: الأخ في الإسلام الشيخ إنعام الحسن -هدانا الله وإياه إلى اتباع السُّنَّة، وأعاذنا وإياه من البدعة-.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. **وبعد:**

فقد أزعجنا كثيرًا أنْ أكّد لنا بعض الإخوة الملتزمين بالدعوة، المضحِّين من أجلها، أنكم بايعتموهم وعددًا من الإخوة جماعة الدعوة في الجزيرة العربية، وآلاف من الأعاجم، على أربع طرق صوفية.

وقد أُثيرت شائعات كثيرة -مِن قبلُ- حول هذا الموضوع، **وأنّ لأمير الدعوة وقدمائها من العجم وجهين:**

أحدَهما: يَظهرون به لأهل نَجد والملتزمين بالسنة.

---

(١) انظره (ص ٨٠).

(٢) انظر الرسالة بخطِّه: في وثيقة رقم (٧) آخر الكتاب.

والآخر: يَظهرون به لِمن أَلِفُوا البدعة من الأعاجم وأهل الأمصار، وغلبنا حسن الظن بكم مادام عنوانكم: «إن نجاحنا وفلاحنا باتباع أمر الله والسير على طريق رسوله ﷺ»، طريق رسول الله ﷺ واحدة، وهذه أربع طرق، فأيّ واحدة منها تسير على طريق رسول الله؟ ولماذا نحتضن الثلاث الخارجة عن طريقه؟ وإذا كانت كلها على طريقه، فلماذا تعددت؟

طريق رسول الله ﷺ الذي رسمه بكلامه الصريح الواضح تقوم على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، «**عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدَثة بِدعة، وكلَّ بِدعة ضَلالة**»(١)، اسألوا أنفسكم، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون: بَعْدَ كَمْ قرن من موت النبي ﷺ أُحدثت الصوفية؟ وإلى أي مدى من الانحراف عن السُّنَّة ثم الشرك والإلحاد أوصلت المسلمين، ونقلتهم من الحنيفية السمحة إلى الطقوس والطلاسم المعقدة، والتوجُّه إلى المخلوق بادعاء الولاية بدلًا من الاتِّجاه إلى الخالق الذي لا يرضى لعباده الواسطة في عبادته، ولو قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]؟ وما هي العبادة إن لم تكن الطاعة؛ كما فسَّر بها النبي ﷺ قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٢) [التوبة:٣١]؟

وقد رأينا كيف دبّ هذا الانحراف إلى بعض إخواننا من الجماعة الذين لا نعرف أنّهم وقعوا في بدعة البيعة، فلا يتزوج أحدهم أو يبني بيتًا أو يغير وظيفته إلا بعد موافقة أمير الجماعة.

ثم لماذا يُخَصّ العرب بـ«رياض الصالحين» الذي تلقَّته الأمّة بالقبول واعتبرته أصحَّ الكتب في موضوعه، ويُخَصّ العجم بـ«تبليغي نصاب» المليء

(١) الحديث صحيح، وخرجته في تعليقي على «الموافقات» (٤/ ١٣٣ - ١٣٤).
(٢) سيأتي تخريجه في التعليق على (ص٢٦٢).

بالخرافات والأحاديث الضعيفة، والذي يُعلِّم جماعةَ الدعوة من العجم الشرك الأكبر، بطلب الشفاعة من النبي ﷺ دون الله؟

والله ورسولُه قد بيّنا بيانًا واضحًا أنّ الشفاعة بيد الله وحدَه، يعطيها مَن يشاء لمن يشاء يوم القيامة، وأعلى الشفعاء مرتبة وأعظمهم شفاعةً: رسولُ الله ﷺ، لكنّه لا يَشفع إلَّا بإذن الله، ولا يُشفع في كل مَن شَفع لهم كما يتبين من الآيات الكثيرة، وأقربُها: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٨٠].

ومن الأحاديث الكثيرة، وأقربُها: «أنه يرى فريقًا من أمَّته يُذادون عن الحوض فيقول: **يا ربِّي أُمَّتي أُمَّتي! فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فيقول: سحقًا سحقًا**»(١)، أرجو الله ألا تكونوا وألا نكون منهم.

ولكن الصوفية حدث في الدين، وشرع فيه لم يأذن به الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكمل دينه، وأي حدث فيه اتِّهام له بعدم الكمال، ورسول الله ﷺ قد سنَّ لنا من الذِّكر ووعدنا من الأجر ما يغنينا عن دروشة الصوفية وانفعالاتها وتشنجاتها، ولو كان فيها خير لَجاء به الرسول، فليس من خير إلَّا حضَّ عليه، ولَبادر إلى عمله الصحابة ومتابعو السُّنَّة في القرون المفضلة.

وخير لنا أن نثبت على ما ثبتوا عليه، حتى لقوا الله راضيًا عنهم، بدلًا من أن نَتبع العوام وأشباههم، وأغلب المتصوِّفة منهم، وبدلًا من متابعة المنحرفين عن منهج الرسول القدوة، بعد أن دخلت الفلسفة اليونانية فأفسدت معتقدات علماء الصوفية، نستغفر الله من كلِّ خطأ أو زلل، وخاصة بغضنا وتطاولنا على من حذَّرنا من الوجه الخفي لبعض القائمين على الدعوة، قبل أن تظهر لنا الحقيقة المرّة، ونعوذ بالله من التعصُّب للباطل.

---

(١) سيأتي تخريجه في التعليق على (ص٣٠٦).

ونجد أنفسنا بين أمرين لا ثالث لهما:

الأول: إزالة المنكر من منهج الدعوة، وخاصة ما أحدث بعد محمد إلياس رَحِمَهُ اللَّهُ، وخاصة «تبليغي نصاب»، وعدم تعريض الدُّعاة من العرب والعجم لبدعة الصوفية، وتوبة الشيخ القاضي عبدالقادر من شِرْكه المتمثّل في كتابة التمائم المملوءة بالطلاسم أو إبعاده عن المركز في رائي وند، غفر الله لنا وللجميع.

الثاني: أن نحاول -بعون الله وحوله وقوته- عزل الدعوة عن مركزها في القارة الهندية، وبيان ضلال الضَّالين من القائمين عليها، والتحذير منهم، ردًّا على ما فعلناه من قبلُ مِن الذبِّ عنهم **عندما كنَّا على جهل بالخفيّ من أحوالهم، ونبرأ إلى الله مِن كل بدعة وصاحبِها، هذا ما ندين الله به، وسيسألنا الله عنه**، ونرجوه مخلصين أن يخفف عنا الحساب والعقاب.

أما علاقتنا بالدعوة فستكون -بحول الله- أقوى ممَّا كانت بعد تنقيتها من البدعة والجهل، وليست ملكًا لأحد، ونرجو الله لها مستقبلًا أجود من ماضيها، بعد أن كان الدخل فيها يصد عنها أكثرية طلاب العلم الشرعي الحريصين على صحة العقيدة وسلامة المنهج.

ونحن لا نطلب شططًا، لا نطلب إلَّا العودة بالدعوة إلى منهج النبي ﷺ، بلا صوفية ولا شرك ولا خرافة، ولا كتاب «حياة الصحابة» المليء بالأحاديث الضعيفة، التي لا يجوز وضعها بين يدي العوام، الذين يتقبلونها بلا تمحيص، عجزًا عنه وثقةً فيمن وضعها بين أيديهم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب وخطأ وزلل.

وأرجو الله أن **يعيذنا ويعيذ دعوتنا من شياطين الإنس والجن**، وأن يعيننا على إدراك الحق والثبات عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعد الحصين

الملحق الديني بالأردن

٩ / ٩ / ١٤٠٤هـ

❍ **نصيحة لكل مشفق:**

أنصح لإخواني طلبة العلم خاصة أن يتثبتوا مِن كل ما يصلهم، ولا سيما ما يخص الجماعات، وأن يتأنوا في الحكم، وأن يلزموا غرز العلماء، وأن لا يحيدوا عنه، وأن يبتعدوا عن المؤثرات النفسية، والميولات القلبية، فإن الأمر خطير، فإنه الدين الذي أنزله الله من السماء على قلب سيد البشر ﷺ.

❍ **دعوة التبليغ ودعوة محمد تقي الدين الهلالي:**

أتعرض أخيرًا لقول الشيخ سعد الحصين -غفر الله له ورحمه وأسكنه فسيح جنانه- في آخر رسالته للشيخ محمد تقي الدين الهلالي:

«ولكنني بالمقَارنة بين ما أنتجه الأخ تقي الدين الهلالي والأخ محمد أسلم في سبيل الدعوة الرسمية، وما قدمه الأخ أبو الحسن النَّدْوي وجماعة التبليغ في سبيل الدعوة الشخصية؛ أجد الفرق شاسعًا، ولعلِّي مخطئ في ظنِّي أن الباعث على العداء هو الحسد».

ففي هذا الكلام أشياء، أوجزها بالآتي، والله -سبحانه- الهادي:

أولًا: سبق -قريبًا- ما نقلناه عن الشيخ سعد نفسه أن النشاط والتبعية والأثر ليست دليلًا على صحة المنهج.

ثانيًا: أبو الحسن النَّدْوي -غفر الله له- من تلاميذ تقي الدين الهلالي، وأخذ من شيخه الهلالي ولازمه وتخرَّج عليه في ندوة العلماء في الهند[1]، ولم يكن الأستاذ يعلم أن تلميذه صوفي تبليغي، ولما علم ذلك أنكر عليه، وسيأتيك هذا في «السراج المنير»[2].

وقد ألَّف البحاثة النَّابه الشيخ صلاح الدين مقبول كتابه الجيد بعنوان «الأستاذ أبو الحسن الندوي، الوجه الآخر من كتاباته»، وخصَّ (الباب التاسع) بـ(التناقضات

---

(١) بيَّنتُ هذا في كتابي «رحلات تقي الدين الهلالي إلى الهند وأفغانستان» (٢/ ١٠٧٥).
(٢) انظره (ص٤٠٤).

في كتابات الأستاذ الندوي) و(الباب العاشر) بـ(الردود على الأستاذ الندوي) وبدأهم بأستاذه الهلالي، وسرد خمسة عشر عالمًا ممن ردَّ عليه، غفر الله لنا ولهم.

ثالثًا: قوله -غفر الله لي وله-: «ولعلي مخطئ في ظنِّي أن الباعث على العداء هو الحسد»!

فيواجه بقولي -غفر الله لي-: ولعل كلامه هذا هو من باب توسيع تحسين الظن بالتبليغيين! وثبت له ذلك بيقين، من غير ظن ولا تخمين، وأتساءل: ما هو الداعي للهلالي أن يحسد تلميذه أبا الحسن الندوي؟! وعلام يحسده؟! ويظهر ذلك جليًا من خلال كلامه الآتي في «السراج المنير».

ولا أريد تفويت هذه الفرصة المناسبة[1] للتفصيل في عناية تقي الدين الهلالي بالدعوة إلى الله -تعالى-، وبيان جهوده في ذلك.

---

(١) سائلًا الله عَزَّوَجَلَّ أن تكون في صحيفة الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فهو السبب في كتابتها، والدال على الخير كفاعله.

عناية تقي الدين الهلالي بالدعوة إلى الله -تعالى-

تقيُّ الدين الهلالي داعٍ إلى الله عَزَّوَجَلَّ على بصيرة، وحريص على تبليغ الإسلام ونشره في العالم كله، ويستخدم في نشره الطرق الشرعية، من التدريس والوعظ والخطابة والتأليف والترجمة[1] والمراسلة -حتى للمسؤولين والحكَّام- والإفتاء بواسطة الشِّعر والنثر، معتمدًا على الدروس في المساجد والمعاهد والجامعات ومحافل الناس العامة، ويغشى المجالس -التي لا يراها مشروعة- لتوصيل الإسلام إليها، **مثل**: الاجتماع في العزاء، وحفلات التأبين، **مثل**: ما حصل له في تأبين العلَّامة علَّال الفاسي، وقد رأيتُه ذكر ذلك[2]، **فقال**:

«في صيف سنة ٩٤ كتب إليَّ أحد زعماء حزب الاستقلال السيد عمر ابن عبدالجليل[3]، وكان يعرفني من قبل، اجتمعنا في بيت الأمير شَكيب

---

(١) لصاحب هذه السطور كتاب مطبوع بعنوان «جهود محمد تقي الدين الهلالي في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية، وبيان أغلاط المترجمين، والرد على المنتقدين» في (٧٤٨) صفحة.

(٢) في ترجمته الذاتية الأولى، وقد وضعتها في (مطلع) «ترجمتي» المطوَّلة له.

(٣) عمر بن عبدالجليل، من مواليد فاس سنة ١٩٠٧م، وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي، ثم أكمل دراساته العليا في مونبيلي بفرنسا، ثم انخرط في المعترك السياسي غداة ظهير ١٦ ماي ١٩٣٠م حين أصدرت فرنسا الظهير البربري، وساهم في تحرير «المجلة الوطنية» بالمغرب، ثم نفي في خريف ١٩٣٧م إلى بلدة (بويزاكارن) في الجنوب المغربي، وبقي فيها إلى سنة ١٩٤١م، وسجن في سنة ١٩٥٠م من قبل السلطات الفرنسية، ولما حصل المغرب على الاستقلال، أسندت إليه وزارة الفلاحة، فوزارة التربية الوطنية، ومات في ماي ١٩٨٢م رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وألَّف أبو بكر القادري كتابًا في ترجمته بعنوان «الحاج عمر بن عبدالجليل»، وله ترجمة في «معلمة المغرب» (٧/ ٥٨٨٦).

أرسلان[1] رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٩٣٦ بتأريخ النصارى، وكان ذلك بعد وفاة الزعيم علّال الفاسي[2] رَحِمَهُ اللَّهُ، كتبَ إليّ من المغرب إلى المدينة يطلب منّي حضور

(١) وكان ذلك في جنيف - سويسرا، وفصّلت في العلاقة بينهما في خدمتي لكتاب «لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم»، وكذلك في تقديمي لكتاب الهلالي «رحلة من الزبير إلى لا أدري، من الزبير إلى جنيف»، وهما قيد الطبع.

(٢) هو علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال الفاسي، كان من رواد الحركة العلمية في المغرب، وهو زعيم وطني، من كبار الخطباء، وُلِد بفاس سنة (١٣٢٦هـ يوافق ١٩٠٨م)، وتوفي سنة (١٣٩٤هـ يوافق ١٩٧٤م)، وعارض سلطات الاستعمار الفرنسية حين أصدرت الظهير البربري سنة (١٩٣٠م)، وهاج معه أهل المغرب، وللهلالي موقف من هذا «الظهير».

وبعد نفي فرنسا له إلى الغابون سنة (١٩٣٧-١٩٤١م)، نقل إلى الكونغو سنة (١٩٤١-١٩٤٦م)، وأطلق، فأنشأ مع بعض إخوانه حزب الاستقلال، وسافر إلى فرنسا، ثم إلى القاهرة، وتنقل في بعض العواصم، وهو على اتصال دائم بحزب الاستقلال في المغرب، وعاد إلى بلاده سنة (١٩٤٩م)، فمنعه الفرنسيون من دخولها، فأقام بطنجة، وكانت يومئذ دولية، ودعا إلى الثورة بعد إبعاد محمد الخامس سنة (١٩٥٣م)، وانفرد بزعامة الحزب بعد الاستقلال.

قال الأستاذ الأديب جعفر بن أحمد الناصري في (ملحق تراجم من لازم دروس أبي شعيب الدُّكالي الحديثية) ضمن كتابه «ترجمة شيخنا العلّامة المحدِّث أبي شعيب الدُّكالي» (ص٩٧) في التعريف:

«يُعتبر العلّامة المجاهد محمد علال الفاسي رائدًا أغر من رواد الحركة الوطنية المغربية الأوائل، ومكافحًا بارزًا من مكافحيها الأبرار الأبطال، وشامة على جبينها المُشرِق الناصع، وكوكبًا من كواكبها اللمّاعة؛ فقد أسس مع نخبة من زملائه الشبان أعلام النضال الوطني، **وتزعم الحركة الوطنية التي انبثقت عن الحركة السّلفية المباركة التي حمل لواءها شيخ الإسلام العلّامة المحدِّث أبو شعيب الدكالي، وسار على نهجه ودربه.**

عُيِّن وزيرًا للدولة مكلفًا بالشؤون الإسلامية، وذلك في عام (١٣٨٠هـ)، ثم انسحب من الحكومة صحبة رفقائه في حزب الاستقلال، وذلك في عام (١٣٨٢هـ).

وعُيِّن كذلك أستاذًا بكلية الشريعة التابعة لجامعة القرويين بظهر المهراس بفاس، وبكليتي الحقوق والآداب التابعتين لجامعة محمد الخامس بالرباط، وبدار الحديث الحسنية بالعاصمة الإدارية، وكان عضوًا مقررًا عامًّا في لجنة مدونة الفقه الإسلامي التي شكلت في فجر الاستقلال».

وكانت لحركة علال الفاسي ثمرة مهمة على بلاد المغرب، **وكانت سببًا قويًّا لانتشار**=

الاحتفال بمرور أربعين يومًا على وفاة الزعيم علال الفاسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأجبْتُه إلى طلبه، وقدمتُ المغرب، وحضرت ذلك الاحتفال **بقصد الأمر بالمعروف والدعوة والإرشاد**، مع أنِّي أكره هذه العادة المأخوذة من اليهود -ومن قرأ «التوراة» يعرف ذلك-، وكان ابتداء الاحتفال بعد صلاة الظُّهر بالنسبة إلى المصلين لو كان هناك مصلُّون!! ولكن من سوء الحظِّ أنني خرجت من ذلك الاحتفال، وصلَّيت العصر أنا ورفيقي وشخصٌ آخر، ولمَّا وصل وقت المغرب خرجنا من الاحتفال وصلَّينا المغرب والعشاء، ولم نَرَ أحدًا اهتمَّ بالصلاة، فبدأ الاحتفال بعد الظهر بإلقاء كلمة جلالة الملك الحسن الثاني -وفَّقَه الله للخير وأعانه عليه-، ثم قام الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، فألقى حديثًا طويلًا ذكر فيه الزعيم علَّالًا الفاسي وأثنى عليه وذكر مناقبه، ومنها أعماله السياسية وما أصابه من المحن بسببها، ولما فرغ من خطبته قام الدكتور مولود قاسم[1] وزير الشؤون الإسلامية في الجزائر وألقى حديثَه، وذكر مناقب الزعيم الراحل ونوَّه بفضل الإسلام، والدكتور مولود قاسم كنت

= **الدعوة السَّلفية، فالحركة الوطنية المغربية وفِّقت لرفع راية الدعوة السَّلفية، ومحاربة الطُّرقيين والبدع، وكان ذلك في بداية أمرها.**

انظر: «الأعلام» (٤/ ٢٤٦-٢٤٧)، ولعبد الكريم غلاب «ملامح من شخصية علال الفاسي»، وينظر -لزامًا-: «الحركات الاستقلالية في المغرب العربي»، (١٥٣-١٥٨) لعلال الفاسي، وما زبرناه في كتابنا «رسائل الهلالي الشخصية» (٣/ ١٣٥٠-١٣٦٢، ط الأولى) (مهم).

(١) هو مولود قاسم بلقاسم، ولد في بلعيال، إحدى قرى جبال بني عباس في الجزائر سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م، وتخرَّج من جامعة الزيتونة سنة ١٣٧٠هـ، ودرس الفلسفة في كلية الآداب بالقاهرة، وعمل في عدة بلدان أوروبية، وكان لغويًّا ضليعًا، وكلِّف بالإعداد لإنشاء مجمع اللغة العربية بالجزائر، لكن المنية عاجلته قبل أن يحقق هذا الأمل، توفي في ٢٨ صفر ١٤١٣هـ - ٢٧ آب ١٩٩٢م.

وكتب عنه أحمد بن نعمان كتابًا منشورًا بعنوان «مولود قاسم نايت بلقاسم، حياته وآثاره، شهادات ومواقف».

له ترجمة في: «أعلام الفكر والثقافة في الجزائر» (١/ ٦٧)، «مصابيح العصر والتراث» (٢٠٣).

أعرفه من قبل، فإنني لما سافرت إلى الجزائر أثناء إقامتي بالمدينة، وهي من سنة ٨٨ إلى آخر سنة ٩٤، وأكرمني الدكتور مولود قاسم حين زرته بمكتبه، وقال لي: أخبرني بالبلدان الجزائرية التي تريد أن تلقِيَ فيها دروس وعظ لأهيّئ لك ذلك. فوفّى بوعده، فألقيت دروس وعظ في بعض مدن الجزائر، منها الجزائر نفسها المدينة، ومنها مدينة المَشريَّة[1] التي يقطنُها إخواني -سابقًا- في الطريقة التجانية، وقد ذكرت في كتابي «الدعوة إلى الله»[2] -فيما أظنُّ- أنّي لما زرتها للمرة الأولى كتبت إلى توفيق المدني[3] وزير الأوقاف في الجزائر،

(١) المشرية حديثة في بنائها، وظهر فيها البناء بعد دخول فرنسا، وأنشئ فيها سكة الحديد ومحطة القطار في سنة ١٨٨١م، أمّا اسمها القديم؛ فكان يطلق عليها (منبع مائي)، قريبة من الثكنة العسكرية التي بناها الاستعمار فيما بعد، وكان يحدث عليها نزاع بين القبائل؛ فاشتراها (سيدي سليمان بوسماحة)، وسبَّلها للقبائل جميعها، قطعًا للنزاع؛ فسميت (المشرية)، أفاده أخونا أبو محمد سمير بن سمراد الوهراني في تعليقه على «الطرائق القدد» (ص ١١-مرقوم)، وصدر حديثًا عن دار اللؤلؤة في بيروت.

(٢) لم يذكر تقي الدين الهلالي ذلك في كتاب «الدعوة إلى الله»!!

(٣) هو أحمد توفيق المدني، ولد بتونس العاصمة سنة ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م، لأبوين مهاجرين من الجزائر، تلقى تعليمه الثانوي بالمعهد الخلدوني، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة وتلقى فيه تعليمه العالي، وقد عيِّن وزيرًا للشؤون الثقافية في الحكومة الجزائرية المؤقتة، ثم ممثلًا بدرجة سفير لدى الجمهورية العربية المتحدة (مصر)، وجامعة الدول العربية، فوزيرًا للأوقاف في حكومتين متتاليتين للجزائر بعد الاستقلال، ثم سفيرًا لها فوق العادة في العراق وتركيا وإيران، وانتخب لعضوية مجمع اللغة العربية، وإلى جانب نشاطه السياسي فقد كان له نشاط علمي، من مقالات في المجلات التي عمل بتحريرها أو في دوريات أخرى، ساهم في إنشاء المركز الوطني للدراسات التاريخية، عكف على كتابة تاريخ نضاله الطويل ومذكراته، وصدرت في أربعة مجلدات تحت عنوان «حياة كفاح»، وقد نُقد من قبل الأديب محمد الطاهر الفضلاء في كتابه «التحريف والتزييف في كتاب «حياة كفاح» لأحمد توفيق المدني»، وله عدة مؤلفات، توفي سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

له ترجمة في: «المجمعيون في خمسين عامًا» (ص ٣٦)، «أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر» (ص٦٠٤)، «مشاهير التونسيين» (ص ١١٤)، «التراث المجمعي» (ص ١٦٧).

والتمست منه الإذن في الوعظ فلم يُجِبْني مع أنه يعرفني حقَّ المعرفة، ولذلك لم أُعْطِ شيئًا من الدروس تلك المرَّة في الجزائر، ومع ذلك غَضِبَ التجانيون من انتقادي لطريقتهم، وبعثوا وفدًا إلى رجال الحكومة في الجزائر، وزعموا أنّي تكلَّمْتُ في السياسة، وأنا مغربيٌّ بعيد الحرب بين المغاربة والجزائريين، وأحدثتُ تفرقة في سكان المشرية، وذهبَتْ وشايتُهم أدراجَ الرياح، أما في هذه المرة فقد جئت في سيَّارة حكومية من وزارة شريف بلقاسم[1] يسوقها موظَّف من تلك الوزارة؛ فوقعَ الرُّعب في قلوب التجانيين، وظنُّوا أني سأشبِعُهم شتائمَ هم وشيخَهم وطريقتَهم، فلما ألقيت الدروس في المساجد لم أَزِدْ على انتقاد طريقتهم انتقادًا علميًّا مبنيًّا على قواعد الكتاب والسنة؛ ففرحوا فرحًا عظيمًا، ونفَّسْتُ عنهم كربةً، لأنهم كانوا كالذي يتوقَّع ضرب العنق من قبل عدوِّه؛ فاكتفى عدوُّه بصفع قفاه وجلد ظهره، ومما زاد في إكرام الدكتور مولود قاسم لي أنه علم أنّي درست في ألمانيا، وهو -أيضًا- درس فيها؛ فحدَّثني باللغة الألمانية وحدَّثْتُه بها، وهذا من فوائد معرفة اللغات، وما أحسن قول الشاعر:

بقَدْرِ لُغاتِ المَرْءِ يَكْثُرُ نَفْعُهُ ... وَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ الشَّدائِدِ أَعْوانُ
فَبادِرْ إِلى حِفْظِ اللُّغاتِ مُسارِعًا ... فَكُلُّ لِسانٍ في الحَقيقَةِ إِنْسانُ[2]

ويقال: «من عرف لسان قوم، أمن مكرهم»، أزيد عليه أنا: «ونال برَّهم».

ثم نعود إلى تأبين الزعيم علال الفاسي: تعاقب الخطباء والخطيبات، ولم يكن هنالك نظامٌ يحدِّدُ لكلِّ خطيب وقتًا معينًا، وكان أقرب الخطباء

---

(١) وُلد شريف بلقاسم عام ١٩٣٣م في عين بيضاء، وكان ضابطًا عسكريًّا في جيش التحرير الوطني الجزائري خلال الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، وكان يعهد من قبل باسم (جمال) الاسم الحربي، بعد الاستقلال تقلَّد عدة مناصب منها: وزير الدولة، كذلك كان عضوًا في جبهة التحرير الوطني الجزائرية، توفي في المستشفى الأميركي في باريس في ٢٣ يوليو ٢٠٠٩ بعد صراع طويل مع السقم.

(٢) لصفي الدين الحلي في «ديوانه» (٦٦٩)، وهي فيه:

بقدرِ لغاتِ المرءِ يكثُرُ نفعُه ... فتلكَ له عندَ الملمَّات أعوانُ
تَهَافَتْ على حفظِ اللُّغاتِ مجاهدًا ... فكلُّ لسانٍ في الحقيقةِ إنسانُ

والخطيبات إلى قلوب السامعين أكثرهم مدحًا للزعيم الراحل، فهذا يأخذ من الوقت ما شاء، ولا يرى إلا الوجوه المتهلِّلة والتصفيق الشديد، فلما جاءت نوبتي؛ خالفتُ كلَّ الخطباء والخطيبات، فبدل أن أقول مقتديًا بالأوربيين: «سيداتي آنساتي سادتي»؛ بدأت بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، والثناء على الله -تعالى-، والصلاة على نبيه الكريم، وعبْتُ على أولئك الخطباء تقليدَهم للأوربيين، وتركهم لسنة النبيِّ والسلف الصالح؛ الذي به يحقُّ الافتخار، وبمخالفته يحقُّ الانكسار، ثم ذكرْتُ شيئًا من مناقب الزعيم الراحل، ثم قلت لهم: «أيُّها الإخوان المستمعون! إني لاحظْتُ أن جميع الخطباء تكلَّموا في ناحيةٍ واحدةٍ من نواحي سيرة هذا الزَّعيم العظيم؛ وهي الناحية السياسية، **وأهملوا أعظمَ ناحيةٍ في سيرته؛ وهي العقيدة، وهي سبب نجاحه في جهاده**، فلذلك؛ أردْتُ أن أتكلم فيها»، فشرعت في بيان عقيدة التوحيد، وذكرت أقسامه الأربعة، ثم أخذت أبيِّنُها بالتفصيل، فغضب المحتفلون غضبًا شديدًا؛ لأنِّي -بزعمهم- خرجت عن الموضوع، وجعلَتْ مراجلُهم تغلي من الغضب، وتشاوروا فيما بينهم كيف يحلُّون هذه المشكلة، ثمَّ اتفقوا على رأيٍ؛ وهو أن يمنعوني ويجبروني على الانصراف، هذا؛ وأنا على منبرٍ عالٍ، ومكبرة الصوت أمامي، فأرسلوا إليَّ رجلًا؛ فقال لي: نرجو أن تختمَ هذا الحديث.

فقلت: ما مقصودُك بالختم؟ هل أترك الكلام قبل أن أفصِّلَ ما أجملْتُ؟ أم تريد منِّي الاختصار؟ قال: بل أريد أن تسكت وتنصرف.

قلت له: سمعنا وعصينا، إن رؤساءك كتبوا إليَّ من الرباط إلى المدينة النبوية لأجل هذا الحديث، وقد قطعْتُ آلاف الأميال، ثم تريد أن تُسكِتَني! والله! لا أبرح هذا المكان، ولا أقطع حديثي حتى أتمَّه أو تمنعوني بالعنف فأنصرف.

وعلمت -بعد ذلك- أنَّ رئيسهم الزعيم الأستاذ محمد بوستة[1] أشار إليه

---

(١) يلقب بـ(الحكيم الصامت)، ولد سنة ١٩٢٥م في مراكش، درس في جامعة السوربون بفرنسا، وتخصص في القانون والفلسفة؛ حيث أُرسل مع أقرانه في حزب الاستقلال لتحسين معارفه القانونية، ثم عاد إلى المغرب لتدريب المحامين أثناء انفصالية حزب=

أنِ اتركه؛ فبقيت حتى أتممت حديثي[1]، وهم يكادون يتميَّزون من الغيظ، وقال أحدهم لابن أختي الأستاذ محمد البكري: ماذا يقول خالُك؟ فقال: يقول كلامًا يكرَهُه من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

وأخبر السيد فؤاد الحسيني نائب السفير السعودي في الرباط أنه كان يراهم ويسمعهم يحترقون من الغضب، وهو في غاية السُّرور بما يسمع.

وكلٌّ من درس مبادئ حزب الاستقلال، ومحاربة رؤسائه في أوَّل أمرهم لعبادة

الاستقلال؛ حيث فتح مكتب محاماة في الدار البيضاء سنة ١٩٥٠م، وتخرج من مكتبه -هذا- العديد من المحامين المشهورين، وفي ١٢ مايو ١٩٥٨م عيِّن وزيرًا للدولة للشؤون الخارجية في حكومة بلفرج، ثم وزير الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري في مجلس محمد الخامس من ٢٧ مايو ١٩٦٠ إلى ١٦ مايو ١٩٦١م، وعيِّن في نفس المنصب من طرف الملك الحسن الثاني من ٢٦ فبراير ١٩٦١ إلى ٢ يونيو ١٩٦١م في مجلس الحسن الثاني، ومن ٢ يونيو ١٩٦١ إلى ٥ يناير ١٩٦٣م أثناء التدريب لمجلس الحسن الثاني، وعيِّن وزيرًا للعدل من ١٠ أكتوبر ١٩٧٧ إلى ٢٧ مارس ١٩٧٩م، وفي حكومة عثمان الثاني شغل منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية والتعاون، وجدِّد في نفس المنصب في حكومتي بوعبيد الأولى وبوعبيد الثانية بين عامي ١٩٧٩ و١٩٨٣م، وتحت حكومة المغرب الثالثة بين عامي ١٩٨٣ و١٩٨٥م أصبح وزيرًا للدولة.

وبعد وفاة علال الفاسي سنة ١٩٧٤م أصبح الأمين العام لحزب الاستقلال، وهو منصب تقلده حتى استقالته في عام ١٩٩٨م، وعيَّنه الملك محمد السادس سنة ٢٠٠٠م رئيسًا للجنة الملكية لإصلاح مدوَّنة الأسرة، وفي سنة ٢٠٠٣م منحه الملك محمد السادس وسام العرش، وفي ١٦ فبراير ٢٠١٢م منحه سفير الدولة الفلسطينية في المغرب وسام نجمة القدس، في احتفال المنظمة في مقر السفارة في الرباط.

دعا في ١١ يناير ٢٠٠٤م الشباب المغربي لاستلهام روح وثيقة المطالبة بالاستقلال؛ لاستكمال تحرير باقي الأجزاء من التراب المغربي، ودعا -كذلك- لوقف مسلسل المفاوضات مع جبهة البوليساريو بخصوص نزاع الصحراء المغربية، وطالب بتنزيل المشروع القاضي بتطبيق الحكم الذاتي في الصحراء.

توفي يوم الجمعة ١٧ فبراير ٢٠١٧م في الرباط.

انظر: «الموسوعة الحرة» على الشبكة العالمية (النت).

(١) نشرت لجنة الإعلام والنشر في حزب الاستقلال كلمات المشاركين بالاحتفال في كتاب «علال الفاسي في ذكراه الأربعين ٧ جمادى الثانية ١٣٩٤ - ٢٨ يونيو ١٩٧٤»، ولم يذكروا كلمة الهلالي بتمامها؛ وإنما لخصوها بكلام موجز، وهي فيه (ص١٠٥-١٠٦).

القبور والقباب، وبدع الطرائق والمواسم التي تُقَامُ عند قبور الصالحين، ورأى مقالاتِهم، وسمع كلام الزعيم علَّال الفاسي، وكلام عبدالعزيز بن إدريس الذي لم يزل يدعو إلى التوحيد حتى قتله المشركون؛ يتعجَّب أشدَّ التعجب من تلك المعاملة!

وقد وقفت على كتابٍ ألَّفه ابن اليماني الناصري[(١)] في التوحيد ومحاربة الشرك[(٢)]، كلُّ من قرأه يظنُّ أن مؤلفه من أبناء الإمام المصلح محمد بن عبدالوهاب أو من تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية، وبعدما جاء الاستقلال ولم يُعْطَ الرتبةَ التي كان يطمع فيها توجَّه إلى المملكة العربية السعودية، ونظم بزعمه قصيدةً كأنَّها قصيدةٌ يمدح بها الملك سعودًا، فقال فيها ما معناه: «أنت الملك سعود وهذا قصر الناصرية وأنا الناصري»، فلما فرغ من إنشاد قصيدته، قال له الملك: ماذا تريد؟ قال: أريد دارًا في المدينة أسكنها، وراتبًا أعيش به، فأمر له بدار في المدينة وبثلاث مئة ريال مشاهرة، وثلاثِ مئة ريال في المملكة العربية السعودية لا تزيد على راتب بوَّاب أو كنَّاس، وأصبح عدوًّا للتوحيد، حتى إنَّه عند موته قال لمن حضره: «إذا متُّ فلا تحملوا جنازتي إلى المسجد النبوي؛ لأني لا أحبُّ أن يصلِّيَ عليَّ الإمام الوهابي، بل صلوا علي أنتم وخذوني إلى البقيع، وادفنوني هناك»، فصلَّى عليه في بيته سبعة عشر رجلًا من المغاربة، كلُّهم أميون أو شبه أميين، ولعل أولئك الذين أغضبهم سماع

---

(١) هو محمد بن اليماني الناصري، ولد بالرباط يوم الخميس ٩ رجب ١٣٠٨هـ - ١٨ فبراير ١٨٩١م، درس الحديث على مشايخ المغرب، مثل: محمد بن جعفر الكتاني، وأبو شعيب الدُّكالي، ثم قضى في خطة العدالة وبسلك القضاء وبالمحكمة العليا للجنايات، ثم أقام في مصر حوالي عشرين سنة مديرًا لبعثة (بيت المغرب)، له تآليف ومقالات في الأخلاق الإسلامية والحركة السلفية، وعدَّة دواوين شعرية، ومات بالمدينة النبوية فجر يوم الجمعة ٢٠ صفر ١٣٩١هـ - ١٧ إبريل ١٩٧١م، ودفن بروضة البقيع.
له ترجمة في: مجلة «دعوة الحق» المغربية، العدد (٢٢٥)، ذو الحجة ١٤٠٢هـ - أكتوبر ١٩٨٢م.

(٢) اسمه «ضرب نطاق الحصار»، وهو حرب على الطرقية والاستعمار وأذنابه، وكان سهمًا قاتلًا للخرافات ودعاتها! ويا ليت يعاد نشره.

التوحيد في حفلة الأربعين على شاكلة ابن اليماني الناصري، فنعوذ بالله من الخذلان، ومن الحور بعد الكور، ونسأله -سبحانه- أن يحيينا على توحيده والتمسك بسنة نبيه، ويميتنا على ذلك».

والهلالي في دعوته يدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة على طريق سلف الأمة، ويعتني بالآثار السلفية، ويحفظها ويرددها إن دعت الحاجة إليها، وقد درَّس في تطوان «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، وكذلك درَّس وشرح في مواطن متعددة من المغرب «صحيح البخاري» ولخصه، و«شرح التلخيص»، ولكن لم يتم له ذلك[١].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يحث على العلم النافع، والعمل الصالح، ويذم من يتنكبهما.

ولم ينس التحذير من البدع وأهلها، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وله جهود عظيمة في الدعوة إلى الوسطية والاعتدال وذم الغلو، وله جهود في جمع الكلمة والتحذير من التفرق والتحزب.

وأمَّا أساليبه في الدعوة إلى الله: فتكمن في الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، ويستخدم في دعوته الترغيب والترهيب، والمثل والقصة، ويجهد في تأليف القلوب.

وللهلالي رحلات كثيرة جدًّا[٢]، فقد طاف الدنيا باستثناء أمريكا وروسيا، عدا رحلاته إلى المدن والقرى في البلدة التي يقيم فيها.

ولا تنس جهوده -أيضًا- في دعوة الطوائف المنحرفة عن العقيدة الصحيحة السليمة.

ومن بين جهوده: توضيح الحق لبعض الجماعات القائمة بالدعوة إلى الله،

---

(١) سمَّاه «البدر الساري»، وقد نشرته في مجلدين عن دار إيلاف -الكويت.

(٢) فصَّلت في بيانها في مقدمتي لتحقيق كتاب الهلالي «رحلتي من الرباط إلى برلين» (ص٥ - ٣٨).

مثل: جماعة الدعوة والتبليغ، ويُسمِّيهم (الإلياسيين)(١) نسبة إلى مؤسسهم الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي.

وتجلَّى ذلك في مواقف عديدة، وميادين فسيحة، في التنظير والتأصيل، وفي ميادين الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ في المساجد والمحافل، ومكث فترة طويلة على منهجه هذا، تزيد على خمسين سنة.

○ من مقالات الهلالي في وجوب التبليغ وضوابط ذلك:

كتب الهلالي قديمًا سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م وهو في العراق مقالة بعنوان (من درر الحديث النبوي)(٢) قال فيها:

«أيها القرَّاء الكرام! اعلموا -عُلِّمتم خيرًا، ووُقيتم ضيرًا- أن السُّنة النبوية هي أعظم سلاح للمؤمن بعد كتاب الله -تعالى-، بهذا السلاح يقاتِل أعداءه في الداخل والخارج، والمراد بالأعداء في الداخل: النفس الأمَّارة، والهوى، والوسواس، والعادات والعصبيات، وهؤلاء الأعداء الداخليون أشد خطرًا وأعظم ضررًا من الأعداء الخارجيين؛ لأن الإنسان لا يدركهم بالحواس الظاهرة، ولا يستطيع قتالهم بالسلاح المادي، **والقرآن وحده بدون بيان النبي ﷺ لا يكفي لقتال أيٍّ من الفريقين لأمرين:**

أحدهما: إن الله أجمل وعمَّ في كثير من الأحكام، وجعل البيان والتخصيص لرسوله ﷺ كما قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فالصلاة والزكاة والحج والجهاد والأحكام المالية كالبيع والشراء؛ كلُّ ذلك لا يمكن معرفة مراد الله فيه إلا ببيان رسوله.

الثاني: إن أهل البدع والأهواء، وأهل الظلم والجور؛ يستغلون إجمال القرآن فيحرِّفونه ويؤوِّلونه على غير تأويله، كما قال -تعالى- في سورة آل عمران

(١) انظر كلامه الآتي في آخر هذا التقديم (ص٢٣٣).

(٢) نشرت في مجلة «الأخوَّة الإسلامية» البغدادية، السنة الأولى، العدد السابع عشر، الجمعة ٢٨ شوال ١٣٧٢هـ يوافق ١٠ تموز ١٩٥٣م، (ص ٧-٩).

في الآية [٧]: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾.

وقد جاء في الآثار عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في أهل الأهواء: «خذوهم بالسُّنن؛ فإنهم لا يجدون إلى التخلُّص منها سبيلًا»[١] أو كما قال.

وأيضًا: فإن المؤمن لا يتنوَّر قلبه، وتزول ظلمته ووحشته، وتتم حياته؛ إلا بحديث النبي ﷺ.

لذلك عزمنا أن نكتب مقالات تحت الترجمة المذكورة أعلاه؛ نقتبس فيها ما ييسره الله من أنوار السنة المحمدية، ونستخرج من بحرها الزاخر دررًا تكون قرة عين -إن شاء الله- لكل مؤمن حنيف يحب الله ورسوله.

التبليغ:

تبليغ سنة رسول الله فرض على كلِّ من عرفها؛ فقد أخرج البخاري[٢] عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيَةً، وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتعَمِّدًا؛ فَلْيَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

في هذا الحديث وجوب التبليغ على كلِّ مَن عنده علم بما جاء عن النبي ﷺ من القرآن والسنة، وفي ضمنه وجوب تعلُّم كتاب الله وبيانه -وهو الحديث- على كلِّ من يستطيع ذلك؛ لأن التبليغ فرض على المستطيع، وما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، وهذا الفرض العظيم الذي يقوم عليه الدين -وهو من أعظم الجهاد في سبيل الله- قد ضيَّعه أكثر العلماء وأغفلوه، وكان ذلك من أسباب الوهن والانحلال الذي أصيبت به الأمة.

وقوله: «**ولو آية**» يدل على أن التبليغ فرض على المُقِل والمُكثِر من أهل العلم بكتاب الله وسُنة الرسول، ويجب على المبلِّغ إذا قَصُر إدراكُه في مسألة؛

---

(١) أخرجه الدارمي (١٢١) والآجري في «الشريعة» (٩٣) وابن بطة في «الإبانة» (١/ رقم ٨٣ - الإيمان)، **وإسناده منقطع**.

(٢) برقم (٣٤٦١).

أن يرشد المبلَّغ إلى مَن هو أعلم بها، فيكون له مِثْلُ أجر مَن أرشده إليه وعلَّمه.

فلو أردنا أن نحاسب أنفسنا في كل يوم: هل أدَّينا فرض التبليغ في ذلك اليوم؟ بل في كل شهر؟ لوجدنا أنفسنا مقصِّرين؛ بل مضيِّعين لهذا الغرض.

والتبليغ فرض علينا جميعًا: على أهل العلم بألسنتهم وأموالهم -إن كانت لهم أموال-، فقد كان عبدالله بن المبارك، وهو من كبار الأئمة؛ كأبي حنيفة والسفيانين ومالك والأوزاعي والليث، كان تاجرًا كبيرًا وافر الأموال، وكان ينفق على طلبة العلم في حال تعلُّمهم، ويزوِّجهم إن كانوا فقراء، وكان لا يقبل هدايا الملوك، فكان يبلِّغ بلسانه وماله.

ومن لم يكن عنده علم يبثُّه بلسانه وقلمه، وكان عنده مال؛ فالتبليغ فرض عليه بماله، ينفق على طلبة العلم، وبناء المدارس، ويجعل الجوائز لمن يبرِّز في علم الكتاب والسُّنة علمًا وتبليغًا، فإن لم يبذل ماله في تبليغ الدعوة المحمدية؛ فهو آثم، وعليه من الوزر مثل ما على العلماء الذين يكتمون العلم، يشير إلى ذلك قوله -تعالى- في سورة التوبة الآية [٣٤]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فالأحبار هم علماء أهل الكتاب، والرهبان هم العُبَّاد الذين يقتدي بهم الناس في الدين، ومن اتبع سُنَّتهم من علماء هذه الأمة وعُبَّادها؛ فهو مثلهم.

وهذان الصنفان إذا لم يُخلصوا عملهم لله، ويؤدوا ما فرض الله عليهم من التبليغ لوجه الله؛ بل غرَّتهم الحياة الدنيا، فأخذوا يتملَّقون إلى ذوي الأموال والمراتب، ويكتمون العلم، ويُقرُّون الجهل والظلم، رغبة منهم في تحصيل المراتب والأموال؛ هم الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويَصدون الناس عن سبيل الله؛ لأن العامة تقتدِي بهم، فتُهمِل التبليغ وقولَ الحق، فيَعُم الجهل

والظلم، وتصاب الأمة بالعذاب الأليم، وهذا هو ما أصاب المسلمين اليوم بعينه.

وقوله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ أي: يحبسون زكاتهما، ويمنعون الحقوق فيهما، ولا يتصدَّقون فيهما على الوجه الشرعي الذي يرضاه الله؛ يستحقون العذاب الأليم.

فهؤلاء الأصناف الثلاثة: العلماء والعُبَّاد وأرباب الأموال؛ هم سبب سعادة الأمة أو شقائها، فإذا قاموا بفرض التبليغ مع العمل بما يبلِّغون ليكونوا قدوة حسنة؛ صاروا قدوة حسنة، فسعِدوا وسعِدت بهم أمَّتهم، وإذا أهملوا التبليغ والعمل؛ شقَوا، وقست قلوبهم، وعميَت بصائرهم، فشقيت بهم أمَّتهم.

ولأمرٍ ما؛ عطف الله الذين يكنزون الذهب والفضة على العلماء والعُبَّاد الذين يكتزون العلم والإرشاد؛ لأن الجهد لا يقوم إلا ببذل العِلم والمال في سبيل الله، فمن كتم العلم فقد سعى في إماتة النفوس، ومن منع المال فقد سعى في هلاك الأبدان.

ومن أدلة وجوب التبليغ: قول النبي ﷺ في الخطبة التي خطبها في حجة الوداع: «**لِيُبلِّغ الشاهِدُ مِنكم الغائبَ**»[1]، وقد بَلَّغ أصحابُ رسول الله ما سمعوه منه قولًا وعملًا، بغاية الأمانة والإخلاص، وبلَّغ النابغون والأئمة المجتهدون والعلماء العاملون، فكانت الأمَّة في عزٍّ وسعادة، **فلما امتنع التبليغُ؛ ضعفَ الإيمانُ، ومرضت النفوس، وعم الفشل والوهن.**

ولا يكفي التبليغ باللسان والعمل والمال في داخل الأمة؛ **بل لا بد مِن التبليغ في خارج بلادنا إلى أن تبلغ أقصى المعمورة.**

وهؤلاء أصحاب النِّحَل والعقائد: كلٌّ منهم بلَّغ دعوته بالقول والعمل،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٤٤٠٦، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧) ومسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهؤلاء رسلُهم ومؤسَّساتهم بين ظهرانينا يُبلِّغون بها دعواتِهم، ونحن أموات لا نتأثَّر ولا نغار ولا نؤدي ما فرض الله علينا مِن التبليغ؛ بل لا نتعلَّم ما نبلغه، ونرضى بالدعوى والانتساب بلا عِلم ولا عمل ولا تبليغ.

والآن -وقد استغرق الجزء الأول من الحديث الشريف هذا المقال- نشير إلى بيان بقيَّة الحديث باختصار؛ **ويتضمَّن ذلك أمرين:**

الأول: الحديث عن بني إسرائيل، والحديث عن بني إسرائيل هو ذِكر أخبارهم وقَصصهم للاعتبار والتحذير، إنما يؤخذ ذلك من كتاب الله وحديث النبي ﷺ؛ لأن الله قصَّ علينا في كتابه العزيز كثيرًا من أخبارهم: كقصة ذبح البقرة في سورة البقرة، وقصة أصحاب طالوت، وقصة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها في سورة البقرة -أيضًا-، إلى غير ذلك مما يطول ذِكره، ولا يجوز لنا أن نتحدَّث عن بني إسرائيل بما لا مستند له.

الأمر الثاني: هو **الحذر من الكذب على النبي ﷺ، وذلك بأن لا نحدِّث عنه بحديث إلا إذا علمنا مصدره وصحَّته؛ لأن من تعمَّد الكذب على النبي ﷺ فقد أنذره بدخوله جهنم.**

وهذان الأمران يوضِّحان **شروطَ التبليغ الصحيح وآدابَه**، والله الموفِّق».

○من جهود تقي الدين الهلالي العملية في الدعوة إلى الله -تعالى-:

للهلالي جهود عظيمة أينما حلَّ وارتحل، وكانت تظهر للعيان، على وجه أصبح اليوم تلاميذه هم القائمون على نشر الدعوة إلى الله -تعالى- في كثير من البلدان، سواء كانت العربية أم في بعض بلاد الغرب.

والتفصيل في هذا الأمر يطول، وقد جَهدتُ على إحصاء أعيانهم، وترجمت لهم مع بيان آثارهم في البلاد التي يقطنون فيها، ولا أتجاوز الحقيقة إن قلت: إن الدعاة السلفيين اليوم هم تلاميذ المشايخ العلماء: ابن باز، والهلالي، والألباني، وابن العثيمين -رحمهم الله تعالى-.

ولم يكتف الهلالي بالدعوة إلى الله في باب التأليف والترجمة، وإنما كان

حاضرًا فيها بالتدريس والخطابة والمكاتبة.

ومِن أحسن الآثار وأمتعها في الدعوة إلى الله -تعالى-: أنه دوَّن دروسه العملية في الدعوة إلى الله، وقصَّ قصصًا مفيدة في طريقة تعامله مع المخالفين في وقت الغربة، وذكر حججًا لِمَا استجد من أمور سلكها المخالفون وفنَّدها، وكشف عن بواطيلها وتُرَّهاتها، وهي تحتاج لدراسة مُفردَة مهمة.

وذكر الهلالي في كتابه الفذ «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة»[(١)] ذكرياته الماتعة على وجه لا يُملُّ، ومَن قرأه أصابه حماس منقطع النظير في الدعوة إلى الله، وجمع نفسه وهمَّته على الصبر فيما يلاقي مِن محن المتربِّصين والمتصيِّدين!

وكان الهلالي يعتقد أن النجاة اليوم لا تكمن في ميدان العمل الدعوي الفردي، وإنما كان يرى تأسيس الجمعيات في الدعوة إلى الله -تعالى-، وأنه لا بد في العمل الدعوي حتى يأتي بثماره المباركة: **أن يكون منظَّمًا من غير تحزُّب ولا تعصُّب له، وإنما هو وسيلة للعمل.**

○ التعاون الشرعي المحمود هو البديل عن التعصُّب الحزبي المذموم[(٢)]:

لله حكمة في إظهار الحق، وتدرجه، ورسوخه في الواقع، فإنه -كسائر سنن الله- يبدأ ظهوره بالتدريج، وقد جَربَتِ الناسُ ألوانًا وضروبًا باسم (الدعوة إلى الله -تعالى-)، وظهرتْ آفاتٌ وأمراض، وجَهَدَ العلماءُ في معالجتها، واستقر الخير في قلوب طلبة العلم الربَّانيين، وهم يقررونها في نفوس المقبلين مِن الطلبة والعامة على الحق.

ومِن أهم الأمراض التي ظهرت في واقع الدعاة: التعصُّب والتحزُّب على

---

(١) يسَّر الله عَزَّوَجَلَّ لي إصدار نشرة منه، أحسبها مفيدة في تجلية فكرة الكتاب والأحداث التي ذكرها.

(٢) يُنصح في هذا الباب بِقراءة كتاب فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بعنوان «الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي»، وكتاب «التعاون الاجتماعي» للشيخ الأديب اللغوي السَّلفي مصطفى الغلاييني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وسائل، وأسماء، وشعارات، وقيام معارك في ساحات لا عدو فيها، وإنما هي انتصارات وهمية للمألوف الذي تربوا عليه!

نعم، لا بد من التعاون الشرعي، وهو البديل الوحيد للتعصُّب الحزبي المقيت.

قامت أحزاب وجماعات بدافع الحماس، مِن غير توجيه العلماء الربَّانيين، فأفلحوا مرة، وأخفقوا مرات، وكانت النتائج في بعض الأحايين مخيفةً ومرعبة، وكانت لها آثارٌ، ولا سيما حماس الشباب، وهي مدمرة، وأبعدتْ هؤلاء عمَّا يريدون، وكانت ثمارُ أعمالهم تشتتًا، وتمزقًا، ورجوعًا بالإسلام إلى الغربة!

وهذا شأن العمل مِن غير علم راسخ وتجرِبة ميدانية واسعة.

فالهلالي له تعاون مع أبناء جنسه، فقد شارك في كثير من الجمعيات والمنظمات، مثل:

○ الجمعيات والجامعات التي كان ينتمي لها الهلالي في العراق:

انتمى الهلالي لكثير من الجمعيات القائمة -آنذاك-، وللهلالي نشاطات عديدة؛ منها:

غادر الهلاليُّ العراق سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٤م إلى ألمانيا، ومنها إلى المغرب، ثم عاد من المغرب إلى العراق سنة ١٩٤٧م، وكانت له جهود علمية ودعوية قوية، آتت ثمارًا ظاهرة، وعمل في عدة جامعات، وكانت له صلة بعدة جمعيات، **ويمكن تلخيص ذلك بالآتي:**

أولًا: عيِّن مدرسًا في كلية الملكة عالية [١].

ثانيًا: عمل محاضرًا في كلية الآداب.

---

(١) أفادني المحققُ العلَّامة قاسم السامرائي أنَّه من تلاميذه، ودرَّسهم النحو والبلاغة، وأخبرني أن مذكرة في النحو للهلالي موجودة عند الأستاذ عبدالغني بوزكري، وحصَّلتها؛ وهي قيد التحقيق.

ثالثًا: أُعطي لقبَ أستاذ معاون، ثم أعطي لقب أستاذ (بروفسور)(١).

رابعًا: عاد من ألمانيا إلى العراق بعد غيابه سنةً موفدًا للتدريس في جامعة (بُن)، وكان ذلك في أواخر ١٩٥٤م.

خامسًا: في سنة ١٩٥٥م نقل إلى دار المعلمين العالية، وهي من كبريات كليات بغداد، وعدد طلبتها آنذاك (٩٠٠) طالبًا.

ولم يكن الهلالي في عمله في هذه المعاهد والجامعات كسائر الأساتذة؛ يقتصر على تدريسه الأكاديمي النظامي، وإنما كان يجهد أن يكون فيها داعيًا إلى الله على بصيرة؛ **وهذا مثال على ذلك:**

نشرت مجلة «الثقافة الإسلامية» البغدادية، السنة الثانية، العدد الثامن، السبت بتأريخ ٧ شعبان ١٣٧٦هـ يوافق ٢٩ آذار ١٩٥٧م، (ص٢٨)، تحت عنوان (إسلام الدكتور توماس) **ما نصه وحرفه:**

«الدكتور توماس بالنتين ايبزتنك؛ أحد أعضاء الوفد الثقافي الأمريكي الذي زار العراق لدراسة علوم الإسلام واللغة العربية، وقد أخذ يواصل الاستماع في كليتي الشريعة والآداب والعلوم، ثم استمر يتعلم القرآن وتفسيره على سعادة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الأستاذ في دار المعلمين العالية، وقد أعجبه ما في الإسلام وتعاليمه السمحة من عدل وإخاء ومساواة، وكان الدكتور توماس قد أصدر عدة مجلات في باكستان وفي جنوب أفريقيا؛ منها مجلة «مسلم واجث»(٢) التي تصدر في دربن في جنوب أفريقيا، وكان يكتب فيها المقالات الطوال في نصرة الإسلام، وكذلك شأنه في جميع ما كتب ونشر في تلك الصحف.

وفي يوم الاثنين ٤-٣-١٩٥٧ حضر المحكمة الشرعية ببغداد لاستحصال

---

(١) انظر التفصيل في ترجمتي المطوَّلة للهلالي.

(٢) حاولت الوقوف عليها؛ لأعلم هل نشر الهلالي فيها شيئًا، فلم أستطع الوقوف عليها، ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

الحجة الشرعية المطلوبة التي تؤيد كونه مسلمًا.

هذا؛ وقد علمنا بأنه قد أسلم منذ نحو عشرين سنة، وقد أصدر فضيلة قاضي بغداد الحجة الشرعية بذلك، ونحن إذ ننشر هذا الخبر المسِرَّ؛ فإننا نزفُّه إلى إخواننا المسلمين في جميع أقطار الأرض إلى الاعتزاز بهذا الدين، والتمسك بأهدابه وأحكامه السديدة، والعمل على نشره بين العباد.

ولا يسعنا إلا أن نقدم له أخلص التهاني على حسن إسلامه، راجين له التوفيق والعمل بهذا الدين الحنيف».

سادسًا: كان الهلالي إبان إقامته في العراق -كعادته- نشيطًا في الدعوة إلى الله -تعالى-، ومن حسن حظنا أن الأستاذ مسعود بن عالم النَّدوي -أحد أفضل تلاميذ الهلالي في كلية ندوة العلماء بالهند- دوَّن لنا أحداث ومَاجَرَيات حياة الهلالي في بغداد من يوم الثلاثاء ١١ رجب ١٣٦٨هـ - ١٠ مايو ١٩٤٩م إلى ٢٠ شوال ١٣٦٨هـ - ١٥ أغسطس ١٩٤٩م؛ وذلك في كتابه «شهور في ديار العرب» (ص٨٧-٢٧٧)، وهذا أغنى مصدر عن حياته في العراق؛ إذ يكتنفها غموض وعدم وضوح؛ للقلاقل التي جرت هناك إبان وجوده فيها!

والأهم من ذلك -كله-: ما جاء من شذرات وومضات وإفاضات، فيها إلماحات وإضافات عن جهود العلَّامة الهلالي في العراق، نشرت آنذاك في بعض الصحف والمجلات، وهي تنبئ عن مشاركة للهلالي في بعض الجمعيات؛ مثل:

○جمعية الأخوة الإسلامية[1]:

نشرت مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الرابعة، الجزء الثالث، بتأريخ جمادى الأولى ١٣٦٩هـ - مارس ١٩٥٠م، (ص١٩)، تحت عنوان (جمعية

---

(١) للباحثة العراقية إيمان الدباغ كتابٌ مطبوع بعنوان «جمعية الأخوة الإسلامية في العراق»، وذكرت الهلالي فيه في أكثر من موطن، انظر: (الصفحات ٩١، ١٥٩، ١٦٢).

الأخوة الإسلامية) الخبر الآتي:

«تألفت في بغداد جمعية دينية باسم (الأخوة الإسلامية)، من بين أعضاء مجلسها الإداري: حضرة الدكتور تقي الدين الهلالي، وهي فرع عن المؤتمر الإسلامي الدائم في كراتشي، وتنحصر أغراضها في:

١- العمل على تثبيت العقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص في النفوس، وتقوية روح التدين في الأمة الإسلامية.

٢- عرضُ الإسلام للعالم كنظام عالمي يعالج الحياة في مختلف شؤونها.

٣- بعثُ الأُخوَّة الحقيقية بين أبناء الأمة الإسلامية، والتمهيد للوحدة الإسلامية.

٤- مكافحة روح التَفرنُج[1] والانحلال.

٥- دعوة المسلمين إلى القوة وأسبابها.

وهذه كلها أغراض شريفة نرجو أن تتوفق هذه الجمعية لخدمتها، وتعمل لتحقيقها؛ حتى ترد للمسلمين اعتبارهم الذي فقدوه، ومكانتهم التي تتوافق مع دينهم الذي يعلو ولا يعلى عليه».

قال أبو عبيدة: انبثقَت فكرة هذه الجمعية من تلميذ الهلالي العلَّامة مسعود الندوي لما زار العراق، وصرح بذلك في كتابه «شهور في ديار العرب» (ص١٥١، ١٩٨ - ٢٠٠).

ومن الجدير بالذكر أن هذه الجمعية استقرَّتْ على فكر الإخوان المسلمين، وللهلالي معها صولات وجولات، ظهرت على صفحات بعض المجلات، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يتبرأً من التحزب بأخرة، وكان يثبتُ هذا التبرُّؤَ في بعض إجازاته، ورأيتُ ذلك في إجازاته لكل من الشيخين: محمد المذكوري

(١) معنى تَفَرْنَجَ تَفَرْنُجًا: صارَ فِرَنْجِيًّا، وتَخَلَّقَ بأَخْلاقِ الفِرَنْجَةِ وتَطَبَّعَ بِطِباعِهِمْ، انظر «معجم الغني».

وعبدالله بن حمود التويجري، وفصَّلتُ في بيان ذلك في كتابي «صفحات مجهولة من حياة الهلالي من خلال إجازاته وتلاميذه»، وهو آخر مجلدين من ترجمتي المطوَّلة له، وهي بعنوان «ترجمة محمد تقي الدين الهلالي ودعوته الإصلاحية ومؤلفاته وإجازته وتلاميذه»، والله الواقي والعاصم.

○ جمعية الثقافة الإسلامية:

من الجمعيات العاملة لنشر الشريعة في العراق في الخمسينيات من القرن العشرين: جمعية الثقافة الإسلامية؛ وكانت تصدر مجلة باسمها، وكانت للهلالي علاقة وطيدة معها، ونشر جملة مقالات في مجلتها الأسبوعية، قال في أول مقالة له بعنوان «من ثقافة القرآن: تفسير سورة الفاتحة»، ونشرها في مجلة «الثقافة الإسلامية» البغدادية، السنة الثانية، العدد (٤)، السبت بتأريخ ١٨ جمادى الثانية ١٣٧٦هـ يوافق كانون الثاني ١٩٥٧م، (ص٣-٤):

«فقد التمسَتْ مني جمعية الثقافة الإسلامية -أدام الله توفيقها لخدمة الإسلام والمسلمين- أن أؤلف **تفسيرًا سهلًا يتيسر به فهم كتاب الله** -تعالى- لكل مَن له أدنى إلمام باللغة العربية؛ فأجبت إلى ذلك شاكرًا للجمعية حسن ظنها، مستعينًا بالله الذي لا يخيب من استعان به...»، ونشر فيها مقالات كثيرة في التفسير، وضعنا ما ظفرنا به منها في كتابنا «جمهرة مقالات تقي الدين الهلالي» (قسم القرآن وعلومه).

والالتماس المذكور غالبًا ما يكون مكاتبة، ولا سيما مع ضيق وقت الشيخ الهلالي في العراق، وازدحام الواجبات التعليمية والدعوية عليه، وظفرتُ في مجلة «الثقافة الإسلامية»، السنة الثانية، العدد السادس، السبت ١٦ رجب ١٣٧٦هـ - ١٦ شباط ١٩٥٧م، (ص١٨-٢٠)، تحت عنوان (فعاليات جمعية الثقافة الإسلامية: تكريم الوفد الثقافي التركي)؛ **ما نصه:**

«من مبادئ جمعية الثقافة الإسلامية: العمل على التعارف بين المسلمين

في شتى أقطارهم وأمصارهم، عن طريق إشاعة المفاهيم الصحيحة، وبث الثقافة الحقيقية بينهم؛ عملًا بقوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وبهذا المبدأ الإسلامي الخطير في التعارف؛ انتهزت جمعية الثقافة الإسلامية فرصة وجود الوفد الثقافي التركي بين ظهرانينا؛ فوجهت الدعوة إلى عدد من علية القوم، والمشتغلين في الحفل الإسلامي الكبير لتكريم أعضاء الوفد.

وفي الساعة واليوم حضر المدعوون في جامع الأورفلي الباب الشرقي من بغداد، وكانوا نخبة ممتازة من الرجال الطيبين العاملين، وفي مقدمتهم سيادة سفير المملكة المغربية المتحدة؛ ذلك الرجل الورع التقي الذي يمثل المغرب العربي، المجاهد بأخلاقه العالية السمحة، وسفارته الأمينة المسلمة، وعروبته الصادقة، والأستاذ مكرم زينل الملحق الثقافي في السفارة التركية، وسماحة الحاج نجم الدين الواعظ، ومعالي الأستاذ جميل الأورفلي، وسعادة الأستاذ أحمد زكي المدرس مدير الأوقاف العام، والأستاذ الحاج محمود فهمي درويش من كبار أنصار الجمعية، والسيد حسن رضا، والسيد هاشم الآلوسي، والشيخ شاكر البدري، والحاج فؤاد الآلوسي، **والدكتور تقي الدين الهلالي**، والأستاذ جلال الحنفي، والأستاذ عبدالرحمن خضر، والوجيه الحاج نشأة الأورفلي وغيرهم؛ فكانوا المكرمين للمحتفى بهم من أبناء البيوتات المسلمة في تركية الحديثة، الذين آثروا دراسة القرآن الكريم، والتفقه في الدين لينذروا قومهم.

وبعد وصول أعضاء الوفد ودخولهم الجامع يتقدمهم الأستاذ إبراهيم يوسف أكن؛ قام سعادة الملحق الثقافي مكرم زينل؛ فجلس إلى جانبهم يتحدث إليهم، ويهش لهم، وينزلهم عنده منزلًا حسنًا، وعند ذلك وقف الأستاذ إبراهيم يوسف ليرتجل كلمة عربية فصيحة؛ حمد الله فيها، وأثنى

عليه، وصلى وسلم على أكرم خلقه المبعوث بالمحبة والمودة، وقال: «... وبعد؛ فقد سررنا بهذه الدعوة الشريفة؛ إذ هيأت لنا فرصة لنتعارف ونتحاب مع إخوان لنا في الدين والعقيدة الإسلامية التي اتفقنا فيها على كلمة التوحيد».

وبعد أن شكر الجمعية باسم الوفد والجالية التركية في العراق؛ عاد فكرر لزوم تمسك المسلمين بحبل الاعتصام بالله وحده المتين، وتمثل بالآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ودعا الله -سبحانه- أن ينصر دينه، ويعزَّ أُمة نبيِّه، وقال: هذا -يا رب- قانونك، وسنَّة نبيِّك، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]...

وقد استحسن الحاضرون هذه الكلمة الطيبة، وعندها وقف الأستاذ الحاج محمود فهمي درويش ليرتجل ردًّا على هذه الكلمة؛ فتمثل بحديث التزاور النبوي، وفرق بين الأحياء والأحياء المتزاورين، وبين الأموات الذين لا تزاور بينهم، وعرج على مثل لكاتب فرنسي اسمه (موليير) يمتدح التزاور، ويجعل منه أساس الحياة بين الأمم؛ ليصب الأستاذ الحاج جامَ غضبهِ على فرنسة العاتية الباغية التي تعيث فسادًا وخرابًا باستعمارها المجنون للمغرب العربي المجاهد، وعاد فرحب بالمدعوين الذين آنس فيهم روح الألفة والمودة؛ التي هي أساس الحياة الإسلامية الصحيح الأول، وشكر الجمعية؛ إذ كان موضع ثقتها في انتدابه للرد على كلمة الوفد.

وبعد ذلك؛ كان سماحة الحاج نجم الدين الواعظ يتحدث إلى المدعوين، ويلاطفهم بوعظ شهي طلي عند شربهم الشاي؛ فهو لا يفتأ يتمثل بآي الذكر الحكيم -آياتٍ وسورًا-، والحديث النبوي الشريف، والمثل والحكمة -كما هو معروف عنه-، وكان يرعى الجميع كأنه أب بر رحيم.

وقد وقف كل من الشيخ عبدالوهاب الأعظمي رئيس الجمعية، والأستاذ عبدالجبار الأعظمي معتمدها، والأستاذ مصطفى نعمان البدري، وبقية شباب

الجمعية يستقبلون المدعوين ويبالغون في إكرامهم، والحفاوة بهم.

وقد اتخذ (أبو المنذر) من ظرفه ودعابته الأدبية سبيل التعريف بين المدعوين؛ فهو لا يفتأ يعرِّف كل داخل ببشاشة، ويبقى يتحدث إلى المدعوين، ويلاطفهم بوعظ شهي طلي عند شربهم الشاي؛ فهو لا يفتأ يتمثل بآي الذكر آيات وسورًا، والحديث النبوي الشريف، والمثل أمامه ما يسره من مثل أو دعابة أو نكتة أو طرف جميل من التعليق.

وأخيرًا: قد انسجم مع الدكتور تقي الدين الهلالي في حديث عميق في البحث والتأريخ واللغة والأدب والعلم والإجازات العلمية ورسائل الدكتوراة، على عادته في الظرف والمفارقة؛ مما كان له أطيب الأثر في نفوس الحضور، ولا سيما مَن عرفوه لأول مرة.

وهكذا خرج المدعوون وكلهم ألسنة حمد وثناء للبشاشة والكرم والخلق الذي أبدي في التكريم، الذي انسجم فيه الروح المعنوي في التوافق والتآلف والتراحم مع الغايات المقدسة في التعارف والاحتفاء».

وتعارف الهلالي على هؤلاء يصحبه -غالبًا- عمل ونشاط، وأقلُّه المراسلة والمناصحة، ولعله يكون سببًا في الزيارة والرحلة، وقد ثبتَ لدي بيقين أنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سافر إلى تركيا، ولم أظفر -بعد- بمَاجَرَيات أحداث رحلته ونشاطه هناك، ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، والله المستعان.

○ جمعية الهداية الإسلامية البغدادية:

جرت مراسلات بين الهلالي وهذه الجمعية؛ إذ راسلت هذه الجمعية العلَّامة الهلالي تلتمس منه أن يكتب مقالًا في صحيفتها الأسبوعية «الهداية»، واستجاب لذلك؛ فكتب في عدد سنة ١٣٥٣هـ (ص٢٣٧-٢٤٤) مقالة بعنوان (محمد رسول الله ﷺ)؛ قال في آخره: «أعتذر في الختام إلى (جمعية الهداية الإسلامية)... عن قلة هذا المقال وإجماله: بأن كتاب الجمعية الأول الذي

فيه التشريف بهذه الخدمة الجليلة؛ لم يصل إليَّ! فلما كان في أواخر صفر جاءني منها كتاب يستنجز المقال؛ فطيرت لهم جوابًا بأنه لم يصل كتابهم، والوقت ضيق...».

ثم نشر الهلالي بعد ذلك عدة مقالات في «الهداية» وغيرها مما أنشأه العلَّامة كمال الدين الطائي[1] مما تولَّد عن «الهداية»، إذ كانت تمنع؛ فينشئ غيرها، في سلسلة أوضحها في افتتاحية مجلة «لسان الهداية» العدد الأول

---

(١) وُلد كمال الدين بن عبدالمحسن آل بكتاش الطائي في بغداد سنة ١٩٠٣ أو ١٩٠٤م، وكان والده (١٨٥٧ - ١٩٤٥م) مدرِّسَ جامع المصرف وخطيب جامع علي أفندي، تعلَّم علوم الشريعة والعربية على والده ثم على كبار العلماء في بغداد بعد تخرجه من المدرسة العسكرية التركية، وعُين بمنصب إمام وخطيب في جامع منورة خاتون، ثم جامع شهاب الدين عام ١٩٣٠م، واختير محاضرًا في دار العلوم العربية والدينية سنة ١٩٣٢م.

وكان واعظًا وخطيبًا في عدة جوامع، واشترك في تأسيس جمعيات خيرية ودينية في العراق، ومنها: جمعية الشبَّان المسلمين، وجمعية الهداية الإسلامية، ونادي الإرشاد.

تولَّى تحرير المجلات التي أصدرتها جمعية الهداية الإسلامية:

«الهداية» (مايو ١٩٣٠)، «صدى الإسلام» (ديسمبر ١٩٣٠)، «الصراط المستقيم» (١٩٣١)، «تنوير الأفكار» (١٩٣٢)، «الاعتصام» (١٩٣٢)، «الكفاح» (١٩٣٤)، «لسان الهداية» (١٩٣٥)، أصدر مجلة دينية باسم «الذكرى» (١٩٣٥).

وتولى رئاسة تحرير مجلة «الراية» لصاحبها نهاد الزهاوي في ١٩٣٦.

اعتقِل في ١ نوفمبر ١٩٤١، وأبعِد إلى لواء العمارة والفاو وسامراء، وبقي في الاعتقال ثلاث سنوات، وفي شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧ تولَّى رئاسة تحرير مجلة «الكفاح» لجمعية الآداب الإسلامية، ثم عين مدرِّسًا في مدرسة عاتكة خاتون سنة ١٩٦٠م، وعُين عضوًا في المجلس العلمي التابع لمديرية الأوقاف في سنة ١٩٦٦م، واختير عضوًا في مجلس الأوقاف الأعلى لمدة ثمان سنوات حتى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ١٢ أغسطس ١٩٧٧ ببغداد.

ترجمته في: «تكملة معجم المؤلفين» (٤٣٢)، «تتمة الأعلام» (٢/ ١٠٦)، ويستحق هذا العَلَم أكبر الثناء، وهو جدير بأن تُفرَد ترجمته وتظهر جهوده في الدعوة إلى الله، وفي ذبِّه عن أهل السنة في العراق، ولا سيما هذه الأيام.

منها في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ (ص٢ -٣) تحت عنوان (للتاريخ)، وأدرجناه في مقدمة كتابنا «جمهرة المقالات»، والله الموفق.

والهلالي منفتح على الناس، يحبهم ويأنس بهم.

○ الهلالي رئيس جمعية تحسين أحوال المكفوفين في العراق:

أعلنت جريدة «السجل» البغدادية في عددها (١٨٠٠)، السنة (٢٤)، بتأريخ الخميس ٢٥ رجب ١٣٧٣هـ - ١ نيسان ١٩٥٤م أن الهلالي عيِّن رئيسًا لجمعية تحسين أحوال المكفوفين ببغداد، وكانت هذه الجمعيات أهلية وخيرية، قبل إصدار الدولة نظام مؤسسات المكفوفين عام ١٩٥٩م[١].

وللأسف! الدراسات في تلك الفترة شحيحة عن المكفوفين، ولكن يستفاد من بعض المراجع أن الأستاذ نافع عبدالجبار علوان خلف الهلالي في رئاسة هذه الجمعية، ومن تحقيقاته: «بذل المجهود في إفحام اليهود»، للسموأل بن يحيى المغربي[٢]، ولا أظن ذلك إلا بمشورة الهلالي[٣]، والله أعلم.

○ تأسيس الهلالي جماعات للدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ:

آمن الهلالي بضرورة الاجتماع في الدعوة إلى الله، والتعاون الشرعي المحمود، وسلك السبيل من زيارات ميدانية وعقد لقاءات مهمة، والقيام بالممكن من الفرائض الغائبة، من خلال الوسائل المتاحة له في عدد من البلدان، وأتت بثمارها.

---

(١) انظر: مقالة (واقع الرعاية الاجتماعية للمعوقين في العراق) المنشورة في مجلة «آداب الرافدين» عدد (١٨)، سنة ١٩٨٨م، (ص ٢٤٥ - ٢٦٨)، للباحث حميد كردي عبدالعزيز الفلاحي.

(٢) انظر: «معجم المؤلفين العراقيين» (٣/ ٣٨١)، وسمَّى من كتبه «دراسات في شؤون المكفوفين» و«البصرة في المكفوفين»، طبعا في العراق سنة ١٩٦٤م.

(٣) اقترح الهلالي خدمة كتاب السموأل للعلَّامة ربحي كمال، انظر: كتابنا «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٧٥٠ - ط الأولى).

كان عمل الهلالي الدعوي في واقع مليء بالآفات والأخطاء، واحتلَّت عدد من الدعوات مساحة فيه، وكانت المساحة لبعضها واسعة، وتختلف أسماؤها باختلاف البلدان والأزمان.

ومن أهم الدعوات التي كان للهلالي اصطدام معها: (دعوة الإخوان المسلمين)، التي كان الهلالي واحدًا من مؤسسيها في العراق تحت اسم (جمعية الأخوة الإسلامية)، والكلام في هذا يطول، وله فروع وذيول، وهناك وقائع وأحداث، المجهول منها أكثر من المعلوم، ويسَّر الله عَزَّوَجَلَّ لصاحب هذه السطور الوقوف على وثائق ومستندات ومعلومات لا زال بعضها في صدور الرجال، وستأخذ -إن شاء الله تعالى- حقَّها في النشر في ترجمتي المطوَّلة له، والمقام هنا لا يتَّسع لها[1].

ومن الجماعات التي كان للهلالي صلة بها: (الجماعة الإسلامية) لأبي الأعلى المودودي، وله في كتابه هذا «السراج المنير» مدح لأبي الأعلى مقابل ذم بعض أعلام التبليغيين له، مما جعلني أضع (الملحق الثالث) في هذا الكتاب في بيان موقف الهلالي منه.

والعجب أن من تلاميذ الهلالي جماعات من أعلام هاتين الدعوتين، فهو رفيق بالمدعوين، شديد في بيان أغلاط الجماعات، فمن عرفه منهم والتقاه؛ علم حرصه وغيرته وشدته، فما انفك عنه، وبقي مستفيدًا منه، ويفرح بانتسابه إليه، وما التقيت مع أحد ممن درس على الهلالي إلا يرى نفسه أنه -دون سواه- الحَظِيُّ عنده، وأكثر الناس حبًّا له!

وقام الهلالي بتأسيس جمعية أهل الحديث النبوي -وهو مدرِّس في الجامعة الإسلامية-، وكان ذلك بعلم المشايخ، وعلى رأسهم العلَّامة ابن باز، وكذلك لما أسس الهلالي في المغرب (جماعة الدعوة إلى الله)، فإنه[2] كتب

---

(١) انظر التفصيل: في «رحلة إلى الموصل ومنها إلى بلاد كردستان» (٢/ ٤١٩ وما بعدها - بتحقيقي)، مع «رحلة من الزبير» للهلالي.

(٢) أي: الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

للملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بضرورة تفرغه وعمله في ميدان الدعوة في المغرب، وذهب وفد من تلاميذ الهلالي إلى زيارة الشيخ ابن باز، وجاءت الموافقة.

وهذا هو البسط والبيان:

○ تأسيس جماعة الدعوة إلى الله في مكناس:

أسَّس الهلالي وهو في مكناس (جماعة الدعوة إلى الله)، وقد أصبح يمارس جهوده الدعوية على وجه رسمي وقانوني، وكان يعقد محاضرات، ويستدعي دعاة من أنحاء العالم الإسلامي، وزاره جمع من أصدقائه وأحبائه، وعدد من المشايخ والدعاة، مثل: أبي بكر الجزائري، ومحمد بن عبدالوهاب البنا، وحماد الأنصاري، وشيخنا الألباني، وشيخنا عبدالمحسن العباد، وأبي الحسن الندوي، ومحمد أحمد الصواف، وعبدالحميد عبدالجبار الرحماني، ورضاء الله بن إدريس المباركفوري، وعبدالعزيز العسكر، ووجيه زين العابدين العراقي، ومحمد بن سعد الشويعر، وغيرهم كثير كثير.

○ التفرُّغ للعمل الدعوي:

طَلب مِن الهلالي إخوانُه وتلاميذه أن يستقر في المغرب للدعوة إلى الله -تعالى-، والمحافظة على العقيدة السلفية، فعرض الأمر على رئيس الجامعة الإسلامية -آنذاك- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فوافق عليه، ورجع إلى المغرب، وسكن مكناس، فصار يعطي الدروس بمساجدها، وينتقل بين مساجد مدن وقرى المملكة المغربية[1].

○ تفصيل الخبر:

قال الهلالي مبيِّنًا تفاصيل هذا الخبر: «وبعدما قضيت ست سنين على هذه الحال، **وكنتُ من قبل ذلك رئيس جماعة الدعوة إلى الله -تعالى- في فرع مدينة مكناس، ومفتي الجمعية في مركزها بالدار البيضاء، وفي جميع**

---

(١) «المعجم الوجيز في تراجم نخبة من علماء سجلماسة ووادي زيز» (ص ١٢٥).

الفروع؛ فتوجه كثير من أعضاء جمعيتنا إلى رئيس الجامعة الإسلامية، رئيس الدعوة إلى الله في المملكة العربية السعودية؛ فالتمسوا منه أن ينقل عملي إلى المغرب، قالوا: لأن ثلاثة أشهر[١] في السنة لا تكفينا، وليس عندنا مَن يقوم مقام محمد تقي الدين الهلالي، وأنتم عندكم مَن يسد مهمته في الجامعة. فاستشارني فقبلتُ، وكتبتُ بذلك لجلالة الملك فيصل رَحِمَهُ اللَّهُ فقَبِل»[٢].

وظفرت برسالة من السفير السعودي فخري شيخ الأرض[٣] إلى الهلالي في ١١/ ٩/ ١٣٩٤هـ - ٢٧/ ٩/ ١٩٧٤م، يقول للهلالي وهو في مكناس -وقد استقر بها-:

«يسرنا إبلاغكم بأن جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز -أعزه الله- قد أمر بصرف راتبكم الشهري، وقدره (١٥٠٠) ألف وخمس مئة ريال، مع بقائكم في المملكة المغربية الشقيقة؛ استجابة لالتماس (أعضاء جمعية الدعوة إلى الله) الذي رفعوه إلى جلالته وإلى نائب رئيس الجامعة الإسلامية.

هذا؛ وقد طلب إلينا سماحة رئيس الجامعة الاستفسار منكم عن الجهة التي ترغبون صرف راتبكم الشهري عن طريقها، وقد يكون من المناسب صرف الراتب المذكور عن طريق سفارة المملكة العربية السعودية في الرباط، إذا رغبتم في ذلك»[٤].

---

(١) أي: مدة العطلة الصيفية.

(٢) «رسائل الهلالي الشخصية» (٣/ ١١٢٣ - ط الأولى).

(٣) عمِل قُنصُلًا في البصرة، فوزيرًا مفوَّضًا في إندونيسيا، ثم في النمسا، ثم سفيرًا في المغرب.
ترجمته في: «موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسي» (٩٩، ١٣٨)، مجلة «دعوة الحق» العدد (١٦٦).

(٤) «رسائل الهلالي الشخصية» (٣/ ١٤٢٤ - ط الثانية).

○ تشكيله (جماعة أهل الحديث العالمية) وهو في المدينة:

يقول تلميذه عبدالحميد الرحماني:

«وكان أعظم ما يتَّصف به هو سلفيته الخالصة الحقَّة، وكان يقول: إنَّ أهل نجد والعالم العربي هم سلفيون في توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، لكن السلفية في توحيد الاتِّباع في أهل الحديث في شبه القارة الهندية، **ولهذا كان أحبَّ إليه أن ينسب إلى أهل الحديث من السلفية!**

وقبل أن أغادر لا بدَّ أن أبيِّن للناس أمنية الشيخ الهلالي، ما زال يتمناها حتى آخر لحظة من حياته: إنَّه كان يتمنَّى أن **يجتمع أهل الحق من أهل الحديث والسلفية على رصيف واحد ويسعَون للدعوة إلى الله**، وكان يريد أن يكون بين أعضاء جمعية أهل الحديث العالمية ترابط قوي، لا يكون على أساس مصلحة فردية، ولا على عصبية جغرافية وقومية، ولا على هتاف، ولا على طلب الشهرة، ولا على السياسة الماكرة؛ بل يكون على أساس الكتاب والسنة وأسوة الرسول ﷺ وأخلاق الصحابة الكرام وسذاجة[1] القرون المفضلة، وأساسه يكون الفكر الأصيل والعمل الدؤوب الصالح، ومحرِّكه يكون الإخلاص لله، وفي هذا الصدد شكَّل الهلالي مؤسسة باسم (جماعة أهل الحديث العالمية) أثناء تدريسه في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨٩هـ، وقد شارك في تشكيلها وفود من شبه القارة الهندية وأفريقيا وأوروبا والسعودية والخليج وإندونيسيا وغيرها من البلاد، **وتقرر أن يكون الشيخ الهلالي رئيسًا لها**، وأنا -عبدالحميد الرحماني- أمينًا عامًّا لها، وكان من ضمن جهود هذه المؤسسة أن ينظِّم لدروس العقيدة والسُّنة في الحرمين الشريفين، وقد أخذت الموافقة الرسمية له، وقد أعجب به الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجميع أوراق

---

(١) سذاجة: بساطة، سهولة الخلق، انظر: «معجم الرائد»، الخالص غير المَشُوبِ وغير المَنقوشِ، انظر: «المعجم الوسيط».

المؤسسة محفوظة عندي»[١].

قلت: قوله: «قد أخذت الموافقة الرسمية له» لا أدري ممن! إلا أن تكون المؤسسة مرخَّصة من القارة الهندية! فالشيخ عبدالحميد هندي، والهلالي غير منشغل بالأوراق، لكنها إذا كانت لعلها تحفز العمل، وحينئذ فلا مانع عنده منها!

وهذه (المؤسسة) لم تظهر للوجود، أو بتعبير أدق: بقيت حبرًا على ورق -كما يقولون-، ولا أعلم شيئًا عن ملابساتها، إلا أنها رغبة بقيت تتجلجل في نفس كاتب سطورها إلى أن توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من قريب! **والمهم أن الهلالي -كما قلنا- رجل عالمي.**

ثم استدركت؛ فقلت: إن هذه المؤسسة (جماعة أهل الحديث العالمية) لعلها كانت بعلم العلَّامة ابن باز، وتأسست في المدينة النبوية، إبان تدريس الهلالي في الجامعة الإسلامية، ولعل تنظيم الرحلات الدعوية العالمية كان من بدايات نشاطاتها، ولكنها بعد ذلك ضعفت أو تلاشت، والله أعلم بحقيقة الأمور.

وللعلَّامة تقي الدين الهلالي قصة طويلة تستغرق نصف قرن وزيادة في مجال الدعوة الإسلامية، بإلقاء الدروس والمحاضرات في المساجد والمنتديات، وبالكتابة في الصحف والمجلات، وكان يدعو إلى الاجتهاد، ومحاربة البدع والخرافات في شتَّى صورها الضَّالة المضلِّلة، وكان مجال نشاطه في بلاد عديدة، والجامعات التي درس فيها، ويستثمر علاقاته في كل

---

(١) مقالة (الدكتور تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ) للشيخ عبد الحميد الرحماني، نشرت في مجلة «التوعية»، نيودلهي، أكتوبر ١٩٨٧م، وطبعت بالأردو ضمن «مجموعة مقالات مولانا عبدالحميد رحماني - شخصيات» (ص١٤٣ - ١٥٣).
وتواصلت مع الشيخ محمد ولد الشيخ عبدالحميد طالبًا هذه الأوراق المومأ إليها، وأخبرني أنهم بحثوا عنها، ولم يجدوها، ولا يزال البحث قائمًا!

بلد وصل إليها، وله فيها معارف وتلاميذ، ويتعاهدهم، ولم ينقطع عنهم، ويبذل ما يستطيعه لهم، ويجعل كل إمكاناته في خدمة التوحيد والسنة.

ولقد تميز العلَّامة الهلالي بأمور جعلته يبزُّ أقرانه، ويتفوق عليهم، ليس بالعلم الشرعي فقط، **وإنما بالاندفاع والحماس لنصرة التوحيد، والدعوة إلى الاجتهاد في حق المتمكنين منه، ومحاربة البدع، مما جعله يخوض معركة -بل معارك- ضد البدعة والتقليد.**

وهذه ميزات راسخة في شخصيته، وأصبحت من المسلَّمات عنده، وعرفه بها أعداؤه وخصومه قبل محبيه وعارفيه، وكانت سببًا في إقبال كثير من الشباب عليه، ورحل غير واحد منهم إليه، حيث يستقر ويقيم، سواء في العراق، أو المدينة النبوية، أو المغرب.

كاد أن يتفق على فضله وعلمه وعمله وجِدِّه واجتهاده: المُحِبُّ والمُبغِض، والأصيل والدخيل، والمسلم والكافر، وأجمعوا على أن الهلالي سلفي عالمي!!

واشتدت المؤامرة -هذه الأيام- على الدعوة السلفية، وأظهرها الإعلام الغربي -وتَبِعَهُ -للأسف- الإعلامُ العربي -على أنها حزب تنظيمي، وحركة تمرد إرهابية[1]، لَفَتَ إلى ذلك بعض الباحثين وأخذت الأضواء تسلط على

---

(١) السلفية: نمط لفهم الدين على وَفق ما كان عليه أهل القرون الثلاثة المفضَّلة، فالشرع ما بقي نظريًا، وإنما طبقه الأولون، وزكَّاهم النبي ﷺ، فمن الخطأ المنهجي الشائع ذكر (السلفية) مع (التكفيرية)، أو (داعش) أو (الإخوان) أو غيرهم من (التنظيمات) التي لها مؤسسون، فالسلفيون جماعة واحدة لا جماعات، وهم جماعة فَهْم، وليسوا بجماعة أبدان، ويجمعهم نصرةُ الدين بفهم سلف الأمة، دون سوى ذلك، فلا تأريخ لميلادهم، ولا ناطق لهم، ولا مؤسس لهم! وإن أصرَّ المخالفون على وجود هيئة تأسيسية لهم؛ فهم الصحابة الكرام والتابعون وتابعوهم بإحسان!

وليست السلفية البتة أقسامًا: تقليدية، وجهادية، وإصلاحية! فهذه الأقسام دخيلة وليست بأصيلة، وهي -في الحقيقة- لون من ألوان التآمر على الدعوة وأبنائها! =

أعلامها، وخصَّ واحد من الباحثين الهلالي بدراسة مستقلة، نال بها درجة الدكتوراة من جامعة جورج تاون بأمريكا - الكلية العليا للفنون والعلوم في الفلسفة، في ٢٤ يونيو سنة ٢٠٠٨م، وكتبها باللغة الإنگليزية، وطبعت في السنة نفسها في واشنطن في (٤٣٩) صفحة، وسمَّاها «عولمة (تطور) الفكر السلفي من خلال حياة وفكر تقي الدين الهلالي».

«The Evolution of the salafiyya in the Twentieth century Through the life and Thought of Taqi al-Din al-Hilali».

زارنا الشيخ عبدالحميد الرحماني في الأردن، وأفاد أنه زار الهلالي في مكناس، ورحل إليه للقائه والاستفادة منه، وكان ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٨٩هـ، واستفاد منه، وأكثر من مساءلته، وأخبرني أن عنده صندوقًا خاصًّا فيه فوائد من إملاءات الهلالي[١]، وأجوبة عن أسئلته، وبيان حياته ومذاكراته وأسفاره وما جرى له، ولطائف وطرائف عن حياته، وفوائد ونوادر عنه، ووعد بإخراجها! ولا أدري ما مصيره بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

= قال الإمام الشافعي في كتابه العظيم «الرسالة» (٤٧٥ - ٤٧٦) في معنى جماعة المسلمين:
«قال الشافعي: فما معنى أمرِ النبيِّ بلزوم جماعتِهم؟ قلتُ: لا معنى له إلَّا واحدٌ.
قال: فكيف لا يحتملُ إلَّا واحدًا؟ قلتُ: إذا كانت جماعتُهم متفرِّقةً في البُلدان فلا يَقْدِرُ أحدٌ أنْ يَلزم جماعةَ أبدانِ قوم متفرقين، وقد وُجِدَت الأبدانُ تكونُ مجتمعةً من المسلمين والكافرين، والأتقياءِ والفُجَّار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنىً، لأنهُ لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدانِ لا يَصنعُ شيئًا، فلم يكن لِلُزُومِ جماعتهم معنىً، إلَّا ما عليهم جماعتُهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما.
ومن قال بما تقولُ به جماعةُ المسلمين فقد لزِمَ جماعتَهم، ومن خالفَ ما تقول به جماعةُ المسلمين فقد خالف جماعتَهم التي أُمِرَ بلزومها، وإنما تكونُ الغفلةُ في الفُرقة، فأمَّا الجماعةُ فلا يمكنُ فيها -كافةً- غفلةٌ عن معنى كتابٍ ولا سنةٍ ولا قِياسٍ، إن شاء الله».

(١) لم يظفر به ولده محمد، والبحث عنه ما زال جاريًا.

وتواصلت معه في الهند، وأخبرني -وهو في الهند- يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٤٢٦هـ بأشياء مفيدة، مثل:

١- جعله الهلالي خادمًا في سفره للحج عام ١٣٨٨هـ، فلازمه في المدينة ومكَّة ومنى وعرفات ومزدلفة، وأثناء إقامته في جدَّة.

٢- سجَّل في مقابلة شخصية معه عن حياته[1]، وامتدت إلى أكثر من سبع ساعات.

٣- شَرُف الرحماني أن يكون أمينًا عامًّا لجمعية أهل الحديث العالمية تحت إشرافه ورئاسته.

٤- تتلمذ على الهلالي عامين في الجامعة الإسلامية، وقضى أغلب وقته في تلك الفترة في بيته، وقرأ عليه الكتب، وكتب ما أملاه الشَّيخ عليه من موضوعات مختلفة، فهو من (كُتَّابه) في المدينة.

٥- أصحبه الهلالي في سفره إلى المغرب على حسابه، فرافقه في الرباط ومكناس وفاس وتطوان وطنجة، وأقام في بيته شهرًا كاملًا سنة ١٣٨٩هـ، ولقيَ شخصياتٍ كبارًا، أمثال: عبد الله بن الصديق الغماري، وعلال الفاسي، والقاضي محمد بن عبد الله، ووزير الأوقاف آنذاك أحمد بركاش، وسفير المغرب في جدَّة الشَّيخ عبد الرحمن بادو، وغيرهم.

٦- أرسله الشَّيخ في مكناس إلى جهات مختلفة، إلى ضواحيها وقراها للدعوة والإرشاد، وأعطاه فرصة لإلقاء دروس في مسجده أمامه.

٧- أقامت الجامعة السَّلفية مؤتمرَ الدعوة والتعليم، وحضر الهلالي للمشاركة فيه، وصحبه الرحماني مِن دهلي إلى بنارَس مع رفقةٍ فيها إمامُ الحرمين الشَّيخ محمد بن عبد الله السبيِّل، وعشرة آخرون من السعودية، وكانت مسؤولية ضيافتهم وإقامتهم عليه.

---

(١) أرسلها لي ولده محمد، جزاه الله خيرًا، وسأضعها ضمن (التراجم الذاتية) للهلالي، والله الموفق.

○ **جمعية الدعوة إلى الله:**

كان الهلالي قد أسس جمعية الدعوة إلى الله فرع مكناس، ثم طرأت أسفار، فانقطع عنها، ووكَّل غيره من إخوانه العلماء العاملين، ومنهم: تلميذه العلَّامة محمد المذكوري، ثم رأوا أنه لا غنية لهم عن وجود الهلالي بين أظهرهم، ولا يكفيهم مدة مكثه في العطل الصيفية، فتكلموا مع العلَّامة ابن باز عن ذلك، فأذن لهم، فكاتب الملك فيصل وأذن بانتقال الهلالي إلى المغرب، وأجرى عليه راتبه هناك، وسافر الهلالي على بركة الله ليتابع دعوته إلى المعتقد الصحيح والسنة النبوية، والذود عنهما، ومحاربة المشغبين عليهما!

○ **نظرة الهلالي إلى الجمعيات:**

العمل الدعوي، وتنظيمه وترتيبه؛ من المسائل المحسومة عند الهلالي، فقد قام هو بذلك، وأسس أو شارك في عدد كبير من الجمعيات.

ومجرد الانتساب إلى مركز أو جمعية أو جماعة من غير التعصب والتحزب لها، مع تحقيق الولاء لله ورسوله والمؤمنين، وعدم عقد ذلك على هذه الجمعيات -أعني: سلطان الولاء والبراء، والحب والبغض في الله-، وإنما يكون ذلك -بحق وحقيقة- للكتاب والسنة، فهو أمر مشروع، ووسيلة صحيحة سليمة، **فهو من وسائل التعاون**، وفرق كبير بين تنظيم العمل الدعوي، والتحزب والتعصب للجماعات والأحزاب، التي مبتغاها السياسة ومناوأة الحكام!

والحاجة إلى هذا الترتيب ماسَّة، ولا سيما وقت الغربة ومكانها، وخصوصًا عندما تكون الدعوة إلى الله لا تتحقق إلا بها! ولذا شارك الهلالي في كثير من الجمعيات، وظهر هذا جليًّا، وهو في العراق.

○ **تاريخ تأسيس جمعيَّة الدعوة إلى الله:**

قال الهلالي: «أسَّس إخواننا الموحِّدون في الدار البيضاء جماعةً سمَّوها (جمعية الدعوة إلى الله)، وكان ذلك بظهير شريف مؤرَّخ باليوم الثالث من

جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ موافق الخامس عشر من نوفمبر سنة ١٩٥٨م، برئاسة الحاج محمد الحريزي الورَّاق ونائب الرئيس الحاج مصطفى بن هاشم الودغيري(١)، وقانون هذه الجمعيَّة ينصُّ على أن تكونَ لها فروع في بلدان المغرب، ولما رجعت من المملكة السعودية قبل سنتين، رغبَ الإخوان هنا في مكناس أن نؤسِّسَ لها فرعًا، فتأسَّسَ الفرع برئاسة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، ينوب عنه الأستاذ الحاج محمد بن عبود(٢)، وكان

(١) يُكنى (أبا رشيد)، ولد بمدينة فاس سنة ١٩٣٥م، وكان يعمل في الفلاحة والتجارة، وعاش أغلب وقته وأيامه في مدينة الدار البيضاء منذ الخمسينات الميلادية، وفي سنواته الأخيرة رجع إلى فاس للعيش بضَيعَته بمنطقة فاس التي توفي بها سنة ٢٠١٥م، وأوصى بدفنه بهذه المدينة، كان رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ أبيض اللون، خاطه الشيب في أغلب رأسه ولحيته، يميل إلى القِصر، متين الجسم، كثير اللحم، واسع البطن، تكسوه نَضْرة، وتعلوه مهابة، يمشي باعتزاز وظهور نخوة، دون كِبر ولا إعجاب، أفادنيه الشيخ الفاضل الحبيب أبو عبدالرحمن مولاي الحسن العلوي الحسني -حفظه الله- في رسالة بخطه من مراكش الحمراء بتأريخ ١٩ جمادى الآخرة ١٤٤٢ - ١ فبراير ٢٠٢١، وكتب له بما قبل الأوصاف: محمد بن مصطفى الودغيري من فاس، وأما الأوصاف فهي من رؤية الشيخ العلوي ومخالطته له.

(٢) أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام ابن عبود، من المثقفين المنتجين، الذين لهم ولوع خاص بالبحث والتصنيف، بخاصة ما يتعلق بالتربية والتعليم، من ذلك: كتابه «تاريخ المغرب» الواقع في جزأين.

ومن آثاره العلمية والتربوية: كتابه «تاريخ الإسلام للمدارس الابتدائية» الواقع في جزأين، ودلَّنا هذا الأثر العلمي والمدرسي -بتعبير أصح- على نشاط السيد ابن عبود في التحرير والتصنيف.

وله غير ما ذكر من الإنتاج المدرسي؛ كالدين للمدارس الابتدائية، وتعليم القرآن للمدارس الابتدائية -كذلك-، وله تاريخ المغرب لتلاميذ الثانوي، وللمعلمين والمعلمات وشهادة الكفاءة.

ومن آثاره: «التفسير الجديد»، «السعادة»، «الوظيفة أمانة»، «الديمقراطية الإسلامية»، «إلى المرأة المغربية في العهد الجديد»، «من تطوان إلى القاهرة».

انظر: «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» (٤/ ٢٤٧ - ٢٤٨)، و«التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» (١٦٥- ١٦٦).

ذلك في جمادى الثانية سنة ١٣٩٥هـ، ثم أُسِّسَ فرعٌ آخر في مراكش برئاسة مصطفى المصنف[1]، وبعد ذلك أُسِّس لها فرع آخر في طنجة، برئاسة الحاج

(١) أرسل لي ترجمة ذاتية له من مكة ليلة السادس والعشرين من رمضان سنة ١٤٤٣هـ، قال:

ولدت سنة ١٩٣٩م بمدينة خريبكة حيث كان يعمل الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونشأت بمدينة الدار البيضاء، توفيت الوالدة رَحِمَهَا ٱللَّهُ وأنا ابن خمسة أعوام، تلقيت دراستي في مدارس الدار البيضاء، ثم التحقت بالعمل في مندوبية وزارة النقل بالدار البيضاء، ثم بالعمل النقابي، ثم بالمجال الدعوي إلى اليوم، والحمد لله.

عملت بنقابة الدار البيضاء (الاتحاد المغربي للشغل) قرابة ٣٠ سنة، وكنت عضوًا مؤسسًا لجمعية إصلاح المستشفيات بالدار البيضاء، وعضوًا في جمعية الدعوة إلى الله، ورئيسًا لجمعية دار القرآن بدر، ومؤسسًا لدار القرآن بخندق الزرزور بطنجة، وأشرفت على كتاب الإمام مالك بدرب لوبلا بالدار البيضاء، وأرسلت الطلبة إلى المعاهد والجامعات في مختلف بلاد الدول الإسلامية، وجالست الدكتور **تقي الدين الهلالي الحسني** قرابة ١٥ سنة، وجالست الشيخ **الزبير التفراوتي**، وحضرت دروسه في المسجد اليوسفي قرابة ١٥ سنة، وجالست الشيخ **حسن التيفي** في المسجد المحمدي بمدينة الدار البيضاء، وجالست الشيخ **ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في مدينة الرياض والطائف ومكة، والشيخ **عبدالرحمن العجلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ **ابن عثيمين** -رحمة الله عليه- في الحرم المكي، كما حظيت بتزكية من الدكتور **تقي الدين الهلالي** للشيخ **ابن باز** -عليهما رحمة الله-؛ على إثرها كان الطلبة يقبلون في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (جامعة الإمام)، كما زارني عدد من رؤساء الجامعة بالدار البيضاء؛ منهم: الشيخ **عبد المحسن العباد**، والشيخ صالح العبود، ومدراء معهد العلوم العربية والإسلامية بموريتانيا؛ منهم: **أبو سعد الدوسري**، والدكتور **هزاع الغامدي**، حيث بلغ عدد الطلاب المتعلمين ١٢٠ طالبًا في جميع المستويات التعليمية، وأغلبهم -الآن- إما أساتذة في الجامعة أو مرشدين دنيين أو خطباء في المساجد، وقد سمعت بالدكتور **تقي الدين الهلالي**؛ فسافرت إليه في مكناس والتقيت به، وكانت جمعية الدعوة إلى الله -التي كان يرأسها **الحاج محمد الوراق الحريزي**، وينوب عنه **الحاج مصطفى الودغيري** -عليهما رحمة الله- تدعو الدكتور **تقي الدين** إلى إلقاء الدروس والمواعظ وغيره من العلماء الأفاضل؛ منهم: **الشيخ حماد الأنصاري، والشيخ عمر فلاتة، والشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ محمد حسن الدريعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عبدالرحمن الأربعين[١]، ثم وقعَ النِّزاع بين فرع مراكش وبين المركز، وتلاه نِزاعٌ آخر بين فرع طنجة وبين المركز، وفي هذه السنة سنة ١٣٩٦هـ، بُذِلَتْ جهودٌ في إصلاح ذات البين، فلم تُسفِرْ عن نتيجةٍ، وبقي النِّزاع مستمرًّا، وهذه الجمعيَّة وفروعها لم تَقُمْ بأيِّ عملٍ فيه خيرٌ للدين أو للعلم أو للدعوة، منذ أُسِّسَتْ إلى يومنا هذا، فهي اسمٌ بلا مُسمًّى!»[٢].

○ اقتراحات الهلالي حول هذه الجمعيَّة:

ويتابع الهلالي كلامه؛ فيقول: «**وقد قدَّمْتُ اقتراحاتٍ عشرًا لرجالِ الجمعيَّة:**

الأول: مجلة شهرية تكون لسان الجماعة ومرشدهم ومعلمهم.

والثاني: مطبعة تطبع بها الكتب النافعة.

الثالث: مسجد لكل جماعة.

الرابع: بثُّ الدعوة في داخل البلد وخارجه ولو في الساحات والبيوت.

الخامس: إحصاء عدد الموحِّدين في كلِّ بلد بأسمائهم وعناوينهم وحرفهم وأعمارهم!

السادس: إنشاء مدرسة تتبعها مدارس، مع العزم على أن الموحِّدَ لا يتعلم ولا يُدخِلُ أولاده في المدارس التي لا تلتزم الإسلام؛ فكيف إذا كانت تحارب الإسلام؟

السابع: وعظ النساء وتعليمهنَّ ما يجب من العقائد وسائر العلوم النافعة.

الثامن: عقد اجتماعات مُصغَّرة ومُكبَّرة للبحث في حلِّ المشكلات وفي سير العمل.

---

(١) ولد في عين زورة من الريف المغربي، ثم عاش في طنجة، وانخرط في الحركة الشعبية بمقاطعة بني مكادة، وأصبح وكيلًا لهذا الحزب، وكان قياديًّا فيها، ثم دخل مجلس النواب، واشتغل في التجارة، وأثرى منها، وامتلك عدة معامل ومتاجر، وعمره الآن يناهز الثمانين.

(٢) الترجمة الذاتية رقم (١).

التاسع: تضامن الجماعات وتناصرها وتعاونها، ومعرفة كلِّ جماعةٍ أحوال الأخرى.

العاشر: تأسيسُ نوادٍ تشتمل على كتب للمطالعة يختارها أهل العلم، وتعير الكتبَ للمطالعة إلى أجلٍ معلومٍ.

فاستحسن القوم هذه المقترحات **ولكن لم يفكِّرْ أحدٌ في إنجازها.**

ولما قامت وزارة الأوقاف بمنعي مِن إلقاء دروس الوعظ في المساجد المغربية؛ كتب الإخوان في مكناس كتابًا إلى جلالة الملك يستنكرون هذا العمل، ويطلبون رفع المنع حالًا، وقد وقَّعَ هذا الكتاب سبعُ مئةِ رجلٍ، ولم تظهر لذلك نتيجة، **ومنذ وقع المنع اقتصرت الدعوة بالنسبة إليَّ على خطبة الجمعة، ودرس للنساء بعد عصر يوم الجمعة، ودرسين للرجال بعد مغرب يوم السبت في بيتي**، ولما جاء الشيخ أبو بكر الجزائري(١) المدرس في الجامعة الإسلامية، والواعظ في المسجد النبوي، وكان قد ألقى دروسًا في المساجد

---

(١) غلبت عليه الكنية فعرف بـ(أبي بكر الجزائري)، وأبوه هو موسى بن عبدالقادر ابن جابر، وُلد بقرية (ليوة) على أربعين كيلو مترًا من (بسكرة) التي يدعونها عروس الجنوب الجزائري، وذلك عام واحد وعشرين وتسع مئة وألف للميلاد، أبواه جزائريان من أسرتين محافظتين مشهورتين بالصلاح، ويكثر فيهما حفظ القرآن، وقد توارث آباؤه تعليم كتاب الله في تلك البيئة، وانفرد والده من بينهم بالتصوف، نشأ المترجم يتيمًا، إذ توفي والده وهو في السنة الأولى، فكان في حضانة أمه مكفولًا من قبل أخواله وأعمامه، حبب الله إليه العلم، فطلبه منذ نعومة أظفاره، وأنشأ مجلة «الداعي واللواء»، وكان يحررها بنفسه، قدم إلى الحج سنة ١٣٧٢هـ، وبقي في المدينة النبوية، ولازم علماءها: المشايخ العلماء عمر بري، ومحمد الخيال، وعبدالعزيز بن صالح، وثم أصبحت له حلقة كبيرة في المسجد النبوي، وبقي مدرسًا فيه حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٤٠٦هـ، له عدد من المؤلفات؛ من أهمها: «أيسر التفاسير» في (٤) مجلدات، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ قبيل فجر الأربعاء ٤ ذو الحجة ١٤٣٩هـ - ١٥ أغسطس ٢٠١٨ م، عن عمر يناهز سبعة وتسعين عامًا، ودفن في مقبرة البقيع، ترجمته في: «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٧).

بطنجة وفاس والدار البيضاء، فطلب له الإخوان إذنًا من ناظر الأوقاف بمكناس، فأعطى درسًا واحدًا في المسجد الأعظم، ثمَّ منعه خليفة العامل، ودَعَتْ جمعيَّتُنا الداعية الإسلامي الشيخ محمدًا الحسن بن عبدالقادر السوداني[١]، فألقى بعض دروس الوعظ في بيتي، وألقى ثلاثة دروس في مسجد أجانا، فلما انتبه له خليفة العامل؛ جاء لِيمنَعَه، وكان ذلك هو الدرس الأخير، فلامَه على إلقاء دروسٍ بلا إذن، فأخبره أنه اجتمع بوزير الأوقاف وأخبره أنه عازمٌ على إلقاء دروس للوعظ في مساجد المغرب فلم يمنَعْه، وألقى دروسًا في مساجد طنجة وفاس والدار البيضاء، فلم يقتَنِعْ بذلك، وطلبَ منه جواز سفره فأعطاه إيَّاه، وبقي عنده إلى صباح الغد ثم ردَّه له، وكان ذلك في شوال من هذه السنة، سنة ١٣٩٦هـ»[٢].

---

(١) هو محمد الحسن بن عبدالقادر بن محمد، ولد في عام ١٣٤٢هـ - ١٩٢١م في مدينة كسلا شرقي السودان، درس بعض العلوم الشرعية -كالتفسير والحديث- على الشيخ محمد صالح طاهر؛ الذي تلقى تعليمه على عبدالظاهر أبو السمح، وكان يحضر حلقة الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي الثابتة في الحرم المكي، ثم التحق بدراسة التمريض في مستشفى كسلا، وعمل بها إلى سنة ١٩٣٨م، ثم تجند في الجيش السوداني، وعمل في مهنة التمريض من عام ١٩٣٩ - ١٩٤٧م، ثم عمل سكرتيرًا لجماعة أنصار السنة المحمدية، ثم شغل منصب رئيسها بمدينة كسلا، ثم رئيسًا لها بشرق السودان، وظل في هذا المنصب إلى أن توفي، وكان مبعوثًا للرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد في السودان.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ظهر يوم الجمعة في أول محرم عام ١٤١٢هـ عن عمر يناهز السبعين عامًا، وكانت وفاته بمكة، ودفن بمقابر العدل فيها.

حاولت التواصل بشأن أخباره عن تقي الدين الهلالي معه في أواخر حياته، ولكنه كان مريضًا.

ترجمته في: مجلة «التوحيد»، العدد السابع، السنة الخامسة والعشرون، رجب ١٤١٧هـ، (ص ٤٨)، «جماعة أنصار السنة المحمدية» (٢٦٠ - ٢٦٨).

(٢) الترجمة الذاتية رقم (١).

استطراد في سبب منع الشيخ أبي بكر الجزائري:

كشف الشيخ علال بَشر(١) -حفظه الله وعافاه- في «مذكراته»(٢) عن سبب منع السلطات المغربية الشيخ أبا بكر الجزائري عن دروسه في المغرب، فقال:

«وكان أخي العياشي لا يحس المرء معه بثقل وسأم، كان مبتسمًا، وكانت نَظرتك إلى عينيه توحي إليك بالذكاء والطيبة وبُعْدِ النَّظَر في الرجل، وكنت أحرص على أن يصحبني أو أصحبه في خروج الجماعة إلى مدن أخرى، إذ لا تتكلف معه بأي شيء كما يكلفك غيره، فهو المستمع الحصيف، وهو المتكلِّم اللبيب.

وكنت مخزن أسراره فيما يأخذه على جماعة التبليغ إذا ظهر من بعضهم غلو، وكان يبتسم أحيانًا لمن أحس فيه غلوًّا، ذاكرًا أنه سمع من أبي بكر جابر الجزائري(٣) قوله الذي كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكرره في تعليم الجماعات: (اجتنبوا

---

(١) ترجمته في «صفحات مجهولة من حياة تقي الدين الهلالي» وهو آخر ترجمتي المطوَّلة للهلالي.

(٢) حشاها بذكرياته عن التبليغ، وبداية تأسيسهم في المغرب، وهي غير منشورة، وكان هو والشيخ العياشي متأثرين بجماعة التبليغ، ثم انفكا عنهم، وسيأتيك قريبًا طرف منها، والله من وراء القصد.

(٣) له مدح لجماعة التبليغ لا يُعبأُ به، ذكره في كتابه «القول البليغ في جماعة التبليغ»، وطار به من سرد أسماء مَنْ مدحهم من العلماء وطلبة العلم النبهاء، كما تراه في رسالة «التعريف المختصر بالهيئة الدولية التطوعية لنشر المعروف وتغيير المنكر» (ص٤٤)، وقد ذكر من ضمنهم أسماء بعض السلفيين، من مثل: العلامة فضيلة الشيخ أحمد السالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وتلميذه صديقنا فضيلة الشيخ عصام هادي، وقد أطلعته على ذلك، فكتب إليَّ ما نصه:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فقد أوقفني فضيلة الأخ الشيخ العلامة مشهور حسن -حفظه الله- على كتاب ألفه الأخ مجدي أبو عريش في مدح جماعة التبليغ والثناء عليها والتعريف بها، وذكر فيه أهل العلم وطلبته ممن أثنوا على الجماعة، وكنتُ فيمن ذكرني في كتابه. =

= وإحقاقًا للحق، وبيانًا للواقع: أقول:
نعم؛ لست ممن يناصب جماعة التبليغ العداء، ويشهر بهم في مجالسه العامة، ولكن ذلك لا يعني أني أثني على الجماعة، وأحث الناس على الخروج معهم، ولست -كذلك- ممن يصحح طريقتهم؛ بل أبين لهم -في المجالس الخاصة معهم- ما لنا -معاشر السلفيين- من ملاحظات علمية وعقدية على الجماعة، نصحًا وتوجيهًا من غير مداهنة؛ بل لي ملاحظات على الجماعة من حيث نشأة التأسيس، والمنهج، والطريقة، وقصر الدعوة إلى الله على إسلام الفضائل.
وكذلك الحال بالنسبة لشيخي وأستاذي العلامة الفقيه المربي أحمد السالك الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنا من ألصق الناس به، وأكثرهم معرفة به، فحَشْرُ اسمه في هذا الكتاب، وعَدُّه من المصحِّحين لطريقة التبليغ؛ وَهْمٌ كبيرٌ وخطأ -دون أدنى شك-، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ له ملاحظات كثيرة عليهم، ولكنه رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن يطعن فيهم في المجالس العامة، وإذا زاره أحد منهم أو جلس إليه؛ يوجِّه لهم النصح والإرشاد، وقد شهدتُ ذلك منه -مرارًا وتكرارًا-، وكان منها: في مسجدي يوم جمعة، والله على ما أقول شهيد»، **وكتبه عصام موسى هادي.**
قال أبو عبيدة: جزى الله أخانا فضيلة الشيخ عصامًا على هذا البيان، وهذا شأن العلماء المربِّين، فإنهم يوجِّهون ويعلِّمون، ولا يعملون على القدح والازدراء، وهكذا هي سياستي معهم، أنبِّه وأحذِّر، ولا أبحث عن العيوب، ولكني إن رأيتها مكشوفة سترتها، ولو بالقلم والبيان، وقد شاع وذاع على ألسنتهم أني خرجت مع التبليغ، وأسير على طريقتهم، ويتداولونه فيما بينهم في البيئة التي لي قبول فيها، فكتبت ما يلزم شرعًا لبراءة ذمتي من هذه الطريقة التي لم أرتضها في حياتي كلها، فلم يعجبهم ذلك، وكنتُ قبل هذه الكتابة -على زعمهم- ممن يمدحهم!!
وهذا شأن الكثير ممن عرفتهم، ولعل قسمًا ممن لا أعرفهم هذا حالهم(أ)، فكل من يسكت عن التبليغ، وإن أبدى النصيحة سرًّا لهم؛ فهو معدود عندهم ممن يناصرهم ويحثُّ على خروجهم!
وتكثير السواد بسرد الأسماء، لا تغني عن البينات والحُجَج، والذي أسأله، وأركِّز عليه: ما نقلته عن مشايخهم وكبرائهم من أن الصحابة كانوا يخرجون ثلاثة أيام، في أي ديوان موجود؟ وما هو تخريجه؟ فإن ثبت ذلك عن الصحابة والسلف فنحن =

(أ) إلا إن كان متعصِّبًا للتبليغ، وهم الكثرة الكاثرة من الأسماء التي سردها!

الغَيناتِ[١]: الغرورَ والغلوَ والغفلةَ). وكان يدلي بذلك مصرًّا على ذكر اسم أبي بكر جابر الجزائري لئلَّا يثير حفيظة بعض المستمعين، ممن عُرفوا بنقل ما يقوله غيرهم ينسبونه إلى أنفسهم»، ثم قال تحت عنوان (مكر الطرقيَّة بأبي بكر جابر الجزائري يوم عيد الفطر) **ما نصُّه:**

وأذكر أنه ذات يوم ونحن نتناول طعام الفطور يوم عيد الفطر في بيت أحد الموسرين، وكان ممن يواظبون على حضور دروسنا ودروس أبي بكر جابر الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي كان يقضي شهر رمضان من كل عام في المغرب مدعوًّا من طرف المغاربة وخاصَّة سكان الدار البيضاء، فأوفد بعضُ الطرقيين أحدَ العتاة ليستفز أبا بكر، فقام هذا الرجل وقال لأبي بكر جابر الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هل نقول في التشهد: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، أم نقول: اللهم صل على محمد؟ وهل ترضى أن يناديك الناس: يا بوبكر؟!!)، فرأيت الشيخ العياشي وقف وأراد أن يجيبه، وقد ظهر عليه القلق، فضغطت على يد أبي بكر وكنت بجانبه، وهمس في أذني مبتسمًا: (أجبه، وجبريل معك!!)، فوقفتُ قبل أن ينطق أخي العياشي وكان ينتظر الإذن، وقلت للرجل -وقد عرفنا قصده-: (إذا كنت في الصلاة فقل كما قال رسول الله ﷺ: (اللهم صل على محمد..)، وإذا كنت خارج الصلاة فقل ما تشاء: (اللهم صل على سيدنا محمد..)، فقد قال البوصيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُـذَّالِ في صَمَمِ»، وشدَّ الشيخ أبو بكر على يدي، وقد جلس

= مأمورون به، فلماذا يكتمونه عنَّا، ويظهرون لنا عبارات ليست بمستقيمة لا في الدين ولا في اللغة ولا في العقل، وهي مكررة، بلا فائدة، ولا طائل تحتها؟!

وقد تطلبت الجواب على هذه الدعوى، ورحلت إلى عدد من العلماء -في نظرهم- وسألتهم من صغري، فلم أجد علمًا ولا جوابًا شافيًا، وإنما هي عواطف وحماسات، غير محكومة بالتقريرات الشرعية!

وانظر عنها وعن شبهة ثناء العلماء عليهم ما مضى (ص ١٩).

(١) الغينات: جمع غين، ومقصوده الكلمات التي تبدأ بحرف الغين.

الرجل مرتاحًا لما سمع اسم البوصيري، وناديت أخي الشيخ العياشي ليلحق بنا ويجلس بجانبنا إذ كنا نحترم أدبه ونقدر مقامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم قال تحت عنوان:

○ كان آخر رمضان لأبي بكر جابر الجزائري يلقي فيه الدروس في الدار البيضاء:

«كان رمضان الأخير الذي قضاه معنا أبو بكر جابر الجزائري، إذ كان يلقي مواعظه البليغة في المسجد المحمدي بالدار البيضاء، وكان المغاربة يتوافدون على المسجد قادمين من المدن: كالرباط ومراكش وما بينهما؛ نظرًا لعمق دروس الشيخ، وكنت تكفلت برفقته وتأمين حاجاته، وكان ضيفًا على السيد المصطفى الودغيري الذي أعطاه فيلا في حي (بيلفيدير) بجانب مسجده الذي بناه، لكنه لا يسع عدد الحاضرين، وحدث أن التقيت بالشيخ العياشي هناك في صلاة الظهر، ورافقنا الشيخ أبا بكر جابر الجزائري إلى المقر الذي عين له، ثم لما تمدد على سريره ليستريح خرجنا، فتذكرت أن أخبره بالساعة التي سأعود فيها لآخذه إلى المسجد المحمدي بحي الأحباس، ووقف الشيخ العياشي ينتظرني بالباب، ودخلت فإذا بالشيخ جابر متكئ على السرير، وفي يده سبحة، فقلت له ضاحكًا: (أحرام علينا، حلال عليكم؟)، فابتسم وقال: (إنها تذكرني ربي..)، فقلت له: هو جواب جميع من يحملون السبحات، إلا من يتخذها من كمال ملبسه في الخليج والشرق ممن يلعبون بها، وتصحبهم إلى البارات والكازينوهات، وهو أمر ينكره أهل المغرب.

وذكرت الأمر للشيخ العياشي، وإذا به يتوقف ويمعن النظر في الأرض، ثم أمسك بيدي وسرنا وكل منا يفكر بما رآه!

ويوم الثاني والعشرين من رمضان؛ ألقى الشيخ جابر موعظته البليغة، إلا أنه كان يصيح على غير عادته، ثم قال: (والله! إن من أدخل آلة التلفاز في بيته فقد أدخل الكفر فيه).

وفي صباح اليوم التالي ناداني السيد المصطفى الودغيري المسؤول عن إقامة الشيخ وعن نفقات إقامته وتنقله: أن عليَّ أن أكون عنده في البيت الذي يقيم فيه الشيخ جابر، فوجدت جمعًا، منهم بعض أغنياء الدار البيضاء، ومنهم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي والشيخ الزبير والشيخ المنصوري العياشي وغيرهم، **كانوا يتذاكرون موضوع توقيف الشيخ الجزائري من طرف المخابرات المغربية لما ذكره عن التلفاز، وأصبح ممنوعًا من إعطاء المواعظ في المغرب، فماذا يجب أن نفعل؟!!**

وتذاكروا وأرادوا أن يعينوا من ينوب عن الشيخ الجزائري هذه الأيام الباقية من رمضان، سيما وأن عدد الحاضرين كل يوم يفوق الخمسة آلاف!!

اختيارهم إياي خلفًا لأبي بكر الجزائري في دروس رمضان حتى العيد:

وكعادته حتى يبعد عن نفسه (التورط!) في اختياره هو، قام الشيخ العياشي وتحدث بأدبه ونبله: (... إن الشيخ الزبير مشغول في المسجد اليوسفي، وإن الدكتور الهلالي يأتيه الناس لأخذه إلى مساجد في مدن أخرى، وله برنامج، ولا نرى من يستحقها ويغطي غياب شيخنا أبي بكر سوى الشيخ علّال بَشَر؛ فقد أعطاه الله الحكمة وله (جمهور)، ولن يترك الناس يتساءلون سيما إذا اعتذرتم إليهم، والشيخ علال يعرف كيف يقنعهم وكيف يكون في المستوى المطلوب)، وإذا بالجميع يؤمن على هذا الاختيار ويدعون لي بالتوفيق.

وكان درسًا بكيتُ فيه، وبكى فيه الناس، وطلبوا مني أن ألقي درسًا يومًا، ويومًا لأبي بكر متى شفاه الله، وبقينا على هذا المنوال إلى أن انتهى رمضان، (ونسي الناس أبا بكر، وسينسون علال بشر كعادتهم، فتبقى الدروس ذكريات..) كما قال الشيخ العياشي المنصوري معتبرًا بما مضى...».

○ إفاضة في جمعية الكتاب والسنة:

يأمل الهلالي أن يتحد السلفيون العاملون في العالم -ولا سيما في المغرب-،

ويوجهوا جهودهم في نشر التوحيد والسنة، وكانت علاقاته حسنة مع جميع العاملين، ولا سيما الشيخ مصطفى المصنف -حفظه الله تعالى-، وقد ذكر لي مواقف علمية وتربوية على لسانه تدلل مدى عمق الصلة[١] بينهما، وكتبها لي مأجورًا مشكورًا صهره أخونا العلّامة فضيلة الشيخ مولاي أبي عبدالرحمن الحسن العلوي -حفظه الله وأدامه- في ١٢ ذي القعدة ١٤٤١هـ - ٣ يوليوز ٢٠٢٠م.

وأكثرت السؤال عن هذه الجمعية؛ فتبين لي أنه لا صلة بين الجمعية القائمة الآن -في مراكش، برئاسة فضيلة الشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي- بهذه الجمعية.

وأن الجمعية -التي أسسها الشيخ مصطفى المصنف- كانت قائمة برأسها، وأن ما كتبه الهلالي هو ما كان يأمله من توحيد الجهود فحسب.

كتب إليَّ الدكتور الشيخ السيد الحسن العلوي -حفظه الله تعالى وأمتع به-؛ **ما نصه:**

«جمعية دار القرآن الكريم بمراكش» التي يرأسُها الأُستاذ الشَّيخ مصطفى المصنِّف، هي جمعيةٌ مستقلةٌ تمامًا، ذَاتُ نشاطٍ علميٍّ دَعويٍّ تَربَوي، وقد أَعربتْ عن نفسِها في مطلعِ طَلَبِها المقدم للسلطةِ المحليةِ للمدينة، مبينةً دَوافِعَ تأسِيسها وإنشائهَا، ذاكِرةً أَهدافهَا ووسائلَ عملها، شعارها قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٣-٤٤]، وقول رسول الله ﷺ: **«تركتُ فيكم أَمرين لن تضِلوا مَا تَمسَّكتُم بِهمَا؛ كتابَ الله وسُنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عَليَّ الحوض»**[٢].

---

(١) ذكرتها في كتابي «صفحات مجهولة من حياة تقي الدين الهلالي من خلال تلاميذه وإجازاته»، وهي القسم الأخير من ترجمتي الحافلة له.

(٢) سيأتي تخريجي له في التعليق على (ص ٣٧٦).

وفي قانونِها الأَساسي المنشور مع طَلَبِهَا المذكور التنصيص على تكوينها، وأجهزتها الإدارية، وموادِّها التأسيسيةِ، وما تحت ذلك من أقسامٍ وفصول، وجمعها العام ومكتبه التنفيذي، ومواردها المالية.. والتصريح باسم رئيسها وخليفتِه، واسم كاتِبِها العام وخليفتِه، واسم أمينِ المالِ وخليفتِه، وأسماءِ المستشارين الثلاثة، مع التعريفِ التَّامِّ بِكلِّ هؤلاء الأَعضاءِ المذكورين بِبَيَانِ أسمائِهم الكاملة وألقابهم وأسماءِ أبويهم (والدًا ووالدةً) وأسماء أجدادهم، وتاريخ ميلادِ الأَعضاءِ ومكانِهِ وذِكرِ مهنتهِ ومحلِّ إقامتِهِ ومسكنِهِ، وقد بعثُت لكم سيدي الفاضِل مشهور المشهور الأَوراقَ الإدارية المختومة مِن طرفِ الجمعية نفسها ووزارة الداخلية[1].

وبهذا يُعلمُ عِلمَ يقينٍ أَنَّ جمعيةَ دار القرآن الكريم بمراكش لا تنضوي تحت أيِ جمعيةٍ أو جماعةٍ أو مؤسسةٍ أُخرى البتة، وَبِهَذَا (قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قولَ كلِّ خَطيب).

وقد زارنا بحمدِ اللهِ وفضلِهِ -ونحن بمراكش- صفوةٌ مِن مشايخنا العلماء، ونُخبةٌ مِن إخواننا الدعاة الفضلاء، مِن داخِلِ المغربِ وخارِجِه، مِمَّن نعتزُّ بهم، ونُفاخِرُ بِمَقْدَمِهِم وَبَهِيِّ طلعتِهِم.. كشيخنا العلَّامة القدير المُدهِش محمد تقي الدِّين الهلالي، وشيخنا العلَّامة الشَّهير المحدِّث محمد ناصِر الدِّين الأَلباني، وشيخنا العلَّامة الخطير المحدِّث حماد بن محمد الأَنصاري[2]، وشيخنا العلَّامة الأَثير الداعية أَبي بكر جابر الجزائري[3]،

---

(١) انظرها في (الوثائق) الملحقة آخر ترجمتي المطولة للعلَّامة محمد تقي الدين الهلالي.

(٢) ولد بمدينة تادمكة بجمهورية مالي بإفريقية سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م، يرفع نفسه إلى بني نصير الأنصاريين آخر من حكم غرناطة، قدم إلى السعودية سنة ١٣٦٦هـ وأخذ عن كثير من علمائها، ثم عيِّن مدرسًا في الجامعة الإسلامية، كان كثير الانشغال بالعلم؛ ولا سيما الحديث النبوي، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
ترجمته في: «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٤٩ - ٦١)، «موسوعة الأدباء والكتَّاب السعوديين» (١/ ٢٩ - ٣٠)، «كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى» (٦٥ - ٩٤).

(٣) سبقت ترجمته.

وشيخنا العلَّامة الداعية محمد عبدالوهاب البنا[(١)]، وشيخنا العلَّامة الداعية محمد حسن عبدالقادر السُّوداني[(٢)]، وشيخنا العلَّامة الداعية الجوال محمد الصواف العراقي[(٣)]، والأُستاذ الدكتور الطبيب الفاضِل.........

---

(١) وهو معروف في مصر والحجاز -منذ أكثر من نصف قرن- بالدعوة إلى التوحيد الخالص، والعقيدة الحقة، والسنة الصحيحة، ولقد كان مِن خُلَّص أقران وأصحاب وأحباب شيخنا الإمام الألباني -رحمهما الله تعالى-، وقد تزاملا في التدريس في الجامعة الإسلاميَّة في المدينة النبوية، وترافَقَا في بعض الرحلات الدعوية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها -كالمغرب العربيِّ وبريطانيا-، ولقد كان التزاوُرُ بينهما موصولًا مباركًا؛ فقد زاره الشيخ الألباني في بيته الكريم في جُدة -بُعيد حج سنة ١٤١٠هـ، وزار الشيخ البنَّا الشيخ الألباني في منزله في عمَّان سنة ١٤١٥هـ أو قبلها.

وشمائل الشيخ البنَّا وفضائله -عفا الله عنه- كثيرة مبرورة -ولا نزكيه على الله-:

منها: حُسن خُلقِه، وابتسامتُه، وشِدةُ حرصه، وعظيم كرمه، وكبير تواضعه، وغير ذلك من صفاتٍ عاليات، وشمائلَ كريمات.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٤٣٠هـ عن عُمُر يُقاربُ المئةَ عام أو يزيد.

له ترجمة في: «تراجم أعيان الأسر العلمية في مصر خلال القرن الرابع عشر الهجري» (٢/ ٩٤) ومجلة «الهدي النبوي» عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩هـ، وله ترجمة ذاتية بقلمه، لم تنشر.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) ولد في مدينة الموصل بالعراق في أول شوال سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م، وينتسب إلى طي، من قبيلة شمَّر المعروفة، ونشأ في بيت علم وجهاد وتجارة، وكان على رأسها رجل صالح، خطَّ لابنه طريق العلم الشرعي، وقد تتلمذ على شيخه الفاضل عبد الله النعمة، وعلى الشيخ صالح الجهادي، وعلى الشيخ أمجد الزهاوي عالم العراق الفريد، ودرس بالمدرسة الفيصلية، وحصل على إجازتها العلمية عام ١٣٥٥هـ، والتحق بالأزهر عام ١٣٥٨هـ، وكان من المتفوِّقين في كل مراحل دراساته، وأبرزها الأزهر، حيث كان لتخرجه ضجَّة في أوساط العلماء والصحافة العربية، وذلك حين استطاع أن يختصر دراسته في الأزهر من ست سنوات إلى ثلاث، حيث حصل على العالمية في سنتين بدل أربع، وعلى التخصص في سنة بدل سنتين، حتى قال له شيخ جامع الأزهر في زمانه الشيخ مصطفى المراغي: «لقد فعلت يا بني ما يشبه المعجزة، =

= وسنّت سنّةً في الأزهر لم تكن».
اشتغل بالعمل الشعبي والتوجيه الإسلامي في المساجد والجمعيات، فانتسب إلى جمعية الشبان المسلمين بالموصل، وأنشأ جميعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها، كما أسس مع شيخ علماء العراق أمجد الزهاوي -وكان معهم تقي الدين الهلالي- جمعية (الأخوة الإسلامية) التي قامت بدور رئيس في مقاومة المحتل، والدعوة إلى الله.
وعمل مدرِّسًا بكلية الشريعة في الأعظمية ببغداد، وفضَّله على العمل في القضاء، برغم المصلحة الشخصية والجاه.
وكان العراق تحت النفوذ الإنكليزي؛ فكان الشيخ يقود المقاومة الشعبية، ويسيِّر المظاهرات الصاخبة، ويلقي الخطب النارية ضد العدو وأعوانه، وقد تعرض خلالها للسجن والتشريد وقطعِهِ عن عمله لمدة تسع سنوات.
وعندما قامت ثورة ١٩٥٨م في العراق بقيادة عبد الكريم قاسم، وسيطر الشيوعيون على مقاليد الأمور في بداياتها، انصبَّ غضب هؤلاء على الشيخ الصواف ودعوته، يؤازرهم أعداء الإسلام من العلمانيين والقوميين، حيث عمدوا إلى تلفيق التهم ونشر الشائعات ضده وضد حركته الإصلاحية، وعمدوا إلى الهجوم على مطبعة مجلة «لواء الأخوة الإسلامية» وتحطيمها، وكذلك الهجوم على بيته، ثم القبض عليه وسجنه في سجن أبو غريب مع ثلة من وجهاء العراق أمثال اللواء ركن محمود شيت خطاب.
وبعد خروجه من السجن، استمرت الملاحقة له، ومحاولة اغتياله من قبل الشيوعيين، مما اضطره إلى مغادرة بغداد في شهر أيلول سبتمبر ١٩٥٩م في رحلة رهيبة شاقة تحفها المخاطر عن طريق الصحراء الفراتية، حيث تجلت عناية الله به ورعايته وتعمية عيون الأعداء والجواسيس عنه حتى وصل إلى الحدود السورية، حيث استُقبل في البوكمال ودير الزور، ثم حلب ودمشق؛ استقبالًا رائعًا مشهودًا على المستوى الشعبي، وكانت فرحةُ اللقاء به- بعد شائعة مقتله من قبل الشيوعيين- كبيرةً من قبل علماء سوريا وشعبها، وعُقدت له الاجتماعات الخطابية بكل مكان.
وبعد ذلك قدم إلى المدينة النبوية ثم إلى مكة المكرمة وأقام بها منذ عام ١٩٦٢م حيث عمل مدرسًا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، وعضوًا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضو المجلس الأعلى للمساجد، وعضو المجمع الفقهي بالرابطة، ثم مستشارًا بوزارة المعارف السعودية، فمبعوثًا=

وجيه زين العابدين العراقي(١)، والأُستاذ ....

= للملك فيصل إلى الملوك والرؤساء من أجل الدعوة الإسلامية والتضامن الإسلامي، وكانت آخر جولاته الميدانية رئاسته لوفد المصالحة بين الأحزاب الأفغانية في بيشاور.
توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الجمعة ١٣ ربيع الآخر سنة ١٤١٣هـ يوافق ١٩٩٢م بينما كان في انتظار إقلاع الطائرة من مطار إستانبول في طريق عودته إلى مكة المكرمة، ودفن في مقابر المعلاة بمكة، بجوار قبر الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وقد كتب صفحاتٍ مِن «ذكرياته» في مجلة «المسلمون» اعتبارًا من العدد (٣٣)، ٧-١٣/ ١/ ١٤٠٦هـ، ثم توقف عن إكمالها لأسباب غير معروفة! ثم صدرت «ذكرياته» في كتاب عن دار الخلافة بالقاهرة كما في ثبت مؤلفاته.
وله مذكرات عن أعماله الدعوية ونشاطه الإسلامي في كتابه «صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق».
من آثاره العلمية: «أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب»، «أم القرآن وخير ثلاث سور أنزلت»، «بين الرعاة والدعاة»، «تعليم الصلاة» وقد ترجم إلى عشر لغات، «دعاء السَّحر»، «رحلاتي إلى الديار الإسلامية: أفريقيا المسلمة»، «زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن»، «صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات» (وهو أول إصدار له)، «صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق»، «صوت الإسلام في العراق»، «عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين»، «العلامة المجاهد الشيخ أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق المعاصرين»، «فاتحة القرآن وجزء عمَّ الخاتم للقرآن»، «القرآن: أنواره، آثاره، أوصافه»، «لا اشتراكية في الإسلام»، «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام»، «معركة الإسلام، أو وقائعنا في فلسطين بين الأمس واليوم»، «من سجل ذكرياتي»، «من القرآن وإلى القرآن: الدعوة والدعاة»، «نداء الإسلام»، «نظرات في سورة الحجرات».
ترجمته في: «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٢٩٥)، «رجال وراء جهاد الرابطة» (٥٧)، «تتمة الأعلام» (٨/ ٣٠٠)، مجلة «المجتمع» عدد (١٠٢٢) بتأريخ ٢/ ٥/ ١٤١٣ هـ، (ص٢٨) وعدد (١٠٨٢) (ص٤٣).

(١) ظفرتُ بذكره، وفزت بتعيينه من رسالة وجهها الهلالي لعميد السلفيين في الحجاز محمد نصيف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، كتبها له وهو في مكناس بتأريخ ٢٦ شوال ١٣٨٢هـ؛ يقول له فيها: «فحاملُه إليكم أخونا في الله أبو البراء الدكتور وجيه زين العابدين؛ وهو الذي يقوم مقامي في مسجدنا معشرَ أهلِ الحديث في بغداد، وفي إرشاد السلفيين هناك، =

= وهو من الصالحين من الأطباء، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، فأرجو أن ترشدوه إلى كل ما يحتاج إليه الغريب في الحجاز، وأن توصوا به المشايخ في مكة، ولكم الشكر والأجر»، انظر: كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (٣/ ١٠٨١ - ط الأولى).
والدكتور وجيه الدين له ذكر في كتاب «الدعوة إلى الله» (ص٣٣٤ - بتحقيقي)، ونعته الهلالي بقوله: «أخونا السلفي الصالح الدكتور»، وكان تأليفه إيَّاه بطلب من الدكتور وجيه، كما في أوله (ص٨٣ - بتحقيقي)، وذكر قصة على لسانه، وفيها ما يفيد أن له مقالة في (مضار الخمر)، وأنه كان معروفًا عند الحكومة العراقية زمن عبدالكريم قاسم، وأنهم أخذوه وحجزوه بتهمة أنه بعثي! في قصة مؤلمة، لا داعي للإطالة بذكرها.
واستطعت التوصل لهاتف أحد أبناء وجيه زين العابدين -وهو الدكتور ياسر-، واتصلت به بعد ظهر (٢٥ذو القعدة١٤٢٦هـ يوافق ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٥م، ووعد بإرسال ما يخص تقي الدين فيما هو عند أبيه، ثم عاودت الاتصال به في (١٩ذي الحجة١٤٢٦هـ)، وأخبرني أنه قرأ كثيرًا فيما تركه والدهُ؛ ولم يجد شيئًا، وقال: «إنَّ لأبيه مذكرات في الموصل، وكلفت أخي بالبحث فيها؛ ولم أفز بشيء!».
ثم ذكر لي بعد فجر يوم الجمعة في التاسع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وأربع مئة وألف: ترجمة موجزة حسنة لأبيه؛ فقال -أحسن الله إليه-:
«**وهذه نبذة مختصرة عن د. وجيه زين العابدين:**
- ولد المرحوم وجيه زين العابدين في مدينة الموصل عام ١٩١٩م.
- ختم القرآن تلاوةً قبل دخوله الابتدائية.
- في مقتبل العمر تأثر بوالده محمد أفندي؛ وكان صوفيًّا قادريًّا شأنه شأن الكثير من المتدينين -وقتئذ-.
- دخل كلية الطب في بغداد عام ١٩٣٦م وتغيرت أفكاره.
- بعد التخرج ببضع سنوات مال إلى التوجه السَّلفي باعتدال؛ بعد أن حضر خطبة للمرحوم الشيخ توفيق زين العابدين الهاشمي (وهو ليس من أقاربه)؛ حيث كان يتحدث عن البدع.
- حفظ القرآن الكريم وهو في الثلاثينيات على يد المرحوم عبد الهادي غزال؛ وهو رجل من صالحي الموصل.
- تم تحويله إلى الخدمة العسكرية بأمر من الدولة، خدم (١٥) عامًا، ثم طلب التقاعد لأسباب صحية، ولعدم رغبته بالعمل في الجيش. =

= - أحيل إلى التقاعد عام ١٩٥٨م وتفرغ لعبادته وللدعوة وطلب العِلم.
- كان رَحِمَهُ اللَّهُ معتدلًا، ولديه علاقات واسعة جدًّا ومع الجميع، وكان يهتم جدًّا بمراجعة حفظه للقرآن ودراسة التفسير والحديث، ولديه مكتبة كبيرة ومتنوعة.
- بدأ بالكتابة في مجلة «التربية الإسلامية» التي كانت تصدر في بغداد منذ عام ١٩٥٩ وحتى عام ١٩٨٩م، وكان لديه مقالان: وعظي وطبي.
- كتب سلسلة استمرت أعوامًا بعنوان (وقدوتنا محمد ﷺ).
- كان يلقي الدروس في جامع الدهَّان في الأعظمية ببغداد في الستينيات، وتوقف عام ١٩٦٩م بسبب ضغط حزب البعث الذي استلم السلطة عام ١٩٦٨م.
- تتلمذ على يد العلَّامة المغربي تقي الدين الهلالي عندما قدم بغداد في الستينيات، وتأثر به وبفقهه كثيرًا، ولطالما كان يستشهد بكلامه وفتاواه وسمته وقوة شخصيته وشجاعته في الدعوة.
- وأذكر جيدًا أنه كان يتحدث عن سفرة جمعتهم في قضاء شقلاوة من محافظة أربيل شمالي العراق (وهي منطقة جبلية فيها عشرات العيون)، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:
«أدركتنا صلاة الظهر؛ فأمر الشَّيخ الهلالي أحد أتباعه من العراقيين أن يؤذن للصلاة في المقهى، وكان مزدحمًا بالناس، فشعر الرَّجل بالحرج وتردد؛ باعتبار أن الوقت كان يومها للعلمانية، والوعي لدى الناس كان ضعيفًا؛ فقام الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ فأذَّن وجمع إخوانه فصلى بهم جماعة».
- تعرض الدكتور وجيه للضغط الأمني على يد الشيوعيين عام ١٩٥٩م؛ حيث تمت مداهمة داره في الأعظمية وتمكن من الهروب، وكانت النية (سَحلَه) ثم (صَلبَه) كما فعل بغيره من الوطنيين الذين وقفوا ضد الشيوعية.
- ثم استهدف عام ١٩٦٩م من حزب البعث، وتمكن -أيضًا- من الهروب، وصدر بحقه حكم الإعدام، ثم عفى عنه الرئيس أحمد حسن البكر؛ كونه كان يعرفه في الجيش.
- كانت له علاقة قوية بالمرحوم الشَّيخ عبد العزيز البدري؛ الذي اعتقل في ذلك العام ثم عذب حتى استشهد رَحِمَهُ اللَّهُ.
- أغلب وقته كان يقضيه في الدعوة إلى الله وإرشاد الناس للخير، وكانت عيادته أفضل مكان للتأثير في الناس.
- زار المغرب عام ١٩٧٥م ومكث فيها شهرًا، وكان الهدف زيارة الشَّيخ الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعرَّف على مجموعة من تلاميذ الهلالي، ووقعت بينهما لقاءات وزيارات. =

الدكتور المحترم سالم علي الثقفي[1] مِن أرضِ الحرمينِ، رحمهم الله جميعًا وجمعنَا بهم في رضوانِهِ ومستقر رحمتِه، آمين آمين آمين.

= - وعاد إلى بغداد مسرورًا جدًّا، حتى أنه صلى بنا العصر يومًا وكانت صلاته مختلفة؛ فقد أطال الركوع والسجود، ووضع يمينه على شماله عند الاعتدال بعد الركوع، فلما فرغنا من الصلاة؛ سألته مستغربًا! فقال: «هكذا كان يصلي الهلالي».
- عام ١٩٨٨م قرر المرحوم ترك العيادة بعد أن ضعف سمعه.
- عام ١٩٩٠م أي: في العام الذي غزا فيها صدام الكويت؛ افتتح الوالد أول دورة لتحفيظ القرآن في مسجد الحي (جامع محمود مهاوش الكبيسي)، واستمر يدرس القرآن والحديث حتى توفاه الله.
- توفي في ٢٣/ ٣/ ١٩٩٣م بعد أن مرض (٤٠) يومًا بسبب انتفاخ في شريان البطن، رحمه الله -تعالى- وأسكنه فسيح جناته».

(١) من الطائف، ولد سنة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م، نال شهادة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة، والدكتوراة من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٣٩٦هـ، ثم كان أستاذ الفقه والفقه المقارن بجامعة أم القرى وفرعها في الطائف، وترأس قسم الشريعة والدراسات الإسلامية حتى تقاعده، وقد تعرَّض لحادث أثناء دراسته الجامعية، فقُطعت يده اليمنى، وكان محبًّا للعلم، صبورًا على البحث، حصَّل (٤١) مخطوطًا لرسالته العلمية في رحلة علمية إلى عدة بلدان في العالم، وأنفق على بحوثه العلمية أموالًا طائلة، وكان يتكلَّم الفصحى حتى في الحياة العامَّة، سكن مكة منذ تقاعده، ولازم منزله مواصلًا البحث والكتابة، توفي بجدة يوم ٤ ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ - ٢٨ شباط (فبراير) سنة ٢٠٠٩م.
كُتبه: «أحكام التكبير في العيدين»، «أحكام الغناء والمعازف وأنواع الترفيه الهادف» (يوجد ردٌّ عليه)، «أحكام تربية شعر الرأس وتهذيبه»، «أسباب اختلاف الفقهاء» (أصله ماجستير بعنوان «اختلاف الفقهاء»)، «الحياة الاجتماعية في المملكة العربية السعودية» (أصله محاضرة)، «الزيادة على النص»، «الفقه الحنبلي وكيف وصل إلينا» (دكتوراة)، «مصطلحات الفقه الحنبلي»، «مفاتيح الفقه الحنبلي»، «موسوعة تاريخ الطائف ودور قبيلة ثقيف من عهد الرسول ﷺ وحتى الآن».
ترجمته في: «تتمة الأعلام» (٣/ ٣١٥)، «موسوعة أسبار» رقم (٣٨١)، «مجلس ترعة ثقيف» سنة ١٤٣٤هـ.

وممن زارنا -أيضًا- أخونا العزيز الشَّيخ محمد العيد العباسي[(١)] -حفظه الله تعالى-، وقد كان لهؤلاءِ الخيِرَةِ مِن العلماءِ منَ الجُهُودِ المباركةِ النافعةِ في مزيدِ النَّشاطِ العلميِّ والدَّعويِّ؛ مِمَّا أَنعشَ الدعوةَ السُّنيةَ السَّلفيةَ وأذكاها، وحرَّكَ مَسِيرتَهَا في الوسَطِ المراكشي خاصَّةً، وفي بعضِ المدنِ المغربية عامة،

(١) هو محمد عيد بن جاد الله بن مصطفى بن حاج حسين بن ياسين العبَّاسي، ولد بدمشق سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م، وهو عالم سلفي، وداعية مربٍّ، ومحاضر خطيب، أتمَّ حفظ القرآن في الرابعة عشرة من عمره، وتخرَّج من مدرسة التجهيز سنة ١٩٥٦م، ثم درس في قسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعة دمشق، وحصل على إجازتها سنة ١٩٦٠م، وفي العام التالي نال شهادة الدبلوم العامَّة في التربية.

درس زمنًا في معهد التوجيه الإسلامي، وأفاد من عدد من علماء الشام، منهم: الشيخ حسن حبنَّكة الميداني، والشيخ مُلا رمضان البوطي، والشيخ أحمد كفتارو. وحضر محاضرات الدكتور مصطفى السباعي، ثم عرَّفه صديقه الشيخ خير الدين وانلي رَحِمَهُ اللهُ إلى العلَّامة المحدِّث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م، وأعجب بشخصيته وعلمه ومنهجه، واقتنع بفكره السلفي، فلازمه ملازمة شديدة، وصار مِن أقرب طلابه في الحل والترحال، وصار ينوب عنه في إلقاء الدروس في حال غيابه، وسافر معه إلى كثير من المحافظات، وسافر معه إلى لبنان والسعودية والإمارات والأردن.

وامتُحن نحو اثنتي عشرة سنة من منتصف ١٤٠٠ - ١٤١٢هـ يوافق ١٩٨٠ - ١٩٩٢م بالسجن في سوريا، وأخذ بالظِّنَّة والشبهة، والتقيته في بيت أخينا الشيخ علي بن حسن الحلبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في الزرقاء -الأردن، بحضور شيخنا الألباني، وكان شيخنا الألباني قد قرأ علينا رسالة وصلته منه وهو في السجن، وهو ما زال حيًّا يرزق، ونشر «بدعة التعصب المذهبي»، «قضية الإنسان الكبرى، الخطر الرهيب»، رسالة «حكم دخول الجنب والحائض النفساء المسجد»، «حقوق الإنسان في الإسلام»، «نصيحتي للجماعات والأحزاب الإسلامية»، «الدعوة السلفية في بلاد الشام»، وهو الذي خرَّج أحاديث «نسخة ابن طهمان»[(أ)]، وكذلك «منار السبيل»، «ورسالة لطيفة في أحاديث متفرقة ضعيفة» لمحمد بن عبدالهادي.

(أ) طُبعت بعنوان «مشيخة ابن طهمان».

ممَّا كان لهُ الأثرُ الحَسَنُ الحِسِّيُّ البالغُ على نُفُوسِ الكثيرِ مِنَ الشَّيِّبِ والشَّبيبةِ في ارتوائِهم منَ العِلم والمزيدِ منَ المعرِفة.

وكان مِن أنشِطةِ جمعيةِ دارِ القرآنِ الكريم بمراكش -وقتها- أنْ طلبت مِن السلطات المحلية مُوافقتها على إلقاءِ دروسٍ علميةٍ ومحاضراتٍ دينيةٍ مُنتظمة بقاعة دار الشباب بالمدينة نفسها لِكلٍّ مِن الأُستاذين: الشَّيخ محمد ناصر الدِّين الألباني، والشَّيخ محمد البنا لمدة أربعةِ أيامٍ متتابعة؛ هي:

يوم (٣١ غشت ١٩٦٧)، على الساعةِ التاسعةِ والنصفِ مساء.

ويوم (فاتح سبتمبر ١٩٦٧)، على الساعةِ التاسعةِ والنصفِ مساء.

ويوم (٢ سبتمبر ١٩٦٧)، على الساعةِ التاسعةِ والنصفِ مساء.

ويوم (٣ سبتمبر ١٩٦٧)، على الساعةِ التاسعةِ والنصفِ مساء.

وفعلًا وَافَقَتِ الجِهاتُ المسؤولةُ المُختصةُ على ذلك، وتمَّ بحمدِ اللهِ إلقاءُ المحاضرات المشار إليها على أحسنِ حالٍ وأفضلِ مآل.

وسوف تجِدُونَ أخي مشهور مع مكتوبي هذا صُورةً للوثيقةِ الإداريةِ لسلطةِ المدينةِ التابعةِ لوزارةِ الداخليةِ الدالةِ على موافقتها وعَدَمِ ممانعتها[١].

كما سَعَتِ الجمعيةُ -أيضًا- إلى استقدامِ الشَّيخ الفاضِلِ المقرئ المشهور أبي عبدالله مُنير المظفَّر التونسي[٢] -حفظه الله تعالى- حيثُ تَمَّ التعاقُدُ معه بعد تخرجهِ في الجامعةِ الإسلامية بالمدينة النبويةِ المنورة؛ وذلك بِطلبٍ مِن

---

(١) انظر مصورتها في (الوثائق) الملحقة بترجمتي المطولة للعلَّامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

(٢) هو منير بن محمد المظفر الصفاقسي التونسي، ولد في السابع من يوليوز ١٩٣٥م، وانتقل إلى عدة بلاد لطلب العلم، ودرس في الجامعة الإسلامية، وتخرَّج على مجموعة من المشايخ هناك، ودرس فيها على شيخنا الألباني، وابن باز، وعيون السود، وعبدالفتاح القاضي، وجمع بين علوّ السند، والإتقان والرسوخ في علم القراءات، واستقر بفاس وتزوّج بها، ودرس قبل ذلك بوهران - الجزائر، وله تلاميذ في أكثر من بلد، وهو حيٌّ يرزق -حفظه الله ونفع به-.

السَّيِّد مصطفى المصنِّف[١] للشَّيخ العلَّامة عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وهو بمدينةِ الطائف، بإشارةٍ مِن الدكتور رضا نعسان معطي للمصنِّف، وهما معًا بمكَّة المكرَّمة، بُغية التعاون العلمي مع الجمعية على حسابِ الابتعاثِ إلى المغربِ مِن طرفِ السعودية، مما كان له الأثر الطيب بحمد الله.

كما كان التعاونُ في المجالِ الدَّعوي واللقاءِ الأَخوي قائمًا بين جمعية دار القرآن الكريم بمراكش وجمعية الدعوة إلى الله بمدينة الدار البيضاء التي كان رئيسُها العام الحاج محمد الحريزي أحد مياسير وأثرياء المدينة المذكورة، وكذا مع فرعها بمدينة مكناس الذي يرأَسُهُ شيخُنا العلَّامةُ الهِلالي.

ولله الأمرُ مِن قبلُ ومِن بَعدُ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» انتهى كلام فضيلة الشيخ العلوي -حفظه الله-.

❍ عالمية الدعوة على يد الهلالي:

الهلالي صاحب إنجاز وعمل، واجتمعت أسباب انتشار الدعوة السلفية، لتصبح عالمية، ولتأخذ مكانًا لها في كل بلد، سواء كان مسلمًا أم كافرًا، وانطلقت الوفود الدعوية إلى جميع قارات الدنيا، وكانت بدعم العلَّامة ابن باز، وباستشارة الهلالي ومشاركاته[٢].

فالهلالي عارف بأهل أوروبا، وعاش بينهم، ويتقن لغتهم، ويعرف طريقة تفكيرهم، وكيفية دعوتهم، وما هو السبيل الأمثل إلى ذلك.

واستخدم الهلالي معرفته باللغة الإنكليزية، وتعاون مع صديقه محمد محسن خان[٣]، فترجما معاني القرآن الكريم، وسدَّت «ترجمتُهما» حاجة

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) انظر عن الوفود: مراسلات الهلالي لابن باز في كتابنا «رسائل الهلالي الشخصية» (٣/١١٦٦، ١١٨٩ - ط الثانية).

(٣) وُلد الدكتور محسن بن محي الدين بن أحمد آل عيسى خان في مدينة القصور بباكستان عام ١٣٤٥هـ، يرجع نسبه إلى بني محمد إحدى قبائل الأزد التي استوطنت =

ماسة، خاصّةً أن الترجمات السابقة كان يعتريها خلل عَقَدي، وأخطاء منهجية، وازدادت أهميتها أن مجمع الملك فهد للمصحف الشريف في المدينة النبوية

= منطقتي القفص والأخواش بكرمان، والتي أَسس فيها زعيمُ الأزد -سليمة بن مالك ابن فهم الأزدي الزهراني- دولته قبل الميلاد بـ(٣٠٠) عام، وزالت دولته بظهور الإسلام، وانتشرت ذرية سليمة في منطقة سجستان التي تمتد في وقتنا الحاضر من كرمان في الجزء الجنوبي الشرقي من إيران إلى قندهار جنوب أفغانستان، وينسب إليها الإمام أبو داود السجستاني الأزدي صاحب «السنن» المتوفى عام ٢٧٥هـ رَحِمَهُ اللَّهُ.
تلقى الدكتور محسن تعليمه في مدينة القصور حتى حصل على البكالوريوس في الطب في تخصص الجراحة من جامعة البنجاب، وكان ترتيبه الثاني على دفعته، وعمل في المستشفى الجامعي بها، ثم سافر إلى بريطانيا لمواصلة دراسته العليا؛ فتخصص في الأمراض الصدرية، وحصل على الدبلوم من جامعة ويلز، وعمل في الجامعة، ودرَّس بها، ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية لأداء العمرة، ولكن الله -تعالى- أراد له البقاء في مكة؛ حيث تأهَّل بها من أسرة ذات أصول أردنية، وذلك في عهد مؤسس المملكة العربية السعودية جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، وعمل الدكتور محسن في مجال الصحة في مكة المكرمة، ثم انتقل إلى الطائف مديرًا لمستشفى السداد للأمراض الصدرية على مدى أربعة عشر عامًا، وكان مقربًا من جلالة الملك فيصل ابن عبدالعزيز -طيب الله ثراه-، ومن جلسائه، ثم رحل إلى المدينة بأهله، وعمل في مستوصف الجامعة الإسلامية؛ حين كان يرأسها سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم أُحيل إلى التقاعد المبكر بطلب منه، وذلك؛ ليتفرغ لترجمة «صحيح البخاري» إلى اللغة الإنگليزية، وكتاب «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان»، ثم «ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنگليزية» مع مجموعة من العلماء الأجلاء؛ ومنهم: العلّامة الشيخ تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ، وأفاد ابنه الدكتور عبدالسلام أن الدكتور الهلالي هو الذي اقترح ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنگليزية؛ لكثرة الأخطاء والتحريفات في المصاحف المترجمة، وبدأ خان العمل في ترجمة «صحيح البخاري» سنة ١٣٧٦هـ، ومكث اثنتي عشرة سنة؛ ففرغ منه في عام ١٣٨٨هـ.
توفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في المدينة النبوية، يوم الأربعاء ٤ ذي الحجة ١٤٤٢ هـ يوافق ١٤ تموز ٢٠٢١ م، وكانت الصلاة عليه في اليوم الذي يليه -يوم الخميس-، ودفن في البقيع.

تبنت «ترجمتهما»، وهي المعتمدة عندهما في الطباعة والتوزيع[١].

قام الهلالي بزيارة عدد من البلدان الأوروبية وهو مدرس في الجامعة السلفية، وكانت بعض أسفاره مدعومة من الجامعة.

○ آثار علاقة ابن باز مع الهلالي في عالمية الدعوة من خلال الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية:

«الجامعة الإسلامية مؤسسة إسلامية عالمية تأسست عام ١٣٨١هـ في المدينة النبوية، وتهدف إلى تبليغ رسالة الإسلام في العالم عن طريق الدعوة، والتعليم، وغرس الروح الإسلامية وتنميتها، وتعميق التدين العملي في حياة الفرد والمجتمع المبني على الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ، وتثقيف مَن يلتحق بها من طلاب العلم ليكونوا علماءَ متخصصين في العلوم الإسلامية والعربية، وفقهاءَ في الدين، ودعاةً إلى الإسلام»[٢].

ويقول بعض خِرِّيجيها[٣]: «لكل أمة مشروع في كل قرن، ومشروع الأمة الإسلامية في القرن الماضي هو الجامعة الإسلامية»[٤].

واستفاد كثير من الحريصين على نشر الإسلام من إمكانات الجامعة الإسلامية، ومنهم العلَّامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي، فقد استفاد مِن جميع ما يسَّر الله له مِن خير في دعوته السَّلفية، ولا سيما إمكانات أخيه العلَّامة

(١) انظر دراستي «جهود محمد تقي الدين الهلالي في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنگليزية وبيان أغلاط المترجمين، والرد على المنتقدين»، يسَّر الله نشره بخير وعافية.

(٢) نظام الجامعة الإسلامية بالمدينة الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/ ٧٠) في ٧/ ٨/ ١٣٩٥هـ.

(٣) هو الأستاذ الدكتور محمد أحمد لوح، من السنگال، خريج الجامعة الإسلامية، ورئيس مجلس أمناء اتحاد علماء أفريقيا.

(٤) «أثر الجامعة الإسلامية في العالم وجهودها في إعداد الكفاءات الدعوية ورعايتهم» (٣٩)، تأليف الدكتور سلطان بن عمر بن عبدالعزيز الحصين.

الشيخ ابن باز -وكانت مذهلة-، والدارسُ للرسائل بينهما[1]، والمتعمق في العلاقة وأوجهها وألوانها وأبعادها؛ يجدْ الوفود التي كانت تُرسل من «الجامعة الإسلامية» لنشر الإسلام في غرب إفريقيا، وبالأخص مالي والنيجر، وتتكون من مجموعة مباركة من العلماء والدُّعاة، مثل: محمد أمان بن علي الجامي[2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، والشيخ حامد كتبي، وكذلك للسودان، تتكون من:

(١) انظر رسائل الهلالي لابن باز: في كتابنا «رسائل الهلالي الشخصية»، (٣/ ١١٦٦ - ١١٨٩، ط الثانية) ورسائل ابن باز للهلالي فيه -أيضًا- (٣/ ١٤٣٤-١٤٤٢) مع رسائل أخرى لها صلة بابن باز.

(٢) هو محمد أمان بن علي جامي علي، ولد في قرية طغا طاب بمنطقة هرر في إثيوبيا سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م، وقدم منها إلى المدينة النبوية عام ١٣٦٩هـ، طلب العلم في الحرمين والرياض، وحصل على الماجستير من باكستان، والدكتوراة من كلية دار العلوم بالقاهرة، درس في المسجد النبوي، له محاضرات ونصائح للشباب وردود وأشرطة سمعية، وطبع له عدد من الكتب، مثل: «الصفات الإلهية»، «نظام الأسرة في الإسلام»، «أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام»، «المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية»، وله «مجموع رسائل في العقيدة والسنة»، توفي يوم الأربعاء ١٦ شعبان سنة ١٤١٦هـ يوافق ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٩٦م.

أفرده تلميذه مصطفى بن عبدالقادر الهُوساوي في كتاب مطبوع في (٢٩٦) صفحة بعنوان «سيرة العلامة الدكتور محمد أمان بن علي الجامي، رحمه الله رحمة واسعة، المدرس بالمسجد النبوي الشريف وعضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية».

وترجمته في: «موسوعة أسبار» (٣/ ٩٧٠)، «الثمار الشهية» (٢٥١).

ورحلة الجامي إلى مالي والنيجر كانت في ١٦/ ٩/ ١٣٩٥هـ بموجب خطاب (٣٤١١خ) في ٦/ ٩/ ١٣٩٥هـ، وزار المترجم الجمهورية السودانية قبل ذلك في إحدى العطل الصيفية سنة ١٣٨٣هـ مع بعض طلبة الجامعة الإسلامية، وكان يرأس الوفد فضيلة الشيخ الداعية محمد بن عبدالوهاب البنا المدرس بمعهد الجامعة الإسلامية سابقًا، وعضوية الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن الطلبة الذين كانوا في صحبة الشيخين: فضيلة الدكتور ربيع بن هادي مدخلي، والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، والشيخ عمر الأشقر، للدعوة إلى الله -تعالى- وتدريب الطلبة السابقين على ذلك.

الشيخ راشد بن عاتق، ومصطفى أبوه الشنقيطي، ووفد ثالث إلى بريطانيا، وعلى رأسهم محمد عبدالوهاب البنّا(١)، ومحمد أسلم الباكستاني(٢)، ووفد إلى اليابان وعلى رأسهم الشيخ سعد ندا(٣) والشيخ رمضان، وآخر إلى الهند،

= وهناك ألقى الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ محاضرته القيمة «المحاضرة الدفاعية في الرد على الملحد محمود محمد طه»، وفي سنة (١٣٨٥هـ) بعثت الحكومة السعودية وفدًا دعويًّا من الجامعة الإسلامية، زار خلالها عشر دول أفريقية برئاسة فضيلة الشيخ العلّامة المفسّر الأصولي محمد الأمين الجكني الشنقيطي -صاحب «أضواء البيان»- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وعضوية فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفضيلة الشيخ الفقيه عطية محمد سالم القاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة والمدرس بالمسجد النبوي الشريف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكانت تلك الرحلة الدعوية مباركة، حيث قابل فيها الوفد علماء البلاد التي زاروها، وناقشوهم ووضحوا لهم المفهوم الصحيح للإسلام، كما التقوا رؤساء الدول التي زاروها، وللمزيد عن هذه الرحلة؛ انظر: كتاب «لمحات فيصلية».

وانتدبته الجامعة الإسلامية إلى غرب أفريقيا لمدة ثلاثة أشهر من تأريخ (١٠/ ٤/ ١٣٨٦هـ) بموجب قرار (٦٤) بتأريخ (١٠/ ٤/ ١٣٨٦هـ) كما هو مدون في ملف الشيخ بالجامعة، وانتدبته -أيضًا- الجامعة الإسلامية إلى الصومال سنة (١٣٨٨هـ) للقيام بالمهمة الموكولة إليه، لترتيب معهد التضامن الإسلامي بمقديشو، وقد قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بهذا العمل خير قيام، فجزاه الله خيرًا، وأعير للتدريس من قبل الجامعة الإسلامية إلى باكستان عامين دراسيين (٩٢/ ١٣٩٣هـ)، اعتبارًا من (٢٠/ ١٠/ ١٣٩٢هـ) في جامعة لئل بور، انظر: «مجموع الشيخ» (ص ٢٩٩)، ودرس العقيدة السلفية، وشارك في وضع المنهج الدراسي لتلك الجامعة، فجزاه الله خير الجزاء، وأعظم له الأجر والثواب، من «سيرة العلامة الدكتور محمد أمان بن علي الجامي» (ص ١٦٧ - ١٦٨).

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ستأتي ترجمته في تعليقي على «السراج المنير» (ص ٢٤٠).

(٣) هو من الرعيل الأول لعلماء جماعة أنصار السنة، واستفاد كثيرًا من الطلبة في الجامعة الإسلامية منه، وكان يدرس مادة الحديث فيها، وتوفي في ٢٧ جمادى الثاني ١٤٣٧هـ يوافق ٦ إبريل ٢٠١٦م رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وانظر: «جماعة أنصار السنة المحمدية» (٣٢٠).

وبالأخص مليبار، ويتكون من الشيخ عبدالصمد الكاتب[١]، وسعدالدين بن أحمد، ووفد إلى (منطقة البلوش) في إيران، وآخر للباكستان، وعلى رأسهم الشيخ عبدالكريم مراد[٢]، وجماعة آخرين من الطلبة.

وكذلك إلى تونس والجزائر والمغرب، وعلى رأسهم أبو بكر الجزائري[٣]، ووفد إلى أمريكيا.

وكذلك سعى العلَّامةِ ابن باز لتفريغ الهلالي للدعوة إلى الله[٤]، وتجوله في أنحاء الدنيا، ودعمَه المادي والمعنوي بالكتب، وتفريغَ دعاة ينشرون الدعوة في عدد كبير من البلدان الإسلامية والأوروبية، ولغاية الآن وبعد مضي زمان طويل على وفاة ابن باز؛ يظهر مَن يُخبر أنّ ابن باز قد فرَّغه لنشر الدعوة في بلده، فرحمهما الله، وأدخلهما فسيح جنانه.

ومما سمعته بصوت العلَّامة ابن باز[٥]:

«والمجدِّدون -بحمد الله- كثيرون في هذا العصر: في العصر الماضي، وأول هذا القرن، وهم أنواع: منهم مَن يجدِّد في الحديث الشريف، منهم مَن يجدِّد في علم الفقه الإسلامي والدعوة إلى الأخذ بالدليل، ومنهم مَن يجدد في التفسير والقرآن عددًا لا نحصيهم، وأنا أعتقد أنَّ أخانا في الله الشيخ محمد

---

(١) هو عبدالصمد بن محمد الملقب بـ(الكاتب) بن محيي الدين بن علوان الصغير بن علي بن حسن تيَل الأصفري، ولد سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م، وتوفي سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، له ترجمة في: «تكملة معجم المؤلفين» (ص ٤٥٠)، وترجمة الشيخ عاصم القريوتي -وهو زوج ابنته- المودعة أول كتابه «الفرائض».

(٢) هو عبدالكريم مراد الأثري، من المدينة النبوية، محدِّث، ومدرِّس قديم في الجامعة الإسلامية، له عدة كتب؛ منها: «تسهيل المنطق»، «شرح قصب السكر»، «القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة البراهوئية»، توفي سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ترجمته في: «تتمة الأعلام» (٥/ ٢٥١).

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبق بيان ذلك (ص١٦٧).

(٥) في محاضرة ألقاها بجدَّة في جامعة الملك عبدالعزيز سنة ١٤٠٤هـ بعنوان (واجب العلماء تجاه الدعوة).

ناصر الدين الألباني مِن المجدِّدين في الحديث الشريف والدعوة إلى العناية به، وأخانا الدكتور تقي الدين الهلالي في المغرب من هذا الصِّنف الذين يدعون إلى التوحيد والعناية بالعقيدة السلفية، ويحذِّرون من الخرافات والعقائد الباطلة».

وهذه العلاقة تهدم كثيرًا مِن الباطل الممجوج الذي يثيره أعداء الهلالي وخصومُه، وأن صلته بالعلَّامة ابن باز خصوصًا، وبعلماء المملكة العربية السعودية عمومًا، إنما هي قائمة على مصالح شرعية لا على مطامع دنيوية، ولا على أعراض وأغراض، ومناصب ومكاسب ورواتب!

وإنما الحقيقة: إنه اجتمع وإياهم على نصرة الدين، وتأييد المعتقد الصحيح، وبذل هو والشيخ ابن باز وسائر إخوانهما النفسَ والنفيس لإعلاء كلمة التوحيد، فجزاهما الله خيرًا، وغفر لهما، وهذا الإنجاز العظيم في القيام بترجمة معاني القرآن الكريم، ونشرها في أرجاء المعمورة؛ إنما هو في صحائف أعمالهما، وكذلك في صحيفة الدكتور الفاضل محمد محسن خان، رحم الله الجميع، وألحقنا بهم في علِّيين، مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين.

○ دعوة التبليغ في المغرب:

وقفت على أوراق[1] لتلميذ الهلالي: الأستاذ علال بَشَر[2] -بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة- فيها ذكرياته مع جماعة التبليغ، وومضة مهمة عن تأريخها في المغرب، مع بيان نشاط تقي الدين الهلالي في جمعيته (الدعوة إلى الله) واحتكاكه بجماعة التبليغ! افتتحها بعنوان (وصول تيار جماعة التبليغ والدعوة في المغرب) قال تحته:

---

(١) أرسلها إليَّ الأخ الفاضل هشام بن عبد السلام الإسباني في ١٤ذي الحجة سنة ١٤٤١هـ، وكان الشيخ علال -وهو الآن في إسبانيا- قد أرسلها له.

(٢) ترجمته في كتابي «صفحات مجهولة من حياة تقي الدين الهلالي من خلال تلاميذه وإجازاته»، وهو آخر ترجمتي الحافلة لتقي الدين الهلالي.

«(دعك منهم فإنهم كذلك... **جماعات عاطفية يسهل استغلالها للقيام بأفعال باسم الإسلام، والإسلام منها براء...**)، لم يكن القائل أمير جماعة، ولا عضوًا في جماعة ولا (شيخًا رائدًا) لجماعة إسلامية لم يسبق أن درس على شيوخ العلم، وإنما الذي خصني بوصيته تلك كان معلمًا مؤمنًا وذكيًا سابقًا ومتسامحًا عليمًا، كان هو صديقي وأخي سيدي المنصوري العياشي، فقد صاحبني بل صاحبته في رحلة الاطلاع على مشارب جماعة التبليغ والدعوة التي ظهرت في مسجد عين الشق عام ١٩٦٤ في (بيان) المغرب؛ أي: الموعظة التي ألقاها الإمام رئيس جماعة التبليغ في العالم الشيخ محمد إنعام الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ بالأردو، وترجم كلامه ترجمة فورية الكاتب العام للجماعة الشيخ محمد عمر رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان الذين هيؤوا هذا اللقاء إخوة لنا من المغرب الذين انخرطوا في هذه الجماعة، فأسسوها باسم (جمعية الدعوة إلى الخير)، وكانت طريقتهم في التعريف بها وتذكير المسؤولين من (المصالح الأمنية) حتى لا تحبسهم عن ذلك، (فالله خير، ومحمد ﷺ خير، والدعوة الإسلامية خير، والإحسان إلى الغير خير)، ولم يعترفوا بأنهم جمعية ولا جماعة، فكانوا يحرصون على التذكير بأنهم أحبوا الله ورسوله، و(قاموا ينشرون فضيلة الإسلام.. وكفى.. ولسنا جماعة ولا جمعية ولا حزبًا سياسيًا...)!!».

وكان هذا التأسيس بعد انتقال الهلالي في الدار البيضاء، وسكناه في (سباتة) بالقرب من (مسجد النور)[1]، الذي تقام فيه دروس جماعة التبليغ!

وكان الهلالي يدرِّس في هذا المسجد أحيانًا، وكان يخطب فيه الأستاذ عبدالعزيز الديبي، وتخلص[2] منه التبليغيون؛ لأنه لم يكن مؤيِّدًا لدعوتهم، ثم

---

(١) أفاد الأستاذ علال بَشَر أن هذا المسجد كان كنيسة، وحول إلى مسجد بالشراء الشرعيِّ، وقال: «وهو الاسم الذي اختاروه لمساجدهم في العالم كله، وإن سبقهم سعيد النُّورسي في تركيا».

(٢) وصف علال بَشَر طريقة تخلُّصهم منه، وهي طريقة فيها كذب، وهذه عادتهم وديدنهم، **وفي مصلحة تحقيق أهداف الجماعة كل شيء يهون!** ولا قوة إلا بالله!

عبنوا العياشي المنصوري، ثم سافر إلى الهند وباكستان سنة ١٩٧٤م لمدة ثلاث سنوات، ثم خلفه علال بَشر مدة ثلاث سنوات، وفي هذه الأثناء وقعت مناوشات بين الهلالي وأتباعه في (جمعية الدعوة إلى الله) وبين التبليغ!

قال الأستاذ علال بَشر في «مذكراته» تحت عنوان (تعيين (طالب جامع...) خطيبًا لجماعة التبليغ، فتعلَّم منِّي كيف يخطب الجمعة، ثم أصبح وهابيًّا):

«ثم قدمتُ السيد عمر محسن، وكان ساعتها حافظًا القرآنَ (مِن الطلبة فقط)، ويُدرِّس (شبابَ الدعوة) قواعدَ قراءة القرآن، كما يُحفِّظ القرآنَ بعضَ الأطفال في حانوت اكتراه في حي (سباتة)، ولم يُعرَف بعلم، وكان قَدَّمهُ صهرُه السيد المزابي إلى جمعية تضم أغنياء الدار البيضاء، ويستمعون إلى مواعظ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، والشيخ الزبير النفروتي[١]، والشيخ امحمد المذكوري[٢] رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وكانت جمعيتهم تُدعى (جمعية الدعوة إلى الله).. وكان مَشْربُ الكثيرين منهم مِن حزب الاستقلال، ولمسوا في السيد عمرَ محسن القادم مِن الشياظمة ذكاءً ولباقة؛ فاتخذوه (كاتبًا) لجمعيتهم، وكنت أنا الذي مَنحته بعض خطبي ليتدرب عليها، ثم لما رافق الدكتور الهلالي، أصبح (سلفيًّا) فوق الحد، ثم عيِّن إمامًا للمسجد الذي بناه سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود».

وكانت علاقة الهلالي -آنذاك- بناظر الوقف الأستاذ عبداللطيف الجائي[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حسنة، ومدحه -فيما وقفتُ عليه-.................

---

(١) ترجمت له وبيَّنتُ عمق صلته بالهلالي في كتابي «محمد تقي الدين الهلالي ودعوته الإصلاحية».

(٢) ترجمته له، وذكرتُ إجازة الهلالي له في «صفحات مجهولة من حياة تقي الدين الهلالي»، وهو (خاتمة) كتابي المذكور في الحاشية السابقة.

(٣) هو السيد عبداللطيف بن أحمد بن عبدالسلام ابن محمد اللجائي أو الجاي، ولد سنة ١٩٢٠م، ووالدته -رحمها الله تعالى- كانت سُرِّيَّةً لدى والدِه الوزير؛ كعادة =

= الكثير من الوجهاء والأعيان من الناس ذاك الزمان.
ولا شك أنه تلقَّى تعليمه الأوَّلي، لا أعلم التفصيل عنه لحد الآن، إلا أنه صحب عمَّه عبدالمجيد بن عبدالسلام بن محمد الجاي في الخِدمة والعمل الإداري؛ إذ كان هذا العمُّ حازمًا، عازمًا، ناظرًا للأحباس الكبرى للقرويين بمدينة فاس العامرة، ولعله كان ناظرًا على جميع أوقافها ما عدا الوقف الإدريسي، وقد استمر في منصبه -هذا- مدة طويلة من الأعوام، وكانت وفاته سنة ١٣٨٥هـ.
في سنة ١٩٦٠م تمَّ تعيين عبداللطيف الجاي ناظرًا على أحباس أحواز مدينة فاس؛ أي: الأراضي الفلاحية الواقعة في نواحيها، إلى غاية سنة ١٩٧٠م، وذلك في عهد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد أحمد بن عبدالرحمن بركاش ١٩٦٠ - ١٩٧٢م، وكان تعيين النُّظَّار بظهير شريف ملكي من السلطان -نفسه-، وأظن أن تعيين الجاي كان بمرسوم ملكي من طرف الملك محمد الخامس رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.
في سنة ١٩٧٠م أو في التي تليها ١٩٧١م انتقل السيد عبداللطيف الجاي إلى مدينة الدار البيضاء ناظرًا على أحباسها وما حولها من الضواحي والنواحي، خلفًا لأخيه (غير الشقيق) السيد عبدالرحمن الجاي الذي كان أسن من الصغير عبداللطيف، فاستمر في وظيفته -تلك- سنوات طويلة، كان فيها الرجل الفاعل المقتدر الكفء، وقد بلغني -ولم أتأكد من ذلك- أنه قدَّم استقالته من عمله ثلاث مرات؛ فلم يُقبل ذلك منه، وبقي يعمل حتى أُحيل إلى التقاعد سنة ١٩٨٦م، بعد أن أُضيفت له ست سنوات زيادة على سنِّ التقاعد الأصلي، ثم غادر عمله، وبقي حتى أدركته المنية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى آخر السنة الميلادية ١٩٩٧م بمدينة الدار البيضاء، ودُفن بمقبرتها الشهيرة (مقبرة الشهداء)، وقد وُصف بأداء الأمانة، وحُسنِ الإدارة، مع الخُلُق الرفيع، والمبادرة الحسنة، وعُلُوِّ الهمَّة، والهيبة والشموخ، في تواضع وانكسار وتذلل.
وأنا (العلوي) لا أنسى يوم أن زارنا في مسجد الحي (الكُتاب) برفقة لجنةٍ من العلماء، وأنا طالب قد ختمتُ حفظ القرآن الكريم؛ من أجل قبولنا للالتحاق بالدراسة في المعهد الديني لتكوين الخطباء والوعاظ، التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمدينة الدار البيضاء، وهو -عليه الرحمة والرضوان- كان من الأعضاء المؤسِّسين لهذا المعهد المبارك نشأةً ونهوضًا ورعاية، كما لا أنسى -وأنا صغيرٌ- وصف هذا الرجل وسمته؛ إذ كان ربْعَة الخَلق، يميل إلى القِصر، مَليح السمرة، ضخم البطن والأطراف، جميل المظهر ثوبًا وملبسًا، على رأسه الطربوش القصير المغربي الوطني، كما بلغني -والعلم عند الله -تعالى- أنه لم يكن مع شيخنا الهلالي في وفاق=

بقصيدتين[1]، يقول في إحداهما:

قِفَا نَبكِ مِن ذِكرَى حَديثٍ وَقُرآنِ ... وَدِيـنٍ عَفَـتْ آياتُـه مُنـذُ أزمَـانِ
قَلَته شُعُوبٌ كانَ فِي النَّاس أَهْلُهَا ... حُمـاةٌ لَـهُ مِـن كُلِّ بَغـيٍ وَعُـدوَانِ
فَأضحَى غَرِيبًا بَعد مَا كانَ قَائمًا ... يَصُول بِحَدِّ السَّيف فِي كُلِّ مَيدانِ
وأَصْبـحَ مَـن يُنْمَـى إليـهِ أَذلَّـةً ... يُجَافِيهمُ القَاسِي وَيَقلِيهمُ الدَّانِي
نُواجِههـم فِـي كُلِّ وَجـهٍ شَـقَاوَةٌ ... وَخَيبـةُ آمَـالٍ وَكثـرَةُ أحـزَانِ
وَلَكـنَّ خَيـر الخَلْـقِ أَخْبَـرَ صَادقًـا ... بطَائفـةٍ تَبقَـى عَلَـى خَيـرِ إيمَـانِ
مُلازِمَـةً للخَيـرِ وَالسُّـنَّةَ الَّتِـي ... أَتَـتْ عَـن نَبـيِّ الله أفْضَـلِ إنسَـانِ
فَيَا رَبِّ فَاجْعلنَا جَمِيعًا مِن أَهْلِهَا ... وَمُـنَّ عَلينَـا بالْهُـدَى وَبغُفـرَانِ
وَلَـمْ أرَ فِـي النُّظَّارِ شَـخْصًا مُوَفَّقًـا ... كَعَبْدِاللَّطِيف الجَائي ذِي المَجدِ وَالشَّانِ
صَفِـيٍّ وَفِـيٍّ لا يُحَابِـي وَلا يُـرى ... عَلى أيِّ حَالٍ فِي اتِّبَاع الهُدَى وَانِي
فَلَـو كَانَـتِ النُّظَّـارُ تَسْـلُكُ نَهجَـهُ ... بـكُلِّ بِـلادٍ مَـا تَبَـدَّا وَجـهُ خُسـرَانِ
فَأَكثَرُهُـم خَالُـون مِـن كُلِّ رَحْمَـةٍ ... كَذؤبَـان قَفْـرٍ خَائـلَاتٍ لِخِرْفَـانِ

= أول الأمر، ثم إنه تحبب إليه وتعلّق به وتودده، وماتا -جميعًا- على ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وكانت للسيد عبداللطيف الجاي خزانة علمية كبيرة جدًّا، تحتوي على نفائس عديدة من الكتب -مطبوعة ومخطوطة-، باعها -جميعها- في آخر حياته.

وكان منزلهم بمدينة فاس يُعد من أكبر البيوتات وأجملها وأجلها، مفخرة في البناء والتشييد والبهاء في العمران والجمال والجلال، حتى أن مُنظمة اليونسكو العالمية أدرجته في تراث الإنسانية العالمي في صونه والمحافظة عليه.

أفادنيه الشيخ الفاضل الحبيب الدكتور مولاي الحسن العلوي، أبو عبدالرحمن -حفظه الله-، في رسالة بخطه من مراكش الحمراء بالمغرب، مساء يوم الخميس ١٧ محرم ١٤٤٣هـ - ٢٦ آب ٢٠٢١م، جزاه الله خيرًا، ونفع به.

(١) ليستا في «الديوان» ولا في «مستدركه» الذي نشرته معه، ووقفت عليهما بأخرة، ووضعتهما في «ذيل المستدرك على الديوان»، وهو منشور مع كتاب «الهاديات» للهلالي.

بأمْــوَالِ أوْقَــافٍ يَعِيشُــونَ خُرَّبَــا يُعَـادُون دِيـنَ الحَـقِّ قَفـوًا لشَـيطَانِ
فَيَا رَبِّ وَفِّق مَلْكَنَا الحَسَنَ الرِّضَى لتَطهِيـر هَـذا القُطـرِ مِـن كُلِّ خَوَّانِ
وَيَا رَبِّ فَاحفَظهُ بفَضلِكَ وَاحمِهِ مِن المُضمِرِينَ الشَّرَّ مِن أهْلِ كُفرَانِ
وَيَـا رَبِّ فَانصُـرهُ علَـى كُلِّ ظَالِـمٍ يُرِيـدُ بـهِ شَـرًّا مِـن الإنْـسِ وَالجَانِ
وَوَفِّـق وَلِـيَّ العَهـدِ أعنِي مُحمَّدًا لِنَيـلِ المُنَـى مِـن كُلِّ عِـزٍّ وَسُـلطَانِ
وَوَفِّـق جَمِيعَ المُسلِمِينَ لِيَقتَـدُوا بأفْضَـلِ خَلْـقِ اللهِ أشـرَفِ عَدنـانِ
مُحمَّـدٍ المَبعـوثِ للخَلْـقِ كُلِّهِـم عَليـهِ صَـلاةُ اللهِ فِـي كُلِّ مَـا آنِ
وَآلـهِ وَالأصحَـابِ طُرًّا وَمَـن قَفَـا سَـبيلَهَم المُثلَى بِصِـدقٍ وَإحسَـانِ

ويقول في الأخرى:

عَبـد اللَّطيـفِ الجـاءِ بَـدرٌ طَالِـعٌ سَـعِدَتْ بـهِ البَيضـا وَطَـابَ مُقَامُها
كَرُمَــتْ شَــمَائلُهُ وَسَــادَ فَذِكْـرُهُ طِيـبُ المَجالـسِ أُنسُـها وَمَرامُها
وَإذَا المَشـاكلُ أظْلَمَتْ وَتعسَّـرَتْ فَإليــهِ فَارْفَعْهَــا يَــزُولُ ظَلامُهــا
الصِّــدقُ فِيــهِ سَــجِيَّةٌ مَرمُوقَــةٌ وَمَــكارِمُ الأخـلَاقِ فَهْــوَ إمَامُهَــا
يَلقَـى الخُطُـوبَ بِحِكمَةٍ وَشَجاعَةٍ فَيَــؤوبُ مُنتَصِــرًا لَدَيــهِ زِمَامُهــا
ونِظَـارَةُ الأوْقَـافِ قَـدْ شَـرُفَت بـهِ وَعَــلا نِظَــارَاتِ البـلَاد مَقامُهــا
إنْ كانَ نُظَّـارٌ غَنَـوا مِـن مَالِهـا فَهْــوَ الــذي لا يَســتَبِيهِ حُطامُهــا
اللهُ أغْنَــــاهُ وَنَــــزَّهَ نَفسَــــهُ عَــن كُلِّ مُغرِيَــةٍ تَبيَّــنَ ذامُهــا
فَــاللهَ أســأَلُ أنْ يُطيــلَ بَقــاءَهُ لفَضائِــــل مَدفوعَــــةٍ أعلامُهــا

وكان الهلالي يُدرِّس في هذا المسجد، وكان يحذر الناس من البدع والخرافات والطرق، ومِن بينها جماعة التبليغ، أو (الطريقة الإلياسية) على حد تَسميته لهم.

ومِن هنا بدأت الخلافات بينه وبينهم، وأخبرني بعض إخواننا المراكشيين أن والده كان يستمع لدروس الهلالي في الدار البيضاء، وشاهد (مهاوشاته) معهم، وفيها إنكاره عليهم.

وبدأ الهلالي معركة معهم في أوائل السبعينيات، لما كان يلقي بعض دروسه في مسجد بحي (عين الشق) بالدار البيضاء، والمسجد معروف إلى يوم الناس هذا، ومشهور باسم (مسجد العدول)، لأن بجواره مكاتب كثيرة للعدول، وهم المكلفون بالمواثيق العدلية، وبينما الشيخ يلقي دروسه، سئل عن جماعة التبليغ، فحذَّر مِن طريقتهم، وذكر سوالبَهم وسيئاتهم، فعزموا على ضربه، لولا أنْ تَدخلَ بعض الناس؛ فمنعوهم، فقال الشيخ: سوف يَخرج كتابٌ لي بخصوصكم. وبعد مدة أصدر «السراج المنير»، وكلما كان الكتاب ينزل للسوق اشتراه التبالغة، وكان مِن الصعوبة بمكان أنْ تجد نسخةً منه.

واشتدَّت المعركة بين تقي الدين الهلالي وجماعة التبليغ في بلجيكيا، وشكوه إلى الجهات الأمنية، وحصل بينهما متاعب ومشاكل[١].

---

(١) كتب لي بعض الإخوة من بلجيكيا أشياء تخص هذه المشاكل، **ومما قال:**
«نزل الشيخ الهلالي إلى الأراضي البلجيكية سنة ١٩٦٣م، والذي كان سببًا في مجيئه هو الشيخ السباعي، ودعاه إلى مسجد قباء ببروكسيل، وصار فيها إمامًا وخطيبًا، ولكن قبل أن يدخل الهلالي إلى بلجيكا وقعت له واقعة غريبة من نوعها، وهو أنَّ أحد مؤسسي جماعة التبليغ، وهو مصطفى النوحي، لما سمع بقدوم الشيخ إلى بلجيكا، وكان يسمع به أنه شديد على التبليغيين، وقد قرأ رسالةً له في هذا الباب، وكان مصطفى النوحي له اتصال بأحد أجهزة الأمن البلجيكية، فاتصل بهم فقال: إنَّ أحد المشايخ والدعاة سوف ينزل إلى أراضيكم، فإذا حلَّ بها أفسد عقائد الناس، وله أفكار متشدِّدة. [مع العلم أن هذا المدعو مصطفى النوحي كان في أحد المناظرات للهلالي في الدار البيضاء سنة ١٩٧٥م، وكان يعرفه أنه قوي في العلم؛ بل أرادوا أن يأتوا به في مسجد الدار البيضاء، ويلقي عليهم كلمة؛ فأبى الشيخ الهلالي أن يلقي كلمة في مسجد تبليغي، ثم كتب رسالته هذه «السراج المنير»، ذكرها لي -أي: هذه القصة- السباعي والشيخ عبدالسلام الخراز].
من تتمة القصة: اتصل الشيخ السباعي بالهلالي، وكان آنذاك مقيمًا في فرنسا، فدعاه أن يأتي إلى بلجيكا، فاستجاب الهلالي للدعوة، فشدَّ الرحال هو وربيبه عبدالغني وزوجته متوجهين إلى بلجيكا، فلما نزل في مطار بروكسيل أوقفتهم السلطات الأمنية، وحجزوه بضع ساعات يحققون معه، ثم نُمِيَ هذا الخبر لأحد المسؤولين، فاتصل =

○ أثر الكتاب:

كان لهذا الكتاب أثرُه الإيجابي القوي في تعريف طلبة العلم بهذه الجماعة مِن جهة، وأثرُه السلبي على رجالات هذه الدعوة، حتى وجدت صهيب بن محمد الزمزمي[1] يقول في كتابه «جماعة التبليغ أو أصحاب الدعوة الباكستانية خطر على المسلمين» (ص ٣٧):

«وقديمًا بلَغنا عنهم (أي: التبليغيين) أنهم يقولون عن الدكتور الهلالي إنه مسيحي! والسبب هو هو، فالدكتور الهلالي قد عاش مدة بالباكستان وعرف عنهم الكثير، فهو لذلك لا يسميهم إلا (الإلياسيين)[2] نسبة إلى شيخهم، ويقول: إنهم أصحاب طريقة عصرية».

= بالجماعة، وهم رواد مسجد قباء ومن ضمنهم السباعي، فذهب أحد المسؤولين إلى مكان حَجْز الدكتور الهلالي وأسرته، فتكلّم مع السلطات، فقال لهم: هذا الخبر الذي بسببه حجزتموه، خبرٌ عارٍ من الصحة، ثم جاؤوا به إلى مكتب التحقيق، فصار يكلِّمهم الهلالي بكل طلاقة وأسلوب عالٍ في التعبير باللغة الفرنسية، وصار يناقشهم في القانون الدولي في حرية التعبير والتنقل، ثم ذكر لهم قانون ألمانيا بلغتهم، ثم ختم لهم أنه حاصل على الدكتوراة في ألمانيا، ثم أطلقوا سراحه هو وأسرته.

يذكر لي الشيخ عبدالسلام الخراز رَحِمَهُ اللهُ أن الهلالي لقي من جماعة التبليغ في المغرب أذًى كثيرًا.

(١) عالم مقرئ، والده محمد الزمزمي الغماري، وعمُّه أحمد الغماري، من أهل الحديث وعلى طريقتهم، ومنَّ الله عليه بالبعد عن الانحرافات العقدية والسلوكية، وكان ينصر مذهب أهل الحديث، وممن جلس في مجالس شيخنا الألباني في المغرب، وذو صوت متميز في قراءة القرآن الكريم، وعاش فترة من حياته في بلجيكيا، ولازم الهلالي هناك، ثم انتقل إلى السعودية.

له: «زكاة الحلي واجبة في الإسلام»، «جماعة التبليغ خطر على المسلمين».

توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ترجمته في: «تتمة الأعلام» (٤/ ٢٤٠)، «موسوعة مواقف السلف» (١٠/ ٦١)، وترجمت لوالده في «مساجلات حديثية بين تقي الدين الهلالي وأحمد الغماري» (ص٢٣ - ٤٢).

(٢) انظر كلامه (ص٣٦).

قال أبو عبيدة: وهذه كلمة الفصل فيهم، وهي تتطابق مع مقولة شيخنا العلامة المحدث الألباني -رحمة الله عليه- عنهم: (صوفية خرجوا من الصوامع إلى الشوارع)[١].

ومما ينبغي أنْ يُذكر عن تأثير هذا الكتاب البليغ: ما سَبقه مِن تجوال الهلالي في البلاد الأوروبية، ووقوفه على أثر جماعة التبليغ فيها، فقد سَبق تأليفَه[٢] بسنة تقريبًا -أي: في ١٦ شعبان سنة ١٣٩٧هـ- وجود الهلالي في فرنسا بدعوة من الجمعية الدينية الإسلامية في باريس، ونزل في بيت بعض الموحِّدين من المسؤولين عن هذه الجمعية، وهو السيد أبو مراد سليمان بن عيسى الفجيجي، وظفرت برسالة منه إلى العلَّامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ يذكر فيها آثار دروس العلَّامة الهلالي هناك، وبيَّن فيها آثار تلك الدروس على جماعة التبليغ، **ومما قال فيها:**

«كثرَ سؤالُ إخواننا في الله بباريس عن ناصر التوحيد ومعلم الموحِّدين فضيلة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، وشدَّت رغبتُهم مِنَ الاستفادة مِن دروسه الواضحة القصد والمعنى، وما اطمأنَّ قلوب إخواني حتى عاهدتهم عن مكاتبتهم في ما يهم هذا الغرض السامي.

حقًّا -والحق يقال- إنَّنا في أشد الحاجة إلى حضور الدكتور، خاصة في هذا الوقت الذي ازدحمت الصفوف بمسجدنا بباريس، وكثر قاصدوه، وشدَّت رغبة الإخوان في معرفة الحقيقة بعد أن جربوا جميع أمور الدنيا، وسمعوا مِن هذا وذاك؛ فما استقر لهم مستقر، أما الأيام التي قضاها بجوارنا فضيلة الدكتور فقد بَقيتْ، والناس كل مرة يتناقشون فيما سمعوه منه؛ فهذا يؤيد قولَه، وهذا يقول إنَّ الدكتور شديد، وبالرغم مِن كل هذا؛ فكلهم

---

(١) لصاحب هذه السطور كتاب في مجلد كبير بعنوان «الإمام الألباني وجماعة التبليغ»، وهو منشور أكثر من مرة، ولله الحمد والمنَّة.

(٢) سبق أن تأليفه في ١٦ رمضان ١٣٩٨هـ، وفرغ منه في ٣ شوال من السنة نفسها.

يطلبونَ قدومَه، حتى أهل التبليغ الذين سمعوا من فضيلة الدكتور الحقيقة التي أزعجتهم، والدروس التي اهتدى منها الكثير مِنَ الذين كانوا مِن قبلُ على غرور تحت ظل عقيدة الإعلام»[1].

هذا هو الأثر على عامَّة التبليغيين، أما خاصتهم -ممن تركهم، وأصبح من الدعاة إلى المنهج السديد، ويسَّر الله له الدعوة والقبول -فهم كثر، ولا سيما الذين في بلجيكيا، مِن مثل: أبي سعيد اليربوزي[2]، والشيخ عبدالسلام الخراز، والشيخ مصطفى حسني السباعي (إمام مسجد قباء)، وغيرهم كثير.

○ استطراد في تحذير صهيب الزمزمي من جماعة التبليغ:

من المعلوم أن لجماعة التبليغ نشاطًا ملحوظًا في بلجيكيا، مما جعلهم يسألون أهل العلم عن جماعة التبليغ، وقد أفصح عن ذلك الشيخ صهيب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فقال في مقدمة كتابه «جماعة التبليغ خطر على المسلمين»:

«وقد رغب إليَّ كثير مِن المسلمين القاطنين ببلجيكا وهولندا، وألحوا عليَّ أن أكتب رسالة أبيِّن فيها موقف الإسلام من الخروج مع «جماعة التبليغ» أو «أصحاب الدعوة الباكستانية»، هذا الخروج الذي يزعمون أنه في سبيل الله، وأنه لا يحل لمسلم أن يتخلَّف عنه، ويثيرون بسببه ضجات وفتنًا في المساجد، ويدعون أنهم على هدي الرسول ﷺ وأصحابه، وأنهم الفرقة الناجية! والطائفة المنصورة!

حينئذ: أخذتُ أتتبع نشاطَ هذه الطائفة وأقتفي أثرَ أفرادها في مجال الدعوة، بغيةَ الحصول على معلومات تمكنني مِن تسليط الأضواء على هذه الفرقة، والحكمِ عليها حُكمًا لا جورَ فيه ولا شطط.

---

(١) من الرسائل الجديدة التي زدتها على (الطبعة الأولى) من «رسائل الهلالي الشخصية»، يسَّر الله نشره بخير وعافية.

(٢) ستأتي ترجمته وبيان أثره، وكتابته عن شيء من ترجمته مع جماعة التبليغ.

ومِن خلال تحادُثي مع بعض الأشخاص المنتمين إليهم، وبعد استماعي إلى أحاديث دعاتهم المسجَّلة على الأشرطة، تبين لي أنَّ «جماعة التبليغ» أو «أصحاب الدعوة الباكستانية» **أتباعُ طريقة صوفية جاءت على نمط جديد.**

وأنَّ انتشارَها يضرُّ بسمعة الإسلام، كما أنَّ فيه خطرًا على المسلمين، وهذا الخروجُ -الذي يلهج به أتباعُها في كلِّ مكان، ويدندنون حوله في جميع أحاديثهم -ليس إلا وسيلةً لضمِّ الناس إليهم، وتكثيرِ السواد بهم.

وإذ ذاك، لم أجدْ بدًّا مِن كتابة هذه الرسالةِ التي أسأل اللهَ أنْ يجعلها خالصةً لوجهه، ويقبلَها مِنِّي نصحًا لدينه وللمسلمين»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا منهجه: «هذا ونُلفتُ القراء إلى أن الانتقادات التي نوجهها إلى أتباع الطريقة الباكستانية إنما تأتي على ضوء الكتاب والسنة، لا على أساس مبدأ صوفي، ولا ننتمي إلى مذهب؛ بل مذهبُنا في الحياة الإسلامُ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وطريقتنا فيه العمل بما قام عليه البرهان، وثبتتْ حجتُه عن الله ورسولِه، وما كان مِن اختلاف أو تنازعٍ؛ نبحثُ عن صوابِه، ونطلب حَلَّهَ في القرآن، وفيما صحَّ مِن أحاديث رسول الله ﷺ، وذلك لقول الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فهذا ما ننبه إليه، فمن كان ملتزمًا بذلك فحسبنا به قارئًا، والسلام»[2].

ثم بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ خطرَ هذه الجماعة على المسلمين مِن سبعة أوجه قويَّة. نذكر بعضًا منها:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لماذا كانت الطريقة الباكستانية خطرًا على المسلمين؟

(١) «رسالة جماعة التبليغ» (ص ٥ - ٦).
(٢) «جماعة التبليغ» (ص ٧).

يتميز أتباع هذه الطريقة بخصال:

أولها: مخالفة السنة النبويَّة، بل محاربتُها، فهم لا يعملون إلا بالسنة المقررة في طريقتهم والتي يعمل بها مشايخهم بالباكستان، وما سوى ذلك فهم لا يقبلونه ولا يرفعون به رأسًا»[(١)].

وقال:

«**ثانيها:** دعوة الناس إلى أمور يسمونها صفات الصحابة، وهي في الحقيقة مبادئ طريقتهم الباكستانية، ويزعمون أنه حين لم يعد المسلمون أهلًا لاتباع السنة النبوية؛ قام العلماء بجمع هذه الصفات الستة من حياة الصحابة ليعمل الناس بها! سبحان الله! ما هي شروط اتباع السنة؟ حبذا لو عرفناها!»[(٢)].

وقال:

«**ثالثها:** اجترأوهم على تفسير كلام الله -تعالى-، وشرح معاني آياته وهم جاهلون! حتى إن الواحد منهم لا يكاد يحسن كتابة اسمه، ورغم ذلك، يجلس في المساجد للوعظ والإرشاد، ويشرح للناس -بكل وقاحة!- ما يعرض من آيات قرآنية وأحاديث نبوية»[(٣)].

وقال:

«**رابعها:** الحديث عن الرسول ﷺ بأحاديث موضوعة مكذوبة على رسول الله ﷺ، بل وبما يعرف الناس أنه ليس من كلام النبي ﷺ؛ كالأمثال السائرة، وأقوال بعض الصوفية، والحكم المشهورة بين العامة.

وهذه الخصلة من الموبقات المهلِكة، والكبائر العظيمة، التي تقذف صاحبها في النار»[(٤)].

---

(١) «جماعة التبليغ» (ص ٢٣).

(٢) «جماعة التبليغ» (ص ٢٥ - ٢٦).

(٣) «جماعة التبليغ» (ص ٢٦).

(٤) «جماعة التبليغ» (ص ٢٧).

وقد ساعد على انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة في الأمة: القصاصُ وجماعة =

وقال:

«سابعها: أنهم لا يرعوون عن قذف أي عالم مِن علماء المسلمين ورميه بالكفر والإلحاد، والفسق والفجور؛ إذا هو اعترض أفكارهم وأنكر طريقتهم، شأنهم في ذلك شأن اليهود الذين قال عنهم عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي بهتوني»(١).

وهكذا أتباع الطريقة الباكستانية، فويلٌ منهم للعالم الذي يحذِّر الناس من طريقتهم ويردُّ عليهم.

أخبرني الأستاذ الصمدي أنهم يكفرون الشيخ أبا الأعلى المودودي الكاتب الإسلامي المشهور! ونحن نعلم -مسبقًا- أن المودودي لا ذنب له عندهم إلا أنه يخالفهم، ولا يتفق معهم!».

ثم قال:

«وفي شهر رمضان من العام الماضي حضر إلى العاصمة البلجيكية عالم من السعوديّة، وألقى دروسًا ببعض المساجد هناك، ولما رأى هؤلاء الباكستانيون إعراضه عنهم، وإنكاره لما هم عليه، أشاعوا عنه إشاعة قبيحة توحي بأنه رجل فاسق! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

فبوجود تلك الخصال في أتباع الطريقة الباكستانية كانت هذه الطريقة خطرًا على المسلمين، إذ إنها لو ظهرت -والحالة هذه- وانتشرت -لا سمح الله بذلك- بين جميع المسلمين، لأصبحت الأمة الإسلامية أذلَّ أمة على

= التبليغ، ويظهر ذلك في الفتن الجسام، عندما يظهر الوضع الجديد الذي انبهر به (المسقطون) للأحاديث على الأحداث، ولا قوة إلا بالله، ويُنظر كتابي «البيان والإيضاح شرح نظم العراقي للاقتراح» (٩٥ - ٩٦)، «العراق في أحاديث وآثار الفتن» (ص٦٩٩ - ٧٧٧، ط الفرقان والريان).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٨)، والبخاري (٣٣٢٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٥٤).

وجه الأرض، ضعيفة في دينها وعقيدتها، تحارب السنة، وترغب عنها، وتنصر البدعة، يتجاسر الجاهلون منها على تفسير كلام الله -تعالى- ولا يهابونه، ويكذبون على رسول الله ﷺ ولا يبالون، يتنصلون من مسؤولياتهم، ويهربون من واجبات الحياة باسم الدين، ويستحلُّون الكذب، ويستبيحون الافتراء على الله والناس.

وبذلك؛ ينزل المسلمون إلى الدرك الأسفل من التخلُّف والانحطاط، ولا يبقى أي أمل في النهوض بهم بعد أبدًا، وذلك بالذات هو ما يتمناه أعداء الإسلام ويودون وقوعه»[(١)].

○ شكر الهلالي لوالد صهيب الزمزمي -وهو العلَّامة الشيخ محمد- على تحذيره من جماعة التبليغ:

مما وجدته في رسائل الهلالي للعلَّامة محمد الزمزمي، بعد التحية والسلام:

«سمعتُ أنك مررت بالمدينة المسماة بـ(سليمان) في المغرب، ووعظتهم بأنواع التوحيد، وحذرتهم من الطريقة الإلياسية الهندية التي يروجها عبيد أهل الهند من المغاربة المضلِّلين؛ وجزاك الله خيرًا.

وينبغي أن تُؤلِّف كتابًا في نصيحة المسلمين، وتحذيرهم من هذه الطائفة، الله يديم علينا وعليكم نعمة التوفيق، ويعيننا وإياكم على أداء الواجب واتباع رضوانه»[(٢)].

والكلامُ عن الهلالي وجماعة التبليغ في بلجيكيا كثيرٌ، ومما له صلةٌ به، وينبغي أنْ لا ينسى:

---

(١) «جماعة التبليغ» (ص ٣٧ - ٣٩)، وينظر «موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية» (١٠/ ٦٢ - ٦٧).

(٢) «رسائل الهلالي الشخصية» (١/ ١٨٩ - ط الأولى).

○ صلة الشيخ أبي سعيد اليربوزي[1] بشيخه الهلالي وتجربته مع جماعة التبليغ:

(١) هو محمد بن عبدالله اليربوزي، والمعروف عند الأتراك: مَحْمد -بفتح الميم وسكون الحاء- بالجي أوغلو، يعني: ابن العسّال.

ولد الشيخ في ربيع الأول في سنة ١٣٦٩ للهجرة النبوية في قرية يربوز، بلدة آكسكي من محافظة أنطاليا في تركيا، وكنيته أبو سعيد، وكما هو معلوم فإن كنية الشيخ ليست اسمًا مستعارًا، وذلك لأن ابنه الأكبر يحمل اسم سعيد، وبه تكنَّى، وبعض الناس ممن لا يعرفون الشيخ عن قرب يظنون أنها اسم مستعار وليس بكنية؛ فوجب التنويه.

درس الشيخ الابتدائية في قريته، وبعد إكمالها ذهب مع عائلته إلى إسطنبول ثم إلى بلجيكا، وقد حبَّب إليه عمُّه -حسن بالجي أوغلو- قراءةَ الكتب حينما كان في إسطنبول.

وكانت رحلته الأولى لطلب العلم إلى باكستان وعمره تسعة عشر عامًا، ولم يكن حينها قد تعرف على عقيدة السلف الصالح، وبعدما رجع إلى بلجيكا، تعرف على هذه العقيدة بواسطة صديقه سعد، ثم رحل إلى المدينة وغيرها من مدن السعودية، والتقى بالمشايخ الكبار والتحق بدروسهم واستفاد منهم.

وفي عام ١٩٧٢م رحل إلى شمال إفريقيا، وفي بداية عام ١٩٧٤م رحل إلى الهند وباكستان وأفغانستان حتى نهاية ١٩٧٤م، ثم رحل إلى مكة والمدينة وجدة والرياض وغيرها، وخلال هذه الرحلات العديدة قضى أربع سنوات عند شيخه مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والذي تعلم منه علم الحديث، ثم رحل في بداية ١٩٨٣م رحل إلى مصر، وفي ١٩٨٦م رحل إلى السودان ثم الجزائر والمغرب والأردن، وكل ذلك كان لطلب العلم والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

وكان قد رحل إلى باكستان في عام ١٩٨٣م، ثم رجع إلى بلجيكا وبدأ الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولأجلها طاف أوربا كلها.

درس الشيخ أبو سعيد اليربوزي في المدينة المنورة مدة طويلة، وكانت هذه المدة بين عامي ١٩٧٤-١٩٧٨م، وبقي هذه السنوات دون أن يرحل إلى غيرها، وكان يزور فيها المشايخ والعلماء في شهر رمضان.

ثم رجع إلى بلجيكا مرة أخرى، وأنشأ فيها مسجدًا سمَّاه مسجد الغرباء، وبدأ الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ فيه، وقد وفقه الله في دعوته التي ابتدأت عام ١٩٧٨م، وفي هذه السنوات التي بقي الشيخ فيها ببلجيكا زار المدن الأوربية لنشر الدعوة والتعريف بمنهج السلف الصالح.

=

كانت لأبي سعيد منزلة كبيرة عند العلَّامة تقي الدين الهلالي، وكان يحبُّ

- وبعد ذلك كله رجع الشيخ إلى تركيا، وقد قرر أن يدعو الناس فيها إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإلى منهج السلف الصالح، وذلك في سنة ١٩٩٠م، وبدأ الدعوة في إسطنبول.

وكانت الحركة الأساسية في دعوة الشيخ إلى منهج السلف الصالح أولًا في سنة ١٩٩٥م؛ حيث أنشأ بيتًا في قريته يربوز واشتغل بالكتب والطلبة، وبعد وقت قصير أثمر ما بذله من الجهد الفائق في الدعوة إلى منهج السلف في كثير من مدن تركيا.

وكان الشيخ جديًّا في التعليم مشجعًا له، محبًّا للتلاميذ المتفوقين، والأهم عنده أن يكون التلميذ ذا خلق حسن وأدب رفيع.

وللشيخ كتب عديدة. والمطبوع منها: «الصلاة في الكتاب والسنة»، «حكم تارك الصلاة»، «رسالة العلو»، وغير ذلك، وله كتب كثيرة ما زالت مخطوطة، وهي تنتظر الطباعة.

وكان أهمُّ ما ألَمَّ به إلمامًا عظيمًا طوال هذه السنين: هو الاعتصام بالكتاب والسنة، وطاعة الله ورسوله، واجتناب التقليد والتعصب المذهبي؛ فكان له منهج قوي وكأنه بروج مشيدة.

وكان الشيخ يَعرف اللغة التركية والعربية والفرنسية والعثمانية.

ومِنَ الجدير بالذكر أن الشيخ كان يزور الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في سوريا، ويسمع دروسه التي ألقاها في المدينة المنورة، وقد التقى به في مناسبات عديدة -أيضًا-، وكان الشيخ حمدي عبدالمجيد السلفي صديقًا له، وكان الشيخ يستضيفه كلَّما قدم إلى تركيا.

وأخيرًا: فإن كل من تعلَّم منهج السلف الصالح في تركيا فللشيخ عليه فضل، وله منه نصيب، وما تعرفوا على هذه العقيدة إلا بفضل الشيخ محمد أبي سعيد اليربوزي رَحِمَهُ اللَّهُ.

توفي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في بلجيكيا في ١٥ جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - يوافق ١٩ديسمبر ٢٠٢١م، ودُفن في قرية يربوز، وأوقف بيته وأرضًا يملكها ومكتبته على الذين يشتغلون بالعلم والدعوة إلى الله -تعالى-.

كتبها بالتركية -بطلب منِّي- الأخ الفاضل أبو ياسر جهان بن مصطفى اليربوزي التركي، وترجمها لي إلى العربية الأخ الفاضل أبو يحيى السيد بن مولود البورصوي، وهما من أشهر تلاميذ الشيخ أبي سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، وآثرت إثبات الترجمة مختصرة هنا، لأنها عزيزة، ولم يعرف كثير من طلبة العلم عنه شيئًا، فغفر الله له وتقبَّل منه.

لحرصه على التوحيد، ونشره له، وعنايته به عند قومه، وظفرت برسالة له إلى الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالله الزايد -وكان نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية- مؤرّخة في شوال سنة ١٤٠٢هـ يوصيه بتلميذه أبي سعيد خيرًا.

يقول الهلالي -وهو في بلجيكيا-: «ثم إني وجدتُ هنا في البلاد البلجيكية جماعة من الأتراك لهم رئيس اسمه محمد بن عبدالله أبو سعيد اليربوزي، وهذه جماعة عددها خمسون بيتًا، متمسكون بتوحيد الله واتباع سنة رسوله ﷺ رجالًا ونساء، وأبو سعيد -هذا- هو سبب هدايتهم، ولما بدأ الدعوة في بلاده؛ حاربه قومه المحافظون على البدع والشرك، واشتكوا به إلى حكومتهم؛ فنفته من بلاد الأتراك نفيًا مؤبدًا، وقد درس -هو بنفسه- في الجامعة الإسلامية سنتين، ويوجد في الجامعة الإسلامية من أتباعه طالبان اثنان، قبلتهما الجامعة في السنة الماضية، وفي هذه السنة تقدم اثنان من أتباعه بطلبهما الدخولَ في الجامعة الإسلامية؛ فلم يأتيهما جواب...»(١).

كتب إليَّ الأخ الفاضل مصطفى البورصوي -حفظه الله تعالى- مِن تركيا؛ **ما نصُّه:**

«في سنة ١٩٨٠ جاء الشيخ محمد تقي الدين الهلالي مع عائلته إلى بلجيكا لسبب المعالجة، وقد سكن في مسجد قباء الذي بناه المغاربة من إخواننا، وخُصِّصت له غرفة في الطابق الثاني من المسجد، وهو كان يستضيف الناس الذين يريدون أن يزوروه في هذه الغرفة، وقد سمعنا من إخواننا المغاربة أن الشيخ الهلالي قد أتى بلجيكا، وذهبنا إليه مع الشيخ أبي سعيد فورًا، والشيخ أبو سعيد كان يسكن في مكان يسمى (نامور) الذي يبتعد عن بروكسل ثمانين كيلو مترًا، واستضافنا الشيخ الهلالي إذ سمع أننا من الأتراك والشيخ أبو سعيد معنا، وقد تكلم الشيخ أبو سعيد مع الشيخ الهلالي

(١) أودعتها في كتابي «رسائل الهلالي الشخصية»، وهي من زيادات (الطبعة الثانية).

عن المسلمين الذين يدعون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وعن المسلمين الأتراك الذين يعيشون في أوربا، وعن جماعة قد بنوا عقيدتهم على منهج السلف الصالح في بلجيكا، وكنا نذهب مع الشيخ أبي سعيد إلى مسجد قباء لنستمع إلى خطب الجمعة وإلى الدروس العلمية التي يلقيها الشيخ الهلالي فيه، وكانت تدور بين الشيخ الهلالي والشيخ أبي سعيد مذاكرات علمية، وكان الشيخ أبو سعيد يسأله والشيخ الهلالي يجيبه، وأبو سعيد كان -في ذاك الوقت- في العقد الثالث من عمره، والشيخ الهلالي كان شيخًا كبيرَ السن، والعلاقة بين الشيخ الهلالي وأبي سعيد كانت حسنة، وهذه الألفة بينهما قد استمرت إلى سنة ١٩٨٧ حتى وافت الشيخ الهلالي المنية، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جنانه» انتهى كلام الأخ.

وقال لي الشيخ أبو سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الشيخ الهلالي حينما درَّس -في ذاك الوقت- كان عمره يتجاوز المئة[١].

وقال -أيضًا-: رأيت الشيخ الهلالي وهو يصلِّي قائمًا، وسألته عن هذا الحال، وأنه كيف يصلي قائمًا مع أنه شيخ كبير وعمره يتجاوز المئة؟ فأجاب بجواب فائق: هذا إكرام الله عَزَّوَجَلَّ على حفَّاظ كتابه.

قال أبو عبيدة: تتلمذ أبو سعيد اليربوزي على شيخه الهلالي -رحمهما الله تعالى- في بلجيكيا، ولازم مجالسه في أواخر عمر الهلالي، ونهل من علمه، واستفاد كثيرًا منه، ووثق الشيخ الهلالي به، وكتب له تزكية، وشفع له عند الشيخ العلَّامة عبدالعزيز ابن باز، ووجدتُ بإملائه من رسالة ظفرتُ بها في أوراق الشيخ أبي سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وفاتتني في كتابي «رسائل الهلالي الشخصية»، وسأضعها -بإذن الله- في الطبعة الثانية منه- ما نصُّه:

---

(١) هذا في تقدير الشيخ أبي سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، والعلَّامة الهلالي توفي عن ست وتسعين سنة.

«فإن الكتاب الذي كتب الشيخ أبو سعيد -رئيس جماعة الأتراك القاطنين في بلاد البلجيك- هو صادق فيه، ومخلص، وجماعته مثله في الإخلاص، ويرجى أن يكون في دعوتهم خير كثير للشعب التركي، فأرجو مساعدتهم بكل ما يمكن».

وكان ذلك في ٢ شوال سنة ١٤٠٣هـ.

وتأثَّر الشيخ أبو سعيد فترة بجماعة التبليغ، وخرج معهم إلى الهند وباكستان وأفغانستان، وكان يدعو إلى طريقتهم، ثم شرح الله صدره للتوحيد والاتِّباع فنابذهم، وبَدأ يحذِّر منهم، وكان هو وشخص آخر في سنة ١٩٧٠م أول من خرج مع التبليغ في بلجيكيا، وله قصة كتبها في تقرير أعدَّه بتأريخ ٢٤/ ٦/ ١٤٠٩هـ، **قال فيه ما نصّه وفصّه:**

«بسم الله الرحمن الرحيم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ﷺ.

وبعدُ:

نظرًا إلى طلب بعض الإخوان السعوديين بيان مشاهداتي وآرائي في جماعة التبليغ؛ **أجبتُ على ذلك مرتبًا بعض ملاحظاتي فيها على النحو الآتي:**

كنتُ أنا وشخصٌ آخر في سنة ١٩٧٠م أول من خرج للتبليغ مع حافظ بيك الذي مرَّ ببلجيكا بعد رجوعه من الحج مع جماعة التبليغ، والشخصُ الآخر هو الأخ عبدالقادر عمر قوش أمير هذه الجماعة حاليًّا[١] في بلجيكا، ورغم أني كنتُ مِن قبلُ أنتمي إلى جماعة نشيطة بتركيا؛ إلا أنَّني أُقدِّر حتى الآن جماعة التبليغ التي تخرج إلى الشوارع والمقاهي لدعوة جميع المسلمين، ولكني -ذاك الوقت- لم تكن لي معلومات في قضايا التوحيد؛ لذا لم تتكوَّن لي مَلَكة

(١) أي: في ذلك الوقت.

تمكِّنني مِن الحكم عليهم في مسائلهم الاعتقادية والعملية، وعملهم الوحيد الذي كنت أقدِّره فيهم هو الإيثار على أنفسهم.

وفي عام ١٩٧٢م خرجت معهم للتجول إلى إنكلترا وفرنسا وشمال إفريقيا، وذلك لمدة ثلاثة أشهر؛ علمًا بأن هذا الخروج لم يكن برضَى أهلي.

وفي نهاية هذا السفر قَدِمتُ إلى تركيا لخدمة التجنيد، ومكثتُ فيها سنتين، ورجعتُ إلى بلجيكا سنة ١٩٧٤م، خرجت معهم مرة أخرى، فخرجت إلى باكستان والهند عن طريق إنكلترا لمدة أربعة أشهر، وكذلك لم يرضَ أهلي لهذا السفر؛ إلا أن اعتقادي بصحة هذا العمل لم يعطني فرصة للتفكُّر في عدم رضى والديّ.

وفي هذه المرة تعرَّفت ببعض الإخوان السعوديين والبحرينيين، ومعاشرتي معهم كانت تساعدني على تعلُّمي اللغة العربية منهم، لكنَّ بعض الأشخاص من كبراء هذه الجماعة كانت تحذِّرني منهم، فكانوا يقولون: لا تجلس مع هؤلاء؛ لأنهم وهَّابيون، وعقائدهم تخالف عقيدة أهل السنة، وليس عندك معرفة -أيضًا- في الدين؛ فلذا سيضلونك.

ورغم أن هذه الكلمات كانت تخوِّفني، فكنت أتساءل: **وما هي عقائدهم الضالة؟** وفي مدة قصيرة بارتباطي معهم عرفت أشياء كثيرة، وفهمت أن هؤلاء الإخوان كانوا يتكلَّمون عن التوحيد فقط، ويطعنون في مسائل الشرك، وهذه الجماعة -أي: التبليغ- كانت لا تحب أهل التوحيد، **إلا أنَّ سَوْقَهم الإخوانَ الحجازيين والخليجيين للتبليغ؛ كان لإرجاعهم عن عقيدتهم الصحيحة، وذلك عن طريق إظهار سلوكهم الحسن، أحسست ذلك الحال بعد معاشرتي لهؤلاء الإخوان.**

فعندما رأت هذه الجماعة أن بعض آرائي قد تغيَّرت، وبدأتُ أخالف مذهبهم الحنفي ببعض أعمالي، تركوني وحدي؛ لأن الذين أكرموني ورغَّبوني

في التبليغ ظَنُّوا أني سأؤثِّرُ على الأتراك الخارجين معنا! ورجعت مِن الهند إلى بلجيكا بذلك السبب، والإخوان ببلجيكا بدؤوا يتعاملون معي بمعاملة باردة، وإن كانوا لا يظهرون ذلك!!

وأخيرًا: بدأت أقطع ارتباطي مع هذه الجماعة، ورغم ذلك كنت أعاملهم معاملة جيدة، إلى أن جاءت حادثة الاجتماع في ٢٨ رجب سنة ١٤٠٢هـ.

ونظرًا إلى إعلان هذا الاجتماع مبكرًا ببلجيكا، فكنَّا ننتظر أناسًا كثيرًا لاشتراكهم فيه، وأخيرًا جاء ذلك اليوم، وأنا كذلك كنتُ أودُّ أن أستفيد استفادة كثيرة من هذا الاجتماع، ولذا قبل الاجتماع ذكرت -مرغبًا للإخوان- بأن هذا الاجتماع اجتماع كبير، وسيشترك فيه كثير من الأتراك -أيضًا-، وعلينا أن نشترك جماعة كذلك، وبهذا سنجد فرصة للكلام مع الناس عن التوحيد.

وفي يوم الثاني منه جئنا مثنى مثنى إلى الموضع، وكلنا تكلَّمنا مع المخاطبين عن التوحيد بما لدينا من العلم، وكنا نحاول أن نلفتهم إلى غاية خَلْقِنا التي هي العبادة؛ لأني عند خروجي مع هؤلاء -وخاصة مع مشايخهم- لم أرَ أحدًا منهم تكلَّم عن التوحيد.

وبالطبع أمرُنا هذا قد رُئي مِن بعض المراقبين، فلذا بدؤوا يحيطون حولي ويسألوني بعض الأسئلة، ويقولون مثلًا: (لماذا تشوِّش عقول الناس بالأشياء التي لا يفهمونها؛ فتفسدَ عقول المسلمين الصافية بآراء ابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب الباطلة؟)، فأخذوا يتَّهموني بهذه الأشياء والتهم!

وأخيرًا: جاء عبدالقادر عمر قوش -أميرهم ببلجيكا-، فأخذني إلى الخارج، وكان يعرفني تمام المعرفة؛ لخروجي معه أول مرة بجماعة التبليغ كما ذكرت ذلك فيما سبق، فقال لي موجهًا بعض الأسئلة: يا أبا سعيد! يقولون بأنك من جماعة التكفير؛ فهل هذا صحيح؟ فقلت له: مَن قال لك هذا؟ فقال لي: لا أعرف! إنما كلٌّ يقول بأنك تكفِّر المسلمين. فقلت مجيبًا له: تكفير

المسلمين حفظنا الله منه، ونحن برآء مِن ذلك؛ فهل يمكنك أن تعطيني مثالًا عليه؛ فكيف أكفرهم؟ فأجاب على الفور قائلًا: تكفِّر أهل التصوُّف. فأجبتُ عليه قائلًا: أتقصد هؤلاء الذين يدعون غير الله ويستغيثون بغيره؟ فالله يكفِّرهم ولست أنا بمكفِّرهم. فذهب وتركني بدون أن يردَّ عليَّ.

وأردت أن أدخل إلى الداخل مرة ثانية، وهذه المرة لم يسمحوا لي بالدخول، فكأنهم أحاطوا المدخل، وبدأت أنتظر في مكاني، فبدؤوا يطردون إخواني إلى الخارج واحدًا واحدًا، وبعد نصف ساعة جميع الإخوان كانوا خارج الباب.

وقد أخذوا مِن بين هؤلاء الإخوان شخصًا إلى مشايخهم، وأمسكوه في الداخل، واسم هذا الأخ هو مصطفى، ثم طردوه موجِّهين إليه بتهم كثيرة.

وبالطبع؛ بعد ساعة أو ساعتين رجعنا إلى المسجد، وسمعنا بالغد أنهم ضربوا شخصًا يسمَّى بـ(فاروق حنيف) حتى الفجر[1]، ظانِّين بأن له ارتباطًا بنا، وقد كتب هذا الأخ قصته بنفسه، وها هي ملصقة بهذا التقرير.

والله مِن وراء القصد، وهو الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرر في ٢٤/٩/١٤٠٨هـ ببلجيكا

إعداد: محمد أبو سعيد اليربوزي»

وكان الهلالي مع تلامذته - ومنهم: أبو سعيد وصهيب الزمزمي[2] -رحمهم الله تعالى- ممن يُحذِّرون مِن جماعة التبليغ، واشتدَّت العداوة بينهم مع التبليغ في البلاد البلجيكية كما تقدَّم.

---

(١) انظر التفصيل في «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» (٥٤ - ٥٧) للشيخ العلَّامة حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) سبقت ترجمته.

○ **نقل العلماء والباحثين من «السراج المنير»:**

ولهذا أحال على كتابه هذا جَمْعٌ ممن خَصُّوا (جماعة التبليغ) بالدراسة والتمحيص، **مثل:** العلَّامة الشيخ حمود التويجري في «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ»، وأكثرَ جدًّا مِن النقل عنه، وعلي الغماري في «مناقشة خروج (التبليغيِّين) وبيان بطلانه» (ص٤٦)، وعصام مرعي في «القول البليغ في نصح جماعة التبليغ» (ص١٨، ٢٦) ونَقَل منه، وسيد طالب الرحمن في «تلخيص جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية» (ص٢٧٣)، ونَقَل منه في كتابه الأصل (ص٤٥٠ - ٤٥٢) تحت (الرَّد على جماعة التبليغ: شهادة الشَّيخ تقي الدِّين الهلالي)، ومحمد محمد شرقاوي في أول بحثه «الصفات الستة عند جماعة التبليغ» (ص٩)، وغيرهم كثير كثير.

○ **كذب التبليغيِّين على العلماء في موقفهم من جماعة التبليغ بما فيهم العلَّامة الهلالي:**

كان لكتاب الهلالي «السراج المنير» أثرُه الإيجابي القوي في تعريف طلبة العِلم بهذه الجماعة من جهة، وأثره السلبي على رجالات هذه الدعوة، حتى وجدتُ صهيبًا الزمزمي يقول في كتابه «جماعة التبليغ -أو أصحاب الدعوة الباكستانية- خطر على المسلمين» (ص٣٧)، مبيِّنًا موقف (التبليغيِّين) مِن العلماء الذين يحذِّرون منهم -عمومًا- ومِن العلَّامة السَّلفي محمد تقي الدِّين الهلالي -خصوصًا-، وسبق كلام الشيخ الزمزمي في ذلك، وله[1] كلام فيه غلوٌّ عنهم، ولا بد من التنبيه عليه، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥]، قال -غفر الله لي وله- بعد كلام:

«ومما يجب ذِكره هنا ما أخبرنا به الأستاذ الصمدي عن الأستاذ المطيع

---

(١) أي: للشيخ صهيب.

أنه قال: إن تأسيس هذه الجماعة بالباكستان، كان بإيعاز من الاستعمار البريطاني، وذلك لمناهضة الجماعة الإسلامية هناك، التي كان يرأسها أبو الأعلى المودودي، حيث أن هذا الأخير -المودودي- هو وجماعته ينادون بإعادة الإسلام إلى الحكم، وإقامة دولة إسلامية بالباكستان.

ومن الملاحظ أن أتباع الطريقة الباكستانية سواء كانوا من المغرب أو من غيره، لا يسافرون إلى الباكستان إلا عن طريق لندن التي يتوجهون إليها عن طريق البر، ومنها يطيرون إلى الباكستان، وحين سئلوا عن السبب أجابوا: بأن هناك شركة طيران تنقلهم بثمن منخفض، ثم الله أعلم بحقيقة الأمر».

قال أبو عبيدة: قوله: «بإيعاز من الاستعمار البريطاني» خطير، ويحتاج إلى أدلة، وكلامه عارٍ عنها، وهم مسلمون، ويحبون دين الله عَزَّوَجَلَّ، ويعملون على نشره في أرجاء الدنيا، وأثرهم واضح وملموس في الدنيا كلها[1].

نعم؛ الغرب يدعم أصحاب الأفكار المنحرفة، ولذا مُنع الصادقون في كثير من البلدان من التدريس إلا الصوفية وجماعة التبليغ، وأخطر ما عند التبليغ: ما ذكرته فيما تقدَّم من أنهم يسقطون فضائل الجهاد في سبيل الله على الخروج البِدعي الذي عندهم، ولو أن طريقتهم في الخروج، واستدلالهم لها طرأ عليها تغيير، وتخلصوا مما ذكره العلماء عليهم من المآخذ والسوالب؛ لكانت حسنة على حسب ما أفتى به العلماء المعتبرون، وعلى رأسهم العلَّامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

○ فتاوى العلَّامة ابن عثيمين في جماعة التبليغ:

الفتوى الأولى:

وُجِّه إليه سؤالٌ مِن شخص تأثر بجماعة التبليغ، **يقول السائل:**

إنه خرج مع هذه الجماعة؛ وفي حِلق الذكر تكون مناقشة لستة مواضيع

---

(١) تذكر ما نقلناه أخيرًا عن الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ أن الأثر ليس دليلًا على صحة المنهج!

فقط، وهي التي تسمى عندهم بالصفات الست، وهي: تحقيق الكلمة الطيبة لا إله إلا الله، ثم الصلاة ذات الخشوع والخضوع، ثم العلم مع الذكر، ثم إكرام المسلم، ثم تصحيح النية، ثم الدعوة إلى الله والخروج في سبيل الله، فهل هذه الأصول شاملة، فلا يحتاج معها إلى غيرها؟ وما وجهُ النقص؟

فأجاب -رفع الله درجته-:

«هذه الأمور التي ذكرها السائل لا شك أنها أمور طيبة وخيرة، ولكنها ناقصة، ووجه نقصها: أن الدين الذي جاء به محمد ﷺ هو ما تضمنه حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يعني: لما جاءه جبرائيل فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فنصيحتي لهؤلاء الإخوة الذين جعلوا هذه المبادئ الخمسة يمشون عليها: أن يعدلوا عن هذه الفكرة، وأن يتجهوا لهذا الحديث الذي وصفه النبي ﷺ بأنه الدين»[1].

ويُستفاد من هذه الفتيا:

أولًا: إن هذه الجماعة في البلاد السعودية تسير على طريقة أمراء الجماعة الأعاجم -أصحابِ الطرق الصوفية الأربع- في التمسك بالأصول الستة في دعوتهم وغيرها، ثم يزعمون أنهم لا علاقة لهم برموز التصوف في بلاد العجم، وهذا الزعم باطل كما ترى.

ثانيًا: صرَّح الشيخ بأن دعوة التبليغ القائمة على هذه الأصول الستة ناقصة، وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثالثًا: أوصاهم الشيخ بلزوم ما في حديث جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لكنهم لم يفعلوا؛ لأنهم أهل عناد لا يتخلون عن منهجهم الدعوي الذي سنَّه لهم محمد إلياس[2].

---

(١) انظر مصورة الفتوى بخطه كاملة: في وثيقة رقم (٨)، والمزبور هنا من «كشف الأستار» (١١٩).

(٢) «تعرف على جماعة التبليغ الأحباب» (٢٦ - ٢٧) للشيخ سلطان العيد.

الفتوى الثانية:

هذه فتوى أخرى للعلاّمة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ بيَّن فيها ضلال جماعة التبليغ في فَهْم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، فمعناها -عندكم يا أهل السنة-: لا معبود بحق إلا الله، وأما هذه الجماعة فلها تفسير مُحدَث ذكره السائل بقوله:

بعض مَن يفسِّر «لا إله إلا الله» يفسرها بقوله: هي إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله؛ أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبِّر إلا الله، فهل هذا التفسير صحيح؟ وإن لم يكن صحيحًا فما التفسير الصحيح؟

فأجاب -غفر الله له- بقوله:

«هذا التفسير ليس بصحيح، لأن تفسيرها على هذا الوجه لا يتحقق به إلا توحيد الربوبية فقط، ومعلوم أن توحيد الربوبية وَحده لا يدخل الإنسان في الإسلام، معنى كلمة التوحيد الصحيح: أنه لا معبود بحق إلا الله، ولهذا قال الله عنهم -أي: المشركين-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]، فتبيَّن بهذا أن المشركين أفهم لمعنى كلمة «لا إله إلا الله» مِن هذا الذي جعل معناها مجرد اليقين والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق، **وهذه مسألة عظيمة**، يجب على الإنسان أن يتوب إلى الله من هذا التفسير الفاسد لمعنى «لا إله إلا الله»، وأن يرجع إلى التفسير الصحيح الذي اتفق عليه المسلمون»(١).

ألا ترى أيها المُوَفَّقُ المُسدَّد؛ كيف أن الشيخ ابن عثيمين يقول: إن المشركين أفهم لمعنى كلمة «لا إله إلا الله» من هذا الذي جعل معناها مجرد اليقين؟!

وقائلُ هذا هم التبليغيون (الأحباب)!

---

(١) «كشف الستار» (ص١٢٠).

ثم إن الشيخ نصحهم بالتوبة عن هذا الانحراف العقدي الخطير، لكنهم لم يفعلوا ومشوا على طريقتهم الباطلة(١).

الفتوى الثالثة:

هذه فتوى ثالثة له عن الدعاء الجماعي الذي يقومون به بعد تلاوة البيان، يقول السائل:

ما حكم الدعاء الجماعي عند بيانهم، وعند الخروج من المسجد للذهاب إلى الجولة؟

فأجاب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:

«الدعاء الجماعي سواء كان عند النصيحة أو الخروج من المسجد أو عند الذهاب إلى الدعوة؛ ليس له أصل، وهو نوع من البدعة»(٢).

الفتوى الرابعة:

وأخيرًا: لما بلغ الشيخ ابن عثيمين ما عند هذه الجماعة من انحرافات عقدية؛ صدرت عنه هذه الفتيا، فقال:

«بلغني عن زعماء لهؤلاء الجماعة في الأقطار الإسلامية خارج بلادنا أنهم على انحراف في العقيدة، فإذا صحَّ هذا؛ **فإنَّ الواجب الحذر منهم**»(٣).

صدق رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد صحَّ انحرافهم بشهادة الثقات من العلماء وغيرهم، وبالنقل مِن كتبهم، **فالواجب -كما يقول العلَّامة ابن عثيمين- الحذر منهم، لا الانضمام إليهم، والتأسي بهم، واتخاذهم أمراءَ للدعوة**(٤).

---

(١) «تعرف على جماعة التبليغ الأحباب» (٢٨).

(٢) «كشف الستار» (ص١٢١).

(٣) ذكره سيد طالب في كتابه «جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية» (ص٤٣٥).

(٤) «تعرف على جماعة التبليغ الأحباب» (ص٢٩).

الفتوى الخامسة[١]:

- **سائل:** نحن حضرنا عندهم ويقولون: نحن نحرص على العلم وعلى طلبه.

- **الشيخ:** إي هم يقولون كذا، **والأمر خلاف ذلك**، حتى أني سمعت مَن هو طالب علم الذي يشوفونه مجتهد يقولون له: (ليش تعلم؟! ليش تعلم؟! المقصود بالعلم الدعوة، ادعو، اخرج)، هذا ما هو صحيح.

- **سائل:** لكن مع استفساري معهم إنهم يلاحظون على التركيز على الدعوة خارج المملكة؛ مثلًا: نروح لفرنسا، نروح لأمريكا، نروح للبرتغال، نروح لقطر.

- **الشيخ:** هذه لا شك أنها طيبة، لكن بس أنا أقول لك: **إنه دعوة بلا علم، ما هي بشيء، الدعوة بلا علم ليس بشيء، لا بد من العلم قبل كل شيء، ثم إن الدعوة تحتاج الى علماء.**

وسأله أحد الحضور عن حكم الاجتماع كل ليلة خميس لقراءة القرآن ونحوه.

- **الشيخ:** لا، أنا ما أرى هذا، لأنه كون إنهم يخلوا المسألة دائمة؛ معناها جعلوها سُنة، وهذا ما له أصل.

- **سائل:** كيف يُرد عليهم؟

- **الشيخ:** نرد عليهم نقول: هل كان هذا من عمل الرسول ﷺ وأصحابه؟ بس يكفي؛ لأن العبادات... (يقصد توقيفية).

- **السائل:** الذي يُنكر عليهم هو الجهل...؟

- **الشيخ: أبدًا؛ الذي ينكر عليهم -إن شاء الله- على صواب.**

---

(١) أيضًا أفادنيه الأخ إبراهيم رضوان زاهدة، ثم سمعته ورأيته بمقطع مرئي للشيخ ابن العثيمين نفسه.

- **السؤال**: فضيلة الشيخ سمعت مِن بعض الدعاة يقول: إن الإنسان إذا دعا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ يعني: في بلاده، قد ينزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الهداية في اليمن أو قد ينزل الله الهداية في المدينة، يعني: بسبب دعواك إلى الله في عنيزة أو دعواك في أهل بلدك؛ يعني: قد تنزل عليهم الهداية في الصين، وقد تنزل عليهم في بلاد أخرى، وكذلك قولهم يا شيخ: يقول: إن هذه الكتب هي ألفاظ الدين، وليست الدين؛ يعني: الدين هو الحركة، وكذلك يا فضيلة الشيخ قولهم: يقولون: إن الغربة الآن هي الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهم يقولون: الغريب الآن المسلم يصلي، ويصوم، ويحج، وليس في ذلك غرابة، وإنما الغريب الآن هو الداعي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فما صحة هذه الأقوال؟

- **الشيخ**: القول الأول ما فيه مشكلة، يقول: معنى أنك إذا دعوت أن تكون الدعوة في الصين.

- **السائل (موضحًا السؤال)**: يقول إن الهداية تنزل، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينزل الهداية، ربما ينزل الله إن لم يهتد هؤلاء الذين دعوتهم، قد تنزل الهداية في الصين، قد تنزل الهداية في اليمن، قد تنزل الهداية على أهل مكة، يعني: على بعض الأشخاص الضالين، وهذا كثير مشهور عند بعض الشباب.

- **الشيخ: الجواب على هذه الفقرة من السؤال المتضمن ثلاث فقرات:** إنه لا صحة لذلك؛ لأنك إذا دعوت الله دعاء محددًا تقول: اللهم اهد هؤلاء، اللهم اهد أهل هذه البلدة، فإما أن يستجيب الله دعاءك ويهتدي هؤلاء، وإما أن يصرف عنك وعن أهل البلد من السوء ما هو عظيم، وإما أن يدخر لك أجرها يوم القيامة، أما أن يهتدي قوم في محل آخر لم تدع الله لهم، **فإن دعاءك ليس سببًا لهدايتهم.**

- **السائل**: أقصد يا فضيلة الشيخ دعوتهم: زيارتهم في بيوتهم ودعوتهم إلى الله، ولم أقصد الدعاء لهم.

- **الشيخ:** كيف ذلك؟ كيف إذا دعوت -مثلًا- أهل بلد معين، كيف يهتدي قوم ما دعوتهم؟

- **السائل:** يستدل أن النبي ﷺ دعا أهل مكة، ثم هدى الله -سبحانه- الأنصار في المدينة.

- **الشيخ:** لا؛ هذا ليس بصحيح؛ لأن هداية الأنصار لها سبب غير دعوة الرسول ﷺ لأهل مكة، السبب أن عندهم أناسًا من اليهود، واليهود عندهم كتاب، وعندهم علم بأن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سيبعث في مكة، وسيهاجر للمدينة، يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، كما في القرآن، والأنصار -الأوس والخزرج- لهم اختلاط باليهود في المدينة، فكانوا يسمعون هذا، فلما بعث الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سافروا إليه وبايعوه بيعتَي العقبة، والأمر في هذا مشهور، فهداية الأنصار هذا سببها: أنهم كانوا يعلمون بأن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سيبعث، وأن وقته قد حان، فذهبوا إليه وبايعوه.

أما المسألة الثانية؛ وهي:

- **السائل:** قولهم: إن هذه الكتب هي ألفاظ الدِّين، والدِّين هو الحركة في الدعوة إلى الله، يعني: من الناس الآن ربما يأتي من الجامعة، ويذكِّر الناس بكلمة وكلمتين، فلا يستفيدون؛ لأن ما قاله ألفاظ الدِّين، ولكن إذا أخذت الإنسان وسافرت به، وتحركت به؛ ربما يكون في هذه الحركة، هذه المطلوب وليس الكلام.

- **الشيخ: هذا -أيضًا- جهل منه،** فكتاب الله عَزَّوَجَلَّ القرآن أشرف الكتب، سماه الله -تعالى- كتابًا، ولا شك أنه الدِّين، تلاوته دين، وتأمُّل معناه دين، والعمل به دين، فالكتب هذه وسيلة لتعلُّم الناس الدين، وقراءتك للقرآن دين، وقراءتك للكتب التي فيها فائدة دين، وقراءتك للوسائل التي تدلُّك على معاني كلام الله عَزَّوَجَلَّ وكلام رسوله ﷺ كلها دين.

أما الحركة فنعم هي من الدِّين، فالعمل الصالح لا شك أنه من الدِّين، قال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام»، مع أن الله قال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، فهذا هو الإسلام، لكن إطلاق أن الكتب ليست من الدِّين؛ هذا خطأ وقصور، فهي دين لأنها تدل على الدين، نعم[١].

○ آخر كلام للعلَّامة الهلالي في جماعة التبليغ:

قال إسماعيل الخطيب في كتابه «عَرْفُ الطِّيب مِن ذكريات الخطيب»[٢] (ص١٨٢):

«أسمع مِن والدي التنويه به -أي: الهلالي- وبعلمه، ولم ألتقِ به وأجالسْه إلا مرَّة واحدة في منزله بمدينة الدار البيضاء بصحبة أفراد من (جماعة التبليغ)؛ التي دعت إلى لقاء كبير قيِّم بالقاعة الكبرى بمعرض الدار البيضاء، وحضره ما يزيد عن خمسة آلاف من التبليغيِّين، وكنتُ تلقَّيتُ دعوة مِن مُرشِد الجماعة الداعية الحمداوي؛ فلبَّيتُ الدعوة سعيًا منِّي إلى التعرُّف على الجماعة عن قرب، وكعادة هذه الجماعة فقد شكَّلت جماعات تضم بضعة أفراد لزيارات علماء المدينة، فانضممتُ إلى إحداها، وقد وضع اسم الدكتور الهلالي على رأس قائمة العلماء الذي سيُزارون.

وقد استقبلنا بباب منزله أحد طلبته الملازمين له، وبعد جلوسنا ذكر له أن هؤلاء هم مِن جماعة التبليغ، فأطرق برأسه وهو يستمع إلى أسمائهم على طريقة الجماعة: «أخوكم في الله يحبكم في الله..فلان»، وعندما أسمعتُه اسمي؛

---

(١) «سلسلة لقاءات الباب المفتوح» [لقاء الباب المفتوح ١٥] (١/ ٤٤٠،٤٣٩).
وانظر شهادة الدكتور عبدالله بن زيد المسلَّم -حفظه الله- في نقله لفتوى العلَّامة ابن العثيمين فيهم: في وثيقة رقم (٩).

(٢) طبع في تطوان سنة (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

قال لي: «هل أنت من ذرِّيَّة الشَّيخ محمد العربي الخطيب؟». فقلت له: «هو والدي». قال: «فكيف تسمح لنفسك بمصاحبة هؤلاء؛ وهم أهل طُرُقيَّة وبدع وضلالات، بينما كان أبوك صاحب عقيدة سلفية صحيحة وإيمان صادق؟!».
قلت له: «إني إنما رغِبتُ في الحضور معهم سعيًا منِّي لمعرفة حقيقة أمرهم، وإنِي لم أرَ منهم ما ذكرتم من الطُّرُقيَّة والبدع». فقال لي: «إذا لم تكن قد علِمتَ؛ فأنا أبيِّن لك». ثم صار يتحدث عن مؤسس الجماعة، وموطنها الأول، وما يلاحظه عليها مما ذكر أنه من البدع والضلالات.

وقد لاحظتُ أن أفراد الجماعة ظلُّوا صامتين مُطرِقين، وعندما سلَّمتُ عليه مودِّعًا؛ أمسك بيدي وهو يردِّد كلمات تحذيرية، **داعيًا إلى الأخذ بمنهج السَّلف الصالح والابتعاد عن مناهج المبتدعة**».

وذكرتُ في التعليق على «سبيل الرشاد» -أيضًا- (١/ ٧٤)، (٢/ ٣٠٦)، (٣/ ٢٣٣): «أن تقي الدِّين الهلالي كان يسميهم بـ (الإلياسيين)، نسبة إلى شيخهم مؤسس الجماعة، وكان يقول: «هم أصحاب طريقةٍ عصريةٍ»».

قال الهلالي -تقي الدِّين- عند حديث «**سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله**»[(١)]:

«ولم يزل جهال المتصوفة يأخذون هذه الضلالات عن عبدة الأصنام في الهند وعن رهبان النصارى إلى يومنا هذا، ومن ذلك: السياحة التي يدعو إليها (طائفة التبليغ) المتبِعون للشيخ محمد إلياس الهندي، وهم منتشرون في جميع أنحاء الدنيا، والركن الأعظم من طريقتهم هو ما يسمونه (الخروج في سبيل الله)، فإنهم يبذلون جهودًا عظيمةً في الدعوة إلى هذا الركن، وهم في ذلك مخلصون بطريقتهم وناجحون في عملهم، وكل داع مخلص ناجح على قدر إخلاصه يكون نجاحه، سواء دعا إلى حق أو إلى باطل.

---

(١) سيأتي تخريجه في التعليق على (ص٢٤٣).

وهذا الركن الذي يسمونه (الخروج في سبيل الله) وما يلزمه من التقشف في المعيشة: هو بعينه السياحة التي تقدم ذكرها، ونهى عنها النبي ﷺ، وهي (بدعة) محضة لم يفعلها النبي ﷺ...»[١] إلخ كلامه.

○ خلاصة كلام تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في التحذير من جماعة التبليغ:

وخلاصة كلام الهلالي في التبليغ هو قوله: «أما أصحاب الطائفة الإلياسية الهندية الذين يدعون الناس إلى السياحة: فَهُم مرتكبون معصيةَ لله ورسوله، وبدعةً قبيحة فيها مفاسدُ كثيرة؛ مِن تضييع العيال، وعقوقِ الوالدين، وتعطيلِ الأعمال التي فيها معايشُ الناس، وخيانةِ الأمانات، ولا سياحةَ في الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «**سِيَاحَةُ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، رواه أبو داود[٢]، وذكره الحافظ ابن كثير[٣] في تفسير سورة التوبة في تفسير ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة:١١٢]»[٤].

فهذه هي مواقفُ الهلالي الشرعية مِن جماعة التبليغ وجهدِهم، وكذلك جهدُ إخوانه العلماء السلفيين، وهي متفِقةٌ مؤتلِفة، غير متناقضة ولا متعارضة، هذا وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

سلخ شوَّال ١٤٤٣هـ

(١) «سبيل الرشاد» (٣/ ٢٣١ - ٢٣٢، بتحقيقي).

(٢) برقم (٢٤٨٦)، وإسناده جيِّد.

(٣) في «تفسيره» (٧/ ٢٩٣).

(٤) «العيون الزلالية» (١/ ٤٧٩ - بتحقيقي)، والفتوى غير مؤرَّخة.

السراج المنير

في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم

تصنيف العلامة

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الحسيني

١٣١١ - ١٤٠٧هـ

تحقيق

أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

مركز سطور للبحث العلمي

دار الإمام مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

بدئ في السادس عشر رمضان سنة ١٣٩٨.

الحمد لله الذي بَعث خاتمَ أنبيائه، وسَيدَ خَلقه محمدًا ﷺ بالحَقِّ بَشيرًا ونَذيرًا، وأوجبَ على العالمين اتِّباعَ سُنته في أُصول الدِّين وفروعه، ونَهاهم عَن الابتداع في دينِه، وحَذرهم تَحذيرًا، أحمدُهُ على ما أَوْلَى مِن النِّعَمِ، وأشكرهُ شُكرًا كَثيرًا.

وأشهدُ أَنَّه الله الذي لا إله إلا هو، شَهادة عَبد يَرجو رَحمته، ويَخاف عَذابه.

وأشهد أنَّ مُحمدًا عَبده ورَسوله، اللهم صلِّ عَليه، وعلى آله وأصحابِهِ وسلم تَسليمًا كَثيرًا.

أمَّا بَعدُ:

فيَقول أفقر العباد إلى رَحمة رَبه، وأحوجُهم إلى زيادة فَضله، محمد تَقي الدِّين بن عَبد القادر الهلالي الحُسيني، غَفر الله ذَنبه، وسَتر في الدَّارين عَيبهُ:

ظَهرتْ في هذا القرن الرابع عَشر في بلاد المُسلمين، في مَشارق الأرض ومَغاربها -دَعوةٌ عُرف أهلُها بالإخلاص لها، والصَّبر وتَحمل المَشاق في نَشرها، والاستماتة، وبَذلِ النَّفس والنَّفيس في خدمتها، ألا وهي دَعوةُ قَوم يُسمون أنفسَهم أهلَ التَّبليغ، ووَضعوا لدَعوتهم أركانًا سِتة[1]، مَدارها على

(١) المشهور عندهم: (الصفات الست)، وبعضهم يقول: (الأرقام الستة)، كما في «زاد داعي» (١٠ وما بعدها)، وصرَّح الكثير منهم أنها (الأسس والأصول)، انظر: «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية» (١٤)، «تبليغي تحريك كى ابتداء أور أس كي بنيادي أصول» (٣٩)، «حضرت مولانا محمد يوسف» (٧٤٠ - ٧٤١)، وبصرف النظر عن=

السِّياحة[١]؛ فهي الرُّكن الأساسي عندهم، فهي بمَنزلة الشَّهادتين عندَ أهل

= هذا الاختلاف، فالمقصود أن دعوة الجماعة تنحصر في هذه القضايا، ولا تخرج عنها، وهي أول ما يعرضونها على الناس، ويدعونهم إليها، وكل تبليغي ينتظم مع الجماعة لا بد أن يعرفها، ويتذكرها، ويتمرن على الخطابة بها، ويدعو الناس إلى العمل بها، فهي تكتسب أهمية عظمى عندهم، لأنهم يذكرون أنها بعض صفات الصحابة، وأن تحصيلها سبب لاستعداد حمل صفات الصحابة، وسبب لاستعداد حمل باقي الدين، وفي هذا تمويه لا يُفطن له إلا بعد الفحص والتمحيص لهذه الدعاوى، ولذا فالمصنف معذور بذكرها (أركانًا)، ونظرًا إلى أهمية الأسس الستة فقد ألَّف الشيخ محمد يوسف عنها رسالة في اللغة العربية في ضوء الأحاديث النبوية، **وفهارسها كالآتي**:
١- الكلمة الطيبة من (ص ١) إلى (ص ١٦)/ ٢- الصلاة من (ص ١٧) إلى (ص ٢٠)/ ٣- العلم من (ص ٢١) إلى (ص ٤٤)/ ٤- الذكر من (ص ٤٥) إلى (ص ٧٠)/ ٥- إكرام المسلم من (ص٧١) إلى (ص٧٤)/ ٦- النفر في سبيل الله من (ص٧٥) إلى (ص٩٠)/ ٧- النية من (ص٩١) إلى (ص٢٤٣)/ ٨- ترك ما لا يعني من (ص ٢٤٤) إلى (ص ٢٧٣).
وما زالت هذه الرسالة مسودة، ولا أدري ما السر في عدم طباعتها، وهي للمؤسس الثاني لدعوتهم، وهو ولد المؤسس الأول، انظر: «تذكرة حضرة مولانا محمد يوسف صاحب أمير تبليغ» (ص ٥٦).
فلا مؤاخذة على المصنف بعدِّها (أركانًا) لا (صفات) فيما ذكره الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فيما سبق أن نقلناه عنه في تقديمنا للكتاب (ص٦٩)، إذ العبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني، وانظر: «الصفات الستة عند جماعة التبليغ» (١٠ - مرقوم) لمحمد محمد علي شرقاوي، «جماعة التبليغ في الهند» (٤٢٨ - ٤٣٠، مرقوم) لمحمد جنيد. وانظر ما سيأتي (ص٢٥٢).

(١) لأخينا فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن ريِّس آل ريِّس دراسة لطيفة منشورة بعنوان «الإمام ابن تيمية وجماعة التبليغ»، ساق فيها فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية من «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٢٠ - ٦٣٥) في أمثال جماعة التبليغ، وربط بين فتواه وواقع جماعة التبليغ، وخرَّج عليه أن ابن تيمية لو تأخَّر به الزمن، وعلم حال التبليغيين، لحكم عليهم بالبدعة، وحذَّر منهم.
قال أبو عبيدة: ومما له صلة بالسياحة والتبليغ؛ قول ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٨٧-٢٨٨): «وأمَّا السياحة التي هي الخروج في البرية لغير مقصد معين: فليس من عمل هذه الأمة، ولهذا قال الإمام أحمد: «ليست السياحة من =

الاستقامة، فمَن قَبلها واشتغل بها أحبُّوهُ، وأكرموهُ، وغَفروا له ذنوبه وتَقصيره، وضَلاله وبدعته، ومَن خالفهم فيها لم يَقبلوا منه شَيئًا، وإنْ كانَ مُؤدِّيًا لجَميع الواجبات، قائمًا بالفَرائض والسُّنن، مُتَّبعًا لأقوم السَّنن، **فهي خلاصة دينهم، عَليها يُوالون أو يُعادون، ويُحبون أو يُبغضون.**

وقَد تَرتبت على دَعوتهم مَفاسدُ عَظيمة في الدِّين والدُّنيا:

فأولها: الابتداع في دين الله، ومُخالفة سُنة رَسول الله ﷺ.

وثانيها: تَضييع العيال، والوالدين، والأزواج، وإهدار حقوقهم[1].

ومنها: صَرف المُتعلمين عن تَعلم العلوم النَّافعة في الدِّين والدُّنيا.

= الإسلام في شيء، ولا من فعل النبيِّين ولا الصالحين»[أ]، مع أنَّ جماعة من إخواننا قد ساحوا السياحة المنهي عنها، متأوِّلين في ذلك، أو غير عالمين بالنهي عنه، وهي من **الرهبانية المبتدعة**، التي قيل فيها: (لا رهبانية في الإسلام).

والغرض هنا: بيانِ ما جاءت به الحنيفية من مخالفة اليهود فيما أصابهم من القسوة عن ذكر الله، وعمَّا أُنزل، ومخالفة النصارى فيما هم عليه، مِنَ الرهبانية المبتدعة، **وإنْ كان قد ابتليَ بعضُ المنتسبين منَّا إلى علم أو دين بنصيب من هذا أو من هذا**».

(١) قال بعض العلماء: إنَّ الانقطاع **عن الأهلِ بالمرة، أو لمدة طويلة يلحقهم فيها ضرر -وإن كان المنقطع مشتغلًا بالعبادة- مخالفٌ لسنَّة النبي ﷺ**، وفي «صحيح البخاري» [٣٠٠٤، ٥٩٧٢]: أنَّ رجلًا اكتتب في غزوة، فسأله النبي ﷺ: «**ألك والدان؟**»، قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»، انظر: «الزند الواري» (١/ ٤١ - ٤٢، بتحقيقي) للمصنف.

وقد استجاب بعض التبليغيين إلى هذا التحذير، وهم لا يأذنون بالخروج على طريقتهم إن ترتب عليها ضياع العيال والوالدين، فجزاهم الله خيرًا على الاستجابة هذه، ولكن أين استجابتهم لنصائح العلماء في تغيير طريقتهم ووجوب تمسكهم بالتوحيد الصحيح، والتأكد مِن صحة الحديث عن رسول الله ﷺ، ومع هذه الاستجابة من كبراء الدعوة، فإنَّ للخروج حظًّا في النفس، وما زال يتفلت منها بعض المعدومين، فقد اتصلت بي امرأة تشكو خروج زوجها أربعة أشهر، ولم يترك لها إلا دريهمات، وتقول: لا تكفيهم خبزًا! وهذا هو سرُّ توصيتهم بالزواج من امرأة لها كثير من المحارم، حتى تقضي أيام خروج زوجها متنقِّلة بينهم!!

(أ) «مسائل الإمام أحمد» (٢/ ١٧٦) لابن هانئ النيسابوري.

ومنها: تَعطيل تجارة التجار، وتَضييع أهلهم، ومَن يَعيش مَعهم، أو يَأخذ منهم صَدقة أو زَكاة، فكم مِن أولاد فَصلوهم عَن آبائهم وأُمهاتهم، وكَم مِن بعول فَصلوهم عَن أزواجهم وأولادهم، فصارَ هؤلاء يَشتكون إلى الله، ثم إلى النَّاس مِن هذا الإفساد العَظيم، والتَّضليل الكَبير[1]، فوَجبَ على مَن كانَ عندهُ علم يُقلل به شَرّ هذهِ الطائفة: أنْ يُبرز علمَه، وأنْ يُظهر للمُسلمين ضَلالَهم وتَضليلهم، عاملًا بقَولهِ -تَعالى- في (سُورة البقرة الآية المَرقومة بـ[١٥٩] وما بَعدها): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقَد أَلَّفَ القائد محمد أَسْلَم الباكستاني[2] جُزءًا سَمَّاه «جَماعة التَّبليغ:

---

(١) تضييع العيال ليس من دعوتهم، ولكنه أثر من الافتتان بالخروج، الذي فيه شهوة نفس خفية، ولا يستطيع هؤلاء تركه لشدة تعلقهم به، ولا قوة إلا بالله!

(٢) الشيخ محمد أسلم الباكستاني (المتوفَّى حوالي ١٤٠٠هـ)، عرفته طالبًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ من الطلبة المحبِّين لمنهج السلف، وتخرَّج من الجامعة الإسلامية، وذهب داعية إلى كندا، وكان مجتهدًا في الدعوة إلى الله، ويعتبر أول من كتب عن جماعة التبليغ، وكان كتابه دراسة على جماعة التبليغ، تقدم به لنيل الإجازة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية، وهو بعنوان «جماعة التبليغ: عقائدها وأفكارها ومشايخها»، وكان هذا الكتاب أصلًا لكل كاتب عن هذه الجماعة في بيان ضلالاتها وخرافاتها وعداوتها للمنهاج السلفي، وهو الذي اعتمده شيخنا الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم»، قاله الشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي في «موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية» (١٠/ ٨١).

ثم استفدت من بحثه (الذي سيأتي التعريف به) أنه القائد ميان محمد أسلم، القائد سابقًا في الجيش الباكستاني، وأنه يحمل بكالوريوس في العلوم العسكرية، وبكالوريوس في الحقوق والدساتير والقانون العالمي، وبكالوريوس في الإسلاميات، وماجستير في اللغة الإنگليزية، ودبلوم بعد بكالوريوس الإسلاميات في علم النفس التربوي والتعليم العام للضباط في الجيش، والعجيب أنه اغتيل في أمريكا!

عقائدها وأفكارها ومَشايخها»[١]، ذَكرَ فيهِ ما لَهم وما عَليهم، ونَقلَ أخبارهم مِن كُتبِهم، وقد رَأيتُ: أنْ ألخِّص كَلامه رجاءَ أنْ يَنفع الله بهِ مَن لم يَكن وَقعَ في حبائلهم، واستهوته حيلُهم، ولكني رَأيتُ أنْ أقدِّم قَبل ذلكَ مُقدِّمة في الحُكم الشَّرعي بدَليلِهِ عَلى هذهِ الفِرقة، وذِكر بَعض آثارها السَّيئة، فأقول:

إنَّ الأُمم السَّابقة قَبل الإسلام (كالبرهمية[٢] والبدِّية[٣]) كانوا يَتعبدونَ الله -تعالى- بالسِّياحة المُجرَّدة[٤]، بمَعنى أنَّ الإنسان يَجب عَليهِ أنْ يُفارق أهلهُ وأحبتهُ، ويَسيح في الأرض ذات الطُّول والعَرض، مُتحمِّلًا كلَّ ما يُصيبه مِن جُوعٍ وعَطش، ماشيًا على قَدميهِ لا يَركب إلا لضَرورة، يَفترش الغَبراء، ويَلتحف الزرقاء، ويُقلِّل مِن الأكل، ويَتعرَّض للحرِّ والقُرِّ، ولَفح الشَّمس، ونزول المَطر، وقد فَعل بُدًّا[٥] هذهِ السِّياحة، وهَجر زَوجه وابنه، كانَ أبوه

(١) البحث مطبوع على الآلة الكاتبة، وعنوانه «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها»، وهو بحث أعدَّه المؤلف لنيل الشهادة العالمية (الليسانس) في سنة ١٣٩٦ - ١٣٩٧هـ عن كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، يقع في (٥٢) صفحة.

(٢) **البراهمية**: هي الاسم الآخر للهندوكية، وهي نسبة إلى براهما الذي يمثل عند الهندوك القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرًا من العبادات: كقراءة الأدعية، وإنشاد الأناشيد، وتقديم القرابين.

والبراهمية مشتقة من البراهما؛ لتكون علمًا على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، ولذا لا يجوز ذبح الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم، انظر عنها: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/ ٩٥٥)، «فصول في أديان الهند» (٥٦)، «الديانات والمذاهب المعاصرة» (٨٦ - ٨٨)، «الديانات والعقائد» (٣٣١ - ٣٣٤)، «أثر الملل والنحل القديمة» (٥٦)، «الهندوس» (٥٦ - ٦٠).

(٣) **يراد بهم**: البوذية، وانظر الحاشية الآتية.

(٤) انظر بسط هذا فيما ذكرناه عن المصنف في تقديم الكتاب (ص٣٢).

(٥) هو بوذا فيما شاع -غلطًا- على ألسنة الناس، وتلفظ (بوده) بهاء مختلسة، وأصلها (بدها) (BUDHA)، ومعناه صاحب العلم والمعرفة، واسمه الحقيقي (سدهارتا) (SIDHARTA)، واختلفوا في تأريخ ولادته، فكل قال بالظن والخرص، بعد اتفاقهم =

غَنيًّا، فهامَ على وَجهِهِ خَمس سِنين، إلى أنْ وَصلَ إلى شَجرة في غابة، فجَلسَ تَحتَها، وقد ضَعف جسمهُ مِن شِدَّة الجُوع، والحَر والبَرد، وبَلغ الجُهد منه كل مَبلغ، فلم يُؤثر ذلكَ في عَزيمته، فعندَ ذلكَ بَلغ مُراده، وفُتح له باب الحكمة بزَعمه، وأدركَ المَعرفة التي كانَ يَبحث عَنها، وهذهِ المَعرفة هي الجَهل بالله -تعالى-، وبرُسلِهِ، وإنكار ربوبية الله -تعالى- وألوهيته، وبَعثة الرُّسل.

ورَجعَ إلى وَطنِهِ بَنارَس، وأخذ يَبثُّ في النَّاس هذهِ الجَهالة ويُسمِّيها مَعرفة، وسَمَّى أتباعه تلكَ الشَّجرة (شَجرة الحِكمة)، ويَنبغي أنْ تُسمَّى: (شَجرة الجَهل والضَّلالة)[1].

= بأنه كان قبل المسيح بخمسة قرون.
وأقدم هذه الوثائق التي تحوي على تعاليم (بوذا) هي (البتاكات) باللغة البالية، ومعناها القانون، أعدت هذه الوثائق للعرض على المجلس البوذي الذي انعقد سنة ٢٤١ قبل الميلاد، وقد وافق المجلس على أن ما في هذه الوثائق هو (تعاليم بوذا)، ترجمه بعضهم إلى العربية في كتاب مطبوع بعنوان «إنجيل بوذا»! انظر: «فصول في أديان الهند» (١٣٠).

(١) من الأساطير التي أحيطت بمؤسسها: قيل إنه لما بلغ أشده خرج ذات يوم من قصره فرأى شيخًا هرمًا، وخرج يومًا ثانيًا فرأى رجلًا مريضًا، وخرج يومًا ثالثًا فرأى ميتًا على جنازة، فسأل محافظه عن الهرم وسببه، وعن المرض وسببه، وعن الموت وسببه، ولما أخبره بأن كل مولود مصيره الهرم والمرض ثم الموت؛ كره بوذا هذه الدنيا والبقاء فيها، وخرج ليلًا من قصره يطلب النجاة من الهرم والمرض والموت إلى الصحاري والغابات.
هذه الحكاية ذكرها مصنف كتاب «بوذا درشن» ونسبها إلى بوذا نفسه، فإنه خاطب الرهبان وقال لهم: كنتم تعلمون فيما كنت فيه من جلال عيش ورفاهية بالغة؛ قلت لنفسي: «إن رجلًا جاهلًا من سواد الناس ستنال منه الكهولة كما نالت من ذلك الشيخ، وليس هو ببعيد عن نطاق الشيخوخة»، ثم قال: «فبدأت أبحث عن السكينة العليا، سكينة النرفانا»، وينقل بالتواتر في الكتب البوذية.
ولا أدري! كيف يَرْوي الناس مثل هذه الحكايات وينسبونها إلى معبودهم الأعظم الذي يبلغ من عمره ثلاثين سنة، وهو لا يعرف معنى الهرم والمرض والموت حتى يسأل محافظه ثم يترك الدنيا باحثًا عن النجاة منها؟ وأين له ذلك؟ فهل في قدرة البشر أن =

والآن ننظر ما قالهُ رَسول الله ﷺ في هذهِ السِّياحة:

قالَ الحافظ ابن كثير[١] رَحِمَهُ اللَّهُ في تَفسير قَوله -تعالى-: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ (في الآيَة المَرقومة بـ[١١٢] من سُورة التوبة): «وجاءَ ما يَدلُّ على أنَّ السِّياحة هي الجهاد؛ وهو ما رَواهُ أبو داود في «سُننه»[٢]: مِن حديث أبي أُمامة: أنَّ رَجلًا قالَ: يا رَسول الله! ائذن لي في السِّياحة؟ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**سِيَاحَة أُمَّتِي الْجِهَاد فِي سَبِيل الله**».

ثم قالَ: وليسَ مِن السِّياحة ما قَد يَفهمه بَعض مَن يَتعبد بمُجرَّد السِّياحة في الأرض، والتَّفرُّد في شَواهق الجبال والكهوف والبراري؛ فإنَّ هذا ليسَ بمَشروع إلا في أيام الفتن، والزلازل في الدِّين[٣]، كما ثَبتَ..........................

= يخرق القوانين الطبيعية؟ هكذا يحاول بوذا عبثًا أن يخلص نفسه من الهرم والمرض والموت، فبقي يتحمل المشاق في السفر والحضر، ويعذب جسمه بالحر والبرد، ويحرمه من الشراب والطعام ست سنوات مع الرهبان والنساك، يتنقل من غابة إلى غابة حتى يئس من مطلبه، واضمحل جسمه من كثرة التعذيب، فنوى رجوعه إلى ملكه ليبدأ من جديد حياة رغدة. انظر: «فصول في أديان الهند» (١٣١ - ١٣٢).

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٩٣ - ٢٩٤).

(٢) (٢٤٨٦)، وأخرجه -أيضًا-: الطبراني (٧٧٦٠)، والحاكم (٢/ ٧٣)، والبيهقي (٩/ ١٦١)، **وإسناده حسن**، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» (٧/ ٢٤٨ - ٢٤٩- ط غراس) لشيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٣) العزلة لها شروط وقيود، وهي لا تنفع جميع الناس، وهي نافعة لأصحاب العلم والهمم العالية، الذين يعرفون ما لهم وما عليهم، وقد صدق من قال: «العزلة بغير عين العلم (زلَّة)، وبغير زاي الزهد (علَّة)»، كذا في «المرقاة» (٤/ ٧٤٣).

قال الخطابي في «العزلة» (ص ٢٢٥): «فالعزلة إنما تنفع العلماء العقلاء، وهي من أضر شيء على الجهال»، ولا تكون إلا في حق من «لم يتعيّن عليه فرض من جهاد، أو تغيير منكر، وتعلُّم أو تعليم، أو مانع شرعي ممن يجب طاعته شرعًا، من أحد الوالدين أو إمام أو قاض، أو خصم له حق واجب، أو حق مسلم لازم أو راجح، لم تعارضه خوف فتنة في الدين»؛ قاله ابن الوزير في «الأمر بالعزلة في آخر الزمان» (ص٤٩-٥٣)، والحاصل أن العزلة لا بدَّ أن تكون خادمة لمطلوب أو مقصود، انظر:=

في «صَحيح البُخاري»[(١)]: عَن أبي سَعيد الخدري أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**يُوشِك أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمًا يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**» اهـ.

قالَ محمد تَقي الدين: فلسانُ حَال دُعاة التَّبليغ -تَبليغ البدعَة والفِتنة- يَقول: «لا يا رَسول الله، ليسَ الأمر كما قُلت، بَل السِّياحة مَشروعة بدون جهاد في سَبيل الله، ولا يَصل أحد إلى لُباب الدِّين إلا بها، ولو أتى بأنواع العبادات كلِّها؛ فَرائضها ونَوافلها، ولم يَسح مَعنا، فدينه ناقص»، **وهذا في غاية الضَّلال**.

بَل مَن عَلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَفى أنْ تَكون السِّياحة عبادة مِن عبادات الإسلام وأثبتها، فقد حادَّ اللهَ ورَسولَهُ، وسَيكون في الأذلين.

وقالَ الحافظ ابن كثير[(٢)] رَحِمَهُ اللهُ في تَفسير الكلمة السَّابقة الذِّكر: «قالَ عبدالله بن المُبارك: عَن ابن لهيعة، أخبرني عُمارة بن غَزِيَّة[(٣)]: أنَّ السِّياحة ذُكرت عند رَسول الله ﷺ؛ فقالَ رَسول الله ﷺ: «**أَبْدَلَنَا اللهُ بِذَلِكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالتَّكْبِيرَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ**»[(٤)].

ومَعنى الحَديث: إنَّ السِّياحة التي كانت الأُمم السَّالفة تَتعبد بها، ذُكرت

= «الموافقات» (٣/ ٥٣٠ - بتحقيقي)، وتحقيقي لأول كتاب ألف في هذا الموضوع، وهو «العزلة والانفراد» لابن أبي الدنيا (ص٢١-٢٢)، وانظر عن الطريقة البدعية في العزلة التي أومأ لها المصنف: في «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٦١٢).

(١) (١٩) في (كتاب الإيمان): باب من الدين الفرار من الفتن.
وخرجته بتفصيل في تعليقي على «العزلة والانفراد» (رقم ١٥) لابن أبي الدنيا.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٩٤).

(٣) بفتح المعجمة وكسر الزاي بعدها تحتانية ثقيلة، وهو ابن الحارث الأنصاري المازني المدني، لا بأس به، روايته عن أنس مرسلة، انظر: «تهذيب الكمال» (٢١/ ٢٥٨)، «التقريب» (رقم ٤٨٥٨).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الجهاد» (ص: ٦٨) رقم (١٧)، **وهذا إسناد مرسل أو معضل، وهو حسن**، ويغني عنه حديث أبي أمامة السابق.

عندَ رَسول الله ﷺ فقالَ: «**قَدْ أَبْدَلَنَا الله بِهَا خَيرًا مِنها: الْجِهَاد فِي سَبِيل الله، وَالتَّكْبِير عَلَى كُلّ شَرَف**»، يَعني: إنَّ الله لم يشرع لَنا التَّعبد بالسِّياحة؛ بل شَرع لنا خَيرًا مِن ذلكَ؛ وهو الجهاد في سَبيل الله، أي: دَعوة أُمَم الكفر كلها -عدا نَجد والحجاز- إلى الإسلام؛ فإنْ أسلموا صاروا إخواننا، لَهم ما لَنا وعَليهم ما عَلينا، وإنْ أبَوْا دَعوناهم إلى الجزية أو المُصالحة، فإنْ أبَوْا قاتلناهُم حتى يَحكم الله بَيننا وبَينهم، وهو القائل -سُبحانه-: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

أمَّا في الحجاز ونجد - وهُما المُرادان بجَزيرة العَرب[1] في قَول النَّبي ﷺ:

---

(١) وقع خلاف بين أهل العلم في المراد بجزيرة العرب، فمنهم من وسَّع؛ فقال: جزيرة العرب يمنع المشركون وأهل الكتاب من سكناها، وحدُّها طولًا: من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق، وعرضًا: من جُدَّة وما والاها من الساحل إلى حدِّ الشام، وقال بهذا الحنفية.

انظر: «شرح فتح القدير» (٦/ ٦٠)، «بدائع الصنائع» (٧/ ١١٤)، «البحر الرائق» (٥/ ١٢١)، «تحفة الراكع والساجد» (٢٠٤) للجراعي، «حاشية ابن عابدين» (٤/ ٢٠٨).

ومنهم من ضيَّق، وجعل المراد -فقط- المدينة وما والاها؛ وهي: مكة واليمامة وخيبر والينبع وفدك ومخاليفُها وما والاها، وهذا مذهب الجماهير.

انظر: «الاستذكار» (٨/ ٢٤٦)، «الأوسط» (٦/ ١٩ - ط الفلاح) لابن المنذر، «الذخيرة» (٣/ ٤٥٢) و(٦/ ١٥٩)، «فتح الجليل» (٨/ ٨٤)، «المغني» (٩/ ٢٨٥)، «فتح الباري» (٦/ ١٩٧).

وقالوا: سميت (جزيرة)؛ «لإحاطة البحار بها والأنهار»، وسميت (العرب)؛ «لأنها كانت بأيديهم قبل الإسلام، وبها أوطانهم ومنازلهم».

انظر: «مشارق الأنوار» (١/ ١٦٩) للقاضي عياض، «كشف المشكل على الصحيحين» (٨/ ١٤٤)، «فتح الباري» (٦/ ١٩٨).

وحدَّد شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك بقوله في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٤٥٤):

«جزيرة العرب التي هي من بحر القُلْزُم -يعني: البحر الأحمر- إلى بحر البصرة=

«أَخْرِجوا الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»(١) - فلا يَجوز أنْ يَكون فيها دينان(٢)؛ بَل مَن أبى الإسلام قُتل، ولا تقبل منهم..........................

= -أي: الخليج العربي-، ومن أقصى حجر اليمامة -أي: عند بحر العرب أو ما يسمى بـ(بحر اليمن)- إلى أوائل الشام -أي: بادية الشام-؛ بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم ولا تدخل الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب؛ حيث البعث وقبله» اهـ.

وقال إسماعيل بن إسحاق: «عقبة تبوك هو الفرق بين جزيرة العرب وأرض الشام، وقال أبو عبيد: جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وأما في العرض؛ فما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة».

انظر: «شرح صحيح البخاري» (٥/ ٣٤٦) لابن بطال.

وعليه؛ فالأردن، وسوريا، والعراق، ليست في محدود جزيرة العرب، التي عُرفت بهم في ظعنهم وإقامتهم.

انظر: «خصائص جزيرة العرب» (ص١٨)، «الموسوعة العربية العالمية» (١٤/ ٣٨).

وتشمل (جزيرة العرب) -اليوم-: المملكة العربية السعودية، والبحرين، وقطر، والكويت، وعُمان، والإمارات العربية المتحدة، والمياه الإقليمية التي هي تابعة لها، ويدل عليه قول الإمام الشافعي في «الأم» (٥/ ٤٢٣): «وإذا كان هذا هكذا؛ فلا يتبين أن يُمنعوا -أي: أهل الذمة- ركوب بحر الحجاز، ويُمنعون المُقام في سواحله، وكذلك إن كانت في بحر الحجاز جزائر وجبال تسكن؛ مُنعوا سكناها؛ لأنها من أرض الحجاز».

ومن المعلوم أنَّ المياه الإقليمية، والجزر التابعة؛ تأخذ حكم البر عُرفًا، ولذا؛ أهمل كثير من الفقهاء أحكام مياهها، **ورحم الله الشافعي على هذه الفائدة.**

(١) أخرج مسلم (١٧٦٧) في (كتاب الجهاد والسير) من حديث عمر بن الخطاب بلفظ: **«لأُخْرِجَنَّ اليهودَ والنَّصارى من جزيرة العرب؛ حتى لا أَدَعَ إلا مُسلمًا»**.

وفي رواية: **«أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ»**، رواه البخاري (٣٠٥٣، ٣١٦٨، ٤٤٣١)، ومسلم (١٦٣٧)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) **ورد في هذا عدة أحاديث، منها:**

ما روته السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعًا بلفظ: **«لا يترك بجزيرة العرب دينان»**.

أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٥)، وابن المنذر في «الأوسط» (٦٠١١، ٦٠١٢)، وابن سعد (٢/ ٢٥٤)، وابن جرير في «تاريخه» (٣/ ٢١٤ - ٢١٥)، والطبراني في «الأوسط» (١٠٧٠)، **وإسناده حسن**، وفيه محمد بن إسحاق مدلس، وقد صرَّح بالتحديث.

وقال الدارقطني في «العلل» (٧/ ٥٥) رقم (٣١٥٥): **«هذا حديث صحيح»**. =

....

= وأصبحت هذه من الأحكام الشرعية المقررة، يرويها التابعيون مرسلة؛ لاشتهار أسانيدها، **ولأنها حقيقة مسلمة لا شية فيها.**

ولذا: لما أخرج مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨٢) -ومن طريقه ابن سعد (٢/ ٢٥٤)- وعبدالرزاق في «المصنف» (٩٩٨٧، ١٩٣٦٨) عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبدالعزيز يقول: كان آخر ما تكلَّم به رسول الله ﷺ: «**لا يترك بجزيرة العرب دينان**»، قال ابن عبدالبر في «التمهيد» (١/ ١٦٥ - ١٦٦): «هكذا جاء هذا الحديث عن مالك في «الموطآت» -كلِّها- مقطوعًا، **وهو يتَّصل من وجوه حسان عن النبي** ﷺ من حديث أبي هريرة وعائشة، ومن حديث علي بن أبي طالب وأسامة».

فعمر بن عبدالعزيز عنده هذه الحقيقة، **وهي أمانة حَمَّلها إليه النبي** ﷺ، **والواجب عليه تنفيذها.**

وصرَّح النبي ﷺ **في سيرته العملية أن علَّة عدم اجتماع دينين في جزيرة العرب: هي أن أرضها لله ورسوله، وهذه سُنَّةٌ باقية، لا تقبل تغييرًا ولا تبديلًا.**

أخرج البخاري (٣١٦٧، ٦٩٤٤)، ومسلم (١٧٦٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في المسجد؛ إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**انطلقوا إلى يهود**»، فخرجنا معه حتى جئناهم، فقام رسول الله ﷺ فناداهم؛ فقال: «**يا معشر يهود! أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**»، فقالوا: قد بلَّغتَ يا أبا القاسم! فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ذلك أريد؛ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**»، فقالوا: قد بلَّغت يا أبا القاسم! فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ذلك أريد**»، فقال لهم الثالثة؛ فقال: «**اعلموا أنَّما الأرضُ لله ولرسوله، وإنِّي أُريدُ أن أُجْلِيَكُم مِن هذه الأرض، فمَن وَجَدَ منكم بمالِهِ شيئًا؛ فلْيَبِعْهُ، وإلَّا؛ فاعلموا أن الأرض لله ورسوله**».

وقوله ﷺ: «**فاعلموا أن الأرض لله ورسوله**» **تنويه على حقيقة شرعية ثابتة: بأن هذه الأرض لله ورسوله، وليس لأهل الكتاب فيها وجود!**

وحاول اليهود أن يتخلصوا من ذلك، وظنُّوا أن الأمر مجرد حكم تصوري؛ فقالوا: «قد بلَّغت يا أبا القاسم»، ولكن الأمر عملي؛ وحمل النبي ﷺ اليهود الموجودين في المدينة وما حواليها على مغادرتها.

أخرج البخاري (٤٠٢٨)، ومسلم (١٧٦٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن يهود بني النَّضير وقُرَيْظَة حاربوا رسول الله ﷺ؛ فأجلَى رسول الله ﷺ بني النَّضِير، وأقرَّ بني قريْظَةَ ومنَّ عليهم، حتى حاربت قُريْظَة -بعد ذلك-؛ فقتَلَ رجالهم، وقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وأولادهُمْ وأموالَهُمْ بين المسلمين، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة -كلَّهم-: بني قَيْنُقاعَ -وهم=

= قومِ عبدالله بن سلام-، ويهود بني حَارثَة، وكلَّ يهوديٍّ كان بالمدينة.
وأكَّد هذه الحقيقة في آخر ما تكلَّم به ﷺ كما سبق.
وقوله: «**لا يترك بجزيرة العرب دينان**» خبر يراد به النهي.
قال ابن المنذر في «الأوسط» (٦/ ٢٣ - ٢٤، ط الفلاح): «قد قال قائل من أهل العلم: معنى قوله: «**لا يجتمع دينان بأرض الحجاز**» من ألفاظ الخبر الذي معناه معنى النهي».
أي: الأوامر والنواهي التي جاءت بلفظ الخبر، ويراد بها الأمر أو النهي، **وهي من أقوى الصِّيغ** على الإطلاق.
فكأن الشرع أمر -أو نهى-، وامتثل المكلَّفون مباشرة؛ **لأن مصلحتهم الدنيوية قائمة عليه، ولا تتحقق إلا به**، والاستجابة لهذا النوع؛ من الأمور الطبيعية في الناس المأمورين، **ويعرف ذلك بالتأمل في هذا النوع؛ مثل:**
- ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣].
- ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].
- ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].
فهذه أخبار يراد بها أوامر، وفعلها لا تكلف فيه، **وإنما استجابة فطرية للطبيعة التي خلق الله الناس عليها.**
ومما يدل على الوجوب:
- في بعضها الأمر بلفظ «**أخرجوا**»، والأصل في الأمر الوجوب.
بل أكَّد النبي ﷺ على ذلك بقوله: «**حتى لا أدع فيها إلَّا مسلمًا**».
ومن بديع استدلال شرَّاح «البخاري»: إيراد استشكال فيه بقولهم:
«**فإن قلتَ**: إن الحبشة يخربون الكعبة حجرًا حجرًا.
فالجواب: قلت: لفظ الحديث نهي لا خبر»، ينظر: «عمدة القاري» (٥/ ٢٦٦).
- وفي بعضها: «**لأُخرجَنَّ**»؛ وهذا فيه قسم بأنه ﷺ لو عاش لأخرجهم.
ولذا: كرر هذا في آخر ما تكلَّم به، وورد ذلك على لسان أكثر من صحابي.
- ثم لم يكتف بالأمر، وإنما أكَّده بنقيضه؛ وهو النهي، **وكان النهي بلفظين:**
الأول: «**لا يجتمع**».
والآخر: «**لا يترك**».
فوجود أهل الكتاب السابق في جزيرة العرب؛ لا حجة فيه، ولا يسوِّغه مَن فهم عن الله ورسوله المقصود من عدم وجودهم، والواجب تطهير جزيرة العرب منهم. =

جزية ولا مُصالحة، فكأنَّ التَّبليغيين إذا وقفوا على الحَديث ولم يَتوبوا مِن السِّياحة يَقولون: «لا يا رَسول الله، ما أبدلنا الله بها خَيرًا منها، فنَحنُ لا نَقبل

= وفي قوله: «دينان» إشارة واضحة بهيمنة الإسلام على جزيرة العرب، وبقائه على هذا الحال، وأخشى أن يأتي مختلٌ فيقول بعكس مراده ﷺ!

ولم يقل: «ملَّتان»، و(الملَّة) التعبد بالدين؛ **فنفى النبي ﷺ وجود أصل الدين في الجزيرة، وليس التعبد به**، وهذا لا يقتصر على النهي؛ وإنما فيه تحذيره ﷺ وخوفه على أمته من هذا الصنيع!

وفهم هذا عمر بن الخطاب، وأكمل تنفيذ وصية النبي ﷺ.

راجع: «صحيح البخاري» (٢٣٣٨)، وكتابي «البخائس والنفائس في أمر الكنائس» (١/ ١٦٧).

و(قبلتان) نكرة في سياق نفي، وهي من ألفاظ العموم، ولا سيما أن في الحديث (في أرض)، فتشمل كل قبلة في كل أرض، فإنهما في الشرع لا تقبلان الاجتماع.

«لأن (الكنيسة) قبلة، و(مساجد المسلمين) قبلة، فلا يجتمعان في بلد»، نقلته من خط تقي الدين السبكي في «رسالة له في ترميم الكنائس»، المحفوظة في مكتبة قرة حصار (١٧٥١٢) فقرة (١١٥ - بتحقيقي).

فإن قيل: قرر الفقهاء وجودهم في دار الإسلام، وهذا يستفاد منه المنع.

فالجواب: ما قاله السبكي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في «رسالته» (فقرة ١١٥ - ١١٨) المومأ إليها:

«تبقيتهم بالذمة والجزية يمكن بإقرارهم في بلد تحت حوزة المسلمين؛ فلا يلزم منه أن يكونوا معنا في بلد واحد؛ فضلًا عن أن يكون لهم معنا في البلد كنيسة.

ويحمل ما ذكره الفقهاء -مِنْ تبقية كنائسهم- على ما إذا كانت في بلد ينفردون بسُكنِه؛ وإنْ كانت مِن بلاد المسلمين.

لو ادَّعى ذلك مُدَّعٍ؛ لم نجد ما نَرُدُّ عليه إلا العمل على خلافه.

ويجاب عن العمل بأحد أمرين:

إمَّا بأنَّ ذلك جائز لا واجب: فيجوز هذا وتركه.

وإما بأنه قد يكون فيه خلاف: إذ لم يتمكن مَن مضى مِن الإنكار؛ وهو يعتد على استمرار الأعصار».

أخيرًا: فإن الواجب إقامة الدين، وعدم التفرق فيه، وعبادة الله -تعالى- على طريقة السلف الصالح، بما في ذلك الدعوة إلى الله -تعالى- بالتوحيد الخالص، ورد جميع الطرق والمحدثات، والله الواقي والعاصم.

البَدل وهو الجهاد؛ بل نَتمسك بالمُبدل منه وهو السِّياحة»، وهذا إذا اعتقدهُ مُعتقِد وهو يَعلم الحَديثين كانَ كفرًا ظاهرًا، وإذا لَم يَعلم كانَ جهلًا وضَلالًا.

○ فصل:

يُقال للتَّبليغيين في الهند: ما أخرَجكم مِن وَطنكم الهند، وجَعلكم تَنتشرون في كل أرض، وتنادون الخروج في سَبيل الله، وقَد تَبيَّن أنَّه خروج في سَبيل الشَّيطان؟ وقَد تَركتم في بلادكم الهندية زهاء خَمس مئة مليون لم تَقولوا لَهم كلمة واحدة، لا آمنوا بالله، وأسلموا تَسلموا مِن عَذاب الله، ودَعوا عبادة الأصنام؛ فإنَّها تُورِدكم جَهنم، ولم تَستعملوا مَعهم شَيئًا مِن حيلكم ودهائكم لتخرجوهم مِن ظلمة الكفر إلى نور الإسلام، ولا حاجَة بَعد ذلكَ إلى خروجهم مِن أوطانهم، فلو كُنتم صادقين في أنَّكم تُريدون بعَملكم وَجه الله لبَدأتم بخَمس مئة مَليون في بَلدكم، فقد قالَ النَّبيُّ ﷺ لعلي بن أبي طالب حين بَعثهُ لقتال أهل خَيبر: «**فَوَاللهِ! لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا واحدًا خيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(١).

لَكننا رَأيناكم تُوادِعُونَهم وتَتودَّدُونَ إليهم، وقد قالَ الله -تعالى- في (آخر سُورة المجادلة) [٢٢]: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿يُوَآدُّونَ﴾: يتحابون.

﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي حاربَ الله ورَسوله بالكفر وعبادة الأصنام، وكثرة أذى المُسلمين؛ بالضَّرب والقَتل، والإخراج مِن الدِّيار، كما تَفعله حكومة الهند وشَعب الهند بالمُسلمين، بخَمسين مَليونًا مِن الضعفاء الذين لم يُهاجروا إلى باكستان.

---

(١) رواه البخاري (رقم ٢٩٤٢، ٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

و ﴿عَشِيرَتَهُمْ﴾: قبيلتهم.

و ﴿كَتَبَ﴾: جعل وأثبت.

والتَّأييد: النَّصر.

فمَن وَالى لله، وعَادى لله، وأحبَّ في الله، وأبغضَ في الله، فإنَّما تُنال ولاية الله بذلكَ. قالهُ الحَسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

وينَال مَن فعلَ ذلكَ خمس كَرامات:

الأولى: أنْ يُثبِّتَ الله الإيمانَ في قَلبِهِ حتى يَلقاهُ -سُبحانه-.

والثانية: أنْ يَنصرهُ على أعدائِهِ.

هاتان الكَرامتان في الدُّنيا، **وفي الآخرة ثَلاث كرامات:**

أنْ يُدخله الجنَّة، وأنْ يَنال رضوان الله، وأنْ يَكون مِن حزب الله المُفلحين[2].

ومَن لَم يُوال في الله، ويُعادِ في الله، ويُحب في الله، ويبغض في الله، بل والى أعداء الإسلام عَبدة الأصنام، وأظهر لهَم المَحبة، فقد نَفى الله عَنه الإيمان بالله واليَوم الآخر.

فإنْ قالوا: نَحنُ عاجزون عَن إظهار العَداوة والبغض لأعداء الإسلام، فنَحن مُضطَرون لمُصانعتهم.

---

(١) أخرجه ابنُ المُبارَك في «الزُّهد» (ص١٢٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩/ ٢٤٠) رقم (٣٥٩١٥)، والعدني في «الإيمان» (٦٥)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص ٦٩)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٩٦)، واللالكائي في «شرح السنة» (٥/ ١٠٠٦) رقم (١٦٩١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٨)، **وهو حسن.**
وعزاه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٢) لابن جرير، وبنحوه عن ابن عمر عند الطبراني في «الكبير» (١٣٥٣٧)، وأبي نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٢).
وعزاه المصنف في «شرح كتاب التوحيد» (ص٤٥٥/ رقم ٩٥ - بتحقيقي) وفي بعض «رسائله الشخصية» (٢/ ٦٩٦- ط الأولى) لابن عباس لا للحسن، **وهو الصواب.**

(٢) انظر: «العيون الزلالية» (٣/ ١٤٣٨ - بتحقيقي) في تفسير الآية، فهو (**مهم**).

نقول: إنكم لم تَقتصروا على المُداراة؛ بل أظهرتم لهم الحُبَّ، وعاهدتموهم على ألَّا تَدعوا أحدًا منهم إلى الإسلام، ولو بالقَول اللين، ولا تُنكروا عَليهم ظُلمهم للمُسلمين، لا في داخل الهند ولا في خارجها، وقد أخذتم على ذَلكُم رَشوة عَظيمة، ألجمتكم وأخرست ألسنتكم، **وزدتم على ذَلكم أنَّكم وَضعتم رُكنًا مِن أركان دينكم**، بَنيتموه على شَفا جُرُفٍ هَارٍ، سَينهار بكم في نار جَهنَّم إنْ لَم تَتوبوا إلى الله، وتَرجعوا عَن هذا البدعة، التي جَعلتكم تُوالون أعداء الله، وتُعادون أولياء الله، فتُوبوا إلى بارئكم!

وهذهِ القاعدة الشَّيطانية هي قَولكم: نَحن لا نَخوض في السِّياسة، فإذا أنكرنا على كفَّار الهند عَداوتهم للمُسلمين، وأنكرنا على اليهود اغتصابهم للمَسجد الأقصى وما حَوله، وأنكرنا على المُستعمرين اغتصابهم لأوطان الضعفاء واستعبادهم، تعطل ركن السِّياحة المُبتدعة المُضِلَّة، وهي رَأس مالنا، وأساس دَعوتنا، كما أنَّها أساس دين البراهمة[١]!

وقَد أخبرنا المُسلمون المُعافَون مِن هذهِ البدعة وهي السِّياحة: إنَّ حكومة الهند الوَثنية لا تَسمح إلا لعَدد مَعلوم مِن المُسلمين بالحَج في كلِّ سَنة، فمَن أرادَ أنْ يَحج فعَليهِ أنْ يُقدِّم طَلبًا لحُكام بَلدهِ الوَثنيين، فيُقال لهُ: انتظر نَوبتك، فقَد لا تَأتي نَوبته إلا بَعد عشر سَنين ليُؤدي فَريضة الحَج، **أمَّا التَّبليغيون فهُم أصدقاء الحكومة**، إذا أرادَ خمس مئة منهم أنْ يَخرجوا دفعة واحدة؛ لنَشر بدعة السِّياحة بما فيها مِن الفَساد والكوارث، يُقدمون طلبًا للحكومة الوَثنية،

---

(١) العبرة بأن تساس الجماعة بالسياسة الشرعية، ولا التفات إلى السياسة الأرضية، وقد نعى الهلالي على الإخوان المسلمين غلوَّهم في الانشغال بالسياسة، فقال: «لو كان هدفها الأساسي تبليغ الإسلام، ولم تعرِّض نفسها لسياسة البلاد؛ لكانت جماعة مباركة»، كما في مقابلة الأستاذ محمد إسحاق مع الهلالي بعنوان (شخصية علمية وأدبية للعالم الإسلامي: الدكتور السيد تقي الدين الهلالي المراكشي - الحلقة الثانية)، المنشورة في مجلة «الاعتصام»، غوجرانواله، بتأريخ ٥ أكتوبر ١٩٥١م. وينظر رسالتي «السياسة التي يريدها السلفيون»، وتتمة كلام الهلالي فهو مهم.

فَتَمنحهم أجوزة السَّفر في بضعة أيَّام؛ **لأنَّهم دائمًا في خدمتها، لا يُفشون لها سرًّا، ولا يُخبرون بشَيءٍ مِن جَرائمها، فَضلًا عَن أنْ يُنكروا عَليها، ولذلكَ لا يَذكرون الشيوعيين بسُوء، ولا المُستعمرين، ولا الصهيونيين؛ لأنَّ ذلكَ يَمنعهم مِن دخول بلدانهم، فهذا سرّ وَضع قاعدة تَحريم الخَوض في السِّياسة،** وجهاد أعداء الإسلام، هو -أيضًا- مِن الخَوض في السِّياسة، وهؤلاء القَوم -هدانا الله وإياهم صِراطهُ المُستقيم، وأبعدنا مِن طَريق أصحاب الجَحيم- يُؤمنون ببَعض الكتاب ويَكفرون ببعض، **كُفرًا سكوتيًّا، فتَغيير المُنكر عندهم مَمنوع،** بَل يَزعمون أنَّهم يَأمرون بالمَعروف، ولا يَنهون عَن المُنكر[١].

---

(١) عدم النهي عن المنكر أصل في دعوة التبليغ، وكأن آيات النهي عن المنكر منسوخة عندهم! فها هو منشي محمد يقول في ذلك:

«إن الأمر بالمعروف والتجنب وعدم التعرض لمنكر بالإنكار؛ هذا الأصل في جهود التبليغيين مبني على مصالح وحِكم كثيرة، كان يقول حضرة الشيخ (محمد إلياس) رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعروف مثل النور، والمنكر مثل الظلمة، وهذا من القاعدة الكلية أن النور علاج الظلمة، فلو ناديت: الظلمة، الظلمة، لا تذهب الظلمة أبدًا، ولكن لو أوقدت شمعة وأنت صامت فتزول ظلمات الغرفة كلها، فهذا سر خاص في الدعوة أن تفهِّم وتبيِّن للناس فضائل الأعمال الصالحة إلى أن تتولد في قلوبهم قيمة الصالحات وعظمتها، ثم يصيرون عاملين بها، ثم يتركون المنكرات بأنفسهم»»، انظر: «تبليغي تحريك كى ابتداء أور اس كى بنيادي أصول» (١٢٣).

والعجب أننا نجد الداعية المشهور والكاتب المعروف الشيخ أبا الحسن الندوي يشيد بهذه الطريقة، ويشير إلى ما ذكرناه آنفًا من حصول الشيخ عليها كشفًا فيقول: «لقد كاشف الله -تعالى- على بصيرة الشيخ -محمد إلياس- هذه النكتة بأنها ليست الطريقة لإزالة المنكرات أن يتصدى لإزالة كل منكر واحدًا واحدًا، فتنتهي الحياة أحيانًا لإزالة منكر ولكنه لا يزول، وإن زال فهو إصلاح محلي، وربما يحدث منكر آخر، والطريقة الصحيحة لدى الشيخ أن لا يُتعرض للمنكرات مباشرة في العصر الراهن، بل يُحرك الشعور الإيماني والوعي الديني ويُكثر ويُروج المعروف»، انظر: «مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٣٥).

ويقول: «إن الاعتراض والاختلاف ممنوع في هذه الطريقة، وتبذل الجهد في أن تُشغل=

....

= أحدًا في العمل الصحيح بدلًا من أن تنهاه عن منكر يفعله»، انظر: «ايك أهم دينى دعوت» (٤٠).

ويعلِّق الباحث محمد جنيد عبدالمجيد في أطروحته «جماعة التبليغ في الهند» (ص ٤٨١ - ٤٨٢، مرقومة): «إن الجماعة قد التزمت بهذه الطريقة ولذا لا يتعرضون للبدع والمنكرات ولا يتصدون لها، ولا ينكرونها، بحجة أن إنكارها يُسبِّبُ الفرقةَ والانشقاقَ، وقد شاهدت كثيرًا من الخارجين في الجماعة يُعلِّقون التمائم والتِّولة، ويرتكبون غيرها من المنكرات، مثل: شرب الدخان والسجائر، وأكل التنباك في داخل المسجد ولا يمنعهم أحد.

وحيث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما أساس الدعوة؛ لذا نأخذ هذا الموضوع بشيء من التفصيل -إن شاء الله-.

فإن الحقيقة التي لا مرية فيها أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمران متلازمان لا يتصور أحدهما دون آخر، وهما من وظائف الأنبياء والسلف الصالح، ومن أعظم الأمور التي يتقرب بها العبد إلى ربه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهما أساس الدين، وبهما تحرس حرمات الله، ويحمى شرعه، ويعز الحق، ويذل الباطل، لذا جاءت النصوص الشرعية الكثيرة من الكتاب والسنة تبين أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معًا.

فلا تكاد أن تجد نصًّا من النصوص إلا أن يذكر أمرين متلاصقين كقوله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وقوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وقوله -تعالى-: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١١٣ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]، وقوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وإذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رغَّب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيَّن أهميته=

وقد أخبرني أحد رؤسائهم[١]: أنَّه أقامَ يومًا وليلة في قبة تعبد مِن دون الله، وصلَّى في المَسجد المُتَّصل بها خَمس صلوات، وهو يَعلم ما رَواهُ البُخاري ومُسلم: مِن حَديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قالَ رَسول الله ﷺ: **«لَعَنَ اللهُ اليَهُود والنَّصارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَساجِدَ»**، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلا ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيرَ أَنَّهُ خَشِيَ أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا[٢].

وعَن أُم حَبيبة وأُم سَلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّهما وَصفتا لرَسول الله ﷺ كَنيسة بأرض الحَبشة -وذَكرتا مِن حُسنها وما بها مِن تَصاوير-، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: **«أُولَئِكَ قَومٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»**[٣].

= وفضله من خلال النصوص السابقة؛ فإنه رهَّب وحذر الذين يتركونه، ولعنهم...» إلى آخر كلامه.

(١) لسنا بصدد محاكمة وشهادة خاصة، ولا داعي لأن نعلم أعيانًا وأسماءً، وإنما هي ظاهرة واضحة المعالم، فالتبليغي يعنيه الخروج، وهو رأس ماله، **وما دون ذلك، فأمره هيِّن، حتى التوحيد!** وهذا هو السبب الرئيس في تبري الشيخ العلَّامة سعد الحصين -وغيره كثير- من جماعة التبليغ، وانظر ما زبرناه في التقديم، والله الموفق والواقي والعاصم.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٠) في (كتاب الجنائز): باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، ومسلم (٥٢٩) في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة): باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٤١) في (كتاب الصلاة): باب بناء المسجد على القبر، ومسلم (٥٢٨) في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة): باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

و**«شرار الخلق»**: «إنما كانوا شرار الخلق، لأنهم ضلُّوا فأضلُّوا، وسنُّوا لمن بعدهم الغُلوَّ في القبور وأهلها، المُفضي بالغالين إلى عبادتها، وكلُّ مَن فعل فعلَهم مِن هذه الأمة -التي سبق عليها القول بأنَّ بعضها يتَّبع سَنَن المُشركين مِن أهل الكتاب- فهم مثلهم، وفي مثل هؤلاء وردَ الحديث الذي في «الصحيح»: **«ومَن سنَّ سُنَّة سَيئة؛ فعليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة»** [أخرجه مسلم (١٠١٧) عن جابر بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا].

فَلَعنُ النَّبي ﷺ اليهودَ والنَّصارى إنَّما وَقع لتَحذير أُمته أنْ يَعملوا مثل عَملهم، ومَن صلَّى عند قَبر فقد اتَّخذَ ذلكَ المَكان مَسجدًا، أي: مَوضع سجود، سَواء أكانَ عَليه بناءٌ أم لا.

فقلتُ لهُ: كيفَ تَترك خَمس صَلوات ولا تَخاف لَعن رَسول الله ﷺ لمَن عَمل ذلكَ العمل؟ ومَن تَرك صَلاة واحدة حتى خَرج جَميع وَقتها فهو كافرٌ بإجماع الصَّحابة(١).

= وقال -تعالى-: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية [النحل: ٢٥]»، انظر: «شرح كتاب التوحيد» (٣٤٨ - ٣٤٩، بتحقيقي) للمصنف.

وقال -أيضًا- في «فتاويه» المسماة «العيون الزلالية» (٢/ ٩٢٩ - بتحقيقي): «وفي الحديث دليل على أن بناء المساجد على القبور لأجل التبرك بالمدفونين فيها؛ من الكبائر، وأنه يجرُّ إلى الشرك بالله، وقد سمَّاهم النبي ﷺ: «**شِرَارُ الخَلقِ عِندَ اللهِ**»، ولعنهم، ولا خير في صلاة أو دعاء أو عبادة تجعل صاحبها ملعونًا على لسان رسول الله ﷺ، ومِن شرار الخلق عند الله»، وانظر: «سبيل الرشاد» (١/ ٢٧١ - ٢٧٢، بتحقيقي).

(١) **الراجح** أن التكفير يكون بالترك الكلي، ولا يكون بترك صلاة أو أكثر، قال ابن تيمية في «شرح العمدة» (٢/ ٩٢-٩٣): «فأمَّا إنْ أخَّرها عن وقتها، وفعلها فيما بعد، فمات، أو كان ممن نيّته أن يفعلها فيما بعد، فمات، فهذا -مع أنه فاسق من أهل الكبائر- **ليس بكافر**، كالأمراء الذين يؤخرون الصلاة حتى يخرج وقتها، ولذلك أمرنا النبي ﷺ أن نصلِّي معهم النافلة، ولذلك قال ابن مسعود: «﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] أخَّروها حتى يخرج الوقت، ولو تركوها؛ لكانوا كفَّارًا»، **وهذا الضرب كثير في المسلمين، وهم من أهل الكبائر الذين ادُّخِرَت لهم الشفاعة**، وما جاء من الرجاء لمن يتهاون بالصلاة؛ فإليهم ينصرف، ولهذا قال النبي ﷺ: «**ومن لم يحافظ عليها؛ لم يكن له عند الله عهد**»، ونفيُ المحافظة لا ينفي الفعل، بخلاف من لم يقم؛ فإنه يكون تاركًا بالكلية كما تقدَّم، وكذلك من أخلَّ بما يسوغ فيه الخلاف من شرائطها وأركانها».

وهذا حال جل تاركي الصلاة اليوم، ولا سيما أنهم لم يُدعَوا للصلاة، فيمتنعون! قال ابن تيمية في «شرح العمدة» (٢/ ٩١): «فأمَّا إذا لم يُدْعَ ولم يمتنع؛ فهذا لا يجري=

....

= عليه شيء من أحكام المرتدِّين في شيء من الأشياء، ولهذا لم يُعلم أن أحدًا من تاركي الصلاة تُرك غسله والصلاة عليه، ودفنه مع المسلمين، ولا منع ورثته ميراثه، ولا أهدر دمه بسبب ذلك، **مع كثرة تاركي الصلاة في كل عصر**، والأمة لا تجتمع على ضلالة، وقد حمل بعض أصحابنا أحاديث الرجاء على هذا الضرب».

ولذا قال في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨-٤٩) بعد كلام: «فأمَّا مَنْ كان مصرًّا على تركها، **لا يصلي قط**، ويموت على هذا الإصرار والترك؛ فهذا لا يكون مسلمًا؛ **بل أكثر الناس يصلون تارة، ويتركونها تارة**، فهؤلاء ليسوا يحافظون عليها، وهؤلاء تحت الوعيد» وانظره (٧/ ٢١٩).

وهذا مذهب ابن تيمية وابن القيم، **والنقل عنهم التكفير المطلق بعدم أداء صلاة أو صلاتين كسلًا من غير جحود؛ ليس بصحيح.**

وهذا الذي رجَّحه العلَّامة الشيخ ابن العثيمين؛ قال في «الشرح الممتع» (٢/ ٢٧-٢٨): «والذي يظهر من الأدلَّة: أنَّه لا يكفر إلا بترك الصلاة دائمًا؛ بمعنى: أنه وطَّن نفسه على ترك الصلاة؛ فلا يُصلِّي ظُهرًا، ولا عصرًا، ولا مغربًا، ولا عشاء، ولا فجرًا، فهذا هو الذي يكفر.

فإن كان يُصلِّي فرضًا أو فرضين؛ فإنَّه لا يكفر؛ لأنَّ هذا لا يَصْدُقُ عليه أنه ترك الصلاة؛ وقد قال النبي ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»، ولم يقل: «ترك صلاةً».

وأمَّا ما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ترك صلاة مكتوبة متعمِّدًا؛ فقد برئت منه الذمَّة**»، ففي صحَّته نظر! ولأنَّ الأصل بقاءُ الإسلام، فلا نخرجه منه إلا بيقين؛ لأنَّ ما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين، فأصل هذا الرَّجُل المُعيَّن أنَّه مسلمٌ؛ فلا نخرجه من الإسلام المتيقَّن إلا بدليل يخرجه إلى الكفر بيقين».

وعليه تحمل أقوال السلف؛ **مثل**: قول عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي صحَّ عنه: «من لم يصل فلا دين له» و«من ترك الصلاة فلا دين له»، أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٦٧) وفي «الإيمان» رقم (٤٧)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٧٧٢)، وفي «مسائله لأبيه» (٣٩٣)، والخلال في «السنة» (رقم ١٣٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢١٥) رقم (٨٩٤١، ٨٩٤٢)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٣٥-٩٣٨)، بأسانيد **بعضها حسن**.

ومنه تعلم أن فتوى المصنف في كثير من المسائل في كتابه «العيون الزلالية» (المسائل ٤٢، ٤٣، ٨٩، ٩٠، ٥٩٨)، ولا سيما الطلاق والذبائح؛ فرَّعها على كفر تارك الصلاة مطلقًا، فانتبه واحذر!

انظر: كتابي «حُكم تارك الصَّلاة»[1] المَوجود مَع كتاب «الصِّراط المُستقيم» و«أدلته»، فلم يَستطع جوابًا!

ولو أجابَ وأفشى السِّر لقالَ: إنِّي صَليت في ذلكَ الوَثن تَودُّدًا إلى المُشركين؛ ليَقبلوا دَعوتي للخروج إلى السِّياحة، ويَعلموا أنِّي مُسالمٌ لهم، غَير مُنكر عَليهم!!

فما أشدَّ شُؤم هذهِ الدَّعوة النحسة على أهلها! التي توقعهم في تَرك الصَّلاة، وهو كفر.

والصَّلاة التي صَلُّوها عند الأوثان باطلة قَطعًا؛ لأنَّ القبول لا يَجتمع مع لَعن فاعليها.

وقد يُسمون تَغيير المُنكر خَوضًا فيما لا يَعني، وفضولًا وطَيشًا، والله -تعالى- لم يُفرق بَين الأمر بالمَعروف والنَّهي عَن المُنكر في كتابهِ العَزيز، فمَن مَنع أحدهما فقد مَنع الآخر، ومَن قالَ: لا حاجَة بنا إلى تَغيير المُنكر، سَواء أكانَ شِركًا، أو بدعة، أو مَعصية، **فقد كذَّب الكتاب والسُّنة.**

قالَ -تعالى- في صِفة المُنافقين في (سُورة التوبة رقم الآية: [٦٧-٦٨]): ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

وقالَ -تعالى- في صِفة المُؤمنين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

قالَ محمد تقي الدِّين: فلا يسلم مِن النفاق ويَتصف بالإيمان إلا مَن جمع بَينهما.

---

(١) (ص٥-٧).

وبَعد هذهِ المُقدمة أشرع في تَلخيص الجزء الذي أَلَّفه أخونا في الله محمد أسلم الباكستاني[(١)] المُتحلِّي برُتبة (ماجور)[(٢)] في الجَيش الباكستاني، وهو طالبٌ في الجامعة الإسلامية، قَدَّم هذا الجُزء تَنويرًا للأفكار وكَشفًا للأسرار، فحَصل بهِ على شَهادة العالمية، التي تُسمَّى بالعَجمية (ليسانس).

قالَ بَعد المُقدِّمة التي بَيَّنَ فيها أنَّ كل ما أدْرَجهُ في هذا الجُزء مَنقولٌ مِن كُتب جَماعة التَّبليغ مِن تآليف شُيوخهم الجِشتيين[(٣)] ....

(١) الذي صنعه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه نقل كلام محمد أسلم بالحرف، ثم علَّق عليه بقوله: «قال محمد تقي الدين».

(٢) هي إحدى رتب الضباط في الجيش، وهي لفظ أجنبي، بإمالة الميم، وفتح الجيم، ورسمها: (Major).

(٣) طريقة هندية، قيل: مؤسسها يُدعى أبا إسحاق من نسل سيدنا علي، وهاجر إلى بلدة چشت (بالجيم الفارسية) في خراسان، وإليها ينسب، وقيل: منشئها أحمد أبدال الچشتي (من چشت)، واستقدمه إلى الهند معين الدين السجزي واستقر في أجمير. وقيل: إن معين الدين هو نفسه الچشتي، وهو صاحب الطريقة، وأطلقوا عليه أفتاب ملك هند، يعني: شمس مملكة الهند، فقد كان من أكابر مشايخ الصوفية والأولياء، وكانت ولادته سنة ٥٣٧هـ، وتوفي أبوه وهو في الخامسة عشرة، فتنقل بين البلاد، وتعرف في بغداد على أشهر صوفية زمنه، ومنهم: نجم الدين كبري وشهاب الدين السهروردي وأوحد الدين الكرماني، ثم وفد سنة ٥٨٩هـ إلى دهلي، ومنها انتقل إلى أجمير، وتوفي فيها عام ٦٣٣هـ، وقبره مزار، وقد حجَّ إليه الإمبراطور أكبر سيرًا على الأقدام، وخلفه على الطريقة خواجه قطب الدين بختيار، ثم بابا فريد سكر كنج، وكان له مريدان: أحدهما علي أحمد صابر، وأتباعه يعرفونه باسم صابر چشتي، والآخر نظام الدين أولياء، ويتسمى أتباعه باسم نظامي، ومنهم نصير الدين محمود ابن يحيى يزدي أودهي، الملقب جراغ دهلي؛ أي: نور دهلي، وكان من أبرز مريدي الشيخ نظام الدين، وكان أبوه تاجر أقمشة، وتوفي ومحمود في الثامنة، فأشرفت أمه على تربيته على المشايخ، فما وافى الخامسة والعشرين إلا وقد اعتزل الناس لسبع سنوات، يشق فيها طريق مجاهدة النفس بالصلاة والصوم، فلما بلغ الثالثة والأربعين توجه إلى دهلي، وانتظم كمريد للشيخ نظام في جماعة خانة، وأقامه شيخه الذي كان وقتها في الرابعة والتسعين خليفة له، وخلع عليه آثار شيخه وهي الخرقة والمسبحة والسجادة وغير ذلك، ونهج جراغ نهج شيخه في طريق الفقر والصبر والتسليم لله والرضا، وظل عزبًا طوال حياته، وبعد شيخه هدى الناس اثنتين وثلاثين سنة، وعاش =

الديوبنديين[١] المُنتسبين إلى مَذهب أبي حَنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ في الصَّفحة الخامسة:

○ مبادئ جماعة التَّبليغ:

الأُسس والمَبادئ التي دَعا إليها الشَّيخ محمد إلياس الحَنفي الديوبندي الجِشتي[٢] بَعد إنشاء جَماعة التَّبليغ هي:

١ - الكَلمة الطيبة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

٢ - إقامة الصَّلوات.

٣ - العلم والذِّكر.

= وأتباعه مطيعين للشريعة، وشغلوا أنفسهم بتدريس العلوم، واستمسك بسنة أوليائه الجِشتيّة، فلم يكتب أي كتاب، ولكن أحكامه جمعها حميد قلندر في كتاب «خير المجالس»، ويحتوي على مئة مجلس، وراجعه الشيخ بنفسه، وألحق به مؤلفه تكملة بعد وفاة الشيخ، وكان لمحمود تأثير ضخم في دهلي وخارجها، وذلك واضح من الثبت الطويل لمشاهير مريديه وخلفائه مما نجده في كتاب «أخبار الأخبار» لقلندر، وتوفي الشيخ بعد مرض قصير سنة ٧٥٧هـ، ودفن في داره دون أن يستخلف أحدًا، ودفنت الآثار التي تلقاها عن شيخه معه، وذلك رمز لنهاية السلسلة الأولى من أئمة الجِشتية في الهند، وأقيم على قبره ضريح شيده السلطان فيروز شاه.

والجِشتية يركزون في الذكر على الشهادة، ويؤكدون على (إلَّا الله)، ويترنمون في صلاتهم، ويلبسون الثياب المصبوغة بلحاء شجر السنط، ومِن شعائر الدخول في الطريقة: أن المريد يصلي أولًا ركعتين، ثم تؤخذ عليه التوبة، ويلقن معاني كلمات مثل: الفقر والقناعة والرياضة، ويكشف له عن اسم من أسماء الله، ويطلب إليه أن يتوجه إلى أحد الأضرحة، ويلزمه صائمًا أربعين يومًا تعرف باسم چِلّه كشي، ثم يلقن حدود الطريقة، ويحرم عليه من بعد ذلك تعاطي المسكرات أو المخدرات.

وللجِشتية أناشيد، وأكبر شعرائهم على ما يبدو هو بده شاه وغلام شاه وخواجه غلام فريد، ولهم كتب في تراجم أوليائهم مثل: «سير الأولياء» لمحمد مبارك كرماني، «وخزينة الأصفياء» لمفتي غلام سرور لاهوري.

انظر: «الموسوعة الصوفية، أعلام التصوف والمنكرين عليهم والطرق الصوفية» (١٠٢ - ١٠٤) للدكتور عبدالمنعم حنفي.

(١) سيأتي التعريف بهم. (٢) ستأتي ترجمة المصنف له (ص٢٧٢).

٤ - إكرام كل مُسلم.

٥ - الإخلاص.

٦ - النفر في سَبيل الله. ا.هـ.

قالَ محمد تقي الدين: أمَّا الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فإنَّها لا تَنفع إلا مَن قالها بلسانِه، وعَرف مَعناها، واعتقدهُ بقلبِهِ، وعَمل بكل ما تَقتضيه، فإنَّ أبا بكر الصِّديق ومَعه أصحاب رَسول الله ﷺ كلهم قاتلوا بَني حَنيفة قتال الكفار، وسَبوا ذريتهم، وغَنموا أموالهم، وهم يَقولون: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، ويَصومون، ويُصلون، ويَحجون، لمَّا امتنعوا مِن أداء الزَّكاة لخَليفة رَسول الله ﷺ؛ لأنَّ أداء الزَّكاة لخَليفة رَسول الله ﷺ مِن مُقتضيات شَهادة أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمد رسول الله[(١)].

ومِن مُقتضياتها -أيضًا-: الأمر بالمَعروف والنَّهي عَن المُنكر.

ومِن مُقتضياتها -أيضًا-: الحُب في الله، والبُغض في الله، والمُوالاة في الله، والمُعاداة في الله، فمَن وَالى أعداء الله المُشركين عبَّادَ القبور، وأصحاب الطرائق المُتصوفة الضَّالة، ودَعا إلى بدعة السِّياحة المُقتبسة مِن دين البراهمية، وأبى أنْ يُصلي صَلاة رَسول الله، واكتفى بصَلاة المَذهب الحَنفي، وهي مُخالفة لصَلاة رَسول الله ﷺ، يُضاف إلى ذلكَ أنَّ الإفتاء بالتَّقليد، والقَضاء بالتَّقليد مِن الشِّرك الأكبر[(٢)].

---

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» (١٣٩٩، ١٤٠٠، ٦٩٢٤، ٦٩٢٥) عن أبي هريرة قال: لمَّا توفي النبي ﷺ واستُخْلِف أبو بكر، وكفر مَن كفر مِن العرب، قال عمر: يا أبا بكر! كيف تُقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أنْ أُقاتِل النَّاس حتَّى يقُولُوا: لا إلهَ إلَّا الله، فَمَنْ قال: لا إلهَ إلَّا الله، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ ونَفْسَهُ إلَّا بحقِّه، وحِسَابُه على الله**»؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لَقَاتَلْتُهم على مَنْعِها. قال عمر: فَوالله مَا هو إلَّا أنْ رأيتُ أنْ قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفتُ أنه الحق.

(٢) انظر -لزامًا-: «شرح كتاب التوحيد» (٢١٠ - ٢١٣)، «سبيل الرشاد» (١/ ٢٦٦-=

ذَكَرَ الحافظ ابن كثير(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَفسير (سُورة التَّوبة): «أنَّ عدي بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جاءَ إلى رَسول الله ﷺ فوَجدهُ يَقرأ (سُورة التَّوبة)، فلمَّا انتهى إلى قَوله -تعالى- في صِفة اليهود والنَّصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، قالَ عدي: يا رَسول الله! إنَّا لم نكن نَعبدهم. قالَ رسول الله ﷺ: «**أَلَيْسَ كانوا يُحِلُّونَ لَكُمْ مَا حُرِّمَ الله فَتتبعونهم، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْكُمْ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتتبعونهم؟**». قال: بَلى. قالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»(٢).

= ٢٦٧، ٤٧٦-٤٨٣، ٥٦٦ و٣/ ٦٠-١٧٨)، «مقالات السير والتراجم والمناقب» (٢٨٩-٣١١)، جميعها للمصنف، وتعليقي عليها.

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٠٦)، والترمذي في «الجامع» (٣٠٩٥)، وابن جرير في «التفسير» (١٠/ ٨١)، والفسوي في «مشيخته» (رقم ١٣٢)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٢) رقم (٢١٨، ٢١٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٧٨٤) رقم (١٠٠٥٧)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤٩٠ - ٤٩١)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (٥٤١)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١١٦) وفي «المدخل» (رقم ٢٦١)، وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه -كما في «الدر المنثور» (٢/ ٢٣٠) -، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (رقم ٧٥٣)، وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ١٣٢ - ١٣٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (ق ١٠٩٠) من حديث عدي بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال الترمذي عقبه: «وهذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروفٍ في الحديث».

وقال المناوي في «الفتح السماوي» (١/ ٣٦٥) في تخريجه: «أخرجه الترمذي وحَسَّنه»، ولم يحسنه الترمذي!

وانظر: «تحفة الأشراف» (٧/ ٢٨٤)، و«العارضة» (١١/ ٢٤٦).

قلت: غطيف -ويقال: غضيف- ضعيف؛ ضعَّفه الدارقطني.

انظر: «الضعفاء والمتروكين» (رقم ٤٣٠)، و«اللسان» (٤/ ٢٤٠).

وللحديث شاهد عن حذيفة موقوفًا، رواه سفيان الثوري في «تفسيره» (ص١٢٤=

وقد ذكرَ الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «إعلام الموقعين عن رب العالمين»[١] مسائلَ كثيرة خالف فيها الحنفيةُ السُّنةَ، ومسائلَ أخرى خالف فيها غيرَه مِن المذاهب السُّنة، فمَن تمسك بهذه المسائل بعد العلم مِن أنها مُخالفة للسُّنة؛ فقد اتخذ أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ربًّا مِن دون الله، وقد بَرأ أبو حنيفة ذمته بقوله: «لا يَحلُّ لأحدٍ أنْ يَقول بقولنا حتى يَعلم مِن أين قُلناه»[٢]، أي:

= رقم ٣٣٣)، وعنه عبدالرزاق (٢/ ٢٧٢)، والطبري (١٠/ ٨١٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٤ رقم ١٠٠٥٨) في «تفاسيرهم»، وابن عبد البر (رقم ١٨٦٤)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٦٧)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١١٦)، وفي «المدخل» (٢٥٨ و ٢٥٩)، وابن عبد البر في «الجامع» (١٨٦٤)، **وله حكم الرفع**؛ كما هو مقرر في علم المصطلح.

وله شاهد آخر جيد من حديث أبي العالية عند ابن جرير في «التفسير» (١٠/ ٨١).

فالحديث حسن بطرقه المتعددة؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الإيمان» (٦٤)، وعزاه المصنف في «سبيل الرشاد» (١/ ٢٦٦ - بتحقيقي)، وفي «شرح لكتاب التوحيد» (رقم ١١١ - بتحقيقي)، وابن القيم في «الإعلام» (٣/ ٤٥١ - بتحقيقي)، وابن كثير في «التفسير» (٢/ ٣٤٨) للإمام أحمد من حديث عدي، ولم أظفر به في «مسنده» (٤/ ٢٥٦، ٣٧٧ - مسند عدي)، ولا في «أطراف المسند» (٤/ ٣٢٦ - ٣٣٢)، ثم وجدتُ الشيخ أحمد شاكر يقول في تعليقه على «الإحكام»: «وهذا الحديث لم يروه أحمد في «مسنده» على سعته»، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٣٢٩٣).

وانظر تعليقي على كلٍّ من: «الاعتصام» (٣/ ٤٥٨)، و«الموافقات» (٣/ ٢٩٩) كلاهما للشاطبي، و«إعلام الموقعين» (٣/ ٤٥٠) لابن القيم.

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ٥٧٣- بتحقيقي).

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل» (٢٦٢)، وأبو الليث في «عيون المسائل» (٢/ ٤٨٥)، وابن عبدالبر في «الانتقاء» (ص ١٤٥)، وذكره ابن القيم في «الإعلام» (٣/ ٤٨٨) عن أبي حنيفة وأبي يوسف، وذكره ابن أبي العز في «الاتباع» (٧٩) عن أبي يوسف.

وذكره ابن أبي الوفاء القرشي في «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ١٢١) في ترجمة (إبراهيم بن يوسف)، قال: «روى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة..» وذكره، وفيه «يعرف» بدل «يعلم». =

حتى يعرف دليله مِن الكتاب، والسُّنة، والإجماع، والقياس الصحيح.

فظهرَ بهذا أنَّ القاعدة الأولى مِن قواعدهم -وهي الشَّهادتان- لا تَصحُّ مَع تَقليدهم للمَذهب في العبادات والعقائد، وتَقليدهم المُتصوفة في السلوك[1].

= وانظر: «إيقاظ همم أولي الأبصار» (الفقرات ٣٩١، ٤٠١، ٤٦٥ - بتحقيقي)، «تحفة الأنام» (٥١)، «حجة الله البالغة» (١/ ١٥٨)، «الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف» (١٥٩)، «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» (٧٢)، «تزيين العبارة لتحسين الإشارة» (٦٧)، «قواعد التحديث» (٢٨٩).

(١) قال محمد تقي الدين الهلالي في «سبيل الرشاد» (٢/ ٢٠٦-٢٠٧، بتحقيقي):

«من أعظم المصائب التي حلَّت بمشركي هذا الزمان، ويأسف لها كلُّ مشفق عليهم: إنهم لا يعرفون معنى لا إله إلا الله، وقد أضلهم رؤساء جهال يُنسبون إلى العلم زورًا وبهتانًا؛ ففسروا لهم لا إله إلا الله تفسيرًا ضلالًا، قال بعضهم: معنى لا إله إلا الله: لا مُستَغنٍ عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فظن هذا الجاهل أن لا إله إلا الله يقصد بها توحيد الربوبية وهو إثبات الغنى لله -تعالى-، وإثبات الفقر لكل من سواه فقط، ولو فكر في معنى أَلَهَ يَألَهُ إلاهَةً، أيْ: عَبَدَ يَعبدُ عبادةً، لعلم أنَّ كلمة (إله) فِعال بمعنى مَفعول، أي: مَعبود، فقائلُ لا إله إلا الله، العالِم بمعناها، يشهد على نفسه أنه لا يَعبد إلا الله، وأنه بريء مما يُعبد مِن دونه، كما قال إبراهيم الخليل لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، وقال -تعالى- في سورة الممتحنة [٤]: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾، وقال -تعالى- في سورة مريم [٤٨] حكاية عن إبراهيم: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾، وقال -تعالى- في سورة هود [٥٤-٥٥] حكاية عنه قال: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦ﴾، وتقدمت قصة أبي طالب لما قال له النبي ﷺ: «**يا عم! قل لا إله إلا الله**»، فَهِمَ أبو طالب وأبو جهل وعبدالله بن أبي أمية أن معنى لا إله إلا الله: أن يترك ملَّة عبدالمطلب وهي الشرك [والقصة في «صحيح البخاري» (١٣٦٠)، و«صحيح مسلم» (٢٤)]، فهؤلاء الكفار الثلاثة فهموا معنى لا إله إلا الله: وكثير ممن ينسب إلى الإمامة في العلم والدين يجهل معناها، وقال في هذه الآية حكاية عن الكفار: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦]، فهموا أنهم إن قَبلوا لا إله إلا الله؛ تحتَّم عليهم ترك عبادة=

وأمَّا القاعدة الثانية التي سمَّاها محمد أسلم[١]: إقامة الصلوات؛ فقد أخطأ في التَّعبير؛ فإنَّ جَماعة التَّبليغ تأمر بالصَّلاة لا بإقامة الصَّلاة، فالصَّلاة المُخالفة لصلاة رسول الله ﷺ لم تَقُم؛ بل هي داخلة في قوله -تعالى-: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤- ٥].

فقد قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»[٢].

وقد نقلَ المُنتقِدون للمذاهب أنَّه يَجوز في مَذهب الحَنفية أنْ يقول المُصلي بَدل فاتحة الكتاب: (دُوسَبْزْ)، وهي تَرجمة قَوله -تعالى-: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] باللغة الفارسية، فلا تَكون الصَّلاة مُقامة مَقبولة عند الله -تعالى- إلا إذا صَلاها المُصلِّي مُطابقة لصَلاة رَسول الله ﷺ.

وتَسميتهم القاعدة الثَّالثة: بـ(العلم والذِّكر) مُبهمة؛ لأنَّ العلم منه نافع، ومنه غَير نافع، وقَد استعاذَ النَّبيُّ ﷺ: «**مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ**»[٣]، وعِلم جَماعة التَّبليغ مِن العلم الذي لا يَنفع.

= آلهتهم، ووجب عليهم الكفر بها، والمشركون في هذا الزمان يقولون: (لا إله إلا الله) في كل حين، وهم يعبدون آلهتهم، ويستغيثون بها، فلا نسمع إلا يا شيخنا! يا سيدي فلان! فسبحان مَنْ طبع على قلوبهم وأعمى بصائرهم». اهـ

قال أبو عبيدة: وهذا هو فهم التبليغ الذي يرددوه في مجالسهم من قولهم في بياناتهم في المجالس العامة والخاصة في معنى (لا إله إلا الله): عدم اليقين على الأشياء، واليقين على الله -تعالى- فقط، ولا ينكر عليهم أحد! إلى الله المشتكى من غربة الإسلام والسنة! وانظر ما زبرناه في (المقدمة).

(١) في بحثه «جماعة التبليغ» (ص ٥ - مرقوم).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (كتاب الأذان): باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها (٢/ ٢٣٦ - ٢٣٧/ رقم ٧٥٦)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الصلاة): باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (١/ ٢٩٥/ رقم ٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٧٢٢) في (كتاب الذكر والدعاء): باب التعوذ من شرِّ ما عُمل، ومن شرِّ ما لم يُعمل، من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وأمَّا الذِّكر: فما كانَ منهُ سالمًا مِن البدع؛ فإنَّ الله يَقبلهُ، ومَا كانَ مَمزوجًا بالبدع فهو ضَلالة.

رَوى ابن وضاح في كتاب «البدع» بسَندٍ صَحيح[١] إلى عَبدالله بن مَسعود: «أنَّه سَمع أنَّ قومًا يَجلسون في مَسجد الكوفة، فيَقول أحدهم: سَبِّحوا مئة، فيُسبحون، وبَين أيديهم الحَصى يَعدون بهِ التَّسبيح، ثم يَقول: هَلِّلوا مئة، فيهللون، ثم يَقول: كَبِّروا مئة، فيُكبِّرون، فلبسَ البرنس -وهو قلنسوة طَويلة تُغطي الرأس وتَبلغ إلى الذراعين-، وذَهبَ حتى جَلسَ بَينهم، ورَأى ذلكَ بعَينَيهِ، فرفع البرنس عَن رَأسهِ حتى عَرفوه، فقالَ: أنا أبو عَبد الرَّحمن يا هؤلاء، والله! لَقد فُقْتُم أصحابَ محمد علمًا، أو جئتم ببِدعةٍ ظُلمًا.

فقالَ أحدهم: يا أبا عَبد الرَّحمن! نَحن ما فقنا أصحاب محمد علمًا، ولا جئنا ببدعة ظلمًا، وإنَّما نَحن قَوم نَذكر رَبنا.

فقالَ ابن مسعود: بَلى، والذي نَفس ابن مَسعود بيَدهِ! لقد فُقْتُم أصحاب محمد علمًا، أو جئتم ببدعةٍ ظلمًا، وَيحكم يا أُمَّة محمد! ما أسرع هَلكتكم! هذهِ أوانيه لم تُكسر، وثيابه لم تبل، وقد أحدثتم ما أحدثتم في دينهِ! وأمرَ بهم فطُردوا مِن المَسجد، فخَرجوا إلى ظاهر الكوفة فبَنوا مَسجدًا، وأخذوا يَفعلون فيهِ ما كانوا يَفعلونه في مَسجد الكوفة، فأمرَ به عَبد الله بن مسعود فهُدم»[٢].

---

(١) **القصة صحيحة**، وإسناد ابن وضاح فيه انقطاع، وسيأتي بيانه في التخريج، ووجدت هذا الأثر في دفتر الهلالي الخاص الذي كان معه في الهند، ونقله من مكتبة صاحب «عون المعبود» بواسطة ولد صاحبها، وهو محمد إدريس -رحم الله الجميع-.

(٢) أخرجه ابن وضاح في «البدع» (رقم ١٧) من طريق عبيدالله بن عمر عن سيَّار أبي الحكم عن ابن مسعود: أنه حُدِّث أن أناسًا... فذكره.

قلت: وسنده ضعيف؛ منقطع بين سيار وابن مسعود، **وله طرق أخرى عن ابن مسعود:**

الأولى: الربيع بن صَبيح عن عبدالواحد بن صبرة عنه.

أخرجها ابن وضاح في «البدع» (رقم ٩).

وسندها ضعيف؛ من أجل الربيع وشيخه؛ فالأول صدوق سيِّئ الحفظ، كما في=

= «التقريب» (١٨٩٥)، أمَّا الثاني فأورده البخاري في «تاريخه» (٦/ ٦١)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٢٢)، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا.

الثانية: عطاء بن السائب عن أبي البختري عنه به.

أخرجها عبدالرزاق في «المصنف» (٥٤٠٩)، وعبدالله بن أحمد في «زوائده على الزهد» (ص ٣٥٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم ٨٦٣٠ - ٨٦٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٠-٣٨١).

وعطاء صدوق اختلط، ولكن الراوي عنه عند الطبراني حماد بن سلمة، وسماعه منه قبل اختلاطه، كما في «الكواكب النيرات» (ص ٦٣)، وشيخه لم يسمع من ابن مسعود، وانظر: «تهذيب الكمال» (١١/ ٣٢)، و«مجمع الزوائد» (١/ ١٨١)، **فالإسناد ضعيف**، إلا أن أبا البختري توبع، تابعه أبو عبدالرحمن السلمي عند الطبراني (رقم ٨٦٣٣)، **فصح الإسناد**.

الثالثة: عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه عنه به.

أخرجها الدارمي في «السنن» (رقم ٢١٠)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص ١٩٨-١٩٩) بمعناه.

وسندها ضعيف؛ يحيى بن عمرو بن سلمة ذكره البخاري في «التاريخ» (٨/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ١٧٦)، ولم يذكرا فيه شيئًا، وروى عنه جماعة من الثقات، وظن شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عمرو بن يحيى هو ابن عمارة ابن أبي الحسن!! ولذا قال في «الرد على التعقب الحثيث» (ص ٤٥-٤٧) ما نصه: «وإسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال البخاري في «صحيحه»؛ غير عمارة، وهو ثقة»!! والصواب ما ذكرناه، وقد وقع مصرحًا به عند بحشل، وكذا الراوي عنه عند الدارمي -وهو شيخه- الحكم بن المبارك، كما في «تهذيب الكمال» (٧/ ١٣٢).

الرابعة: حماد بن زيد عن مجالد بن سعيد عن عمرو بن سلمة به.

أخرجها الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٣٦ رقم ٨٦٣٦)، قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٨١): «فيه مجالد بن سعيد، وثقه النسائي، وضعفه البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى».

الخامسة: سفيان بن عيينة عن بيان عن قيس بن أبي حازم عنه.

أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥٤٠٨)، ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (رقم ٨٦٢٩)، برجالٍ ثقات، وصححه الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٨١).

السادسة: سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عبدالله بن هانئ به.

قالَ محمد تقي الدين: هذا المَسجد أوَّل زاوية بُنيت في الإسلام؛ فإنَّ أصحابَ الزوايا لم يَكتفوا بالمساجد، وبَنوا الزوايا ليَفعلوا فيها البِدع.

والقاعدة الرابعة: وهي قَولهم: «إكرام كل مُسلم»، صَحيحة لو أنَّهم يُطبِّقونها، ولكنَّهم لا يُطبقونها إلا مَع مَن يَفعل بدعتهم[1]، وهي السِّياحة، ومَن تَنزه عنها مِن المُسلمين يبغضونه أشدَّ البغض.

والقاعدة الخامسة التي سَموها: (الإخلاص)، وهي مُبهمة، فهذا الإخلاص يَجب أنْ يَكون لله، ولرَسوله، ولكتابِهِ، ولأئمة المُسلمين، وعامتهم، ولو كانَ كذلكَ لكانَ صَحيحًا، ولكنَّهم لا يُخلصون الودّ والنصح إلا لمَن آمن ببدعتهم وشارَكهم فيها.

والقاعدة السادسة: سَمَّاها محمد أسلم[2]: (النفر)، وهذه التَّسمية عَجيبة! هل هو نفرٌ مِن عرفة إلى مُزدلفة؟ أو هو النفر الذي قالَ الله -تعالى- فيهِ: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]؟ لا هذا ولا هذا، ولكنَّها السِّياحة البرهمية التي نَهانا عنها رَسول الله ﷺ، والسِّياحة لم تَكن دِينًا على عَهد النَّبي ﷺ، وخلفائه الراشدين.

وقد خَرجَ النَّبي ﷺ إلى الطائف وَحدهُ ومَعه مَولاه زَيد بن حارثة[3]،

= أخرجه الطبراني في «الكبير» (رقم ٨٦٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨١)، **وسنده حسن.**

وله طرق أخرى عند الطبراني (رقم ٨٦٣٧ - ٨٦٣٩).

وبالجملة، **فالأثر ثابت صحيح، بمجموع هذه الطرق.**

وساق المصنف الرواية من جميع الطرق بالمعنى والفحوى، ولم يعتمد على لفظ رواية خاصة؛ فاقتضى التنويه.

(١) أو: ممن يطمعون أن يلتحق بها.

(٢) في بحثه «جماعة التبليغ» (ص ٥- مرقوم).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٣٥)، «التاريخ الكبير» (٣/ ١٣٨-١٣٩)، «الآحاد والمثاني» (١٢٧٤-١٢٧٥)، «صحيح ابن خزيمة» (١٧٧٨)، «المعجم الكبير»=

وتَوجَّه إلى أمير الطائف ودَعاهُ إلى الإسلام، فأجابَهُ جَوابًا سَيئًا، واصطفَّ لهُ السفهاء سماطين، ورَموهُ بالحجارة حتى سالَ الدَّم مِن رجليه الشَّريفتين، ولم يَأمر أحدًا مِن المُسلمين في مَكَّة أنْ يَخرج مَعهُ.

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يَخرج إلى أسواق العَرب، كذي المجاز[1]، فلا يَأمر أحدًا أنْ يَخرج مَعهُ، وكانَ يَتبعه عَمه -عَدو الله- أبو لَهب، فإذا دَعا النَّاس إلى دين الله، يَقول أبو لهب: إنَّ هذا ابن أخي، وهو كَذَّاب!! فلا تصدِّقوه.

قالَ مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن ابتدع في الإسلام بِدعةً يَراها حَسنةً فقد زَعمَ أنَّ

= (٤١٢٦-٤١٢٨)، «تاريخ الطبري» (١/ ٥٥٤)، «الكامل في التاريخ» (١/ ٦٨٥)، «البداية والنهاية» (٣/ ١٣٥).

(١) أخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في «زوائده على المسند» (٣/ ٤٩٢، ٤٩٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢/ ٢٠٨) رقم (٩٦١-٩٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ٦١) رقم (٩٥٩-٩٦٠، ٤٥٨٢، ٤٥٨٣، ٤٥٨٤، ٤٥٨٥، ٤٥٩٠)، و«الأوسط» (١٥١٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥) رقم (٣٩)، والبيهقي (٩/ ٧)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٢١٤) من حديث ربيعة بن عِبَاد الدَّيلي قال: «رأيتُ النَّبيَّ ﷺ بذي المجاز يدعو الناس، وخلفه رجل أحولُ، يقول: لا يصدَّنَّكم هذا عن دين آلهتكم. قلتُ: من هذا؟ قالوا: هذا عمُّه أبو لهب».
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٢): «رواه أحمد، وابنه، والطبراني في «الكبير» بنحوه، و«الأوسط» باختصار بأسانيد، وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال».
وفي رواية للحديث: «أنه رأى أبا لهب بعكاظ»، وفي أخرى: «أن ذلك كان بمنى»، ويجمع بينها إما بتعدد الحادثة، أو بإطلاق منى على ذي المجاز على سبيل التوسُّع.
قلت: الحديث صحيح، وله طرق وشواهد، أحسنها حديث طارق بن عبدالله المحاربي، أخرجه النسائي (٨/ ٥٥)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٣٠٠)، وابن حبان (٦٥٦٢) وصححه.

وذو المجاز: موضع سوق لمكة في الجاهلية بعرفة على فرسخ منها، كانت تقام إذا أهَلَّ هلال ذي الحجة، وتستمر إلى يوم التروية، وهو الثامن من ذي الحجة.
انظر: «المجاز بين اليمامة والحجاز» (٢٣٩ - ٢٤٠، ٢٨٣ - ٢٨٤) لعبدالله بن محمد بن خميس.

محمدًا ﷺ خانَ الرِّسالةَ؛ لأنّي سَمعت الله يَقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. وما لم يَكن يَومئذ دِينًا لا يَكون اليَوم دِينًا»[١].

والسِّياحة على عَهد رَسول الله ﷺ لم تَكن دِينًا إلا عند البراهمة وأمثالهم مِن البدِّيين وغيرهم، فلن تَكون دينًا أبدًا، فحسبكم خداعًا للنَّاس وتَضليلًا، وارجعوا إلى سُنة رَسول الله؛ فإنَّ فيها السَّلامةَ والنَّجاة مِن شَرِّ الدُّنيا والآخرة[٢].

ومِن قَواعدهم الخارجة عن السِّتة الأصول التي حَصروا فيها دين الإسلام افْتِياتًا على الله ورَسوله: عَدمُ الخَوض في السِّياسة، وهذهِ قاعدة عَظيمة

---

(١) رواه عنه بسنده الإمام ابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٨٥).
وانظر: «تهذيب الفروق» (٤/ ٢٢٥)، «الاعتصام» (١/ ١٦٢ و٢/ ٣٦٨، بتحقيقي).

(٢) يقول إكرام جان -وهو من كبارهم-: «وكل شيء لا يتحصل إلا في بيئته الخاصة، وبيئة الدين هي غير بيئة البيوت والأسواق والمصانع، وإنما هي بيئة المساجد، فينبغي لنا أن نخرج في سبيل الله ونجاهد بأموالنا وأنفسنا»، كذا في «زاد الداعي» (٢٦).
والجماعة قد نالت شهرة واسعة على مستوى العالم بسبب كثرة التنقل في بلاد المسلمين، مما جعلها تحصل على أكبر مدى من الاتصال والشهرة والعلاقات، واستطاعت أن تغرس حب الجولة والسياحة والشغف بها، وتغلغلها في أعماق الإنسان إضافة إلى إظهار الطاقات الكامنة فيه لدافع الخير، واستخدامها على مدى واسع بذكر الترغيب في الجولة، واستخدام كافة النصوص الواردة في الجهاد في سبيل الله وتضحيات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيه تأييدًا واستدلالًا لغرضها، ويبالغون في خروجهم الجماعي للتبليغ هذا مبالغات عجيبة، كما لاحظنا فيما مضى أنهم **يعتقدون في خروجهم للتبليغ أنه الجهاد في سبيل الله؛ بل الجهاد الأكبر.**
انظر: «جماعت تبليغ پر اعتراضات كى جوابات» (٣).
وأصبحت السياحة هي الركن الأساسي لديهم، فمن قبلها واشتغل بها أحبوه وأكرموه، ومن خالفهم فيها لم يقبلوا منه شيئًا، وإن كان مؤديًا لجميع الواجبات، مع أن كلام الشيخ إكرام جان فيه أن الخروج وسيلة لا غاية، فاختلطت عندهم الوسائل بالغايات، وأصبح الخروج سببًا لعَقْد ولاء الحب والبغض والولاء والبراء، عند أهل التبليغ، **وهذا منكر عند جميع العقلاء، فافهمْ ذاكَ -تولَّى الله هُداكَ-**، وانظرْ: «جماعة التبليغ في الهند» (٤٦٣ - ٤٦٤).

عندهم؛ إذ بها يسقطون عَن أنفسهم الحُب في الله، والبُغض في الله، والمُوالاة في الله، والمُعاداة في الله.

وفي «شَرح الطحاوية»[١]: قالَ الحَسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن أحبَّ في الله، وأبغضَ في الله، ووَالى في الله، وعَادى في الله، فإنَّما تُنال ولايةُ الله بذلكَ»[٢].

وخالَفه المتهنِّدون فقالوا: لا تُنال ولاية الله إلا بتَرك ذلكَ، **فهذهِ قواعدهم، وهي كما تَرى أوهى مِن بَيت العنكبوت**، فهُم يَتخيرون في دين الله، يَأخذون ما شاءوا، ويَدعون ما شاءوا، ويَزيدون ما شاءوا، وينقصون ما شاءوا، يا هاديَ الطَّريق! ضَللتَ وأضللتَ!!

دَعُوا كُلَّ قَوْلٍ غَيْر قَوْلِ مُحَمَّدٍ   فَمَا آمِنٌ فِي دِينِهِ كَمُخَاطِرِ[٣]

[البحر الطويل]

فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَقْنَعُوا بِمَقَالِهِ   فَإِنِّي بِمَا قَالَ النَّبِيُّ لَقَانِعُ[٤]

---

(١) ساق ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٢/ ٤٧٦ - ط. شعيب) الحديث المرفوع، وقال: «معناه -والله أعلم- أن الحبَّ والبُغضَ أصلُ حركة القلب، وبذلُ المال ومنعُه هو كمال ذلك، فإن المال آخِر المتعلقات بالنفس، والبدن متوسط بين القلب والمال، فمن كان أول أمره وآخره كلُّه لله، كان الله إلهه في كل شيء، فلم يكن فيه شيءٌ مِن الشرك، وهو إرادةُ غير الله وقصدُه ورجاؤه، فيكون مستكمل الإيمان، إلى غير ذلك مِنَ الأحاديث الدَّالةِ على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل».

(٢) تقدم تخريجه، وهو ثابت عن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) لشرف الدّين إِسْمَاعِيل بن أبي بكر المَعْرُوف بِابْن المقري الشَّافِعِي، انظر: «العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين» (٢/ ٢٩٨)، «الرد على القائلين بوحدة الوجود» (ص١٥١)، «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد» (ص ٧٣)، «توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية» (١/ ١٧٨).

(٤) لأسماء بن رئاب الجرمي (ت ١٤١ هـ).

انظر: «المؤتلف والمختلف» (٢/ ١٠٥٣) و«تصحيفات المحدثين» (٢/ ٦٦٠) و«الوافي بالوفيات» (٩/ ٣٩) و«الإصابة» (١/ ١٣٤) وفيها: «بقضائه» بدل «بمقاله».

قالَ محمد أسلم:

○ **مؤسس جماعة التَّبليغ:**

هو الشَّيخ محمد إلياس ابن الشَّيخ محمد إسماعيل الحَنفي الديوبندي الجِشتي الكَانْدَهلَوي ثم الدَّهْلوي.

والكاندهلوي: نِسبة إلى مَوطنه (كاندهلة) مِن مُديرية (سهارنپور)[١].

والدَّهْلَوي: نَسبة إلى (دَهلي) عاصمة الهند[٢]، ومَقر جَماعة التَّبليغ.

والدُّيوبَنْدِي: نِسبة إلى ديوبند؛ وهي أكبر مَدرسة للحَنفية في البلاد الهندية، ولها شهرة.

أُسست مَدرسة ديوبند في (١٨[٣] مُحرم سَنة ١٢٨٨[٤]هـ) في قَصبة ديوبند[٥]، وبناءً على قَول أصحاب ديوبند: أَسَّسها النَّبيُّ ﷺ في حضور الشَّيخ

---

(١) الصواب: من مُديرية (مظفر نكر) بقرب دهلي من جهة الغرب الشمالي، انظر: «أوجز المسالك» (١/ ٦)، ونقلها المصنف خطأ من محمد أسلم في «جماعة التبليغ» (٥/ مرقوم)، ومدرسة ديوبند هي من أعمال سهارنپور كما سيأتي.

(٢) دهلي وليست دلهي، واشتهر تقديم اللام عند الإنگليز، قال الهلالي: «دهلي، لا دلهي؛ كما يخطئ فيه الإنگليز، ويتبعهم الجهَّال»، قاله في مقالة (أهل الحديث في الهند) (الحلقة الأولى)، المنشورة في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة الخامسة، العدد الأول، (شعبان ١٣٩٣هـ - سبتمبر ١٩٧٣م)، (ص ١٣ - ٣٤).

(٣) كذا في جميع طبعات «السراج المنير»، والصواب (١٥ محرم)، وهي هكذا عند محمد أسلم في بحثه «جماعة التبليغ» (ص ٥ - مرقوم).

(٤) هكذا هي في جميع طبعات الكتاب، والصواب سنة ١٢٨٣هـ يوافق ٣٠ أيار (مايو) ١٨٦٦م، وهي على الصواب عند محمد أسلم في «جماعة التبليغ» (ص ٥ - مرقوم)، ثم أصبحت من أكابر المعاهد العربية في القارة الهندية، وفي عام ١٢٩١ - ١٢٩٢هـ تم إنشاء البناء الخاص بالجامعة، بعد بقائها تسع سنوات بدون بناء، وكانت الدروس تلقى في ساحة المسجد الصغير وفي الهواء الطلق، انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/ ٣٠٨).

وانظر ما زبرناه عن هذه المدرسة في كتابنا «الإمام الألباني وجماعة التبليغ» (ص٦٧ - ٧١).

(٥) من مديرية سهارنپور بالهند.

محمد قاسم النانتوي الحَنفي الچشتي(١)، وكانَ النبي ﷺ يأتي إلى هذهِ الدّار أحيانًا مع أصحابهِ وخلفائه لتَدقيق حساب المدرسة(٢).

قالَ محمد تَقي الدين: اقرأوا أيها النَّاس، واعجبوا! كيفَ يُؤسس النَّبي ﷺ مَدرسةً تُحارب سُنّتَه، وتَنبذ هَديه؟! فهي ماتريديةٌ في العَقائد(٣)، حَنفيةٌ في

---

(١) ستأتي ترجمته قريبًا، وتأسيس النبي ﷺ لها مذكور في «مبشرات دار العلوم» (ص٤٥).

(٢) «توحيد خالص» للدكتور عثمان (ص ١٠٤). (منه)

قلت: وهكذا ذكرها الشيخ أشرف علي التهانوي في كتابه «حكايات أولياء» (٤٣٤ - ٤٣٥).

(٣) نَشَأت الماتُريديَّةُ بـ(سمرقند) في القرنِ الرابع الهجريِّ، وتُنْسَبُ إلى أبي منصورِ الماتُريديِّ، وهي مِن الفِرقِ الكلاميَّةِ التي اشتغلَتْ بالآراءِ والجدالِ عن السُّنَنِ والآثار.

وقد مرتْ هذه المدرسةُ بمراحلَ عِدَّةٍ حتَّى استقرَّتْ إلى ما عليه الآن، وقد انتشرَتْ وكَثُرَ أتباعُها في بلادِ الهندِ وما جاورَها مِن البلادِ الشرقيَّةِ؛ كالصينِ وبنگلاديش وباكستان وأفغانستان، كما انتشرَتْ في بلادِ تُركيَا والروم وفارِس، وبلادِ ما وراءِ النَّهرِ والمغربِ حسب انتشار الحنفيَّةِ وسُلطانِهم.

وللمدارسِ الديوبنديَّةِ دورٌ كبيرٌ في نَشْرِ عقيدتِهم، وذلك بالهندِ والباكستانِ؛ حيث لا يزالُ تُدَرَّسُ فيها كُتُبُ الماتُريديَّةِ في العَقيدةِ على أنها عقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ. وراجَتْ سُوقُهم على مَن لا يَعْرِفُ حقيقتَهم فانْخدَعَ بهم كثيرٌ مِن الناسِ، مع أنهم وَرِثُوا كثيرًا مِن عقائد الجهميَّةِ، فارتكبُوا ما لا يُقِرُّه عَقْلٌ صريحٌ، ولا نَقْلٌ صحيحٌ، ولا الفطرة السليمة، إلى غير ذلك مِن العقائدِ الباطلةِ العاطِلةِ، والآراءِ الفاسدةِ الكاسِدةِ، وظنُّوا أنَّ هذه هي العقائدُ الإسلاميَّةُ وطريقةُ الإمام أبي حنيفةَ السُّنِّيَّةِ.

كما حَكَمُوا على كُتُبِ السَّلَفِ في العقيدةِ بأنها كُتُبُ الوثنيَّةِ والشركِ والكُفر، وطعنوا في كِبارِ أئمةِ الإسلامِ بسبٍّ شنيعٍ وشَتْمٍ فظيعٍ!! وتظاهروا بمظهرِ أهلِ السُّنَّةِ، وأنهم يُمَثِّلُونَ الفرقةَ الناجيةَ، ولكنْ وَفَّقَ اللهُ أئمَّةَ السُّنَّةِ؛ فَوَقَفُوا للماتُريديَّةِ بالمرصادِ، وردُّوا عليهم كَيْدَهم، وكَشَفُوا عن حقيقةِ أمْرِهم، فزالَ الاشتباه، بحمدِ اللهِ الإلَه.

ومنهج الماتُريديَّة يقومُ على قواعدَ وأُسُسٍ، أهمُّها:

أوَّلًا: مَصْدَرُهم في التَّلَقِّي في الإلهيَّاتِ والنُّبُوَّاتِ هو العقلُ.

ثانيًا: إنَّ معرفةَ الله واجبةٌ بالعقلِ قَبْلَ وُرودِ السمعِ.

=

= **ثالثا**: القولُ بالتحسينِ والتقبيحِ العقليَّيْن.
رابعا: القولُ بالمجازِ في اللُّغةِ والقرآنِ والحديثِ.
خامسا: التأويلُ والتفويضُ.
سادسا: القولُ بعدمِ حُجِّيَّةِ أحاديثِ الآحادِ في العقائد.
وكذلك توحيد الله عندَ الماتُريديَّةِ ليس هو التوحيدُ الَّذي أَنْزَلَ اللهُ به كُتُبَهُ، وأرسلَ بهِ رُسُلَه، إذْ إنَّ مفهومَ توحيدِ الله عندَهُم: أنه -تعالى- واحدٌ في ذاتِه؛ لا قسيم له أو لا جزء له، وواحدٌ في صفاتِه؛ لا شبيهَ له، وواحدٌ في أفعاله؛ لا شريك له.
وقد اعتمدَتْ في إثباتِها لوجودِ الله -تعالى- على دليلِ حُدوثِ الأعراضِ والأجسامِ، وهذه الطريقةُ في الاستدلالِ طريقةٌ مُبتَدَعَةٌ باطلةٌ، وقد طَعَنَ فيها السَّلَفُ والأئمَّةُ وجمهورُ العقلاءِ من الفلاسفةِ والمُتَكلِّمينَ.
كما أنَّ الماتُريديَّةَ استدلَّتْ على وحدانيَّةِ الله بدليلِ التمانُع، وهو دليلٌ صحيحٌ على إثباتِ امتناعِ صُدُورِ العالَمِ عن اثنَيْن، ولكنَّ اعتقادَ الماتُريديَّةِ بأنَّ هذا الدليلَ هو المقصودُ بقولِه -تعالى-: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢] اعتقادٌ باطلٌ.
والماتُريديَّةُ تقولُ بوُجوبِ إثباتِ جميعِ أسماءِ الله، وأنَّ الأصلَ في ثُبوتِها السَّمْعُ، ولكنَّهُم لمْ يُفرِّقُوا بَيْنَ بابِ التسميةِ وبابِ الإخبارِ.
وَأَمَّا بالنِّسْبَةِ لمدلولاتِ الأسماءِ: فهُم إمَّا أنْ يَجْعَلُوا مدلولَ الاسمِ هو الذَّات، وهذا في اسم (الله) -فقط-، وَإمَّا أنْ يَكُونَ المدلولُ مأخوذًا عندَهُم باعتبارِ ما أثبَتُوهُ مِن الصِّفاتِ.
وتُعَدُّ (الماتُريديَّةُ) مِن (الصِّفاتيَّةِ)؛ وذلك لأنهم يُثبتونَ ثمانيَ صفاتٍ، وهي: القدرةُ، والعلمُ، والحياةُ، والإرادةُ، والسمعُ، والبصرُ، والكلامُ، والتكوينُ، وهُم خَصُّوا الإثباتَ بهذهِ الصفاتِ دونَ غيرِها؛ لأنَّ العقلَ دلَّ عليها عندهم دونَ غيرِها.
وتخصيصُهم هذه الصفاتِ دونَ غيرِها تخصيصٌ مِن غيرِ مُخَصِّص، ولا دليلَ عليه، لا مِن العقلِ ولا مِن النَّقلِ.
وقالتِ الماتُريديَّةُ بنفي جميعِ الصفاتِ الخبريَّةِ التي وَرَدَتْ في الكتابِ والسُّنَّةِ؛ وذلك لأنَّ مصدرَهُم في التلقِّي هو العقلُ، ولاعتقادِهم أنَّ إثباتَ هذه الصفاتِ على حقيقتِها يستلزِمُ التشبيهَ والتجسيمَ، واحتجُّوا لقولِهم هذا بشُبَهٍ فاسدةٍ.
وتَرى الماتُريديَّةُ أنَّ جميعَ صفاتِ الأفعالِ المتعدِّيَةِ ترجِعُ إلى صفةٍ واحدةٍ وهي التكوينُ، وقالوا إنَّ التكوينَ غيرُ المُكَوَّنِ، وأنهُ أزليٌّ لا يتجدَّدُ، ولا تَعلُّق له بالمشيئةِ والقُدرةِ. =

= وقولُهم بمغايَرَةِ التكوينِ للمُكوَّنِ حقٌّ وصوابٌ، وأمَّا نَفْيُهم لِتَجدُّدِ الفِعْلِ وتَعلُّقِه بالمشيئةِ والقُدرةِ باطلٌ تَرُدُّهُ الأدلَّةُ العقليَّةُ والنقليَّةُ.
وقد نَفَت الماتُريديَّةُ الصفاتِ الفعليَّةَ اللَّازمةَ؛ وذلك لأنَّ الأصلَ في ثُبوتها الخبر، ولأنَّها صفاتٌ اختياريَّةٌ، وهم يمنعونَ أنْ تقومَ بالله صفةٌ اختياريةٌ، حَذَرًا مِن التشبيهِ وفِرارًا منه، وقولُهم هذا باطلٌ عقلًا ونقلًا، كما بَسَطَهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ في أكثرَ مِن كتابٍ مِن كُتُبِه.
وقالتِ الماتُريديَّةُ في كلام الله: إنهُ معنى واحد، قديم أزلي، ليسَ له تعلُّقٌ بمشيئتِهِ -تعالى- وقُدرتِهِ، وأنه ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ، وأنه كلامٌ نفسيٌّ، وأنه لا يُسمعُ، إنَّما يُسْمَعُ ما هو عِبارَة عنه.
وقولُهم هذا لمْ يَدُلَّ عليه الكتابُ ولا السُّنَّةُ، ولمْ يَرِدْ عن أحدٍ مِن سَلَفِ هذه الأُمَّة.
وذَهَبَ جمهورُ الماتُريديَّةِ أنهُ لا دليلَ على صدقِ النبيِّ غير المعجزة؛ بِحُجَّةِ أنَّ المعجزةَ وحدَها التي تُفيدُ العلمَ اليقينيَّ بثبوتِ نُبُوَّةِ النبيِّ أو الرسولِ.
ولا رَيْبَ أنَّ المُعجزاتِ دليلٌ صحيحٌ لِتقريرِ نُبُوَّةِ الأنبياء، ولكنَّ القولَ بأنَّ نُبُوَّةَ الأنبياءِ لا تُعْرَفُ إلا بالمعجزاتِ؛ قولٌ غيرُ صحيح، بل هو باطلٌ عقلًا ونقلًا.
وتعريفُ الماتُريديَّةِ للمعجزةِ بأنها: أمْرٌ خارِقٌ للعادةِ مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة؛ تعريفٌ غيرُ منضبط، بل هو مضطربٌ وغيرُ مستقيم.
وكذلك قولُ الماتُريديَّةِ: بأنَّ جميعَ المسائلَ المتعلِّقة باليوم الآخر لا تُعلمُ إلا بالسمع؛ قولٌ غير صحيح؛ بدليل أنَّ العقلَ قد دل على اليوم الآخر، والسمعَ قد نبَّه على دلالة العقل.
والماتُريديّةُ تُثبت جميع المسائل المتعلقة باليوم الآخر؛ كنعيم القبر وعذابه، وأشراط الساعة... وذلك لاعتمادِهِمُ السمعَ كمصدر للتلقي فيما يتعلقِ باليوم الآخر.
وكذلك إثباتُ الماتُريديَّةِ للرؤيةِ مع نفي الجهة والمقابلة؛ قولٌ متناقض؛ فهم بقولهم هذا أثبتوا ما لا يُمكن رؤيتُه.
وملخَّصُ حقيقة قول الماتُريديّة في أفعال العباد: أنّ للعباد إرادةً غير مخلوقة، وهي مبدأ الفعل؛ فالعباد على مذهبهم يتصرفون بمبادئ أفعالهم باستقلال تام كما يشاؤون، وَخَلْقُ الله لأفعالهم إنّما هو تَبَعٌ لإرادتهم الجزئية غير المخلوقة.
ومذهب جمهور الماتُريديّة في الاستطاعة: أنها تقع على نوعين:
الأول: سلامة الأسباب والآلات وهي تتقدم الفعل.
والثاني: الاستطاعة التي يتهيأ بها الفعل، وتكون مع الفعل. =

.. المَذهب، أُسست على مَعصية الرَّسول، والتَّفرق في الدِّين، لا يَرضاها رَسول الله ﷺ، ولا الخلفاء الرَّاشدون المَهديون، ولا أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنَّ عَقيدة أبي حنيفةَ التي رَواها عنه الثقات؛ بَعيدةٌ كلَّ البعد مِن الماتريدية، والتَّقليد، والتَّفرق، ولكن «إذا لم تَستحي[1] فاصنع ....

= وقولهم هذا هو القول الصحيح في المسألة، وهو الذي قد دلت عليه الأدلة العقلية والنقلية.

وذهبت إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وقال بعضهم بأن التصديق بالقلب والإقرار باللسان، ومنعوا زيادته ونقصانه، وقالوا بتحريم الاستثناء فيه، كما أنهم قالوا بأن الإيمان والإسلام مترادفان ولا فرق بينهما.

ولا ريب أن القول الحق هو أن الإيمان: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويجوز الاستثناء فيه، والمقصود به عدم تزكية النفس، وأما الإسلام والإيمان فإنهما متلازمان: إذا اجتمعَا افترقَا، وإذا افترقَا اجتمعَا.

واختارت الماتُريديّة القول بصحة إيمان المقلِّد، مع الإثم على ترك النظر والاستدلال.

وقولهم هذا باطل؛ لأنه بُنِيَ على أصل باطل؛ وهو: أن النظر والاستدلال أصل الدين والإيمان.

وقول الماتُريديّة بأن مرتكب الكبيرة فاسق، وليس بكافر: حق وصواب، لكن زعمهم بأن الفسق ليس له أثر على الإيمان، فهو بلا ريب قول باطل ترده الأدلة الصحيحة، والحق أن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، لا يُعطى اسم الإيمان المطلق.

واعلم أنّ هناك توافقًا كبيرًا بين الماتُريديّة والأشاعرة، وسرُّ هذا التوافق أنّ كِلتا الفرقتين انبثقتَا مِن (الكلابية)، وما بينهما مِن خلاف فإنما يقع في مسائل معدودة.

والخلاف بين الماتُريديّة والمعتزلة خلاف كبير، ورغم هذا الخلاف فإن الماتُريديّة قد تأثرت بالمعتزلة، ووافقتها في عدة مسائل.

وأما أهل السُّنَّة والجماعة: يقولون في الماتُريديّة بالعدل وينصفونهم، ويعترفون بما معهم من الحق للمجتهد أو طالب الحق منهم، ويذمون الظالم والمتعصِّب ومَن كان متّبعًا للهوى.

(١) في بعض مصادر التخريج: «تستح» بحذف الياء، وما أثبتناه من الأصل، وهو كذلك في النسخ المعتمدة من «صحيح البخاري» وفي كتب المعتبرين من المحققين، والإثبات والحذف جائزان، لكل وجه، قال الجوهري في «الصحاح» (٥/ ٢٨٨ - مادة حي):=

ما شئت»[(١)]، وقل ما شئت.

[من الوافر]

إِذَا لَـمْ تَخْـشَ عَاقِبَـةَ اللَّيَالِـي ... وَلَـمْ تَسْـتَحْي فَاصْنَـعْ مَـا تَشَـاءُ
فَـلا وَاللهِ مَـا فِـي الدِّيـنِ خَيْـرٌ[(٢)] ... وَلا الدُّنْيَـا إِذَا ذَهَـبَ الحَيَـاءُ[(٣)]

فالماتريدية يَقولون: إنَّ الإيمان اعتقادٌ في القَلب لا يَدخل فيه القَول ولا العَمل. وأبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ يقول كما قالَ أهل السُّنة: إنَّ الإيمان قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعَملٌ بالجَوارح. هذا آخر قَوله، رَواهُ عنهُ الطحاوي[(٤)].

= «للعرب في هذا الحرف لغتان: يقال: استحيى فلان يَسْتَحي، بياء واحدة، واستحيا فلان يستحيي بياءين»، فمن حذفها أخذ بالأول، ومن أثبتها أخذ بالثاني، وحذف ياءَ بسبب الجزم، وبقيت الثانية.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٤٨٤)، وفي «الأدب المفرد» (١٣١٦)، ومن طريقه القضاعي في «مسند الشهاب» (١١٥٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٩٢)، وفي «الآداب» (١٨٤)، و«الشعب» (١٣/ ٧٣٣٨) عن أبي مسعود البدري، وفصَّلت في تخريجه في كتابي «بهجة المنتفع» (٣١٦-٣٣٢).

(٢) في «الديوان»: «العيش» بدل «الدين». (٣) لأبي تمام في «ديوانه» (٢/ ٣١١).

(٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٢/ ٤٦٢، ت الأرناؤوط).

الذي رواه الطحاوي عن أبي حنيفة وصاحبيه: «الإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان».

وقال في «الوصية» (ص ٢- مع «شرحها»): «الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان، والإقرار وحده لا يكون إيمانًا».

وفي «الفقه الأكبر» (ص ٣٠٤): «الإيمان هو الإقرار والتصديق».

واستدل أبو حنيفة على ذلك بقوله في «رسالته إلى عثمان البتِّي» (ص ٣٥): «إن النبي ﷺ دعا الناس إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من الله -تعالى-، وكان الداخل في الإسلام مؤمنًا بريئًا من الشرك، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك على أهل التصديق».

والأصرح منه قوله فيها (ص ٣٥): «فلم يكن المضيع للعمل مضيِّعًا للتصديق، وقد أصاب التصديق بغير عمل، ولو كان المضيع للعمل مضيِّعًا للتصديق لانتقل من اسم الإيمان وحرمته لتضييعه العمل». =

والماتريدية يَقولون: إنَّ الإيمان لا يَزيد ولا يَنقص[1]، فإيمان جبريل

= ولذا هو لا يرى الإيمان يزيد وينقص، نقل هذا عنه جماعات، وقال في «الوصية» (ص ٣ - مع «شرحها»): «والإيمان لا يزيد ولا ينقص».
ودعوى المصنف -غفر الله لي وله- بأن الإمام أبا حنيفة رجع عن هذا القول لا دليل عليه! وانظر للتفصيل: «أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة» (٣٥٣ - ٤١٣) للأخ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميِّس.

(١) بسبب أن الأعمال غير داخلة في مسمَّى (الإيمان)، والإيمان عندهم التصديق، والحاصل والصحيح أن الإيمان شرعًا: هو قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه.
والحاصل: إن أهلِ السنة يقولون: الإيمان يدخل فيه كل الأعمال الظاهرة والباطنة، ويشمل بذلك أصله الذي لا يصح بدونه كالتلفظ بالشهادتين، وإقرار القلب، والصلاة عند بعض أهل السنة، كما يشمل الإيمان الواجب كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وبر الوالدين، وغيرها من الواجبات، ويشمل -أيضًا- الإيمان المستحب كأداء النوافل، وكمال الأدب، وتحسين المعاشرة، والعفو، والصفح، وما إلى ذلك مِن المستحَبات، وكل ذلك يسمى إيمانًا.
وذهبت المرجئة مع اختلاف فِرَقها وتفاوت مقالاتها إلى أن العمل لا يَدخل في مسمى الإيمان، وبعض هؤلاء خلافه في الاسم والحُكم وهم عامة المرجئة، وبعضهم خلافه في الاسم فقط دون الحكم وهم مرجئة الفقهاء.
ومَن خالف في الحكم ذهب إلى أن المقصِّر في العمل لا يُذم ولا يُعاقب ولا يدخل النار، ومنهم مَن توقف في دخول العصاة النار، ويقولون: هو كامل الإيمان مِن غير عمل؛ بل مع فعل المعاصي والمنكرات.
والذين خالفوا في الاسم فقط ذهبوا إلى أن المُقصِّر في العمل يُذم ويُعاقب ويدخل النار إلا أنْ يعفو الله عنه، فهم موافقون لسائر أهل السنة في الحكم على صِحاب الذنب أنه مذموم ومُعرَّض للعقوبة وأنه تحت المشيئة يوم القيامة، ولكنهم قصَّروا حين قَصَرُوا اسم الإيمان على النطق بالشهادتين، وإقرار القلب وعمل القلب، ولم يجعلوا اسم الإيمان متناولًا لأعمالِ الجوارح، فالخلاف معهم في توسيع مدلول اسم الإيمان ليشمل أعمال الجَوارح كلَّها.
وقد ترتب على هذا الخلافِ الخلافُ في زيادة الإيمان ونقصانه، وقولهم بتساوي الناس في الإيمان، وخالفوا في مسألة الاستثناء في الإيمان -أيضًا-.
انظر: «مسألة التلازم بين الإيمان والعمل وموقف شيخ الإسلام» (ص ٩٩-١٠٠) للأخ فضيلة الشيخ الدكتور إسماعيل بن غصاب العدوي.

وإيمان الأنبياء وإيمان أبي بكر الصِّديق كإيمان أفسق النَّاس، وقد رَجع أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا القول.

والماتريدية يَقولون: إنَّ الله -تعالى- ليسَ فَوق عَرشهِ بذاته، وأبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُكفِّر مَن يَقول بهذا القول كما في «الفقه الأكبر»[١]، وغيرِه.

ولماذا يَحضر النَّبي ﷺ لتَدقيق الحساب؟! هل نَزلوا بالنَّبي ﷺ حتى جَعلوهُ حاسبًا لهم نَفقات المَدرسة؟! **وكَفى بهذا سُوءَ أدبٍ مَع النَّبي ﷺ**، ولا حَول ولا قوة إلا بالله، ماذا يَبلغ الجَهلُ والتَّقليد والتَّعصب بأهلهِ؟

ثم قالَ محمد أسلم[٢]:

وهذا نَص ما رَأى الشيخ قاسم النانتوي في منامهِ، فهو يَقول: أنا واقف على سَطح الكعبة، وجَرت الأنهار مِن عَشرة أصابع يَدي ورجلي، ثم انتشرت في أكناف العالم.

ورأى الشَّيخ شاه رَفيع الدِّين[٣] (المُهاجر إلى المدينة) -العَميد الثاني لدار العلوم ديوبند- في منامهِ أنَّه أُعطي مَفاتيح العلوم الدِّينية[٤].

---

(١) «الفقه الأكبر» (ص ١٣٥).

(فائدة): كتاب «الفقه الأكبر» غير ثابت النسبة للإمام أبي حنيفة، وفيه مسائل استجدت بعده، وهو من رواية أبي مطيع البلخي، وقال الذهبي في «العلو» (١٠١) لما ذَكر أبا مطيع البلخي: «صاحب كتاب «الفقه الأكبر»»، ونسبه له اللكنوي في «الفوائد البهية» (٦٨).

وإثبات أبي حنيفة لعلوّ الرب عَزَّوَجَلَّ ثابت عنه، ونقله أئمة الإسلام، انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٨)، «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٣٩)، «العلو» (١٠١ - ١٠٢) للذهبي، «العلو» (١١٦) لابن قدامة، «شرح الطحاوية» (ص١٩٥) لابن أبي العز، وغيرهم.

(٢) في بحثه «جماعة التبليغ» (ص ٦ - مرقوم).

(٣) ستأتي ترجمته.

(٤) «بيس برى مسلمان» (ص٢٩) ترتيب عبد الرشيد أرشد، مكتبة رشيدية لمتيد ٣٢ شاه عالم ماركيت، لاهور باكستان. (منه)

مِن بَعض أفكار الشَّيخ قاسم النانتوي (مُؤسس دار العلوم بديوبند):

فهو يَقول في كتابهِ «تَحذير النَّاس» (ص ٥): «إنَّ الأنبياء يمتازون بَين أُمتهم بعلمهم، أمَّا الأعمال ففي أكثر الأحيان يُساويهم أتباعهم في الظَّاهر، بل يَتفوقون عَليهم في العَمل.

وفي نَظر العامَّة معنى كَون الرَّسول ﷺ خاتمًا: إنَّ عَهده هو بَعد عهد الأنبياء السَّابقين، كَونه ﷺ في جَميعهم هو النَّبي الآخر، لكن يعرف أصحاب الفهم والبصيرة أنَّ التَّقدم والتَّأخر الزَّماني ليسَ فيه فَضيلة بالذات، فكيفَ يَصح في مَقام المَدح قَوله -تعالى-: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]؟»[١].

والجَماعة القاديانية تَسلك في مَعنى خاتم النَّبيين وشَرحه الذي نَقلناهُ عن الشَّيخ قاسم النانتوي[٢] قَريبًا مِن هذا المَسلك.

ولو فَرضنا وجود نَبي بعد عَصر النَّبي ﷺ فلا يَحصل مِن هذا أي فَرق في الخاتمية المحمدية[٣].

قالَ محمد تقي الدين: رؤيا الشَّيخ قاسم النانتوي لا تَدل إلا على سوء الأدب مَع الله ورَسوله، ومَع بيت الله -تعالى-؛ لأنَّ الصعود على البَيت غَير مَشروع، ولم يَفعله النَّبي ﷺ، وهذهِ الأنهار بماذا نُفسِّرها لو لم يَكن مُقلِّدًا ومُبتدعًا وطُرقيًّا؟ ولو كانَ مِن أهل الحَديث الحفاظ النبلاء الذين يُحدثون عَن رَسول الله ﷺ، وينورون القلوب بحَديثهِ، لأوَّلنا ذلكَ بعلم الكتاب والسُّنة، ولكن لا يُمكن ذلكَ، ولا يَتَّفق مَع حاله ومقاله، **فتلكَ أضغاث أحلام، وضَلالة وأوهام.**

---

(١) رسالة «تحذير الناس» (ص ٣)، رسالة «خاتم النبيين» كى بهترين معنى (ص ٤) قاديان (ص ٥). (منه)

(٢) «إفادة قاسمية» (١٦). (منه)

(٣) نفس المرجع (ص ٢٨). (منه)

وكذلكَ رؤيا الشَّيخ رَفيع الدِّين أنَّه أُعطي مَفاتيح علوم الدِّين، وهو ديوبندي مُقلِّد، وماتريدي مُتعصب.

وقد قالَ الحافظُ أبو عمر ابن عَبد البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قَصيدته التي يَذمُّ بها التَّقليد والمُقلِّدين، ذَكرها في «جامع بَيان العلم وفَضله»[1] له: [البحر الكامل]

لا فَـرْقَ بَيْـنَ مُقلِّـدٍ وَبَهِيمَـةٍ ... تَنْقَـادُ بَيْـنَ جَنَـادِلٍ[2] وَدَعَاثِـرِ[3]

تَبًّـا لِقَـاضٍ أَوْ لِمُفْـتٍ لا يَـرَى ... عِلَـلًا وَمَعْنًـى لِلْمَقَـالِ السَّـائِرِ[4]

---

(١) الأبيات فيه (٢/ ٩٨٨) رقم (١٨٨٣)، وهي في: «خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول» (ص ١٤٥)، «إيقاظ همم أولي الأبصار» (ص ٢٣٤ - بتحقيقي)، ونسبوها لابن عبد البر.

ونقلها المصنف في: «مختصر هدي الخليل» (٨٩ - ٩٠)، «سبيل الرشاد» (٣/ ١١٣ - ١١٤، بتحقيقي)، «العيون الزلالية» (فتوى رقم ٥٧٣ - بتحقيقي)، و«الحسام الماحق» (١٥٢ - ١٥٥، بتحقيقي)، وفي كثير من مقالاته، مثل: «أهل الحديث في الهند (١)» نشرت في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة الخامسة، العدد الأول، شعبان ١٣٩٣- سبتمبر ١٩٧٣م (ص ١٣- ٣٤) و«التمسك بالكتاب والسنة في تاريخ ملوك المغرب ونتائجه الحسنة» نشرت في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة العشرون، العدد الثاني والثالث، ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ - مارس ١٩٧٩م (ص ٥٠- ٥٥)، وشرحها فقال: «وأريد أن أشرح هذه الأبيات؛ لأن بعض القراء يَعسر عليه فهمُها...»، وذكرناه في الحواشي عقب كل بيت، وأثبتُّ بعد الشرح: (منه).

(٢) **الجنادل**: الموضع الذي تجتمع فيه الحجارة، انظر: «القاموس» (١٢٦٦).

(٣) **الدعاثر**: الأحواض المتهدِّمة المتلثمة، انظر: «القاموس» (٥٠٢).

يقول الحافظ: لا فرق بين بهيمة يقودها صاحبها حيث شاء، لا إرادة لها ولا علم لها أين يذهب بها؛ فكذلك المقلِّد الذي عجز عن معرفة الحكم، وعميت بصيرته عن استنباطه من أدلة الكتاب والسنة، فسأل غيره من أهل العلم، فأفتاه فأخذ الفتوى وعمل بها وهو جاهل بدليلها.

والجنادل: جمع جندل بفتح فسكون ففتح: هو ما يحمله الرجل من الحجارة، قاله في «القاموس»، والدَّعاثر: جمع دُعْثُور بحذف الياء، وهو المكان المحفور.(منه)

(٤) التَّبُّ والتَّباب: الهلاك، والمراد هنا: المفتي بلا دليل بل بمجرد التقليد، والقاضي الذي يصدر الأحكام في الدماء والأموال والفروج وهو لا يعلم دليلها.(منه)

فَإِذَا اقْتَدَيْتَ فَبِالْكِتَابِ وَسُنَّةِ الْـ ـمَبْعُوثِ بِالدِّينِ الْحَنِيفِ الطَّاهِرِ (١)
وَإِذَا الْخِلَافُ أَتَى فَدُونَكَ فَاجْتَهِدْ وَمَعَ الدَّلِيلِ فَمِلْ بِفَهمٍ حَاضِرِ (٢)
وَعَلَى الْأُصُولِ فَقِسْ فُرُوعَكَ لَا تَقِسْ فَرْعًا بِفَرْعٍ كَالْجَهُولِ الْحَائِرِ (٣)

---

(١) يقول: يجب عليك أيها المفتي أو القاضي ألا تفتي ولا تقضي إلا بدليل من الكتاب أو السنة أو منهما جميعًا.(منه)

(٢) في المصادر: «بفهم وافر»، يقول: وإذا اختلف الأئمة في مسألة؛ فابذل جهدك في ترجيح أحد القولين، أو الأقوال بالدليل لا بالتقليد والتعصُّب. (منه)

(٣) يقول: وإذا اضطررت إلى القياس عند فقدك نص القرآن أو السنة أو الإجماع؛ فقس الفروع على الأصول، والمراد بالأصول: آيات القرآن والأحاديث الصحيحة أو الحسنة، والمراد بالفروع: ما أفتى به أحد الأئمة بلا دليل، مثال ذلك: إخراج صدقة الفطر من الأرز في شرقي الهند وما بعده إلى الصين واليابان؛ فهو فرع، والأصل حديث ابن عمر عن النبي ﷺ؛ قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة. متفق عليه [أخرجه البخاري (١٥٠٣) ومسلم (٩٨٤)].

وعن أبي سعيد الخدري؛ قال: كنا نعطيها في زمن النبي ﷺ صاعًا من طعام أو صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير أو صاعًا من زبيب. متفق عليه [أخرجه البخاري (١٥٠٨) ومسلم (٩٨٥)]، وفي رواية [البخاري (١٥٠٦) ومسلم (٩٨٥)]: أو صاعًا من أقط. قال أبو سعيد: أما أنا؛ فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه في زمن رسول الله ﷺ [رواية مسلم]. ولأبي داود [(١٦١٨) ونحوها رواية مسلم (٩٨٥) من نفس الطريق]: لا أخرج أبدًا إلا صاعًا. والمراد بالطعام -هنا-: البُر. وقول أبي سعيد: «أما أنا؛ فلا أخرج إلا صاعًا» ردٌّ على من قال في أول عهد بني أمية أن نصف صاع من بر يعدل صاعًا من شعير، فقياس الأرز على هذه الأصناف في البلاد التي يكون غالب قوتها منه قياس فرع على أصل، فإن المراد بزكاة الفطر: إغناء المساكين عن الطواف على البيوت لسؤال الطعام، وفي البلاد التي تقدم ذكرها لا يغني المساكين ويشبعهم إلا الأرز، والأقط: هو اللبن المخيض مجففًا يابسًا، وشرح ذلك: إن اللبن (الحليب) إذا كثر عند أهل البادية يجعلونه رائبًا ثم يضعونه في الشكوة (وهي وعاء من جلد مدبوغ لا شعر فيه ولا صوف) يمخض فيها اللبن حتى تجتمع الزبدة فتخرج من اللبن، ويكون معدًّا للشرب، فإذا زاد عن الحاجة طبخ في قدر؛ فيتميز اللبن وينعقد ويخرج =

أمَّا زَعمه أنَّ أتباع الأنبياء يُساوون الأنبياء في العَمل بل يَفوقونهم؛ فهو مِن **الطَّوام الكبرى، والضَّلالات العظمى.**

وفي «الصَّحيح»(١): عَن أنس قالَ: جاءَ ثَلاثة رَهط إلى بيوت أزواج النَّبي ﷺ، يَسألون عن عبادة النَّبي ﷺ، فلمَّا أُخبروا بها كأنَّهم تَقالُّوها، وقالوا: أين نَحن مِن النَّبي ﷺ وقد غُفر لهُ ما تَقدَّم مِن ذَنبِهِ وما تأخر؟ قالَ أحدهم: أمَّا أنا فأُصلِّي اللَّيل أبدًا. وقالَ الآخرُ: وأنا أصوم الدَّهر ولا أُفطر. وقالَ الآخرُ: وأنا أعتزلُ النِّساء فلا أتزوج أبدًا. فجاءَ رَسول الله ﷺ إليهم، فقالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ! إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

فأنتَ تَرى: أنَّ هذا الحَديث حُجَّةٌ قاطعة على أنَّ النَّبي ﷺ سَيد وَلد آدم، وأفضل الأنبياء والرُّسل في العلم والعَمل، فكيفَ بغَيرهم؟ **فمَن زَعم أنَّه زادَ على عَمل النَّبي ﷺ فهو ضال فاسد الاعتقاد**؛ لأنَّ ما زادهُ يُبعده مِن الله، وهو في الحقيقة نقصان وخذلان، فإنَّ أقوالَ النَّبي ﷺ، وأفعالَه، وكلَّ حَركاته؛ عبادةٌ لا تساويها عبادة، **فكلامُ هذا القائل ضَلال وهَوس أُصيبَ بِهِ**، نَسأل الله العافية.

= ما يتولد منه من الماء؛ فذلك اللبن المتكتل هو الأقط، وإذا زاد عن الحاجة يوضع في الشمس حتى ييبس؛ فذلك هو الأقط المذكور في حديث أبي سعيد الخدري، وفي بادية نَجْد يقدمونه للضيف مع السمن المذاب؛ فيكون بدلًا من الخبز عندهم، وإنما يعيشون باللبن المخيض المنزوع الزبدة، حتى إذا جاءهم ضيف عزيز ذبحوا له شاة وطبخوا الأرز وجعلوه مع اللحم مشويًا أو مطبوخًا؛ فتلك الضيافة الكبرى عندهم، وهم أقوياء الأبدان، رأيت الشيوخ البالغين من العمر ستين سنة لا يرضون أن ينيخوا البعير ليركبوه؛ بل يثبون عليه وثبًا فيجلس أحدهم على ظهره.(منه)

وانظر له: «سبيل الرشاد» (١/ ٣٨٤- ٣٨٥، بتحقيقي).

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) في (كتاب النكاح): باب الترغيب في النكاح، ومسلم (١٤٠١) في (كتاب النكاح): باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة.

○ شكوى الشَّيخ النانتوي:

شَكا الشيخُ محمد قاسم النانتوي إلى حاجي إمداد الله[١] مُرشِدِهِ فقال: «كلَّما وَضعتُ السُّبحة في يَدي؛ أُبتليت بمُصيبة، وبَلغ الثقلُ بحَيث كأنَّه وُضع عليَّ أُحد، أو صخراتٌ كان وزن كل صَخرة مئاتَ الأطنان، ووَقف اللسان والقلب».

فقَالَ الحاج إمداد الله: «إنَّ هذا فيضان النبوة على قَلبك، وهذا هو الثِّقل الذي يُحسُّه النَّبي ﷺ وَقت الوَحي[٢]، فيستخدمك الله لعَمل كانَ يَفعله الأنبياء»[٣].

قالَ محمد تقي الدين: هذا الكلام خَبيث بَلغ في الضَّلال والكذب والاستخفاف بالأنبياء إلى حَدٍّ لا يَحتاج إلى تَعليق، فنَعوذ بالله مِن الخذلان.

○ مَسلك دار العلوم ديوبند:

إنَّ دار العلوم تَقول: إنَّها إسلاميةٌ دِينيًّا، ومِن أهل السَّنة والجماعة فرقةً، وحَنفيَّةٌ مَذهبًا، وصوفيَّةٌ مَشربًا، وأشعريَّةٌ عَقيدةً، وچشتيَّةٌ سلوكًا[٤].

---

(١) ستأتي ترجمته.

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢، ٣٢١٥) ومسلم (٢٣٣٣) إلى عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوَحْي؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أحيانًا يأتيني مثل صَلْصَلَة الجَرَس، وهو أشدُّهُ عَليَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وقد وَعَيْتُ عنهُ ما قال، وأحيانًا يتمثَّل لِيَ المَلَكُ رجُلًا، فيُكلِّمُني فأعِي ما يقول»**، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ولقد رأيته ينزل عليه الوَحْيُ في اليوم الشديد البرد، فَيُفْصَمُ عنه وإن جبينه لَيَتَفَصَّدُ عرقًا.

(٣) «سوانح قاسمي» (١/ ٢٥٨ - ٢٥٩). (منه)

قال أبو عبيدة: سقطت هذه الحاشية من «السراج المنير» في جميع طبعاته، ووضعت هنا بدلًا منها الحاشية الآتية، والمثبت من كتاب «جماعة التبليغ» (٦) لمحمد أسلم، فاقتضى التنويه.

(٤) «بيس بري مسلمان» (ص ٣٣). (منه)

قال أبو عبيدة: انظر الحاشية السابقة.

○ **مذهب جماعة التَّبليغ وديوبند:**

نَحنُ نَقول: مِن حيث الجَماعة إنَّ التقليد واجب وفَرض، وشروط الاجتهاد التي اشترطها السَّلف نَجدها مَفقودة في العلماء اليوم، وكذلكَ نَعتقد أنَّ التَّصوف الشَّرعي هو أقرب الطرق لإيجاد التَّعلُّق بالله، وحَلاوة الإيمان، والصِّفات الإيمانية، فلذلكَ أي رَجل، أو أي جَماعة تُخالفنا في هذين الأمرين، فإنَّها لَيست مِن جَماعتنا حَقًّا ويَقينًا(١).

قالَ أبو عمر ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في فساد التَّقليد، في كتابِهِ «جامع بَيان العلم وفَضله»، بسَندِهِ عن ابن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه كانَ يَقول: «اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَغْدُ إِمَّعَةً فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ»(٢).

---

(١) «جماعة التبليغ» (ص ٦-٧) نقلًا عن «الجماعة الإسلامية لمحة التفكير» (ص ١٦٧) للشيخ زكريا الكاندهلوي، وما بعده من كلام المصنف، **وفاته قول: «قال محمد تقي الدين» كالعادة.**

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٩٩)، وسعدان بن نصر في «جزئه» (رقم ١٤٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٨٨)، والخطيب في «التطفيل» (ص ٦٤ - ٦٥)، والحنائي في «فوائده» (رقم ١٠٦ - بتحقيقي)، وابن عبد البر في «الجامع» (١٤٥) و (١٨٧٤ - ١٨٧٦)، والبيهقي في «المدخل» (٣٧٨)، وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٦٨، ١٤٧) من طرق عن سفيان بن عيينة عن عاصم عن زر قال: قال ابن مسعود.

ورواه عن ابن مسعود جماعة، وهم:

أولًا: أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، رواه أبو بكر بن أبي شيبة (٨/ ٥٤١)، ووكيع في «الزهد» (٣/ ٨٢٩)، وأبو خيثمة في «العلم» (١)، وابن عبد البر في «الجامع» (١٣٩ و ١٤٧).

وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

ثانيًا: عبد الملك بن عمير، رواه الطبراني في «الكبير» (٨٧٥٢).

قال الهيثمي (١/ ١٢٢): «رجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الملك بن عمير لم يدرك ابن مسعود».

ثالثًا: سهل الفزاري، ولفظه: «اغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا ولا تكونن الرابع=

ثم قالَ بِسَندِهِ عَنِ ابن مسعود: «كُنَّا نَدْعُو الْإِمَّعَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الَّذِي يُدْعَى إِلَى الطَّعَامِ فَيَذْهَبُ مَعَهُ بِغَيْرِهِ، وَهُوَ فِيكُمُ الْيَوْمَ الْمُحْقِبُ(١) دِينَهُ ....

= فتهلك»، رواه أبو خيثمة في «العلم» (١١٦).

وسهل هذا مجهول، قاله الذهبي.

رابعًا: هارون بن رئاب، رواه الدارمي (١/ ٩٧)، والفسوي (٣/ ٣٩٩)، وابن عبد البر (١٤٦).

وهارون لم يسمع من ابن مسعود.

خامسًا: الحسن البصري، رواه وكيع في «زهده» (٥١٣)، والدارمي (١/ ٧٩)، والبيهقي في «المدخل» (٣٨٠)، وقال: وهو منقطع؛ لأن الحسن لم يسمع من ابن مسعود.

سادسًا: الضحاك بن مزاحم، رواه الدارمي -ومن طريقه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٦٣) -، بلفظ: «اغد عالمًا أو متعلمًا ولا خير في سواها»، والضحاك لم يسمع من ابن مسعود، وهو كثير الإرسال.

سابعًا: يحيى بن عبد الرحمن، رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (١/ ١٨٤) عنه بلفظ: «لا يكونن أحدكم إمعة»، قالو: وما الإمعة؟ قال: «يجري مع كل ريح».

ثامنًا: طرفة المسلي، رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٦٧)، وأبو داود في «الزهد» (رقم ١٤١).

تاسعًا: عبد الرحمن بن يزيد، رواه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٦٦ - ١٦٧ رقم ٨٧٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٦ - ١٣٧)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ١٢٤).

وهذه الطرق تؤكد أن له أصلًا عن ابن مسعود، والله أعلم.

(١) المُحْقِب، قال ابن الأثير في «النهاية» (١/ ٤١٢): «الذي يقلِّد دينه لكل أحد، أي: يجعل دينه تابعًا لدين غيره بلا حُجَّة ولا برهان ولا رَوِيَّة».

وقال أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٤٩-٥٠) -وذكر حديث عبدالله بن مسعود مختصرًا-: «لم يكره عبدالله من هذا الكينونة مع الجماعة، ولكن أصل الإمَّعة: هو الرجل الذي لا رأي له ولا عزم؛ فهو يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء، وكذلك الرجل الإمَّعة: هو الذي يوافق كل إنسان على ما يريد من أمره كله».

وقال الزمخشري في «الفائق» (١/ ٥٧): «الإمَّعة: الذي يتبع كل ناعق، ويقول لكل أحد: أنا معك، لأنه لا رأي له يرجع إليه».

(فائدة): بين الإمَّعة والطفيلي (بعض قضايا العربية). =

الرِّجَالَ»(١)، يَعني: المُقلد.

= كان لظهور الإسلام تأثير سريع في تطوير اللغة بما أضاف من اصطلاحات دينية، واجتماعية، وسياسية.
ومن باكورات هذا التطوير: كلمة «الإمَّعة»، وهو الرجل الضعيف الرأي المتهافت، الذي يقول لكل أحد: أنا معك، ولم يكن العرب قبل يعرفون الكلمة بهذا المعنى، وإنما يعرفونها بمعنى الرجل الذي يتبع الناس إلى موائد الطعام من غير أن يُدعى، ويروون في ذلك عن عبدالله بن مسعود قوله: «كنَّا في الجاهلية نعدُّ الإمَّعة الذي يتبع الناس إلى موائد الطعام مِن غير أن يُدعى، ألا وإنَّ الإمَّعة فيكم اليوم المُحْقِب الناس دينه»؛ أي: الذي كأنه يضع دينه في حقيبة غيره؛ فغيره هو الذي يوجهه في أمور دينه وتقلُّبات رأيه.
وتسميةُ مَن يتبع الناس إلى الطعام (الإمَّعَة) أقدمُ بلا ريب مِن تسمية (الطُفَيلِيّ)؛ لأن الإمَّعة كلمة جاهلية، يرادفها -أيضًا- كلمة (الوارش)، وهو الذي يدخل على القِوم في طعام لم يُدعَ إليه.
وأمَّا الطُفيلي؛ فهي كلمة إسلامية بلا ريب، ونسبتها إلى رجل كوفيّ من بني عبدالله ابن غطفان، كان طفيل الأعراس أو العرائس، واسمه طُفيل بن دلال، كان يأتي الولائم دون أن يُدعى إليها، وكان يقول: «لوددتُ أن الكوفة كلها بركة مصهرجة؛ فلا يخفى عليَّ شيء منها»؛ فكان العرب يقولون في أمثالهم: «أوغل من طفيل» و«أطمع من طفيل».
انظر: «كناشة النوادر» (ص ٤٣- ٤٤) لعبدالسلام هارون، و«جمهرة الأمثال» (٢/ ٣٥٠) للعسكري، كتابي «المروءة وخوارمها» (ص ١١١- ١١٢).

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٥٣/ رقم ٨٧٦٦)، والبزار في «البحر الزخَّار» (٥/ ٤٣٥/ رقم ٢٠٧١)، وأبو الشيخ في «ذكر الأقران» (رقم ٥٦) من طريق عمرو بن عبدالغفار عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله به.
وقال البزار: «وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه عن الأعمش عن أبي إسحاق بهذا الإسناد إلا عمرو بن عبدالغفار».
وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٥٦): «رواه كله الطبراني في «الكبير» بإسنادين، وكلاهما ضعيف».
وعمرو بن عبدالغفار، قال أبو حاتم: «متروك»، وقال العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٨٦): «منكر الحديث». =

ومَضى في ذَمِّ التَّقليد إلى أنْ قالَ في (صفحة ١٤٢ مِن الجزء الثاني)[١]:

«وقد احتجَّ جَماعة مِن الفقهاء وأهل النَّظر على مَن أجازَ التَّقليد بحجج نَظَرية عَقليَّة بَعد[٢] ما تَقدَّم، فأحسن ما رَأيت مِن ذلكَ: قَول المُزني[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنا أورده، قال:

يُقال لمَن حكم بالتَّقليد: هل لكَ مِن حُجَّة فيما حَكمتَ بهِ؟

فإنْ قال: نَعم. أبطل التَّقليد؛ لأنَّ الحُجَّة أوجبت ذلكَ عندهُ لا التَّقليد.

وإنْ قالَ: حَكمتُ فيه بغَير حُجَّة.

قيلَ له: فلِمَ أرَقْتَ الدِّماء، وأبحتَ الفُروج، وأتلفتَ الأموال، وقَد حَرَّم الله ذلكَ إلا بحُجَّة؟ قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ[٤] عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ [يونس: ٦٨] أي: مِن حُجَّة بهذا؟

قال: فإنْ قال: أنا أعلم أنِّي قد أصبتُ وإنْ لم أعرف الحُجَّة؛ لأني قَلَّدتُ كبيرًا مِن العلماء، وهو لا يَقول إلا بحُجَّة خَفِيت عليَّ.

قيلَ لهُ: إذا جازَ لكَ تَقليد مُعلِّمك مِن العلماء وهو لا يَقول إلا بحُجَّة

= وأخرجه سعدان في «جزئه» (رقم ١٤١) قال: حدثنا سفيان، عن عمَّار الدهني؛ قال: قال عبدالله: وهو فيكم اليوم المحقب الرجال دينه.

وله شاهد آخر من حديث أنس مرفوعًا نحوه، رواه النجم النسفي في «القَنْد في ذكر علماء سمرقند» (ص ٧٧/ رقم ١٠٤)، وإسناده ضعيف، بل واهٍ.

وذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٤١).

وله شواهد عن عددٍ من الصحابة -غير الذي ذكرناه- مرفوعًا وموقوفًا، وانظر: «المجالسة» (رقم١٨٩٣ - بتحقيقي).

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٩٢)، وبوَّب عليه صديق حسن خان في «الدين الخالص» (٤/ ١٦٠): (الحجج العقلية والنقلية على إبطال التقليد وذمِّه).

(٢) كذا في «الجامع»، ونقلها عنه بلفظ: «بغير» صديق حسن خان في «الدين الخالص» (٤/ ١٦٠) وصالح الفلاني في «إيقاظ همم أولي الأبصار» (٢٣٦ - بتحقيقي).

(٣) أسند الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٦٩ - ٧٠) قول المزني عنه.

(٤) في «الأصل»: «هل»!

خَفِيت عَليك؛ فقلِّد معلِّمَ مُعلِّمك؛ لأنَّه لا يَقول إلا بحُجَّة خَفيت على مُعلِّمك، كما لم يَقل مُعلِّمُك إلا بحُجَّة خَفِيت عَليك.

فإنْ قال: نعم. تَرك تَقليد مُعلِّمه إلى تَقليد مُعلِّم مُعلِّمه، وكذلكَ مَن هو أعلى، حتى يَنتهي الأمر إلى أصحاب رَسول الله ﷺ.

وإنْ أبى ذلكَ نَقَضَ قَوْلَه، وقيل له: كيف تُجوِّز تَقليدَ مَنْ هو أصغر منك، وأقل علمًا، ولا تُجوِّز تَقليدَ مَن هو أكبر وأكثر علمًا؟ وهذا مُتناقض[1].

فإنْ قال: لأنَّ مُعلمي -وإنْ كانَ أصغر- فقَد جَمَعَ عِلْم مَنْ هو فَوقه إلى علمهِ، فهو أبصر بما أخذ، وأعلم بما تَرك.

قيلَ لهُ: وكذلكَ مَن تَعَلَّمَ مِن مُعلِّمك فقد جَمع علم مَعلِّمك وعلم مَن فَوقه إلى علمهِ، فيَلزمك تَقليده وتَرك تَقليد مُعلِّمك، وكذلكَ أنتَ أوْلَى أنْ تُقلد نَفسك مِن مُعلِّمك؛ لأنَّك جَمعت علم مُعلِّمك وعلم مَن هو[2] فَوقه إلى عِلْمك، فإنْ أعادَ قَوله؛ جعل الأصغر ومَن يحدث مِن صغار العلماء أوْلَى بالتَّقليد مِن أصحاب رَسول الله ﷺ، وكذلكَ الصاحب عنده يَلزمه تَقليد التَّابع، والتَّابع مَن دونه في قياس قوله، والأعلى الأدنى أبدًا، **وكَفى بقول يؤول إلى هذا قبحًا وفَسادًا**».

قالَ محمد تقي الدين: وتَرديد المُقلِّدين كلمة الاجتهاد مُغالطة وجهل؛ فإنَّ الاجتهاد إنَّما يَكون في فَصل الخصومات إذا لم يُوجد نَص يجتهد الحاكم، ويَقضي بين الخصوم برأيهِ، ويَقول كما قالَ عَبد الله بن مَسعود: «إنْ كان صَوابًا فمِن الله، وإنْ كانَ خَطأ فَمِنِّي»[3].

---

(١) في «الجامع» ومن نقل عنه: «تناقض».

(٢) من «الجامع»، وسقط من «السراج المنير».

(٣) أورده ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٩١١/ ١٧١٢) عن ابن مسعود، ولم يسنده.
وأخرجه ابن حزم في «الإحكام» برقم (١٦٦٣ - بتحقيقي)، و«الصادع» برقم (٣١٤ - بتحقيقي) بسنده إلى النسائي -وهو عنده في «المجتبى» (٣٣٥٨): كتاب النكاح،=

وإذا تَبيَّن له بَعد ذلكَ أنَّه مُخطئ في حُكمِهِ، يَنقض ذلكَ، ويَحكم بالحَقِّ.

ومَسائلُ الاعتقاد والعبادات لا يَدخلها الاجتهاد إلا في تَرجيح أحد الأقوال على غَيره في الخلافيات؛ إذ لا يُعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالبدع، وإنَّما يُعبد بما شَرعه؛ وهو أقوال النَّبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، فمَن لم يَكن قاضيًا ولا مُفتيًا لا يَحتاج إلى الاجتهاد؛ بل يَتبع ما أنزل الله على رَسوله، وهو كافٍ شافٍ.

وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمِينَ عَلَى الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»(١).

= باب إبانة التزوج بغير صداق، و«الكبرى» (٣/ ٣١٧) - وابن حبان (٤١٠١)، والحاكم (٢/ ١٨٠)، والبيهقي (٧/ ٢٤٥) من طريق علي بن مُسْهر عن داود بن أبي هند عن الشَّعْبي عن عَلْقَمة عن ابن مسعود أنه أتوه ... فذكر الحديث فيمن مات ولم يفرض صداقًا لامرأته، فاختلفوا إليه شهرًا، ثم قالوا في آخر ذلك: مَنْ نسأل إذا لم نسألك، وأنت أخير أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال ابن مسعود: «سأقول فيها بجهدِ رأيي، فإن كان صوابًا فمن الله وحده، وإنْ يَكُنْ خطأً فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله بريء»، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٣٠١-٣٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٣١) من طريق داود بن أبي هند به.

وأخرجه عبدالرزاق (٦/ ٢٩٤، ٤٧٩)، وأحمد (٤/ ٢٧٩)، والترمذي (١١٤٥): كتاب النكاح، باب الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، والنسائي (٣٣٥٤، ٣٣٥٥): كتاب النكاح، باب إبانة التزوج بغير صداق، و«الكبرى» (١/ ٣٩٢)، من طريق علقمة عن ابن مسعود به.

وأخرجه أحمد (٤/ ٢٧٩) من طريق عبدالله بن عتبة عن ابن مسعود به.

قال ابن حزم على إثره: «**هذا أثر لا مَغمز فيه؛ لصحَّة إسناده**».

وقال ابن القيم في «الإعلام» (٢/ ١٠٧ - بتحقيقي): «**وصح عنه** -أي: ابن مسعود- في المفوِّضة أنه قال: أقول فيها...» وذكره مختصرًا.

(١) رواه البخاري (٧٣١١) في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة): باب قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون**» وهم أهل العلم، ومسلم (١٩٢١) في (كتاب الإمارة): باب قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم**»، من حديث المُغيرة بن شُعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فما يَقول دعاة التَّقليد في هذا الحَديث الصَّحيح؟ وبمَ يُفسِّرونه؟ هل الأُمَّة القائمة على الحَق تكون جاهلة مُقلِّدة؟ وكيفَ تَعلم أنَّها على الحَقّ؟ وكيفَ يَزعمون أنَّ الأُمة الإسلامية كلها جاهلة بكتاب الله وسُنة رَسول الله ﷺ، وليسَ فيها أحد يَعرف الوَحي؟ هذا هو الضَّلال البَعيد.

○ طعن الشَّيخ حسين أحمد الحَنفي الديوبندي[1] في شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رحمة الله عليه-:

قالَ في كتابِهِ «الشهاب الثاقب» (ص ٤٦[2]) ما مَعناهُ: «اعلموا أنَّ محمد

---

(١) هو الشيخ السيد حسين أحمد المدني الديوبندي، ابن حبيب الله، المعروف في ديار الهند بـ(شيخ الإسلام)، أصله من مديرية فيض آباد بولاية يوبي (الهند).
ولد سنة ١٢٩٦هـ ببلدة باكر مئو مديرية أناؤ (أترابراديش)، تلقى مبادئ العلوم في بلدة تاندة بمديرية فيض آباد، ثم التحق بجامعة ديوبند الإسلامية، وتعلم على أساتذتها البارعين، أمثال الشيخ الأديب ذو الفقار علي الديوبندي، والشيخ المحدث خليل حمد السهارنپوري، والشيخ المفتي عزيز الرحمن الديوبندي، وأخذ الفقه والحديث عن الشيخ العلّامة محمود حسن الديوبندي، ولازمه مدة طويلة إلى أن تخرج في الجامعة.
هاجر مع أسرته إلى الحجاز سنة ١٣١٦هـ، وأقام بالمدينة المنورة يدرِّسُ في المسجد النبوي الشريف إلى أن عاد إلى الهند عام ١٣٣٣هـ، وقد أسر الشريف حسين -أميرُ مكة- الشيخَ محمود حسن وأصحابه -ومنهم الشيخ-؛ في مكة المكرمة، على إيعاز من الحكومة الهندية الإنگليزية، حين سافروا إليها للحج، وأسلمهم إليها، فنقلتهم إلى مصر، ثم إلى مالطا حيث مكث سجينًا نحو ثلاث سنوات، ولما حمي وطيس حركة تحرير البلاد، خاضه بقوة وثبات، وألقى خطبًا مثيرة حماسية ضد الاستعمار، يجول في البلاد والأمصار، فحُبس مرارًا، وبالرغم من هذه الخدمات الوطنية والسياسية، اعتزل الشيخ بعد الاستقلال ولم يأخذ منصبًا، ولا وظيفة في الحكومة، وعكف على الدرس، والدعوة إلى الله، وقد أنعم عليه رئيس الجمهورية بلقب فخري يسمى بـ(بدم بهوشن)، فرفضه قائلًا: إنه لا ينسجم وطريقةَ أسلافه، وقد كان له الأثر الكبير في اجتماعات الدعوة والتبليغ العامة والخاصة.
له من الكتب: «نقش حيات»، و«الشهاب الثاقب»، وجمع تلاميذه دروسه لـ«سنن الترمذي»، وهي مطبوعة لم تتم، توفي سنة ١٣٧٧هـ بمدينة ديوبند، ودفن بها.
ترجمته في: «تاريخ جامعة دار العلوم/ ديوبند (بالأردية)» (٨٢-٨٤)، «نزهة الخواطر» (٨/ ١٢٦ - ١٣٢).

(٢) في جميع الطبعات: (ص ٦)! والصواب المثبت.

ابنَ عَبدالوهاب ظَهرَ أمره في أوائل القرن الثالث عَشر في نجد، وكانت لهُ عَقائد فاسدة، ونَظريات باطلة، فلذلكَ قتل وقاتل أهل السُّنة، وأجبرهم أنْ يطعنوا في عَقائده ونَظرياته، وكانَ يَستحلُّ نَهبَ أموالِهم، ويَظنُّ في قَتلهم أجرًا وثوابًا، سيما[1] أهل الحجاز؛ فإنَّه آذاهم أشدَّ الإيذاء، وكان يَسبُّ السَّلفَ الصَّالح، ويَأتي في شَأنهم بغاية سوء الأدب، وقد استشهد كثير منهم على يَده. والحاصل أنَّه ظالمٌ باغٍ سَفَّاكٌ فاسقٌ، ولذلكَ أبغضته العَرب أكثر مِن اليهود والنصارى... إلى آخر ما قالهُ مُترجمًا ومُلخصًا».

قالَ محمد تقي الدين: هذا كلامُ شَيطانٍ رَجيم، جاحِدٍ للحَقِّ، ناصرٍ للباطل، وقد أكذبه الله، وأظهر للناس جَميعًا مَخرقته، فبارك في دَعوة الشَّيخ محمد بن عبدالوهاب حتى انتصرت وشاعت وذاعت في كلِّ مَكانٍ، وهي مُطابقة لكتاب الله وسُنة رَسوله.

وزَعْمُه أنَّ دَعوة الشَّيخ كانَ فيها أذى لأهل الحجاز: كَذبٌ وزور[2]؛ فإنَّ أهل الحجاز هُم الذين مَنعوا أهل نَجد مِن الحَج اثنتي عَشرة سَنة إلى أنْ جاءَ نَصر الله، ووَقعت الحَرب بين أهل الحَق وأهل الباطل، فانهزم أهل الباطل

(١) قال أبو بكر الزبيديّ (ت٣٧٩هـ): «ويقولون: «فعلوا ذلك سيّما أخوك» فيسقطون لا، والصواب أن يقال: لاسيّما، وقد أولع بذلك كثير من الكتّاب والأدباء والشعراء، أنشدني إسماعيل بن القاسم لأبيه عن ابن الأعرابي عن صاحب له:

طُرْق بغداد أضيقُ الأرضِ طُرْقًا ... سِيّما بينَ قَصْرِها والرُّصافهْ

والصواب: لاسيّما ولاسيَما بالتشديد والتخفيف، ولا يجوز حذف (لا) البتة». «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» الصفدي (١/ ٦٧)، مقالة (**استعمال (سيما كذا) في لغة بعض المعاصرين**) د. فهد الخلف -مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، ومقرها العاصمة الرياض.

(٢) انظر في الرد عليه: «جماعة التبليغ، مفاهيم يجب أن تصحح» (١٨ – مرقوم) لحسن جناحي، «جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها» (٧– ٨)، «الموجز البليغ في التحذير من فرقة التبليغ» (١٨ – ١٩) لعبدالله بن مبارك القحطاني، «الماتريدية» (٣/ ٣١٣) لصديقنا الشمس الأفغاني رَحِمَهُ اللهُ.

فِي وَقتٍ قَصير جدًّا، وكانت الدَّولة لأهل التَّوحيد، **وهذا الأمر شاهدته أنا بنَفسي**، فإنْ كانَ هَدمُ القباب، والقَضاء على الأوثان فيه أذى للمُشركين؛ فلا زالوا في أذى؛ فإنَّ هدم القبور المَبنية، وإبطال عبادتها: هو الحَقّ الذي جاءَ بِهِ رَسول الله ﷺ.

عَن أبي الهياج الأسدي، قالَ: قالَ لي عَلي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بَعثني عَليه رَسول الله ﷺ؟ «**أَنْ لا**[1] **تدع قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ**»[2].

فإنْ قَتَلَ أتباعُ الشيخ محمد بن عبدالوهاب المشركين، وهدموا أوثانهم؛ فقد فعل ذلك رسول الله ﷺ[3]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وحَسبه خزيًا أنْ يُسجَّل عَليه هذا السبُّ الخَبيث لأهل العلم والإيمان، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢].

ثم قالَ محمد أسلم[4]: والحَقُّ أنَّ الأُستاذ حسين أحمد سَكن المَدينة سِنين عَديدة في زَمن المَلك حسين والأتراك، وقد عَرف عقيدةَ الإمام محمد بن عَبدالوهاب، و«كتاب التَّوحيد» للإمام محمد بن عبدالوهاب، وبَعضُ شروحه قد طُبعت مرارًا في الهند[5]، ووُزِّعتْ مَجانًا في مَكاتب الهند

(١) زيادة من «صحيح مسلم» المطبوع، وسقطت من جميع طبعات «السراج المنير».

(٢) رواه مسلم (٩٦٩) في (الجنائز): باب تسوية القبر.

(٣) رواه البخاري (٢٤٧٨) في (كتاب المظالم والغصب): باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تخرق الزقاق، فإن كسر صنمًا، أو صليبًا، أو طنبورًا، أو ما لا ينتفع بخشبه، ومسلم (١٧٨١) في (كتاب الجهاد والسير): باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، من حديث عبد الله بن مسعود.

(٤) في «جماعة التبليغ» (٧ – ٨).

(٥) طبعت كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في وقت مبكر في الهند، وقد ترجمها بعض الطلاب إلى الأردية في ١٩/ ٣/ ١٢٢٩هـ، انظر: «النجديون في الهند» (١٠٦) للبحاثة =

ومَدارسها، وقد عَمَّت دراسة عَقائد علماء نَجد وتَصانيفهم وتاريخ ملوكهم قَبل ذلكَ بسنين، وكتاب «ملوك العرب»[1] لأمين الريحاني، وكتاب «حاضر العالم الإسلامي»[2] التَّرجمة العربية مِن الأمير شكيب أرسلان مع «حَواشيه» المُفيدة العلمية، طُبع وعَمَّ حتى لم تَخلُ منه مَكتبةٌ في الهند ولا باكستان، فاعتذارُ بَعض النَّاس: أنَّ الأستاذ حسين أحمد لم يَعرف عَقائد أهل نجد، ولم يَطلع على نَظرياتهم؛ **عذرٌ لا يُعبأ به، ولا يُعوَّل عَليه**، بل الأستاذ خافَ مِن أهل البدعة والشِّرك البريلويين[3]، وارتعش أنْ ينسبه النَّاس إلى الوَهابيَّة؛ فسَبَّ

= الشيخ إبراهيم بن عبدالله المديهش، «علماء أهل الحديث في الهند، موقفهم من دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب والدولة السعودية» (ص ٣٣) للشيخ أبي المكرم بن عبدالجليل.

ومِن الشروح التي طُبعت قديمًا لكتاب «التوحيد»: كتابُ «فتح المجيد»، طبع باعتناء أبي الليث عبدالقدوس في أمرتسر سنة ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م في (١٦١) صفحة، طبع الحجر، و«فتح المجيد» طبع في دهلي سنة ١٣١١هـ - ١٨٩٤م في (٢٩٢) صفحة، طبع الحجر.

انظر عن طبعهما وكذا طبع كتاب «التوحيد» في الهند: «معجم المطبوعات الهندية» (ص ١١٩، ٢٨٠، ٤٠٠)، «الرسالة الغزنوية» (٤٧، ٤٩، ٦١، ٦٤ - ٦٥، ٦٦ - ٦٩، ٧٧ - ٨٠، ٩٣)، ومشاهداتي في كتابي «الرحلة الهندية»، وما زال في المسودات.

(١) طبع في ثلاثة أجزاء، وهو «رحلة في البلاد العربية» تشتمل على مقدمة وثمانية أجزاء، ولا ذكر للشيخ محمد بن عبدالوهاب فيه، وطبع في بيروت سنة ١٩٥١م.

(٢) هو من تأليف لوثرب ستودارد الأمريكي (ت ١٩٥٠م)، وتعريب عجاج نويهض، وقدَّم له وعلَّق عليه الأمير شكيب أرسلان، ومطبوع في مجلدين، أربعة أجزاء، طبع لأول مرة عن المطبعة السلفية سنة ١٩٢٥م، والكتاب مهم، ولكن ليس فيه عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٣) **الأحناف ينقسمون في الهند وباكستان إلى فرقتين:** ديوبندية وبريلوية، وجماعة التبليغ مع مؤسسها ومشايخها تتعلق بفرقة ديوبندية!

والبريلوية: هي فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي في ولاية أوتَّرابراديش بالهند أيام الاستعمار البريطاني، مؤسس هذه الفِرقة أحمد رضاخان (١٢٧٢ - ١٣٤٠هـ) يوافق (١٨٦٥ - ١٩٢١م)، وسمَّى نفسه عبدالمصطفى، وُلد=

الإمام وعلماء نجد، ونَسب إليهم ما ليسَ فيهم، أعاذنا الله مِن الجبن وسُوء المُنقلب.

ومِن العَجائب: أنَّ الأستاذ حسين أحمد قلما يَذكر في كتابه «الشهاب الثاقب» أهل التَّوحيد والسُّنة دون أنْ يَطعن فيهم بالوَهابية، وقلما يَذكرهم إلا ويَصفهم بالوَهابية الخَبيثة[1]، وما ذكرهم في هذا الكتاب إلا ونَسبهم إلى الخبث.

وذَكرَ الفَرْقَ بين الديوبندية والوَهابية، فذَكر: إنَّا نَتوسل بالأنبياء؛ بل برجال شجرة أهل التَّصوف كالچشتية والنقشبندية، وما سواهما مِن مشايخ السلاسل، ويَقول: والوَهابية لا يَتوسلون!

وذكرَ: إنَّ الأنبياء **عندنا أحياء حَياة حقيقية غَير برزخية، بل سَعيُه أنَّه يَمد باعه إلى البريلوية، ويلقي عليهم إلقاءَ يَقينٍ أنَّ الديوبندية والبريلوية سَواءٌ في تلكَ المَسائل، والوَهَّابية الخَبيثة مُخالفون لنا في ذلكَ.**

يقول: محمد بن عَبد الوهاب النَّجدي وأتباعه يَعتقدون إلى الآن أنَّ حَياة

= في بريلي بولاية أوتَّرابراديش، وتتلمذ على الميرزا غلام قادر بيك.
اشتهرت هذه الفرقة بمحبة وتقديس الأنبياء والأولياء بعامة، والنبي ﷺ بخاصة، ونشأت شديدة الانحراف عن الإسلام، ولعله لن يمضي وقت طويل حتى ينسى أتباعها أنهم أتباع طريقة صوفية، وتغدو ديانة جديدة مستقلة، والتشيع فيها واضح، كما انتقلت إليهم عقائد المتصوفة والقبوريين وشركياتهم ونظرياتهم في الحلول والوحدة والاتحاد حتى صارت هذه الأمور جزءًا من معتقداتهم.
انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (١/ ٢٩٨)، «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٨١١) لمحمود عبدالرؤوف قاسم، وينظر للاستزادة كتاب «البريلوية عقائد وتاريخ» لإحسان إلهي ظهير ط ١ سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، طبع إدارة ترجمان السنة - لاهور/ باكستان.

(١) انظر: «الشهاب» (ص ٥٩ سطر ٢٠ وص ٦٠ سطر ١٤ وص ٦١ سطر ٣). (منه)
قال أبو عبيدة: في جميع طبعات «السراج المنير» (ص ٢٠ وص ٢١) بدل (ص ٦٠ وص ٦١).

الأنبياء كانَت في المُدَّةِ التي قَضوها في الدُّنيا، وبَعد ذلكَ هم وأتباعهم سَواء في المَوت[١].

وقد يُسمع مِن العَرب مَرات أنَّهم يَمنعون مِن القَول بـ(الصَّلاة والسَّلام عليكَ يا رَسول الله)، مَنعًا باتًا، ويُنفرون مِن أهل الحَرمين، ويَستهزئون بهم ويَسخرون منهم[٢].

والوَهابية النَّجدية يَعتقدون ويُنادون على مَرأى ومَسمع أنَّ القَولَ: (يا رَسول الله) عبادةٌ لغَير الله، هذا شِرك[٣].

الوَهابية الخَبيثة تَرى أنَّ الإكثارَ مِن الصَّلاة والسَّلام على النَّبي ﷺ خَيرِ الأنام، وقراءةَ «دَلائل الخَيرات»، و«قَصيدة البردة»، و«القَصيدة الهمزية»، وجَعلَها وردًا: أمرٌ قَبيحٌ ومَكروه جدًّا[٤].

والوَهابية يضيقون نطاق الشَّفاعة إلى حَدٍّ يُوصلونها إلى مَنزلة عامَّة، وهم يَعتقَدون أنَّ النَّبيَّ ﷺ ليسَ لهُ أيُّ نَصيب مِن العلوم الباطنية والأسرار الخَفيَّة، إلا أحكام الشَّريعة.

والوَهابية يَعتقدون أنَّ نَفس ذِكر ولادة النَّبي ﷺ أمرٌ قَبيح وبدعة؛ وقياسًا على هذا يَرون أذكار[٥] الأولياء أمرًا قَبيحًا[٦].

قالَ محمد تَقي الدين: إنْ كانَ حسين أحمد سَكن في المَدينة سِنين عَديدة؛

---

(١) «الشهاب الثاقب» (ص ٤٥).(منه)

قال أبو عبيدة: وُضعت هذه الحاشية في طبعات «السراج المنير» للتي بعدها، وحذفت من هنا.

(٢) «الشهاب الثاقب» (ص ٦٥).(منه) (٣) «الشهاب الثاقب» (ص ٦٥).(منه)

(٤) «الشهاب الثاقب» (ص ٦٧).(منه)

قال أبو عبيدة: في طبعات «السراج المنير»: (٦٥)! والتصويب من «جماعة التبليغ».

(٥) بدلها في جميع طبعات «السراج المنير»: (إنكار)، والتصويب من «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص ٨)، والموطن الآتي (ص٣٢٧).

(٦) «الشهاب الثاقب» (ص ٦٧). (منه)

فقد سَكنَ فيها عَبدُ الله بن أبيّ وأصحابُه مِن قبله!

قالَ محمد تَقي الدِّين: المُبتدعون يَتوسلون بالذوات(١)، وتَوسلهم فاسد، والمُوحِّدون يَتوسلون إلى الله -تعالى- بأسمائِه الحُسنى وصفاتِهِ العُليا، وبمَحبَّتهم واتباعهم لرَسولِهِ الكريم، ونَصرهم لشَريعتِهِ، وتَمسكهم بسُنته، **وهذا هو التَّوسل الصَّحيح الذي عَلمنا إياهُ رَسولُ الله ﷺ حين حَكى لنا قصة أصحاب الغار**، وتَوسل كل واحد مِن الثَّلاثة بعَملِهِ؛ **فالأوَّل:** تَوسل إلى الله ببر

---

(١) وجدتُ في «دفتر الهلالي» الخاص ما نصه:

«**مناظرة بين الشيخ مولاي أحمد بن المأمون البلغيثي وتقي الدين الهلالي:**

فوق سطح السفينة (قنا) في اليوم الثاني من ذي الحجة سنة (١٣٤٥) وقعت مناظرةٌ **بيني وبين الشيخ مولاي أحمد بن المأمون البلغيثي -من كبار العلماء بالمغرب- في مسألة التوسل بالمخلوق، فاحتجَّ بحجَّةٍ نظريَّةٍ ملخَّصُها:**

«إن المتصرِّف من الحيِّ هو الرُّوح، والجسد إنما هو آلةٌ تستعين به على بعض أغراضها، لأنَّ الروحَ عالمةٌ قبل دخولها في الجسد، بدليل خطابها بـ﴿أَلَسْتُ ...﴾ إلخ وجوابها بـ﴿بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وهذا تصرُّفٌ منها، ثم دخلت في الجسد، فمكثت متصرِّفةً على ضعفٍ حصل لها بكثافة الجسد، فلو تجرَّدت منه عادت إلى قوَّتها وتصرُّفها، وإذا كانت متصرِّفةً فما المانع طلب الدعاء منها؟ فمن يجيزُ طلب الدعاء من الحيِّ يلزمه أن يجيزَه من الميت، بل الميت أولى؛ لتجرُّد روحه من التراب وقربها من ربِّ الأرباب».

جوابه:

إن تصرُّف الروح في البرزخ غير تصرُّفه منه على ما ورد، إيمانًا بالغيب.

سلَّمنا أنها تتصرَّف كالحيِّ؛ فأين نجدها حتى نسأل منها الدعاء؟ لأنها إمَّا في الجنة، أو في السَّعير، أو فيما شاء الله، ممَّا لا نقدر على وصوله وهي لا تعلم الغيب، ولا تسمع مُخاطِبَها أينما كان.

هَبْ أننا وجدناها وأحسسنا بها، فجواز طلبنا منها الدُّعاء يتوقَّف على إذنٍ شرعيٍّ، والإذن في طلب الدعاء من المؤمن إنما ورد في الحيِّ، فيقتصر عليه، وليس المحلُّ محلَّ قياس.

سلَّمْنا أنه محلُّ قياس؛ فقياس الميت على الحيِّ قياسٌ مع الفوارق، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ٢٢]. اهـ».

الوالدين، **والثاني**: تَوسل إلى الله بالتَّعفف عن الزِّنا، **والثالث**: تَوسل إلى الله -تعالى- بالإحسان إلى الأجير، وهذا الحَديث ثابتٌ في «الصَّحيحين»[(١)]، مِن رواية عبد الله بن عمر.

وشَجرة أهل التَّصوف لا وجود لها في الكتاب والسُّنة، ولا في سِير الصَّحابة والتَّابعين، والأئمة المُجتهدين، فهي شَجرة الزقوم طَعام الأثيم، إلا مَن وَحَّدَ الله منهم، واتَّبع الرَّسول ﷺ، فعَسى أنْ يغفر له اختراع هذا الاسم المُبتدَع.

وقولُه: «إنَّ الأنبياء -عندهُ- أحياء حَياة حَقيقية غَير بَرزخية».

كذبٌ وبُهتان، لم يَقله أحدٌ قَبله، لأنَّ الحَياة حَياتان لا ثالثة لهما، إلا حياة أهل الجنَّة، فالحَياة الدنيوية مُضادة للمَوت، والحياة البرزخية تَجتمع مع مَوت الجَسد؛ لأنَّها حَياة روحية[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٢٢١٥، ٢٢٧٢، ٢٣٣٣، ٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).
وله ألفاظ وطرق كثيرة، ذكرها أبو سعيد النقاش في كتابه «فنون العجائب» (رقم ٣٥ - ٤٨، بتحقيقي)، فلتنظر.

(٢) للقول بأن النبي ﷺ له حياة حقيقية بعد موته محاذيرِ كثيرة، بيَّنها غيرُ واحد مِن العلماء؛ منهم: أبو العباس القرطبي في «المُفهم لما أشكل مِن تلخيص مسلم» (٦/ ٢٢ - ٢٣)، قال: «وهو قولٌ يُدرَك فساده بأوائل العقول؛ فإنَّه يلزم عليه ألا يراه أحدٌ إلا على صورته التي توفي عليها، ويلزم عليه ألا يراه رائيان في وقتٍ واحد في مكانين، ويلزم عليه أن يحيا الآن، ويخرج من قبره، ويمشي في النَّاس، ويخاطبهم، ويخاطبونه كحالته الأولى التي كان عليها، ويخلو قبره عنه، وعن جسده، فلا يبقى منه فيه شيءٌ يُزار غير جدثٍ، ويُسلَّم على غائب؛ لأنَّه يُرى في الليل والنَّهار مع اتصال الأوقات على حقيقته، في غير قبره؛ **وهذه جهالاتٌ لا يبوء بالتزام شيءٍ منها مَن له أدنى مُسكةٍ مِن المعقول، وملتزِمُ شيءٍ مِن ذلك؛ مُختلٌّ مَخبول**».
وكلامه هذا نقله عنه وأقره جمع؛ منهم: الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٤/ ٤١٢)، والقسطلاني في «المواهب اللدنية» (٢/ ٦٧٣)، والمناويُّ في «الفيض» (٦/ ١٧٣)، وقارن بكلام العيني في «عمدة القاري» (١٦/ ٢٨٠ - ٢٨١).
وأما احتجاج القائلين بالرؤية يقظةً بحديث: «**مَن رَآنِي فِي المَنَام فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ**»؛ فلا حجة فيه حين التدبر، والمقصود من الحديث: أنه سيراني يوم القيامة=

أمَّا حَياة أهل الجنَّة فهي أفضل مِن الحياتين السَّابقتين، لا مَوت فيها، ولا مَرض، ولا حزن، وقَد زادَ هذا الدَّجالُ حَياة رابعة لا وجود لها إلا في خيالِهِ الفاسد، وهو الذي أفتى في الهند بأنَّ استقلال باكستان غير جائز شَرعًا[1]، يَعني: في شَرع الشَّيطان، يُريد أنْ يَبقى المُسلمون في الهند تَحت حُكم أعدائهم الوَثنيين، هذا هو الشَّرع عنده، وكل ذلكَ فَعلهُ تَملُّقًا وخضوعًا للوَثنيين، وطَعنًا في المُسلمين، فيقالُ لهُ: [من الكامل]

يَا لَيتَ لِي مِنْ جِلدِ وَجْهِكَ رُقعة ... فأقُـدَّ مِنْهَـا حَافِـرًا للأَدْهَـمِ[2]

= رؤيا خاصة في القرب منه، أو: من رآني في المنام فسيراني في اليقظة يوم القيامة، ولا يشترط أن تكون الرؤية خاصَّة، ولهذا قال الدماميني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه على البخاري» (١٠/ ٥٦): «وهذه بشارة لرائيه أنه يموت على الإسلام؛ لأنه لا يراه في القيامة إلا مَن تحقَّق منه الوفاة على الإسلام».

وانظر: «فتح الباري» (١٤/ ٤١٣)، و«فيض القدير» (٦/ ١٧٢)، و«الصواعق المرسلة الشهابية» (٩٨ - ٩٩)، وكتابي «المقدمات الممهدات السلفيات في تفسير الرؤى والمنامات» (ص٢٨٤ - ٢٩٠) -فهو (مهم)-، وقارن بـ«القول البليغ» (١١٢ - ١١٣) للتويجري.

وقال ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (٣٤٨ - ٣٤٩، ط العلمية): «قد أشكل على الناس رؤية النبي ﷺ في ظاهر الحديث أنه يراه حقيقة، وفي الناس مَن يراه شيخًا وشابًّا ومريضًا ومعافًى! **فالجواب:**

إنه من ظنَّ أن جسد رسول الله ﷺ المودع في المدينة خرج من القبر، وحضر في المكان الذي رآه فيه؛ **فهذا جهلٌ لا جهل يشبهه**، فقد يراه في وقتٍ واحد ألف شخص في ألف مكان على صورٍ مختلفة، فكيف يُتصوَّر هذا في شخصٍ واحد؟ وإنما الذي يُرى مثاله لا شخصه، فيبقى معنى «**من رآني فقد رآني**» أي: رأى مثالي الذي يعرفه الصواب وتحصل به الفائدة المطلوبة» اهـ.

(١) اختلفت وجهات نظر العلماء إبَّان استقلال باكستان عن الهند، ورأى المصنف الاستقلال، والأمر قائم على تحقيق المصالح والمفاسد، وبسطتُ هذا في كتابي «رحلات تقي الدين الهلالي إلى الهند وأفغانستان» (١/ ١٤٩ - ١٥٢)، وشرحت فيه وجهة نظر المصنف مِن مقالاته.

(٢) لأبي العِبْرِ، أسنده الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٣٢) عنه. =

أفيكفر بقولِهِ -تعالى-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وقوله -تعالى-: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ويُكذِّب أبا بكر الصِّديق في قولِهِ: «مَن كانَ يَعبد محمدًا، فإنَّ محمدًا قد مات، ومَن كانَ يَعبد الله، فإنَّ الله حَيٌّ لا يَموت»[١].

ويقول -تعالى-: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

ويقوله -تعالى-: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

أم يُكذِّب الآيات كعادتِهِ في خَبطه خبط عشواء في ليلة ظَلماء؟

وأمَّا قوله: «إنَّ العَرب يَمنعون مِن قَوله: الصَّلاة عليكَ يا رَسول الله».

فإنَّ الله -تَعالى- لمَّا أنزل قَوله -تعالى- في (سُورة الأحزاب) [٥٦]: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قالَ لهُ أصحابه: إنَّ الله أمرنا أنْ نُصلِّي عَليك، فكيفَ نُصلِّي عَليك؟ فقال: **«قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَمَّا السَّلَامُ فَقَدْ عَرفتُمُوه»**[٢]. يَعني: في التَّشهد، وهو: (السَّلام

= وكذا في: «الدر الفريد» (١١/ ٢٩٤)، «غرر الخصائص الواضحة» (٧١)، «الصناعتين» (٢٥٥).

ولابن المعتز في «الصناعتين» (٣٩٩) وقافيته: «للأشهب» بدل «للأدهم».

وبلا نسبة في: «محاضرات الأدباء» (١/ ٣٥٠)، «التذكرة الحمدونية» (٢/ ٢٥٣)، «غرر الخصائص» (٧١).

(١) أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز): باب الدخول على الميت إذا أدرج في أكفانه رقم (١٢٤٢).

(٢) ورد عن عدد من الصحابة: منهم: أبو حميد الساعدي، أخرجه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧). =

عليكَ أيها النَّبي ورَحمة الله وبَركاته)، أي: أخصُّك بالسَّلام أيها النَّبي، **فهذا** مِن باب الاختصاص لا مِن باب النِّداء، **فهذهِ الصَّلاة والسَّلام المَشروعان عند المُوحِّدين، ويلكَ يا مُشرك فإذا لم يَكن يا رَسول الله عبادة، فأين العبادة؟** فإذا قلت: يا الله ارحمني، فقد عبدت الله، وإذا قلت: يا رسول الله أغثني، فقد عبدت الرَّسول وكَفرت بالله، والرَّسول بَريءٌ منكَ.

أمَّا دَلائل الجهالاتِ والضَّلالات الذي سَمَّيته: «دَلائل الخَيرات»[1] ...

= ومن حديث كعب بن عجرة، رواه البخاري (٣٣٧٠) في (الأنبياء): باب (١٠) و(٤٧٩٧) في (التفسير): باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، و (٦٣٥٧) في (الدعوات)، ومسلم (٤٠٦) في (الصلاة): باب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد.

وورد عن غيرهم، وساق أحاديثهم ابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص ٦٥ - ٢٣٣)، وخرجتها في تعليقي عليه، والحمد لله على آلائه ونعمائه.

(١) كشف غير واحد من العلماء الطامات والبلايا التي في «دلائل الخيرات»؛ كقول الجزولي (ص١٠٨): «اللهم صل على محمد... ما نفعت التمائم»! وقوله: «حيث كنت لا يعلم أحد حيث كنت إلا أنت»! وقوله: «وأسألك اللهم بالأسماء المكتوبة في جبهة إسرافيل... وفي جبهة جبريل والملائكة المقربين... المكتوبة حول العرش... وحول الكرسي، وأسألك بالاسم المكتوب على ورق الزيتون»!

وأما التوسلات البدعية، والصلوات المخترعة، والعبارات التي فيها غلو؛ فالكتاب مشحون فيها، فكن على حذر منها!

ولشيخنا عبدالمحسن العباد في كتابه «الرد على البوطي» تنبيهات مفيدة حول ذلك؛ فلتكن على بالك.

وللشيخ خير الدين وانلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه «دلائل الخيرات وسبيل الجنات» (ص٢٥١-٢٦٦) بيان الطامات في هذا الكتاب، وعنه الشيخ محمود مهدي الإستانبولي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «كتب ليست من الإسلام» (٢٩ - ٤٨)، وأخونا الشيخ علي الحلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ملحق آخر تحقيقه «أجوبة المسائل الثمان» (ص١١٣ - ١٣٤) للشيخ محمد سلطان المعصومي، وسماه «كشف الترهات الواقعة في دلائل الخيرات».

وألَّف الشيخ عبدالله الدويِّش كتابًا مطبوعًا اسمه «الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات»، ولأخينا فضيلة الشيخ محمد المغراوي كتاب مطبوع جيِّد اسمه=

....

= «وقفات مع الكتاب المسمَّى «دلائل الخيرات» وما صحَّ عن النبيِّ ﷺ في الصلاة عليه من «دلائل الخيرات»».

ولعبدالله الغماري مقالة في كتابه «خواطر دينية» (١٦١ - ١٦٢) عن انتشار هذا الكتاب، وأنه سار مسير الشمس!!

قلت: فاحذر منه، والذي تولَّى نشر هذا الكتاب الحاجُّ عبدالهادي الديوري المغربي، فوجدتُ في «مذكراته» (ص ٤٥): «ولقد كنتُ على اتصال بعبدالعزيز السِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي كان بالسنگال، وكنتُ أزوده كل مرة بالكتب، ومنها على الأخص: «دلائل الخيرات»، و«الدعاء المستجاب»، وباقي الكتب المترجمة الأخرى: كالقرآن، وكتب سيدي عبدالعزيز بن عبدالله -أي: الغُماري-؛ بل إنني لم أنقطع عن تزويدهم بالكتب هناك حتى بعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما وقفتُ على طبع ما يربو عن (٢٠٠,٠٠٠) نسخة من «دلائل الخيرات»، فقد ألِفْنا أن نطبع كل مرة (٥٠٠٠) أو (١٠٠٠٠) نسخة، على حسب الإمكانيات، ومن جملة أنشطتي أنَّه قد سبق لي أن أتيت بأول كتاب وهو «الدعاء المستجاب»، وذلك منذ ٣٥ سنة خلت، وقد أخذته من العالِم السعودي (!!) أحمد عبدالجواد، فهو له رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد بدأت بنشر كتبه كلما استحال عليه نشرها هناك، ثم زاولت هذا العمل بنشر كتب العلوي المالكي وبعضٍ مِن مؤلفات سيدي عبدالعزيز بن عبدالله، ومن جملتها الإمام السيوطي الكبير والصَّغير، وقد وضعتُ منه نسخة بخزانة ثانوية يوسف بن تاشفين بمراكش رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهناك كتاب آخر لا يزال سيدي عبدالعزيز بصدد كتابته، والواقع أني لا أدري! هل هو متعلق بالتصوف أم بالطريقة التجانية؟ لأن سيدي عبدالعزيز لم يشعرني إلى الآن بالجواب، وعلى كل حال؛ فقد طبعنا له «القدس» بالفرنسية وكتاب «الطريقة التجانية».

وأذكر كذلك أني تمكنت من إدخال «دلائل الخيرات» إلى السعودية وسأعيد الكرَّة -إن شاء الله-».

(ملاحظة): نشر الخطاط العراقي إبراهيم حسن حسين هذا الكتاب سنة ١٤٠٧هـ، وفي (ص٥) إهداء بخطه هذا بعض ما فيه: «إلى سيادة الرجل الصالح، والولي الناصح؛ الأستاذ السيد عزت إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة»؛ يريد: ثورة حزب البعث الاشتراكي العراقي! والكتاب عن مصورة نسخة خطية محفوظة في الموصل، وخطها جميل، وهي نسخة مختلفة عما هو موجود في الطبعات المصرية.

والقارئ لـ«دلائل الخيرات» يجدُ في آخرها (حزبَ البرِّ) للشاذلي، وفيه (ص١٨٠)=

ففيه ضَلالات كَثيرة:

منها: قَوله: في ثلاثة مَواضع: «اللهم صلِّ على سَيدنا محمد عَدد معلوماتك، وأضعاف ذلكَ».

وقولهُ: «اللهم صلِّ على سَيدنا محمد حتى لا يَبقى مِن الصَّلاة شَيء».

وقَولهُ: «اللهم ارحم سَيدنا محمدًا حتى لا يَبقى مِن الرَّحمة شيء، اللهم بارك على سَيدنا محمد حتى لا يَبقى مِن البركة شَيء».

فجَعلَ مَعلومات الله مَحدودة، وعَدل عَن الصَّلاة التي عَلمها النَّبي ﷺ جَميع المُسلمين، واقتصرَ عليها أصحابه والتَّابعون لهم بإحسان، وأحدثَ بدعة، وألَّف كتابًا يُتلى كما يُتلى القرآن، وابتدع زيادة: (سَيدنا)، ولله در الإمام محمد بن إسماعيل الصَّنعاني إذ يَقول في قَصيدته التي مَطلعها:

سلامِي علَى نَجْدٍ ومَنْ حَلَّ في نَجد ... وإنْ كانَ تَسْليمي مِن البُعْد لا يُجْدي
قِفا واسْأَلا عَن عَالمٍ حَلَّ سَوْحها ... بِه يَهْتدِي مَنْ ضَلَّ عَنْ منْهج الرُّشد

= قولُه: «يا الله... نسألك الفقرَ مما سواك، والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك»! **وهذه هي عقيدة وحدة الوجود الزائغة المنحرفة!**

ومثله قوله (ص١٩٩): «واقرب مني قربًا تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك، فلم يحتج لجبريل رسولك، ولا لسؤاله منك! أسألك أن تُغنيني بقربك مني حتى لا أرى ولا أسمع ولا أُحس بقرب شيء ولا ببعده عني»!

كما يجدُ القارئ في هذا الحزب قوله (ص١٨٧): «اللهم هب لنا التلقِّي منك كتلقِّي آدم منك الكلمات»!

فهو لا يريد أن يتلقى عن طريق الرسول محمد ﷺ، وإنما يريد التلقي المباشر! كيف لا؛ وهو يطلب العصمة بقوله (ص١٨٠): «اللهم اكسُنا من لدنك جلابيب العصمة... وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة... وعلمنا علمًا نصير به كاملين في المحيا والممات»! **في طامات كثيرة!**

وانظر كلام المصنف عن «دلائل الخيرات» في: «العيون الزلالية» الفتاوى بالأرقام (٢١٥، ٢٢٧، ٥٤٩، ٦٤٣، ٦٤٦، ٨٤٣ - بتحقيقي)، «رسائل الهلالي الشخصية» (١/ ١٤٥ - ١٤٩، ٢/ ٥٣٣- ط الأولى)، «الهدية الهادية» (ص٤٤٤ - بتحقيقي).

مُحمَّـد الهَـادِي طَرِيقَـة أحْمَـد فَيا حَبَّذا الهَادي، ويَا حَبَّذا المهْدي
لَقَـد سرَّنِي ما جَاءنِي مِنْ طَرِيقه وكنْتُ أرَى هذِي الطَّرِيقةَلِي وَحْدي

ومَضى إلى أنْ قالَ في مدح شَيخ الإسلام محمد بن عَبد الوهاب:

وحَـرَّق قصـدًا للدلائـل دَفـتَرًا أجادَ ففيهـا مـا يَزيـد عَـن العَـدِّ
وصَيَّرها الجُهال للذِّكر صُورة يُرى سَردهاأزكى لَديهم مِن الحَمد[1]

وأمَّا «البُردة»[2] ....

---

(١) «إرشاد النقاد» للصنعاني (ص١٤٤)، «ديوان الهلالي» (٧٠٩ - «المستدرك» بقلمي)، «لآلئ الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر» (٢٤٩).

(٢) **أفرد غير واحد من العلماء مصنفات في المؤاخذات العقدية حول «البردة»؛ مثل:**

١- «نقد البردة» لعبدالبديع صقر.

٢- «قوادح عقدية» لعبدالعزيز آل عبداللطيف، نشر ضمن «الرسائل والمسائل النجدية» و«مجلة البيان» عدد (١٣٩).

٣- «قراءة في بردة البوصيري وشعره» لعلوي عبدالقادر السقاف، نشر في مجلة «البيان» عدد (٢٣٥).

٤- «الرد على البردة»، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين، نشر في آخر كتاب «الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين مفتي الديار النجدية» للدكتور علي العجلان (ص ٣٥٢-٤٢٩).

٥- «الزُّهرة في رد غلو البردة» للعلَّامة عبد الرحمن بن محمد النتيفي الجعفري.

ونقد العلماء للغلو الذي في «البردة» مشهور، ومن أهم الجهود في ذلك:

١- الإمام الشوكاني في رسالته «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» (ص ٢٦-٢٩).

٢- الإمام عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ضمن كتاب «الرسائل والمسائل النجدية» (٢/ ٣٣).

٣- الإمام سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، له في «تيسير العزيز الحميد» (٢٢١-٢٢٣) كلمة جيدة.

٤- الإمام محمود شكري الآلوسي في «غاية الأماني» (٢/ ٣٥٠).

٥- الشيخ صالح بن محمد الشثري في «تأييد الملك المنان».

٦- الشيخ عبدالله الأنصاري في «مجموع المتون». =

و«الهمزية»[١]؛ ففيهما مِن الشِّرك والضَّلال ما لا يَرتضيه إلا كل مُشرك دَجال؛ فمنها قَوله: [من البسيط]

يا أكرَمَ الخلقِ ما لي مَنْ ألُوذُ بهِ   سِوَاكَ عندَ حُلُولِ الحادِثِ العَمَمِ[٢]

وقَوله: [من البسيط]

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنيا وَضَرَّتها   ومِنْ علُومِكَ عِلمَ اللَّوحِ والقَلمِ[٣]

فماذا بَقي لله -تَعالى-؟! قاتلَ الله الغلاة المُشركين.

وفي «الهمزية»[٤] قَوله:

يَـا رَحيمًـا بالمُؤمنيـنَ إذا مَـا   ذَهِلَـتْ عَـنْ أبنائِهـا الرُّحَمَـاءُ

يـا شَـفيعًا في المُذنبيـنَ إذا أشْـ   ـفَـقَ مِـن خَـوفِ ذَنبِـهِ البُـرآءُ

= ٧- الشيخ سليمان الفريجي في مقالته المنشورة في مجلة «البيان» العدد (٢٣٩) بعنوان «مظاهر الغلو في قصائد المديح النبوي».

وغيرهم كثير، وبيَّنتُ ذلك في كتابي «شعر خالف الشرع» يسَّر الله إتمامه بخير وعافية.

(١) للبوصيري (أبي عبدالله محمد بن سعيد) (المتوفى ٦٩٦هـ)، وسمَّاها «أم القرى في مدح خير الورى»، لها ما يزيد على مئة شرح، وخمَّسها غير واحد، انظر: «جامع الشروح والحواشي» (٣/ ٢٤٣٤- ٢٤٤٥).

(٢) «ديوان البوصيري» (ص ٢٥٢)، «البردة» (٢٨٠ - «شرح الجاديري»)، وفي جميع طبعات «السراج المنير»: «العميم» بدل «العمم».

(٣) «ديوان البوصيري» (ص ٢٥٢)، «البردة» (٢٨٠ - «شرح الجاديري»).

نقده -والذي قبله- الهلالي في «العيون الزلالية» (١/ ٢٩٨-٢٩٩، بتحقيقي)، فقال: «إن القصيدة المعروفة بـ«البردة» من الشعر البليغ الجميل، وما ورد فيها من المدح النبوي بعضه صحيح، ومن أنشده محبة للنبي ﷺ موزونة بميزان الشرع؛ يُرجى أن الله يثيبه، وبعضه فيه غلو وإطراء؛ كقوله:

فـإن مـن جـودك الدنيـا وضرتهـا   ومـن علومـك علـم اللـوح والقلـم

وقوله:

يـا أكـرم الخلـق مـا لـي مـن ألـوذ بـه   سـواك عنـد حلـول الحـادث العمـم

ولما كان جل قرائها لا يميزون حقها من باطلها؛ فالصواب الامتناع من قراءتها؛ لأن (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، والسلامة مقدمة على الغنيمة».

(٤) بيت رقم (٣٨٨ - ٣٩١).

جُدْ لعاصٍ وما سُوايَ هو العَا صي ولكِنْ تَنَكُّرِي[١] اسْتِحياءُ
وتَدارَكْـهُ بالعنايـةِ مـا دَا مَ لَـهُ بالذِّمَام مِنكَ ذَمَاءُ

وهذا شِركٌ صَريحٌ، وبُهتانٌ قَبيحٌ، لا يَستسيغه إلا كلُّ قلبٍ مَريضٍ؛ مثل قَلب حسين أحمد نَصير الشِّرك والوَثنية.

وقَولهُ: «والوَهابية يُضيِّقون نطاق الشَّفاعة...» إلى آخره.

ليسَ المُوحِّدونَ هُم الذين ضَيقوا نطاق الشَّفاعة؛ بَل الله -تعالى- هو الذي ضَيقه، وقالَ: ﴿(لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ)[٢] أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وقالَ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، أي: يَأذن للشافع ويَرضى عَقيدة المَشفوع له.

وفي «صَحيح البُخاري»[٣]: أنَّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: «لَيُرفَعَنَّ أقوامٌ مِنكم إليَّ وأنَا عَلَى الحَوْضِ، ثُمَّ لَيُختَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: أي رَبِّي! أَصْحَابِي، أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إنَّهُم بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا. فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا».

وفي روايةٍ[٤]: «فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٧- ١١٩]».

---

(١) في جميع طبعات «السراج المنير»: «تنكيري»!

(٢) في جميع طبعات «السراج المنير»: «لا يشفعون إلا لمَن»! دون تتمة، ثم ﴿أَذِنَ لَهُ...﴾!
وفي القرآن: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

(٣) رواه البخاري (٦٥٨٣، ٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠) من حديث سهل بن سعد.

(٤) رواه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي رواية[1]: «**فتضربهم المَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ، فَأَقُولُ: إِلَى أَيْنَ؟ فيُقالُ: إِلَى النَّارِ. فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّي! أَصْحَابِي أَصْحَابِي!**».

وفي رواية أبي داود: «**إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِي**»[2].

معنى الحَديث: إنَّ النَّبيَّ ﷺ يَقف على الحَوض المَورود الذي مَن شَرب منه شَرْبةً لا يَظمأ بَعدها أبدًا، وقد ضُمنت له السَّعادة بتلكَ الشربة، وهذا الحَوضُ كيزانُه -أي: كؤوسه- كنجوم السَّماء في الكثرة، ماؤه أبيض مِن اللَّبن، وأحلَى مِن العَسل، فيُقبل عَليه جَماعة مِن أُمتهِ يَعرفهم بآثار الوضوء؛ لأنَّهم يَأتون غُرًّا مُحجَّلين، أعضاء الوضوء عليها نور، فإذا أقبلوا على الحَوض ورَأوا النَّاس يَشربون، وهم في غاية العَطش والخَوف، تَضربهم المَلائكة على وجوههم وتَردُّهم على أعقابهم مَطرودين، فيَقول النَّبي ﷺ: «**إلى أين تسوقونهم؟** فيُقال: إلى النَّار. فيَقول النَّبي ﷺ: «**ياربِّ شفِّعني فيهم؛ فإنَّهم مِن أُمتي**»، فيُقال لهُ: «**إنَّك لا تَدري ما أحدثوا بَعدك**»، إنَّهم بَدَّلوا وغَيَّروا في الدِّين الذي تَركتَهم عَليه.

فحينئذٍ؛ يَتبرأ منهم النَّبي ﷺ ويقول: سُحقًا لهم، سُحقًا لهم. أي: بُعدًا لهم. ولو كانَ يَعلم أنَّهم بَدَّلوا وغَيَّروا ما شَفع فيهم.

فيا أصحاب التَّبليغ! اتقوا الله، واذكروا وقوفكم بَين يَديه، إنَّ هذهِ السِّياحة التي فَتنتم بها النَّاس، وقَطعتم بها الأرحام، وضَيعتم بها العيال مِن الأولاد، والوالدين، والوالدات، ولو لم تَكن مَأخوذة مِن دين البراهمة؛ لكانت بِدعة مِن أقبح البدع، وضَلالة مِن شَر الضَّلالات، فكيفَ وهي عُمدة دين عبدة الأصنام في الهند؛ بل هي كل شيء عندهم، فجَعلتموها أنتم كل شَيءٍ في الإسلام؟ أما

---

(١) رواه البخاري (٦٥٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٤٠٠) من حديث أنس، وفي آخره: «**فأقول: ربِّ! إنه من أمتي، فيقولُ: ما تدري ما أحدث بعدك**».

وفي «سنن أبي داود» (٤٧٤٧) من حديثه: «**... حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة**».

تَخافون الله الذي إليه تُحشرون؟! إننا نَخاف عَليكم، فخافوا على أنفسكم، فاليوم دُنيا، وغَدًا آخرة، وكأني بكم قَد فارقتم الدُّنيا، وظَهرت لكم الحَقائق، ونَدمتم على عَملكم المُبتدَع حيثُ وحين لا يَنفع النَّدم، فنَحنُ كلُّنا مُعرَّضون للمَوت في كل لَحظة، ولا يَنفعنا إلا ما قَدَّمنا مِن عَملٍ صالح؛ مُوافق لسُنة النَّبي ﷺ، بَعيدين عَن المُبتدَعات.

[من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهتِ مَنْ كَانَ نَائِمًا ... وأَسْمَعْتِ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنانِ[1]

فهذا النَّشاط الذي أعطاكم الله -تعالى-، وهذا التَّعاون يَجب أنْ تَصرفوهما في الدَّعوة إلى سُنة رَسول الله ﷺ، فادعوا أنفسكم أولًا، وتَبرأوا مِن البدع؛ مِن السِّياحة، والمَذهب، والعَقيدة الماتريدية المُعطِّلة، وتَعاونوا مَع أهل الحَديث وهم عندكم في الهند وباكستان كَثير، ولهم مَساجد ومَدارس، بل جامعات ليسَ فيها إلا قالَ الله، قالَ رَسوله، قالَ الصَّحابة، وهذا هو العلم، وما سواه جَهل.

[من الكامل]

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ

مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ قَولِ فَقِيهِ[2]

* * *

ودَعُوا التَّفَرُّقَ والتَّحَزُّبَ وَالهَوى ... وَعَقائدًا جاءَتْ مِنَ الأَوْباش[3]

---

(١) البيت من «تائية الهلالي» في كتابه «الدعوة إلى الله» (٤٧٣ - ٤٧٩، بتحقيقي) و«ديوانه» (٢١٤-٢٢٦، بتحقيقي) هكذا:

لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا ... وَأَيْقَظْتُ مَنْ يُصْغِي إِلَى كَلِمَاتِي

(٢) ينسب أول بيتين للذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، انظر: «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (٢/ ٢٨٠).

وبلا نسبة في: «إعلام الموقعين» (٢/ ١٤٩ - بتحقيقي) و«لوامع الأنوار البهية» (١/ ٧ - ٨).

(٣) البيت للمصنف في «ديوانه» (١٤٢ - بتحقيقي)، وفيه: «الأوشاب»، وفي «الحسام الماحق» (٣٠٠-بتحقيقي)، وفيه: «الأذناب».

والله يَهدينا وإياكم إلى اتباع خَير الخَلق محمد رَسول الله ﷺ.

أهـلُ الحَديـثِ عِصابـةُ الحَـقّ ... فـازوا بدَعـوةِ سَـيِّدِ الخَلْـقِ

فَوُجُوهُهُـم غُـرٌّ مُنَضَّـرَةٌ ... لألاؤُهَـا كَتَألُّـقِ البَـرْقِ

يـا لَيتنـي مَعَهُـم فيُدْرِكَنِـي ... مـا أَدْرَكُـوهُ بِهَـا مِـنَ السَّـبْقِ[1]

وفي هذا إشارة إلى قول النبي ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**»[2].

---

(١) لأبي العباس العزفي في: «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» للتلمساني (٣/ ٩٥)، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٢/ ٣٦)، «التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول» لصديق حسن خان (٢٧٢)، والرواية فيه: «فَوُجُوهُهُم زُهْرٌ مُنَضَّرَةٌ...».

والأبيات عند الهلالي في مقالة بعنوان (أهل الحديث في الهند - الحلقة الثانية) نشرت في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة السادسة، العدد الأول، شعبان ١٣٩٤هـ - أغسطس ١٩٧٤م، (ص٢١ - ٣٠)، ونشرت قبل ذلك في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، السنة الرابعة، العدد التاسع والثلاثون، غرة ربيع الأول ١٣٨٨هـ - أيار ١٩٦٨م، (ص٤٧ - ٥١)، بإسقاط «في الهند» من العنوان، وعلى أنَّها حلقة واحدة لا اثنتان! ومقالة بعنوان (أهل الحديث - الحلقة الأولى) نشرت في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة الثالثة، العدد الأول، شعبان ١٣٩١هـ - أكتوبر ١٩٧١م، (ص١٣ - ٣٣)، ومقالة بعنوان (استفتاء فيما ورد في الحسد) نشرت في صحيفة «الميثاق» المغربية، السنة الثانية، العدد (٤٧)، بتأريخ ١ رمضان ١٣٨٣هـ - ١٧ يناير ١٩٦٤م، (ص٢) وتتمتها (ص٧)، وتقريظ كتاب «إزاحة القناع عن مكر أهل الشرك والابتداع» (ص٩ - ١٣)، و«الهدية الهادية» (ص٤٢٤ - ٤٢٥، بتحقيقي)، و«العيون الزلالية» (٢/ ٦٠٤ - بتحقيقي)، و«رسائل الهلالي الشخصية» (١/ ٥٠١ - ط الأولى).

(٢) رواه أحمد في (١/ ٤٣٧)، والترمذي (٢٦٥٧ و ٢٦٥٨) في (العلم): باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وابن ماجه (٢٣٢) في (المقدمة): باب من بلغ علمًا، والحميدي (٨٨)، والشافعي في «الرسالة» (١١٠٢)، و«المسند» (١/ ١٦ - ترتيب السندي)، وأبو يعلى (٥١٢٦، ٥٢٩٦)، والشاشي (٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨) في مسانيدهم، وابن حبان في «الصحيح» (٦٩)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» =

رَواهُ أحمد، والتِّرمذي، وابن حبان؛ عن ابن مَسعود، وقالَ: حَسنٌ صَحيح، وله روايات تَختلف ألفاظها، ويَتحد مَعناها.

ولَمَّا زرتُ الهند لأوَّل مَرَّة في (شَهر صفر سَنة ١٣٤٢ هـ) كانَ في دهلي مَدارس عَديدة لأهل الحَديث، أكبرها المَدرسة الرَّحمانية[1]، وكانَ لهم مَساجد عَديدة، **وتوجد لهم جامعتان: إحداهما: في بنارَس[2]، والأخرى: في ....**

= (٢٦٠)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٦) و (٧)، والخطيب في «الكفاية» (٦٩)، و«شرف أصحاب الحديث» (٢٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٣) و(٦/ ٥٤٠)، و«معرفة السنن والآثار» (٤٤)، (٤٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١١٢) من حديث عبدالله ابن مسعود، **والحديث صحيح**، وله شواهد كثيرة، وجمع طرقه شيخنا عبد المحسن العباد -حفظه الله- في جزء مفرد مطبوع.

(١) مدرسة سلفية في دهلي، أُنشئت عام ١٣٣٩هـ - ١٩٢١م، «منسوبة إلى التاجر المحسِن عبدالرحمن، مؤسسها مع أخيه عطاء الرحمن، الذي قام بها وحده بعد وفاة أخيه عبدالرحمن، وكان يُنفق عليها ولا يرضى أن يشاركه أحد في الرواتب والنفقات، وكان تقيًا زاهدًا، وأنشأ مجلة تابعة للمدرسة اسمها «محدِّث»، وبقيت المدرسة سبعًا وعشرين سنة فقط، خرَّجت عددًا ليس بالكثير، ولكن أغلبهم من كبار العلماء والمحدِّثين الذين أسَّسوا مدارس أخرى في الهند ونشروا العلم، ومن أسباب ذلك: أنه لم يكن يُقبل فيها -أصلًا- إلَّا طلبة العلم المتميزين، وبعد اختبار دقيق وشامل، وكان ممتحِن المدرسة هو العلَّامة الحافظ عبدالله الرُّوْبري رَحِمَهُ اللَّهُ، ثمَّ خلت المدرسة من أهلها عند نكبة المسلمين في حادث تقسيم الهند سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، وأخذتها الحكومة، وحُوِّلت الرحمانية إلى مدرسة متوسطة حكومية اسمها (الشفيقية)، والقلب يعتصر ألمًا عند المقارنة بين حاضر المدرسة وماضيها، وقد فُصل مسجد المدرسة عنها، ونُقلت مكتبتها القيِّمة إلى مكتبة الجامعة الملِّيَّة في دهلي».

أفاده فضيلة الشيخ محمد زياد التكلة في كتابه «ثبت الكويت» (٢٢٨) بتصرف.

(٢) أسِّست هذه الجامعة في مدينة بنارس؛ مدينة الهند القديمة، التي تُعتبر مركزًا كبيرًا للمعابد الوثنية، وهي عند الهندوس أقدس مكان يتبركون به، فكانت الحاجة ماسَّة إلى تأسيس مركز ديني وعلمي كبير في مثل هذه المدينة، وقد تحققت -ولله =

....

= الحمد- الحاجة يوم افتتحت الجامعة السَّلفية، وبدأت نشاطاتها، ودخلت في رحلة العمل والتطبيق.

وهذا موجز في التعريف بها:

الجامعة السَّلفية (مركزي دار العلوم) بنارس: مؤسسة تعليمية وتربوية مركزية لجماعة أهل الحديث في الهند، وقد تأسست هذه الجامعة بفضل الله -تعالى-، ثم بجهود المخلصين مِن هذه الجماعة، وكان تأسيسها باقتراح مِن جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند؛ التي تعد منظمة دعوية رئيسة للجماعة، وقد وُضع حجر أساس الجامعة في عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م بيد الشَّيخ يوسف الفوزان رَحِمَهُ ٱللَّهُ سفير المملكة العربية السعودية في الهند -آنذاك-، وذلك برعاية وإشراف جمعية أهل الحديث، وقد افتتح الدراسة في شهر ذي القعدة عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م الشَّيخُ عبد القادر شيبة الحمد؛ الأُستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة الطيبة -حينذاك-، نيابة عن سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبدأ عمل التعليم والتربية، وقد مرَّ على تأسيس الجامعة نحو نصف قرن مِن الزمان، وهي ماضية في سبيل تحقيق أهدافها وتحصيل مقاصدها، وتخريج العلماء والدعاة والباحثين والمحققين، ويواصل خريجوها دراستهم العليا في جامعات الهند الكبرى، وفي جامعات المملكة العربية السعودية وغيرها مِن الدول العربية، ويعمل خريجوها في الهند وخارجها في ميادين التدريس والدعوة والبحث والتحقيق، وقد ازدادت احتياجات الجامعة بازدياد مشاريعها وأقسامها وفروعها.

ونورد فيما يلي بعض التفاصيل على التطور والتقدم الذي شهدته الجامعة خلال هذه الفترة:

أقيمت كليَّات للبنين وكليَّات للبنات على حدة، تهتم بتدريس العلوم الدِّينية والعصرية.

ولمحدودية الأراضي التي أُقيمت عليها الجامعة، وتكاثر عدد الطلبة؛ أُقيم نظام (المدارس التابعة للجامعة)، ويبلغ عددها -حاليًّا- نحو (٣٠) مدرسة مِن مختلف ولايات الهند، وهي تابعة للجامعة في المنهج التعليمي، والأنظمة التعليمية والتربوية، ويُختبر طلاب هذه المدارس في الجامعة.

هناك قسم مستقل للبحث والتحقيق والترجمة، صدر منه أكثر مِن (٤٠٠) كتاب باللغات العربية والأردية والهندية والإنكليزية، وانتشرت هذه الكتب في الهند وخارجها. =

= هناك قسم خاص للإفتاء يجيب فيه أهل العلم والإفتاء على الأسئلة الواردة من مختلف مناطق البلاد.
يقوم قسم الطباعة والنشر بإصدار مجلتين بلغة عربية وأُردية، وترسل هذه المجلات إلى أنحاء من العالَم، وتخدم الدِّين والعِلم والدعوة.
نظرًا لأهمية المكتبة في المؤسسات التعليمية؛ اهتم بها المسؤولون من البداية، وتوجد في الجامعة عدة مكتبات؛ أهمها: المكتبة المركزية الكبيرة، ذات بناء شامخ وبهيج، وتحتفظ بآلاف الكتب والأشرطة الممغنطة والوسائل الحديثة للقراءة والاستفادة للطلاب والباحثين وغيرهم.
يوجد في الجامعة مسجد واسع ممتاز ببنايته، ودوره الأرضي (البدروم) فيه قاعة تستعمل في أيام الاختبارات والمناسبات الأخرى.
للجامعة قاعة مستقلة للمحاضرات مع وسائل السمع وإلقاء الحديث، يعقد فيها الطلبة اجتماعاتهم كل أسبوعين، وتوجه الدعوة إلى كبار العلماء والمثقفين لإلقاء المحاضرات والدروس في هذه القاعة؛ لتوسيع مدارك الطلاب وتنمية مهاراتهم.
تعتني الجامعة عناية خاصة بصحة الطلاب، وبالنظافة، وترش الأدوية الخاصة حسب الضرورة، وطلاب الجامعة يلعبون كرة اليد في ميدان الجامعة بإشراف مدرب.
لتوفير المياه الصحية للطلاب؛ نُصبت أجهزة (Aqua Guard) لتنظيف المياه، ورُكِّبت آلات حديثة لتوفير المياه الصحية والباردة.
أنشئ قسم خاص لتدريب الطلبة على استعمال الكمبيوتر، ويحصل المتدربون على شهادات حكومية بعد إكمالهم التدريب.
أقيم مركز تابع لجامعة مولانا أبي كلام آزاد الحكومية؛ يتلقى بواسطته الطلاب والطالبات (التعليم عن بعد)، ويحصلون على شهادات ليسانس وماجستير ودبلوم في اللغة الإنگليزية والصحافة، ويقوم بالإشراف على هذا المركز مدرِّسون وخبراء تعليم مِن الجامعات الحكومية وغيرها.
والقصد مِن كُلِّ ذلك توفير الفرص للطلاب والطالبات لمواصلة دراستهم العلمية عن طريق وسائل متنوعة مناسبة.
ولا يخفى على المعتنين بشؤون التعليم أنَّ الجامعة السَّلفية تعتبر مؤسسة تعليمية مركزية، وتبذل الجهود لاستمرار الرقي بأنظمة التعليم والتربية فيها؛ لتصل إلى المستوى المنشود.
ولا يمكن إنجاز هذه الأعمال والجهود على الوجه المطلوب إلا بميزانية كبيرة؛ يقوم=

.. لاهور[١]، ومَدرستكم ديوبند كَبيرة، ومَدارسكم كثيرة أكثر منهم، ولكن

= بتوفيرها أصحاب الخير والفضل مِن المسلمين.
نسأل الله -تعالى- أن يكتب الرقي والازدهار لهذه الجامعة، ويحسِّن نيَّات القائمين عليها، ويجعلها صدقة جارية في حق كل مَن يساهم في مساعدتها، ويعمل لرقيها وازدهارها؛ آمين.
وأول رئيس للجامعة والأمين العام لها: فضيلة الشَّيخ العلَّامة عبيد الله المباركفوري، ثم الشَّيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد السَّلفي؛ الذي دعا الهلالي لحضور مؤتمر الدعوة والتعليم سنة ١٣٩٩هـ يوافق ١٩٧٩م، ثم الدكتور مقتدى الأزهري.
«وقد نالت الجامعة السَّلفية ترحيبًا مِن جميع الأوساط العلمية والدِّينية في الهند وخارجها، **وقد ركزت عنايتها -بصفة خاصة- على الأهداف التالية:**
الأول: تدريس القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية كمصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية.
الثاني: دراسة اللغة العربية وآدابها، والعلوم الإسلامية والاجتماعية القديمة منها والحديثة.
الثالث: نشر العلوم الإسلامية والأدبية، والاحتفاظ بالتراث الإسلامي، والاهتمام بتعميم اللغة العربية في الهند.
الرابع: إعداد الدعاة الصالحين.
الخامس: الاعتناء بناحية التأليف والطبع في مختلف اللغات العالمية المهمة، وإعداد الكتَّاب الإسلاميين الجامعين بين الاعتزاز بالتراث الإسلامي والرَّد على أعداء الإسلام والدفاع عن الدِّين.
السادس: محاربة البدع والخرافات والعادات الجاهلية الفاشية في المجتمعات الإسلامية.
وقد نجحت الجامعة السَّلفية -رغم قِصر عمرها- في أهدافها التي تبنَّتها إلى حد كبير».
«المسلمون في الهند» (١٣٣- ١٣٤).

(١) في الهند عدة جامعات سلفية غير الجامعة السابقة، مثل: الجامعة الرحمانية، والجامعة الأحمدية السلفية، وجامعة دار السلام بعمر آباد، والجامعة السلفية بالقرية السلفية في كيرالا، والجامعة الإسلامية في بومباي، وجامعة ابن تيمية، وجامعة الإمام البخاري في بشاور.
وكذلك في باكستان، مثل: الجامعة السلفية بفيصل آباد تعد أول وأكبر جامعة إسلامية تأسست في باكستان بعد الانفصال، في ٧ شعبان ١٣٧٤هـ - إبريل ١٩٥١م، بالإضافة =

تَنقصها سُنةُ رَسول الله؛ فهي مَبنية على آراء الرجال، وآراء الرجال لا تَنفع صاحبها يَوم القيامة، بل يَبرأ منها أولئك الرِّجال، وفي مُقدمتهم: أبو حنيفة، ومحمد بن الحَسن، وأبو يُوسف، وزُفر رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَمَن لَم يَسعهُ ما أَتى عَن مُحمدٍ ... فلا وَسع الرَّحمنُ يَومًا عَلى الغُمْرِ

ثم قالَ حسين أحمد: «وهُم -يعني: الوهابية- يَعتقدون أنَّ النَّبيَّ ﷺ ليسَ لهُ نَصيبٍ مِن العلوم الباطنية والأسرار الخفيَّة[1]».

قالَ محمد تَقي الدين: ماذا تُريد ياهذا بالعلوم الباطنية والأسرار الخفيَّة[2]؟ أتُريد شَطحاتِ المُتصوفةِ وكفرَهم وأكاذيبهَم؟ كقَول الحلاج[3]: «ما في الجُبَّة إلا الله».

وقَول الزنديق ابن العربي الحاتمي:

الــرَّبُّ عَبْــدٌ وَالعَبْــدُ رَبٌّ ... يَـا لَيـتَ شِـعرِي مَـنْ المُكلَّـف؟
إنْ قُلْـتَ عَبـدٌ فـذاكَ حَـقٌّ ... أَوْ قُلْـتَ رَبٌّ أَنَّـى يُكَلَّـف[4]

وقَول أبي يَزيد البسطامي: «خُضنا بَحرًا وَقفت الأنبياء بساحلِه»[5].

= إلى الجامعة الأخرى مثل: جامعة العلوم الأثرية بجهلم، وجامعة أبي بكر الصديق بكراتشي، والجامعة المحمدية بكجرانواله.
انظر: «الموسوعة الميسرة في الفرق والأديان والأحزاب المعاصرة» (١/ ١٧٢).

(١) بدلها في جميع طبعات «السراج المنير»: «الحقيقية»، وقد سبقت على الصواب، كالمثبت.

(٢) بدلها في جميع طبعات «السراج المنير»: «الحقيقية»، وقد سبقت على الصواب، كالمثبت.

(٣) عزيت لأبي يزيد البسطامي في «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨/ ٣١٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٨٨) وهي في «مشكاة الأنوار» (ص٥٧) للغزالي من غير نسبة، وهي في «المنح القدوسية في شرح المرشد المعين» (ص١٤٧) للحلاج كما عند المصنف.

(٤) ستأتي الأبيات في (ص٤٣٣)، وينظر تعليقنا عليها هناك.

(٥) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ١٥، ٣٥)، «المنح القدوسية في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين بطريق الصوفية» (ص٤٩) لابن عاشر، وينظر: «شطحات الصوفية» (ص٣١)، «جواهر المعاني» (٢/ ٥٩).

وقَول علي بن وَفا: [من الرمل]

أنـا مَـن أَهْـوى وَمَـن أَهْـوى أنـا نَحْـنُ رُوحَـانِ حَلَلْنَـا بَدَنَـا[١]

وقَول غَيره: [من الكامل]

أَنَا فيهِ أَنْتَ وَنَحنُ أَنْتَ وأَنْتَ هُوْ والكلُّ في هُوَ هُوْ فَسَلْ عَمَّنْ وَصَلْ[٢]

وقَول التِّيجانيين عَن شَيخهم في «جواهر معانيهم»[٣] أنَّه قالَ: «إنَّ القطب الفَرد الغَوث هو الخَليفة عَن الله في جَميع مَملكته، فلا تَتحرك ذرة في العالم إلا بإذنِهِ»[٤].

فقد جَعلوا هذا القُطيِّب المكذوب لا تَأخذه سِنة ولا نَوم؛ لأنَّ الذي يَأخذه النَّوم، والتَّعب، والغَفلة، والمَرض: لا يَستطيع أنْ يُمسك قارورة ماء دون أنْ تَسقط مِن يَده وتتكسر، كما وَقع لمُوسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -فيما يُحكى-: إنَّ الله أمرهُ أنْ يُمسك قارورتين مَملوءتين ماءً في كل يَدٍ قارورة ويَحفظهما، فوَقفَ حتى

(١) البيت ليس من قول علي بن وفا، وهو ليس في «ديوان شعره»، ولم ينسب له، وإنما هو لـ«الحلاج» انظر: «ديوان الحلاج» (ص ١٥٨).
قال السكوني في «لحن العامة» (٢٥٤) -منشور في مجلة «معهد المخطوطات العربية» (م١٧/ ص٢٥٤)- بعد ذكره لهذا البيت: «وهذا كله وما أشبهه حرام إطلاقه، وحرام اعتقاده في حق الله -تعالى-، لأنه كفر صراح..! وأكثر ما عزي إلى الحلَّاج من هذا القبيل، وكل ذلك لا يجوز شيء منه عند أهل السنة والجماعة».

(٢) «ديوان الشاب الظريف» (ص ٤٩٩).

(٣) «جواهر المعاني» (٢/ ٢٧٥ - ٢٧٨)، وينظر في التحذير منه «الهدية الهادية» (ص ٢٣٩) وتعليقنا عليه.

(٤) علَّق عليه الهلالي بقوله في «الهدية الهادية» (ص ٤٩٠) -عند كلامه على حديث: «**كنتُ كنزًا لم أعرف**»-: «فيلزم على ذلكَ أن يَكون القُطب عالمًا بكلِّ ما يَجري في كلِّ ذَرةٍ مِن العالم بَل مِن العالمين، ولا يَجوز أن يَكون جاهلًا بشَيءٍ منها؛ فلا يَجوز عليه أبدًا أن يَجهل شَيئًا مِن أحاديث الرَّسول ﷺ التي يعرفها صبيان أهل الحَديث فَضلًا عَن علمائهم، فإن صحَّ هذا الكلام عَن الشَّيخ؛ لَزم أن يَكون جاهلًا بعلم الحديث، فإنَّه ذكر هذا الحَديث في مَواضع كَثيرة، واحتجَّ به»!

غَلبهُ النَّوم فسَقطت القَارورتان(١).

(١) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (١٢/ ٢١) (٦٦٦٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٣/ ٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٥٨) من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل، حدَّثنا هشام بن يوسف، عن أمية بن شِبْل، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن أبي هريرة مرفوعًا.

ثم قال ابن عساكر: «تابعه يحيى بن معين عن هشام، ورواه معمر عن الحكم، فجعله من قول عكرمة».

ثم ساقه هو، وابن جرير في «جامع البيان» (٣/ ٧-٨)؛ من طريق عبدالرزاق؛ قال: أخبرنا معمر؛ قال: أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

«أَنَّ موسى سَأَل الملائِكةَ: هلْ ينامُ اللهُ؟ فأَوْحى اللهُ إلى الملائكةِ، وأَمرَهُم أَنْ يُؤَرِّقوه ثلاثًا، فلا يَتْرُكوهُ ينامُ، ففَعَلوا، ثم أَعْطَوْه قارورتينِ، فأَمْسَكُوه، ثَمَّ تَرَكُوهُ وحَذَّروهُ أَنْ يكسِرَهُما...» (وذكره نحوه).

والحديث مضطرب، فتارة يرويه الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وتارة عن عكرمة من قوله لا يتعدَّاه.

والحكم بن أبان وثَّقه جماعة؛ كابن معين في «تاريخه» (٢/ ١٢٣) وغيره، ولكنه كان يخطئ -أحيانًا- بسبب حفظه، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ١٨٥)، وقال: «ربما أخطأ».

وقال ابن المبارك: «الحكم بن أبان، وحسام بن مِصَكّ، وأيُّوب بن سويد؛ ارْمِ بهؤلاء». كذا في «الميزان» (١/ ٥٧٠).

وفي «التقريب» (١٧٤): «صدوق، عابد، وله أوهام».

ورفع هذا الحديث من أوهامه، أو أوهام من هو دونه، فقد ذكر هذا الحديثَ الذهبيُّ في «الميزان» (١/ ٢٧٦) في ترجمة أميةَ بن شبلٍ، وقال:

«**له حديث منكر**، رواه عن الحكم بن أبانَ عنْ عكرمة عن أبي هريرة مرفوعًا؛ قال: «**وقع في نفس موسى: هل ينام الله؟...**» الحديث.

رواه عنه هشام بن يوسف، وخالفه معمر عن الحكم عن عكرمة؛ قوله، **وهو أقرب، ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى، وإنما رُوِيَ أن بني إسرائيل سألوا موسى عن ذلك**».

وهذا هو اللائق بمثل هذا الحديث ان يكون موقوفًا على عكرمة، وهو تلقَّاه من بعض أهل الكتاب، فهو من **الإسرائيليات التي لا يجب علينا التصديق بها، بل هو**=

....

= مما يجب الجهر بتكذيبه، وبيان بطلانه، كيف لا، وفيه: أن موسى كليم الله يجهل تنزُّهَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن السهو والنوم، فيتساءل في نفسه: «هل ينام الله؟»؟! وهل هذا إلا كما لو قال قائل: هل يأكل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟ هل كذا؟ وغير ذلك مما لا يخفى بطلانه على أقل مسلم؟! قاله شيخنا في «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٢٣) (١٠٣٤).

ولذا: فقد ضعَّفه الذهبي -كما مر معك-، وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١/ ٤٦٧).

وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٦) -بعد أن ذكر رواية معمر الموقوفة على عكرمة-:

«وهو من أخبار بني إسرائيل، وهو مما يُعْلَم أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه منزَّه عنه، وأغرب من هذا كله الحديث الذي رواه ابن جرير».

وذكر الحديث المرفوع، ثم قال عقبه:

«**وهذا حديث غريب جدًّا، والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع، والله أعلم**».

وقال الإمام القرطبي في «تفسيره» (١/ ٢٧٣): «ولا يصحُّ هذا الحديث، ضعَّفه غير واحد؛ منهم البيهقي».

ومر من كلام الذهبي: «ولا يسوغُ أن يكون هذا وقع في نفس موسى، وإنما رُوِي أن بني إسرائيل سألوا موسى عن ذلك».

وقال السكوني في «لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام» (١٩٤ - ١٩٥): «ويقول قائلهم وأكثر ما يجري ذلك على ألسنة أهل القصص: إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في مناجاته: يا رب هل تنام؟ فأمره الله أن يأخذ زجاجتين في يديْه، ثم أرسل عليه النوم، فسقطتا من يديْه، فتكسرت الزجاجتان! والمعنى أنه -تعالى- لوجوب قدمه -تعالى-، ووجوب قدم علمه وبقائه، استحال ضده، والنوم ضد العلم! ولاستحالة الآفات.. ودليل الحدوث عليه -سبحانه- أيضًا..! لكن هذا الكلام ممتنع من جهة أخرى.. وهي وجوب عصمة الأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- من الجهل بالله -سبحانه-، وبما يجب له وما يستحيل عليه، وما يجوز من أحكامه في خلقه.. فلا يجوز هذا السؤال على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأن الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم المعلِمون للخلق بما يجبِ لله -سبحانه- وما يستحيل عليه، وما يجوز مِن أحكامه في خلقه، بأصح الطرق وأجلِها، والإجماع منعقد على عصمتهم من الجهل بالله -سبحانه-، وهو قطعي! ونقل الإسرائيليات غير قطعي! فوجب التعويلُ على القطعي، وتركُ ما يعارضه مما ليس بقطعي». =

فَقَد أرى الله -تعالى- عَبده مُوسى أنَّ العبد ضَعيف لا يَستطيع أنْ يُمسك السَّماوات والأرض، والله -تعالى- هو الذي يَقدر على ذلك، والله -تعالى- لا يَحتاج إلى خَليفة، ولا نائب؛ لأنَّه لا يَمرض، ولا يَغيب، ولا يَشغله شَأنٌ عَن شَأنٍ، والنَّبيُّ ﷺ قَد أغناهُ الله -تعالى- عَن هذهِ الأباطيل، فقالَ -تعالى- في (سُورة النساء رَقم الآية: [١١٣](١)): ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

وقَد نَزَّه الله نَبيهُ عَن خَيالات المُتصوفة وضَلالهم، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

= قال أبو عبيدة: أخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢/ ٥٧٨ - ٥٧٩) رقم (٢٧١٩ - ط دار ابن الجوزي)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٥٢) (رقم ١٣٨) **بسند فيه لين**؛ عن ابن عباس:

«أَنَّ بَنِي إسرائيل قالوا: يا موسى! هل يَنامُ رَبُّكَ؟ قالَ: اتَّقُوا اللهَ. فناداهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: يا موسى! سَألوكَ: هَلْ يَنامُ رَبُّكَ؟ فخُذْ زُجاجَتَيْن بيديك، فقُم الليل، ففَعَلَ موسى، فلمَّا ذَهَبَ مِن اللَّيلِ ثُلُثٌ، نَعِسَ، فوَقَعَ لِركْبَتَيْهِ، ثَمَّ انْتَعَشَ، فَضَبَطَهُما، حتَّى إذا كانَ آخِرُ الليل؛ نَعِسَ، فَسَقَطَت الزُّجاجَتان، فانْكَسَرَتا. فقالَ: يَا مُوسى! لو كُنْتُ أنامُ؛ لَسَقَطَتِ السَّماواتُ والأرْضُ، فهَلَكْنَ؛ كَما هَلَكَتِ الزُّجاجَتانِ في يَدَيْكَ»، قاله ابن كثير في «التفسير» (١/ ٣١٦).

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٥)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه عن ابن عباس، وفي إسناده جعفر بن أبي المغيرة؛ صدوق يهم.

وهذا الأشبه بهذه القصة، لا من سؤال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا ليس غريبًا من قوم موسى، فإنهم قالوا له - كما قال الله -سبحانه-: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

(١) في جميع طبعات «السراج المنير»: (١١٢)!

ثم قالَ حسين أحمد -وَلَّاهُ الله ما تَولَّى-: «وهُم يَعتقدون أنَّ نَفس ذِكر ولادة النَّبي ﷺ أمرٌ قَبيح وبِدعة».

قالَ محمد تَقي الدِّين: قوله: «نَفس ذِكر» خَطأ في اللُّغة ارتكبهُ كَثيرٌ مِن المُؤلفين العَرب الذين هُم أفضل منهُ، فلا لَوم عَليه، وإنَّما يُقال في الفَصيح: «إنَّ ذِكر ولادة النَّبي ﷺ نَفسه»، على طَريقة التَّوكيد؛ لأنَّ الذِّكر لا نَفس لهُ.

ومَقصوده أنْ يَعيب على أهل السُّنة إنكارهم لبدعة المَولد المَأخوذة مِن النَّصارى في أواسط القَرن الرَّابع[1] الهجري، أخذها منهم أبو القاسم العَزَفِيّ مِن أهل سبتة، ولم يَأخذها مِن بَعيد، فإنَّ سَبتة مُجاورة للأندلس، وأهلها نَصارى[2].

---

(١) كذا، والصواب: «السابع»، وسيأتي في الحاشية الآتية بيان ذلك، وأن إحداث بدعة المولد كان قبل ذلك، ويعود على أواسط القرن الرابع الهجري.

(٢) **الصحيح** أن أوَّل من أحدث بدعة المولد الفاطميون العبيديون من الباطنيين، كما قال المقريزي في «خططه» (١/ ٤٩٠)، والقلقشندي في «صبح الأعشى» (٣/ ٤٩٨)، والسندوبي في «تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي» (٦٩)، ومحمد بن بخيت المطيعي في «أحسن الكلام» (٤٤ - ٤٥)، وعلي فكري في «محاضراته»، وعلي محفوظ في «الإبداع» (ص١٢٦)، وحسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف في كتابهما «المعز لدين الله» (ص٢٨٤)، وأحمد المختار العبادي في تأليفه في التاريخ العباسي والفاطمي (ص٢٦١ - ٢٦٢)، وإسماعيل الأنصاري في «القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ﷺ» (ص ٦٤)، وعبدالله بن منيع في «حوار مع المالكي» (ص ٥٧).

وذكر بعضهم أنَّ أول من أحدثه صاحب إربل الملك المظفر.

انظر: «وفيات الأعيان» (١/ ٤٣٧)، و«الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أحكامهم في المولد النبوي» (ص ٨٩ و٩٥)، و«الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلوّ وبلا جحاف» (ص ٣٤- ٣٥).

وذكر سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (٨/ ٣١٠)، وأبو شامة المقدسي في «الباعث» (٩٦- بتحقيقي) أنَّ أول من أحدثه بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا، أحد الصالحين المشهورين، وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره.

ولا يبعد أن يكون عمل المولد تسرب إلى الشيخ عمر الملا من العُبيديين، فإنهم=

....

= أخذوا الموصل سنة (٣٤٧هـ) كما في «البداية والنهاية» (١١/ ٢٣٢)، ومولد الملك المظفر سنة (٥٤٩هـ) كما في «التكملة» (٣/ ٣٥٤)، وولي السلطنة بعد وفاة أبيه سنة (٥٦٣هـ) كما في «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٣٥).

قال محمد بخيت المطيعي في «أحسن الكلام» (ص ٥٢):

«... مِن ذلك تعلم أن مظفر الدين إنما أحدث المولد النبوي في مدينة إربل على الوجه الذي وصف، فلا ينافي ما ذكرناه من أن أوَّل مَنْ أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميون من قبل ذلك، فإن دولة الفاطميين انقرضت بموت العاضد بالله أبي محمد عبدالله ابن الحافظ بن المستنصر في يوم الاثنين عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمس مئة هجرية، وما كانت الموالد تعرف في دولة الإسلام مِن قبل الفاطميين».

بقي بعد هذا، أن نقول: إن المحدثات كلها شر وضلالة بنص رسول الله ﷺ، وإن كل عمل ليس له أصل من الشرع، بدعة وضلالة، وإن ارتكبه من يُعدُّ من «الصالحين» ويشتهر به!! ولقد بيَّن ياقوت في «معجمه» (١/ ١٣٨) -وهو من معاصري الملك المظفر- شيئًا من أحواله وقال:

«طباع هذا الأمير متضادَّةٌ، فإنه كثير الظلم، خسوف بالرَّعيَّة، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها»، وذكر ابن العماد في «شذرات الذهب» (٥/ ١٤٠) في ترجمة الملك المظفر: «كانت نفقته على المولد في كل سنة ثلاث مئة ألف دينار».

وأخيرًا... انظر في بدعية المولد ومفاسده المترتبة عليه: المصادر المذكورة سابقًا، و«اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٢٩٥)، و«الفتاوى الكبرى» (١/ ٣٢١)، و«المدخل» (٢/ ١٦ - ١٧)، و«المعيار المعرب» (٨/ ٢٥٥) و(٩/ ٢٥٥) و(٧/ ١٠٠ - ١٠١ و١١٤) و(١٢/ ٤٨ - ٤٩)، و«المواهب الدنية» (١/ ١٤٠)، و«تفسير المنار» (٩/ ٩٦) و(٢/ ٧٤ - ٧٦)، و«فتاوى رشيد رضا» (٥/ ٢١١٢).

وقد صنَّف الفاكهاني رسالة لطيفة في حكم المولد أسماها بـ«المورد في عمل المولد»، فانظرها فإنها مفيدة، وألَّف أحد المعاصرين «فتح العزيز القوي بكشف شبهات المحتفلين بالمولد النبوي» في (١٠٠٨) صفحات، ذكر فيه (٦١) شبهة، وردَّ عليها.

وأمَّا أبو القاسم العَزَفي فهو صاحب سَبْتَة الفقيه -وهذا لقبٌ له- محمدٍ ابن صاحب سبتة الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللَّخميُّ السَّبْتيُّ العَزَفي.

حكم على بلد سبتة بعد أبيه في سنة ثلاث وثلاثين وست مئة.

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٥/ ٤١٣- ٤١٤): «حدثني أبو الصفا خليل بن أيْبَك الكاتب أن الإمام أبا حيَّان حدَّثه أنَّ أبا القاسم هذا لم يؤدِّ طاعة لأحدٍ من ملوك=

فيُقال لهُ: هذا المَولد المُقتبس مِن النَّصارى مَن أحدثهُ؟ هل هُو سُنة أو بِدعة؟ هل فَعلهُ رَسول الله ﷺ؟ أو الصَّحابة؟ أو التَّابعون؟ أو الأئمة المُجتهدون؟ أو أهل الحَديث كالسُّفيانَين، وعبد الله بن المُبارك، ومالك، وأحمد، والبُخاري، ومُسلم، حاشاهم مِن ذلكَ؟ ويُناسب هنا إدراج القَصيدة الحَمزية التي نَظمتُها في شَيخ الموالد الدَّجَّال، المُشرك المَدعو حَمزة، إمام مَسجد في الدَّار البَيضاء، **ونَصُّها**[1]:

= المغرب، وساسَ بلده أحسن سياسة، بحيث لم يختلف عليه اثنان، ولم يتسم بألقاب الملوك، إنما يقال: الفقيه. وكان أبيض، ربْعةً، ذا شيبة، شهمًا، عاقلًا، داهية، سائسًا، لا يدخل سبتة غريب إلا بضامن، ولا يخرج إلا بإذن، ولا قتل ولا قطع إلا في حدٍّ، ولا يدخل أحد بلده راكبًا، وكان متواضعًا، قريبًا، يمرُّ في الأزِقَّة ويسلِّم، ويسأل العامة عن أحوالهم، ويؤانس صبيانهم، ويسألهم عما يشتغلون به مِنْ علم أو صَنعة، بقي الغرباء يرغبون في بلده ويشترون به العقار، وكان عسكره أهل بلده قد جعلهم يتعلَّمون الرمي، وأجرى عليهم رزقًا، ولهم صنائع، وكان له مراكب يقاتل بها، وصاهر بني الرنداحي رؤساء البحر، وكانوا شجعانًا أجلادًا، فقوي أمره، حدَّث عن أبيه، وكان أبوه عالمًا بالحديث، وحدَّث -أيضًا- عن أبي القاسم بن بقي، وأبي الربيع بن سالم، كَتب إليَّ بالإجازة».

ثم قال -وهذا هو الشاهد-: «وألَّف كتاب «الدُّر المُنظَّم في المولد المُعظَّم»، وكان يعمل بسبتة المولد، بخلاف سائر الأندلس، فإنه لا يُعمل فيها سوى ميلاد عيسى تبعًا للنصارى. إلى أن قال: وله نَظْمٌ.

قلت: امتدَّت أيام دولته وشاخ، وبقي إلى سنة بضع وسبعين وست مئة».

(١) أورد الهلاليُّ هذه القصيدة في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص٢٤٢- بتحقيقي) **تحت** عنوان (الاستسقاء بذبح الخيل)، وقال قبلها: «وفي تلك الأيام المجدبة بلغنا **استسقاء آخر عجيب وغريب**، وذلك أنَّ أهل سريف -وهي قبيلة في شمال المغرب- أشار عليهم أحد الدجاجلة بما زعم أنَّه قرأه في كتيب من كتب الخرافات والأساطير يسمى: «خزينة الأسرار»، وذلك أنَّه إذا وقع الجدب وانقطع المطر، وأراد الناس الغيث؛ يعمدون إلى مهر مِن الخيل؛ فيكتبون على جبهته قوله -تعالى- من سورة الشورى [٢٨]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، ثم يذبحون المهر، ويعلقون رأسه في فرع شجرة عالية؛ فإنهم يمطرون، فعل ذلك أهل=

....

= سريف فخيبهم الله! وفي ذلك قلت القصيدة التالية».
ونشرت في مجلة «الهدي النبوي» المصرية، المجلد (٣١)، العدد الثاني، بتأريخ صفر سنة ١٣٨٦هـ (ص ٣٢-٣٥)، والعنوان في «الهدي النبوي»: «لا تذبحوا لغير الله».
وذكرها الهلالي في رسالةٍ وجهها لمحمود مهدي الاستنبولي مُؤَرَّخةً بـ(٢٦/ ١/ ١٣٨٨هـ) قال له فيها: «ولا أزال أذكرُ أنكم استحسنتم قصيدةً في ذم البدعة، والدعوة إلى السنة، نشرتُها في مجلة «الهدي النبوي»، وكنتُ أُريد أَنْ أنشر غيرها؛ فتوقفت المجلة»، انظر كتابي «رسائل العلّامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي الشخصية للعلماء والوجهاء» (٢/ ٧٤٠ - ط الأولى).
وفي رسالة أخرى له مؤرخة بـ١٨/ ٥/ ١٣٨٦هـ يوافق ٣/ ٩/ ١٩٦٦م، قال له فيها: «ولم أزل أقرأ ما تنشره في «الهدي النبوي»؛ فأفرح به، ومنه علمتُ أن القصيدة التي نظمتُها في قبيلة (سريف) المشركين أعجبتك؛ فأخبركَ أني قلتُ كثيرًا من الشعر منذ أوائل الشباب؛ فمنه ما نُشِرَ في المجلات والصحف المختلفة الأوطان، ومنه ما ضاع قبل أن ينشر، ومنه ما يزال محفوظًا عندي، ولي في تقريع المقلِّدين والمشركين -أفرادًا وجماعات- قصائد تُقِرُّ عينَ كلِّ مُوحِّدٍ نبيلٍ، وتسخن عين كلِّ مُشركٍ ذليلٍ».
وفصَّل الهلالي في رسالة مؤرخة بـ٣/ ١/ ١٣٨٧هـ، وجهها من مكناس لتلميذه علي ابن أحمد الريسوني الحسني في مناسبة قول هذه القصيدة، **وهذا نصُّ كلامه:**
«أما صلاة الاستسقاء التي ذكرها لك السيد عبد القادر الطود؛ فلها حكاية: فقد قحط المطر في تلك القطر في تلك السنة، واستسقى أهل القصر استسقاءً شركيًّا؛ فنادى المنادي بأمر من القائد الملالي يأمر الناس أن يستعدوا للخروج في يوم معلوم لطلب الغيث من المدفونين تحت التراب، واشتروا ثيرانًا وكباشًا، وأكبر الثيران كان ثورًا أسود جعلوه قُربانًا للسيد أبي غالب، وخرج القائد والقاضي والناس كلهم حفاة حاسري الرؤوس خاشعين متذلِّلين، يتقدمهم الثور الأسود؛ فذبحوا على الآلهة الكبار كل واحد ثورًا، وذبحوا على الصغار كبشًا؛ فخيبهم الله!
ثم أمرهم أحد الدجاجلة أن يجمعوا سبعين ألف حصاة، ويجمع القراء؛ فيوزعون عليهم الحصى بحيث يقرأ على حصاة قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، ثم جمعوا ذلك الحصا في أكياس، وربطوا أفواهها بحبال، وشدوا أطرافها إلى الأشجار، ووضعوا الأكياس في نهر جارٍ، وقال لهم دجالهم: إن الأكياس متى استقرت في الماء، أخذ المطر ينزل مدرارًا، ولا يزال كذلك حتى يكتفوا ويخرج الأكياس من الناس، وإن لم يخرجوها استمر المطر=

بَكَى قَوْمٌ عَلَى جَاهٍ وَمَالٍ وَأَعْوَلَ آخَرُونَ مِنَ الْهُزَالِ
وَبَعْضُهُمُ بَكَى فِي إِثْرِ خِلٍّ بُعَيْدَ الأُنْسِ آذَنَ بِارْتِحَالِ
وَبَعْضُهُمُ يَنُوحُ عَلَى شَبَابٍ تَوَلَّى ثُمَّ بُدِّلَ بِاعْتِلَالِ

= حتى يقع طوفان ويغرق الناس؛ فقلتُ: آمنا بالله! وكفرنا بأحجارهم! فلم تنزل عليهم قطرة واحدة!

وأخذ أهل سريف مهرًا من الخيل، وكتبوا على جبهته الآية المذكورة، وقطعوا رأسه وعلقوه في شجرة، ولي في ذلك قصيدة طويلة قلتُ في جملتها، ثم وجدتُ عندي منها نسخة تجدها مع هذا الكتاب، وقد خيبهم الله جميعًا!

فجاءني بعض أصحابنا وطلبوا مني أن أصلي الاستسقاء، وكانوا خائفين من القائد والقاضي، وكان عددهم لا يزيد على أربعين، وأحدهم معلم صبيان؛ فجاء بصبيانه وعددهم خمسون؛ فكان الجميع زهاء تسعين؛ فصلينا في مصلى العيد؛ فجاء الله بالمطر!

واعترف بذلك المشركون، حتى أن القائد الملالي نفسه -وكان يبغضني كثيرًا؛ لأنه تيجاني- قال لأصحابه: أيكم يصنع لنا طعامًا على هذا المطر؟ فانتدب لذلك أحد أصحابه، وقال له قائل منهم: ينبغي أن ندعو محمد تقي الدين الهلالي؛ لأنه هو الذي صلى صلاة الاستسقاء، وعلى إثر صلاته جاء المطر، وبعث إليَّ السيد العربي الشاوش -وكان من المحبين لي-؛ فذهبتُ وتغديتُ معهم، وتكلمتُ لهم بكلام طويل لا يتسع المكان لذكره».

وهي في «الديوان» (٤٨٨ - ٤٩٢، بتحقيقي)، وقال قبلها: «وقلتُ بالقصر الكبير في ٩ رجب ١٣٦٤هـ، لمَّا بلغني أن أهل قرية من قُرى جبل العَلَم، وتُسمى: (سريف) لما قحط المطر؛ فأمرهم أحد الدجاجلة بذبح فرس وكتابة آية من القرآن، وهي قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ على جبهته بعد قطع رأسه، وتعليقه في شجرة عالية استنزالًا للمطر -بزعمه!-؛ ففعلوا ما أمرهم به، وخيب الله سعيهم، فلم تنزل عليهم قطرة واحدة؛ فقلت في ذلك القصيدة التالية...» وذكرها.

قال أبو عبيدة: قوله (سريف) صوابه -فيما كتب إليَّ الشيخ العلَّامة محمد بوخبزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: (أهل سْريف)، وهم قبيلة لا قرية، وبعيدة من جبل العَلَم، قريبة من مدينة القصر الكبير، والدجَّال الذي أمرهم بذبح الفرس هو الفقيه أحمد الشرادي من القبيلة المذكورة.

وَدِينُ اللهِ أَصْبَحَ فِي ضَيَاعِ … فَلَا بَاكٍ عَلَيْهِ وَلَا مُبَالِ
بِدَهْرٍ صَارَ فِيهِ الْعُرْفُ نُكْرًا … وَنُورُ الْحَقِّ غُطِّيَ بِالضَّلَالِ
وَسُنَّةُ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ أَضْحَتْ … تُنَادِي أَيْنَ أَنْتُمْ يَا رِجَالِي
طَغَى وَبَغَى عَلَيْهَا ذُو ابْتِدَاعٍ … خَبِيثٌ جاحِدٌ للحَقِّ غالِ[1]
مَتَى مَا شَاهَدَ الْغُرَبَاءَ هَبُّوا … لِنُصْرَتِهَا تَوَعَّدَ بِالْقِتَالِ
وَغَرَّتْهُ جُمُوعٌ وَافِرَاتٌ … حَوَالَيْهِ تُوَالِي مَنْ يُوَالِي
وَسَاعَدَهُ عُمُومُ الْجَهْلِ حَتَّى … لَقَدْ شَمِلَ الأَسَافِلَ وَالأَعَالِي
أَلَا يَا حَمْزَةُ الْمَغْرُورُ مَهْلًا … لَقَدْ عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْوَبَالِ
أَتَدْعُو لِلنِّزَالِ لُيُوثَ غَابٍ … وَلَمْ تَكُ قَطُّ مِنْ أَهْلِ النِّضَالِ
وَتَبْتَدِعُ المَوَالِدَ قَصْدَ أَكْلٍ … لِسُحْتٍ سَالِكًا سُبُلَ الْخَبَالِ
وَتَغْضَبُ أَنْ يَجِيءَ الْيَوْمَ نُورٌ … مِنَ السُّنَنِ الْمُطَهَّرَةِ الْعَوَالِي
فَيَسْحَتَ مَا خَرَقْتَ مِنَ ابْتِدَاعٍ … وَيَسْقِيَكَ الأَلِيمَ مِنَ النَّكَالِ
وَمَنْ طَلَبَ الْقِتَالَ بِلَا سِلَاحٍ … سَيُهْزَمُ ثُمَّ يَرْدَى فِي الْقِتَالِ
وَحِزْبُ اللهِ يَغْلِبُ كُلَّ حِزْبٍ … وَيَنْصُرُهُ الْمُهَيْمِنُ ذُو الْجَلَالِ
فَيُصْلِتُ مِنْ كِتَابِ اللهِ بِيضًا … مُهَنَّدَةً تُضِيءُ دُجَى اللَّيَالِي
وَمِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ لَهُ سِهَامٌ … وَمِنْ حُجَجِ الأُصُولِ لَهُ عَوَالِي[2]
وَأَهْلُ الشِّرك[3] كُلُّهُمُ بُغَاثٌ … يَتَامَى فِي الْعُلوم[4] ذَوُوا اخْتِبَالِ
وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ السُّنَنِ الْعَوَالِي … يَذُقْ مُرَّ الْهَزِيمَةِ فِي النِّزَالِ
وَيُكْسَى الْخِزْيَ فِي دُنْيَاهُ دَوْمًا … وَبالنِّيرانِ فِي أُخْرَاهُ صالي[5]
وَمَا لَكَ فِي الْمَوَالِدِ مِنْ دَلِيلٍ … مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ التَّوَالِي
وَمَا لَكَ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ إِمَامٍ … وَلَا فِي التَّابِعِينَ ذَوِي الْكَمَالِ

---

(١) في «ديوانه»: «خَبِيثٌ سَالِكٌ سُبُلَ الْخَبَالِ».
(٢) في الأصل: «عوال».
(٣) في «ديوانه»: «الرَّأْيِ».
(٤) في «ديوانه»: «الْحَدِيثِ».
(٥) في «ديوانه»: «وَفِي أُخْرَاهُ يُقْرَى بِالنَّكَالِ».

وَبَعْدَهُـمُ الْفُحُـولُ ذَوُو اجْتِهَـادٍ حَـمَاهُمْ رَبُّـهُمْ مِنْ ذِي الْـخِلَالِ
بِدِيـنِ الشِّـرْكِ تَـأْكُلُ كُلَّ يَـوْمٍ لِذَلِـكَ قَـدْ سَـمِنْتَ مِـنَ الْـهُزَالِ
وَمَـنْ يَـأْكُلْ بِدِيـنِ الْـحَقِّ يُسْلَكْ عَذَابًـا فِـي الْـحَيَاةِ وَفِـي الْـمَآلِ
فَكَيْـفَ الآكِلُـونَ بِدِيـنِ شِـرْكٍ وَبِالْبِـدَعِ الْـمُقَطَّعَةِ الْـحِبَالِ
أَلَا لَا أَشْـبَعَ الرَّحْـمَنُ بَطْنًـا لِأَفَّـاكٍ يَعِيـشُ بِالِاحْتِيَـالِ
تَـمُوتُ الْـحُرَّةُ الشَّمَّاءُ جُوعًـا وَتَـحْفَظُ ثَدْيَـهَا فِـي كُلِّ حَـالِ
وَلَا تَرْضَـى بِبَيْـعِ الـدَّرِّ نُبْـلًا فَكَيْـفَ بِعِرْضِـهَا يُشْـرَى بِحَـالِ
وَبَيْـعُ الْعِـرْضِ عِنْدَ الْحُـرِّ شَيْنٌ وَبَيْـعُ الدِّيـنِ أَقْـرَبُ لِلْوَبَـالِ
أَلَا يَـا حَـمْزَةٌ أَسْـلِمْ وَطَهِّـرْ فُـؤَادَكَ كَـيْ تَعِيـشَ مِـنَ الْـحَلَالِ
وَتُـبْ مِـنْ كُلِّ شِـرْكٍ وَابْتِـدَاعٍ تَنَـلْ خَيْـرًا وتَرْقَـى لِلْمَعَالِـي
فَيُغْنِـيكَ الْكَرِيـمُ بِفَيْـضِ جُـودٍ وَتَأْتِيـكَ الْـمَوَاهِبُ بِالتَّوَالِـي
فَكَـمْ مِـنْ بَائِـسٍ لَـمَّا تَحَلَّـى بِدِيـنِ الْـحَقِّ أُكْـرِمَ بِالنَّـوَالِ
حَبَـاهُ اللهُ بَعْـدَ النَّحْـسِ سَـعْدًا وَأَلْبَسَـهُ جَدِيـدًا بَعْـدَ بَـالِ
نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ الْيَوْمَ نُصْحِي وَإِنْ تُعْـرِضْ فَإِنِّـي لَا أُبَالِـي
وَأَخْتِـمُ بِالصَّـلَاةِ عَلَـى نَبِـيٍّ عَظِيـمٍ فِـي الْـمَقَالِ وَفِـي الْفِعَـالِ
صَـلَاةً تَشْـمَلُ الْأَصْحَـابَ طُـرًّا وَقَبْـلَ الصَّحْـبِ تَشْـمَلُ خَيْـرَ آلِ
دَوَامًـا مَـا بَـدَا فِـي اللَّيْـلِ نَجْـمٌ يُضِـيءُ وَمَـا تَـلَا الْقُرْآنَ تَالِـي[1]

---

(١) في «الديوان» (٤٩١ - ٤٩٢) بعده زيادة، هي:

وَمِـنْ سُـنَنِ الرَّسُـولِ وَمُقْتَفِيـهِ[أ] سُـؤَالُ الْغَيْـثِ مِـنْ مَوْلَـى النَّـوَالِ
مِـنَ الرَّحْـمَنِ لَا يَدْعُـونَ شَيْئًـا سِـوَاهُ مُـخْلِصِينَ فِـي الِابْتِهَـالِ
إِلَـى أَنْ جَـاءَ بَعْدَهُـمُ خُلُـوفٌ دَعَـوْا أَهْـلَ الْـمَقَابِرِ بِاهْتِبَـالِ
وَقَـدْ ذَبَحُـوا لَـهُمْ بَقَـرًا وَشَـاءً وَقَـدْ نَحَـرُوا السِّمَانَ مِنَ الْـجِمَالِ =

(أ) كذا في «الهدي النبوي»، وفي «الدعوة إلى الله»: «وتابعيه».

....

= وَمَـنْ يَذْبَـحْ لِغَيْـرِ اللهِ يُلْعَـنْ   مَقَـالُ الْـمُصْطَفَى خَيْـرُ الْـمَقَالِ(أ)
وَأَعْجَـبُ بِدْعَـةٍ فِيمَـا سَـمِعْنَا   وَأَعْـرَقُ فِـي الْـجَهَالَةِ وَالْـخَبَالِ
أُمُـورٌ عَـنْ سَـرِيفٍ قَـدْ أَتَتْنَـا   تَوَاتَـرَ نَقْلُهَـا بَيْـنَ الرِّجَـالِ
فَقَـدْ عَمَـدُوا إِلَـى مُهْـرٍ كَرِيـمٍ   مِـنَ الْـخَيْلِ الْـمُطَهَّمَةِ الْغَوَالِـي
فَحَـزُّوا رَأْسَـهُ بِالسَّـيْفِ ظُلْمًـا   وَلَـمْ يُذْنِـبْ إِلَـى أَحَـدٍ بِحَـالِ
وَقَـدْ كَتَبُـوا بِجَبْهَتِـهِ سُـطُورًا   مِـنَ القُـرْآنِ يَـا لَـكَ مِـنْ ضَـلَالِ
وَتِلْـكَ إِهَانَـةٌ لِلذِّكْـرِ جَلَّـتْ   صِفَـاتُ اللهِ عَـنْ هَـذِي الْـخِلَالِ
وَلَـوْ تَبِعُـوا الْكِتَـابَ وَعَظَّمُـوهُ   مَـعَ السُّـنَنِ الْـمُطَهَّرَةِ الْعَوَالِـي
لَأَسْـقَاهُمْ إِلَـهُ النَّـاسِ رِيًّـا(ب)   بِـلَا ذَبْـحٍ لِـخَيْلٍ أَوْ بِغَـالِ
وَمَـنْ يُعْـرِضْ عَـنِ القُـرْآنِ يُسْـلَكْ   عَذَابًـا(ج) قَـوْلُ رَبِّـكَ ذِي التَّعَالِـي(د)
وَالِاسْتِسْـقَا بِذَبْـحِ الْـخَيْلِ بِـدْعٌ   غَرِيـبٌ لَـمْ نَـرَى(هـ) لَـهُ مِـنْ مِثَـالِ
أَأَهْـلَ سَـرِيفٍ اتَّئِـدُوا وَتُوبُـوا   إِلَـى الرَّحْـمَنِ مِـنْ هَـذَا الْـمُحَالِ
فَـرَبُّ النَّـاسِ صِدْقًـا وَحِّـدُوهُ   وَقَفُّـوا لِلنَّبِـي بَحْـرِ الْكَمَـالِ(و)

(أ) الإشارة إلى قوله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ». «الهدي النبوي»

(ب) كذا في «الهدي النبوي»، وفي «الدعوة إلى الله»: «غَيْثًا».
وسقط عجز البيت السابق وصدر هذا البيت من طبعة دار الكتاب والسنة من «الدعوة إلى الله» (ص٩٦).

(ج) الإشارة إلى قوله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]. «الهدي النبوي»

(د) في «الهدي النبوي»: «المعالي».

(هـ) كذا في «الهدي النبوي»، وهو الصواب للضرورة الشعرية، وفي «الدعوة إلى الله»: «نر».

(و) البيت الأخير ليس في «الهدي النبوي»، وفي «الدعوة إلى الله»: «وحدوده»! بدل «وحّدوه»، وللهلالي في «الهدي النبوي» تعقيب وكلام طويل عقب القصيدة، ذكرناه في جمعنا لـ« جمهرة مقالاته»، يسَّر الله نشرها.

ثم قال حسين أحمد: «وقياسًا على ذلك يرون أذكار الأولياء أمرًا قبيحًا».

قالَ محمد تقي الدين: مَقصودهُ بأذكار الأولياء؛ الأوْراد التي يُعطيها شيوخ التَّصوف أتباعهم ويُسمونها أوْرادًا، وهي حبال يَربطون بها أتباعهم[١].

وقد أخذتُ أحد هذهِ الأوْراد -وهو ورد الطَّريقة التِّيجانية-، وبَقيت فيه تسع سِنين، وفي السَّنة الأخيرة صِرت مُقدَّمًا، وبَعد انقضاء تِسع سنين سافرتُ مِن وجدة[٢] إلى فاس لزيارة قَبر الشَّيخ أحمد التِّيجاني، واعتكفت عندهُ ثَلاثة أيام، وأنشدتهُ ثَلاث قَصائد[٣] طلبتُ منه فيها خَير الدُّنيا والآخرة، وكانَ ذلكَ في (أوائل رَبيع الأوَّل سَنة ١٣٣٨ هـ)، وبَعد ذلكَ جَمعني الله -تعالى- بأُستاذي شَيخ الإسلام محمد بن العَربي العَلوي[٤] الذي أخرجني الله بدَعوتهِ مِن ظلمات الشِّرك إلى نور التَّوحيد والسُّنة[٥].

فإنْ قلت: وهل أخْذُ الوردِ يُسمَّى شِركًا؟

فالجَواب: سأحكي لكَ كيفَ أخذتُ الورد وتَولَّ أنت الحُكم.

كانَ عمري حين أخذتُ الورد عشرين سَنة، فتَوجَّهتُ إلى الشَّيخ عَبدالكريم المنصوري[٦]، وقلتُ له: أريد أنْ تُعطيني ورد الطريقة التِّيجانية. فذهبَ بي إلى مَكان بَعيد مِن السوق، وجَلسنا على الأرض، وقال لي: أبشر بخَيرٍ؛ فإنَّ هذا الورد فيهِ فَضائل كبيرة، منها: أنَّ صاحبه إذا داوم عليهِ إلى المَوت يَدخل الجنَّة بلا حساب ولا عقاب، هو ووالداه وأولاده وأزواجه، ثم الحفدة، وهُنالك فَضائل أُخرى سَتجدها في كُتب الطَّريقة[٧].

---

(١) انظر: «الهدية الهادية» (ص ٢١٢- ٢١٣) وتعليقي عليه.

(٢) حيث كان مقيمًا عند شيخه أحمد السكيرج التيجاني.

(٣) انظر مقدمتي لـ«الذيل على المستدرك على ديوان الهلالي»، وهو قيد الطبع على إثر تحقيقي لكتابه «الهاديات» (ص١١٦).

(٤) ترجمته بملحق خاص، وضعته آخر «الهدية الهادية» (ص ٦٢١ - ٦٣١) للمصنف.

(٥) انظر تفصيل ذلك في «الهدية الهادية» (ص ٢٢٩ - ٢٧٠)، والملحق الأول الذي وضعته في آخره (ص ٥٣٣ - ٥٤٨).

(٦) ينظر «الهدية الهادية» (٢١٢، ٢١٦ - بتحقيقي) للمصنف، وما سيأتي (ص٣٩٢).

(٧) انظر: «الهدية الهادية» (ص١٢، ٨٨، ٩٣، ٢٥٥، ٤٠٠، ٤٣٧، ٥٤٠) وتعليقنا عليه.

فقالَ لي: إذا جَلستَ لذكر الورد يَجب أنْ تكون على طَهارة تامَّة؛ طَهارة الحَدث، وطَهارة الخبث، وأنْ تَجلس كجلوسك للتَّشهد، مُستقبل القبلة، ولا تَكلم في أثناء الذِّكر، وإنْ غمضتَ عَينيك فهو أحسن، وتَصوَّر أمامك صورة الشَّيخ أحمد التِّيجاني، ووَجهه أبيض مُشْربٌ بحمرة، ولحيته بَيضاء، وعلى رَأسِهِ عمامة، وتَصور أنَّ عَمودًا مِن النُّور يَخرج مِن قَلبه ويَدخل قَلبك.

وهذا يُسمونه الاستمداد[1]، وهذا العَمود الذي زَعم أنَّه يَخرج مِن قلب الشَّيخ ويَدخل فِي قلبي؛ يُنوِّر القلبَ، ويَشرح الصَّدرَ، ويُثبِّت الإيمان!

وهذا كفرٌ؛ لأنَّ مَن اعتقدَ أنَّ هداية القلوب يَقدر عليها ملَك، أو نَبي، أو صالح، فهو كافرٌ[2].

ومِن المَعلوم أنَّ أبا طالب عمَّ النَّبي ﷺ كانَ يُحسن إلى النَّبي ﷺ، وكانَ للنَّبي ﷺ بمَنزلة الأب مِن حين كانَ عُمر النَّبي ﷺ عَشر سنين إلى أنْ صارَ عُمره خَمسين سَنة، وتَحمَّل الشَّدائد والآلام والجوع والمقاطعة في نصرة النَّبي ﷺ، ومَع ذلكَ حينَ حَضرته الوَفاة ذَهبَ إليهِ النَّبي ﷺ، ووَجد عنده أبا جهل بن هشام، وعَبد الله بن أبي أُمية، فدنا منهُ، وقالَ لهُ: «**يَا عَمّ! قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**».

فقالَ له الرجلان المَذكوران، وهُما مِن شِرار كُفار مَكة: أترغب عَن دين عَبد المطلب؟ يَعنيان: كيف تَترك دين أبيك وأسلافك وتَدخل في دين جَديد وأنت سَيد قريش؟ فكلما قالَ له النَّبي ﷺ: «**يَا عَمّ! قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» أعادا عليه مقالهما، فكانَ آخر كلامه هو أنْ قالَ: هو على دين عَبدالمطلب. فماتَ كافرًا، فحَزن عليه النَّبي ﷺ لأنَّه ماتَ كافرًا، فأنزلَ الله -تعالى- عليهِ قوله -تعالى- في (سُورة القَصص) [٥٦]: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

---

(١) انظر ما سيأتي عنه في التعليق على (ص٤٢٥).

(٢) انظر: «الهدية الهادية» (ص٢١٥) وتعليقنا عليه.

وقالَ النَّبي ﷺ: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فاستغفرَ لَهُ حتى أنزلَ الله -تعالى- عَليهِ مِن (سُورة التَّوبة) [١١٣]: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ﴾، فتَركَ النَّبي ﷺ الاستغفار لعمهِ[1].

فإذا كانَ النَّبيُّ ﷺ لا يَستطيع أنْ يُدخل الهِداية في قَلب عَمِّه الذي هو صِنو أبيهِ، كيفَ يَستطيع شَيخ الطريقة أنْ ينوِّرَ بذلكَ العَمود المَكذوب قَلب المُريد؟ فمَن زَعم أنَّ غَير الله -تعالى- وإنْ كان مَلَكًا أو نبيًّا- يَقدر على هداية القلوب؛ فهو كافرٌ، مُشرك.

ثم يُقال لحسين أحمد مطية الاستعمار الهندي: هذهِ الأذكار التي نَسبتها لأوليائك -أولياء الشَّيطان-: هلَ جاءَ بها النَّبي ﷺ، وعَلَّمها أمته، ووَرَّثها إيَّاهم؟ أمْ هي وَحيٌ أُنزلَ على أولئك الأولياء لا يَعرفه النَّبي ﷺ؟

فإنْ قال: «هي مِمَّا جاءَ بِه النَّبي ﷺ، ووَرَّثها أُمته»؛ صارَ أخذ الإذن فيها بِدعة، وإنَّما يَعلم أهل العلم ألفاظها ومَعانيها، ولا تَحتاج إلى إذن؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ أعطاها أُمته، وأذن لَها فيها.

ومِن ضَلالات المُتصوفة أنَّهم يَقولون: إنَّ الذِّكر إذا أخذ بالإذن مِن الشَّيخ يَكون أجرهُ أعظم، وإذا لم يُؤخذ الإذن فيهِ مِن الشَّيخ يَكون أجرهُ أقل.

فمِن ذلكَ قَول التِّجانيين عَن شَيخهم -بزَعمهم-: إنَّ (صَلاة الفاتح لِمَا أغلق) إذا أخذت بالإذن مِن الشَّيخ، أو مِمَّن أذنَ لهُ الشَّيخ؛ تَعدل (سِتة آلاف

---

(١) أخرجه البخاري في (كتاب التفسير): باب ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (رقم ٤٦٧٥)، وباب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (رقم ٤٧٧٢)، ومسلم في (كتاب الإيمان): باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع -وهو الغرغرة- ونسخ جواز الاستغفار للمشركين، والدليل على أن من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم، ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل (رقم ٢٤) من حديث المسيَّب بن حَزْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خَتمة مِن القرآن)[١]، وإذا ذكرت بغَير إذن؛ فهي كسائر الصَّلوات، لا فَضل لَها على غَيرها!

فإذا أنكرَ المُوحِّدون أوراد شيوخ التَّصوف؛ فإنَّما أنكروا البدع المُحدثة، فمَتى أعطى أبو بكر الصِّديق وردًا؟! ومَتى أعطى عمر وردًا؟! وكذلكَ يُقال في عثمان، وعلي، وفي سائر الصَّحابة!

وهل كانت في الصَّحابة طرق؟ طَريقة بَكرية، وطَريقة عُمرية، وطَريقة عُثمانية، وطَريقة عَلوية، وطَريقة جابرية، وطَريقة مَسعودية[٢]؟! ﴿سُبۡحَٰنَكَ

---

(١) قال العلَّامة إبراهيم القطان (قاضي القضاة الأردني) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «مخازي الولي الشيطاني الملقب بالتجاني الجاني» (٦٠٤ - ٦٠٥): «هذا من أشدِّ كفره وردَّته! فالقرآن كلام الله، وفضل كلام الله على كلام الخلق كفضل الله على خلقه.
وفي هذا مِن تنقيص القرآن وتزهيد الناس فيه بحيث لا يُلتفت إليه؛ ما لا يخفى، فكيف يقرؤه أحد على هذا؛ مع وجود هذه الصلاة المخترعة؟! فقصده إبطال التعبد بالقرآن -لا حقَّق الله قصده-، فلينظر العاقل هذا الافتراء، والتحذير، وتفضيل هذه الصلاة المختلَقة على الذكر الشامل للقرآن، وعلى ما ورد عنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من جميع الأذكار النبوية».
وينظر -لزامًا-: كلام العلَّامة الأديب الشيخ علي الطنطاوي الذي زبرناه في تقديمنا لـ«الهدية الهادية» (ص١٥ - ١٦) للهلالي.

(٢) انظر كلام الهلالي عن الطرق في كتبه: «سبيل الرشاد» (١/ ٤٦٤ - ٤٦٥) و(٤/ ١٢٤، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٥ - ٢٠٦)، «شرح كتاب التوحيد» (ص١٧٠، ٣٣٨ - بتحقيقي)، «العيون الزلالية» (فتوى رقم ١٥٥، ٨٦٣م، ٩١٥م - بتحقيقي)، «رحلة إلى الموصل ومنها إلى بلاد كردستان» (٢/ ٤٨٠ - بتحقيقي)، «الدعوة إلى الله» (ص٥٠٦ - بتحقيقي)، «الهدية الهادية» (ص٢٠٧ - ٢١٢، ٣٥٩ - بتحقيقي).
ومقالاته: (مَا هِيَ الطَّرِيقةُ العلويَّةُ؟ وَمَتَى أُسِّسَت؟ وَمَن هُوَ مُؤَسِّسُهَا؟) المنشورة في جريدة «الجامعة الإسلامية» الفلسطينية - يافا، السنة الثانية، العدد (٣٤١)، الأحد ٦ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ - ٢٧ آب ١٩٣٣م، (ص٢)، والعدد (٣٤٢)، الاثنين ٧ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ - ٢٨ آب ١٩٣٣م، (ص٢)، (الطَّرائِقُ القِدَدُ وعَواقِبُها الوَخِيمة) المنشورة في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثاني عشر، عدد (٥٨٠)، بتأريخ ١٣ شوال ١٣٥٦هـ، (ص٦ - ٨)، (هل فيهم رجل رشيد؟) المنشورة في مجلة =

= «الشهاب» الجزائرية، المجلد الثالث، عدد (١٣٦)، ١ رمضان ١٣٤٦هـ - ٢٣ فيفري ١٩٢٨م، (ص٤ - ٨)، (الطَّرائق في الحِجاز) المنشورة في مجلة «الشهاب» الجزائرية، المجلد الرابع، عدد (١٥٠)، بتأريخ ١٩ ذي الحجة ١٣٤٦هـ - ٧ جوان ١٩٢٨م، (ص٢ - ٤)، والعدد (١٥١)، بتأريخ ٢٦ ذي الحجة ١٣٤٦هـ - ١٤ جوان ١٩٢٨م، (ص٤ - ٧)، والعدد (١٥٢)، بتأريخ ٣ محرم ١٣٤٧هـ - ٢١ جوان ١٩٢٨م، (ص٥ - ٨)، (مريضٌ يَشتُم طبيبَهُ فكان ماذا؟) المنشورة في مجلة «الشِّهاب» الجزائرية، المجلد الرابع، العدد (١٦٩)، الخميس ١٢ جمادى الأولى ١٣٤٧هـ، - ٢٥ أكتوبر ١٩٢٨م، (ص٨ - ١٠)، (سبيلُ اللهِ وسبُلُ الشَّيطان) المنشورة في مجلة «الشهاب» الجزائرية، المجلد الرابع، عدد (١٧٠)، بتأريخ ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٧هـ - ١ نقامبر ١٩٢٨م، (ص٣ - ٥)، (مَعنى الطُّرقي في العُرف) المنشورة في مجلة «الشهاب» الجزائرية، المجلد الرابع، عدد (١٧١)، بتأريخ ٢٦ جمادى الأُولى ١٣٤٧هـ - ٨ نقامبر ١٩٢٨م، (ص٣ - ٤)، (شيوخُ الزُّهدِ المتقدِّمين غيرُ الطُّرقيِّين المتأخِّرين) المنشورة في مجلة «الشهاب» الجزائرية، المجلد الرابع، عدد رقم (١٧٢)، بتأريخ ٣١ جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ - ١٥ نقامبر ١٩٢٨م، (ص٧ - ٩)، (الرِّجال يُعرَفُون بالحقِّ) المنشورة في مجلة «الشهاب» الجزائرية، المجلد الرابع، عدد رقم (١٧٣)، بتأريخ ١٠ جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ - ٢٢ نقامبر ١٩٢٨م، (ص٣ - ٥)، (ردُّ الأئمَّة المتقدِّمين على غلَطات الأكابر وضلالاتِ الأدعياءِ المتشبِّهين) المنشورة في مجلة «الشهاب» الجزائرية، المجلد الرابع، عدد رقم (١٧٤)، بتأريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ - ٢٩ نقامبر ١٩٢٨م، (ص٣ - ٥)، (لَا نقطع لأحدٍ بجنَّةٍ ولا نارٍ إلَّا بنصٍّ صحيح صريح) المنشورة في مجلة «الشهاب» الجزائرية، المجلد الرابع، عدد رقم (١٧٥)، بتأريخ ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٤٧هـ - ٦ ديسامبر ١٩٢٨م، (ص٦ - ٨)، (في سبيلِ الإصلاح) المنشورة في مجلة «الشهاب» الجزائرية، السنة الرابعة، عدد (١٧٩)، يوم الخميس ٢٣ رجب الفرد ١٣٤٧هـ - ٣ جانفي ١٩٢٩م، (ص٥ - ٧)، (المغرب في حاجةٍ شديدةٍ إلى التوحيد بمعناه الأعمِّ: توحيد العقيدة، وتوحيد الشعور، وتوحيد البلاد) المنشورة في جريدة «الحرية» التطوانية، السنة السادسة، العدد (٨٢٠)، الاثنين ٤ شعبان ١٣٦١هـ - ١٧ غشت ١٩٤٢م، (ص١)، (كيف خرجتُ من الطريقة؟ - الحلقة الأولى) المنشورة في جريدة «الحرية» التطوانية، السنة السادسة، العدد (٨٤٣)، الثلاثاء ٤ رمضان ١٣٦١هـ - ١٥ شتمبر ١٩٤٢م، (ص١)، (بين المشرق والمغرب: على أيِّ جسر عبر الشيخ عبد الحي الكتاني إلى =

﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

فحسين أحمد يَعيب المُوحِّدين لمُحافظتهم على سُنة النَّبي ﷺ، ومُحاربتهم البدع.

[من الطويل][(١)]

وَعَيَّرَنِـي الوَاشُـونَ أَنِّـي أُحِبُّهَـا ... وَتلـكَ شِـكَاةٌ ظَاهِـرٌ عَنْـكَ عارُهَـا

فإذا عَيَّرنا بمَحبة سُنة النَّبي ﷺ وتَرْك البدع؛ فقد مَدَحنا مِن حَيث يُريد ذَمّنا!

وما أحسن قَول الشَّاعر:

[من الطويل]

يُصِيبُ وَمَا يَدري ويُخطي وَمَا دَرَى ... وَكَيفَ يَكونُ النُّوْكُ إلَّا كَذلِكَا[(٢)]

= مشيخة الطريقة؟) المنشورة في مجلة «العرب» المقدسية، السنة الثانية، العدد (٥١)، السبت ١٩ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ - ٩ أيلول ١٩٣٣م، (ص ٧ - ٨).

(١) الشطر الثاني أول من قاله هو عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ردًّا على من عيَّر أمَّه رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بـ(ذات النطاقين)، وهذا البيت من إنشاد أبي ذؤيب بلفظ: (وعَيَّرها الواشون...)، فإما أن يكون أنشأ الشطر الثاني من عنده أو أخذه من ابن الزبير، انظر: «غريب الحديث» (٢/ ٤٣٧) لابن قتيبة، «الدلائل في غريب الحديث» (٣/ ١١٥٤)، «المُنَجَّد في اللغة» (٢٥٦) لأبي الحسن الملقب بـ(كراع النمل)، «جمهرة اللغة» (٦/ ١٣٨)، «ديوان الهذليين» (١/ ٢١).

(٢) لأبي الأسود الدؤلي في «ديوانه» (ص ١٠٣).

انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» (١١/ ٣٦٦)، وذكر في سببه قصة جرت له مع نعيم بن مسعود النهشلي والحصين بن الحر، كتب لهما كتابين، فامتثل ذلك نعيم ابن مسعود، ورمى الحصين بن أبي الحر بكتاب أبي الأسود وراء ظهره، فعاد الرجل فأخبره، فقال أبو الأسود للحصين:

حَسِـبْتُ كِتَابِـي إذْ أَتَـاكَ تَعرُّضًـا ... لسَيْبِكَ، لَـمْ يَذْهَـبْ رَجَائـي هُنالِـكَا

وَخَبَّرَنِـي مَـنْ كُنْـتُ أَرْسَـلْتُ إِنَّمَـا ... أَخَـذْتَ كِتَابِـي مُعْرِضًـا بِشِـمَالِكَا

نَظَـرْتَ إلَـى عُنْوَانِـهِ فَنَبَذْتَـهُ ... كَنَبْـذِكَ نَعْـلًا أَخْلَقَـتْ مِـنْ نِعَالِـكَا

ثم قالَ محمد أسلم[1] ناقلًا عَن التَّبليغيين مِن كتبهم: إنَّ أحدهم يَقول: «ليسَ فَضل الأنبياء بأعمالهم بل يَفوقهم بَعضُ أتباعِهم في الأعمال»[2].

ثم قالَ حسين أحمد[3]: «إنَّ الوَهابية يُسيؤون الأدب مَع النَّبي، ويَقولون: ليس له علينا إلا فَضيلة قليلة، وليسَ لهُ عَلينا حَقٌّ ولا إحسان، ولا يفيدنا شَيئًا بَعد مَوته ﷺ، وتَقول أكابر الوَهابية: إنَّ عَصاي هذهِ أنفع لنا مِن النَّبي ﷺ، أذود بها عَني الكلاب وأدفعهم بها، والنَّبي ﷺ لا يَنفع شَيئًا»[4].

قالَ محمد تقي الدين: هذا الكلام الخَبيث ناشئ عَن جَهل وعن اعتقاد خَبيث، قال الله -تعالى- في (سُورة الأعراف رقم الآية: [١٨٨]): ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

فالنَّبيُّ ﷺ قد نَفع الله بِهِ المُؤمنين مِن أُمته، فبَلَّغهم الرسالة، وهَداهم الله به صراطًا مُستقيمًا، وأخرجهم به مِن الظُّلمات إلى النُّور، ونَفعتهم دَعوته في الدِّين والدُّنيا، ففي الدِّين صاروا بدعوته مُؤمنين صالحين بَعد أنْ كانوا

= نُعَيْـمُ بـنُ مسـعودٍ أَحَـقُّ بِمَـا أَتَـى ... وَأنْـتَ بِمَـا تَأتِـي حَقيـقٌ بِذلِـكَا
يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي.................. البيت

ونسبه الزمخشري في «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» (٢/ ٤١) والعسكري في «الأوائل» (١٢٥) للفرات بن حيان في هجاء حسان، وقيل: لأبي سفيان بن الحارث، وقبله:

أَبُـوكَ أَبُـو سُـوءٍ وَخَالُـكَ مِثْلُـهُ ... وَلَسْـتَ بِخَيْـرٍ مِـنْ أَبِيـكَ وَخَالِـكَا

وذكره بلا نسبة في «محاضرات الأدباء» (١/ ٦٤).

وآخره في جميع طبعات «السراج المنير»: «كذلك»!

(١) في «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص ٩).

(٢) مجلة «دينية» بجنور يوليو ١٩٥٨ ص ٣ عمود ٣. (منه)

(٣) نقله محمد أسلم في «جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص ٩).

(٤) «الشهاب الثاقب» (ص ٥٣). (منه)

كافرين طالحين، وفي الدنيا أعزَّهم الله بدَعوتِهِ، وجَمع شَملَهم، ونصرَهم بَعد أنْ كانوا أذلَّةً مُستعبدين.

أمَّا هدايةِ القلوب، وشفاء الأمراض، وقَضاء الحاجات، وتَفريج الكربات، وشَرح الصدور، فلا يَقدر على ذلكَ إلا الله وَحدهُ لا شريك له، لا في حياة النَّبي ﷺ، ولا بَعد وَفاته، فهل يُريد هذا المُشرك أنْ نَستغيث بالنَّبي ﷺ بَعد وَفاته، ونَسأله قَضاء الحاجات، وتَفريج الكُربات، والنَّصر على الأعداء؟ فهذا كُفرٌ بالله؛ لأنَّ ذلكَ مِن خَصائص الله -تعالى-: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

والنَّبي ﷺ في غَزوة بَدر استغاث بالله[(١)]، وبالله استغاث أصحابهُ، وقالَ -تعالى-: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٩]، ولم يقل: «إذ تَستغيثون نَبيكم، ونَبيكم يَستغيث رَبّكم» كما يَعتقد المُشركون المتهوكون كحُسين أحمد، وإذا كانَ النَّاس بَعد وَفاة رَسول الله ﷺ يُحِبُّونَهُ، ويَتَّبعونه، ويُطيعون الله ورَسوله، فإنَّهم يَعيشون سعداء، ويَموتون سعداء، ولكن مَن طَبعَ الله على قَلبِهِ، وأعمى بَصيرتهُ، لا يَستريح لهُ بال إلا إذا أشركَ بالله، وقد قالَ الله -تعالى- في (سُورة المائدة رَقم الآية: [٧٢]): ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾.

ثم إنَّ هذا كَذب وبُهتان، إذ لم يَقل أحدٌ مِن المُوحِّدين: إنَّ عَصاي هذهِ أنفع لي مِن النَّبي ﷺ، وإنَّما هذا مِن **أكاذيب المُشركين.**

ثم قالَ محمد أسلم[(٢)] حاكيًا عَن مُعين الدِّين أحد شيوخ جماعة التَّبليغ: إنَّه جاءَهُ مُريد يُريد أنْ يَدخل في طَريقتِهِ، فقبَّل رجليه، وقال: جئتُ لأكونَ مُريدك.

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣) في (كتاب الجهاد والسير): باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

(٢) في «جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها» (١٢).

فقالَ لهُ: أتفعل ما آمرك بهِ؟

قالَ: نعم.

فقالَ: مِن المَعلوم أنَّ المُسلمين يقولون: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؛ فإذا أمرتك أنْ تقول: (لا إله إلا الله، مُعين الدِّين رَسول الله)، فهل تَقول ذلك؟

قالَ: نعم.

فقال المُريد -بل المَرِيد[1] بفَتح (الميم)-: (لا إله إلا الله، مُعين الدِّين رَسول الله).

فقالَ لهُ: أنا لستُ رَسول الله، ولكني امتحنتُكَ لأعرف حبّك وإخلاصك لي.

قالَ محمد تقي الدِّين: فقبَّح الله طَريقة يَتوقف الدُّخول فيها على الكفر بالله، وقَبَّح الله شَيخًا يأمر بذلكَ، ألم يَجد ما يَمتحن بهِ إخلاصه إلا هذا؟ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

ولمَّا سَمع ذلكَ الكفرَ رَضي عنه، وقال: هكذا يَنبغي للمُريد أنْ يَكون مع شَيخه. يعني: إذا أمرهُ بالكُفرِ كَفرَ.

○ تَرجمة الشَّيخ محمد إلياس مُؤسس جَماعة التَّبليغ:

نَنقلها باختصار مِن كتاب القائد محمد أسلم[2].

ولد الشَّيخ محمد إلياس (سَنة ١٣٠٣هـ[3])، قال: واسمه التَّأريخي (أختر إلياس[4])، وكانَ أبوه الشَّيخ محمد إسماعيل رَجلًا ....

(١) رَجُلٌ مَرِيدٌ: خَبيثٌ، مُتَمَرِّدٌ، شِرِّيرٌ، انظر: «معجم المعاني الجامع».

(٢) «جماعة التبليغ» (١٢ - ١٥)، وله ترجمة في كتاب «محمد إلياس ودعوته الدينية» لأبي الحسن الندوي، ثم طبع بالعربية في دمشق سنة ٢٠٠٣م بعنوان «الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله»، وألَّف صدر الدين عامر الأنصاري «الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية»، وطبع في الهند ودمشق سنة ١٩٩٦م.

(٣) يوافق سنة ١٨٨٥م.

(٤) سقطت كلمة (إلياس) من جميع طبعات «السراج المنير»، وهي موجودة في جميع =

صُوفِيًّا[(١)]، اشتغَلَ بالعبادة، وأعرض عَن الدُّنيا، وكانَ يَشتغل بالذِّكر، والعبادة، وتَعليم القرآن، وكان عنده أكثر مِن عَشرة طلاب يَتعلمون القرآن، وكانَ يَسكن فِي ناحيةِ ميوات بقرب مَدينة دهلي، وكانت أُمه جي[(٢)] صَفية تَحفظ القرآن.

طَلبهُ للعلم: حَفظ القرآن، ودَرس مَبادئ العلوم في قَريتهِ على أخيهِ الكَبير الشَّيخ محمد يحيى، ورَحلَ إلى ديوبند (سَنة ١٣٤٦ هـ) فجلسَ في حَلقة دَرس الشَّيخ محمود الحَسن[(٣)]، وسَمع منه «التِّرمذي» و«البُخاري».

البيعة: فِي (سَنة ١٣١٥هـ) تَوجَّه محمد إلياس إلى شَيخ الطريقة رَشيد أحمد الكَنكُوهي[(٤)] فبايَعه وأخذ منهُ الطَّريقة، ثم جدَّد البَيعة بَعد وفاة

= مصادر الترجمة، وإسقاطها خطأ، ووجهه: معنى (الاسم التأريخي) أن العادة جرت في بعض الأسر أنها تأخذ من الحروف الأبجدية تأريخ ولادة ثم تركب منه اسمًا، فـ(أختر): (١٢٠١) على حسب حروف الجمل و(إلياس): (١٠٢)؛ فالمجموع: (١٣٠٣)، وهو تأريخ مولد الشيخ محمد إلياس رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) بايع الشيخ محمد يعقوب الدهلوي على الطريقة النقشبندية، وأخذ علومها من مظفر حسين، ومرة توجه إلى شيخ الطريقة رشيد أحمد الكنكوهي ليتعلَّم منه طريق السلوك، فقال الشيخ: لا حاجة لك إليها، فإنك وصلت إلى مرتبة الإحسان.
انظر: «أكابر علماء ديوبند، اتباع شريعت كي روشنى مين» (ص ٣٧) لمحمد زكريا الكاندهلوي.

(٢) سقطت من جميع طبعات «السراج المنير»، وهي موجودة في تراجم الشيخ، وانظر: «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (ص ٥٠)، «تذكرت حضرة مولانا محمد يوسف» (٢٣) وفيه تفصيل لعبادتها وأذكارها.
و(جي) لقب تشريفي، ويلحق باسم الشخص في اللغة الهندوستانية، سواء كان للذكر أم للأنثى.

(٣) ستأتي ترجمته.

(٤) هو رشيد أحمد بن هداية أحمد بن بير بخش الحنفي الكنكوهي، أحد أعلام الحنفية وأئمتهم في الفقه والتصوف، ولد عام ١٢٤٤هـ بكنكوه، ونشأ بين خؤولته، قرأ على كبار مشايخ عصره حتى برع وفاق أقرانه في المعقول والمنقول، أخذ الطريقة عن الشيخ إمداد الله المهاجر المكي، ولازمه مدة طويلة، واستقى منه كثيرًا، والتزم في آخر أمره أن يدرس «الصحاح الستة» في سنة واحدة، ويبذل جهده في تشييد المذهب=

الكَنكُوهي على يَد خليل أحمد السهارنپوري[1]، وصَحب الشَّيخ أشرف علي

= الحنفي، له مصنفات مختصرة قليلة منها: «تصفية القلوب»، «إمداد السلوك»، «زبدة المناسك»، توفي عام ١٣٢٣هـ.

ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٨/ ١٤٨ - ١٥٢)، «سوانح رشيد أحمد» (ص ٢ - ٣٢) تأليف عاشق إلهي ميرتهي، «علماء العرب في شبه القارة الهندية» (٧٥١ - ٧٥٢).

ومن الجدير بالذكر: أن المترجم كان يتحدث بكلام يدل على دعوى لا يليق به، مثلًا يقول: «اسمعوا الحق هو الذي يقوله رشيد أحمد، وأقسم بالله أني لست بشيء إلا أن الهداية والنجاة موقوفة على اتباعي في هذا الزمن»، «تذكرة الرشيد» (٢/ ١٧).

وكان محمد إلياس يقول: «**بايعت رشيد أحمد على الطرق الصوفية الأربعة**: الچشتية، والنقشبندية، والسهروردية، والقادرية».

انظر: «دائرة معارف إسلامية» (١٩/ ٣٧٤ - بالأردو) (مولانا محمد إلياس)، «تذكرة الرشيد» (٢/ ٩٧)، «اور أن كى دينى دعوت» (٥٤)، «جماعة التبليغ في الهند» (١٣٩ - مرقوم) لمحمد جنيد.

ولمَّا توفي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي سنة ١٣٢٣هـ تأثر قلب الشيخ محمد إلياس بهذه الحادثة المؤلمة تأثيرًا كبيرًا حتى قال: «ما أصابتني إلا اثنتان: إحداهما وفاة الوالد، والأخرى وفاة الشيخ»، كما طرأ عليه حالة عجيبة، وزاد عليه السكوت والمراقبة حتى لا يتكلم طول النهار إلا نادرًا كلمة أو كلمتين، يتحدث عنه الشيخ محمد زكريا فيقول: «كانت عادته في ذلك الوقت أن يفرش حصيرًا عند قبر الشاه عبد القدوس الكنكوهي، ويجلس عليه على ركبتيه ساكتًا جدًّا، ثم يشتغل بالنوافل من بعد المغرب إلى العشاء».

انظر: «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٥٦ - ٥٧، ٥٨)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٣٥)، وانظر ترجمة (عبد القدوس) في الحاشية الآتية.

(١) حينما حضر محمد إلياس عند شيخه محمود الحسن أبدى رغبته لتجديد البيعة على يده، فأشار الشيخ عليه بالشيخ خليل أحمد السهارنفوري، فجدد البيعة على يده، وأتمَّ منازل السلوك تحت إشرافه، حتى أصبح خليفة ونائبًا له، وصار مجازًا فيما بعد.

انظر: «حيات خليل» (٥٩٩)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٣٥)، «جماعة التبليغ في الهند» (١٤١ - مرقوم). =

التَّهانوي[1]، وبَعد وَفاة الشَّيخ الكَنْكُوهي كانَ محمد إلياس يَفرش حَصيرًا عند قَبرِ عَبد القدوس الكَنْكُوهِيّ[2]، ودخلَ الخلوة عند قَبر الشَّيخ نور محمد البدايونيِ[3].

= والشيخ خليل أحمد بن مجيد بن أحمد علي بن قطب علي بن غلام محمد الأنصاري الأنبيتهوي، شارح «سنن أبي داود» المسمى «بذل المجهود»، انتهى منه في شعبان ١٣٤٥هـ، وله «هدايات الرشيد إلى إفحام العنيد» و«المهند على المفند» و«إتمام النعم على تبويب الحكم» و«مطرقة الكرامة على مرآة الإمامة» وهي في الرد على الشيعة الإمامية.
توفي بعد العصر من يوم الأربعاء في السادس عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ بالمدينة النبوية، ودفن بالبقيع.
أفرده عاشق إلهي ميرتهي بـ«ترجمة خليل أحمد»، وهو مطبوع في (٦٤) صفحة، وله ترجمة في «نزهة الخواطر» (٨/ ١٣٣ - ١٣٦)، «علماء العرب في شبه القارة الهندية» (٧٤٦ - ٧٤٧).

(١) ستأتي ترجمة المصنف له.

(٢) هو عبدالقدوس بن إسماعيل الحنفي الجشتي الكنكوهي، أحد أعلام الصوفية المشهورين في الهند، نشأ بردولي، وقرأ بعض الكتب ثم تركها، وجاور قبر الشيخ أحمد بن داود الردولوي، واستمر على مجاورته زمانًا.
يقول عنه صاحب «النزهة»: «واستفاض من روحانية الشيخ المذكور فيوضًا كثيرة، ثم لبس الخرقة من حفيده الشيخ محمد بن أحمد الردولوي، وانتقل إلى كنكوه وسكن بها».
ونلاحظ أن هذا من تعبيرات الصوفية المبتدعة.
ويقول -أيضًا-: «وكان يستمع الغناء ويفرط فيه، ويفشي أسرار التوحيد على عامة الناس، ويستغرق في بحار الجذبات والسكر».
ويقول عنه أبو الحسن الندوي: «انتهت إليه رئاسة الطريقة الجشتية الصابرية، وطبق صيته الآفاق... وقد كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود، والسكر والاضطراب، والغناء والاستغراق، وكان من أصحاب السماع والمواجيد، ومن الدعاة المتحمسين إليها»، توفي عام ٩٤٤هـ ببلدة كنكوه.
ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٤/ ١٩٨ - ١٩٩)، «الإمام السرهندي حياته وأعماله» (١١٧-١١٨) للندوي.

(٣) هو نور محمد الحسيني النقشبندي البدايوني، أحد أعلام الصوفية في الهند، أخذ=

قالَ الراوي: فكُنا نَذهب إليهِ ونُصلِّي مَعه هُناك بالجَماعة[١].

زَواجه: تَزوَّج (سَنة ١٣٣٥هـ)، ووُلِدَ لهُ الشَّيخُ محمد يُوسف[٢]، وبنتٌ تَزوَّج بها الشَّيخ محمد زكريا الكاندهلوي[٣].

وتُوفي الشَّيخ محمد إلياس (سَنة ١٣٦٤ هـ) المُوافق (١٤ يوليو سَنة ١٩٤٤) بتأريخ النَّصارى[٤].

= الطريقة عن الشيخ محمد محسن الدهلوي، والشيخ سيف الدين بن محمد معصوم السرهندي، واشتغل عليهما مدة طويلة حتى غلب عليه الاستغراق، وامتد إلى خمس عشرة سنة، فكان لا يصحو إلا في أوقات الصلوات، ثم أفاق، وكان غاية في الزهد والورع، توفي عام ١١٣٥هـ بمدينة دهلي.

ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٦/ ٣٥٩).

(١) «سوانح محمد يوسف» (ص ١٣٥). (منه)

(٢) ولد يوم الأربعاء ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ - ٢٠ مارس ١٩١٧م، له «حياة الصحابة» و«أماني الأحبار شرح «معاني الآثار» للطحاوي» بايع أباه الشيخ محمد إلياس سنة ١٩٣٥م، ثم أرشده بعد البيعة إلى الأنفاس القدسية، ووجَّهه إلى اسم الذات (لفظ الجلالة)، ثلاث آلاف مرة، وحثَّه على قراءة «الحزب الأعظم» و«حصن حصين»، ثم أصبح خليفة له في الطريقة، وكان يلتزم بالذكر الجهري الجشتي.

توفي في ٢٩ ذي القعدة ١٣٨٤هـ - ٢ إبريل ١٩٦٥م، ودفن بالجانب الغربي من قبر والده بدهلي حدود الساعة الحادية عشرة ظهر اليوم الذي يليه، مع أنه توفي في لاهور، إلا أن الشيخ محمد زكريا اتصل هاتفيًّا وطلب جثمانه إلى نظام الدين بدهلي، فنقل جثمانه بالطائرة رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ.

له ترجمة في: مقدمة «حياة الصحابة» (١/ ٢١ - ٢٢)، «مسلماتان باكستان وهند» (٢/ ٤١٢ - ٤١٣)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف»، «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف».

(٣) هو محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي، صاحب «أوجز المسالك إلى موطأ مالك»، ولد سنة ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م، وتوفي سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ترجمته في: «شخصيات وكتب أثرت في حياتي» (٦٥)، «معجم المعاجم والمشيخات» (٣/ ٧)، «تتمة الأعلام» (٨/ ٤).

(٤) الصواب في وفاة الشيخ محمد إلياس أنها كانت قبل أذان الفجر، وذلك في ٢١ رجب سنة ١٣٦٣هـ الموافق ١١ يوليو سنة ١٩٤٤م، والتأريخ الهجري والميلادي عند =

قالَ حسين أحمد: «**وقد تأثرت جَماعة التَّبليغ بعَقائد هذا الرَّجل وأخلاقه**»[١].

ما قالهُ الشَّيخ سردار[٢] محمد الباكستاني السَّاكن في باب المَجيدي مِن المَدينة النَّبويَّة:

«**مَعلوم عند أهل العلم والبَصيرة: أن لا بُدَّ لدراسة أيِّ حَركة أنْ يَعلم أفكار أصحاب تلكَ الحَركة، ومُعتقدات مَن يتولَّون أمرها؛ لأنَّ النَّاس دائمًا خدعوا في هذا الطريق، فسدُّوا أعينَهم عَن أصحاب الحركة، ودَرسوا الحركات مِن حَيث الحَركة، فانضمُّوا إليها وساعدوها، وبَعد التحاقهم بالحَركة والجَماعة، وبَعد أنْ ضَيعوا[٣] في أوضاع الحَركة المصطبغة، وَقفوا في مَقام لم يَستطيعوا أنْ يقطعوا صِلتهم بالحَركة بَعد أن اطلعوا على أسرارها ورموزها وعُجرها وبُجَرِها، ولو عَرفوها أوَّل يَوم ما التحقوا بها**»[٤].

قالَ محمد تَقي الدِّين: هذا عالمٌ باكستاني يَعرف عُجَرَ هذه الطريقة

= المصنف غير متطابقين، والمصنف نقل ذلك عن كتاب «جماعة التبليغ» (١٣ - مرقوم) لمحمد أسلم.

وبعد صلاة الفجر تمت الخلافة للمولوي محمد يوسف (ولده) في سيل من الدموع، ولُفَّ رأسه بعمامة الشيخ محمد إلياس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصلَّى عليه الشيخ محمد زكريا في جمٍّ غفير، ودفن بجنب أبيه وأخيه في ناحية المسجد (الجنوبية الشرقية) بنظام الدين دهلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

انظر: «حضرت مولانا محمد إلياس، اور أن كى دينى دعوت» (١٩٢ - ١٩٥)، «دائرة معارف إسلامية» (٣٧٥ - أردو)، «حياة خليل» (٦٠٢)، «جماعة التبليغ في الهند» (١٥٢ - مرقوم).

(١) الذي في «مكتوبات شيخ الإسلام» (٢/ ٢٧٧) له: «وإذا انتسبت حركة إلى أحد، فيكون هذا الرجل موضع لفت أنظار الناس، **فقطعي أن يتأثر أعضاء هذه الجماعة بعقائد...**»، وهكذا هو عند محمد أسلم في كتابه «جماعة التبليغ» (١٤).

(٢) السردار: رئيس الجند وقائدهم، انظر: «تكملة المعاجم العربية» (٦/ ٦٢).

(٣) كذا في جميع طبعات «السراج المنير»! وعند محمد أسلم: «صيغوا»، وتحتمل أن تكون: «صبغوا»، ولعلها الأصوب.

(٤) مقابلة معه في المسجد النبوي. (منه)

وبُجَرَها، ومَصادرها ومَواردها، وقد انتقدها ونَصح المُسلمين أنْ يَبعدوا عنها قبلَ أنْ يَتورطوا فيها، ويَصعب عَليهم الخروج مِن حَبائلها، فجَزاه الله خَيرًا.

○ أفكار محمد إلياس ورأيه في طريقته:

قالَ الشَّيخ محمد إلياس: «كاشفتُ[1] على هذهِ الطريقة للتَّبليغ، وأُلقي في رَوعي في المَنام تَفسير الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]: إنك أُخرجت للنَّاس مثل الأنبياء، وفي التَّعبير عَن هذا المَعنى بـ﴿أُخْرِجَتْ﴾ إشارة إلى أنَّ العمل لا يَكون في مَكان واحد بل يَحتاج فيه إلى رحلات إلى البلاد، وعَملك الأمر بالمَعروف والنهي عَن المنكر، وأشير بقَولِهِ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾ أنَّ نَفس إيمانك يَرقى ويَزدهر، وإلا فحصول نَفس الإيمان مَعلوم مِن ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، فلا تقصد هداية الآخرين بل انْوِ نفع نفسك.

والمُراد مِن قَوله: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الأعاجم سوى العَرب؛ لأنَّه قيل فيهم: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١].

والمُراد مِن ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ العَرب، والمُراد مِن (النَّاس) غَيرهم مِن الأعاجم، والقَرينة على هذا: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١١٠].

فقالَ هُناك: ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾ بَدل (خيرًا لكم)؛ لأنَّ تَكميل الإيمان المبلغ والداعي يَحصل بالتَّبليغ، سَواء قَبل المُخاطب دَعوته أو لم يَقْبلها، وإن تأثر المُخاطب بالتَّبليغ فاشتغل بأمر الدَّعوة والتَّبليغ استفاد شَخصيًّا، فلا تَتوقفُ

---

(١) قال مؤسسها محمد إلياس رَحِمَهُ اللَّهُ: «إني لم أقم بوضع أصولها وضوابطها بإرادتي وفهمي، بل **كشف الله عليَّ هذه الأصول والأسس، وأمرت أن أسير عليها**».
انظر: «ملفوظات مولانا محمد إلياس» (٥١)، **ولمشايخهم قصص كثيرة في تأكيد (الكشف)، والمجال لا يتسع لذكرها**، وراجع «جماعة التبليغ في الهند» (٣٥٦ - ٣٦٣، ٤٢٧)، و«تبليغى تحريك كى ابتداء اور أس كى بنيادى أصول» (ص ٤، ٣٩ - ٤٠).

فائدة المبلِّغ على قبول الدَّعوة وعَدم قبولها»[1].

(١) «ملفوظات إلياس» لمحمد منظور النعماني (ص ٤١٥، ط الرشيدية، ساهيوال- باكستان). (منه)

قال أبو عبيدة: ينسبك استدلال الشيخ محمد إلياس رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عن أهمية الخروج عنده، وأنه قِوامُ دعوته، **فهو أمر مسيطر عليه**، وأصبح يفكر فيه في يقظته ومنامه، وهذا **هو السر الحقيقي لتعلّق التبليغيين به، فهم يحكون أقواله لترويج الخروج، من دون تفكّر أو تمعُّن، أو عرض على ما ورد في شرع الله من الكتاب والسنة الصحيحة!**

يقول محمد إلياس: «اكتفينا بالجماعات، وتركنا المشي والخروج مع أنه أساس مهم، فكانَ الرسول ﷺ يمشي ويخرج ويتبعه أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، فهو غاية عنه، ولا بديل به، ولا التفات إلى الوسائل المتاحة لتبليغ دعوة الله، يقول في تتمة كلامه:

«**فخلاصة القول**: إنَّ الخروج والسعي في نشر الدين **أصل أساسي، لمَّا تُرك الخروج هذا انتهت الخلافة**»، كذا في كتاب «مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٢٨٥ - ٢٨٦).

ويتابع محمد إلياس في أهمية الخروج، ويعلّق ذوق الإيمان به، ولا يحصل الأنس إلا به، فيقول:

«إذا لم تقوموا أنتم بكل اهتمام في قومكم، لكي يخرجوا لمدة أربعة أشهر للتبليغ من بلد إلى بلد، ويجعلوه جزء حياتهم، **فلا يذوق القوم ذواق الدين ولا حلاوة الإيمان أبدًا**»، المصدر نفسه (٢٢٣).

ويقول -أيضًا-: «ومقصدي أنه إذا لم يلتزم من كل بيت شخص أن يخرج للتبليغ دائمًا بالتناوب، لم **يحصل الأنس، والاستحكام مع الدين**»، المصدر نفسه (٢٢٤).

ويزعم أنَّ الخروج سنَّة نبوية، فيقول: «كان النبي ﷺ يرسل جماعات لتعليم الدين، ومست الحاجة لإحياء هذه الطريقة التبليغية»، المصدر نفسه (١٦٦).

وما نقلته عن مؤسس الحركة الأول يؤكد أهمية الخروج عنده، ويبين قناعته **بأنه هو الأسلوب الوحيد لإحياء الخلافة وإحياء الدين!** والقائم في نفوس التبليغيين -حتى العوام عندهم، ولا يشعرون-: أنَّ تارك الخروج في سبيل الله ليس بداعية وهو آثم، وتارك أهم واجب أوجبه الله عليه! **هكذا تسلل إليهم هذا الحكم، من غير أن يقيم أحد عليه دليلًا!**

وإذا انتقلنا إلى الشيخ محمد يوسف فنجده يستدل بأحاديث الجهاد، مرغِّبًا في الخروج في الجولات التبليغية، مبيِّنًا تضحيات الصحابة وخروجهم في جميع الأحوال، يقول: «**لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها**، ويضاعف أجر الصلاة والذكر=

....

= والتسبيح والإنفاق فيه سبع مئة ضعف، وتستجاب دعوات الذين يبذلون جهودهم في هذا السبيل، كدعوات أنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ... نضحي أنفسنا في أشكال التضحيات ونشغلها في أعمال الهجرة والنصرة.

وقد خرج الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- في كل حال، وقت النكاح والزفاف، وعند الولادة والوفاة، وفي الحر والبرد، وفي الجوع والفاقة، وفي الصحة والمرض، وفي القوة والضعف، وفي الفتوة والشيخوخة...»، انظر: «تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (٩٧).

ثم يبين الأوقات التي ينبغي للإنسان أن يبذلها ليتدرب هذه الأعمال، فيقول: «وليربط الناس مع هذه الأشياء، نطالب من كل شخص لمدة أربعة أشهر أن يترك مشاغله وأمتعته وأهله ودياره، ويخرج وهو يدعو ويتدرب من قرية إلى قرية، ومن إقليم إلى إقليم، ومن بلد إلى بلد... ويتدرب في هذه الشهور الأربعة: أنه كيف يأتي بكل فرد من الأمة إلى مسجد، ويحمله على ثلاث شلات ليتعلّم هذا العمل.

وإذا رجعت من الشلة فتحيي هذه الأعمال في مسجد حارتك، وتقوم بجولتين في الأسبوع تجمع أهل الحارة وتوجههم إلى هذا العمل، ويخرج شخص من كل بيت للتدريب لمدة ثلاث شلات، وتقوم بجولة حول مسجدك، والجولة الأخرى حول مسجد آخر، وتشكل جماعة محليّة في كل مسجد، ويقوم أهل كل مسجد بتعليم الفضائل»، يعني: كتب الفضائل التي ألفاها الشيخ محمد زكريا.

انظر: «تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (١٠٢)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (٧٥٧).

يقول الكاندهلوي متابعًا كلامه: «وتخرج جماعة من كل مسجد لمدة ثلاثة أيام في حدود عشرة أميال ليحرض الناس على هذا العمل، ويلتزم كل أخ للخروج لمدة ثلاثة أيام شهريًّا، ويهتم بالشلة سنويًّا، وفي العمر ثلاث شلات على الأقل.

فالشلة في السنة، وثلاثة أيام في الشهر، وجولتان في الأسبوع، وتعليم الفضائل والتسبيحات والتلاوة هذا أقل النصاب الذي تقوم حياتنا به حياة دينية».

انظر: «تذكرة حضرت جى مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (٩٨).

وهذا الترتيب ذكره إكرام الله جان في «زاد الداعي» (٢٦- ٢٨) حيث يقول: «وينبغي لكل مسلم أن يخرج في سبيل الله لأربعة أشهر؛ حتى يتعلّم كيف يدعو الناس إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبعد ذلك يخرج لأربعين يومًا في السنة، ولثلاثة أيام في الشهر، ويهتم بجولتين في الأسبوع: جولة مقامية، وجولة انتقالية، ويقوم بحلقتي التعليم: حلقة في =

= المسجد وحلقة في البيت، ويناصر الجماعات الواردة، ويفرغ نفسه لساعتين ونصف في اليوم، ويكون دائمًا في الفكر لنشر الدين وإعلاء كلمة الله في العالم كله».

ويقول الشيخ محمد يوسف: «وإذا أردنا أن نقوم بإصلاح الإنسانية أجمعين، ومقاومة الباطل؛ فتجاوز من هذا النصاب، فنصرف نصف أوقاتنا وأموالنا في سبيل الله، والنصف الآخر في تجارتنا والأمور المنزلية، أو على الأقل الثلث في سبيل الله وثلثين في مشاغلنا، يعني: تخرج لمدة أربعة أشهر في كل سنة... **فعملية الجولة والخروج هو أصل الأساس في هذه الحركة**».

انظر: «تذكرت حضرت جى مولانا محمد يوسف الكاندهلوي» (٩٨ - ٩٩)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف الكاندهلوي» (٧٥٠ - ٧٥٣).

وإذا جئنا إلى الشيخ إنعام الحسن -وهو الأمير العام للجماعة- نراه -أيضًا- يستدل بأحاديث الجهاد، مرغبًا وحاثًا على الخروج في الجولات التبليغية، مثل الحديث: «**لا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم**»، و«**لغدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها**»، بل يعتقد أن الخروج التبليغي **هو علاج لسائر المصائب، وحل لجميع المشاكل في الدارين**، كما يبين هذا في رسالة كتبها إلى المراكز التبليغية بعد وفاة الشيخ محمد يوسف فيقول: «إن الحق -تعالى شأنه- هدانا جميعًا -بفضله وكرمه- إلى أمر عال لجهد الدين -يعني: الخروج التبليغي-، وفيه علاج كامل لمصائب الدارين للأمة المحمدية المرحومة، فما عليكم إلا أن تبذلوا جميع مجهوداتكم لتوسيع هذ العمل، منهمكين فيه، وموقنين أنه علاج لكل مصيبة... وأفرغوا أوقاتكم لأماكن بعيدة ولمدة طويلة، واهدوا ثوابها إلى حضرة الشيخ محمد يوسف»، وهذه الرسالة كانت لها تأثير بالغ حتى خرجت مئات جماعات لإيصال الثواب إلى الشيخ محمد يوسف.

انظر: «سوانح حضرت جى ثالث» (١/ ٢٨٥).

وينصح المسلمين مبيِّنًا بركات الخروج قائلًا: «**إن علاج كل بلاء ومصيبة وصعوبة أن تنتسب إلى الأمر الديني** -يعني: **البرنامج التبليغي**- **بكل إخلاص**، فتشارك في تعليم المسجد -أي: قراءة وسماع «تبليغي نصاب»- وفي جولة محلِّية، وإذا وصلت جماعة من الخارج فارتبط معهم، وتشاركهم في الجولة، وأفرغ من أوقاتك لتخرج في سبيل الله لمدة ثلاث شلات، أي: أربعة أشهر، **فتزول المصائب التي ذكرتها وغيرها -إن شاء الله تعالى-**»، المرجع السابق (٣/ ٤١٣ - ٤١٤).

قال أبو عبيدة: الخروج عند التبليغيين ليس وسيلة، ولو كان كذلك لهان الخطب، =

....

= وقربت الشقة مع إخوانهم، ولا سيما العلماء وطلبة العلم النبهاء، الذين لا يخرجون! ولا يُلام تقيُّ الدين الهلالي لما وصفه بركن الإسلام عندهم، وهو كذلك، ومَن يتأمَّل كلامهم، ويدقق فيه، وفي بيان آثار ترْك الخروج؛ يعلم أنه مِن أهم المهمات عندهم، ولا يرضون به بديلًا! وهو الجهاد في سبيل الله عندهم دون سواه، وبه يذوقُ المرءُ طعمَ الإيمان دون سواه؛ بل مَن لم يَخرج لا يَعرف الدين الصحيح!

يقول الشيخ محمد إلياس رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «... وبالتأكيد لا تذوقون ذائقة الدين الصحيح، ولن تذوقوا حلاوة الإيمان الحقيقي حتى تروح الإقامة في الوطن تصعب صعوبة الخروج للجولة التبليغية الآن، وتكبر العودة إلى الوطن على النفوس كبر الخروج إلى التبليغ اليوم، وحتى تنهضوا البذل الجهود الجبارة من أجل تعويد الشعب المسلم على بذل أربعة أشهر في الجولة، وتركيز العناية البالغة على تعميق جذور هذا العمل الجليل في حياة الأمة المسلمة».

انظر: «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٢٢٣)، «الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي» (٩٤).

وما يدَّعيه الشيخُ محمد إلياس مِن أنَّ حلاوة الإيمان لا تحصل ولا تذاق إلا بالخروج؛ دعوى تتعارض مع قوله ﷺ: «**لقد ذاق طَعم الإيمان من رَضِيَ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبِمحمَّدٍ رسولًا**»، أخرجه مسلم (٣٤) عن العباس بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا الرضاء لا يتوقف على الخروج كما زعم.

ويقول ﷺ: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حلاوة الإيمان: مَنْ كانَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ ممَّا سِواهُمَا، ومَنْ أحبَّ عبدًا لا يُحِبُّهُ إلَّا للهِ، ومَنْ يَكْرَهُ أنْ يعودَ إلى الكُفْرِ بَعْدَ إذْ أنقذَهُ اللهُ كما يَكرَهُ أنْ يُلْقَى في النَّار**»، أخرجه البخاري (٢١) ومسلم (٤٣) عَن أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحُبُّ الله ورسوله لا يتوقف على الخروج، وإلا لزم أن الناس قبل هذه الدعوة التبليغية الحادثة لم يذوقوا طعم الإيمان ولم يجدوا حلاوته!!

وقد لاحظنا فيما مضى أن جلّ كلامهم يدور حول موضوع الخروج، وتأسيسًا على هذا التصوُّر الخاطئ تقوم دعوتهم للخروج في الشلات والجولات فقط، **ولا يخرجون عن أسسهم قيد أنملة**، فقد أخذوا بعضًا من الإسلام وتركوا بعضًا، **وهذه التجزئة لحقائق الإسلام تتنافى مع طبيعته؛ الوحدة الشمولية**.

وإضافة إلى ذلك: قد ترتكب جماعة التبليغ -في اللاشعور- الاستخفاف بالركن الخامس للإسلام، وهو حج بيت الله الحرام، وذلك بكثرة البيان حول موضوع =

قالَ محمد تقي الدِّين: سَمعتُ أنَّ التَّبليغيين يَحتجون بقوله -تعالى-: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، على الخروج للسِّياحة المُبتدعة، ولكن لم يَخطر ببالي قَط أنَّ شَيخهم محمد إلياس يَنزل إلى هذهِ الدَّرَكة حَتى يَحتج بها على ذلكَ، ورَحم الله مَن قال: (عِش رَجَبَ تَرى عَجبًا)[١].

والآن نَذكر ما قالهُ الحافظُ أبو الفداء إسماعيل ابن كَثير في تَفسير هذهِ الآية، ثُم نردفه بما قالهُ غَيرُه مِن المُفسرين.

وهذا كَلام ابن كثير[٢] باختصار: «يُخبر -تعالى- عَن هذهِ الأُمَّة المُحمدية بأنَّهم خَير الأُمم.

قالَ البُخاري[٣] بسَندهِ عَن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، قالَ: «خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاسِلِ فِي

= الخروج والشلات، والمبالغة في فضلها ولمن خرج فيها، فقد يَشدُّ الرحالَ كثيرٌ مِن التبالغة مِن بلدان بعيدة، مثل: إندونيسيا وبريطانيا وأمريكا إلى مقرِّهم الرئيس في نظام الدين بدهلي يقضون أيامًا أو شلة هناك.

ويتبين في محادثة بعضهم أنهم لم يذهبوا لأداء فريضة الحج، وهم يستطيعون أن يؤدوا هذه الفريضة في أقل مبلغ ووقت اللذين يصرفونهما في هذا الخروج.

وهم -أيضًا- لا يستطيعون أن يستفيدوا من مرشدهم في نظام الدين حق الاستفادة؛ لأنه لا يعرف إلا اللغة الأردية والعربية، وهم لا يعرفونهما إلا القليل، لكنهم يشدون الرحال إليه لإظهار عقيدتهم فيه، ولسان حالهم يدل على **أنهم يهتمون بهذا المركز اهتمامًا أكثر من أرض الحرمين الشريفين**.

انظر: «جماعت إسلامي اور تبليغي جماعت مين فرق إيك تقابلى جائزة» (ص٦) لمحمد سليمان القاسمي.

وما مضى من «جماعة التبليغ في الهند» (٤٦٨ - ٤٧٢، ٥٤٢ - ٥٤٣، مرقوم)، و(الملفوظات) هي نوع من كتب المتأخرين، يجمعون فيها كلمات شيوخهم وفوائدهم المنثورة.

(١) هكذا في الأصل، وذكره المصنِّف حكاية على ألسنة قائليه، وصوابه (عِشْ رَجَبَ تَرَ عَجبا).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٤١- ١٤٤).

(٣) رقم (٤٥٥٧).

أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلام».

وهَكذا قالَ ابن عباس[(١)]، وغَيرهُ من المُفسرين الأولين، والمَعنى: أنَّهم خَير الأُمم وأنفع النَّاس للنَّاس.

وقالَ الإمام أحمد بسَندِهِ إلى دُرَّة بنت أبي لَهَب: قامَ رَجلٌ إلى النَّبي ﷺ وهو على المِنبر، فقالَ: يا رَسولَ الله! أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قالَ: «**خَيْرُ النَّاس أَقْرَأُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ لِلَّهِ، وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَر، وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِم**»[(٢)].

والصَّحيحُ: أنَّ هذهِ الآية عامَّة في جَميع الأُمَّة، كل قَرن بحسبهِ، وخَير قَرنهم الذين بُعث فيهم رَسول الله ﷺ، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يَلونهم[(٣)].

وفي «مُسند الإمام أحمد»، و«جامع التِّرمذي»، وغَيرهما: عَن (حَكيم ابن)[(٤)] مُعاوية بن حيدة عَن أبيه قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «**أَنْتُمْ تُوَفُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وَأَكْرَمُهَا عَلَى الله** عَزَّوَجَلَّ»[(٥)]، وهو حَديثٌ مَشهور، وقد حَسَّنه التِّرمذي.

---

(١) أخرجه الطبري (٧/ ١٠٥) رقم (٧٦٢٤)، وابن المنذر (١/ ٣٣٣) رقم (٨٠٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٣٢) رقم (١٠٤٠٨) في «تفاسيرهم»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٢٧٢) رقم (٢٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٣٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٧٣) رقم (٢٥٩٠٦) و(٢١/ ٢٥٩) رقم (٣٨٧٣٥ - ط عوامة) -ومن طريقه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣١٦٦) وأخرجه -أيضًا- من طريق غيره (٣١٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ رقم ٦٥٧)-، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٧١)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٥٠)، و«الزهد الكبير» (١٨٧٧)، **وإسناده ضعيف**، فيه شريك، وهو ابن عبدالله النخعي، وشيخه عبدالله بن عُمَيرة مجهول، واضطرب فيه شريك.

(٣) يشير إلى ما أخرجه مسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رفعه: «**خيرُ أُمَّتي القرنُ الذين يَلوني، ثمَّ الذين يَلونَهم، ثمَّ الذين يَلونَهم، ثمَّ يجيءُ قَومٌ تَسْبقُ شَهَادةُ أَحَدِهِم يَمينَه، ويَمِينُه شَهادتَهُ**».

وفي الباب عن عمران بن حصين عند البخاري (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥).

(٤) زيادة من «تفسير ابن كثير» المطبوع، وسقطت من جميع طبعات «السراج المنير».

(٥) رواه أحمد (٤/ ٤٤٧) و(٥/ ٣، ٥)، وعبد بن حميد (٤٠٩، ٤١١ - «المنتخب»)، =

وإنَّما حازَت هذهِ الأُمة قَصب السَّبق إلى الخَيرات بنَبيها محمدٍ -صَلوات الله وسَلامه عليهِ-؛ فإنَّه أشرف خَلق الله، وأكرم الرُّسل على الله، وبَعثهُ الله بشَرعٍ كامل لم يُعطَهُ نَبيٌّ قَبله، ولا رَسولٌ مِن الرُّسل.

ورَوى الإمام أحمد بسَنده: عَن محمد ابن الحنفية، عَن أبيهِ علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قالَ: قالَ رَسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ**». فقُلنا: يا رَسول الله! ما هُو؟ قال: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الأُمَمِ**»[(١)]. إسنادهُ حَسن.

ثم ذَكر الحافظ ابن كَثير أحاديث كَثيرة في فَضل هذهِ الأُمة، لا يَتسع المَقام لذكرها.

وقالَ النُّواب حَسن الصِّديق خان ملك بهوبال الهندي رَحِمَهُٱللَّهُ في تَفسيره المُسمَّى بـ«فتح البيان»[(٢)]، بَعد ما ذَكرَ مثل ما ذكر ابن كثير، ثم قالَ في قَوله

= وابن المبارك (١٠٦) في «مسانيدهم»، وعبدالرزاق (١/ ١٣٠)، وابن أبي حاتم (١١٥٦)، وابن المنذر (٧٩٧)، وابن جرير (٧/ ١٠٤) رقم (٧٦٢١، ٧٦٢٢ - ط شاكر)، والواحدي (١/ ٤٧٧ - ٤٧٨) في «تفاسيرهم»؛ والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والبغوي (١/ ٤٠٥)، والبيهقي (٩/ ٥) في «سننهم»، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤٢٢) رقم (١٠٢٣)؛ والحاكم (٤/ ٨٤) من طرق عن بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده به، بألفاظ متقاربة.

قلت: وإسناده حسن.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٩٨، ١٥٨)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٣٤)، والبزار (٦٥٦).

وإسناده حسن، فيه عبدالله بن محمد بن عقيل، وقد تفرَّد بقوله: «**وسُمِّيتُ أحمد**»، ولسائره شواهد في «الصحيحين»، وخرجتها بتفصيل في تعليقي على كتاب «الإبريز الخالص عن الفضة في إبراز معاني الخصائص التي في الروضة» (ص ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٥٨، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٤) لجلال الدين عبدالرحمن البلقيني.

(٢) «فتح البيان في مقاصد القرآن» (٢/ ٣١٠).

-تعالى-: ﴿أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ «أي: أظهرت لهم، أي: لنَفعهم ومَصالحهم في جَميع الأعصار، حتى تَميَّزت وعُرفت».

قالَ محمد تَقي الدين: وهذا يَردُّ ما فَهمه محمد إلياس مِن أنَّ لَفظ ﴿أُخۡرِجَتۡ﴾ يَدلُّ على الرِّحلة والتَّنقل؛ فـ ﴿أُخۡرِجَتۡ﴾ مَعناها: أظهرها الله -تعالى-، ولم يَفهم أحدٌ منها -لا مِن الصَّحابة، ولا مِن التَّابعين، فمَن بَعدَهم- أنَّها تَدلُّ على السِّياحة[1].

---

(١) **تفسير التبليغيين للآية على هذا النحو ما زال يجري في مجالسهم وبياناتهم إلى هذه الساعة، وهو من (التفسير الدخيل)، وهو خاص بهم**، وفيه مصادرة لجميع المعاني المذكورة عند المفسرين، وهم يسقطون معناها على صنيعهم دون سواهم، والحجة إنما هو الإلقاء في روع مؤسس هذه الجماعة دون سواه! **والسبب الحقيقي في الوقوع في هذا الخطأ الجلل إنما هو العجمة!**

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس»، نقله السيوطي في «صون المنطق» (ص ١٥)، وقال (ص ٢٢): «وقد وجدتُ السلف قبل الشافعي أشاروا إلى ما أشار إليه من أن سبب الابتداع الجهل بلسان العرب».

قلت: من ذلك قول الحسن البصري في حقِّ بعض المبتدعة: «**أهلكتهم العجمة**» كما في «التاريخ الكبير» (٥/ ٩٣) للبخاري، وانظر -لزامًا- «الموافقات» (٣/ ٣٢١ - بتحقيقي).

والآية الكريمة تنوِّه بشأن الأمة الإسلامية، وتعلي قدرها، فهل تعي الأمة الإسلامية هذا التنويه من شأنها، بذاك الإعلاء من قدرها، فتقوم بدورها الذي اختاره الله لها؟ وهو نشر كلمة التوحيد في الأرض، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وبهذا بعث النبي ﷺ، وهو الذي قام به الصحابة -رضوان الله عليهم-.

قال الواحدي في «بسيطه» (٥/ ٤٩٤ - ٤٩٥): «قال بعضُ النحويين: إنما قال ﴿كُنتُمۡ﴾ ولم يقل (أنتم)؛ لتقدُّم البشارة بهذه الأمة، ولِمَا قد كان يُسْمَعُ مِنَ الخير في هذه الأمة؛ فكأنه قيل: كنتم خير أمَّةٍ بُشِّرت بها. وهذا القول يُروى معناه عن الحسن.

وقال بعضهم: الكون ههنا بمعنى: الوقوع والحدوث، وهي التَّامَّة التي لا تحتاج إلى خبر، فمعنى ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾: حدثتم خير أمة، ووُجِدْتُم وخُلِقْتم خير أمة، فيكون ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ حينئذ بمعنى الحال، وهذا معنى قول ابن جرير. =

وقالَ السُّيوطي في «الدر المَنثور»[(١)]: «وأخرج ابنُ جرير عن السدي قالَ: قالَ عمرُ بن الخطاب في الآية: «لو شاءَ اللهُ لقالَ: (أنتم)، فكنا كلّنا، ولكن قالَ: ﴿كُنتُمْ﴾ في خاصَّة أصحاب محمد، ومَن صنع مثل صَنيعهم كانوا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾»[(٢)].

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المُنذر: عَن مُجاهد في قَوله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: «يَقول: على هذا الشَّرط: أنْ تأمروا بالمَعروف، وتَنهوا عن المُنكر، وتؤمنوا بالله، يَقول: لمَن أنتم بَين ظَهرانيه، كقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢]»[(٣)].

وَأخرجَ ابنُ جرير: عَن قَتادَة قَالَ: «ذُكر لنا أَنَّ عمرَ بن الْخطاب قَرَأَ هَذِه الْآيَة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ثمَّ قَالَ: يَا أَيهَا النَّاس! مَن سَرَّه أَنْ يَكون مِن تلكم الْأمة فليؤدِّ شَرطَ الله مِنْهَا»[(٤)]»، اهـ.

قَالَ محمد تَقي الدين: لو فَهم الشَّيخ محمد إلياس هذهِ الآية حَقَّ الفَهم

= وحكى الزجاج عن بعضهم: كنتم منذ آمنتم خير أُمَّةٍ».
ومن نافلة القول؛ أن المخاطبين بالآية الصحابة، ومنهم من قال: إن الخطاب لجميع المؤمنين في هذه الأمة، فهو للصحابة أصالة، وهو يعمُّ سائر أمته ممن اتصفوا بالصفات المذكورة في الآية، **فهي -قطعًا- ليست خاصة بجماعة التبليغ!**
وإن واقع المسلمين اليوم المليء بالضعف والهوان، بسبب الفسوق والعصيان، يدمي قلوب الصادقين، ويحملهم أن يبلغوا رسالات الله دون أن يخشوا أحدًا سواه، حتى تكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، انظر: «التفسير الوسيط للقرآن الكريم» (٢/ ٢١٣) لمحمد سيد طنطاوي.

(١) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٢/ ٢٩٣- ٢٩٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠١) رقم (٧٦٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٢) رقم (٣٩٧٠)، وقال الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ٢٢٥): «**هذا منقطع**».

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠٢) رقم (٧٦١٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣٢) رقم (٨٠٤).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠٢) رقم (٧٦١٢).

لأمرَ أصحاب (الطريقة الچشتية) -أعني: أهل طَريقته- بالتَّوبة إلى الله مِن طَريقتهم البدعية، وأمرهم باتباع الكتاب والسُّنة، ولو فَهم الآية حَقَّ الفَهم لغَيَّر مَدرسة ديوبند[١]، وبَدَّلَ مَناهجها، وجَعلها مُتَّبعةً لكتاب الله وسُنة رَسوله، تَعتقد عَقائدَ أصحاب رَسول الله ﷺ كما في «الفقه الأكبر»[٢]، وفي كُتب الحَديث، و«العَقيدة الطحاوية» التي أَلَّفها أحد أئمة الحَنفية[٣]، وردَّ فيها شارحها[٤] -وهو حَنفي- أيضًا- على النَّسفي[٥] المُعطِّل الماتريدي،

(١) أَلَّف محمد عارف جميل القاسمي «علماء ديوبند، تراجم أعلام القرن الرابع عشر الهجري وما يليه»، نشر في الهند، الجامعة الإسلامية - دار العلوم- ديوبند، وأَلَّف الشيخ خليل أحمد السهارنفوري «عقائد أهل السنة الديوبندية»، ولسيد طالب الرحمن «الديوبندية -تعريفها- عقائدها».
وطبع الشيخ وصي الله عباس «نصيحة» لهم، يحثُّهم على الاتباع، وترك التقليد، فجزاه الله خيرًا.

(٢) انظر عنه: «أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة» (١١٦ - ١٣٤).

(٣) وهو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ).

(٤) هو ابن العز الحنفي، واسمه علي بن علي بن محمد بن العز بن صالح بن العز بن وهيب بن عطاء الأذرعي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ)، انظر له كتابي «محنة ابن أبي العز الحنفي» (٢٩ - ٤٢).

(٥) هو عبدالله بن أحمد بن محمود أبو البركات النسفي، قال اللكنوي في «الفوائد البهية» (ص ١٠٢): «كان إمامًا عديم النظير في زمانه، رأسًا في الفقه والأصول، بارعًا في الحديث ومعانيه، وله تصانيف معتبرة، توفي سنة ٧١٠هـ».
ونقل ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (١/ ٢٠٤) عن النسفي، في معرض الاستشهاد لا الرد، ونقل عن كتابه «منار الأنوار»، وهو مختصر مفيد في أصول الفقه، كثير التداول والانتشار، طبع أكثر من مرة، وله شروح عديدة، انظرها في «كشف الظنون» (٢/ ١٨٢٣ - ١٨٢٧).
ونقل في (٢/ ٤٦٢) عن «تبصرة الأدلة» مذاهب أُخَر في تعريف الإيمان، قال ابن أبي العز: «أعرضت عن ذكرها اختصارًا، ذكر هذه المذاهب أبو المعين النسفي في «تبصرة الأدلة» وغيره»، ونقل عنه في (٢/ ٤٧٧) في طعنه لحديث نبوي بغفلة الراوي، ورد عليه!
=

وأمر بتَدريس «الكتب السّتة»، واتِّباعِها، واتِّباع ما فيها، ونَبذ المَذهبَ المُبتدع كسائر المَذاهب، ولو فَعل ذلكَ لأسدى للأُمةَ الإسلامية إحسانًا عَظيمًا.

ولو فَهم الآية حَقَّ الفَهم لأمرَ أصحابهُ أنْ يَبدأوا -بَعد إصلاح حال المُسلمين في الهند- بدَعوة الوَثنيين البراهمة، والبدِّيين، والسِّيك[1] إلى الإسلام برفقٍ ولين، لا أنْ يَتآمروا مَعهم على المُسلمين ويَستروا عوراتهم.

ولو فَهم الآيَةَ حَقَّ الفَهم لأمرَ أصحابه بتَغيير المُنكر باليد، أو باللسان، وعَددهم كثير، فلا يَضطرون إلى التَّغيير بالقلب.

وقد حَدَّثني الأخ السَّلفي الحاج مُصطفى بن هاشم الودغيري[2]: أنَّ الأمير الأعلى لأصحاب التَّبليغ في المَغرب جاءَهُ، فقالَ لهُ: إننا اتفقنا مَع أربعة مِن الفَرنسيين أنْ يَخرجوا مَعنا للسِّياحة إلى أوروبا مُدَّة أربعة أشهر، على أنْ يَدفع كل واحد منهم مئة ألف فرنك، ونَحن نَتحمل النَّفقة عليهم في تلكَ المُدَّة، ثم فكرنا فوَجدنا أنَّ مئة ألف فرنك لا تَكفي؛ بل يَجب أنْ يَكون مَبلغ النَّفقة على كل واحد مئة وخَمسين ألف فرنك، فنُريد أنْ تُعيننا على هذا الغَرض.

قالَ الحاج مُصطفى -ذَكره الله بخَير-: فقلتُ لهُ: إذا تَبرعت لكم بشَيءٍ مِن المال لسَدِّ النَّقص فماذا أُسمِّي ذلكَ التَّبرع؟ أسمِّيه صَدقة، لا يُمكن؛ إذ كيفَ أتصدق على رجال فَرنسيين أقوياء الأبدان، عندهم ما يَعيشون بهِ؟ فهذا التَّبرع لو فَعلته لكنتُ عاصيًا لله -تعالى-؛ لأني تَركتُ المَساكين جائعين عُراة، لا يَجدون ما يَدفعون به كراء البيوت، وبَذلت المال لرجال أوروبيين أقوياء غَير مُحتاجين، فرجعَ الأمير التَّبليغي خائبًا.

= وأبو المعين هذا هو نسفي آخر، اسمه: ميمون بن محمد بن محمد بن المعتمد بن محمد بن محمد بن مكحول بن الفضل، المتوفى سنة ٥٠٨هـ، ترجمته في: «تاريخ الإسلام» (١١/ ١١٩).

(١) هم السِّيخ.

(٢) مضت ترجمته.

وفي كلام الشَّيخ محمد إلياس أخطاء فادحة[١]:

الأول: قوله: «كاشفت على هذهِ الطريقة للتَّبليغ، وأُلقي في رَوعي في المَنام تَفسير الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ إلخ، إنَّك أُخرجت للنَّاس مثل الأنبياء، وفي التَّعبير عن هذا المَعنى بـ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى أنَّ العَمل لا يَكون في مَكان واحد؛ بل يَحتاج فيه إلى رحلات إلى البلاد الأُخرى، وعَملك الأمر بالمَعروف والنَّهي عن المُنكر».

قالَ تَقي الدين: قَوله: «أُخرجت للناس مثل الأنبياء».

الآية لا علاقة لها بالأنبياء السَّابقين، وإنَّما هي خاصَّة بهذهِ الأُمَّة، أصالة بأصحاب رَسول الله ﷺ، واتِّباعًا بكل مَن عَمل مثل عَملهم مِن هذهِ الأُمة المحمدية، و﴿أُخْرِجَتْ﴾ هُنا مَعناها: أظهرت، أي: أظهرها الله، فكيف تَدلُّ على الخروج والرِّحلة إلى البلدان؟ فهذا هو **الخَطأ الأوَّل**، وفيه **تَناقضٌ** كما لا يَخفى.

الخطأ الثاني: أنَّ أتباعه لا يُغيرون المُنكر[٢]، وهم يَزعمون أنَّهم أخذوا هذهِ الخطة مِن شَيخهم، وتَغيير المُنكر شَرط في الكون مِن هذهِ الأُمة التي أُخرجت للنَّاس كما تَقدَّم عَن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعن مُجاهد.

ومَن تَركَ المَناكِر -على أشدها- بَين المُسلمين وبَين الكافرين، وخَرجَ إلى لَندن، وأمريكا، وأوربا، وبلاد العَرب والعَجم، ورأى مِن المُنكرات ما لا يَحصى دون أنْ يُغيّر منها شَيئًا، لا بيَدٍ ولا بلسانٍ، **وفي هذا خطآن اثنان:**

الأول: تَرك تَغيير المُنكر، والأمر بالمَعروف، في بلاد الهند عَمدًا وقَصدًا، والتَّوجه إلى غَيرها، والأقربون أوْلَى بالمَعروف.

والثاني: تَرك الأمر بالمَعروف، والنَّهي عن المُنكر في هذهِ البلدان، بَل

(١) انظر: «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» (ص ٢١٧ - ٢٢١).
(٢) انظر ما قدمناه في التعليق على (ص٢٥٣).

يَأمرون بالمُنكر؛ وهو السِّياحة التي نَهى عَنها رَسول الله ﷺ، وهي بدعة، وفيها مَفاسد قَد تَقدَّم ذِكرها.

والعَجب مِن التَّبليغيين: إنَّهم يَأتون المَساجد، ويُصلون مَع النَّاس، فإذا قُضيت الصَّلاة أخذوا يُرغبون النَّاس في الخروج مِن المَسجد، ليَذهبوا بهم إلى القفار، والسِّياحة المُبتدعة المَأخوذة مِن أعداء الإسلام! **وهذهِ جَريمة لا تُغتفر.**

فقد رَوى مالك(١)، وأحمد(٢)، ومُسلم(٣)، والتِّرمذي(٤)، والنسائي(٥): عَن أبي هُريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**».

فيا لله للعَجب مِمَّن يُخرج المُرابطَ في سَبيل الله مِن بَيت الله، ويَذهب بِهِ إلى الفلوات **لارتكاب البدعة المُضلة، ويَدَّعي أنَّ ذلكَ في سَبيل الله! فإذا كانَ ذلكَ في سَبيل الله، فأيُّ شَيء يَكون في سَبيل الشَّيطان؟!**

والعَجب مِن مُنافقي الوعاظ الذين باعوا دينَهم بدنيا غَيرهِم، كيفَ يَنصرون هذهِ البدعة، **ويَركبون في نَصرها الصَّعب والذّلول ليبوؤوا بغَضبٍ مِن الله كما باءَ أهلها؟!**

الخطأ الثالث: مِن تَفسير الشَّيخ محمد إلياس قوله: «والمُراد بـ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ العَجَم، سوى العَرب؛ لأنَّه قيلَ فيهم: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١]».

---

(١) في «الموطأ» (١/ ١٦١). (٢) (٢/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في (كتاب الطهارة): باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره (رقم ٢٥١).

(٤) في «جامعه» (٥١). (٥) في «المجتبى» (١/ ٨٩).

هذا كلام محمد إلياس، فاسمعوا أيها القراء ما قالهُ الحافظ ابن كثير في تفسير هذهِ الآية:

قالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

أي: يا محمد فذكِّر النَّاس بما أُرسلت بهِ إليهم، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

ولهذا قال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾، قالَ ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، وغَيرهما: ولَست عَليهم بجَبارٍ.

أي: لست تَخلق الإيمان في قلوبهم.

وقالَ ابن زَيد[٤]: لَست بالذي تُكرههم على الإيمان.

قالَ الإمام أحمد[٥]: حَدثنا وَكيع، عن سُفيان، عَن أبي الزبير، عن جابر قالَ: قالَ رَسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَه إِلَّا الله، فَإِذَا قَالُوهَا؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهِمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله** عَزَّوَجَلَّ»، ثم قَرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾، وهَكذا رَواه مُسلم[٦] في (كتاب الإيمان) والتِّرمذي[٧] ....

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه عبد حميد، وابن المنذر -كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٥)-، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٢) رقم (١٩٢٩٦).

(٣) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر -كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٥)-، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٠).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٠).

(٥) في «مسنده» (٣/ ٣٠٠)، وفيه متابعة عبدالرحمن بن مهدي لسفيان الثوري.

(٦) أخرجه مسلم في (باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله...) (رقم ٣٥) (٢١).

(٧) في «جامعه» (٣٣٤١).

والنسائي[(١)] في (كتاب التَّفسير) مِن «سُننيهما» مِن حديث سُفيان بن سَعيد الثَّوري بِهِ بهذهِ الزيادة، وهذا الحَديث مُخرَّج في «الصَّحيحين»[(٢)]، مِن رواية أبي هريرة، بدون ذِكر هذهِ الآية».

وبذلكَ تَعرف الخَطأ الواضح في قَوله: «إنَّها خاصَّة بالعَجم سوى العَرب».

والخطأ الثاني: في احتجاجهِ بقَوله -تعالى-: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾، فقوله -تعالى-: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ عامٌّ في العَرب والعَجم، وكذلكَ قَوله -تعالى-: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾، أي: ذكِّر النَّاس كلهم عَربهم وعَجمهم، لَست بمُسيطر على أحدٍ منهم، لا عَلى العَرب ولا عَلى العَجم.

قالَ محمد تقي الدين: وهذا كانَ قبلَ الأمر بالقتال، وبَعد الأمر بالقتال، وهو قَوله -تعالى-: ﴿وَقَـٰتِلُوا[(٣)] ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ (سُورة التوبة رقم الآية: [٣٦]).

وقالَ -تَعالى- في (سُورة التَّوبة -أيضًا- رقم الآية: [١٢٣]): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

فتبيَّن بذلك أنَّ قَولَه -تعالى-: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ -مَع كَونه غَيرَ خاصٍّ بالعَرب- مَنسوخٌ بآيات القتال[(٤)].

---

(١) في «الكبرى» (١١٦٧٠).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٩) في (الزكاة): باب وجوب الزكاة، و (٦٩٢٤) في (استتابة المرتدين): باب مثل من أبى قبول الفرائض، و (٧٢٨٤ و ٧٢٨٥) في (الاعتصام): باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ومسلم (٢٠) في (الإيمان): باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، من حديث أبي هريرة عن عمر بن الخطاب، وهو فيهما -أيضًا- من حديث أبي هريرة.

(٣) في «الأصل»: «قاتلوا»!

(٤) قال بالنسخ ابن عباس، ففي «صحيفة علي بن أبي طلحة» عنه، قال: «نسخ ذلك، فقال: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥]». =

وأمَّا قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ فهو في (سُورة الزمر رقم الآية: [٤١]): ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾.

فقوله -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ﴾ يَدلُّ على العموم.

الخَطأ الرَّابع: قَول محمد إلياس: «والقَرينة على هذا: ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١١٠]».

ولا علاقة لهذهِ الآية بما تَقدَّم على أنَّ النَّصارى مِن أهل الكتاب كثير منهم عَرب، غَير عَجم؛ كنَصارى نَجران، ونَصارى الشَّام، وبَقية كلامه لا فائدة فيها.

ثم قالَ محمد أسلم[(١)]: وقالَ مَرَّةً -يَعني: محمد إلياس-: «إنَّ الشَّيخ التهانوي (أشرف علي) عَمل عَملًا كَبيرًا...»[(٢)].

ثم قالَ[(٣)]: «قال محمد إلياس في خطابٍ عام أرسلهُ إلى أعضاء جَماعتهِ: إذا لم يُرد الله أنْ يقوم أحدٌ بعَمل؛ فلا يُمكن حَتى للأنبياء أنْ يَبذلوا جهودهم فيَقوموا بشَيءٍ، وإذا أرادَ الله شَيئًا، يَقم أمثالكم الضُّعفاء بالعَمل الذي لم

= أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٣٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١١)، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (٢/ ٦٢٥)، **وإسناده صحيح**.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣١٢) إلى أبي داود في «ناسخه».
وقال ابن الجوزي عقبه: «قلت: وقد قال بعض المفسرين في معناها: لست عليهم بمسلَّط فتكرههم على الإيمان، **فعلى هذا لا نسخ**»، ومال إليه ابن العربي في «الناسخ والمنسوخ» (٢/ ٤١٣)، ومكي بن أبي طالب في «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» (٤٤٥ - ٤٤٦).

(١) في «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص ١٤).

(٢) تتمة كلامه: «فأحب أن أختار أفكاره وتعاليمه للتبليغ، واستخدم نشر تعاليمه وأفكاره [في] طريقتي في التبليغ، وبهذه الطريقة، تعمُّ أفكاره، وتنتشر تعاليمه»، كذا في «ملفوظات إلياس» (ص ٥٧).

(٣) في «جماعة التبليغ» (١٥).

يَستطع الأنبياء»[١].

قالَ محمد تَقي الدين: وهذا -أيضًا- مِن تَفضيل أصحابِهِ على الأنبياء، وقد أجمعَ المُسلمون مِن الصَّحابة فمَن بَعدهم على أنَّ الأنبياء أفضل مِن غَيرهم مِن المُؤمنين[٢]، ولا يَستطيع أحدٌ أنْ يُساويهم، فكيفَ يَكون أفضل منهم؟ **وهذهِ جرأة عَظيمة على الأنبياء!** نَسأل الله العافية.

وللمُتصوفة طَوام كَثيرة مثل هذا، وقَد تقدَّم[٣] أنَّه روي عَن أبي يَزيد البسطامي أنَّه قالَ في شَطحاته: «خُضنا بَحرًا وَقفت الأنبياء بساحلهِ»[٤]، ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الرعد: ٣٣].

○ أساتذة محمد إلياس وشيوخه:

ومِن شيوخهِ: صنوه الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي[٥] الحَنفي الديوبندي الچشتي، والشَّيخ أحمد رَشيد الكَنْكُوهي[٦] الحَنفي الديوبندي الچشتي النَّقشبندي.

ومِمَّا قاله الشَّيخ رشيد أحمد: «وأُقسم بالله أنِّي لستُ بشَيءٍ، إلا أنَّ الهداية والنَّجاة مَوقوفة على أتباعي في هذا الزَّمان»[٧].

---

(١) «مكاتيب إلياس» (ص ١٠٧- ١٠٨).(منه)

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٢٥١): «والأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين»، وقال الحافظ ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٤٦ ط. أولاد الشيخ): «النبوة أعلى رتبة بلا خلاف».
ونقل الإجماع جماعة من العلماء منهم: أبو الحسن الزوندويستي (ت٣٨٢) في كتابه «روضة العلماء ونزهة الفضلاء» (ص٥٦٩)، وابن نجيم في «البحر الرائق» (١/ ٣٥٣)، والطحطاوي أحمد بن إسماعيل الحنفي في «حاشيته على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح» (١/ ١٨٤)، وابن عابدين في «حاشيته» (١/ ٥٢٧) وغيرهم.

(٣) (ص٣١٤). (٤) مضى توثيقها.

(٥) هو محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي؛ سبقت ترجمته.

(٦) سبقت ترجمته باسم «رشيد أحمد»، وهو هو.

(٧) «بيس برى مسلمان» (ص ٢٩٩). (منه)

قالَ مُحمد تَقي الدِّين: لَقد حَجَّرتَ واسعًا، إنَّ الله -تعالى- يَقول: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فكيفَ حَصرَت الهداية في أصحابك، وجَعلت قدرة الله على الهداية مَحصورة فيهم؟ فأنت مثل الأعرابي الذي بالَ في مَسجد النَّبي ﷺ، ولمَّا صَلَّى قالَ: اللهم ارحمني وارحم مُحمدًا، ولا تَرحم مَعنا أحدًا. فقالَ له النَّبي ﷺ: «لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا»[(١)].

فرَحمة الله واسعة، وهدايته واسعة، يَهبهما مَن شاءَ مِن عباده في كل زَمانٍ ومَكان.

ومنهم: الشَّيخ مَحمود حَسن الديوبندي الحَنفي الچشتي[(٢)]، هو مِن كبار علماء ديوبند ومَشايخ جَماعة التَّبليغ، كانَ أوَّل طالب في مَدرسة دار العلوم بديوبند، وقد شَرَّفه واختارهُ شَيخُ العَرب والعَجم إمداد الله ببيعتهِ، وإعطائه الخلافة، وإجازة البيعة، وهذا بناءً على طَلب الشَّيخ مُحمد قاسم النانتوي[(٣)]، وأرسلَ إلى الهند إجازته مَكتوبة -أيضًا-.

قالَ مُحمد تَقي الدِّين: وهذهِ البَيعةُ التي يَستعملها أصحاب الطرائق مِن المُتصوفة والإجازة في إعطائها؛ كلُّ ذلكَ ضَلال مُبين، فلا تُوجد في الإسلام

= قال أبو عبيدة: انتقل نظر الهلالي إلى الهامش الذي يليه في كتاب محمد أسلم «جماعة التبليغ» (ص١٧)، والكلام المزبور في «تذكرة الرشيد» (٢/ ١٧).

(١) رواه البخاري (٦٠١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هو محمود الحسن بن ذي الفقار علي الحنفي الديوبندي، أحد أعلام الحنفية وأساطين مذهبهم وأئمتهم في الفقه والتصوف، ولد عام ١٢٦٨هـ في بريلي ونشأ بديوبند، قرأ على مشايخ عصره، ثم ولي التدريس في دار العلوم ديوبند، وأخذ الطريقة عن الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وحصلت له الإجازة منه، وانتهت إليه رئاسة الفتيا والتدريس في آخر أمره، واشتهر لدى الطائفة بشيخ العرب والعجم وبشيخ الهند، ووضع خطة لتحرير الهند من حكم الإنگليز، فواجه فيه المصائب والمحن، توفي عام ١٣٣٩هـ في دهلي، ونقل جسده إلى ديوبند ودفن بها، انظر: «نزهة الخواطر» (٨/ ٤٦٥ - ٤٦٩).

(٣) سبقت ترجمته.

بَيعةٌ إلا بَيعة الصَّحابة للنَّبيِّ ﷺ، وبَيعة المُسلمين لخَليفتهم[(١)].

(١) قال الإمام أحمد في «مسائل ابن هانئ» رقم (٢٠١١)، بعد أن أورد قوله ﷺ: «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية»، مجيبًا إسحاق بن إبراهيم بن هانئ عندما سأله: ما معنى هذا الحديث؟ فقال: «تدري ما الإمام؟ الذي يجتمع المسلمون عليه كلهم. يقول: هذا إمام، فهذا معناه».

وعليه فلا ينطبق الوعيد في ترك البيعة الوارد في قوله ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة؛ مات ميتة جاهلية» إلا على الإمام الذي يجتمع عليه المسلمون، أما إذا لم يكن لهم إمام فلا ينطبق هذا الوعيد، يدلُّكَ على ذلك أن النبي ﷺ أرشد حذيفة عند عدم وجود الجماعة والإمام بأن يعتزل، فهل نرى أن النبي ﷺ يرشد حذيفة إلى أن يموت ميتة جاهلية، كلا، وبهذا تعرف خطأ من يتمسك بهذا الحديث وغيره مما ورد في الباب من الحزبيين والطرقيين على وجوب البيعة لمشايخهم وتنظيماتهم!

قال السيِّد الآلوسي في «تفسيره» (١٤/ ٣٠١ - ٣٠٢) من تفسير سورة الجمعة، في باب الإشارة عند قوله -تعالى-: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، متكلِّمًا على الرابطة بين المتصوِّفة، فقال عنهم:

«... وقالوا بالرابطة، ليتهيأ ببركتها القلب لما يفاض عليه، **ولا أعلم لثبوت ذلك دليلًا يعوَّل عليه عن الشارع الأعظم ﷺ، ولا عن خلفائه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكل ما يذكرونه في هذه المسألة، ويعدّونه دليلًا، لا يخلو من قادح، بل أكثرُ تمسُّكَاتِهم فيها تُشبه التمسُّك بجبال القمر، ولولا خوف الإطناب لذكرتُها مع ما فيها**».

فأنت ترى هذا العالم الجليل، الواسع الاطلاع، الواقف على ما قال أنصار هذه الطريقة في الاستدلال على الرابطة والتوجُّه، لم يعثر لهما على دليل، ولم يُرْضِه شيء مما قيل، فهل كانت تخفى عليه مثل الأحاديث السابقة، وهي مشهورة مستفيضة عند المبتدئين في الطلب فضلًا عن أمثاله من المتبحِّرين الموسوعيين؟

وسئل ابن عابدين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: رجل من الصوفية أخذ العهد على رجل، ثم اختار الرجل شيخًا آخر، وأخذ عليه العهد، فهل العهد الأول لازم، أم الثاني؟

فأجاب كما في «تنقيح الفتاوى الحامدية» (٢/ ٣٣٤) بقوله:

«**الجواب**: لا يلزمه العهد الأول ولا الثاني، **ولا أصل لذلك**»، وكذلك قال السيوطي في «الحاوي للفتاوى» (١/ ٢٥٣)، وقال محمود خطاب السبكي في «الدّين الخالص» (٦/ ٢٩٠):

«وأما ما يقع من متصوِّفة الزّمان من وضع أيديهم في أيدي الرجال والنساء، ومعاهدتهم على أن يكونوا تلامذة لهم، ليتمشيخوا عليهم، ويشاركوهم في أموالهم تارة، بالأكل=

قالَ مُحمد أسلم[١]: «كَتبَ الشَّيخُ مَحمودُ حَسن -شَيخُ مُحمد إلياس- إلى الشَّيخ فَتح الدِّين (لائلبور)[٢] في رسالة يَقول: «اقرأوا واحدًا ومئة مَرَّة: (يا حَيُّ يا قَيُّوم برَحمتك أستغيث) بالجَهر، وليكن ضَرب (يا حَيّ) على القلب، وقُل لزَوجتك أنْ تَقرأ الاسم الذاتي -أي: الله- أربعة آلاف مَرَّة في كل يَومٍ ولَيلة في أوقات مُختلفة»[٣]. اهـ.

قالَ مُحمد تَقي الدِّين: وهاتان بدعتان كلتاهما ضَلال، فتَحديدهُ ذكر (يا حَيُّ يا قَيُّوم) بعَددٍ لم يُحددهُ رَسول الله ﷺ بِدعة ضَلالة، وتَحديدهُ لذِكرها بالجَهر بدعَة ضَلالة، وأمرهُ أنْ يَجعل (يا حَيُّ) على قَلبهِ بدعة ضلالة، واقتصارهُ على ذِكر اسم الجلالة مُفردًا بدعة ضَلالة، فإنَّ الخَبر المَروي رُوي هَكذا: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِكَ أَسْتَغِيثُ، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»[٤].

= في بيوتهم، وتارة بضرب عوائد يدفعونها في وقت معين، كأنها جزية تؤخذ بالجبروت، **فهو إجرام وإفساد خارج عن حدّ الشَّرع ولا يقرّه عقل، نسأل الله لنا ولجميع الأمة كمال الهداية، وتمام التوفيق**».

وانظر ما سيأتي (ص٤٠٨) مع التعليق عليه -أيضًا-.

(١) في «جماعة التبليغ» (١٧).

(٢) كذا في طبعات «السراج المنير»، وعند محمد أسلم: (لائلفور).

(٣) «بيس بري مسلمان» (ص ٣٠٠). (منه)

(٤) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢١١) رقم (١٠٣٣٠)، وفي «عمل اليوم والليلة» (ص٣٨١) رقم (٥٧٠) -ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٦/ رقم ٢٣٢٠)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٤٦٦ - المنتقى)- ومن طريقه الضياء (رقم ٢٣٢١)-، وابن أبي الدنيا في «الذكر» -كما قال ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٨٥) - ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٥) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم٢١٣)، والضياء في «المختارة» (٢٣٢٢)- والبزار في «البحر الزخار» (رقم ٦٣٦٨) -ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٢٣١٩)، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٣٨٥)-، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص ٤٨) رقم (٤٨) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟! تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت..**» وذكره. =

فتكرار الاسم أو الاسمين بدون دعاء؛ مُخالفٌ لسُنة النَّبي ﷺ، وذِكر اسم الجَلالَة (الله) كلمة واحدة دون أنْ تَتألَّف منها جملة؛ بدعة ضَلالة، وليسَ بكلام في أي لُغة؛ لأنَّ السُّنة جاءَت أنْ يذكرَ الله -تعالى- بكلام لهُ مَعنى، والكلمة الواحدة لا مَعنى لها، فـ(الحَمد لله) ذِكرٌ لهُ مَعنى؛ لأنَّه مُؤلَّف مِن مُبتدأ وخَبر، و(لا إله إلا الله) ذِكرٌ لهُ مَعنى كذلكَ، و(الله أكبر) ذِكرٌ لهُ مَعنى كذلكَ، و(سبحان الله) ذِكرٌ لَهُ مَعنى؛ لأنَّه مؤلف مِن فعلٍ مُقدَّر، وفاعله، ومَفعول مُطلق، وهو (سبحان)؛ ومَعناهُ: تَنزيه الله عَن كل مَا لا يَليق بجَلالهِ وكَماله، و(سُبحان) مُضافة إلى اسم الجلالة، وقد جاءَ القرآن والحَديث بذلكَ، ولم يَجئ ذِكر (الله الله) كَلمة واحدة في كتاب الله، ولا في سُنة رَسوله، وجُهال المُتصوفة يَستعملون ذلكَ، وهو مِن بدعهم المُنكرة[١].

○ فَضيحة عَظيمة لهذا الشَّيخ:

قالَ مُحمد أسلم[٢]: استدلالهُ بالآية المُحرَّفة.

كل واحد يَعرف الشَّيخ مَحمود حَسن ديوبندي (يُسمونه شَيخ الهند) الذي كَتب كتاب «إيضاح الأدلة»[٣] رَدًّا على عالم سَلفي استدلَّ على رَدِّ التَّقليد بآية: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فقامَ الشَّيخ مَحمود حَسن فرَدَّ على العالم المَذكور، واستشهد بنَفس الآية

= وإسناده حسن، وقال ابن حجر: «هذا حديث حسن غريب»، وقال المنذري في «الترغيب» (رقم٦٦١ - بعنايتي): «رواه النسائي في «الكبرى» له والبزار **بإسناد صحيح**».

قلت: فيه عثمان بن موهب، وهو غير عثمان بن عبدالله بن موهب، الذي أخرج له الشيخان، وقال ابن أبي حاتم (٣/ ١/ ١٦٩) عن أبيه في هذا: «صالح الحديث».

(١) انظر: كتابي «قاموس البدع» (٦٩٧ - ٦٩٨). (٢) في «جماعة التبليغ» (١٨).

(٣) طبع مراد آباد -الهند، سنة ١٣٣٠هـ، والكلام فيه (ص ١٠٣).

على ادعائه، لَكن زادَ فيها: (وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)، زاعمًا أنَّ هذا مِن الآية، مع أنَّه ليسَ مِن الآية.

ثم قالَ: «هذا هُو السَّبب لقَولِهِ -تعالى-: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...).

والظاهر أنَّ أولي الأمر في [هذه][1] الآية [هم][2] غَير الأنبياء، فانظر إلى الآية يَتضح بها أنَّ الأنبياء وأولي الأمر كلهم يَجب اتباعهم».

ثم بَدأ مُعترضًا: «إنك قَد عَرفت: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾، ولم تَعرف إلى الآن أنَّ القرآن الذي وَجدت فيهِ هذه الآية تُوجد فيه الآية المَذكورة التي استدللتَ بها، وليس بعَجيب أنْ تَرى التَّعارض بَين الآيتين جهد[3] عادتك، فتفتي بأن تَكون إحداهما ناسخة والأخرى مَنسوخة»[4] انتهى.

---

(١) زيادة من ترجمة الشيخ وصي الله عباس -حفظه الله تعالى-.

(٢) زيادة من كلام محمد أسلم.

(٣) كذا في كتاب محمد أسلم وجميع طبعات «السراج المنير»، وفي ترجمة الشيخ وصي: «حسب».

(٤) قال الشيخ وصي الله عباس -حفظه الله-: «ومن الغريب أن بعض علماء الهند أفاد أن الكتاب المذكور للشيخ محمود، طبع أكثر من عشر طبعات، وفي جميعها هذا التحريف المتعمد، ولم ينكره مُقلِّدوه رغم التنبيه عليه»، نقله عنه الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال» (١٦٢ - ١٦٣).

وثبت بأن الكتاب المذكور طبع في حياة الشيخ محمود حسن، وردَّ عليه العلَّامة محمد جوناكري بعنوان (ديو بند كي كعبه قبله مولوي محمود حسن كاتير كرده قرآن)، مع ذلك سكتوا عن الاعتذار، ثم أعيد طبع الكتاب مرة أخرى بدون أي استدراك عليه، منقول من «رموز راشديه» (ص٣٤)، وهي «مجموعة مقابلات للعلَّامة بديع الدين الراشدي السندي»، أفاده محمود الحسن الجميري في تعليقة له عن تعريبه كتاب «نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود» (ص٢١)، نشر مركز ابن تيمية - كراتشي سنة ١٤٢٠هـ. =

ويُثار السؤال على هذا الاستدلال بأنَّ الآية الثانية التي زادَ فيها الشَّيخ محمود حسن الديوبندي واستدلَّ بها: في أي جزء مِن القرآن، وفي أي مُصحف...؟ وقد نُشر الكتاب باسم الشَّيخ مَحمود حسن، والأغلب أنَّه نُشر في قَيد حياتِهِ، وقَرأهُ تَلامذته مِن العلماء والمَشايخ، ومِن الديوبنديين وجَماعة التَّبليغ، فهل وُفِّق أحدٌ أنْ يَقوم بإصلاح هذهِ الهَفوة (التَّحريف)[(١)]؟

= وقال السيد طالب الرحمن في كتابه «الديوبندية» (ص ٢٦٦): «والجدير بالذكر أنه بعد مرور ثلاثين عامًا على طبع هذا الكتاب، تم طبعه للمرة الثانية في عام ١٣٣٠هـ ولكنه وللأسف الشديد أن علماء ديوبند لم يحذفوا منه هذه العبارة التي تشتمل على التحريف الواضح البيِّن، ولم يعلقوا عليها شيئًا في الهامش، مع أن علماء أهل الحديث ردُّوا على مؤلفه وأنكروا على ما جاء به في كتابه من التحريف، بعد طبع الكتاب للمرة الأولى، وكان من الذين ردُّوا على مؤلف الكتاب المذكور: الشيخ محمد بن إبراهيم الجوناكري، وذلك في جريدته «أخبار محمدي» التي كانت تصدر في دهلي عاصمة الهند، ثم ذكر ذلك كله في هامش كتابه «طلاق محمدي»».

وأشار إلى هذا التحريف: سلطان محمود رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر رسالة «نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود» (١٩ - ٢١)، وسيأتي التعريف بها قريبًا، وينظر كتابي «كتب حذر منها العلماء» (١/ ١٦٥ - ١٦٦).

(١) يقول الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ ردًّا على ما فعله الشيخ محمود الحسن، ونص كلامه في «القول البليغ» (١٢١): «قلت: ما فعله محمود حسن من الزيادة في القرآن ليس بهفوة فقط، وإنما هو كفر صريح؛ لأنه صريح في الكذب على الله -تعالى-، وقد حكم الله بكفر من كذب عليه، ووصف الكاذبين عليه بأنهم من أظلم الظالمين، وتوعَّدهم بأشد الوعيد».

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نصوصًا من الكتاب والسنة تدل على كفر من كذب على الله -تعالى-، وعلى أنهم من أظلم الظالمين، ثم قال (١٢٢): «وإذا عُلم هذا؛ فليعلم -أيضًا- أن الذين قرؤوا كتاب محمود حسن من تلاميذه وغيرهم من مشايخ الديوبنديين وجماعة التبليغ، واطلعوا على ما وقع في الكتاب من الزيادة في القرآن، ولم ينكروا ذلك، ولم يغيِّروه: إنهم شركاء لصاحب الكتاب فيما يترتب على الزيادة في كتاب الله من الكفر والظلم والوعيد الشديد؛ لأن الراضي بالذنب كفاعله، والدليل على هذا: قول الله -تعالى-: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]». =

قَد مَرَّت بكم قصة الاحتجاج بالآية القرآنية التي لا تَجدها في المُصحف المَوجود بَين أيدينا، قَد تَولَّاه الشَّيخ مَحمود حَسن الحَنفي الچشتي، المَعروف بَينهم بشَيخ الهند، وهو أُستاذ لمُحمد إلياس مُؤسس جَماعة التَّبليغ.

قالَ مُحمد تَقي الدِّين: هذا الكَلام واضحٌ كاملٌ لا يَحتاج إلى شَرحٍ ولا تَعليق، فمَن بَلغ بهِ التَّعصب والتَّقليد الأعمى إلى أنْ يَزيد في كتاب الله، فقَد بَلغَ فِي الضَّلال كل مَبلَغ، **فنَعوذ باللهِ مِن الخُسران والإفلاس.**

○ تَحريف الحَديث على يَد العالم الديوبندي التَّبليغي[1]:

وإليكَ ما حَدَث قَبل أشهر مِن كَشف الستار عَن التَّحريف الواقع في الاحتجاج بهذا الحديث في «سُنن أبي داود».

فيَقول الشَّيخ المُحدِّث سُلطان مَحمود جَلال[2] پور بيرولا ملتان - باكستان: «قد قَرأت رسالة بعنوان «حَقيقة كَذب مُنكري التَّقليد»، تَحتوي على خَمس صَفحات، وخلاصتها أنَّ صَلاة التَّراويح عشرون رَكعة ولَيست ثَماني رَكعات، **وقَد وَردَ على الصَّفحة الخامسة مِن هذهِ الرِّسالة ألفاظ الحَديث مِن «كتاب أبي داود» هكذا:**

= **قال أبو عبيدة: هذا داء أصاب كثيرًا من التبليغيين، يقعون في الخطأ الواضح الصريح، ثم يتبيَّن لهم، ومهابتهم ومنزلتهم عند مريديهم لا تأذن لهم بالاعتراف والرجوع، وقد وقع لي ذلك من قريب مع تبليغي جلد تقوَّل عليّ وافترى، وكفَّرني وكفَّر تلاميذي بعبارات لا تقبل التأويل**، بل زعم -عامله الله بما يستحق- أنهم اتخذوني إلهًا من دون الله -والعياذ بالله-، ونشر ذلك على وسائل التواصل، وتبيَّن له كذبه بيقين، وفشى الأمر، وسكت بعد ذلك، وكأنه لم يصدر منه شيء! والله الموعد، وأثبتُّ ذلك لأدلّل على أن هذا الخطأ الشنيع على وضوحه لم يصوّب، بسبب البلادة والتعصُّب، مع أن الظنَّ بالشيخ -محمود حسن- حسنٌ، والآفة من الأتباع! ولا قوة إلا بالله!

(١) العنوان وما تحته نقله الهلالي عن محمد أسلم في كتابه «جماعة التبليغ» (١٨).

(٢) في كتيبه «نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود»، عرَّبه الأستاذ محمود الحسن الجميري، ونشره عن مركز الإمام ابن تيمية للبحوث العلمية، كراتشي - باكستان سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م، في (٢٥) صفحة.

«عَن الحسن: أنَّ عمر بن الخطاب جَمع النَّاس على أُبي بن كَعب، فكانَ يُصلِّي لهم عشرين ركعة. (أبو داود)».

وإليكم نَص الحَديث مِن «كتاب أبي داود» فجاءَ فيهِ:... عَن الحَسن: «أنَّ عمر بن الخَطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمع النَّاس على أُبيِّ بن كَعب، فكانَ يُصلِّي لهم عشرين ليلة، ولا يَقنت بهم إلا في النِّصف الباقي، فإذا كانت العشر الأواخر تَخلَّف فصَلَّى في بَيتِهِ، فكانوا يَقولون: أبَقَ أُبي»[1].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٩٨) رقم (٤٨١٤)، **وإسناده ضعيف**، للانقطاع، فإن الحسن لم يسمع من عمر بن الخطاب.

وفي «موطأ مالك» (١/ ١١٥ - رواية يحيى) عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد: إن الصلاة إحدى عشرة ركعة.

وأخرجه من طريق مالك به: الفريابي في «الصيام» (رقم ١٧٤)، وأبو بكر النيسابوري في «فوائده» (ق١٣٥/ أ)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٩٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٩٦) و«معرفة السنن والآثار» (٤/ ٤٢ رقم ٥٤١٣، ٥٤١٤، ٥٤١٥، ٥٤١٦)، **وسنده صحيح غاية**.

قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٥/ ١٥٤ رقم ٦٢٧٢، ٦٢٧٣): «هكذا قال مالك في هذا الحديث (إحدى عشرة ركعة)، وغير مالك يخالفه فيقول في موضع إحدى عشرة ركعة: (إحدى وعشرين)، ولا أعلم أحدًا قال في هذا الحديث: (إحدى عشرة ركعة) غير مالك، والله أعلم.

إلا أنه يحتملُ أنْ يكون القيامُ في أول ما عمل به عمر بإحدى عشرة ركعة، ثم خفَّفَ عليهم طول القيام، ونقلهم إلى إحدى وعشرين ركعة، يُخَفِّفُون فيها القراءة، ويزيدون في الركوع والسجود، إلا أنَّ الأغلبَ عندي في إحدى عشرة ركعة الوَهْم، والله أعلم».

قال أبو عبيدة: ليس كذلك، فقد تابع مالكًا على «إحدى عشرة ركعة» جمعٌ؛ منهم:

* يحيى بن سعيد القطان، عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٨٤ رقم ١ - ط. دار الفكر).

* إسماعيل بن أمية.

* أسامة بن زيد.

أخرجه من طريقهما عن محمد بن يوسف به: أبو بكر النيسابوري في «فوائده» (ق١٣٥/ أ). =

....

= * إسماعيل بن جعفر المدني عن محمد بن يوسف: أخرجه علي بن حُجر السعدي في «حديثه» (رقم ٤٤٠).

فهؤلاء أربعة رووه عن محمد بن يوسف، وتابعوا مالكًا على لفظة «إحدى عشرة ركعة».

ولذا تعقَّب العلماء ابن عبد البر في كلامه السابق، قال الزرقاني في «شرح موطأ مالك» (١/ ٢٥) رادًّا عليه: «ليس كما قال، فقد رواه سعيد بن منصور من وجه آخر عن محمد بن يوسف، فقال: (إحدى عشرة ركعة)، كما قال مالك».

وسنده في غاية الصحة، قاله السيوطي في «المصابيح» (١/ ٣٥٠ - ضمن «الحاوي»).

نعم، خولف مالك، خالفه محمد بن إسحاق وغيره!

(فائدة): وقع في مطبوع «إتحاف المهرة» (١٢/ ١٥٨ رقم ١٥٢٩٩) أن مالكًا حدثه، عن ابن شهاب!! وهذا خطأ، صوابه: (محمد بن يوسف)، وهو ثقة.

وقال ابن حجر في «الفتح» (٤/ ٢٥٣): «ورواه محمد بن نصر المروزي من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن يوسف، فقال: «ثلاث عشرة»، ورواه عبدالرزاق من وجه آخر عن محمد بن يوسف، فقال: «إحدى وعشرين»».

فرواية: «إحدى وعشرين»، أخرجها عبدالرزاق في «المصنف» (٤/ ٢٦٠ رقم ٧٧٣٠) عن داود بن قيس وغيره، عن محمد بن يوسف، به.

وأما رواية ابن نصر، فهي في «قيام رمضان» (ص٩١)، وفيها: «ثلاث عشرة ركعة» -ومن طريقه عند أبي بكر النيسابوري في «فوائده» (ق١٣٥/ أ)-، وزاد في «القيام»: «قال ابن إسحاق: وما سمعت في ذلك -يعني: في عدد ركعات قيام رمضان- **هو أثبت عندي، ولا أحرى من حديث السائب، وذلك أن رسول الله ﷺ كانت له من الليل ثلاث عشرة ركعة**».

قلت: رواية الجماعة عن محمد بن يوسف: «إحدى عشرة» هي المحفوظة، وأما رواية ابن إسحاق فهي مرجوحة، لمخالفته من أهم أوثق منه، وأكثر منه عددًا، ويمكن أن يجمع بينها وبين رواية الإمام مالك ومن تابعه، كالجمع المذكور بين حديث عائشة في «الصحيحين»، وفيه صلاته ﷺ قيام رمضان إحدى عشرة ركعة، وما ثبت في «صحيح مسلم» عن ابن عباس، قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة»، فقد وقع تفصيل عند أبي داود (١/ ٢١٥)، وأبي عوانة (٢/ ٣١٨) ضمن حديث طويل، فيه: «فصلّى ركعتين خفيفتين، قد قرأ فيهما بأم القرآن في كل ركعة، ثم سلّم، ثم صلّى إحدى عشرة ركعة بالوتر، ثم نام، فأتاه بلال، فقال: الصلاة =

....

= يا رسول الله! فركع ركعتين، ثم صلَّى بالناس»، فالركعتان الزائدتان ليستا من الإحدى عشرة، واختلف فيهما، قال ابن القيم في «الهدي» (١/ ٣٢٧): «فقد حصل الاتفاق على إحدى عشرة ركعة، واختُلف في الركعتين الأخيرتين: هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرهما؟».
وما يقال عن هذين الحديثين -أعني: حديثي عائشة وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ- يقال في رواية مالك وابن إسحاق، وإلا؛ فالذي تقتضيه الصنعة الحديثية: **ترجيح رواية مالك ومن وافقه**.
وأما رواية داود بن قيس التي عند عبدالرزاق: فداود هو الفَرّاء الدَّبَّاغ، أبو سليمان القُرشي مولاهم، المدني، ثقة، وتفرَّد عبدالرزاق في الرواية عنه (إحدى وعشرين)، ولم يتبيَّن لنا (غيره)، وإنما أبهمه، ولا نترك (المبيَّن) لـ(المجمل)، ولا نترك رواية الجماعة -وفيهم ثقات رفعاء- لمثل هذه الرواية!
وقد حمَّل شيخنا الألباني في كتابه «صلاة التراويح» (ص ٤٨-٤٩) الخطأ في ذكر العدد لعبدالرزاق؛ لأنه قد اختلط!
قال أبو عبيدة: ثم رأيته في «الصيام» للفريابي (رقم ١٧٥): حدَّثنا قتيبة، حدَّثنا وكيع، عن داود بن قيس، عن محمد بن يوسف، وذكره مثل خبر عبدالرزاق، إلا أنه سكت عن عدد الركعات، وهذا أصح، والله أعلم.
والخلاصة: أن رواية الجماعة عن محمد بن يوسف (إحدى عشرة)، وهو الراجح على ما تقتضيه الصنعة الحديثية، وفي تحقيق صواب رواية (ابن يوسف) -عندي- يظهر الصواب في فعل عمر؛ لأنه روي عن السائب على ألوان وضروب.
ذكرها ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ٢٥٣)، وعبارته: «وروى مالك من طريق يزيد ابن خصيفة...»! قال شيخنا الألباني في «صلاة التراويح» (٤٩ - الهامش): «وعزاه الحافظ في «الفتح» لمالك؛ فوهم».
قلت: إنما أخرجه الفريابي في «الصيام» (رقم ١٧٦)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (رقم٢٨٢٥) -ومن طريقه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٩٦)- من طريق ابن أبي ذئب، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد، قال: كانوا يقومون على عهد عمر في شهر رمضان بعشرين ركعة.
وأخرجه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٤/ ٤٢ رقم ٥٤٠٩) من طريق محمد ابن جعفر، قال: حدَّثني يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد، قال: كنَّا نقوم في زمان عمر بن الخطاب بعشرين ركعة والوتر، وعزاه محققه لـ«الموطأ»!! وهو خطأ، فليكن ذلك على بالك، والله الموفق. =

= وهذا الطريق معتمد القائلين بالعشرين في صلاة التراويح! وقد ذهب جماهير الفقهاء، وغير واحد من المحدِّثين إلى الجمع بين ما رواه محمد بن يوسف ويزيد ابن خصيفة عن يزيد، قال البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٩٦) -مثلًا-: «ويمكن الجمع بين الروايتين، فإنهم كانوا يقومون بإحدى عشرة، ثم كانوا يقومون بعشرين، ويوترون بثلاث».

قلت: نعم، وقع التصريح -أيضًا- بثلاث وعشرين.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ١١٤) و«الاستذكار» (٥/ ١٥٤- ١٥٥ رقم٦٢٧٦): «وروى الحارث بن عبدالرحمن بن أبي ذُباب، عن السائب بن يزيد، قال: كنَّا ننصرف من القيام على عهد عمر، وقد دنا فُروع -أي: بزوغ- الفجر، وكان القيامُ على عهد عمر بثلاث وعشرين ركعة»، وهو في «مصنف عبدالرزاق» (٤/ ٢٦١-٢٦٢ رقم٧٧٣٣) عن الأسلمي، عن الحارث، به.

وبهذا يجمع بين روايتي (إحدى وعشرين) و(ثلاث وعشرين) على حسب عدد ركعات الوتر.

قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٥/ ١٥٥): «وهذا محمول على أن الثلاث للوتر، والحديث الأول على الواحدة للوتر»، قال: «كل ذلك معروف معمول به في المدينة».

وقال البيهقي في «المعرفة» (٤/ ٤٢): «قال الشافعي: **وليس في شيء من هذا ضيق، ولا حد ينتهي إليه، لأنه نافلة، فإن أطالوا القيام وأقلُّوا السجود؛ فحسن، وهو أحب إليّ، وإنْ أكثروا الركوع والسجود، فحسن**».

وهذا صنيع ابن حجر في «الفتح»، والله الموفق.

قال أبو عبيدة: الواجب (الإعمال لا الإهمال)، ولكن بعد التأكد من الصِّحة والثبوت، و(الجمع) مقدَّم على (الترجيح)، والثابت عن عمر أنه صلَّى (إحدى عشرة) دون زيادة، **يتأكد هذا بأمور:**

الأول: أنَّ هذه رواية محمد بن يوسف عن السائب، وابن يوسف هو ابن أخت السائب، وهو أعرف برواية خاله، وأحفظ لروايته من ابن خصيفة، إذ هذا الأخير يروي عن السائب تارة مباشرة، وتارة بواسطة.

الثاني: حمل فعل عمر على موافقة سنته ﷺ خير وأولى من حمله على مخالفتها، وهذا بيِّن لا يخفى -إن شاء الله تعالى-، أفاده شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صلاة التراويح» (ص٥١).

الثالث: رواية ابن خصيفة فيها: إنَّ الناس فعلوا ذلك في زمن عمر، بخلاف الرواية =

وإتيانُ لَفظ (رَكعة) بَدل (لَيلة)، **والاحتجاج بهذا اللَّفظ لإثبات رَكعات التَّراويح عشرين رَكعة؛ تَحريفٌ هامٌّ في كتاب ديني، مِمَّا[1] يُخجَل منهُ**»[2].

قالَ مُحمد تَقي الدِّين: وهذهِ زَلة عَظيمة صَدرت مِن هذا الرَّجل؛ فأبدلَ (لَيلة) بـ(رَكعة)، ولم يَستحي مِن الله، ولا مِن النَّاس، فنَسأل الله العافية!

○ متى وَقعَ هذا التَّحريف؟ ومَن قامَ به؟

والنُّسخ المَطبوعة المَوجودة إلى (سنة ١٣١٨هـ) لـ«كتاب أبي داود» يُوجد في كلِّ هذهِ النُّسخ كلمة (عشرين ليلة) مَطبوعة، ولم تُوجد أي إشارة لاختلال النُّسخ، فلمَّا نُشر «سُنن أبي داود» بحاشية[3] الشَّيخ محمود حَسن؛ قامَ ناشروه بأنفسهم، أو بمَشورة أحد مِن النَّاس، بإدخال كَلمة (ليلة) في المَتن، وجَعلوا عليها عَلامة، وكَتبوا على الحاشية (رَكعة)، ولمَّا طبع الكتاب بتَحشية الشَّيخ [فخر][4] الحسن ثَبَّتوا في هذهِ النُّسخة لَفظ (رَكعة) في مَتن

= الصحيحة، ففيها: إنه أمر بإحدى عشرة ركعة، أفاده شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ -أيضًا- في «قيام رمضان» (ص٤).

الرابع: وقد ضعّف رواية يزيد بالشذوذ جمع من المحدِّثين؛ منهم: شيخنا الألباني في «صلاة التراويح» (ص ٤٩-٥١)، والشيخ بديع الدين السندي في مقالة له في مجلة «الجامعة الإسلامية» (م٩) (العدد١) (سنة١٣٩٧هـ)، والدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، كما في مجلة «الجامعة الإسلامية» (م١٥/ ٥٩٤/ ١٤٠٣هـ)، والله أعلم.

وأخيرًا: فإن الزيادة على إحدى عشرة من العمل القديم، الثابت في عصر التابعين، فهو مشروع على ما سبق من كلام الإمام الشافعي، وهذا الذي قرره جمع من أئمة الهدى.

(١) في كتاب محمد بن أسلم: «ما».

(٢) «نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود» (ص٣٢) للشيخ المحدث سلطان محمود جلال پور بيرولا ملتان باكستان. (منه)

(٣) في جميع طبعات «السراج المنير»: «وحاشية»، والمثبت من كتاب «جماعة التبليغ وأفكار مشايخها» (ص١٦).

(٤) سقطت من جميع طبعات «السراج المنير»، وهي مثبتة في «جماعة التبليغ» (١٦) و«نعم الشهود» (١٦ - ١٧) تعريب الجميري.

وفخر الحسن هو ابن عبدالرحمن الحنفي الكنكوهي (ت١٣١٥هـ)، له «التعليق=

الكتاب، وجَعلوا علامة في النُّسخة (ن)، وكَتبوا على الحاشية (لَيلة)، وهذا ليعمَّ التَّأثر أنَّ هُناك اختلاف النُّسخ، وكانَ المَقصود مِن هذا العَمل: أنْ يَتأثروا بأنَّ بَعض نُسخ «أبي داوِد» قد توجد فيها كلمة (عشرين رَكعة)، لكي يَستدلوا بهذا الحَديث على إثباتِ رَكعات التَّراويح عشرين ركعة[1].

= المحمود على سنن أبي داود»، طبع بالهند، وحقق في جامعة أم القرى سنة ٢٠١٨م؛ رسائل ماجستير.

ولصاحبه ترجمة في «نزهة الخواطر» (٨/ ١٣٢٣).

(١) «نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود». (منه)

قال أبو عبيدة: هذا مثال مكتوب على تحريف متقصَّد، ويُستفاد منه أمر كلي، وسنة الله ماضية في حقِّ من لم يعظِّم النصوص الشرعية، فيُبتلى بهذا الداء، وبيَّن هذا الأصل ابنُ القيم في «إعلام الموقعين» (٥/ ٢٣٤ - ٢٣٥، بتحقيقي)، وذكر كلامًا مهمًّا غاية؛ فأسوقه، ثم أعقب عليه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**ولا بد من أمرين:**

أحدهما أعظم من الآخر، وهو: النصيحة لله ولرسوله وكتابه ودينه، وتنزيهه عن الأقوال الباطلة المناقضة لما بعث الله به رسوله من الهدى والبيِّنات، التي هي خلاف الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل، وبيان نفيها عن الدين وإخراجها منه، وإن أدخلها فيه مَنْ أدخلها بنوع تأويل.

والثاني: معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول، فقالوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها؛ لا يُوجب اطِّراح أقوالهم جملة وتنقّصهم والوقيعة فيهم.

فهذان طرفان جائران عن القصد، وقَصْدُ السبيل بينهما، فلا نُؤثِّم ولا نُعصِّم...».

يعني: **إن الصراط المستقيم للحق والاعتدال، له أصلان، ولا بد من مراعتهما:**

أولًا: يقدّم الكتاب والسنة والنصوص الشرعية في كل حال من الأحوال.

ثانيًا: أن يحسن الظن بجميع أئمة الإسلام، ويبدي الحب والاحترام لهم، ولا يغفل أبدًا عن مراعاة مراتبهم وحقوقهم.

وبعدم مراعاة التوازن بين هذين الأصلين وتناسبهما، تعترض المصائب والمشكلات كلها دائمًا: إما أفرط الناس فيهما، أو فرَّطوا فيهما بكل شؤم، أو انحازوا إلى واحد منهما انحيازًا تامًّا.

طائفة منهما فهمت أن مطلب اتباع النصوص الشرعية وتقديمها: أنه حيثما رأت أي=

....

= قول لأي من أهل العلم، خالف حكمًا ونصًّا في الظاهر، بادرت في تضليله وتكفيره، وحكمت عليه فورًا بكونه منكر الشريعة، ولو أنه قضى حياته كلها في الشريعة علمًا وعملًا.

والطائفة الأخرى فهمت معنى اتباع الأئمة وأكابر الدين، وحبّهم وتقديرهم: أن تجعل الأحكام والنصوص تابعة لهم، ومحكومة بحكمهم، فتركت الكتاب والسنة، لأجل أناس غير معصومين، وقربت إلى حد: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ [التوبة:٣١].

وعجبٌ أمر هذه الطائفة الثانية: أنها حينما ترى قولًا لأئمتها ومتبوعيها خلاف الأحكام والنصوص الشرعية، لا تجد جرأة كافية في داخلها، أو تؤوّل هذا القول المخالف، وتقدّم القرآن والسنة عليه، وهكذا كان في استطاعتها أن تحترز من ترك الشريعة الإلهية، وتجتنب من تلويث ذيول أئمة الإسلام من شية مخالفة الشريعة.

بل بالعكس؛ إنها تجتهد أن تقدّم أقوال أئمتها وآراءهم، وتحاول أن تجعل القرآن والحديث يطابقان لها، وإن وصلت بفعلها هذا إلى تأويل النصوص وتحريفها.

الطريق الأول -بحكم أصله-: طريق اليهود.

الطريق الثاني: طريق النصارى.

وأراد الإسلام أن يسدّ كلا الطريقين: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧].

ومن أعمال مجددي الأمة ما ورد في حديث: «يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ، وانْتِحَالَ المُبْطِلينَ، وتَأويلَ الجَاهِلين».

فالطريق الأول: طريق انتحال المبطلين، والطريق الثاني طريق تأويل الجاهلين.

فالضلال هو الذي أضلّ الطائفة الأولى بإراءته إياها وجه البغض والإنكار، وأضلّ الأخرى، متنقبًا بنقاب الحب والاتباع، ومنذ ما تعمرت الدنيا بالنوع الإنساني، كان هذان النوعان هما من أزياء الضلال دائمًا، فأضلّ الناس إما الإفراط في البغض، وإما الإفراط في الحب.

ولكن الصراط المستقيم لأهل الحق بمعزل عنهما، وهم يقدّمون أحكام الشريعة وظواهر الكتاب والسنة في كل حال من الأحوال، ولا يوجبون إلا طاعتها في هذه الكائنات كلها، ومع هذا يحسنون الظن بجميع أهل العلم وأئمة الإسلام -أيضًا- وإن ورد من أقوالهم وآرائهم أو أحوالهم وسوانحهم ما يُرى مخالفًا لظاهر نصوص الكتاب والسنة، فلا ينشطون فورًا لإنكارها وتضليلها، بل يؤولونها حتى وسعهم، ويبحثون عن طريق للتعبير عنهما بما يوافق نصوص الشريعة. =

....

= وإن رأوا أن الاختلاف بينهما لا يزول في أي حال من الأحوال، فلا يؤولون النصوص الشرعية لأجلها، لأنه هو أساس التحريف، بل يحاولون أن يبحثوا عن الأعذار التي لأجلها اضطروا إلى هذا الاختلاف، أو يتغاضون عن أقوالهم وآرائهم، ويفوضون أمرهم إلى عالم السرائر، ولكنهم لا يتبعون أقوالهم ولا يدافعون عنها، وكذلك لا يتبادرون إلى الإنكار عليهم وتضليلهم لأجل أقوالهم وأحوالهم، بقطع النظر عن حقوقهم الإسلامية، ومراتب فضلهم في العلم والعمل، وذلك لأن أيًا من غير المعصومين المستحقين للاحترام والاتباع، لا يستلزم له أن يكون كل قوله وحاله حجة، ولا يعني خطأ قول واجتهاد لأحد من غير المعصومين -أيضًا- أن يتخلى عن جميع محاسن أقواله وأعماله.

وما بيَّنه القرآن الحكيم من شأن المؤمنين الصادقين، هو ظاهر من طلبهم ودعائهم هذا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فلما كان هذا الحكم بالنسبة لعامة المؤمنين، فمتى يجوز أن يستقرّ الغلّ والبغض في القلب، بالنسبة لأصحاب العلم والفضل من الأعلام؟

[أصل مركز الحق واليقين هو الكتاب والسنة]:

إن أصل مركز الحق واليقين -قطعًا- هو الكتاب والسنة، وهو لا يتزحزح عن مكانه، وكل لأجله يتزحزح إليه، ولا يمكن أن تترك عتبته إرضاء لأحد، وتترك عتبات الناس كلهم لأجله.

«**لا يُؤمِنُ أحدُكُم، حتَّى أكُونَ أحبَّ إليهِ مِنْ والدهِ وولدهِ والناس أجمعين**».

لما قام أحد بمراعاة كلام واحد آخر، في مقابل نصّ الرسول ﷺ، فمتى يبقى هو أحبّ الناس؟

من أخطاء أهل الإفراط والغلو: أنهم يجعلون أقوال غير المعصومين من أئمتهم وأحوالهم بمنزلة أصل المركز الذي لا يزحزح من مكانه في أي حال، ويريدون أن ينقلوا الوحي الإلهي ونصّ صاحب الوحي من مكانهما إلى مركزهم المزعوم، فإن لم ينتقلا، فيُنقلا جبرًا، ومن الظلم أنهم يعبرون عن هذا الطريق: بطريق التوفيق والتطبيق!

فإن كان هذا هو التطبيق، فوالذي نفسي بيده! لم يوجد التحريف في الدنيا، ولا أهل الكتاب قاموا بتحريف في هذه الدنيا أبدًا!

قال أبو عبيدة: أفاده بتمامه العلَّامة إمام الهند أبو كلام آزاد في «التذكرة لأولي العزم =

وقَدْ كَتَبَ التهانوي أشرف عَلي -حَكيم الأُمة عندهم- في كتاب «حكايات الأولياء»: «إنَّ الشَّيخ قاسم النانتوي جاءَ ديوبند بَعد وَفاتِهِ في جَسده العنصري، وقالَ لعَميدِهِ ومُديرِهِ الشَّيخ رَفيع الدِّين[1]: إنَّ مَحمود حَسن (شَيخ الهند أسير مالتا) كَيف ابتُلي بالنِّزاعات؟ فغَرق الشَّيخ رَفيع الدِّين في العَرق، ودَعا مَحمود حَسن وقَصَّ عَليهِ هَذهِ القصَّة، فتابَ مَحمود على يَدِ رَفيع الدِّين»[2].

وعَلَّق عَليهِ الشَّيخ أشرف علي التهانوي (حَكيم الأمة): «وكانَ هذا تمثُّل الرُّوح (ورود قاسم نانتوي في ديوبند)، ولَهُ صُورتان:

الأولى: أنَّه كانَ جَسدًا مثاليًّا مُشابهًا للجَسد العنصري.

والثانية: أنَّ الرُّوح تَصرفت بنَفسها في العناصر وهَيأت لنفسها جَسدًا عنصريًّا، وقد يُوجد مثل هذا في عَقائد الهنادكة[3] القائلين بالتناسخ.

قالَ مُحمد تَقي الدِّين: أجمعَ المُسلمون -فيما عَلمت- على أنَّ أرواح الأنبياء والصَّالحين لا تَرجع إلى أجسادها إلا يَوم البَعث والنُّشور، ومنها أشرف الأرواح روح نَبينا محمد ﷺ لا تَرجع إلى جسدِهِ الشَّريف إلا يَوم

= من أعلام الأمة في التاريخ» (١٩٤ - ١٩٨)، وأحببت اطلاع القرَّاء عليه، لِيُعلمَ أن التحريف على هذا التأصيل باقٍ، وهو كثير ومتعدد، وله ألوان وضروب، وليس محصورًا في هذا المثال، وسيبقى ما لم تقوَّم الأصول، وينتبه الموفق لكلام ابن القيم، وهو جدير بالتأمل والنشر، وكان في عصر سيادة الإسلام ومبادئه، ولكن التعصُّب كان محصورًا في الأحكام الفقهية، وزاد عليه المتعصِّبون للأحزاب والجماعات، فعمَّ الدَّاء وطمّ، وقلَّ المصلحون والناصحون، ولا قوة إلا بالله!

(١) هو رفيع الدين الديوبندي، ولد عام ١٨٣٦م، خدم في مدرسة ديوباند باسم نائب رئيس دار العلوم مرتين: الأولى سنة ١٨٦٧ إلى ١٨٦٨م، والثانية من ١٨٧١ إلى ١٨٨٨م، وتوفي عام ١٨٩٠ بالمدينة النبوية، ودفن بالبقيع، له ترجمة في: «الإمام السرهندي، حياته وأعماله» (٣/ ٣٢٤) لأبي الحسن الندوي.

(٢) «حكايات الأولياء» رقم (٢٤٧) (ص ٢٨٨- ٢٨٩) مرتبه أشرف علي التهانوي، ونقلًا عن «توحيد خالص» للدكتور عثماني (ص ٥٠).(منه)

(٣) «أرواح ثلاثة» (ص٢٣٢- ٢٤٣).(منه)

البَعث، فهو «أوَّل مَن تَنشق عنهُ الأرض»[١]، ويَدخل الجنَّة.

وفي «المُوطأ»: عَن عائشة أم المُؤمنين، عَن النَّبي ﷺ أنَّه قالَ: «**إنَّ أرْوَاح المُؤمنين فِي حَواصل طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرْتَع في الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيل مُعَلَّقَةٍ تَحت الْعَرْشِ**»[٢] أو كما قالَ.

فرُوح محمد قاسم النانتوي إنْ كانت في الجنَّة في حوصلة طائر أخضر، تَرْتَع فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى عَرْشِ الله -تعالى-، كيفَ تَترك ذلكَ النَّعيم والقُرْب مِن الله -تعالى- تَحت عَرشهِ المَجيد وتَرجع إلى الدُّنيا المَلعونة؟ لأي غَرضٍ؟ لهداية مَحمود حَسن، والقرآن عندهُ؟ وقَد قالَ

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٢٤١٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) ليس هذا في «الموطأ» والذي فيه (٦٤٣ - رواية يحيى) أو (٩٩٢ - رواية الزهري) أو (٤٠٦ - رواية سويد) و(٧٢ - رواية ابن القاسم) عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري: أنَّ أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما نسمة المؤمن طير، يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**».

وأخرجه من طريق مالك: أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٠٥)، والنسائي في «المجتبى» (٤/ ١٠٨)، وابن ماجه (٤٢٧١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ رقم ١٢٠)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١٣٥٥) رقم (٩٢٤)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١١/ ٥٦)، **وإسناده صحيح**.

وأخرجه بنحو اللفظ المذكور عند المصنف: ابن زنجويه، كما في «كنز العمال» (٤/ ٤١٣)، وأخرجه مسلم في (كتاب الإمارة): باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، (رقم ١٨٨٧)، والترمذي في «الجامع» (أبواب تفسير القرآن): باب ومن سورة آل عمران، (رقم ٣٠١١)، وابن ماجه في «السنن» (كتاب الجهاد): باب فضل الشهادة في سبيل الله، (رقم ٢٨٠١)، من طرق عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق؛ قال: سألْنا عبدَ الله -أي: ابن مسعود- عن هذه الآية: وذكرها؛ فقال: أمَا إنَّا قد سألْنا عن ذلك، فقال: «**أرواحُهم كطيرٍ خضرٍ تسرحُ في الجنَّةِ في أيِّها شاءت، ثمّ تأوي إلى قناديلَ معلقةٍ بالعرشِ...**».

وورد بألفاظ ذكرها السيوطي في «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» (رقم ١٤٣ - ١٦٧) و«التعلل والإطفا لنار لا تطفى» (٤٥ - ٤٧)، وانظر تعليقي عليهما، وينظر «التمهيد» (١١/ ٥٦ - ٦٤) لابن عبدالبر.

-تعالى- في (سُورة الإسراء رقم الآية: [٩-١٠]): ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وقالَ -تعالى- في (سُورة الشورى رقم الآية: [٥٢]): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وأخرجَ الحاكم: عَن أبي هريرة قالَ: قالَ رَسول الله ﷺ: **«تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»**[1].

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٣٨٦ - ١٣٨٧)، والدارقطني في «سننه» (٤/ ٢٤٥)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (رقم٦٣٢)، والحاكم (١/ ٩٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٥٠ - ٢٥١)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٩٤)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١١٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم ٨٩ و ٩٠)، كلهم من طرق عن صالح بن موسى، عن عبدالعزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه.

وهذا **إسناد ضعيف جدًّا**، صالح بن موسى الطلحي هذا قال ابن معين: ليس بشيء ولا يكتب حديثه. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك. وقال أبو حاتم: منكر الحديث جدًّا عن الثقات. وقال ابن عدي: عامّة ما يرويه لا يتابعه عليه أحد.

وأورده الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣٠٢) على أنه من مناكير صالح بن موسى.

وله شواهد عديدة، منها:

ما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ٤٨٩) رقم (٣٠٧٠٠)، والخطيب في «المتفق والمفترق» (١/ ٢٢١) من حديث جابر بن عبدالله، وهو: **«تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»**.

ورواه الترمذي في «جامعه» (٣٧٨٦)، والنسائي في الكبرى «٤/ ١٥٥» رقم (٣٩٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٦٨٠) عنه بلفظ: **«يا أيها الناس! إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»**.

والحديث مروي بلفظ: «العترة» بدل «السنة» عن كثير من الصحابة، منهم: زيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُم. =

ففي الكتاب والسُّنة هداية كافية لمَحمود الحَسن، فلا حاجَة إلى أنْ تَرجع رُوح مُحمد قاسم إلى جَسدهِ، ويَخرج مِن قَبرهِ، ويَمشي إلى ديوبند لهداية مَحمود الحَسن.

ولمَّا تُوفي رَسول الله ﷺ اختلفَ الصَّحابة -رضوان الله عليهم- فيمَن يَتولَّى الخلافة[١]، وطالَ نزاعهم حتى شَغلهم عن دفن جَسد النَّبي ﷺ ثلاثة أيام[٢]، ولو تكلَّم لهم النَّبي ﷺ لانقطع[٣] النِّزاع واتَّفقوا في الحين، ولكنَّه لم يَتكلم لَهم، وهذا أهم مِن الأمر الذي بعث له قبل يَوم البَعث مُحمد قاسم

= وروي عن أبي هريرة بلفظ: «السنة» بدل «العترة»، وفي كلا السياقين بلفظ: **«لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»**.

والجمع بينهما في المعنى: أن عترته أهل بيته يحافظون على سنته، أي: لا يخلو الزمان من قدوة منهم يقيمون سنته، لا يثنيهم عنها التقليد ولا الابتداع ولا الفتن.

وإسناده ضعيف، فيه زيد بن الحسن، ضعيف.

وله طريق أخرى ضعيفة، فيها مجالد، انظرها عند اللالكائي في «السنة» (رقم٩٥)، ولفظه مطول.

والحديث صحيح بشواهده.

قال الترمذي عقبه: «وفي الباب عن أبي ذر، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وحذيفة بن أسيد»، قال: «وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه».

قلت: انظر شواهده في «السلسلة الصحيحة» (رقم١٧٦١).

(١) رواه البخاري (٣٦٦٧، ٣٦٦٨، ٦٨٣٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وينظر شرحه «فتح الباري» (٧/ ٢٩ - ٣٢).

(٢) عن عائشة، قالت: «توفي النبي ﷺ يوم الاثنين، ودفن ليلة الأربعاء»، رواه أحمد في «مسنده» (٤١/ ٣٠٠) رقم (٢٤٧٩٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٣٠٩) رقم (٤٢٨٨).

وعن عكرمة، قال: «توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته والغد حتى دفن ليلة الأربعاء»، رواه الدارمي في «سننه» (١/ ٢٢٠) رقم (٨٤).

وقال السخاوي في «الأجوبة المرضية» (١/ ٣٨٧- ٣٨٨): «وهذا القول هو المشهور الذي نص عليه غير واحد من الأئمة سلفًا وخلفًا».

(٣) تحرَّفت في جميع طبعات «السراج المنير»: «لا انقطع»!

-وهو أمرٌ مَحمودٌ حَسنٌ-؛ فإنَّ تَرْكَ مَحمود حَسن للنِّزاع، نَتيجتُه هداية نَفس واحدة، واتفاقَ الصَّحابة على الخَليفة نَتيجتُه هداية الأُمة بأسرها، والنَّبي ﷺ مُكلَّف بهداية الأُمة في حال حياته، وقد تَرك لهم ما يَقوم بهدايتهم بعد وَفاته، وهو كتاب الله وسُنته، فكيفَ لم يَكتفِ مُحمد قاسم النانتوي بما اكتفى بهِ النَّبي ﷺ؟

وحَدث بَعد ذلكَ وقوع النِّزاع بَين فاطمة وأبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ فإنَّ فاطمة طَلبت حَقَّها مِن ميراث أبيها -عليه وعليها الصَّلاة والسَّلام-، طَلبته مِن أبي بكر الصِّديق، وهو أحبُّ النَّاسِ إلى النَّبي ﷺ مِن الرِّجال، وابنتهُ عائشة أحبّ النَّاس إلى النَّبي ﷺ مِن النِّساء[1]، وفاطمة ابنته بضعة منه، أي: قطعة مِن لَحمِهِ، يَسوؤه ما ساءها[2]، فلا يَهون على النَّبي ﷺ هذا الاختلاف بَين حَبيبين مِن أحبتهِ، وقد قالَ أبو بكر الصِّديق لفاطمة في الجَواب: إنَّ النَّبي ﷺ قالَ: «**نحنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»[3]، وشَهد بذلكَ جَماعة مِن أصحاب رَسول الله ﷺ.

فقالت فاطمة لأبي بكر الصِّديق: إذا متَّ أنت مَن يَرثكَ؟

قالَ: أولادي.

قالت: فما بالي أنا لا أرث أبي؟

---

(١) روى البخاري (٣٦٦٢ و ٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤) من حديث عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيتُه، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: **عائشة**. قلت: من الرجال؟ قال: **أبوها**.

(٢) رواه البخاري (٣١١٠) و (٣٧١٤) و (٣٧٢٩) و(٣٧٦٧)، ومسلم (٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة رفعه: «**فاطمة بضعة منّي، يسوؤني ما ساءها**».

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٩٢ و٣٠٩٣ و٤٠٣٥ و٤٢٤٠، ٦٧٢٥، ٦٧٢٦، ٦٧٢٧)، ومسلم (١٧٥٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وأخرجه أحمد (٢/ ٤٦٣)، والبخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٦١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فأجابها بما تَقدَّم، فلو رَجعت روح النَّبي ﷺ إلى جَسده، وقال لفاطمة: «يا ابنتي! إنَّ ما قالَ لك أبو بكر هو الحَقّ، ولا حاجَة بك إلى المال؛ لأنَّك لا تَعيشين بَعدي إلا سِتة أشهر»، لانفضَّ النِّزاع، وَصفا الجَو، ورَجع الحَبيبان -فاطمة وأبو بكر- إلى صفاء المَودة والوفاق.

فكيفَ يَترك النَّبي ﷺ هذهِ المَصلحة العَظيمة ولا يُبعث لها[1]، ويُبعث مُحمد قاسم النانتوي لشَيءٍ تافه نسبيًّا، وهو تَرك النِّزاع، وتَركه مَنطوق بهِ في كتاب الله؟

قالَ -تعالى- في (سُورة الأنفال رقم الآية: [٤٦]): ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

ففي هذهِ الآية غُنية لرَفيع الدِّين ومَحمود حَسن عَن رجوع مُحمد قاسم إلى الدُّنيا قبلَ يوم القيامة.

وقد حَدثَ بَعد ذلكَ بَين أصحاب رَسول الله ﷺ نزاع كَثير، فمنه النِّزاع بَين عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبَين الخَوارج، وأدَّى ذلكَ إلى القتال، فقُتل في المَعركة آلاف مِن الفَريقين، ولو ظَهر النَّبيُّ ﷺ للخَوارج ونَهاهم عَن الخروج لم تُسفك قَطرة دم، فكيفَ يَترك النَّبي ﷺ هذا الأمر المُهم، ولا يَرجع إلى الدُّنيا لهذهِ المَصلحة الكَبيرة، ويَرجع مُحمد قاسم إلى الدُّنيا لوَعظ شَخص واحد؟[2]

---

(١) قال السخاوي: «لم يصل إلينا ذلك -أي: رؤية النبي ﷺ يقظة- عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا عمَّن بعدهم، وقد اشتدَّ حزن فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عليه ﷺ حتى ماتت كمدًا بعده بستة أشهر، وبيتها مجاور لضريحه الشريف، ولم ينقل عنها رؤيته ﷺ في تلك المدَّة»، ذكره في كتابه «الإرشاد والموعظة لزاعم رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة»، ونقله عنه تلميذه القسطلاني في «المواهب اللدنية» (٢/ ٣٧١)، وانظر: كتابي «مؤلفات السخاوي» (رقم ٣٠ - ط الثانية، مزيدة ومنقَّحة).

(٢) استفاد الهلالي هذا من مناظرة شيخه محمد العربي العلوي له، وقد ذكرها في كتابه «الهدية الهادية» (٢٥٤ - ٢٥٩، ٣١٣ - ٣١٤، بتحقيقي).

وكذلك في مقالاته بعنوان (كيف خرجت من الطريقة؟)، ووضعتها في (الملحق الأول) آخرَ «الهدية الهادية».

اللهم إنَّ هذا لمُنكر عَظيم، لا يُصدقه أحدٌ، إلا مَن كانَ مَحجوبًا بظُلمات طَريقة التَّصوف عَن رؤية نُور الوَحي.

وحَدثَ بَعد ذلكَ الخلاف بَين عَليّ ومُعاوية، فوَقعت الحَرب بَينهما سنين، وأزهقت الأرواح الكثيرة، ولم يَظهر النَّبي ﷺ لمُعاوية ويَقل له: بايع إمامك ولا تُحاربه؛ فإنَّ مَن خَرجَ عَن طاعة إمامهِ شبرًا فماتَ؛ ماتَ ميتة جاهليَّة[1]، فكيفَ يَترك النَّبي ﷺ هذا الأمر العَظيم، ولا يَرجع إلى الدُّنيا في جَسدِهِ الشَّريف لهذهِ المَصلحة الكُبرى، ويَرجع مُحمد قاسم لمَوعظة شَخص واحد هو في غنىً عنها بكتاب الله وسُنَّة رَسوله؟ فكروا أيها النَّاس بعقولكم! يا جَماعة التَّبليغ! ويا مَن يَتبعها مِن العَوام الذين هُم في الجَهل كالهوام!

ونَسيتُ أنْ أقول: إنَّ الخلاف وَقعَ بين عائشة، وطلحة، والزبير مِن جهة، وعلي بن أبي طالب مِن جهة أخرى، ووقعت الحرب بين الفريقين في البصرة بالعراق، وعُقِر جَمَل عائشة، ووَقعَ هودجها على الأرض، وقتل طلحة والزبير، وهُما مِن العَشرة المُبشرين بالجنَّة، وكذلكَ علي بن أبي طالب، وقُتل مِن الفريقين خَلق كثير، ولو رجع النَّبي ﷺ إلى الدُّنيا وكَلمهم لَما سُفكت قَطرة دم، ولَصَلحت ذات البين، ورَجعوا إلى صَفاء المودة[2]، فأين هذهِ المَصلحة

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (١٨٤٨) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطاعة، وفارقَ الجَماعَةَ فماتَ، ماتَ مِيتَةً جاهليَّةً».

(٢) قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٣٨- ٣٩) بعد كلام طويل، وفيه نقولات عن بعض من أثبت رؤيا اليقظة، قال: «ثم إني أقول بعد هذا كله: إن ما نسب إلى بعض الكاملين من أرباب الأحوال من رؤية النبي ﷺ بعد وفاته وسؤاله والأخذ عنه؛ لم نعلم وقوع مثله في الصدر الأول، وقد وقع اختلاف بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من حين توفي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى ما شاء الله -تعالى- في مسائل دينية وأمور دنيوية، وفيهم أبو بكر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإليهما ينتهي أغلب سلاسل الصوفية!! الذين تنسب إليهم تلك الرؤية، ولم يبلغنا أن أحدًا منهم ادَّعى أنه رأى في اليقظة رسول الله ﷺ وأخذ عنه ما أخذ، وكذا لم يبلغنا أنه ﷺ ظهر لمتحيِّر في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال تحيُّره، وقد صحَّ عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في بعض الأمور: «ليتني=

العَظِيمة مِن زَعمهم أنَّ مُحمد قاسم رَجع إلى الدُّنيا قبل البعث والنشور؟ لماذا؟ ليَقول لرفيع الدين: «قل لمحمود حَسن يترك النزاع، ويَأخذ خرقة التَّصوف على يدك»، وهي بدعة ضلالة، هل يُمكنكم يا معشر التَّبليغيين! ويا أيها المُقلِّدون العُمي! الذين يخرجونكم للسياحة المبتدعة المشتملة على تضييع العيال، فتخرجون معهم كالإبل والبقر والغنم، والإبل والبقر والغنم

= كنتُ سألت رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عنه»، ولم يصحَّ عندنا أنه توسل إلى السؤال منه ﷺ بعد الوفاة نظير ما يحكى عن بعض أرباب الأحوال، وقد وقفتَ على اختلافهم في حكم الجدِّ مع الإخوة؛ **فهل وقفتَ على أن أحدًا منهم ظهر له الرسول ﷺ فأرشده إلى ما هو الحقّ فيه؟** وقد بلغكَ ما عرا فاطمة البتول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الحزن العظيم بعد وفاته ﷺ وما جرى لها في أمر فدك؛ **فهل بلغك أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ظهر لها كما يظهر للصوفية؛ فبلَّ لوعتها**، وهوَّن حزنها، وبيَّن الحال لها؟ وقد سمعتَ بذهاب عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى البصرة وما كان من وقعة الجمل؛ **فهل سمعتَ تعرضَه ﷺ لها قبل الذهاب وصدَّه إياها عن ذلك؛ لئلَّا يقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه؟** إلى غير ذلك ممَّا لا يكاد يُحصى كثرة، والحاصل أنه لم يبلغنا ظهورُه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأحد من أصحابه وأهل بيته -وهم هم- مع احتياجهم الشَّديد لذلك، **وظهورُه عند باب مسجد قباء -كما يحكيه بعض الشيعة-؛ افتراءٌ محض وبهت بحت**.

وانظر مناقشة الهلالي دعوى رؤية النبيِّ ﷺ يقظةً لا منامًا، وبيان بطلانها؛ في: «الهدية الهادية» (ص٢٥٤ - بتحقيقي)، وملحقه الأول (مقالات كيف خرجت من الطريقة)، «العيون الزلالية» (فتوى رقم ٥٤٤ - بتحقيقي)، كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٨٤٠ - ط الأولى)، مقالة (كيف كانت عقولهم؟ ثلاثون ألف طفل يغزون بيت المقدس) نشرت في مجلة «الفتح» المجلد السابع- عدد (٣١٨)- بتأريخ ١١ رجب ١٣٥١هـ (ص٩ - ١٠)، مقالة (الطرائق القدد وعواقبها الوخيمة) نشرت في «الفتح» -أيضًا- المجلد الثاني عشر- عدد (٥٨٠)- بتأريخ ١٣ شوال ١٣٥٦هـ (ص٦ - ٨)، مقالة (الطرائق في الحجاز) نشرت في مجلة «الشهاب» الجزائرية- المجلد الرابع- عدد (١٥٢)- بتأريخ ٣ محرم ١٣٤٧هـ - ٢١ جوان ١٩٢٨م (ص٥ - ٨)، مقالة (سبيل الله وسبل الشيطان) نشرت في «الشهاب» -أيضًا-، المجلد الرابع- عدد (١٧٠)- بتأريخ ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٧هـ (ص٣ - ٥).

لها مصلحة في الخروج وهي الرعي، أما أنتم فما لكم إلا المفسدة في الدين والدنيا والنفس والمال، فتوبوا إلى الله وارجعوا عن غَيِّكم، واتبعوا رسول الله ﷺ، وأصحابه، واتركوا البرهمية والبدِّية[1]، فإنَّ دينَ الهدى كاملٌ جاء به رسول الله ﷺ، لا يحتاج إلى دين موسى، ولا دين عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فكيف يحتاج إلى دين (برهما) ودين (بدًّا)؟!

رَوى البيهقي في «الشُّعب»[2] عَن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَوْ نَزَلَ مُوسَى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، أَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَأَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ»**[3].

وفي «الصَّحيح»: أنَّ النَّبي ﷺ كان جالسًا ومَعه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجاءَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي يَدهِ وَرقة من التَّوراة يَقرأها، فظَهر الغَضب على وَجه النَّبي ﷺ، فقالَ أبو بكر لعمر: ثكلتك الثواكل! ما تَرى ما بوَجه النَّبي ﷺ؟

فقالَ عمر: يا رَسول الله! أتوب إلى الله، رَضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحمد رَسولًا.

فقالَ رَسول الله ﷺ: **«لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»**[4]. الحَديث.

---

(١) المراد: البوذية، وتقدَّم بيان ذلك.

(٢) (٤/ ٣٠٧) رقم (٥٢٠١).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في «المصنَّف» (٦/ ١١٣) و(١٠/ ٣١٣)، وعنه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٧٠) و(٤/ ٢٦٥) من طريق الثوري، عن جابر، عن الشعبي، عن عبدالله بن ثابت، عن عمر بن الخطاب به، وجابر هو الجُعفِيُّ، ضعيف.

(٤) أخرجه الدارمي (٤٣٥)، وأبو عبيد في «الغريب» (٣/ ٢٨)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤٧)، وأحمد (٣/ ٣٨٧) و (٤/ ٢٦٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠)، والبزار (١٢٤ - «زوائده»)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٧)، والبغوي (١٢٦)؛ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفيه مجالد بن سعيد؛ فإسناده ضعيف؛ إلا أنه حسن لشواهده.

انظر: «إرواء الغليل» (٦/ ٣٤).

ففيما تَركه لنا رَسولُ الله ﷺ غايةُ الكفاية، فلا حاجَة بنا أنْ يُبعث شَخص قبل يوم البَعث لهدايتنا، لو كانَ ذلكَ في إمكانه، فكيفَ وذلكَ مُستحيل؟ فإنَّ روح الإنسان في البرزخ: إمَّا في نعيم أو في جَحيم، وفي كلتا الحالين هي مَشغولة لِمَا هي فيه عن الرُّجوع إلى الدُّنيا لتهدي زَيدًا أو عَمرًا، وإنَّما الهدى هدى الله[1].

وكيفَ عَلمتْ روحُ مُحمد قاسم أنَّ محمود الحَسن مُشتغلٌ بالنِّزاع (ولا يَعلم الغَيبَ إلا الله)؟!

قالَ الله -تعالى- في (سُورة فاطر) بَعد ذِكر خَلْق البَحرين، وأشياء كثيرة، آخر ما ذكر منها الشَّمس والقمر (رَقم: ١٣-١٤): ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾.

فلو أنَّ رَفيع الدِّين ومَحمود حَسن دَعَوا مُحمد قاسم ألف سَنة ليتكلم مَعهما ما استجابَ لهُما؛ لأنَّه مَشغول عَنهما بالنَّعيم -إنْ كانَ مِن أهلهِ- أو بالجَحيم -والعياذ بالله-، ونَرجو أنْ لا يَكون مِن أهله؛ **إذن فهذهِ خرافات لا تَقبلها إلا عقول العَجائز الجاهلات.**

قالَ مُحمد أسلم[2]: ومِن شُيوخ مُحمد إلياس -أيضًا- الشَّيخ أشرف علي التهانوي الحَنفي الديوبندي الچشتي[3] (حَكيم الأمة عندهم)، وُلِد

(١) مضت لوازم خطيرة لا تنفك عن القول بحياة النبي ﷺ حياة برزخية غير حقيقية، انظرها فيما تقدَّم في التعليق على (ص٢٩٨).

(٢) في «جماعة التبليغ» (٢٠ - ٢١).

(٣) أفرد ترجمته جماعة، وللباحث أحمد حسين إسماعيل «منهج تلاميذ حكيم الأمة أشرف علي التهانوي في التفسير، كتاب «أحكام القرآن» نموذجًا»، ولمحمد رحمة الله الندوي «أشرف علي التهانوي حكيم الأمة وشيخ مشايخ العصر في الهند»، مطبوع ضمن سلسلة (أعلام المسلمين) رقم(٩١).

وله ترجمة في: «نزهة الخواطر» (٨/ ٥٧)، «الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها» =

(سَنة ١٢٨٠[١] هـ) وتُوفي (سَنة ١٣٦٤[٢] هـ)، وهو مِن كبار مَشايخ الحَنفية الدِّيوبندية التَّبليغية، المَعروف -فيما بَينهم- (بحَكيم الأُمة)، لهُ مُؤلفات كَثيرة، وهو رَجل صوفي بَحت، وصاحب سلسلة وطريقة، ومرشده إمداد الله المكي[٣] (المهاجر إلى مكة)، وقد هاجر الحاج إمداد الله إلى مكة، وتوطَّن هناك قبل ولادة التهانوي (أشرف علي)، لكن لمَّا تُفتح عينُ البصيرةِ يُرفع حجابُ الأزمنة والأمكنة، فرأى الشيخ إمداد الله، وكان في مكة تجلَّى هذا الأمر في الهند، وحينما كان التهانوي طالبًا طلب إمداد الله إلى أبيه أنه إذا سافر للحج يأتِ بابنه الكبير، فزارَ التهانوي إمداد الله ففرح جدًّا، وشرَّفه بالبيعة والخلافة والإجازة، وكانت عليه عنايته؛ فكانت حرارة العشق تلتهب في داخل النفس[٤].

قال مُحمد تقي الدين: قوله: «لمَّا تفتح عين البصيرة يرتفع حجاب الأزمنة والأمكنة».

هذه العبارة فاسدة من حيث اللغة العربية؛ لأن (لمَّا) إذا دخلت على المضارع لا تكون إلا حرف نفي، ونفيها يستمر إلى وقت التكلم، وأما التي بمعنى (حين) فلا تدخل إلا على الفعل الماضي.

= (٣٢) لأبي الحسن الندوي، مجلة «مجمع اللغة العربية» الهندية- مجلد (١٣)- ربيع الأول ١٤١٠هـ (ص٢٢٥ - ٢٤١)- بعنوان (محمد علي تهانوي: حياته وآثاره) للدكتور كفيل أحمد القاسمي، وأعاده في مجلد (١٩) (ص٢٧٥ - ٢٩١).

(١) يوافق ١٨٦٣م. (٢) يوافق ١٩٤٣م.

(٣) هو إمداد الله بن محمد أمين العمري التهانوي، ولد لثمان بقين من صفر سنة ١٢٣٣هـ في قرية (نانوتة) التابعة إلى سهارنپور، وذهب إلى مكة سنة ١٢٧٦هـ، وكانت أول إقامة له على الصفا، ثم انتقل إلى (حارة الباب)، فتصدَّر للتدريس، وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ١٣١٧هـ بمكة، ودفن بالمعلاة.
ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٨/ ٧٠ - ٧٢)، «حديقة المرام» (٤٩)، «علماء العرب في شبه القارة الهندية» (٧٢٨ - ٧٢٩).

(٤) «بيس برى مسلمان» (ص٣١٦- ٣١٧). (منه)

وصواب هذا الكلام: «إذا فتحت عين البصيرة...» إلخ، وهذا ادِّعاء لعلم الغيب!

قال القسطلاني[١] في شرح حديث البخاري: «**مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**»[٢]: «قال الزجاج[٣]: «مَن زعم أنه يعلم شيئًا مِن هذه الخمس فهو كافر بالقرآن العظيم»[٤]».

وفي «الصحيح»[٥]: أن قومًا من العرب جاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا: إنا قد أسلمنا ونحن قبائل كثيرة، لو جئنا المدينة لضيقنا على أهلها، فابعث معنا مَن يُعلمنا الإسلام، فبعث معهم النَّبيُّ ﷺ القُرَّاءَ، وعددهم سبعون رجلًا، فلمَّا وصلوا إلى بلادهم قتلوهم كلَّهم إلا واحدًا، فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره بغدرهم، فقنت النبي ﷺ شهرًا كاملًا بعدما يرفع رأسه مِن ركوع الركعة الأخيرة في الصلوات الخمس كلِّها، يدعو على أولئك الأحياء من العرب، يقول: «**اللهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ**».

قال أنس: حتى أنزل الله عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فترك القنوت ولم يَعُد له.

محل الشاهد هنا: هل كان النبي ﷺ يعلم أن أولئك العرب كاذبون غادرون، وسيقتلون أصحابه التسعة والستين؟ أو لم يكن يعلم ذلك؟

كل مسلم يقول: لم يكن يعلم ذلك، وكل عاقل مِن الكفار -أيضًا- يقولها، فظهر أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب[٦].

---

(١) «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٢/ ٢٥٨).

(٢) رواه البخاري (٤٦٩٧) في (كتاب تفسير القرآن): باب قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨] من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) في «الأصل»: «الزجاجي»، والمثبت من كتاب «إرشاد الساري» المطبوع.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٠٢).

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٩٠)، ومسلم (٦٧٧) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٦) انظر تقرير المصنِّف أنَّ النبي ﷺ لا يعلم الغيب في: «سبيل الرشاد» (١/ ٣٣١-=

قال الله -تعالى- في سورة الأعراف (رقم الآية: ١٨٨): ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

فكيف يعلم إمداد الله ما يجري في الهند وهو بمكة؟ فهذا من بنات غيرٍ[1].

قال الشاعر:

إذا مَـا جِئْـتَ جـاءَ بَنَـاتُ غَيْـرٍ وإنْ وَلَّيْـتَ أَسْـرَعْن الذَّهَابَـا[2]

قوله: «فكانت حرارة العشق تلتهب في داخل النفس».

جهل بالعربية؛ فإنه لا يُعشق إلا ما يُنكح، والصوفية مِن جهلهم باللغة العربية يزعمون أنهم يعشقون الله -تعالى-، والله -تعالى- منزَّهٌ عن العشق[3]،

= ٣٣٣، بتحقيقي)، «شرح التوحيد» (١٦٦، ٣٣٨ - بتحقيقي)، «الهدية الهادية» (٢٥٤ - ٢٥٥، ٥١٧ - ٥١٨، بتحقيقي)، ومقالة (علم الغيب) المنشورة في مجلة «الفتح» - المجلد السابع - العدد (٣٠٢) - بتأريخ ١٧ ربيع الأول ١٣٥١هـ (ص١١)، وأيضًا يوم ١٢ صفر ١٣٥١هـ، ومجلة «الجامعة السلفية» الهندية - المجلد التاسع - العدد الثاني - ربيع الأول ١٣٩٧هـ - مارس ١٩٧٧م، (ص ٥٥ - ٥٩).

(١) قال تقي الدين الهلالي في «رحلة من الزبير» (١/ ٤٠٩ - بتحقيقي): «بنات غير: عَلَم جنس على الكذب».

قال أبو عبيدة: ويقال للكذاب -أيضًا- (أبو بنات غير)، وهي للزور والباطل، انظر: «المخصص» (٤/ ١٣٩)، «تاج العروس» (١٣/ ٢٨٩).

(٢) بلا نسبة في: «لسان العرب» (٤/ ٥٣٣) (عبر)، و«المخصص» (٣/ ٨٩)، و«أساس البلاغة» (ص٣١) (بني) و(ص٣٣١) (غير)، و«تاج العروس» (١٢/ ٥٠٧) (عبر) و(١٣/ ٢٨٩) (غير).

(٣) **قال أبو عبيدة:** تجويزُ إطلاقَ (العِشقِ) على الله عَزَّوَجَلَّ؛ **باطل مِنْ حيثُ الأثر والمُسْتَنَد، ومِنْ حيثُ التوجيه والمُعْتَمَد.**

قال ابن حجرٍ الهيتمي في «الإعلام بقواطع الإسلام» (ص٢٩٣): «وكذا [من الخطإ]: (أنا أَعْشَقُ الله ويَعْشَقني)! والعبارة الصحيحة: (أُحِبُّهُ وَيُحِبُّنِي)».

وقال ابن القيم في «طريق الهجرتين» (ص٥٣٧) في لفظ (العشق): «لَمَّا لَمْ يَرِدْ به سَمْعٌ؛ فإنه يمتنع إطلاقه عليه -سبحانه-! واللفظ الذي أطلقه -سبحانه- على نفسه =

....

= وأخبر به عنها: أَتَمُّ من هذا وأَجَلُّ شأنًا؛ وهو لفظ (المَحَبَّةِ)».
وفصَّل ذلك في «روضة المحبين» (ص٥٧-٥٩)؛ فقال: «وأما (العِشْقُ)؛ فهو أَمَرُّ هذه الأسماءِ وأَخْبَثُها! وَقَلَّ ما وَلِعَتْ به العربُ! وكأنهم ستروا اسمه، وكَنَوْا عنه بهذه الأسماء؛ فلم يكادوا يُفْصِحُون به، ولا تكاد تجده في شعرهم القديم؛ وإنما أُولِعَ به المتأخِّرون! ولم يقع هذا اللفظ في القرآن ولا في السنة».
ثم تكلَّم عن اشتقاق لفظة (عشق)، وقال -بعد كلام- (ص ٥٨-٥٩):
«قد اختلف الناس: هل يُطْلَقُ هذا الاسم في حَقِّ الله -تعالى-؟
فقالت طائفة من (الصوفيَّة): لا بأس بإطلاقه! وذكروا فيه أثرًا لا يثبت؛ وفيه: «... فإذا فَعَلَ ذلك؛ عَشِقَنِي وَعَشِقْتُهُ»[أ].
ثم قال أبو نعيم: «كذا رواه عبدالواحد عن الحسن مرسلًا، وهذا الحديث خارج من جملة الأحاديث المراسيل المقبولة عن (الحسن)؛ لمكان (محمد بن الفضل) و(عبدالواحد)، وما يرجعان إليه من الضعف».
قلت: لعلَّ المعروف في ذلك: ما أخرجه أبو القاسم القشيري في «الرسالة» (٢/ ٣٧٨) قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبدالرحمن بن عبدالله الذُّبْيَانِيَّ يقول: سمعت الجُرَيْرِيَّ يقول: سمعت الجُنَيْدَ يقول: سمعت السَّرِيَّ يقول: مكتوبٌ في بعض الكتب الَّتي أنزل الله -تعالى-... فذكره مختصرًا.
وقال جمهور الناس: لا يُطْلَق ذلك في حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يُقال: (إنه يَعْشَقُ)، ولا يقال: (عَشِقَهُ عَبْدُهُ).
ثمَّ اختلفوا في سبب المنع على ثلاثة أقوال:
أحدها: عَدَمُ التوقيف؛ بخلاف (المَحَبَّةِ).
الثاني: أنَّ (العِشْقَ): إفراط (المَحَبَّةِ)، ولا يمكن ذلك في حَقِّ الرَّبِّ -تعالى-؛ فإنَّ الله -تعالى- لا يُوصَفُ بالإفراط في الشيء، ولا يَبْلُغُ عبدُهُ ما يستحقُّه من حُبِّهِ؛ فضلًا أن يقال: أَفْرَطَ في حُبِّهِ!
الثالث: أنه مأخوذ من (التَّغَيُّر)؛ كما يقال للشجرة المذكورة [هي شجرةٌ تَخْضَرُّ، ثمَّ تَدِقُّ وتَصْفَرُّ]: (عاشقة)، ولا يُطلق ذلك على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى». =

(أ) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٦٥): حدثنا أبي: حدثنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يزيد: حدثنا عبدالله بن عبدالوهاب: حدثنا محمد بن عبدالله: حدثنا إبراهيم ابن الأشعث: حدثنا محمد بن الفضل بن عطية، عن عبدالواحد بن زيد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله -تعالى-...» فذكره مطوَّلًا.

....

= وبنحوه في «مدارج السالكين» (٣/ ٢٩)، وقال -على إثره-: «فلا يوصف به الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا العبد في مَحَبَّةِ رَبِّه».
وانظر للمزيد: «قاعدة في المحبة» (ص ٥٢) لابن تيميَّة -وهي في «جامع الرسائل» (٢/ ٢٣٨)-، ويتأكد ذلك بالتركيز على الفَرق بين (العشق) و(المحبة).
قال أبو هلال العسكري في «الفروق في اللغة» (ص ١١٦):
«الفرق بين المَحَبَّةِ والعِشْقِ: أنَّ (العشق): شِدَّةُ الشهوة لنيل المراد من المعشوق -إذا كان إنسانًا-، والعزمُ على مواقعته -عند التمكُّن منه-، ولو كان العشق مفارقًا للشَّهوة؛ لجاز أن يكون العاشق خاليًا من أن يشتهي النَّيْلَ مِمَّن يعشقه، إلا أنه شهوة مخصوصة لا تفارق موضعها، وهي شهوة الرجل؛ للنَّيْل مِمَّن يعشقه، ولا تُسَمَّى شهوته لشرب الخمر، أو أكل الطَّيِّب: عشقًا، و(العشق) -أيضًا-: هو الشهوة التي إذا أَفْرَطَتْ وامتنع نَيْلُ ما يتعلَّق بها؛ قتلَت صاحبها، ولا يَقْتُلُ -من الشهوات- غيرُها، ألا ترى أنَّ أحدًا لم يَمُتْ مِن شهوة الخمر والطعام والطيب! ولا مِنْ مَحَبَّةِ داره أو ماله! ومات خلق كثير مِن شهوة الخُلْوَةِ مع المعشوق والنَّيْل منه؟».
وقد ظفرتُ بعبارة للطبري في «التبصير»[١] -وهو ممَّا كتبه إلى أهل (طَبَرِسْتَانَ)؛ يشرح فيه ما تقلَّده من أصول الدين-؛ فقال: «وإنَّ ممَّا نعتقده: تَرْكَ إطلاق تسمية (العشق) على الله -تعالى-»، وبيَّن أن ذلك لا يجوز؛ لاشتقاقه، ولعدم ورود الشرع به، وقال: «**أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة! وفيما نصَّ الله -مِن ذِكْرِ (المَحَبَّةِ)- كفاية**»، كذا في «مجموع فتاوى ابن تيميَّة» (٥/ ٨٠).
وتعرَّض ابن العز في «شرح الطحاوية» (١٦٤- ١٦٥) إلى هذه المسألة، وقرر الحق -بإذن الله تعالى- فيها؛ لما قال معلقًا على قول الطحاوي: (وحبيب رب العالمين)، فذكر أنواع المحبة و(درجاتها العشر)، ومما سلكه ضمنها: «والسابعة: العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، **ولكن لا يوصف به الرب -تعالى-، ولا العبد في محبة ربه**، وإن كان قد أطلقه بعضهم، واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه: أن العشق محبة مع شهوة».
قال محقق «التنبيه على مشكلات الهداية» (١/ ١٥٧) على إثره: «والعلة التي ذكرها في منع إطلاقه على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورجحها بـ «لعل»؛ نفس العلة التي ذكرها في منع =

---

(١) ليست في مطبوعه، واعتمد محققه -حفظه الله- على نسخة خطية في الإسكوريال، ولم يستدرك المحقق الناقص من نصوصه من بطون الكتب، وهو جدير بذلك.

وإنما هو الحُبُّ، يحب عباده الصالحين ويحبونه، وقد عاب عليهم ذلك ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تلبيس إبليس»[(١)]، وأنشد فيهم: [من الوافر]

أرى جِيلَ[(٢)] التَّصَوُّفِ شَرَّ جِيلٍ[(٣)] ... فقُلْ لَهُمُ وأَهْوِنْ بالحُلولِ

أَقَالَ اللهُ حينَ عَشِقْتُمُوهُ ... كُلُوا أَكْلَ البَهائِمِ وارْقُصُوا لِي[(٤)]

○ **رؤيا الشيخ أنوار الحسن الكاكوري وتأويلها**[(٥)]:

= إطلاقها على النبي ﷺ عندما اعترض على الشاعر، وإذا كان اللفظ لم يرد في الشرع، ويحتمل معنى سيئًا لا ينبغي أن يطلق على رسول الله ﷺ، والمسلم يكفيه ما وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رسولَه به، وما وصف رسولُ الله ﷺ نفسَه به، ولا يلتفت إلى الألفاظ المحدثة، والله أعلم».

وانظر: كتابي «محنة ابن أبي العز الحنفي» (٥٦، ٦٦، ٤٥١ - ٤٦٣).

(١) «تلبيس إبليس» (ص٣٣٣).

(٢) تحرَّفت في طبعة دار الكتاب والسنة إلى «جبل»!

(٣) تحرَّفت في طبعة دار الكتاب والسنة إلى «جبل»!

(٤) البيتان للظاهر الجزري.

انظر: «معجم الأدباء» (٣/ ١٤١٤)، «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٩/ ٤١٩٣)، «الوافي بالوفيات» (١٥/ ٧٨)، «فوات الوفيات» (٢/ ٤٥).

وفي «معجم الأدباء» (١/ ٣٠٩)، «مرآة الزمان» (٢٠/ ٩٢) ونسبوه لأبي العلاء المَعَرِّي.

(٥) هكذا في الأصل، ولم يذكر الهلالي تحتها الرؤيا، وهي مثبتة في كتاب «جماعة التبليغ» (٢٠) لمحمد أسلم منقولة عن «بيس برى مسلمان» (ص٢١٦ - ٢١٧) هكذا:

«وإليكم ما رأى الشيخ أنور الحسن الكاكوري، فهذه الرؤية بشارة من الله على وصول التهانوي إلى هذه الدرجة الرفيعة، وهي كونه حكيم الأمة ومجدد عصره، فهو يقول: إني رأيت في المدينة المنورة في المنام أن النبي ﷺ مرض، وهو على سرير، والتهانوي يعوده ويرى رجلًا جالسًا على بعد، وقد علم بالنسبة إليه أنه طبيب، فلما استيقظت فجاء في ذهني أن النبي ﷺ ليس بمريض، وقد مرضت أمته والتهانوي يعودها -أي: يقوم بإصلاحها-، لكن الشيخ الذي كان على بُعدٍ ما عرفته، فلما أرجعت إلى الهند أبرقت إلى التهانوي وذكرت تعبير رؤيائي التي فهمتها، وكتبت أني ما عرفت هذا الطبيب -الذي كان جالسًا على بعد-، فكتب الشيخ: إن ذاك الطبيب هو الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولما زمنه بعيد رؤي في المنام بعيد المكان»، ولعل الهلالي فاته الضرب على العنوان!

قال محمد أسلم[(١)]: كتب أحد مريدي الشيخ أشرف علي التهانوي إلى شيخه بما يلي: «إني رأيت نفسي في المنام بأني كلما أسعى أن أقول كلمة الشهادة على وجهها الصحيح؛ يجري على لساني بعد لا إله إلا الله: أشرف علي رسول الله.

فيجيب التهانوي عن ذلك ويقول: إنك تحبني إلى غاية هذه الدرجة، وهذا ثمرة هذا الحب ونتيجته»[(٢)].

وقد قصَّ هذا المُريد في خطاب وجهه إلى مُرشده التهانوي هذه القصة، فقال له بعد ذكر الرؤيا: فاستيقظتُ من الرؤيا، فلما خطر ببالي خطأُ كلمةِ الشهادة؛ أردت أن أطرح هذا من قلبي، ولهذا القصد جلستُ ثم اضطجعتُ على الشِّق الثاني، وبدأت أقول: الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ؛ لأتدارك هذا الخطأ، لكني قلت: اللهم صلِّ على سيدنا ونبينا ومولانا أشرف علي، والحال أني مستيقظ الآن، ولستُ في رؤيا، مع هذا أنا مضطر ومجبور، ولا أقدر على لساني[(٣)].

وكان جواب الشيخ التهانوي لهذا المريد أن قال: «في هذا تسلية لك بأن الشخص الذي ترجع إليه هو بعون الله وتوفيقه متَّبع السنة»[(٤)].

قال محمد تقي الدين: هذا كفر مِن المريد الذي ينبغي أن يسمى (مَرِيدًا)

---

(١) في «جماعة التبليغ» (ص٢١). (٢) انظر الحاشية الآتية.

(٣) برهان فبراير (١٩٥ دلهي ص٧). (منه)

قال أبو عبيدة: هذا الهامش للحاشية السابقة، وهي خطأ في جميع طبعات «السراج المنير»، وصوابها: «برهان فبراير ١٩٥٢ دهلي ص١٠٧»، وكتب الهلالي في الحاشية في هذا الموطن الحاشية الآتية.

(٤) رسالة امراد تهانة بهون شوال ١٣٢٥ هـ. (منه)

قال أبو عبيدة: هذه للحاشية السابقة، وهي عند محمد بن أسلم: «إمداد» وليس «امراد»، وعنده شوال ١٣٣٥هـ وليس ١٣٢٥هـ.

ووضع هنا: «رسالة إمداد تهانة بهول شوال ١٣٣٥» (ص٣٤).

بفتح (الميم)، وشيخهُ شرٌّ منه؛ لأنه أقرَّه على الكفر، وكان الواجب على الشيخ لو كان مهتديًا سالكًا محجَّة الصَّواب أن يقول لمُريده، بل مَريده: تُبْ إلى الله من هذا الكفر، فقد أضلَّك الشيطان، فإن رسول الله لهذه الأمة المُحمدية واحد، وهو محمد بن عبد الله بن عبدالمطَّلب -صلوات الله وسلامه عليه-، وأعوذ بالله أن أرضى بما جرى على لسانك من نزغات الشيطان.

وكتب الأستاذ عبد الماجد دريابادي[1] من خلفاء التهانوي إلى مرشده:

«إن عدم التوجُّه في الصَّلاة مرض قديم، لكني جرَّبتُ أنِّي ما دمتُ تصورت جنابك في حالة الصلاة... توجهت في هذه المدة، لكن المصيبة هي أن هذا التصور لا يبقى إلى وقت طويل، وعلى كل حال، إن كان هذا عملًا محمودًا فليُصَوبْ من جنابكم، وإلا فأحتاط في المستقبل».

جواب الشيخ التهانوي: «هذا عمل محمود إن لم يطلع عليه الآخرون»[2].

قال محمد تقي الدين: بيان هذا الكلام أن المريد عبد الماجد شكا إلى شيخه التهانوي أن قلبه يغفل في الصلاة، ويشتغل بأمور الدُّنيا، لكنه إذا تصور صورة شيخه بقلبه يتغلب شيئًا ما على هذه الغفلة، والتفكُّر في أمور الدنيا، فإنْ كانَ هذا شَيئًا مَحمودًا عند الله، وصَوابًا يُقرب إلى الله يَستمر فيهِ، وإنْ كان

---

(١) هو الشيخ عبدالماجد الدريابادي، درس الفلسفة الحديثة، وكتب عدة كتب في النقد، وكان صاحب أسلوب فريد في اللغة الأوردية، أنشأ جريدة «صدق» الأسبوعية، وكان الكتَّاب يقلِّدون أسلوبه، درس العلوم الدينية بباكستان، وتخصص في القواعد العربية، كما اطلع على معظم ما كتبه المستشرقون عن القرآن والإسلام، وشخص سيدنا الرسول العظيم محمد ﷺ، وقد ترجم «معاني القرآن الكريم» إلى اللغتين الإنكليزية والأوردية، وتسمَّى «ترجمة الدريابادي» أو «التفسير الماجدي» نسبة إليه، توفي عام ١٩٧٨م، انظر: «ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب» (ص١٢٩) لعبدالله عباس الندوي، وينظر كلامي على ترجمته في «جهود محمد تقي الدين الهلالي في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية» (ص٤٥٢، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٨٨، ٤٩٠).

(٢) **قال أبو عبيدة:** في حاشية الأصل: «حكيم الأمة» (ص ٥٤).

خطئًا وضلالًا؛ فليخبره بذلك حتى يتركه، فأخبر التهانوي مريده بأن ذلك التصور صواب محمود، لكن يجب عليه أن لا يُخبر بذلك أحدًا، بل يبقى هذا الأمر سرًّا بينه وبين شيخه، وهذا في غاية ما يكون من الضَّلال، فإن استحضاره صورة شيخه في الصلاة شرك بالله، وكفر يشغله عن الله -تعالى-، ويبعده من الخشوع الذي هو روح الصلاة.

قال -تعالى-: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١- ٢].

وهذا النوع من الشرك مشهور عند المتصوفة أصحاب الطرائق القِدَدِ، وأنا بنفسي حين طلبتُ الوردَ من الشيخ عبد الكريم المنصوري(١) لأبايعه على الدخول في الطريقة التجانية؛ لقّنني الأذكار، وهي: (لا إله إلا الله) مئة مرة، (أستغفر الله) مئة مرة، الصلاة على النبي بصلاة الفاتح(٢) مئة مرة.

---

(١) هو من سجلماسة، وكان مقدّمها، وقرأ عليه جمع، انظر: «الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال» (١٣٣١ - ١٣٧٦هـ/ ١٩١٢ - ١٩٥٦م) (٢/ ٦٦٢).

(٢) لفظها عند التجانيين: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لِما أُغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم»، كذا في «وردة الجيوب» (ق ١٧).

وقال أحمد سكيرج في «الكوكب الوهاج» (ص٣٢٢): «بهذه الصيغة، بلا زيادة ولا نقصان»، وهذا يؤكد أنها من البدع الإضافية على ما قرره المصنف في «الهدية الهادية» (ص٥٤٨)، فهم يلتزمون هذه الألفاظ التي ما أنزل الله بها من سلطان، وتقال في الوظيفة (خمسين) مرة، وهكذا في سائر أورادهم!

وهذه الصلاة من (أركان) الوظيفة عند التجانيين.

قال الأحسَنُ اليعقيلي في كتابه «الإراءة»: «فمن لم يحفظ صلاة الفاتح؛ سقطت عنه الوظيفة حتَّى يحفظها».

وإلى هذا يشير عبدالحفيظ العلوي في نظمه «الجامعة العرفانية»:

لفظُ الفريدَةِ و(نونًا) تفعَلُ　　　وقارئٌ لغيرِهَا لا يُقبَلُ =

قال لي: «وإذا شرعتَ في الذكر فلتكن مستقبل القبلة، جالسًا كجلوسك للتشهد، مغمض العينين، لا تتكلَّم مع أحد ما دمت تذكر، وتصور بقلبك صورة شيخك الشيخ أحمد التجاني، وجهه أبيض، مشرب بحمرة، وله لحية بيضاء، على رأسه عمامة».

فكنت أفعل ذلك، وهو شرك وكفر، ولكن التجانيين لا يؤمرون بذلك في الصلاة، فهؤلاء زادوا على شركهم، فنعوذ بالله من الضلال، **فإن مَن ترك الكتاب والسنة واستبدلهما بأوهام المتصوفة؛ لم يبق له دين ولا عقل**، كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو أن رجلًا صاحبَ الصوفيةَ مِن الصبح إلى الظهر، لذهب

= **وعاجزُ النُّطقِ بها عنهُ سَقَطْ ذِكرُ الوَظيفةِ لأمرٍ ارْتَبَطْ**
والجيش قالَ جوَّزوا هنا البَدَلْ للعُذرِ إن في الوَقتِ ضيقٌ قد حَصَلْ
وفيهِ خُلفٌ للَّذي تَقدَّمَا والأوَّلُ المَعروفُ عندَ العُلَمَا

وسُئل محمد بن الحسن الجكاني عن هذا الموضوع؟ فأجاب عنه في كتابه «الأجوبة الشافية عن بعض مسائل الطريقة التجانية» بقوله: «الوظيفة لا يجوز فيها غير صلاة الفاتح، ومَن لم يحفظها سقطت الوظيفة عليه، وأما الورد فيجوز بأيِّ صيغة كانت من الصَّلوات عليه ﷺ، وإنما اقتصر عليها الفقراء لِمَا ذَاقوا فيها من السِّرِّ، حتى لم يقدروا أن يذكروا غيرها؛ لِمَا عَرفوا من فضلها، وحُقَّ لها ذلك؛ فإن من عرفها وعرف قدرها لا يلتفت إلى غيرها»!

وقالَ الحَجُوجي في كتابه «تيسير الأماني في شرح شُهدة الجاني» لدى قول المصنف: «وتَعيَّنت [يعني: صلاة الفاتح] للوظيفة، ومَن لم يحفظها تسقط عنه الوَظيفة أصلًا»: «يعني: إن صلاة الفاتح متعيِّنة في الوظيفة، ولا يجزئ في الوظيفة غيرها من الصلوات عليه ﷺ، وعليه؛ فتسقط الوظيفة لمن لم يحفَظْها حسبَمَا هو مصرَّح به في «جواهر المعاني»، قاله مولانا السيد السائحي»، وانظر: «الكوكب الوهاج» (٣٢٢ - ٣٢٣) والتعليق عليه و«جواهر المعاني» (١/ ١٠٠).

وفي «وردة الجيوب» (ق٥) فضيلة رقم (٢٥): «ومنها: ما قراءتها مرَّة واحدة، ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله عَزَّوَجَلَّ، والمرة منها بستِّ مئة ألف صلاة».

وانظر في الرد عليها: ما كتبه المصنف في «الهدية الهادية» (٤٤٢) في (فصل: في صلاة الفاتح لِما أُغلق) وما علقناه عليه، وما سبق في التعليق على (ص٣٣٠).

عقله»[1].

قال محمد تقي الدين: وكذلك دينه وماله يذهبان -أيضًا- وذلك هو الإفلاس العظيم.

انظر: «تلبيس إبليس»[2] للحافظ ابن الجوزي.

وكتب[3] مؤلف «أشرف السوانح» الخواجة عزيز الحسن[4] (عن نفسه) الذي كان مريدًا محبوبًا عند التهانوي يقول:

«إنه خطر ببالي مرات يا ليتني كنت امرأة في نكاح حضرتك، فسره إظهاره هذه المحبة إلى حد، وضحك ودخل المسجد قائلًا: إن هذه محبتك وتثاب

---

(١) أخرج البيهقي في «المناقب» (٢/ ٢٠٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٤٢) عن الشافعي قال: «لو أنَّ رجلًا تصوَّف مِن أول النهار؛ لم يأتِ عليه الظهرُ إلا وجدتَه أحمقَ»، ونقلها المصنف عنه في كتابه «الدعوة إلى الله» (٣٤٠ - بتحقيقي)، وقال: «وأنا أصدقه، وأزيد عليه: ولا دين. ونحن إنما نذمُّ الصوفية المبتدعين والمشركين والملاحدة كابن عربي الحاتمي وابن الفارض، وإذا كان الصوفية في زمان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ موصوفين بأن مَن صاحبَهم يفقد عقله، فما بالك بصوفية الأزمنة المتأخرة؟!».

(٢) (ص٣٢٧).

(٣) رجع الهلالي من هنا ينقل عن كتاب «جماعة التبليغ» (ص٢١) لمحمد أسلم.

(٤) ولد عزيز الحسن غوري في ١٢ يونيو ١٨٨٤م في عراي، حصل على بكالوريوس وماجستير في الحقوق من كلية محمدان الأنجلو الشرقية -الآن جامعة عليكرة الإسلامية-، كان من تلاميذ أشرف علي التهانوي، عمل الغوري نائبًا للجامع لمدة ٧ سنوات، ثم التحق بعد ذلك بإدارة التربية والتعليم، كان نائب المفتش للمدارس الإسلامية، ثم أصبح مفتِّشًا للمدارس الإنكليزية في لكناو في المقاطعات المتحدة في الهند البريطانية، وتقاعد فقط من هذا المنصب، تم تكريمه بلقب خان صاحب وخان بهادور من قبل حكومة الهند البريطانية، كان شاعرًا كتب في الغزل والنظم والحمد بالأردية، استخدم أولًا اسم «حسن» ثم «المجذوب» كاسمه الشعري، نُشرت مجموعته الشعرية «كشكول المجذوب» عام ١٩٥٠م، توفي الغوري في ١٧ أغسطس ١٩٤٤م، وللسيد سلمان النَّدْوي بالأردية «خواجة عزيز الحسن غوري مجذوب»، طبع عام ٢٠٠٣م.

عليها وتثاب عليها»[١].

قال محمد تقي الدين: هذا المريد جاهل أحمق، يتمنى أن يكون امرأة يتزوَّج به شيخُه، والعجب من الشيخ أنه رضي بذلك، وزعم أن المريد يثاب عليه، وهذا دليل على صحة كلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال محمد أسلم[٢]: وقد حدثت واقعة عجيبة بعد موت[٣] جدِّ التهانوي، فجاء إلى بيته مثل الأحياء، وأعطى أهل بيته الحلوى، وقال: إذا لم تُظهري هذا لأحدٍ أحضر كل يوم هكذا، ولكن خاف أصحاب البيت: أنه لو رأى الآخرون أن الأطفال يأكلون الحلويات؛ فلا يعلم ماذا يُثير منهم الشُّبَه، فأظهروا الأمر فما حضر مرة ثانية، وهذه الواقعة أمر مشهور في أهل البيت[٤].

قال محمد تقي الدين: وهذه -أيضًا- **خرافة عجيبة**؛ فإن النبي ﷺ لم يزر فاطمة والحسن والحسين بعد وفاته، ولم يقدم لهم الحلوى، وما فعل ذلك مع عائشة ولا غيرها من أزواجه الطاهرات، وما فعله أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا أحد من الصحابة، ولا من التابعين، فمن بعدهم، ولا خطر في رؤية الناس أطفال التهانوي يأكلون الحلوى، إلا إذا كانت من حلوى الجنة، فإنها حينئذ يفتتن بها الناس، فلماذا حرمت هذه المرأة أولادها من أكل الحلوى الآتية من الغيب كل يوم؟ ففي الإمكان أن تحبسهم في البيت حتى ينتهوا من أكل الحلوى، **ولكن المتصوِّفة إذا خطرت في بالهم خرافة يقولونها**

---

(١) «أشرف السوانح» (٢/ ٨٢). (منه)

قال أبو عبيدة: كذا في الأصل (٢/ ٨٢)، وفي جميع طبعات «السراج المنير» (٢/ ١٢)!

(٢) في «جماعة التبليغ» (٢١).

(٣) في «جماعة التبليغ»: «شهادة».

(٤) (ج١ ص ١٢). (منه)

قال أبو عبيدة: في كتاب «جماعة التبليغ» قبل الجزء والصفحة: «أشرف السوانح»، وفيه في آخر الكلام: «الأسرة»، فغيَّرها الهلالي إلى «أهل البيت»، وهو يرى أن (الأسرة) اصطلاح مولد غير صحيح في العربية، وانظر كلامه عليه في «تقويم اللسانين» (ص٦٧ - بتحقيقي).

بدون تفكير في عواقبها، وقد تذكرتُ حكايةً من المضحكات تُحكى عندنا في سجلماسة، وهي: أن أبًا أحمقَ قال لابنه الصغير: يا بني! رأيت فأرة ذكَرًا تجري خلف فأرة أنثى من قرية القارة إلى قرية أولاد عُميرة.

وكان الصَّبيُّ ذكيًّا بخلاف أبيه، فقال: يا أبتي! كيف استطاعت الفأرة الذَّكَرُ أن تجري خلف الفأرة الأنثى من القارة إلى أولاد عُميرة وبين القريتين نهر جار؟!

فقال الأب: إذن يا بني، أرجع عما قلته!

أما في حكاية زوجة التهانوي فلم يوجد غلام ذكي من بين أبنائها، يقول لها: يا أمي! لا تخبري أحدًا، بهذه الكرامة، ففي إمكاننا أن نأكل الحلوى الغيبيَّة كل يوم سرًّا، ولا نخبر بذلك أحدًا.

ثم قال محمد أسلم[1]: وقال الشيخ التهانوي: «إن قلب الشيخ عبدالرحيم الرايفوري[2] كان نورانيًا جدًّا، فكنتُ أخاف أن أجلس عنده خشية أن تنكشف عيوبي»[3].

قال محمد تقي الدين: إذا سلَّمنا أن قلب هذا الشيخ الرايفوري كان نورانيًا جدًّا بحيث أنه يعلم الغيب، ويعلم أحوال كلِّ من جلس عنده، فكيف نقول في رسول الله ﷺ الذي ينزل عليه الوحي من السماء، وقد جلس عنده أولئك العرب الغادرون، وقالوا: إننا قبائل كثيرة قد أسلمنا، ونريد أن تبعث

---

(١) في «جماعة التبليغ» (٢٢).
في جميع طبعات «السراج المنير»: «قال الشيخ التهانوي، ثم قال محمد أسلم»! وهو خطأ، والصواب المثبت.

(٢) في جميع المواطن بالياء قبل الفاء، وفي «جماعة التبليغ» في المواطن كلها: «رائفوري» بالهمزة.

(٣) «أرواح ثلاثة» (ص ٤٥١). (منه)
قال أبو عبيدة: عند محمد أسلم: «أرواح ثلاثة» (ص ٤٠١) وليس (٤٥١)، وهي على الخطأ في جميع طبعات «السراج المنير».

معنا من أصحابك عددًا كثيرًا يعلموننا الإسلام. فبعث معهم سبعين رجلًا كلهم يحفظون القرآن، ويعرفون السنة، فأخذوهم إلى أرضهم فقتلوهم كلهم إلا واحدًا[١]، ولم يعرف ذلك رسول الله ﷺ حين جلسوا عنده؟ فهل يمكن أن يكون قلب الرايفوري أعظم نورًا من قلب النبي ﷺ؟ كلا! وإنما ذلك هَوَس كان يجده التهانوي في نفسه، ثم يقال له -أيضًا-: إذا كان شيخك يعلم الغيب، فلا تخفى عليه أحوالك، سواء كنت في مجلسه أو بعيدًا عنه.

ثم قال محمد أسلم[٢]: جاء في كتاب «مكالمة الصدرين» قول شبيِّر أحمد العثماني[٣] أنه قال للشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي[٤]: «تنبه أن الشيخ

---

(١) سبق تخريجه. (٢) في «جماعة التبليغ» (ص٢٢).

(٣) هو العالم الشيخ فضل الله شبير أحمد بن الشيخ فضل الرحمن العثماني، ولد في محرَّم سنة ١٣٠٤هـ - ١٨٨٥م بمدينة بريلي بالهند، ثم التحق بجامعة ديوبند الإسلامية وحصل على شهادتها، ثم قرأ العلوم العربية سنة ١٣١٩هـ على أساتذته: الحافظ محمد عظيم والشيخ محمد ياسين الديوبندي والشيخ محمود حسن المحدِّث والشيخ غلام رسول.

ولفضله وعلمه؛ عيِّن مدرِّسًا في جامعة ديوبند الإسلامية، ثم مدرِّسًا بالمدرسة العالية فتح پور بدهلي، وشيخًا للحديث في الجامعة الإسلامية بدابهيل، ومديرًا لجامعة ديوبند الإسلامية.

وهاجر إلى باكستان في ٦ أغسطس عام ١٩٤٧م، واستمر بالتدريس بمدينة كراتشي إلى أن انتقل إلى رحمة الله في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٩م.

ومن مؤلفاته بالعربية: «فتح الملهم شرح صحيح مسلم» ومجموعة محاضرات وغيرها.

أفرده بترجمة أنوار الحسن الشيركوتي، فله: «ترجمة شبير أحمد العثماني» في (١١٢) صفحة، وترجمته في: «الثقافة العربية في باكستان» (ص٢٣٢) للدكتور محمود محمد عبدالله، «علماء العرب في شبه القارة الهندية» (٧٦٢).

(٤) هو معز الدين بن شمس الدين السيوهاروي المعروف بـ«حفظ الرحمن السيوهاروي» (١٣١٨هـ يوافق ١٩٠١م)، من مواليد «سيوهاره» من أعمال بجنور، من بيت علم وصلاح وفضل، التحق بدار العلوم في ديوبند وتخرَّج في الحديث على العلَّامة أنور شاه الكشميري، وولي مساعدةَ التدريس فيها عام ١٣٤٤هـ. =

أشرف علي التهانوي إمامنا، وشيخنا جميعًا، وقد سمع من بعض الناس أن الحكومة البريطانية كانت تعطيه ست مئة روبية شهريًّا»[١].

وأخو التهانوي مظهر علي وظيفته عظيمة في محكمة الجواسيس إلى آخر العهد، وليس ببعيد منه ما فعل[٢].

قال محمد تقي الدين: هذا الأمر ليس بغريب، فإن أصحاب الطَّرائق المتصوِّفة في كلِّ مكانٍ كانوا عونًا لأعداء البلاد المستعبِدين لقومهم[٣]، إلا

= **من آثاره:** «قصص القرآن» ط -٤ مجلدات، و«أخلاق وفلسفة أخلاق»، و«إسلام كا اقتصادي نظام»، و«البلاغ المبين»، و«رسول كريم»، توفي في الساعة الثالثة والنصف صباحًا من غرَّة ربيع الأول سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

ترجمته في: «مشاهير علماء ديوبند» (١/ ٥٩٧)، «حركة شيخ الهند» (ص٣٤٤)، «أكابر علماء ديوبند» (ص٣١٧)، «تاريخ دار العلوم/ ديوبند» (٢/ ١٤).

(١) «مكالمة الصدرين» (ص ١١) ط. ديوبند. (منه)

قال أبو عبيدة: تحرَّف «الصدرين» -في الحاشية دون المتن- في جميع طبعات «السراج المنير» إلى «الصوفيين»!

(٢) «مكتوبات حسني الإسلام حسن أحمد الديوبندي» (ج٢ ص ٢٩٩). (منه)

(٣) المراقب لما يجري اليوم في مسار الحركات الإسلامية؛ **يجد بوضوح دعم الغرب للحركات الصوفية، والتوصية بشأنهم، والسماح لهم بنشاطاتهم! وهكذا كانوا إبَّان استعمارهم لبلاد المسلمين، وأصبحت هذه ظاهرة بارزة للعيان، وهي منتشرة في وسائل الإعلام، وآثارها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار في كثير من الميادين!**

وهذا من أهم أسباب انتشار الصوفية في البلاد التي احتلوها واستولوا عليها، ولا أقول: استعمروها؛ فإن الاستعمار من العمار! وللمصلح العلَّامة محمد البشير الإبراهيمي مقالة مهمة بعنوان: (كلمات مظلومة)، نشرها في «البصائر» في افتتاحية (العدد الأول).

وينظر حول هذه الظاهرة: «السيد البدوي» (١٦١، ١٩٤ - ١٩٧) لأبي رية، «الاستعمار الفرنسي في إفريقيا السوداء» (ص٥٣)، «التصوف بين الحق والخلق» (٢١٥ - ٢١٩) لمحمد شقفة، «المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم في ثبات الشريعة وشمولها» (٨١ - ٨٤) لعابد السفياني، «مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني الجاني» (٦١٦ - ٦٢١)، «الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر» =

طريقتين اثنتين لا نعرف لهما ثالثة في المغرب الأكبر: **الطريقة السَّنُوسيَّة** في طرابلس، وقد لقيتُ شيخَها مرارًا لمَّا كان منفيًّا في مدينة الرسول ﷺ، وهو الشيخ أحمد السَّنُوسيّ[1] كنت في ذات يوم جالسًا في الروضة النبوية بين

= (١٣٧ - ١٥٠)، «تاريخ الطرق الصوفية» (ص٩ - ١٢) لفريد دي يونج، «سيف السياسة بين نصرة الحق ومظاهرة الباطل» (٢٠٧ - ٢١٠) لعبدالعزيز مصطفى، و(الملحق الرابع: صلة الاستعمار الفرنسي بالطريقة التجانية) الموجود آخر «الهدية الهادية» بقلمي، ومجلة «الفتح» المصرية، السنة الثانية- العدد (٨١) ٣ شعبان سنة ١٣٤٦هـ - ٢٦ يناير ١٩٢٨م، (ص٤)، **وفيها جميعًا نقولات خطيرة**، ومحاولة الغرب للهيمنة على الصوفية، والحث على حمايتهم؛ بل دعمهم، والعمل الحثيث على الترويج لهم ولبواطيلهم، وقد اعتنى المستشرقون عناية كبيرة برموزهم وكبار أعلامهم، وعملوا على إحياء مصنفاتهم! وما زالت لهم صلة برموزهم! ولا سيما للغلاة منهم، وطرق للهيمنة عليهم وتوجيههم!

(١) هو أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السَّنُوسيُّ الخطابيُّ، ولد سنة ١٢٨٤هـ - ١٨٦٧م، مجاهد، من كبار السنوسيين أصحاب الطريقة المعروفة بهم في المغرب، نسبته إلى آل «الخطاب» من قبيلة «مجاهر» القاطنة بقرب مستغانم بالجزائر، ولد وتفقه في «الجغبوب»، وأقام في «التاج» بواحة الكفرة-ببرقة، واعتدى الإيطاليون على طرابلس الغرب وبرقة في حربهم مع الدولة العثمانية (سنة١٣٣٩هـ) فقاتلهم، وسارت برقة وطرابلس تحت لوائه، وعقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيين، فحمل عبء الجهاد وحده إلى أن دبَّ خلاف بينه وبين ابن عمِّه السيد إدريس، وقلَّ أنصاره، فدعي إلى الآستانة، فقصدها على غواصة عن طريق «ڤينة» وتولّى في العاصمة العثمانية تقليد السلطان محمد السادس السيف يوم ارتقائه العرش، وأنعم عليه برتبة الوزارة، وقامت حركة مصطفى كمال الاستقلالية، فوالاها، وأقام بمرسين، فاتُّهم بالاتصال ببعض «آل عثمان» بعد زوال دولتهم، وأوعز إليه بالخروج من «تركيا» فقصد دمشق، وكان الفرنسيون فيها، فلم يأذنوا له بالإقامة، فرحل إلى الحجاز، فأكرمه الملك عبدالعزيز آل سعود، فأقام في ضيافته بالمدينة صيفًا، وبمكة شتاءً، إلى أن توفي بالمدينة سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م.

قال الأمير شكيب أرسلان في وصفه: «حبر جليل، وسيد غطريف، وأستاذ كبير، من أنبل الناس جلالة قدر، وسراوة حال، ورجاحة عقل»، وكان على علم غزير، صنف في أوقات فراغه عدَّة كتب، منها: «الأنوار القدسية» ترجم فيه بعض السنوسيين، =

المنبر وبيت عائشة إلى جانب رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ(١) -رحم الله أمواتهم وبارك في أحيائهم-، وكان الشيخ أحمد السَّنُوسيّ قريبًا مني، فقام وتوجَّه إلى حُجرة عائشة، ورفع يديه كأنه يسأل شيئًا من الحجرة أو من الله بواسطة الحجرة تاركًا القبلة عن يمينه، وقام إليه الشيخ عبد الله بن حسن وضرب يديه بالعصا قائلًا: يا هذا الطاغوت! أما تستحي من الله في هذا المكان المقدس تشرك بالله؟ فسكت الشيخ أحمد السنوسي، ولم ينبس ببنت شفة.

والطريقة الأخرى التي لم ينصر أصحابها الاستعباد الأجنبي والعدوان: هي طريقة الشيخ ماء العينين(٢) في جنوب المغرب.

= و«الفيوضات الربانية» في الطريقة السنوسية، وكتاب في «تراجم مشايخه ومشاهير من اجتمع بهم من أهل المغرب»، و«الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من جغبوب إلى التاج».

ترجمته في: «فهرس الفهارس» (١/ ١٤٦)، ومجلة «المنار» (٣٣/ ١٣٤)، وجريدة «أم القرى» (٢٠/ ١١/ ١٣٥١هـ)، و«معجم الشيوخ» (١/ ١٣٦-١٤٥)، و«الأعلام» (١/ ١٣٥)، وكتبت عن حركته مؤلفات كثيرة.

(١) هو عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ، توفي سنة ١٣٧٨هـ، ترجمته في: «مشاهير علماء نجد» (١٢١)، وكان -آنذاك- رئيس القضاة والمدرسين في المملكة العربية السعودية، وللهلالي معه ذكريات حسنة، وبينهما مودة، انظر: «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٧٤٦، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٨- ط الأولى) و«الديوان» (٢١٣، ٢١٦، ٦٤٥، ٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٤، ٧٥٢- بتحقيقي)، «الدعوة إلى الله» (٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٢، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٨٢، ٤٨٣ - بتحقيقي).

(٢) هو أبو محمد مصطفى بن محمد فاضل بن محمد مامَيْن الشنقيطي القلقمي، أبو الأنوار، الملقب بـ«ماء العينين»، من قبيلة القلاقمة، من عرب شنقيط.

مولده ببلدة الحوض سنة ١٢٤٦هـ الموافق ١٨٣٠م، ووفاته في تزنيت من مدن السوس الأقصى، وفد على ملوك المغرب في رحلته إلى الحج وحظي عندهم.

قال صاحب «معجم الشيوخ»: «وأخباره في العلم والطريق والسياسة واسعة تحتاج إلى مؤلف خاص». =

فهاتان الطريقتان حارب أصحابُهما المُعتدين، فالسانوسيون حاربوا الإيطاليين، وأصحاب ماء العينين حاربوا الفرنسيين.

= **يستفاد مما كتب عنه:** أنه كانت له مواقف ووقائع في مقاومة الاستعمارَين الفرنسي والإسباني في المغرب، وأن الشعب المغربي أسند إليه في العام الأخير من حياته قيادة الجهاد، واجتمع لديه جيش من تلاميذه ومن رجاله ومن قبائل الرقيبات وأولاد دليم وأولاد أبي السباع والنكنة والشلوح وسائر قبائل السوس، وزحف نحو فاس (العاصمة يومئذ) لإنقاذها، وكادت ثورته تعمُّ المغرب كله لولا أن حشد له الفرنسيون قواهم، وتغلبوا عليه، ومرض فعاد إلى مدينة تزنيت الواقعة على ٩٥ كيلو مترًا من جنوب أغادير، و٦٠ من إفنى، فتوفي ودفن بها، وذلك في سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٩١٠م.

قال في «المعسول»: «لما تمكن المولى عبدالحفيظ، ودخل فاسًا، سافر الشيخ ماء العينين، من تزنيت إلى فاس، محاذيًا سفح الأطلس، لأنه لا يأمن في السهول، فأرسل الفرنسيون المحتلون للدار البيضاء وما يليها إلى الملك بفاس، ينذرونه بأنهم يعدُّون كل من مد يده (بالمعونة) إلى ماء العينين -عدوًّا لهم، فأوعز الملك إلى عبدالله بن يعيش بأن يتلقى الشيخ في الطريق برسالة من الملك؛ ليرجع عن فاس، ثم لما وصل الشيخ إلى تادلة، أراد الفرنسيون أن يتسربوا إليه ليلًا، ليستحوذوا عليه، وحفظه الله منهم، فنشأت عن ذلك حرب بين أهل تادلة والفرنسيين، اصطلى فيها هؤلاء بنار مستعرة في يوم مذكور ورجع الشيخ متوغلًا الأطلس، فطلع من آيت عتاب إلى أن نزل على رأس الوادي في سوس، فحط رحله في تزنيت، حيث لفظ نفسه الأخير وشيكًا».

له كتب كثيرة منها: «المرافق على الموافق» نظم فيه «الموافقات» للشاطبي، وطبع قبله، ثم يسَّر الله لي نشره في مجلدين، وفيه شرح يسير له.

وطبع له: «شرح راموز الحديث»، «نعت البدايات وتوصيف النهايات»، «تبيين الغموض على النظم المسمى بنعت العروض»، «مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع»، «مبصر المتشوف»، في التصوف، «دليل الرفاق على شمس الاتفاق»، ثلاثة أجزاء قديمًا، وفي جزأين حديثًا، في الفقه المالكي، «مذهب المخوف على دعوات الحروف»، «مفيد الحاضرة والبادية»، وله كتب أخرى، جلُّها مخطوط.

ترجمته في: «الوسيط في أخبار شنقيط» (٣٦٠)، و«معجم الشيوخ» (٢/ ٣٧)، و«المعسول» (٤/ ٨٣ - ١٠١)، و«معجم المطبوعات العربية» (١٦٠١)، و«الأعلام» (٧/ ٢٤٣ - ٢٤٤)، ومجلة «صحراء المغرب» (عدد ٢٤ محرم / سنة ١٣٧٨هـ)، وفيها بحث مستفيض في نسبة وطريقته وأبنائه وسيرته.

○ مرض الشيخ علي ووفاته[١]:

وبعد ذلك غشي عليه ولم يفق ساعة وربعها، وزاد التنفس مع الصوت، وإذا[٢] تنفس إلى الجهة العليا، فكم رأى مَن رأى أنه يخرج مِن بين أُصبَعَيْه الوسطى والسبابة، ومِنْ ظَهر كفِّهِ نورٌ بقوة تتضاءل بها أمامه لمعات الكهرباء، وكان هذا النور يظهر ويخفى مع صعود النَّفَسِ ونزوله[٣]، وبانتهاء التنفس غاب[٤] هذا النور، وليس بعجيب أن يكون هذا النور منبثقًا من أنامله، كانت تظهر منها المعارف والحقائق إلى زمن طويل[٥].

قال محمد تقي الدين: إن المريدين يبالغون في تعظيم شيوخهم، حتى يتَّخذوهم أربابًا من دون الله!! فيتخيَّلون فيهم أشياءَ لا حقيقَة لها.

○ خلفاؤه ورفقاؤه وتلامذته[٦] (الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ):

الأستاذ أبو الحسن علي النَّدْوي الچشتي الصوفي[٧] هو من كبار علماء[٨] التبليغ، ومدير دار العلوم لندوة العلماء (لكهنو - الهند)، وعضو لرابطة العالم الإسلامي، وعضو لمجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة، كاتب إسلامي كبير، ومؤلِّف شهير، ومشهور أديب[٩]، معروف باللغة الأردية واللغة العربية، يسحر

---

(١) «جماعة التبليغ» (ص٢٢) لمحمد أسلم.

(٢) بدلها في «جماعة التبليغ»: «ولما»! فصوبها الهلالي إلى «وإذا».

(٣) بدلها في «جماعة التبليغ»: «ونزولها»!

(٤) كذا في «جماعة التبليغ» لمحمد أسلم، وفي جميع طبعات «السراج المنير»: «عاد»!

(٥) «بيس برى مسلمان». (منه)

(٦) العنوان وما تحته من كتاب «جماعة التبليغ» (٢٢ - ٢٣) لمحمد أسلم.

(٧) بعدها عند محمد أسلم: «علي ميات عندهم».

(٨) بعدها عند محمد أسلم: «جماعة».

(٩) عند محمد بن أسلم: «ومشهور ومعروف كأديب...»، وحذفها الهلالي عمدًا، وكان يسمِّيها بـ(الكاف الدخيلة الاستعمارية)، لأنها دخلت في الإنشاء العربي مع دخول الاستعمار البلدان العربية، انظر: «تقويم اللسانين» (٢٣ - ٢٧، بتحقيقي)، الطبعة الثانية.

العرب والعجم بقوة كلامه باللغة العربية[١].

(١) أفرده بالترجمة جمع، فكتب عنه: «جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي»، «أبو الحسن علي الحسيني الندوي، الداعية الحكيم، والمربي الجليل» لمحمد اجتباء الندوي، «ترجمة أبي الحسن الندوي» لمحمد أكرم الندوي، «أبو الحسن علي الحسيني الندوي، الإمام المفكر، الداعية الأديب» لعبد الماجد الغوري، «علي الحسيني حياته وشِعره» لصفا عبيد حسين الحفيظ، رسالة ماجستير سنة ١٤١٩هـ من جامعة بابل في بغداد، «فقه الدعوة عند العلَّامة أبي الحسن الندوي»، «الركائز العشرون لفقه الدعوة عند العلَّامة أبي الحسن الندوي»، «الشَّيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته» ثلاثتها للقرضاوي، «أبو الحسن الندوي» لمحمد علي شاهين «هذا أبو الحسن الندوي، ناهيك من محب» لحسن الوراكلي، «مجموعة بحوث ودراسات مقدمة إلى ندوة تكريم للشيخ الندوي» عقدت في إستانبول في شهر ربيع الآخر ١٤١٧هـ، لرابطة الأدب الإسلامي، «الأستاذ أبو الحسن الندوي كاتبًا ومفكرًا في ضوء كتاباته ومؤلفاته، وكما يراه علماء العرب والمسلمين وأدباؤهم» لنذير الحفيظ الندوي، «نفحات الهند واليمن بأسانيد الشَّيخ أبي الحسن» لمحمد أكرم الندوي، «أرمغان فرنك» تفاصيل رحلات الندوي إلى إنكلترا (باللغة الأرديَّة)، «سوانح مفكر إسلامي» (باللغة الأرديَّة) لبلال عبد الحي الحسني، «جائزة الملك فيصل العالمية» (٧٠، ١٦٧ - ١٧٠)، «الموسوعة العربية العالمية» (٢٥/ ٢٨٧)، «موسوعة أعلام المجددين في الإسلام» (٣/ ٣٦٤)، «من أعلام الحركة الإسلامية» (١/ ٥٨ - ٦٩)، «حصول التهاني» (١/ ١٨٩)، «وجوه عربية وإسلامية» (١٧)، «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ١٣٥)، «إتمام الأعلام» (٢٨٦ - ٢٨٨)، «تتمة الأعلام» (٣/ ٥ - ٧)، «علماء في الذاكرة» (١١)، «علماء العرب في شبه القارة الهندية» (٧٠٩ - ٧١١)، «رجال وراء جهاد الرابطة خلال ربع قرن» (٢٦)، «معجم الأدباء الإسلاميين» (١/ ٥١)، «موسوعة الحركات الإسلامية» (٢٩٩)، «آخر لقاء مع (٢٠) عالمًا ومفكرًا إسلاميًا» (١٤٠)، «أعلام القرن الرابع عشر الهجري» (٤١٣)، «موسوعة أعلام الفكر الإسلامي» (٢٦٤)، «أيتام غيَّروا مجرى التاريخ» (١٥٩)، مجلة «الصحوة الإسلامية» المحرم (١٤٢١هـ)، مجلة «الأدب الإسلامي» عددان (٢٦، ٢٧) سنة ١٤٢١هـ، مجلة «البعث الإسلامي» (ذو الحجة ١٤٢٠هـ - صفر ١٤٢١هـ)، وهي خاصة في حياته، مجلة «الفيصل» عدد (٢٨١)، (ص٢٣٠)، مجلة «ثقافة الهند» (مجلد ٥٢)، عدد (٤)، عدد خاص عنه، مجلة «المجمع الفقهي» السنة (١٢)، عدد (١٤)، (ص٤٠٧)، مجلة «المجتمع» الأعداد (١٢٢٧، ١٢٢٨، =

مبايعته: بايع الشيخَ عبدالقادر راي فوري[(١)] الذي هو مِن مشايخ السلسلة الجِشتية.

قال محمد تقي الدين: لم أكن أعلم أن الأستاذ عليًّا أبا الحسن النَّدْوي هو أخ للشيخ محمد إلياس في الطريقة الصوفية، مع أنه أفضل تلامذتي في الأدب العربي بعد مسعود عالم الندوي، فإنِّي كُنت أظنه من أتباع الشيخ محمد إلياس في التَّصوُّف، وهو كما قال محمد أسلم.

والذي يحول بينه وبين الكمال والاستقامة: هو[(٢)] تصوفه وتقليده للمذهب الحنفي، فعسى الله أن يتوب عليه من التقليد، ويهبه الاتباع[(٣)]، كما تاب على مسعود عالم النَّدْوي[(٤)]؛ فإن التقليد يحول بين صاحبه وبين اتباع

= ١٣٨٤، ١٢٢٩، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٩٠، ١٣٩٧، ١٤١٤)، «الاثنينية» (٣/ ٩)، مجلة «التوحيد» عدد (١١)، (ص٦٣)، «الدعوة» (السعودية) الأعداد (١٧٢٧)، (ص٥٣)، «صوت الأمة» العدد (٣)، (ص٤٨)، «عالم الكتب» العدد (١، ٢)، (ص٦٨ - ٦٩).

(١) لأبي الحسن الندوي «سيرة الشيخ عبدالقادر الراي فوري» بالأردية، طبع في لكهنو سنة ١٤٠٠هـ بالهند، وفي جميع الطبعات: «يوري» بدل «فوري».

(٢) في جميع الطبعات: «وهو».

(٣) انظر في تصوف أبي الحسن الندوي وتعصُّبه المذهبي: «القول البليغ» (١٣٧ - ١٤٠)، «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» (١/ ٧٢ - ٧٤)، وتقديم الشيخ عبدالرحيم الرحماني لكتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثره في الحركات الإسلامية المعاصرة» (١/ ٢٤ - ٢٧)، «الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ» (٧٨٠ - ٧٨١)، وغيرها كثير.

وانظر: «الأستاذ أبو الحسن الندوي الوجه الآخر من كتاباته» (٦٧٣ - ٧٠٧) للأخ البحاثة صلاح الدين مقبول.

(٤) كتب الهلالي مقالة بعنوان (مسعود الندوي أفضل تلامذتي الهنديين)، ونشرها في مجلته «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء السابع، صفر ١٣٦٦هـ - يناير ١٩٤٧م، (ص٣٣ - ٣٨)، ووضعتها في كتابي «مقالات السير والتراجم والمناقب» (ص٢٤٥ - ٢٤٨)، ثم وجدتُ الهلالي يقول في تقديمه لكتاب تلميذه مسعود «محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» (ص٥ - ٨) بعد كلام: «وما=

النبي ﷺ في العقائد والعبادة والسلوك، إن الله تواب رحيم.

○ نبذة من أفكاره:

الدنيا رآها المتنوِّرون، لكني رأيتُها أكثر منهم، ومع هذا أقول بطريقة المبايعة الچشتية النقشبندية القادرية السهروردية، وأعمل عليها[(١)].

قال محمد تقي الدين -عفا الله عنه-: «كل من عرف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حقَّ المعرفة، يستحيل أن يتمسك بطريقة من طرائق الصوفية،

= رأيت في الاجتهاد والتحصيل مثل مسعود عالم، وكان كذلك مخلصًا -أيضًا- في دينه، وذا أخلاق كريمة وشجاعة، لا يخاف في الحق لومة لائم، ولم يقتصر على ما حصَّله على يدي في تلك المدة؛ بل سافر من الهند إلى بغداد، وأقام عندي سنة وبصحبة الأستاذ عاصم الحداد، فلازم دروسي في المسجد والبيت، **ولم أر فيه نقصًا إلا التعصب للمذهب الحنفي؛ فقد كان يخالفني في هذا الباب مع شدة احترامه لي.**

ولما ورد بغداد؛ قال له أحد كبار علماء الحنفية: «كيف تصاحب هذا الرجل وهو يطعن في مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد انتقده أستاذنا الكوثري[(أ)]؟»، فقال له مسعود عالم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إليك عنِّي! أنا أعلم به منك ومن الكوثري».

ولكن هذا النقص أبى الله إلا أن يرفعه عنه قبل وفاته؛ فإنه كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد رؤساء الجماعة الإسلامية التي يرأسها الأستاذ الزعيم المودودي، فلما قبضت الحكومة الباكستانية على المودودي؛ قبضت عليه وبقي سنين في السجن، فلم يجد سبيلًا إلى التأليف، **فعكف على «نيل الأوطار» للشوكاني، فتبين له أن التعصُّب للمذهب لا يرضاه الله -تعالى- ولا يرضاه السلف الصالح، ومنهم الإمام أبو حنيفة نفسه،** فرجع عن التعصب واتبع الكتاب والسنة، ومات على ذلك -رحمة الله عليه-».

(١) من محاضرة (دروس من حياة الأستاذ عبدالباري الندوي) بـ«مجلة الحق» الشهرية أكورة ختك، بشاور - باكستان (ص٣٤) ج (١١)، عدد (٦ - ٧)، ربيع الثاني - جمادي الأولى سنة ١٣٩٦هـ/ إبريل - مايو ١٩٧٦م. **(منه)**

قال أبو عبيدة: تحرَّف في جميع طبعات «السراج المنير» (٦ - ٧) إلى (١ - ٧)!

(أ) له كلام في الرد على الهلالي، ذكره في «النكت الطريفة» (ص٧ - ٩)، وسقناه مع الرد عليه في كتابنا «رحلات محمد تقي الدين الهلالي إلى الهند وأفغانستان» (٢/ ٧١٥ - ٧١٧)، وهو قيد النشر الآن.

بل يتبع كتاب الله وسنة رسوله، والصحابة الكرام، وقد نزَّههم الله عن الطَّرائق القِدَد، وأمرنا باتباعهم بإحسان، بلا زيادة ولا نقصان.

قال -تعالى- في (سُورة التوبة) [١٠٠]: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾».

وقد بايع على يديه في المسجد النبوي بعض طلبة الجامعة وغيرهم في السنة الراهنة[١] حينما حضر المدينة في مؤتمر الدعوة، والشاهد بهذه البيعة: الطالب بالجامعة حفيظ الرحمن الباكستاني في السنة الثالثة في كلية الشريعة.

ولما حضر المدينة في السنة الماضية للحضور في مجلس التأسيس للجامعة الإسلامية، لقيه الطالب شريف طاهر الكردي العراقي (السنة الرابعة بكلية الشريعة).

فقال الطالب للشيخ النَّدْوي: أنا أتعلق بأسرة ابن تيمية.

فقال الشيخ النَّدْوي: وقد وُجد في أسرتك علماء مشاهير أكبر من ابن تيمية، أمثال: خالد النقشبندي[٢]، (ويلاحظ أنه هو الذي جاء بالطريقة

---

(١) يعني سنة ١٣٩٦-١٣٩٧هـ، وهي السنة التي كتب فيها محمد أسلم كتابه «جماعة التبليغ» والكلام فيه (ص٢٣).

(٢) هو خالد بن أحمد بن حسين، أبو البهاء، ضياء الدين النقشبندي المجددي، ولد في قصبة قره طاغ (من بلاد شهرزور) سنة ١١٩٠هـ - ١٧٧٦م والمشهور أنه من ذرية عثمان بن عفان. وهاجر إلى بغداد في صباه، ورحل إلى الشام في أيام داود باشا (والي العراق) وتوفي في دمشق بالطاعون سنة ١٢٤٢هـ - ١٨٢٧م. من كتبه «شرح مقامات الحريري»، لم يتمه، و«شرح العقائد العضدية» ورسالة في «إثبات مسألة الإرادة الجزئية» واسمها «العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري» و«جلاء الأكدار» ذكر فيه أسماء أهل بدر على حروف المعجم، و«ديوان فارسي» وجمع أسعد الصاحب رسائله في كتاب مطبوع سمِّي «بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد» ولعثمان بن سند كتاب فيه، سمَّاه «أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد»، كما أن للشيخ محمود الآلوسي كتابًا فيه سمَّاه «الفيض الوارد على=

النقشبنديَّة من بلاد الهند وروَّجها في البلاد العربية).

يقول الشيخ أبو الحسن النَّدْوي في مقدمة كتاب «سيرة محمد يوسف الدهلوي»[١]: «أنا قبلت المسئولية، أنا أساعد السيد محمد الثاني الحسني، وأوجِّه إليه التوجيهات الكاملة الحاصلة من تجربتي، وأقرأ ما يكتبه لفظًا لفظًا، وكلمة كلمة، وبهذه الطريقة أساهم في تأليف هذا الكتاب»[٢].

وقد سمع الشيخ زكرياء (شيخ الحديث والمشرف الأعلى على جماعة التبليغ) أكثر الأجزاء من مسودة الكتاب كلمة كلمة، وسعى في ملء الفراغ الحائل فيه من ناحية التاريخ والوقائع[٣].

○ شيء من الكتاب المذكور:

الميت يتكلَّم:

وقد صلَّى الناسُ صلاةَ الجنازة مراتٍ لكثرة الناس، وحصل التأخير في الدفن، وأثناء ذلك رأى الشيخُ (صاحب إدراك) أن الشيخَ محمد إسماعيل الكاندهلوي (والد الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ) الميتَ يقول: ودِّعوني بسرعة فأنا خَجِلٌ جدًّا؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ يَنتظرني مَع أصحابِهِ[٤].

= روض مرثية مولانا خالد»، ولابن عابدين كتابًا فيه اسمه «سلُّ الحسام الهندي في نصرة مولانا خالد النقشبندي»، وهي مطبوعة.

وله ترجمة في: «الروض الأزهر» (٣٥)، «فهرس الفهارس» (١/ ٢٧٧)، «الأعلام» (٢/ ٢٩٤).

(١) بعدها عند محمد أسلم: «لمحمد الثاني الحسني، رئيس تحرير مجلة «رضوان» الشهرية، لكناو - الهند».

(٢) من محاضرة (دروس من حياة الأستاذ عبد الباري الندوي) بـ«مجلة الحق» الشهرية إكورة ختك بشاور - باكستان (ص ٢٦).(منه)

وتحرَّف (إكورة) في هذا الموطن في جميع طبعات الكتاب إلى (أكورخ)!

(٣) صفحة ٢٧.(منه)

وتحرَّف (٢٧) في جميع طبعات الكتاب إلى (٦٧)!

(٤) «سيرة محمد يوسف» (ص٦٣)، «مولانا محمد إلياس ودعوته الدينية» لأبي الحسن =

قال محمد تقي الدين: في هذا الكلام مسائل:

الأولى: البيعة المبتدعة؛ التي يسميها المغاربة (الورد) و(الطريقة)، ولا تشرع البيعة في الإسلام إلا للنبي ﷺ، ولخليفة المُسلمين[1].

= الندوي (ص٣٩). (منه)

قال أبو عبيدة: تحرَّف في جميع طبعات «السراج المنير»: «مولانا محمد» إلى «موطن»! ولا معنى لها.

ومثلها في «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٤٧ - ٤٨)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (٦٣).

ويعجبني تعليق الباحث محمد جنيد في رسالته «جماعة التبليغ في الهند» (٣٦٣) لما قال على إثر مجموعة من القصص عن مشايخ التبليغ، منها هذه القصة، قال: «**والقوم في هذه الدعاوى يريدون أن ينسجوا حول أنفسهم هالة من التعظيم، مرة برغبة النبي ﷺ، ومرة بشوقه لرؤيتهم؛ حتى يخجل محمد إسماعيل من التأخر على النبي ﷺ**».

(١) الذي يظهر لنا من مجموع نصوص «البيعة» الواردة في الأحاديث النبوية: أن البيعة الواجبة إنما هي «بيعة السلطان المسلم»، وهذا الواجب يأثم المسلم بتركه مع القدرة عليه، فإن عجز أو لم تكن الشروط متوافرة؛ انتفى الإثم، والله أعلم.

والذي دعانا إلى الحديث عن «البيعة»: كثرة ذكر أحاديث البيعة في العمل التنظيمي والطرق الصوفية، وكثير من هؤلاء يوردون هذه الأحاديث للتأثير على الآخرين، وإقناعهم بضرورة الانتظام في صفوفها، فينشأ عن ذلك اقتناعٌ بأن جميع الذين ليس في عنقهم بيعة، كبيعة (التنظيم) أو (الطريقة)؛ آثمون، ويُخشى أن يموتوا موتةً جاهلية!!

وهذا خطأ في الفهم يؤدي إلى مواقف متشنِّجة، وسبق في التعليق على (ص٣٦٠) كلام بعض أهل العلم في ذلك.

ولم يقتصر الإنكار على هؤلاء العلماء المتأخرين، بل سبقهم إليه عالم مِن كبار ثقات التابعين، هو: مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير، فأخرج أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠٤) -ومن طريقه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٩٢)- **بإسنادٍ صحيح إلى مُطرِّف** قال:

«كنا نأتي زيد بن صُوحان، وكان يقول: يا عباد الله! أكرموا وأجملوا، فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين: الخوف والطمع، فأتيتُه ذات يوم وقد كتبوا كتابًا، فنسَّقوا كلامًا مِن هذا النَّحو: [إن الله ربُّنا، ومحمدًا نبيُّنا، والقرآن إمامنا، ومَن كان معنا كنا... وكنا له... ومَن خالفنا كانت يدنا عليه، وكنا وكنا]، قال: فجعل يعْرِضُ الكتاب=

والثانية: زعمُ عليٍّ -أن خالدًا النَّقْشَبندي الطُّرقيَّ المبتدِع أفضلُ مِن شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية- لا يصدقه فيه أحد من أهل العلم المتقدمين والمتأخرين، وإنما هو تعصب للطَّريقة البدعية، نعوذ بالله من الضلال!

هذا شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ملأ الدُّنيا عِلمًا وعملًا، فماذا صنع خالد النَّقشبندي؟ لم يصنع شيئًا غير نشر بدعة الطَّريقة المضِلَّة! فهو لا يساوي أقلَّ تلامذةِ شيخ الإسلام، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

المسألة الثالثة: دعوى أن محمد إسماعيل تكلَّم بعد موته، وزعم أن النبي ﷺ وخلفاءَه ينتظرونه؛ **هَوسٌ مِن أصحاب الطَّرائق.**

ومِن مزاعم التِّجانيين: أن مَن قرأ بالإذن الخاص صلاة عندهم تسمى «جوهرة الكمال» -وهي (صخرة الخَبال)؛ لأن النبي ﷺ وُصف فيها بالأَسْقَمِ وبالمُطَلْسَمِ-، مَن قرأها بزعمهم سبع مرات، **يجيء النبي ﷺ والخلفاء الأربعة، ويجلسون أمامه ما دام يقرأ تلك الصلاة**[1].

= عليهم رجلًا رجلًا، فيقولون: أقررتَ يا فلان؟ حتى انتهوا إليَّ فقالوا: أقررت يا غلام؟ قلت: لا.

قال -يعني: زيدًا-: لا تعجلوا على الغلام، ما تقول يا غلام؟

قلت: إنَّ الله قد أخذ عليَّ عهدًا في كتابه، فلن أُحدث عهدًا سوى العهد الذي أخذه علي.

فرجع القوم من عند آخرهم، ما أقرَّ منهم أحد، وكانوا زُهاء ثلاثين نفسًا» انتهى.

فما أحوج الناس اليوم إلى فهم مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير **ومنهجه، ففيه الأمن والإيمان.**

(١) قالَ صاحبُ «الرماح» (صفحة ٨٩): «وأمَّا فَضل جَوهرة الكَمال؛ فقد قالَ الشَّيخ: **إنَّ رَسول الله ﷺ ذكر لها خَواصَّ:**

منها: أنَّ المَرَّة الواحدة تَعدل تَسبيح العالم ثَلاث مرات.

ومنها: أنَّ مَن قَرأها سَبعًا فأكثر؛ يَحضرُه رَسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة ما دام يَذكرها.

ومنها: أنَّ مَن لازَمها كلَّ يَومٍ أزيد مِن سَبع مرَّات؛ يُحبّه النَّبيُّ ﷺ مَحبَّةً خاصَّةً، ولا =

....

= يَموت حتى يَكون مِن الأولياء.
وقالَ الشَّيخُ: مَن داومَ عَليها سَبعًا عند النوم على طهارةٍ كاملة، وفراشٍ طاهرٍ؛ يَرَ النَّبيَّ ﷺ.
وقالَ الشَّيخُ التِّجاني: أعطاني رَسول الله ﷺ صلاةً تُسمَّى (جَوهرة الكمال)، كلُّ مَن ذَكرها اثنتي عَشرة مرَّة وقالَ: (هذه هدية منِّي إليكَ يا رسول الله)؛ فكأنَّما زَارهُ في قبرهِ -يعني: في رَوضتهِ الشَّريفة-، وكأنَّما زارَ أولياء الله والصَّالحين، مِن أوَّل الوجود إلى وَقتهِ ذلك» اهـ.
ونصُّ (جوهرة الكمال) كما في «الرماح» (ص٢٢٤ ج١): «اللهم صَلِّ وسَلِّم على عَين الرَّحمةِ الرَّبانية، والياقُوتةِ المُتحقِّقة، الحائطَةِ بمَركز الفُهوم والمَعاني، ونُورِ الأكوان المُتكوِّنَة، الآدمِي، صاحب الحَقِّ الرَّباني، البرقِ الأسطَعِ بمُزُونِ الأرباحِ المالئة لكلِّ مُتعرِّضٍ مِن البُحورِ والأواني، ونُوركَ اللامعِ الذي مَلأتَ بهِ كَونَكَ الحائطَ بأمكنةِ المَكّاني، اللهم صَلِّ وسلِّم على عَينِ الحَقِّ التي تَتجلَّى منها عروشُ الحقائق، عَينِ المَعارفِ الأقوَم، صراطِكَ التَّامِّ الأسقَم، صلِّ وسلِّم على طَلعَةِ الحَقِّ بالحَقِّ، الكَنزِ الأعظم، إفاضَتِكَ منكَ إليكَ، إحاطةِ النُّورِ المُطلَسَم، صلَّى الله عليه وعلى آله صَلاةً تعرِّفنا بها إيَّاه»، أفاده كله الهلالي في (فَضل جوهرة الكمال) من «الهدية الهادية» (٤٥٦ - ٤٥٧، بتحقيقي).
قال أبو عبيدة: هذه الصلاة ذكرها جميع التجانيين، واعتنى بها سكيرج في «الكوكب الوهاج» في (الفذلكة الرابعة) من (الوظيفة) (ص٣٤٢ - ٣٥٧)، وأكد في هذه الفذلكة أن الحقَّ -سبحانه- اقتطع قطعةً من النور الإلهي في غاية الصفاء والتجوهر، ثم أبطن في تلك القطعة ما شاء أن يقسِمه لخلقه من العلم بصفات الله وأسمائه وكمالات ألوهيته، وجعل تلك القطعة من النور مقرًّا لانصباب كل ما قسَمه لخلقه في سابق علمه من الرحمة الإلهية، ثم صار يفيض على خلقه ما أقرَّه في الحقيقة المحمدية من العلم والرحمة، فكان بهذه المثابة هو عين الرحمة ﷺ، وكان ذلك النور هو الحقيقة المحمدية! وقال:
«فإنه لولا وجوده ﷺ ما كان وجود لموجود أصلًا، من غير الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».
وهذا كله قائم على أحاديث موضوعة!
والعجب في تقريره (ص٣٢٣ - ٣٢٤) عدد المرات التي تشملها الوظيفة: هل هي إحدى عشرة مرة أم اثنتي عشرة مرة؟
ففي «المنهاج»: «جوهرة الكمال اثنتي عشرة مرة»، قال سكيرج: «قد كان العمل على =

....

= إحدى عشرة مرة، لكن زيدت واحدة في زمن سيدنا الشيخ، فصار العمل على ما ذكر».

وجاء كذلك في كتابَي «الجواهر» و«الجامع» أن المطلوب في الوظيفة هو ١١ مرة من (جوهرة الكمال)؛ نظرًا لكون الكتابين المذكورين جُمع معظم محتوياتهما قبل استيطان الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمدينة فاس، كما أن مؤلِّفَي هذين الكتابين أدركتهما المنية قبل وفاة سيدنا الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسنوات، ولهذا اختلف عمله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض الجزئيَّات وغيرها عن عمل الكتابين المذكورين.

ومن هذه الجزئيات: عدد حبات (جوهرة الكمال) التي تذكر في الوظيفة؛ فقد زيدت في العقد الأخير من حياة الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حبة أخرى من الجوهرة، ووافق عليها، واستمرَّ العمل بها إلى حين وفاته، حسبَمَا جاء في هذا البيت هنا من «منية المريد»:

وبعــدَ ذا جوهـــرةُ الكمـــالِ تُقـرَأُ إحـدى عشـرَةٍ في الحـالِ

وفي حَيــاةِ شَيخِنــا قــد زَادُوا واحـــدةً فــزَيـدُهــا سَــدادُ

وسبب زيادة هذه الواحدة من (جوهرة الكمال) في الوظيفة: هو أن أصحاب الشيخ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذين كانوا يذكرون معه؛ دأبوا على التأدب معه وعدم التقدم عليه في البدء ولا الختم، فكانوا لا يرفعون أيديهم للدعاء إلا بعد رفعه، ولا يتجرَّأ أحد منهم أن يسرع بذكر حرف واحد من الختم قبله؛ بل هو الذي كان يفتتح فقرات الذكر ويختمه ويغيِّر جلسته ويرفع يديه، وهم تابعون له في محاكاة شتَّى حركاته.

وحصل أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استغرق مرة عند ذكر (جوهرة الكمال) في مشاهدة الحضرة النبوية الشريفة، فلم يرفع يديه كعادته عند ختم (الحادية عشر) من (جوهرة الكمال)، ولم يبالِ بالختم -أيضًا-، الشيء الذي دفع أصحابه الملتفين حوله لزيادة حبة واحدة من (جوهرة الكمال)، فوافقهم الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هذه الزيادة، وأقرَّهم عليها، وبقي العمل بها إلى حين وفاته، وهي الآن محلُّ عمل أصحابه من بعده»!

سبحان الله! هكذا تقع الزيادة والنقصان في هذه الأذكار المبتدعة، المخالفة للشريعة في مبانيها ومعانيها، نسأل الله السلامة!

قال الهلالي في «الهدية الهادية» (٤٥٨ - ٤٥٩، بتحقيقي):

«**اعلم -أيُّها القارئ الذي حَفظه الله مِن ظلمات البدع والشِّرك، وأنار بَصيرته بنور التَّوحيد والاتِّباع** -أنَّ هذهِ الصَّلاة التي زَعم التِّجانيون أنَّ شَيخهم أخذَها عَن النَّبيِّ ﷺ، وذَكروا لها ما تَقدَّم مِن الفَضل؛ يستحِيل أن تكون مِن كلام العَرب الفُصَحاء، وهي بَعيدةٌ منه بُعدَ السَّماء مِن الأرض، وكلُّ مَن يَعرف لسان العَرب -معرفة حَقيقية- =

= لا يَكاد يُصدَّق أنَّ ذلكَ الكَلام الرَّكيك يَقولهُ أحدٌ مِن العَرب، وفيها كَلمتان: إحداهما سَبٌّ، لا يَجوز أن يُطلقَ على النَّبيِّ ﷺ، ولا يَتناسب مع ما قَبله؛ وهي كلمة (الأسْقَم)، فإنَّ الصِّراط لا يُوصف بالسُّقم، إذ لا يُقال: (صراط مَريض)، و(هذا الصِّراط أمرض مِن ذلكَ)، وإنَّما يُقال: (صراط مُستقيم أو قَويم)، و(هذا الصِّراط أقومُ مِن ذلكَ)».

قال أبو عبيدة: في قوله: «صراطك التام الأسقم» من التنافر والركاكة، بالجمع بين الضدين، ما لا يخفى على ذي عقل سليم، وطبع مستقيم، وبيان ذلك: هو أن (الصراط) أصله الجسر الذي يوضع للمرور عليه، ووصفه بكونه تامًّا، ومعنى تمامه: قوته، بحيث لا يتصدَّع ولا يبلى على مرِّ الليالي والأيام، ثم بعد وصفه بالتمام والقوة، وصفه بالأسقم، والسقم في لغة العرب: المرض مطلقًا، كما في «القاموس» (ص١١٢١)، وقال في «المصباح» (١/ ٢٨٠): إنه المرض الطويل، ومعلوم أن المرض مطلقًا موجب للضعف، لازم عليه الضعف لزومًا عقليًّا وعاديًّا، فيكون الصراط تامًّا قويًّا مريضًا ضعيفًا، وهذا هو عين الرَّكاكة والتضاد، أفاده العلامة محمد الخضر الجكني في «مشتهى الخارف الجاني» (٣١٥- ٣١٦).

وقال الهلالي في «العيون الزلالية» (٢/ ٩١١- بتحقيقي):

«وكل من يعرف اللغة العربية من العرب والعجم؛ يجزم أن هذا الكلام ليس كلام النبيِّ ﷺ، ولا كلام شخص يعرف اللغة العربية؛ لما فيه من الركاكة، ووصفِ الصراط بـ(الأسقم) أي: الأشد مرضًا، وذِكر (المُطَلسم)؛ وهي كلمة يزعم المشعوذون أنها كتابة تكتب على كنز تحت الأرض، فيتولَّى الجنُّ حراسته، ولا يستطيع أحد إخراجه إلا إذا كان من السحَّارين، **والعجب كيف يخفى هذا على أهل العلم؟!**».

وقال في «الهدية الهادية» (٤٥٩ - ٤٦٠، بتحقيقي):

«وقَد ردَّ العُلماء على التِّجانيين **وعابوا** عَليهم هذهِ الكلمة القَبيحة؛ فقالَ الشَّيخ الكمليلي الشَّنقيطي في «أرجوزته» التي انتقدَ بها الطَّريقة التِّجانية:

ولَـم يُجِـزْ إطـلاقُ لَفـظٍ مُوهِـمٍ   نَقصًـا علـى النَّبـيِّ مثـلَ الأسْـقَمِ

كــذا مُطَلسَــمٌ ومــا يُدرِيـكا   لعلَّــه كُفــرٌ عَنَــى الشَّـرِيكَا

ولَم يَتفطَّن أولئكَ العلماءُ إلى سَببِ هذا الخطأ، ولو تَفطَّنوا له لانحلَّ الإشكال بلا كُلفة، فسَببهُ: أنَّ مُؤلِّفَ هذه الصَّلاة مَغربيٌّ، وأهل المَغرب في لغتهم العامية يقولون: «سِرْ مُسقم» يُريدون: (امشِ مُستقيمًا)، ويَقولون كذلك: «سر أسقم»، بَعضهم يَنطق بها قافًا، وبَعضهم يَنطق بها كافًا، ولمَّا كانَ مُنشئ هذهِ الصَّلاة غيرَ عالم بالعَربية، وقد ذكر (الأقوم) مِن قبل في قَوله: «عَين المعارف الأقوم»، وقالَ بَعدها: «صراطك =

= التَّام»؛ أرادَ أن يَصف الصِّراط بالاستقامة مع المُحافظة على السَّجع لمُقابلة (الأقوم)، واستثقلَ أن يكرِّر الأقوم؛ عبَّر بـ(الأسقم) ظنًّا منه أنَّهما في المَعنى سَواء، كما يَفهمه عامَّة المَغاربة.

وقد علمتُ مِن مُصاحبتي للشَّيخ أحمد سُكَيرج -وهُو مِن كبار المُقدَّمين في الطَّريقة التِّجانية، وكنتُ في ذلكَ الوَقت تجانيًا لا يُخفي عنِّي سرًّا- أنَّ هذهِ الصَّلاة وُجدَت في أوَّل أمرها عند شَخص يُسمَّى محمد بن العربي التَّازي، ويُسمِّيه التِّجانيون: (الواسطة المُعظَّم)؛ لأنَّه بزَعمهم كانَ واسطةً بينَ النَّبيِّ ﷺ وبين الشَّيخ أحمد التِّجاني، يَحمل الرَّسائل مِن الشَّيخ إلى النَّبيِّ، ومِن النَّبيِّ إلى الشَّيخ، وفي ذلكَ الوَقت -أي: في وَقت الوَساطة- لم يَكن النَّبيُّ ﷺ يَظهر للشَّيخ التِّجاني؛ وإنَّما كانَ يظهر لمُحمد بن العَربي، وزَعموا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال للواسطة محمد بن العربي: «لولا مَحبَّتُك لحَبيبي التِّجاني ما رَأيتني»، وكانَ الواسطة يُخبر الشَّيخ التِّجاني بأنَّه إذا جاءَ الوَقت المَوعود يظهر النَّبيُّ ﷺ لهُ بلا واسطة يُحدِّثه ويُكلِّمه، وسَنذكر شَيئًا مِن الرَّسائل التي أملاها النَّبيُّ ﷺ على محمد بن العربي، وأمره بكتابتها؛ ليَحملها إلى الشَّيخ التِّجاني ويَقرأها عَليه، وحينئذٍ لا يَبقى عندكَ شكٌّ في جَهل هذا الرَّجل بالعَربية، وأنَّه سَبب ركاكة هذهِ الصَّلاة التي هي مِن إنشائه!!

وقد تكلَّف أحمد بن أمين -مُؤلِّف كتاب «الوَسيط في تراجم أدباء شنقيط»-؛ فألَّف جُزءًا في دَعوى صِحَّة بناء أفعل التَّفضيل مِن (المُستقيم) على (أسقم) بإثبات السِّين الزَّائدة، وحَذف عَينِ الكلمة وهي الواو، **وركِب في ذلكَ الصَّعب والذَّلول**، ونَقلَ عن علماء اللغة نقولًا ظنَّ أنَّها تُؤيِّد ادِّعاءه، وأخبرني الشَّيخ محمد بن أمين الحسني الشنقيطي أنَّ صاحب «الوَسيط» في آخر عمره **تابَ إلى الله مِن الطَّريقة التِّجانية**، وصارَ يَخجل عندما يذكر لهُ أحد أنَّه كانَ تجانيًّا، وألَّف ذلكَ الجزء في الدِّفاع عن (الأسقم)، وهذا -أيضًا- يَزيدك يَقينًا بأنَّ الكلمة عامية مَغربية، وأنتَ إذا نَظرت في كلمات هذهِ الصَّلاة مِن أولها إلى آخرها؛ وَجدتها في غاية البُعد عن الكلام الفَصيح، ولم تَستبعد صدور (الأسقم) و(المُطَلْسم) مِن مُؤلِّفها، وإذا ظهر السَّبب؛ بَطل العَجب!

وكل ما ذَكروا في فَضلها؛ فهو كَذبٌ على الله ورَسوله، وحَسب ما تقدَّم؛ كَذب على الشَّيخ التِّجاني -أيضًا-».

قال أبو عبيدة: لي هنا ملاحظات مهمة، أجملها بالآتي:

أولًا: (المطَلْسم) فسَّرها التجانيون بقولهم: «يعني: إن النور المطلسم هو سرُّ الألوهية المكتتم»! وهذا -زعموا- قاله رسول الله ﷺ له، وهذا من الكذب، ومن العجيب! =

....

= قول السكيرج في «الكوكب الوهاج» (٣٥٥): «وكان ذلك النور المذكور مطلسمًا في حجاب الغيب؛ معناه: أن عليه حُجُبًا عظيمة ليس لأحد الوصول إلى الاطلاع عليه أو على شيء منه، فأشهده الله نبيَّه ﷺ دفعة واحدة، وأطلعه عليه في حقيقته المحمدية من غير شذوذ، فالإحاطة والنور هي طوالع الكمالات الإلهية، والطلاسم المضروبة عليها هي الحُجُب المانعة من الوصول إلى معرفة حقائقها».

قال أبو عبيدة: وهذا فيه معرفة النبيِّ ﷺ بالغيب؛ وهذا معتقد خاطئ، يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة، انظر: «شرح كتاب التوحيد» (١٦٦ - ١٦٧) للمصنِّف وتعليقي عليه، والله الموفق.

ثانيًا: تكلَّف التجانية في الأجوبة على هذا الاعتراض بأربعة أمور؛ **هي صرير باب، وطنين ذباب**، ذكرها وردها بإسهاب العلامة محمد الخضر الشنقيطي في «مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني» (٣١١ - ٣٢٨).

ثالثًا: من العجب أن يفسِّر أحمد سكيرج في «الكوكب الوهاج لتوضيح المنهاج» (٣٥١) (الأسقم) بقوله: «المراد بـ(الأسقم): الكامل في الاستقامة بلا اعوجاج، والمراد بـ(الصراط): النبيُّ ﷺ، وسمِّي به ﷺ لكونه طريقًا محمودًا إلى الحق»! وفسَّرها محمد بن أحمد أكَنْسوس في «الحلل الزَّنجَفُورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية» (ص٨٨) بأنه: «الشديد المحبة، البالغ منها ما لا يُدرَك»!

وهذا تفسير مبتدع لغة، ولا وجود لهذا المعنى في جميع المعالم والمعاجم.

رابعًا: قول الهلالي: «وأخبرني الشيخ محمد بن أمين الحسني الشنقيطي» هو حموه (والد زوجته)، وأخبره بتوبة صاحب «الوسيط» عن التيجانية، **فائدة عزيزة ومهمة، ولم أجدها عند غيره.**

خامسًا: من المقرَّر عند أهل النحو أن (أفعل) التفضيل لا بدَّ أن تبنى من حروفها الأصلية، وأما بناؤها من حروفها الزائدة لتكون على وزن أفعل؛ فلم يقل به أحد من أهل العلم، فلو كانت (الأسقم) مبنيَّة من (استقام) -كما قال سكيرج- لَكَانت (أقوم)، و(أسقم) هكذا خرجت عن (أفعل) التفضيل بالمرة، وهذا لا يقوله جاهل أحمق فضلًا عمن يزعم أنه في العلم أنه أنه! وذلك لأن الحروف الأصلية لم يوجد منها إلا الفاء واللام، ووزن (أسفل) هو المطابق لهذه اللفظة السابقة، فسبحان الله! كيف جاء مطابقًا لها من غير قصد؟ أفاده العلَّامة محمد الخضر الجكني في «مشتهى الخارف الجاني» (٣١٣).

سادسًا -وأخيرًا-: أفاد الشيخ محمد الخضر الجنكي في «مشتهى الخارف الجاني» (٣١١): =

وهذه أعرفها[1] (شِنْشِنَةٌ أعرفها من أَخْزَمَ)[2]، وهي من خبط المتصوفة.

وحرر الشيخ زكرياء شهادة الإجازة والخلافة التي أعطاها الشيخ إلياس لولده الشيخ محمد يوسف، فقال فيه: أنا أجيز هؤلاء للبيعة. فأضاف فيها الشيخ محمد إلياس وأملى: **(وأنا أجيزها نيابة عن الرسول ﷺ)**[3].

= أن الكمليلي كان يسمِّيها (جوهرة الخبال).

ثم قال: «وكان من حقِّه لما ظهر له أنها (خبال) أن لا يسمِّيَها (جوهرة الخبال)، بل يقول: (مسقطة الخبال) أو مذمَّته، ونحو ذلك مما هو ملائم للخبال».

قال أبو عبيدة: لذا سمَّاها الهلالي في كلامه المتقدم (صخرة الخبال)، (الصخرة) مقابل (الجوهرة)، **فهي مما لا قيمة لها!**

(١) هكذا في الأصل مكررة، والصواب حذف اللفظة الأولى: (وهذه شِنْشِنة أعرفها...).

(٢) إذا عَرَفْتَ أَصْلَ الرَّجُلِ أَوْ مَيْلَهُ أَوْ نِحْلَتَهُ أو أُلْفَتَهُ أو فِكْرَهُ مِنْ خِلالِ كَلامِهِ؛ كَانَتْ حِيْنَهَا المُنَاسَبَةُ لِقَوْلِكَ عَنْهُ: شِنْشِنةٌ أَعْرِفُها من أَخْزَم. و هِي في المَدْحِ و الذَمِّ سَوَاءٌ.

حكايته:

جاء في «لسان العرب»: أَخْزَمُ قطعة من جبل. وأبو أَخْزَمَ: جَدُّ أَبي حاتِم طَيِّءٍ أَو جَدُّ جدّه، وكان له ابنٍ يقال له أَخْزَمُ، فمات أَخْزَمُ وترك بَنين، فوثبوا يومًا في مكان واحد على جدهم أَبي أَخْزَمَ فَأَدْمَوْه؛ فقال:

إِنَّ بَنِيَّ رَمَّلُوني بالدَّم ... شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُها من أَخْزَمِ

كأنه كان عاقًا، والشِّنْشِنةُ: الطبيعة؛ أَي: إِنهم أَشبهوا أَباهم في طَبيعَتِه وخُلُقِه.

(٣) ليس هذا خاصًا بالشيخ محمد إلياس، **فهي طريقة متبعة لمؤسسي جماعة التبليغ، ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو مكابر،** وهذا الدليل:

يقول مرغوب أحمد عن الشيخ إنعام الحسن: «إن الشيخ محمد إلياس قد منحه الإجازة والخلافة في سنة ١٣٦٣هـ، **فانتشر على يده فيض الشيخ محمد إلياس في أنحاء العالم انتشارًا كبيرًا؛ لأنَّ الشيخ إنعام الحسن قد تمت على يده بيعة آلاف؛ بل مئات آلاف من الناس**»، انظر: «حضرت جى مولانا إنعام الحسن» (١١).

وقد كان يقوم منذ عهد الشيخ محمد يوسف بتعليم الأشغال والأذكار الصوفية، يقول الشيخ محمد زكريا: «إنَّ الشيخ إنعام الحسن خليفة ومجاز للشيخ محمد إلياس في السلوك والطريقة، ومنذ عهد الشيخ محمد يوسف **هو الذي يشرف على شعبة الأشغال والأذكار الصوفية وإن كان يبايع البيعة العمومية الشيخ محمد يوسف نظرًا=**

....

= إلى بعض المصالح التبليغية!!

ولكن من التزم الأذكار المعينة له، ثم أراد المزيد منها؛ يرسله الشيخ محمد يوسف إلى الشيخ إنعام الحسن، ليتعلَّم منه طريقة التسبيح الاثني عشري، والأنفاس القدسية وغيرها»، انظر: «ذكر واعتكاف كى اهميت» (٥٧).

يذكر في هذا الصدد الحافظ محمد يوسف تاندوي، فيقول: «إني عرضتُ على الشيخ محمد يوسف ذات مرة أن يعلِّمني بعض الأذكار، فقال فورًا: اذهب إلى الشيخ إنعام واسأله. فذهبت إليه وعرضت عليه غرضي، وبيَّنتُ له أن الشيخ محمد يوسف أرسلني إليك لهذا الغرض، فنظر إليَّ نظرة ثم قال: إنك مريض. فتحيَّرتُ حينما سمعت من فمه؛ لأنني في الواقع كنت مريضًا آنذاك، ولم يعرفه أحد، ولما أصررت عليه فقال: اجلس متربِّعًا. فجلست، فأمرني بإبراز عرق الركبة اليسرى قليلًا، ثم فرَّج بيديه بين إبهام رجلي اليمنى والإصبع التي تليها، وأمر بإمساك العرق في تلك الفرجة، ثم **أمرني باسم المفرد «الله الله» أربع مئة مرة بعد ما لقنني بالنفي والإثبات»** انظر: «سوانح حضرت جى ثالث» (٣/ ٣٥٥).

وبعد ما تولَّى الإمارة الشيخ إنعام الحسن؛ استمر على المبايعة حتى لا تكاد تجد اجتماعًا إلا قام الشيخ بالبيعة فيها، **وقلَّ ما قام الشيخ بالبيعة في الاجتماعات للرجال إلا قام للنساء -أيضًا-**، انظر: «سوانح حضرت جى ثالث» (٢/ ٢٣، ٢٥، ٣٩، ١١٩، ١٢٨).

وأحب أن أستشهد على ما قلت ببعض النماذج التي ذكرها السيد محمد شاهد السهارنفوري صاحب كتاب «سوانح حضرت جى ثالث» **حيث يتحدث عن اجتماع بهوپال المنعقد في ١٤٠٣هـ** فيقول:

«... فقد قام الشيخ إنعام الحسن بعد صلاة المغرب بنصائح مختصرة، ثم بايع جمًّا غفيرًا، ونصحهم بالأوراد والوظائف، كما علَّم بعضَ الأصحاب ذكرَ التسبيح الاثني عشري، وفي اليوم الثاني من الاجتماع في الساعة الحادية عشرة حضر في اجتماع النساء ببيت «أبا ميان» وبايعهن بعد البيان (الوعظ)... وبعد صلاة المغرب خاطب الذين ينخرطون في السلوك والإحسان ثم بايعهم»، انظر: «سوانح حضرت جى ثالث» (٢/ ٢٨٧).

ومعنى ما كان يفعله الشيخ محمد إلياس بالتسبيح المسمَّى بـ(التسبيح الاثني عشري): «فهو ما كان يقوم به في أحد عشر شهرًا في آخر الليل، وفي رمضان من العصر إلى المغرب لأجل ما كان له أعمال أخر في آخر الليل برمضان، فيبدأ الذكر=

قال محمد تقي الدين: إنَّ الرسولَ ﷺ بريءٌ مِن بدع المتصوفة.

وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١].

انتقال النسبة[٢]:

= في الشهر المبارك بعد العصر، ويختم قبل المغرب بدقيقتين أو ثلاث»، انظر «أكابر علماء ديوبند» (٥٣).

وداوم عليه إلى آخر حياته، بل كان يؤكد عليه لمريديه من التبليغيين، كما حثَّ عليه في إحدى رسالاته إلى كبار التبليغيين المؤاتيين، أما الذي التزم هذا الذكر؛ أمره أن يقضي أربعين يومًا في رائيفور بزاوية عبدالقادر الرائيفوري، انظر: «نسبت واجازت محمد زكريا» (ص٤)، «ذكر واعتكاف كى اهميت» (١٢/ ٥٢)، «مكاتيب حضرت مولانا محمد إلياس» (١٣٧).

ويقول السيد محمد شاهد السهارنفوري: «إن الشيخ محمد إلياس واظب على الذكر الجهري إلى آخر حياته، وكان يحثُّ ويؤكد عليه الخَدَمة والمقيمين في المركز التبليغي، وبالتالي حينما توفي؛ فكان هناك عشرون نفرًا في المركز يهتمون بهذا الذكر». انظر: «سوانح حضرت جى ثالث» (١/ ٦٥).

أمَّا طريقة هذا الذكر؛ فقد بيَّنها الشيخ محمد زكريا كما يقول: أن يجلس متورِّكًا بعد التهجد أو بعد الفجر طاهرًا متوجِّهًا إلى القبلة، ويبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ويتوب، ثم يقول: اللهم طهِّر قلبي عن غيرك، ونوِّر قلبي بنور معرفتك. ثم يصلِّي على النبي ﷺ إحدى عشرة مرة، ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ ثلاث عشرة مرة، ويهدي ثوابها إلى مشايخ سلسلته، ويتصور لمحات أن الفيضان الإلهي ينزل في قلبه من قلب الشيخ، وقلبه في مقابل الشيخ ومربوط به، وهذا من ذكر الطريقة الچشتية.

وهكذا بقيت هذه الطريقة منتشرة عند مؤسسي جماعة التبليغ، وانظر: «جماعة التبليغ في الهند» (١٤٢، ١٦٥- ١٦٦/ مرقوم).

ولما وقف الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بالأدلة القطعية على وصول هذه البيعات إلى العرب عامة، وإلى جزيرة العرب خاصة، تركهم، وأخذ يحذِّر منهم، وينفِّر من طريقتهم، وسبق كلامه مفصَّلًا في تقديمي لهذا الكتاب**، فارجع إليه (ص٧٦).

(١) ورد عن عدد كثير من الصحابة، منهم: أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحديثه أخرجه البخاري (١١٠) و (٦١٩٧)، ومسلم في «المقدمة» (٣).

(٢) **عنوان مهم**، وهو يحتاج إلى إيضاح؛ حتى تظهر الصلة بينه وبين ما أورد تقي الدين الهلالي تحته! =

....

= من المعلوم الذي لا يجادِل فيه منصِف: أن البيئة التي ولد فيها كبارُ جماعة التبليغ ومؤسسوها، كان لها رواجٌ كبير للاتصال بالشيوخ والموجِّهين، والالتماس بالارتباط الروحي، ومن ذلك (النسبة الخاصة)، وهو اصطلاح صوفي، وقد تحدَّث عنه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي شارحًا إيَّاه، بقوله: «إنَّ لدى الصوفية نسبة خاصة، تنتقل عند انتقال الشيخ إلى الشخص الذي يكون بينهما أكثر نسبة اتحادية»، انظر: «آپ بيتى» (٤/ ١٢٤)، ويتضح ذلك عند كلامه عن الشيخ محمد يوسف (الأمير الثاني لجماعة التبليغ)، وهو ابن مؤسسها، وفوَّض إليه أمانة الدعوة والتبليغ في ٢١ رجب سنة ١٣٦٣هـ، قال محمد زكريا عن محمد يوسف:

«وبعد وصال العم (الشيخ محمد إلياس) ارتقى وسار سيرًا إلى الأمام، اعتقدت أنا وحضرة الشيخ الرائيفوري (عبدالقادر) -نوَّر الله مرقده- أن النسبة الخاصة من العم -نوَّر الله مرقده- قد انتقلت إليه، وكنا نشاهدها في كل أمر، ونلاحظ ترقياته المستمرة منذ ذلك الحين حين حدثت فيه حالة من الحماسة والحدَّة، بعد وصال حضرة المدني -قدَّس سره-، واستطاع أن يعرب ما في نفسه بكل شجاعة، وبدون أدنى خوف، أمام كل واحد كائنًا من كان، وما زال يرتقي، وبعد وصال الشيخ الرائيفوري -نوَّر الله مرقده- قد ظهرت في كلامه ومحاضراته الأنوار والتجليات، ولا يبعد أن هذا نتيجة حبِّ الشيخين للمرحوم وثمرة شفقتهما وعنايتهما الخاصة له...». انظر: «حضرت جى كى يادگار تقريرين لمنشي أنيس أحمد» (٨٩ - ٩١).

ويؤكد على انتقال النسبة قائلًا: «بعد وفاة العم محمد إلياس حينما صلَّى بنا الشيخ محمد يوسف صلاة الصبح، فجذب قلبي، وعرفت في حينه أن الشيخ محمد إلياس قد وهب النسبة الخاصة ولده، حيث طلبه قبل أن يغرغر إذ كان نائمًا، فقال له: يا يوسف! تعالَ التصق بي، فإني ذاهب، فألقى نفسه على صدره، وفي تصوري أنه في ذلك الحين أُلقِيَتْ عليه النسبة»، انظر: «آپ بيتى» (٤/ ١٢٥).

وتحدَّث هو عن نفسه فقال: «إنَّ مرشدي -خليل أحمد السهارنفوري- حينما وضع العمامة على رأسي أحسست دخول شيء في نفسي، ففهمتُ من هذا لعل هذا هو انتقال النسبة»، انظر: «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٩٧).

ويقول محمد ثاني حسني مؤلف «سوانح محمد يوسف» (١٩٧): «انتقال النسبة اصطلاح عند أهل التصوف، وهذا يظهر أحيانًا بحيث يتعجب الإنسان ويتحيَّر عقلُه على هذا العطاء الربَّاني، فالذين يطالعون أحوالَ العلماء والمشايخ والصوفية؛ يعرفون جيدًا أنهم يفوزون في الغالب بهذه الدرجة بعد مجاهدات كبيرة، وإتعاب=

يزعم تلامذة الشيخ محمد إلياس -ومنهم محمد منظور النعماني[1]-،

= أنفسهم سنوات، فيكونون خلفاءَ مشايخهم الحقيقيين، لكن هذه النِّعمة العظمى قد يجدها الإنسان بطريقة وهبية، فهو يفوز بهذه الدرجة الرفيعة رغم تصورات الناس وأخيلتهم، وكان أمر الشيخ محمد يوسف من هذا النوع».

وهذا هو سر مرابطة مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس ومراقبته عند القبور، فالشيخ محمد يوسف سلك مسلك والده؛ فهو -أيضًا- كان يراقب القبور، كما ذكر القائد محمد أسلم الباكستاني عن الشيخ محمد سردار الباكستاني الساكن في باب المجيدي بالمدينة النبوية، وسيأتي نقل المصنف له في (ص٤٢٣)، وانظر: «جماعة التبليغ في الهند» (ص١٥٨ - ١٥٩/ مرقوم) للباحث محمد جنيد عبدالمجيد، «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (٢٤).

(١) داعية نشيط، محدِّث، مصنِّف، ولد في قرية سنبهل بمديرية مراد آباد التابعة لولاية يوبي بالهند سنة ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م، تخرَّج في الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند، درَّس في عدة مدارس، منها ندوة العلماء بلكهنؤ، وكانت فتنة القاديانية قائمة، فقاومها بالقلم واللسان، وأصدر لذلك مجلة «الفرقان» من مدينة بريلي مقرِّ البريلوية، ثمَّ انصرف نحو الدعوة بعد أن التقى مؤسِّس جماعة الدعوة والتبليغ، وبعد أن تتلمذ على أعلام، في طليعتهم إمام المحدِّثين أنور شاه الكشميري (ت١٣٥٢هـ)، وقد لاحق المبتدعين، وناظر الطائفة الآرية من الهندوس، وجابه عددًا من الحركات الهدَّامة، أسهم في إنشاء هيئة التعليم الديني عام ١٣٧٩هـ، وأصدر مجلة أسبوعية باسم «نداء الملة»، وتأسيس جبهة موحَّدة للأحزاب والجماعات الإسلامية بالهند باسم «مجلس التشاور الإسلامي» عام ١٣٨٤هـ، وتأسيس هيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند، وشارك في نشاطات دعوية تحت قيادة جماعة الدعوة والتبليغ، وبقيت مجلة «الفرقان» المذكورة تصدر باستمرار منذ (٦٥) عامًا، وكان قد انتقل بها إلى لكهنؤ، وكان عضوًا فاعلًا في كثير من المؤسسات والهيئات والمعاهد العلمية في الهند وخارجها، وعضوًا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

توفي ليلة الاثنين ٢٧ ذي الحجة سنة ١٤١٧هـ - ٤ مايو سنة ١٩٩٧م.

ومِن مؤلفاته التي اقتربت مِن المئة: «الطريقة القويمة لدراسة القاديانية والحكم عليها»، «بوارق الغيب لمن يدَّعي لغير الله علم الغيب»، «مناظرة حاسمة مع المبتدعين»، «السيف اليماني على فرقة رضا خاني» (في الرد على البريلوية)، «حركة خاسكار في ضوء الكتاب والسنة»، «ما هي التزكية والإحسان» (مجموع مقالات له وللشيخ أبي الحسن الندوي ومحمد أويس الندوي)، «عقيدة علم الغيب للنبي ﷺ» =

قال: وقد يوافقني على ما أقول[١] أبو الحسن علي النَّدْوي ومحمد زكرياء تحت مسئوليتهما عن هذا الكتاب المسمى «حياة محمد يوسف»[٢]، وهذا

= والردُّ عليها»، «المقارنة بين كلٍّ من جماعة التبليغ والجماعة الإسلامية والبريلوية»، «مجموع خطب مختارة للمؤلف»، «التحديث بالنعمة» (ترجمة حياته بقلمه)، وقد قام بجمعه وترتيبه نجله عتيق الرحمن السنبهلي، «معارف الحديث» (٧ج)، «ألفية الحديث»، «الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام»، «لماذا نكفِّر القاديانيين؟»، «الشيخ أحمد السرهندي: حياته ومآثره الإصلاحية»، «الثورة الإيرانية في ميزان الإسلامية».
له ترجمة في مقدمة كتابه «دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، «تتمة الأعلام» (٨/ ٣٣١)، مجلة «الداعي» ع(٢) ١٤١٨هـ (ص٤، ٣٩)، مجلة «الفيصل» ع(٢٥٠) ربيع الآخر ١٤١١هـ (ص١١٩).

(١) يريد قوله: «فقد سمعت وقرأتُ لفظ (انتقال النسبة)، لكنني (محمد منظور النعماني) شاهدت هذا اليوم أول مرة»، «سيرة محمد يوسف» (ص٢٠٢) ومجلة «الفرقان» (ص٢٥)، كذا في حاشية كتاب محمد أسلم «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص٢٤).
والتلخيص المزبور ليس بدقيق، ولعله من صنيع بعض كُتَّاب الهلالي، فالهلالي يملي فقط! وانظر الحاشية الآتية.

(٢) (ص٢٦ - ٢٧)، وعرف محمد أسلم في كتابه «جماعة التبليغ» (ص٤) (انتقال النسبة) بنحو ما تقدَّم، نقلًا عن كتاب «سيرة محمد يوسف» (ص١٩٠، ١٩١ - ١٩٧)، ثم قال تحت عنوان (كيفية انتقال النسبة):
«إن الميزات والصفات والكمالات التي اختص بها الله الشيخ محمد إلياس رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم يرَها أحد فيها مثيلًا له، انتقلت هذه الميزات والخصائص بعد وفاته إلى الشيخ محمد يوسف، وبعد أن انتقل الشيخ إلى رحمة ربه؛ رأى من رأى أن هذه الأمور الثلاثة قد انتقلت إلى الشيخ محمد يوسف».
انظر: «سيرة محمد يوسف» (١٩٩، ٢٠٠)، وقال على إثره:
«فقد ظهر هذا العطاء الرباني، وتقبل الله هذه الثروة العظيمة إلى الشيخ محمد يوسف، والله يختص برحمته من يشاء»، ثم قال: «وقد يوافقان على هذه انتقال النسبة وكيفيته الشيخ محمد زكريا والشيخ أبو الحسن الندوي تحت مسؤوليتهما عن هذا الكتاب «حياة محمد يوسف» (٢٦ - ٢٧).
كما يقول: «هذا يكون ظلمًا عليّ وعلى روح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ»... وهذا الأمر قد يرضي روح الشيخ... من عندنا...»، انظر: «سيرة محمد يوسف» (ص٢١٠ - ٢١١)، وبهذا يتضح مراد المصنف.

يرضي روح الشيخ من عندنا، ولسنا نحن البعيدين عن الشيخ محرومين من أنفاسه ونفائسه، (كلام الشيخ أبي الحسن الندوي)[١].

قال محمد تقي الدين: التعبيرُ بـ(الحياة) عن (السيرة) إنگليزي وفرنسي، ومِن ذلك كتابٌ ألّفه بعض التبليغيين[٢] وسماه «حياة الصحابة» جهلًا منه بالتعبير الصحيح وهو: (سِيَرُ الصحابة)؛ **فإن الحياة في اللغة العربية ضد الموت:** قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢][٣].

وقوله: «لسنا محرومين من أنفاسه، ونفائسه».

ماذا يريد بالأنفاس هنا؟ من المعلوم أن الأنفاس جمع نفس وهو التنفس، وهذا لا يكون إلا في حياته، ولا ينتفع به غيره.

أما النفائس فإن كانت هي السياحة وتفسيره لقوله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، **فما لكم فيها إلا الشر، فالسياحة عِنادٌ للرسول ﷺ، أو جهل بسنَّته.**

---

(١) في كتابه «مولانا محمد إلياس ودعوته الدينية» (ص٣٩).

(٢) هو محمد بن يوسف بن محمد إلياس الكاندهلوي، وكتابُه محشوٌّ بالقصص الباطلة، والرواياتِ الموضوعة والضعيفة، ويَحرمُ اعتمادُ ما فيه حتى يتأكد المسلمُ مِن صحة الخبر، وقراءةُ التبليغيين وأشباههم مِن العوام منه، **وتلقّي ما فيه على وجه القبول والتسليم؛ مِن السوالب، ولم يقل به معتبَرٌ مِن أهل الصنعة الحديثيَّة، والتحذيرُ منه شهير، والكلامُ على عدم صحة جميع أخباره كثير، وبيانُ ما فيه مِن الأباطيل أمرٌ شهير!**

ولا بد لي في هذا الصدد من التحذير من أمرين:

الأول: طبع الكتاب بتحقيق محمد إلياس الباره بنكوي عن كتب خانه فيضي، لاهور -باكستان، ولم يفد شيئًا في بيان صحة الأخبار، وإنما فيه بيان لغريب بعض الألفاظ، وهي الطبعة التي يقرأ منها الأعاجم من التبليغيين!

الآخر: درس هذا الكتاب دراسة حديثية نقدية فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عاصم القريوتي، واقتصر على ذكر صحيحه دون سواه، ولكنهم أبَوْا اعتماده، ولم يلتفتوا -للأسف- إلى جهده، وانظر ما قدمناه (ص٦٧) بهذا الصدد.

(٣) انظر: «تقويم اللسانين» (٦٠ - ٦٥، بتحقيقي) للمصنف.

وأمَّا الآية فقد تقدم الكلام فيها.

قال محمد أسلم[(١)]: يكتب[(٢)] أبو الحسن النَّدْوي في كتابه «سيرة السيد أحمد شهيد» ويقول: وأراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الليلة السابعة والعشرين أن يحييها ويعبد فيها، لكن غلب عليه النعاس بعد العشاء فنام، وأيقظه رجلان بإمساك يديه في ثلث الليل، فرأى أن النبي ﷺ جلس على يمينه، ورأى أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جلس على شماله، ويقول له ﷺ: **يا سيد أحمد! قُم بسرعة واغتسل،** فلما رآهما سيد أحمد أسرع إلى الحوض في المسجد على رغم كون الماء في الحوض من البرْد كالثلج، فاغتسل من هذا الماء، وفرغ منه، **ثم حضر في خدمته** ﷺ، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: يا ولدي! الليلة ليلة القدر؛ فاشتغل في ذكر الله والدعاء والمناجاة. ثم ذهبا بعد ذلك[(٣)].

قال محمد تقي الدين: هذا يذكِّرنا بادِّعاء التِّجانيين لشيخهم أنه رأى النَّبيَّ ﷺ يقظة لا منامًا، وحدثه أحاديث كثيرة، ذكرت بعضها في كتابي «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية»[(٤)]، وأقمت البرهان على أن تلك **الروايات كذب واضح**، إلا أن هذه الحكاية لا تتضمن ما تضمنته حكايات التجانيين عن شيخهم، وقد تكلم النبي ﷺ في بيان ليلة القدر، وروى أحاديثها أصحاب «الكتب الستة» وغيرهم، فأي حاجة بقيت للنبي ﷺ حتى يخرج من قبره الشريف قبل يوم القيامة؛ لأجل أن يقول للشيخ أحمد المذكور: الليلة ليلة القدر؟!

ولم يقع هذا لأبي بكر الصديق، ولا لأحد من الخلفاء، ولا من الصحابة؛ **لأنهم أعلم وأورع من أن يأتوا بمثل هذه الحكايات التي لا يصدِّقها إلا**

---

(١) في «جماعة التبليغ» (ص٢٥ - ٢٦).

(٢) في جميع طبعات «السراج المنير»: «قال»!

(٣) «سيرة السيد أحمد شهيد» لأبي الحسن الندوي (ص ٨٤).(منه)

(٤) (ص٢٢٧، ٢٥٢، ٣٠٣، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٢١، ٤٣٩ - بتحقيقي).

المتصوفة الجاهلون، الذين يتشبَّعون بما لم يُعطَوا، فهم لثياب الزور لابسون، وعن الصراط ناكبون، ونحن لا يمكننا أن ننسب هذه الحكاية إلى الشيخ أحمد الهندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويا عجبًا كيف يقول النبي ﷺ لهذا الشيخ: يا سيد أحمد؟! وهو الذي يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**السَّيِّدُ هُوَ اللهُ**»(١).

وأما قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**»(٢)، يعني: أنه أفضلهم؛ كما جاء في الحديث «**فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ**»(٣)، في قصة أبي سعيد الخدري، وهو في «صحيح البخاري».

وقوله: «حضر في خدمته»، اصطلاح هندي يستعمل في لغة أُردُو، وهو غفلة من علي أبي الحسن، مع فصاحته(٤)، فقد سرقته لغة أُردُو في هذا الموضع.

فبأي شيء يخدم النبي ﷺ، ولا حاجة به إلى خدمة أحد بعد مفارقته لهذه الدنيا الفانية؟ والخطب في ذلك سهل.

ثم قال محمد أسلم(٥): «قال الشيخ محمد سردار الباكستاني الساكن في باب المجيدي: ظللتُ في جماعة التبليغ عشر سنين تقريبًا، وكثيرًا ما ذهبتُ مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي -أمير جماعة التبليغ -ذاك الوقت- قريبًا من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في محلّة نظام الدين (مقر الجماعة) في دلهي، **فكنا نجلس حول قبره وقتًا طويلًا في حالة المراقبة ساتري الرؤوس**.

---

(١) أخرج أحمد في «المسند» (٤/ ٢٤ - ٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٨٣) رقم (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٠٢) رقم (١٠٠٠٣ و ١٠٠٠٤) -وهو في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٧)- وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٨٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣١٨)، و«الأسماء والصفات» (٢٢) من حديث عبدالله بن الشِّخِّير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **وإسناده صحيح**.

(٢) أخرجه مسلم في (كتاب الفضائل): باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٧٦، ٥٠٠٧، ٥٧٣٦، ٥٧٤٩)، ومسلم (٢٢٠١).

(٤) في الطبعات السابقة: «فصحاته».

(٥) في كتابه «جماعة التبليغ» (٢٧).

وكان محمد يوسف يقول: إنّ صاحب هذا القبر -شيخنا محمد إلياس رَحِمَهُ اللَّهُ- يوزِّع النُّورَ الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلُّقِ به، **وكذلك كنا نجلس -أيضًا- على قبر الشيخ عبد الرحيم راي بوري في هيئة المراقبة.**

الشيخ محمد يوسف كان يجلس مراقبًا عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات خلال قيامه في المدينة المنورة، **وهذه الطريقة معروفة بين مشايخ جماعة التبليغ، وهم يعملون عليها بالكثرة».**

قال محمد تقي الدين: قول محمد يوسف: «إن صاحب هذا القبر-يعني: أباه محمد إلياس- يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره، بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به».

هذا يسمى في اصطلاح غيرهم من أهل طرائق التصوف: **استمدادًا.**

وقد تقدم أن الشيخ عبدالكريم المنصوري السجلماسي لما أعطاني الطريقة التجانية؛ أمرني إذا جلست لذكر الله -تعالى- أن أتصور صورة الشيخ (أحمد التجاني) أمامي، وعمود من النور يخرج من قلبه ويدخل في قلبي[1]؛ يعني: إنه ينور قلبي ويشرح صدري ويؤهِّله للفيوض، **وهذا كفر صريح.**

وقد أخبرني الثقات: أن عليًّا أبا الحسن النَّدْوي كان يجلس في مسجد النبي ﷺ **مستقبلًا الحجرة الشريفة في غاية الخشوع، لا يتكلم ساعتين وأكثر،** فاستغربت هذا الأمر! وفهمتُ أنه استمدادٌ[2]، ولم أكن أعلم أن هذا شائع عندهم في طريقتهم، **إلى أن كشفه محمد أسلم -جزاه الله خيرًا-.**

---

(١) انظر: «الهدية الهادية» (٢١٤ - ٢١٥)، و«سبيل الرشاد» (٢/ ٢٤) وتعليقي عليهما، وانظر عن طريقة الاستمداد عند التيجانية: «الكوكب الوهاج» (٣٦٥) لسكيرج.

(٢) انظر: «الأستاذ أبو الحسن الندوي، الوجه الآخر من كتاباته» في (الباب العاشر: الردود على الأستاذ الندوي) (ص٦٧٣ - ٦٧٤) للأخ البحاثة صلاح مقبول.

فهذا شرك بالله -تعالى-، واتخاذ وسائط بين العبد وبين ربِّه، وقد رأيت في كتاب «كشّاف القناع في شرح الإقناع»[١] -من أشهر كتب فقه الحنابلة- ما نصه: «قال الشيخ[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: من اتخذ وسائط بينه وبين الله؛ كفر إجماعًا».

والمُراد بالشَّيخ هنا: هو شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

ومن المعلوم أن الله -تعالى- هو الذي يمدُّ عباده بالأرزاق الحسية؛ كالطعام والشراب، وقوة البدن، وبالأرزاق المعنوية؛ كهداية القلوب، وتنويرها، وشرح الصدور، والتَّجليات لها، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يحتاج إلى واسطة يتوسط بينه وبين خلقه في منحهم تلك الأرزاق؛ لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من الصالحين[٣].

---

(١) «كشاف القناع» (٦/ ١٦٨).

(٢) يريد: ابن تيمية، وكلامه في «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٥٣٥).

(٣) **أما الاستمداد من غير الله** عَزَّوَجَلَّ؛ **فهو يخالف معنى (الإسلام) الحقيقي**، قال الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ في «سبيل الرشاد» (١/ ١٨٨ - بتحقيقي):

«والإسلام الموجَّه لله؛ معناه: أن لا يتوجَّه الإنسان برهبة ولا رغبة إلا لله وحده لا شريك له، ولا يطلب المدد الحسِّيَّ، كالمعيشة، أو المعنوي، كتنوير القلب وانشراح الصَّدر بالإسلام؛ إلا من الله -تعالى-، ومن طلب شيئًا من ذلك من غير الله فقد أشرك الشرك الأكبر؛ لأن الأرزاق الحسيَّة والمعنوية كلَّها بيد الله».

وركَّز الهلالي على هذا المعنى، وقال في موطن آخر في «سبيل الرشاد» (١/ ٢٨٧):

«الدين: إسلام الوجه لله -تعالى-، واتِّباع ملَّة إبراهيم الحنيفية، لا يجتمع أبدًا مع دعاء غير الله وعبادة القبور، **والاستمداد من أرواح الشيوخ؛ بل هذا ضدُّ الحنيفية**».

وقال -أيضًا- فيه (١/ ٢٧٤): «وكلُّ من عبد شيوخ الصوفية بالاستمداد منهم أو عبد قبور الصالحين أو الطالحين، بالذبح والنذر والطواف والتمسح وإقامة الأعياد حولها؛ فلم يتَّبع ملَّة إبراهيم، ولم يكن حنيفًا».

وهذا أمر مقرَّر عند علماء التوحيد، ويقرِّرون في نواقض (توحيد الربوبية) هذا الأمر، يقول الهلالي في «سبيل الرشاد» (١/ ٣٨٣) عن المشركين: «فقد زيَّنت لهم الشياطين عبادة القبور والمقبورين فيها، وعبادة شيوخ التصوف والاستمداد منهم؛ **وهو شرك**. واعتقادُ أنهم يؤثِّرون في قلب المريد إذا رضوا عنه: إما فتحًا وتنويرًا وجذبًا إلى الله=

فالملائكةُ يستغفرون للمؤمنين، ويسألون اللهَ لهم الرحمةَ، ولا يستطيعون أن يعطوهم مثقالَ ذرة من ذلك ولا أقل.

والأنبياء يعلِّمون أممَهُم، ويُبلِّغونهم رسالةَ ربِّهم، ولا يستطيعون أن يُعطوا أحدًا منهم مثقالَ ذرَّةٍ من الهداية، ولا أقلَ من ذلك؛ لأن الهدايةَ بيد الله وحده.

قال الله -تعالى- لسيد الأنبياء: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

وطرائق المتصوفة يشبه بعضُها بعضًا في ضلالاتها وشركها.

فالحمد لله الذي أخرجنا من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات البدع إلى نور السُّنن.

وقول محمد يوسف: «إن أباه محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل عليه من الله -تعالى- على حسب ارتباط المريدين به، وقوة إخلاصهم واستمدادهم»؛ أدهى وأمرّ مما تقدَّم وزيادة وضوح لهذا النوع من الكفر.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنى أن يهديهم كما هدانا أو أكثر، ويبيِّن لهم طريقَ الحقِّ، كما بيَّنه لنا؛ حتى ينفضُوا أيديَهم من طُرُقِ الضَّلال، ويعادوهم، ويَنبذوها نبذ النوى أو (نبذ الحذاء المرقَّع)، كما قال الحريري[(١)]

= -تعالى-، وإما طردًا وإبعادًا وطمسًا للقلب وسدًّا له؛ **هذا شرك في الربوبية،** فإنَّ الذي يُعطي ويمنع، وينوِّر القلوب، ويُزيل ظلمتها وقسوتها، ويصلحها، ويملؤها نورًا وخشوعًا وتوكُّلًا على الله وإيمانًا به؛ ليس الشيخ المتصوف ولا غيره من الخلق، وإنما يفعل ذلك الله وحده لا شريك له، وصحبة التلميذ لمعلمه إذا كان المعلِّم من أهل العلم والعمل، والأخلاق الكريمة؛ يستفيد منها التلميذ، كما يدلُّ على ذلك قصة طلب موسى لصحبة الخضر، **أما التأثير؛ فلله وحده لا شريك له، بيده الهداية والإضلال والنَّفع والضُّرُّ،** ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]».

(١) قال في «مقاماته» (المقامة الخمسين) (ص٥٥٩):

وَكَم نَبَذتُ أَمْرَهُ نَبْذَ الحِذا المُرَقَّعِ

وانظر: «شرح مقامات الحريري» (٤/ ٢٦٥) للشريشي.

رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنا لله وإنا إليه راجعون، كيف خدع الشيطان كثيرًا من هذه الأمة، وأوقعهم في حبائل الضَّلال، وهم لا يشعرون!

○ صفة البيعة لمحمد يوسف بعد وفاة أبيه:

قال محمد تقي الدين: مِن المعلوم عند أصحاب الطرائق المتصوفة لُبس الخرقة[1]، وهي مِثْلُ أَخْذِ الوِرد أو العهد عند ....

(١) قال الهلالي في «الديوان» (٢٠٩ - بتحقيقي):

وَلَمَّا أَبَانَ اللهُ لِي نُورَ دِينِهِ ... وَأَنْقَذَنِي مِنْ طُرقِ أَصْحَابِ خِرْقَةِ

وللعلماء أسانيد في لبس الخرقة، ذكرتها بإسنادي إلى سراج الدين البلقيني في كتابي «معجم شيوخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني» (٢/ ٩٠٣) رقم (٢٠٨)، وتكلمت على ضعفه وعدم اتصاله، وعلى الرسائل التي أُلِّفت في لبس الخرقة، وأن الحافظ السخاوي قال في «الجواهر المكللة» (١٤٥ - ١٤٦):

«وإنما أثبت هذا هنا تبرُّكًا بذكر الصالحين، واقتفاءً لكثير من أئمة الحديث الماضين، لا لكوني **معتمدًا صحة اتصالها**؛ بل هي منقطعة في غير ما موضع، وكذا قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ [يريد ابن حجر في «اللسان» (٨/ ١٩٨) وينظر له «المقاصد الحسنة» (٨٥٢)، «المجمع المؤسس» (١/ ٣٦٢) و(٢/ ٩٤٠)]: «**إنه ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف** أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحدًا من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى من ذلك صريحًا، **فباطل**»».

قال: «ثم إن مِن الكذب المُفترى قولَ مَن قال: إن عليًّا ألبس الخرقةَ الحسنَ البصري؛ فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن مِن علي سماعًا، فضلًا على أن يلبسه خرقةً، ولم ينفرد شيخنا بهذا؛ بل سبقه إليه جماعة حتى ممن لبسها وألبسها كما بينتُه في «جزء» أفردته لأسانيدي فيها، والله المستعان».

وقد لبسها قبله كثير من أئمة الهدى؛ كالإمام الذهبي -كما في «تاريخ الإسلام» (١٤/ ٨٢)، و«السير» (٢٢/ ٣٧٧)-؛ إلا أنه برَّأ ذمته بقوله في «السير» (١٦/ ٢٦٦)، وأورد إسناد لبس الخرقة من مكحول بالذي سقناه عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال على إثره:

«قلت: ما بعد معروف؛ فمنقطع، زعموا أنه أخذ عن داود الطائي، وصحب حبيبًا العجمي، وصحب الحسن البصري، وصحب عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحب النبي ﷺ». =

....

= وفصَّل ذلك في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٣٦٢)؛ فقال:
«وما يُذكر من قصة لبس الخرقة، وأنَّ داود الطائي صحب حبيبًا العجمي؛ **فخطأ بيِّن، لم يصحبه، ولا عرفنا لداود رواحًا إلى البصرة، ولا لحبيب قدومًا إلى الكوفة، ثم أبعد من ذلك قولهم: «أخذها من داود»؛ فما علمنا أن داود ومعروفًا اجتمعا ولا التقيا، والله أعلم**».
واشتهر لبس الخرقة عند العلماء، ولبسها مَن لم يرَ صحتها؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ؛ فهو القائل فيها:
«وأما لباس الخرقة التي يلبسها بعض المشايخ المريدين؛ **فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة**، ولا كان المشايخ المتقدمون وأكثر المتأخرين يلبسونها المريدين، ولكن طائفةً من المتأخرين رأوا ذلك واستحبوه.
وقد استدل بعضهم بأن النبي ﷺ ألبس أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ثوبًا، وقال لها: «**سنا**»، أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٥٨٤٥) من حديث أم خالد بنت خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
و(السنا) بلسان الحبشة: الحسن، وكانت قد وُلدت بأرض الحبشة؛ فلهذا خاطبها بذلك اللسان.
واستدلوا -أيضًا- بحديث البردة التي نسجتها امرأة للنبي ﷺ، فسأله إياها بعض الصحابة؛ فأعطاه إياها، وقال: «**أردت أن تكون كفنًا لي**»، أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ١٢٧٧) من حديث سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وليس في هذين الحديثين دليل على الوجه الذي يفعلونه**؛ فإن إعطاء الرجل لغيره ما يلبسه كإعطائه إياه ما ينفعه، وأخذ ثوب من النبي ﷺ على وجه البركة كأخذ شعره على وجه البركة، وليس هذا كلباس ثوب أو قلنسوة على وجه المتابعة والاقتداء، ولكن يشبه من بعض الوجوه خِلَع الملوك التي يخلعونها على من يولونه؛ كأنها شعار وعلامة على الولاية والكرامة، ولهذا يسمونها **تشريفًا**، وهذا ونحوه غايته أن يجعل من **جنس المباحات، فإن اقترن به نية صالحة**؛ كان حسنًا من هذه الجهة، وأما جعل ذلك سُنَّةً وطريقًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فليس الأمر كذلك».
انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥١٠ - ٥١١) لابن تيمية.
وينظر له: «الفتاوى» (١١/ ٨٨، ١٠٤)، «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٤٤)، «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/ ١٤٩).
وعليه؛ فالواجب التفريق بين **من يلبسها على وجه مبتدع؛ كالتبرك بها، والشمول**=

التِّجانيين[(١)]، فيُلبِس الشيخُ ثوبًا كلَّ مَن أراد أن ينضم إلى طريقته ويعاهده على الطاعة العمياء، **وقد رأيتم[(٢)] نماذج من ذلكم لما امتحن بعض شيوخ طريقة التبليغ مريده بقوله: «أتستطيع أن تقول: لا إله إلا الله، شيخي فلان رسول الله»، فكان المريد يبادر إلى قولها**، وجميع المتصوفة أو أكثرهم يوجبون على من دخل في طريقتهم أن يطيعهم طاعة عمياء، ولو أمروه بالكفر، أو المعصية، كما تقدَّم[(٣)] في قصة أشرف علي التهانوي مع مريده، ويقولون: مَن قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح أبدًا، وأنشد قائلهم:

وَكُنْ عِنْدَهُ كالمَيِّتِ عِنْدَ مُغَسِّلٍ ... يُقَلِّبُهُ مَا شَاءَ وَهُوَ مُطَاوِعُ[(٤)]

ومن ذلك ما ذكره صاحب «الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز»[(٥)]، زعم

= **باللحظ المستقيم** -كما في «بدء العلقة» (١٣٥)-، **أو الاعتقاد الذي يسير عليه الطرقيون**، حتى قال بعضهم -كما في «عوارف المعارف» (٢/ ٤٢)-: «الروحانية تسري من الشيخ إلى التلميذ، ويصبح تحت حكم الشيخ بعد لبسها»، وبين من يلبسها طلبًا للإسناد كصنيع أئمة الهدى: شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام الذهبي، وشيخ الإسلام البلقيني، والعراقي، وابن الملقن، وانظر: «اللطائف في أمر الوظائف» فقرة (رقم٤٥٥) للنعيمي، وتعليقي عليه.

(١) انظر: «الهدية الهادية» (ص٤٠٠ - بتحقيقي).

(٢) يشير إلى ما تقدَّم (ص٣٣٥). (٣) (ص٣٩٠).

(٤) هذا من أشعار الصوفية، وهو مجهول النسبة، انظر: «تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب» (٤٧٩، ٥٢٩) للشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي، وقيل: إنه لعبدالكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم الجيلي ابن سبط الشيخ عبدالقادر الجيلاني (٧٦٧ - ٨٣٢هـ) أو (١٣٦٥ - ١٤٢٨م)، انظر تعليقي على «سبيل الرشاد» (١/ ٢٤١) للمصنف.

(٥) صاحبه أحمد بن المبارك اللمطي المغربي، واسمه «الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ»، والكلام فيه بنحوه (ص٣١٧)، نقل الهلالي منه حكايات وخرافات فيها طامات وأوابد، ونسفها نسفًا، وقال في «الهدية الهادية» (ص٤٩٩ - بتحقيقي): «حشاه بالأكاذيب»، وانظر: «شرح كتاب التوحيد» (ص ٤١٨ - بتحقيقي)، «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (١/ ٢٤١ - بتحقيقي).

أن شيخه عبد العزيز حكى له حكاية ليعرِّفه كيف يطيع المريد شيخه، قال: خدم مريد شيخه سنين بدون كلل ولا ملل، فلما أراد أن يفتح عليه بالولاية إذا نجح في الامتحان.

-قال الشيخ للمريد: يا فلان أتحبُّني؟

-قال: نعم، كلّ المحبة.

-وتطيعني في كل ما آمرك به؟

-قال: نعم، كل الطاعة.

-قال: فلو أمرتك أن تذهب إلى بيت أبيك وتضرب عنقه وتأتيني برأسه أتفعل ذلك؟

فانصرف ولم يكلمه بكلمة، فوصل إلى بيت أبيه ووجد أباه يجامع أمه فقطع رأسه وجعله في مخلاةٍ، وجاء به إلى شيخه، ووضعه أمامه، وكان الشيخ في بيت مظلم.

-فقال له: ما هذا؟

-فقال المريد: هذا ما أمرت به.

-فقال الشيخ: أنا ما أمرتك بشيء.

-فقال المريد: إنَّ كلامك عندي كله جدٌّ ليس فيه هزل.

-فقال الشيخ: خبِّرني ما هذا؟

-قال: هذا رأس أبي الذي أمرتني بضرب عنقه، والإتيان إليك برأسه.

-فقال: يا مُجرم! أما تخاف الله؟ كيف تقتل أباك وترتكب هذا الذنب الكبير؟ أأنت مجنون؟! أنا ما أمرتك بشيء، أنا سألتك سؤالًا فقط.

-فقال المريد: قلت لك من قبل: إنَّ كل ما تقوله عندي جدٌّ وليس فيه هزل.

-فقال الشيخ: لا حول ولا قوة إلا بالله! أوقِد القنديل، وأتني به، فجاءه

بالقنديل وأخرج الرأس؛ فإذا هو رأس نصراني كان جارًا لهم، وكان يزني بأمّه، فكاشف الشيخ أرض الله عليه[(١)] أنه سيزني بأم مريده في الوقت المعين، **فأراد أن يصيد عصفورين بحجر واحد:**

العصفور الأول: هو امتحان مريده، هل يستحق إعطاء الولاية أم لا؟

والعصفور الثاني: هو قتل ذلك النصراني المعتدي على حُرمة المريد وحُرمة أبيه.

فأعطاه الولاية، فصار ينظر إلى العرش، وإلى ما تحت الثرى[(٢)].

فهذه الحكاية تبين لنا مقدار الطاعة العمياء التي يطلبها شيوخ التصوف من مريديهم.

---

(١) كذا في الأصل، وفي «سبيل الرشاد»: «كان يزني بأمه، فعلم بذلك الشيخ من طريقة علم الغيب، وأراد أن يصيد...» إلى آخره.

وفي «الإبريز»: «وكان أبوه غاب تلك الليلة، فخانته زوجته في الفراش، ووعدت علجًا كافرًا، ومكّنته من نفسها، وكوشف الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك، فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة، ليمتحن صدقه، فعلم أنه جبل من الجبال، فكان وارث سره...»!

(٢) ذكر المصنف هذه الحكاية في «سبيل الرشاد» (١/ ٢٤٢)، وقال على إثرها:

«ويحكون من أمثال هذه الحكاية كثيرًا ليضلوا الناس، ويعطلوا العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، انظر كتابي «الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية».

وهذه الحكاية الملعونة يبرأ منها الله ورسوله، وجميع المسلمين الذين يعرفون ما هو الإسلام، سواء كانوا صوفية أو فقهاء، أو أهل حديث، فقد قال الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ وهو سيد الطائفة: «**أمرُنا هذا -يعني: التصوف- مبنيٌّ على أربعة أمور:**

أولها: اتباع السنة، والوقوف عند حدود الشريعة.

وثانيها: أكل الحلال.

وثالثها: كف الأذى.

ورابعها: حمل الأذى»».

قلت: المقولة لسهل بن عبدالله التُّسْتَري، وليست للجنيد، أخرجها السلمي في «طبقات الصوفية» (ص٢١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٦١)، والخبر في «مفتاح الجنة» (ص١٥٨/ رقم٣٧٣)، «الشفا» (٢/ ٣٤ - مختصرًا)، «الاعتصام» (١/ ١٥٧ و٣/ ٤٥٢ - بتحقيقي).

وأخبرنا محمد أسلم[١]: أن الأَردِيَة وزِّعت على آلاف الرجال والنساء في الهند وباكستان؛ علامة على مبايعة الشيخ الجديد[٢] محمد يوسف على السمع والطاعة المطْلقَين.

ولا يجوز لمسلم أن يطيع شخصًا طاعة مطلقة البتة؛ لأن الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله ورسوله؛ لأن الله رب العالمين، ورسولَه حجة الله على العالمين، وهو معصوم مِن الأمر بغير ما أمر الله به.

قال -تعالى-: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٤].

فنعوذ بالله من فَقْدِ العقلِ والدِّين.

○ الشيخ محمد يوسف البنوري الحنفي الديوبندي الجشتي:

قال محمد أسلم[٣]: إنه مِن شيوخ جماعة التبليغ، وحكي عنه خرافات كثيرة مِن مكالمة الله ورسوله ﷺ؛ **ومِن ذلك**: إنه يؤيِّد ابنَ عربي الحاتمي[٤]

---

(١) وقال في كتابه «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص٢٧) واصفًا طريقة البيعة: «كانت طريقة البيعة عند الشيخ محمد يوسف نفس طريقتها عند المشايخ الآخرين، لكن مع هذه الطريقة كانت عنده عدة أشياء زائدة عليها، كما كانت عند أبيه الشيخ محمد إلياس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان عنده حفل من المبايعين وقت البيعة، ويرى كأن الحفل كله يبايع على يده، فبايعه عدة المئين والآلاف من الناس، ورُبطت أردية كثيرة بعضها مع بعض، ثم نشرت إلى مكان بعيد، فأنفذها جميع الناس كبيرهم وصغيرهم ثم أتموا البيعة، وكذلك جمٌّ غفير من النساء كن يبايعن بأخذ مثل تلك الأردية».

(٢) أي: شيخ جماعة التبليغ، وهذا هو سر وجود منهج للعرب وآخر للعجم، وتقدَّم ذلك من كلام الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

(٣) في «جماعة التبليغ» (ص٢٨).

(٤) لأخينا الباحث النَّابه الدكتور دغش بن شبيب العجمي كتاب مطبوع بعنوان: «ابن عربي، عقيدته وموقف علماء المسلمين منه من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر»، جمع فيه أقوال مَن كفَّره -وهم كُثُر-، ومَن ذبَّ عنه -وزيَّف أقوالهم-، وهكذا صنع الإمام السخاوي في كتابه البديع «القول المنبي» وهو مطبوع! وينظر كتابي: «كتب حذر منها العلماء» (٢/ ٣٠٤ - الفهارس) و«عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية» لأحمد القصيِّر و«موقف ابن تيمية من ابن عربي الطائي» لمصطفى ابن إبراهيم بن عبدالحليم، وغيرها كثير.

القائل بوحدة الوجود، كما أنشد في كتاب «الفتوحات المكية»[(١)] مِن شعره، بل مِن بعره:

العَبْـدُ رَبٌّ وَالـرَّبُّ عَبْـدٌ يَا لَيتَ شِعرِي مَنِ المُكلَّفُ؟
إنْ قُلتَ عَبدٌ فذاكَ حَقٌّ أوْ قُلتَ رَبٌّ أنَّى يُكلَّفُ[(٢)]

---

(١) اسمه «الفتوحات المكية»، وكان السراج البلقيني يسمِّيه «القبوحات الهلكية»، وختم «فتاويه» بتكفير ابن عربي، ولم تظهر (فتواه) -للأسف!- في جميع طبعات «التجرد والاهتمام»، وهو «فتاويه»!

(٢) في «الفتوحات» (١/ ٤٢ - ط المصرية) أو (١/ ١٥ - ط دار الكتب العلمية)، وفيه: «العبد حق والرب حق»، وفي البيت الثاني: «فذاك ميت»، وهكذا في «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢/ ٨٢، ٢٤٢) و«القول المنبي» (١٩٥) و«لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام» (٢٥٠)، وبخط ابن عربي نفسه: «الرب حق والعبد حق * فيا ليت...»، «فذاك ميت»، وقد شكك غير واحد فيهما!

والبيتان هكذا في موطن آخر من «الفتوحات المكية» (٨/ ٢٢٤) و«الفصوص» (١/ ٩٢ - ٩٧) و«المسائل» (٩٧)، وكلها لابن عربي.

ورآها ابن تيمية بخط ابن عربي، هكذا ذكره في «الفتاوى» (٢/ ٢٤٢)، وأجاب عن هذه الأبيات بكلام بديع في (٢/ ١١١ - ١٢٠).

ولابن عربي شعر كثير في وحدة الوجود؛ مثل المزبور وأصرح منه!

وأمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا ندري بم ختم الله له، ولكن في كتبه كلام كفر، وهو الذي أفتى به الشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ٣٧ - ٣٩)، وسقت كلامه -على طوله- في غير كتاب من كتبي.

ثم وجدت العلَّامة الأديب الشيخ علي الطنطاوي يقول في «ذكرياته» (١/ ١٣٨) بعد كلام: «وأنا أكتب هنا للحقِّ وللتاريخ، فلا أستطيع أن أختم الكلام عن جدنا مِن غير أن أعرض إلى أمرٍ صَنعه، ما أدري! هل أحسن فيه أم أساء؟ هو أن الأمير عبدالقادر العالِم المجاهد كان -وليته لم يكن- ممَّن يقول بوحدة الوجود، وشيخُ القائلين بها ابن عربي، وأكبر كتبه «الفتوحات المكية»، وكان منه نسخة كاملة في (قونية) بخط المؤلف، فبعث الأميرُ جدَّنا الشيخ محمدًا وتلميذه الشيخ محمد الطيب (المدفون في المزة في أجمل بقعة منها) إلى قونية لنسخ صورة عنها وطبعها.

هذا هو الذي صنعه، وللأمير عبدالقادر الجزائري كتاب اسمه «المواقف» مملوء بمذهب (وحدة الوجود)، ألزمت وأنا صغير بالمشاركة بتصحيح تجارِب طبعه، فلما =

وقال فيه الإمام محمد بن إسماعيل الصَّنعاني في «داليته» المشهورة التي مدح بها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رحمهما الله تعالى-:

وأكْفَرُ أهْلِ الأرْضِ مَنْ ظَنَّ أنَّهُ ... إلـهٌ تَعَالَـى اللهُ جَـلَّ عَـنِ النِّـدِّ
مُسَمَّـاهُ كُـلَّ الكائِنَـاتِ بِأسْرِهَا ... مِنَ الكَلْبِ وَالخِنْزِيرِ وَالفَهْدِ وَالْقِرْدِ[1]

قال محمد تقي الدين: وبيان ذلك أن ابن عربي الحاتمي -الذي يؤيده محمد يوسف البنوري- مِن دعاة وَحدة الوجود، بمعنى: أن الوجود واحد، فالحق هو الخلق، والخلق هو الحق، فباعتبار الصور الأشكال نسمِّيهم خَلقًا؛ رجلًا، وامرأة، ودابة، وحجرًا، وماءً، وشجرًا.

وباعتبار الهيولى[2]: وهي المادة التي تتكون منها المخلوقات، وترجع إليها بعد فنائها، وهذه المادة لا تفنى، ولا أول لها ولا آخر، وهي الله بزعمهم[3]!

= رأيت ما فيه؛ استعذت بالله وتركتُه» انتهى كلامه.

قال أبو عبيدة: نسخة ابن عربي من «الفتوحات» ما زالت محفوظة في قونية في متحف الآثار الإسلامية بإستانبول، تحت رقم (١٨٤٥)، وكتبها سنة ٦٣٦هـ، وينظر في الوثائق آخر الكتاب: وثيقة رقم (١٠) صورة البيتين المذكورين بخطه.

(١) أورد الهلالي بعضًا من أبياتها في «ديوانه» (٧٠٦ - ٧٠٧، الملحق آخره، بتحقيقي)، وكتابه «سبيل الرشاد» (٣/ ٨ - ٩، ١٧١ - ١٧٢، بتحقيقي)، و«الهدية الهادية» (٤٨٠ - بتحقيقي)، وهي في «عنوان المجد» (١/ ٥٤ - ٥٥)، وفي كتاب «الشيخ محمد بن عبدالوهاب: عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية» (٨٠ - ٨١) لآل بو طامي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) الهيولى: هو جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه، وعن ابن القطاع: الهيولى القطن، وشبَّه الأوائل طينة العالم به، وهو في اصطلاحهم موصوف بأنه موجود بلا كمية ولا كيفية ولم يقترن به شيء من سمات الحدوث، ثم حلَّت به الصفة واعترضت به الأعراض فحدث منه العالم، وقال بعضهم: الهيولى معدوم بالعرض موجود بالذات، والمعدوم معدوم بالذات موجود بالعرض؛ إذ يكون وجوده في العقل على الوجه الذي يقال: إنه متصور في العقل، انظر: «الكليات» (٩٥٥ - ٩٥٦).

(٣) انظر في كلام الهلالي عن (وحدة الوجود) وتكفير أهلها وأنها عقيدة الفلاسفة =

وكُتُبُ ابن عربي مملوءةٌ بهذا الكفر؛ كـ«الفتوحات» و«الفصوص» وغيرهما، فهذا التبليغي محمد يوسف البنوري أضاف إلى بدعتِهِ وضلالاته عقيدةَ وَحدة الوجود، ضغثًا على إبَّالة.

ومن مزاعم البنوري: أنه قرأ على الإمام البخاري «صحيحه» في المنام، وأخذ منه الإجازة، كما أنه قرأ على العيني «شرح البخاري»، وعلى الحافظ ابن حجر العسقلاني كتابه «فتح الباري»، وأخذ منه الإجازة(١).

ويُكذِّب ذلك كله: ما جاء «صحيح البخاري» عن النبي ﷺ وهو قوله: «**وَإِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ**»(٢).

= واليونانيين، وهي على نقيض ما جاء به الرسل أجمعون من وحي الله رب العالمين، في: «الهدية الهادية» (٣٢٢ - ٣٢٤)، «العيون الزلالية» فتوى رقم (٦٦٥، ٦٩٩- بتحقيقي)، ومقالة (ما هي عقيدة البهائيَّة؟ - الحلقة الثالثة) المنشورة في جريدة «الميثاق» المغربيَّة-السَّنة الثَّانية-العدد (٤١)، ١ جمادى الثانية ١٣٨٣هـ - ١٨ أكتوبر ١٩٦٣م، ومقالة (نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط - الحلقة الخامسة) المنشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية-السنة الثامنة-العدد السادس والسابع- ذو الحجة-محرم ١٣٨٤هـ/ أبريل-ماي ١٩٦٥م، (ص١٣ - ١٧)، و(الحلقة السادسة) المنشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية-السنة الثامنة-العدد الثامن- صفر ١٣٨٥هـ - جوان ١٩٦٥م، (ص١٧ - ٢١)، و(الحلقة السابعة) المنشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية-السنة الثامنة-العدد التاسع والعاشر-ربيع الأول والثاني ١٣٨٥هـ-يوليوز وغشت ١٩٦٥م-(ص٣١ - ٣٦).

(١) انظر: «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص٢٩).

(٢) علقه البخاري في «صحيحه» (قبل ٦٨)، ووصله ابن أبي عاصم -كما في «فتح الباري» (١/ ٢١٢)- و«التوضيح» (٣/ ٣٢٦) لابن الملقن، والطبراني في «مسند الشاميين» (٧٥٨) وغيره من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وإسناده ضعيف**.
وأخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٦٠٥)، والدارقطني في «العلل» (٦/ ٢١٩ - ٢٢٠)، والطبراني في «الأوسط» (رقم٢٦٦٣)، وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٢٠٩) (رقم٢١٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (رقم١٠٢٥٤)، و«المدخل إلى السنن الكبرى» (رقم٣٨٥)، وابن السني في «رياضة المتعلمين» (رقم٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٧٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٠١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٩٧) =

وسافر جابر بن عبد الله في حديث واحد مسيرة شهر من المدينة إلى الشام[١].

ورحل البخاري نفسه في طلب علم الحديث رحلة طويلة[٢]، وكذلك أحمد بن حنبل[٣]، وغيرهما من الأئمة[٤].

وزعم البنوري أن النبي ﷺ قال له: يأتيك شخص نوراني بسكين نورانية؛

= و(١٨/ ٩٨)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١/ ٢٧٠) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وورد عن أبي هريرة عند الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٢٧)، وابن الجوزي في «الواهيات» (١/ ٧٦)، وورد عن أنس عند العسكري وابن السني (٥١)، وحسنه شيخنا الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٣٤٢)، وللسيوطي جزء مفرد مطبوع في تحسينه، وينظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (٧/ ١٧١)، «المقاصد الحسنة» (١/ ١٨٣)، «مجمع الزوائد» (١/ ٣٤٠)، «كنز العمال» (١٠/ ٢٤٧) (رقم ٢٩٣١٧).

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم في «صحيحه» (قبل ٧٨) في (كتاب العلم): باب الخروج في طلب العلم.
وذكره مرة ثانية بصيغة التمريض، فقال (قبل ٧٤٨١) في (كتاب التوحيد): باب قول الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ...﴾ [سبأ: ٢٣]: «ويذكر عن جابر...».
ووصله أحمد (٣/ ٤٩٥) والحارث بن أبي أسامة (٤٣ - ٤٥ - «الزوائد»)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، و«خلق أفعال العباد» (٩٢)، و«التاريخ الكبير» (٧/ ١٦٩ - ١٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٤)، و«الآحاد والمثاني» (٢٠٣٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨٥٨٨)، و«مسند الشاميين» (١٥٦)، والحاكم (٢/ ٤٣٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٧٨، ٢٧٣)، والخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» (رقم٣١) و(٣٢) وإسناده صالح، قاله ابن حجر في «الفتح» (١/ ١٧٤)، وانظر: «التساعيات» (٩٤ - ٩٧) لابن العطار، وتعليقي عليه.

(٢) «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٢٢)، «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٥٤)، «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٣٩٤)، «تاريخ الإسلام» (٦/ ١٤٠).

(٣) «تاريخ بغداد» (٦/ ٩٠)، «تاريخ دمشق» (٥/ ٢٥٢)، «تاريخ الإسلام» (٥/ ١٠١٠)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٧، ١٨٣).

(٤) انظرهم عند الخطيب في كتابه «الرحلة في طلب الحديث» في (أعلام الراحلين) (ص٢٣٦ - ٢٣٧، ط. العتر).

فيشق جوفك ويخرج قلبك، وينظفه، ويرده إلى مكانه، ثم يخيط الشق.

وهذا لا يحتاج إلى تعليق!!

وخطر ببال البنوري يومًا: أنه إذا كان في سكرات الموت قد يأتيه الشيطان ويُضلُّه، فقال له النبي ﷺ: كيف يأتيك الشيطان وأنا سأكون حاضرًا عند وفاتك[1]؟

فهذه خرافات التجانيين عند هؤلاء القوم، تشابهت قلوبهم!

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (بسورة الزخرف رقم الآية: ٣٦- ٣٧).

وزعم أنه رأى النبي ﷺ في المنام، يقول لبادشاه خادم والده: (يا بادشاه! الخدمة التي تقوم بها أنت أقوم بها أنا -أيضًا-)[2].

فويل لمن يعتقد أن النبي ﷺ يخدم أباه، وهو الذي كان جبريل في خدمته.

○ **رؤيته لله عَزَّوَجَلَّ:**

قال: إن والده زكريا رأى الله -تعالى-، فقال له الله -تعالى-: إن مثلك عندي مثل مولود عمره يومان أو ثلاثة أيام في حضن أمه، ما يعرف المولود ما تفعل به أمه.

قال: ورأيت الله متمكنًا على الكرسي وأنا أطوف به[3].

قال محمد تقي الدين: من ذا الذي يمثل الله -تعالى- بأمه إلا مَنْ فَقَد العقلَ والدِّينَ والحياءَ، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤].

وكان البنوري يقدس السَّفَّاح جمال عبد الناصر، وقال: يكفي جمالَ عبد الناصر أن يدخل الجنة قتلُه للسيِّد قطب الشهيد -رحمة الله عليه-[4].

---

(١) «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (٣٠).

(٢) «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (٣٠).

(٣) «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص٣٠).

(٤) «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص٣٠ - ٣١)، وفيه: =

ومن شيوخ التَّبليغيين: محمد شفيع الدُّيوبِنْدي الحنفي الچِشتي، خليفة أشرف علي التهانوي، زعم أن رجلًا من علماء اليمن كان يأتي بعد الحج كلَّ سنة إلى الحجرة الشريفة، وينشد للنبي ﷺ قصيدة يمدحه بها فيستمع لها النبي ﷺ، فدعاه رجل من الشيعة إلى بيته وقطع لسانه، فأخذ قطعة لسانه وأتى بها حجرة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فأراه تلك القطعة ثم رجع إلى بيته، ولما نام أتاه النبي ﷺ في المنام، وضم بيده تلك البضعة إلى أصل لسانه، وعندما استيقظ وجد لسانه سليمًا، بل صار أفصح مما كان[١].

قال محمد تقي الدين: يا لله! للوقاحة! كيف يَترك النبي ﷺ ابنه الحسين ومعه مئة من أهل بيته يُقتلون عطشًا في كربلاء بالعراق، ويُقطع رأس الحسين، ويؤخذ إلى يزيد بن معاوية[٢]، ولا يعمل شيئًا، ويهتم بشاعر مشرك غالٍ، فيرد

= «وكان صديق لمحمد يوسف البنوري المولوي غلام غوث الهزاردي؛ الذي هو من علماء الفرقة والجماعة المذكورة، ومن أعضاء البرلمان الباكستاني، يعلن بأن يكفي جمال عبدالناصر لدخوله الجنة أنه صلب السيد قطب الباغي الضال، ومع هذا كله كان حزبه جمعية علماء الإسلام ينشر على ديباجة مجلته الأردية الشهرية الصادرة من لاهور فنجاب «ترجمان الإسلام» بعنوان بذكرى جمال عبدالناصر -يتغمده الله برحمته-.

ويقول الشيخ يوسف البنوري عن سيد قطب الشهيد في كتابه «الأستاذ المودودي وشيء من حياته وأفكاره» (ص٣٩): إن الرجل -يريد سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ- جمع بين الشيعة والشيوعية في وقت واحد» انتهى!!

قال أبو عبيدة: قامت جهود كبيرة في بيان مثالب سيد قطب، وكان ذلك في إبان حياته، وتزعمها كثير من العلماء والأدباء، وعلى رأسهم العلَّامة الأديب الغيُور محمود شاكر، فذكروا أخطاءه وطعنه في الصحابة، وقوبلت هذه الجهود بدفاع متكلف عنه، والحق أن سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أديب، وله عبارات لا تليق بالله عَزَّوَجَلَّ، والواجب حملها على غير ظاهرها، مع تخطئته فيها، والكلام حوله كثير، وجمعتُ -قديمًا- جميع الانتقادات التي مرت بي عنه، ولا سيما في بطون «المجلات»، وهي كثيرة، **وبعضها مهم**، والله الواقي والعاصم.

(١) «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص٣١).

(٢) لا يوجد -بادئ بدء- دليل صريح صحيح مع مَن زعم أن يزيدَ هو قاتل الحسين بن =

له لسانه؟! وإذا لم تستحي[1] فقل ما شئت.

= علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والأصل البراءة حتى تثبت التهمة، ومعتمدهم -على التحقيق- أخبار زور اشتهرت عند الرافضة وتلقَّوها بالقبول وزادوا عليها، مع عدم تمحيص ودراسة.

ومع هذا؛ فيستطيع الباحث المتجرِّد أن يصل إلى براءة يزيد من هذه التهمة النكراء من خلال عدة أخبار صحت عنه؛ مثل:

ما أخرج البلاذري في «أنساب الأشراف» (٣/ ٢١٩ - ٢٢٠)، والجورقاني في «الأباطيل والمناكير» (١/ ٢٦٤)، وابن جرير في «التأريخ» (٥/ ٣٩٣)، وابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٤/ ٣٨١): «أنه كتب عبيدالله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما حدث، ويستشيره في شأن أبناء الحسين ونسائه، فلما بلغ الخبر إلى يزيد بن معاوية بكى، وقال: كنتُ أرضى من طاعتكم -أي: أهل العراق- بدون قتل الحسين، كذلك عاقبة البغي والعقوق، لعن الله ابن مرجانة! لقد وجدوه بعيد الرحم منه، أما -والله!- لو أني صاحبه لعفوت عنه؛ فرحم الله الحسين».

وفي رواية للجورقاني (١/ ٦٥) أنه قال: «...أما -والله! - لو كنت صاحب، ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا ببعض عمري؛ لأحببتُ أن أدفعه عنه».

ويا ليت الكذب في حق يزيد يقف عند القتل؛ بل زعم بعض الضُّلَّال أن يزيد سبى نساء الحسين بن علي وذراريه، ونبَّه على كذب هذا ابن تيمية؛ فقال في «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٥٩):

«وأما ما ذُكِر من سبي نسائه والذراري والدوران بهم في البلاد وحملهم على الجمال بغير أقتاب؛ **فهذا كذب وباطل**، ما سبى المسلمون -ولله الحمد- هاشمية قط، ولا استحلت أمَّة محمد ﷺ سبي بني هاشم قط، ولكن كان أهل الجهل والهوى يكذبون كثيرًا».

وينظر -لزامًا- في تبرئة يزيد من التهم الموجهة إليه بهذا الصدد: في «من أخبار يزيد بن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تمحيص وتحقيق» للعلَّامة عبد العظيم محمود الديب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ردَّ فيه على أغاليط بنت الشاطئ، وانظر: «مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية» (ص٦٥ - ٨١).

وانظر -لزامًا-: «الحرف المعلم في تحريم لعن المسلم» (٢/ ٢٠٦ - ٢٠٧، ضمن «مجموع فيه عدة رسائل للنعيمي»)، وتعليقي عليه.

(١) في جميع الطبعات: «تستحيي» بيائين، والصواب بواحدة، وينظر تعليقي على (ص٢٧٦).

وبعد ذكره[1] خرافات كثيرة رواها عن شيوخ التبليغ؛ ذكر أن محمد زكريا الكندهلوي، الذي يسمَّى مُحدِّثًا عند الحنفيين الديوبنديين، والحقيقة أنه مُحْدِث -بسكون (الحاء) وكسر (الدال)-، إذ كيف تجتمع طرائق التصوف الأربع: الچشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية، وبدعة التقليد، وما فيه من الشرك، مع العلم والعمل بحديث النبي ﷺ؟! يضاف إلى ذلك ما ذكره محمد أسلم أنه كان يكتب التمائم، وقد قال النبي ﷺ: «التَّمَائِمُ شِرْكٌ»[2].

وقد جاءت أحاديث على أن كاتبَ التَّمائم ومعلِّقها مشرك[3] ولو كانت

---

(١) أي: محمد أسلم الباكستاني في كتابه «جماعة التبليغ» (٣٢ - ٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في تعليق التمائم (٤/ ٦) رقم (٣٨٨٣)، وابن ماجه في كتاب الطب، باب تعليق التمائم (٢/ ١٦٦٦-١٦٦٧) رقم (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١)، وأبو يعلى (٥٢٠٨) في «مسنديهما»، وابن حبان رقم (١٤١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» رقم (١٠٥٠٣)، و«الأوسط» (١٤٤٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/ ١٥٦-١٥٧) رقم (٣٢٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤١٧-٤١٨)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

قال أبو عبيدة: ليس كذلك، ففيه أحمد بن أبي شعيب لم يخرج له مسلم، ويحيى بن الجزار لم يخرج له البخاري.

وأخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٥٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٦٢ و٨٨٦٣) **موقوفًا** على ابن مسعود، **وله حكم الرفع**، كما هو مقرر في علم المصطلح.

والحديث بمجموع طرقه حسن -إن شاء الله تعالى-.

انظر لزامًا: «السلسلة الصحيحة» (٢٩٧٢)، وقارنه بما فيها رقم (٣٣١) -أيضًا-.

(٣) من مثل قوله ﷺ: **«مَن تعلَّق تَميمة فقد أشرك»**، وفي لفظ: **«مَن تعلَّق بتَميمة فلا أتمَّ الله له، ومَن تعلَّق وَدَعة فلا ودَعَ الله له»**.

أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤/ ٢٤٠، ٤٦٣)، وفي إسناده خالد بن عُبيد مجهول، إلا أنه توبع؛ **فالإسناد حسن**.

وأخرجه ابن وهب في «الجامع» (٦٦٢)، وابن عبدالحكم في «فتوح مصر» (٢٨٩)، وابن عدي (٦/ ٤٧٠)، والدولابي في «الكنى» (١٧٨٠)، والروياني (٢١٧)، والطحاوي (٤/ ٣٢٥)، وأبو يعلى (١٧٥٩)، وابن حبان (٦٠٨٦)، والطبراني في =

من القرآن(١).

○ تصرف الشيخ عبد القادر الراي بوري مرشد أبي الحسن الندوي في الكون بزعمه(٢):

زعم زكريا الكندهلوي أن الشيخ عبدالقادر المذكور كان يحبُّ أن يسمعَ منه القُرآن، فلم يتيسَّر له ذلك حتى مات.

قال زكريا: فذهبت إلى قبره(٣) لأقرأه عليه ليسمعه ميتًا، إذ لم يسمعه وهو حي، وكان جو تلك القرية التي دفن فيها عبدالقادر شديد الحر، لا يطاق حره، فصار جو هذا المكان معتدلًا لا برد فيه ولا حر لمدة ثلاثة أيام بتصرف الشيخ عبد القادر، فلما ختمت القرآن وانصرفت عاد حارًّا كما كان(٤).

قال محمد تقي الدين: هذا كلام فيه كفر وضلال!

= «الكبير» (١٧/ رقم ٢٨٠)، وفي «مسند الشاميين» (٢٣٤) وابن عبدالبر في «التمهيد» (١٧/ ١٦٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٣٥٠)، وقال في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٥): «ورجالهم ثقات»، وجوَّد إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٢٤٤ - بعنايتي).

و(التميمة): خرزة، و(الوَدَعَة): شيء يخرج من البحر كالصدف.

والجهال يعلِّقون ذلك زعمًا منهم أنه يحفظ من العَيْن، وغيرها من الشرور، وقول النبي ﷺ: «**فلا أتمَّ الله لَهُ**» دعاء عليه أنْ لا يبلِّغه الله مُراده، وقوله: «**فلا وَدَعَ الله لَهُ**» أي: فلا جعله في دَعَة وسكون، أو فلا ترك له شيئًا يحبه.

انظر: «الإلهام والإنعام في تفسير سورة الأنعام» (ص٥٩)، «سبيل الرشاد» (١/ ٥٦٦ - بتحقيقي)، «شرح كتاب التوحيد» (٢٢٢ - ٢٢٧، بتحقيقي)، كتابي «رسائل الهلالي الشخصية» (٢/ ٥٦٧ - ٥٦٩، ط الأولى).

(١) روى وكيع عن إبراهيم النخعي، قال: «كانوا -يعني الصحابة والتابعين- يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن»، انظر: «العيون الزلالية» (٧٤٦ - ٧٤٨) وتخريجي له، والمسألة فيها خلاف بين السلف، والكراهة غير الشرك، فتنبَّه!

(٢) «حياة محمد يوسف» (ص١٠٠). (منه)

(٣) في قرية (دهييان في سر جودها - باكستان)، انظر: «جماعة التبليغ» (٣٤).

(٤) «جماعة التبليغ» (٣٤) لمحمد أسلم.

فأمّا الضلال: فقراءة القرآن عند القبر.

قالَ الحافظُ ابن كثير[(١)] في تَفسير قَوله -تعالى-: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ من (سورة النجم: ٣٩): «ومِن هذهِ الآيةِ استنبطَ الشّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ومَن اتبعهُ: أنَّ القراءة لا يَصل ثواب إهدائها إلى المَوتى؛ لأنّه ليسَ مِن عَملهم ولا كَسبهم، ولهذا لم يَندب إليهِ رَسولُ الله ﷺ أُمتَه، ولا حَثهم عليهِ، ولا أرشدهم إليه بنصٍّ ولا إيماء، ولم يُنقل ذلكَ عن أحدٍ مِن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٢)]، ولو كانَ خَيرًا لسَبقونا إليهِ، وباب القربات يُقتصر فيهِ على النصوص، ولا يُتصرفُ فيهِ بأنواع الأقيسةِ والآراءِ.

فأما الدُّعاءُ والصَّدقةُ: فذانك مُجمعٌ على وصولهما، ومَنصوصٌ مِن الشّارع عَليهما».

وأما الكفر: فزعمه أن عبد القادر تصرف في الجو؛ فجعله باردًا لمدة ثلاثة أيام.

ومن سخافات زكريا وجهله: أنه أوصى رجلًا متوجِّهًا إلى مدينة الرسول ﷺ فقال له: إذا وصلتَ إلى النبي ﷺ فقل له: يسلِّمُ عليكَ كلبٌ هندي[(٣)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٦٥).

(٢) نُقل، ولكنه لم يصح البتة، مثل: ما أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٤٤) رقم (١٣٦١٣)، والديلمي في «الفردوس» (١/ ٢٨٤) رقم (١١١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٨٨٥٤)، والخلال في «القراءة عند القبور» (ورقة٢٥/ ب)، و«الأمر بالمعروف» (ص١٢٤) من حديث ابن عمر رفعه: «**إذا مات أحدكم فلا تجلسوا، وأسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة، وعند رجليه بخاتمتها في قبره**».
قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٤٤): «فيه يحيى بن عبدالله البابلتي، وهو ضعيف».
قلت: أعله بالأدنى، وفيه شر مِن يحيى، وهو أيوب بن نهيك.
قال الأزدي: متروك. وقال أبو زرعة: منكر الحديث.
وهكذا سائر ما ورد في الباب.
وانظر: «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٣٧٠).

(٣) «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (ص٣٤).

والمؤمنُ لا يسمِّي نفسه كلبًا؛ لأن الله ضرب المثل بالكلب والحمار لمن أعطاه الله كتابه فلم يعمل به، فقال في (سورة الأعراف رقم الآية: ١٧٥-١٧٦): ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾.

وقال -تعالى- (في سورة الجمعة رقم الآية: ٥): ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾.

والنبي ﷺ ليس محبوسًا في قبره؛ لأن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترتع في الجنة حيث شاءت[١]، ولو كان النبي ﷺ محبوسًا في قبره -حاشاه من ذلك- لما سمع كلام الناس من وراء الحجرات، ولكن هؤلاء القوم ليس لهم دين، ولا عقل.

ثم ذكر محمد أسلم عن أهل التبليغ: أن بعض المتصوِّفة تذهب إليهم الكعبةُ لتزورهم[٢]، **والأحاديث** التي نقلها[٣] عنهم في زيارة قبر النبي كلها **مكذوبة.**

فإن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قبر النبي ﷺ في بيت ابنته عائشة، ولم يروَ عنه أنه زاره مرة، وعمر بن الخطاب كذلك، لم يستأذن عائشة في زيارة قبر النبي قطُّ، إلا بعدما طعن وأيقن بالموت، فبعث إليها يستأذنها أن يدفن مع

---

(١) انظر تخريجه فيما تقدم (ص٣٧٥).

(٢) هذا مذكور في «فضائل حج» (ص١٠٠) للشيخ زكريا.

(٣) محمد أسلم في «جماعة التبليغ» (ص٣٥)، مثل: **«من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي»** و**«من زار قبري، فكأنه زارني في حياتي»** و**«من جاء لزيارة قبري، ولم ينوِ سواه شيئًا؛ وجبت له شفاعتي»** و**«من حج ولم يزرني فقد ظلمني»**، وهي مذكورة بهذه الألفاظ في «فضائل حج» (ص١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٥) للشيخ زكريا.
وانظر في عدم ثبوتها: «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٤٣١ - ٤٤٠، بتحقيقي) لأبي بكر الدِّينوري.

صاحبيه[١]، ولا فعل ذلك عثمان، ولا علي.

وروي عن بعض صغار الصحابة كعبد الله بن عمر أنه كان يريد زيارة قبر أبيه إذا قدم من سفر، فيأتي إلى الحُجرة النبوية فيقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتي[٢].

وعمل الخلفاء الراشدين أفضل من عمله.

وأما ما نسبهُ[٣] إلى سعيد بن منصور عن سُلَيمان بن سُحَيم أنه زار النَّبيَّ ﷺ في المنام، فسأله: هل تعرف الذين يحضرون في خدمتك، ويسلِّمون عليكَ؟

فقال النبي ﷺ: نعم أعلمهم، وأردُّ عليهم السَّلام.

فإن الرؤيا في المنام لا تصلح لأخذ الأحكام منها[٤].

وفي حديث البخاري[٥] أنَّ النبي ﷺ قال: **«لَيُرْفَعَنَّ أقوامٌ منكم إليَّ وأَنَا عَلَى الحَوْضِ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: إلى أين؟ فيُقال: إلى النَّار. فَأَقُولُ:**

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٢) من حديث عمرو بن ميمون الأودي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٢٨) من طريق عبيدالله بن عمر عن نافع، وأخرجه عبدالرزَّاق (٣/ ٥٧٦) من طريق أيُّوب عن نافع، وانظره في: «الموطَّأ» (٢٤٤ - رواية يحيى و٥٠٦ -رواية أبي مصعب وص١٤٥ -رواية سويد وص٣٣٤ -رواية محمَّد ابن الحسن)، و«فضل الصَّلاة على النَّبي ﷺ» (٩٨) للقاضي إسماعيل.

ووقع ليحيى بن يحيى (الراوي عن الإمام مالك) وهم فيه، انظره في: «جلاء الأفهام» لابن القيِّم (ص ٥٦١ - ٥٦٢، ٦٤٩، ٦٥٨ - ٦٦١ - ط الأولى) وتعليقي عليه، «التتبع لأوهام يحيى بن يحيى الليثي في روايته لموطأ الإمام مالك» (ص١٤٢ - ١٤٥) لفضيلة الشيخ عبدالسلام بن محمد الشويعر.

(٣) أي: زكريا الكاندهلوي في «فضائل حج» (ص١١٣)، ونقله بواسطة «إتحاف السادة المتقين» (٤/ ٤١٩).

(٤) فصلتُ في هذا -غايةً- في (المقدمة السابعة: في حكم الاستناد إلى المنامات في أخذ الأحكام الشرعية) (ص٢٤٧ - ٢٨٢) من كتابي «المقدمات الممهدات في تفسير الرؤى والمنامات» فإنه (مهم).

(٥) رواه البخاري (٦٥٨٣، ٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أي رَبِّي! أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ! إِنَّهُم بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا...» الحديث.

فالنبي ﷺ لا يعلم ما تفعله أمته بعد وفاته، ولا قبلها، إلا إذا كان يشاهده، إذ لا يعلم الغيب إلا الله.

قوله[1]: «وقد ثبت السفر من الصحابة والتابعين لزيارة قبر النبي ﷺ».

باطل للحديث الصحيح المرفوع، قال رسول الله ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ مَسْجِدِي هذا، والمَسْجِدِ الحَرَامِ، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى»[2].

وفي «كتاب التوحيد» وشروحه من الأدلة على هذا ما يشفي ويكفي[3].

وأما عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ[4]، فهو أعقل وأعلم وأتقى لله من أن يبعث

---

(١) يريد الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في «فضائل حج» (ص١١٦).

(٢) رواه البخاري (١١٩٧) في (كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة): باب مسجد بيت المقدس، و(١٩٩٥) في (كتاب الصوم): باب صوم يوم النحر، ومسلم (٨٢٧) (٤١٥) في (كتاب الحج): باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره.

(٣) انظر منها: «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٥٧)، «شرح التوحيد» (٣٤٨، ٣٥٣، ٣٦٣ - بتحقيقي) للمصنف.

(٤) يشير إلى ما قاله الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في «فضائل حج» (ص١١٧): «تعددت الروايات عن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يرسل الركاب دائمًا؛ ليواصلوا سلامه على قبر النبي ﷺ»، «شفاء السقام».

قال أبو عبيدة: عبارة التقي السبكي في «شفاء السقام» (١٤٢): «وقد استفاض عن عمر بن عبدالعزيز أنه كان يبْرِد البريد من الشام، يقول: سلِّم لي على رسول الله ﷺ. وممن ذكر ذلك: ابنُ الجوزي، ونقلته من خطه في كتاب «مثير العزم الساكن»، وقد ضبطه بإسكان الباء الموحدة وكسر الراء المخففة، وهو كذلك، يقال: أبرد فهو مبرد. ثم ذكر -أيضًا- الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل -ووفاته سنة سبع وثمانين ومائتين- في «مناسك» له لطيفة، جردها من الأسانيد، ملتزمًا فيها الثبوت؛ قال فيها: وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصدًا من الشام إلى المدينة؛ ليقرئ النبي ﷺ السلام ثم يرجع، وهذه «المناسك» رواية شيخنا الدمياطي. ثم ذكر إسناد شيخه إلى ابن أبي عاصم وقال: ورسول عمر بن عبد العزيز في زمن=

= صدر التابعين من الشام إلى المدينة؛ لم يكن إلا للزيارة والسلام على النبي ﷺ، ولم يكن الباعث على السفر غير ذلك، لا من أمر الدنيا، ولا من أمر الدين، لا من قصد المسجد، ولا من غيره» انتهى كلام المعترض.

والجواب من وجوه:

أحدهما: المطالبة بصحة الإسناد إلى عمربن عبد العزيز، ولم يذكر المعترض الإسناد في ذلك إلى عمر لينظر فيه: هل هو صحيح أم لا؟ وكأنه لم يظفر به، فإنه لو ظفر به ووقف عليه؛ لبادر إلى ذكره، ولو كان إسنادًا ضعيفًا -كما هي عادته-.

الوجه الثاني: إن ما نقل عن عمر بن عبد العزيز من إبراده البريد من الشام قاصدًا إلى المدينة لمجرد الزيارة؛ **ليس بصحيح عنه**؛ بل في إسناده عنه ضعف وانقطاع، وأمثل ما روي عنه في ذلك: ما ذكره البيهقي في كتاب «شعب الإيمان» (رقم ٣٨٧٠)؛ فقال: حدثنا أبو سعيد بن أبي عمرو، أنبأنا أبو عبد الله الصفار، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثني إسحاق بن أبي حاتم المدائني، حدثنا ابن أبي فديك، عن رباح بن أبي بشير، عن يزيد بن أبي سعيد مولى المهري؛ قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز إذ كان خليفة بالشام، فلما ودعته؛ قال: إن لي إليك حاجة؛ إذا أتيتَ المدينةَ سترى قبر النبي ﷺ فأقرئه مني السلام.

هذا أجود ما روي عن عمر بن عبد العزيز في هذا الباب، مع أن في ثبوته عنه نظرًا! فإن رباح بن أبي بشير شيخ مجهول، لم يروِ عنه غير ابن أبي فديك، ولو فرض أنه شيخ معروف ثقة؛ فليس في روايته ذكر إبراد البريد لمجرد الزيارة، وإنما فيها إرسال السلام مع بعض من قدم على عمر من أهل المدينة، فإن يزيد بن أبي سعيد مولى المهري؛ هو من أهل المدينة، وكان قدم منها إلى الشام على عمر بن عبد العزيز، فلما ودَّعه وأراد الرجوع إلى بلده؛ قال له عمر: «سترى قبر النبي ﷺ فأقرئه مني السلام».

وقد عرف أن شيخ الإسلام لم يذكر نزاعًا في الجواب فيمن سافر إلى المدينة لحاجة، وزار عند قدومه، أو اجتمع في سفره قصد الزيارة مع قصد آخر، وإنما ذكر الخلاف فيمن قصد مجرد القبر، ويزيد بن أبي سعيد قصد الرجوع إلى بلده المدينة، وانضم إلى ذلك قصد آخر، وليس هذا محل النزاع، وإنما الخلاف في شد الرحل وإعمال المطي إلى مجرد زيارة القبور.

وقول المعترض: «ورسول عمر بن العبد العزيز في زمن صدر التابعين من الشام إلى المدينة؛ لم يكن إلا للزيارة»؛ هو **مجرد دعوى عرية عن الدليل، فتقابل بالمنع والرد وعدم القبول**؛ بل إنما كان لها ولغيرها -كما قد بينا ذلك-، والله أعلم. =

....

= **فإن قيل**: ذكر البيهقي في آخر الأثر المذكور: أن عمر كان يبرد البريد؛ فإن فيه بعد قوله: «فأقرئه مني السلام»: قال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك: فحدَّث به عبد الله ابن جعفر؛ فقال: أخبرني فلان أن عمر كان يبرد إليه البريد من الشام.

فالجواب: إن هذا ليس بصحيح؛ **بل هو ضعيف منقطع**، وعبد الله بن جعفر محدث أبي فديك هو والد ابن المديني؛ وهو ضعيف غير محتج بخبره، قال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال النسائي: متروك الحديث. والمخبر لعبد الله بن جعفر رجل مبهم، وهو أسوأ حالًا من المجهول.

فإن قيل: قد روى البيهقي نحو هذا من وجه آخر؛ فقال: حدثنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أنبأنا إبراهيم بن فراس بمكة، حدثني محمد بن صالح الرازي، حدثنا زياد ابن يحيى، عن حاتم بن وردان؛ قال: «كان عمر بن عبد العزيز يوجه بالبريد قاصدًا إلى المدينة ليقرئ عنه النبي ﷺ السلام»، كذا رواه في «شعب الإيمان» (رقم٣٨٦٩)، وهذه الرواية هي التي ذكرها المعترض من «المناسك» لابن أبي عاصم بلا سند.

والجواب أن يقال: هذه رواية منقطعة غير ثابتة، وحاتم بن وردان شيخ من أهل البصرة، لم يلق عمر بن عبد العزيز، ولم يدركه؛ فروايته عنه مرسلة غير متصلة، وقد توفي عمر ابن عبد العزيز سنة إحدى ومئة، وكانت وفاة حاتم بن وردان سنة أربع وثمانين ومئة، وأكبر شيخ لحاتم: أيوب السختياني، وكانت وفاة أيوب سنة إحدى وثلاثين ومئة.

الوجه الثالث: إنه لو ثبت عن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يبرد البريد من الشام قاصدًا إلى المدينة لمجرد الزيارة والسلام؛ كان في فعله ذلك من جملة المجتهدين، ومن المعلوم أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد الخلفاء الراشدين، ومن كبار الأئمة المجتهدين، فإذا قال قولًا باجتهاده، وفعل فعلًا برأيه: فإن قام دليله، وظهرت حجته؛ تعيَّن المصير إليه والاعتماد عليه، وإلا؛ فهو ممن يحتج لقوله، ويستدل لفعله، وقد قال الله -تعالى-: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقد ذكرنا -فيما تقدم- عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يأتي إلى القبر للسلام عند القدوم من سفر، ومع هذا؛ فقد قال عبيد الله بن عمر العمري الكبير الثقة الثبت: **ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر**.

وقال شيخ الإسلام في أثناء كلامه في الصلاة والسلام على النبي ﷺ في كل مكان: «وأما السلام عليه عند القبر؛ فقد عرف أن الصحابة والتابعين المقيمين بالمدينة لم يكونوا يفعلونه إذا دخلوا المسجد وخرجوا منه»، إلى أن قال: «ولهذا كان أكثر السلف لا يفرقون بين الغرباء وأهل المدينة، ولا بين حال السفر وغيره، فإن استحباب =

السلام إلى قبر النبي ﷺ، وهذه الخرافة لم تكن في زمانه.

وحكاية الرفاعي وإنشاده البيتين المنسوبين إليه؛ وذلك قوله:

فِي حالَةِ البُعدِ رُوحِي كُنتُ أُرْسِلُها ... تُقَبِّلُ الأرضَ عنِّي وَهْيَ نائبتي

وهذهِ دَولةُ الأشباحِ قَد حَضَرَتْ ... فامدُدْ يَمينَكَ كَي تَحظى بها شَفَتي[1]

قالوا: فخرجتْ اليَدُ الشَّريفة حتى قبَّلها الرفاعي ثم رجعت.

كذب وبُهتان؛ فإنَّه لم يكن أحدٌ يُقبِّل الأرضَ بين يدي النبي ﷺ، ولا يرضى بذلك النبي ﷺ، وإنما يفعل ذلك بين يدي الجبابرة، ولم يكن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حياته يمدُّ يدَه إلى الناس يُقبِّلونها، فكيف ذلك بعد وفاته؟ فما أسْفَه عقول المشركين! يتمسَّكون بنسْج العنكبوت.

قال محمد تقي الدين: وقد أكثر شيوخ التبليغ كزكريا وغيره مِن سبِّ أبي الأعلى المودودي وجماعته[2]، وهي الجماعة الإسلامية في الهند وباكستان،

= هذا لهؤلاء، وكراهته لهؤلاء؛ حكم شرعي يفتقر إلى دليل شرعي، ولا يمكن أحدًا أن ينقل عن النبي ﷺ أنه شرع لأهل المدينة الإتيان عند الوداع للقبر، وشرع لهم ولغيرهم ذلك عند القدوم من سفر، وشرع للغرباء تكرير ذلك كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه، ولم يشرع ذلك لأهل المدينة، فمثل هذه الشريعة ليس منقولًا عن النبي ﷺ، ولا عن خلفائه، ولا هو معروف من عمل الصحابة، وإنما نقل عن ابن عمر السلام عند القدوم من السفر، وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة، كما كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حلَّ ونزل وعبر في السفر، وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك؛ بل أبوه عمر كان ينهى عن مثل ذلك، والله أعلم. قاله العلَّامة الشاب محمد بن عبدالهادي (ت٧٤٤هـ) في «الصارم المنكي في الرد على السبكي» (٢٤٤ - ٢٤٧).

(١) ذكر القصة مع البيتين: محمد زكريا الكاندهلوي في «فضائل حج» (١٥٠)، وينظر -لزامًا- (الملحق الأول) آخر الكتاب في التدليل على أن هذه خرافة.

(٢) قام الشيخ زكريا الكاندهلوي بنشر كتابه الذي صرَّح فيه أن حركة الجماعة الإسلامية فتنة وضلال، وقد نشر الطبعة الأولى منه باسم «الفتنة المودودية»، وظهرت الطبعة الثانية باسم «الجماعة الإسلامية لمحة تكفيرية» ولمحمد يوسف البنوري «الأستاذ المودودي شيء من حياته وأفكاره»، والسبب الرئيس أن المودودي لا يؤمن بتصوف أعلام جماعة التبليغ!

وجماعة التبليغ بالنسبة للجماعة الإسلامية كدودة أمام أسد، فالجماعة الإسلامية مجاهدة، توالي في الله، وتعادي في الله، وتدعو الكفار والمسلمين المنحرفين من أهل الهند إلى توحيد الله، واتباع الرسول(١)، وجماعة التبليغ توالي الحكومة الهندية الكافرة عدوة الإسلام، وتتودد لها بأنواع من التودد، وقد حبست حكومة الهند الكافرة المودودي ورجال جماعته سنين طويلة؛ لأنهم آذوها بجهادهم.

وأما أصحاب التبليغ: فهم عند حكومة الهند أبناؤها المقربون(٢)، وأحباؤها المفضلون، فشتَّان بين الجماعة الإسلامية، وجماعة التبليغ، فالفرق بين الجماعتين كالفرق بين السماء والأرض، والسب والشتم شيمة العاجز.

[من البسيط]

فَاليَوْم قَدْ بِتَّ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا ... فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ(٣)

ويحق للجماعة الإسلامية أن تنشد: [من البسيط]

اللهُ يَعْلَمُنِي واللهُ يَعْلَمُكُمْ ... واللهُ يَجْزِيكُمُ عَنِّي ويَجْزِينِي(٤)

وعلماء الهند وأشرافها ونبلاؤها، وعلماء باكستان وأشرافها ونبلاؤها: يرون الجماعة الإسلامية بالنسبة إلى التبليغيين كنجوم السماء مع الخنافس

---

(١) للهلالي كلام على «الجماعة الإسلامية» للمودودي، سيأتي في (الملحق الثاني) آخر هذا الكتاب.

(٢) انظر مبحث (علاقة الجماعة بالاستعمار الإنگليزي) من كتاب «جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية» (٨٠) وما زبرناه في مقدمة هذا الكتاب (ص٢٢٤).

(٣) بلا نسبة في: «الكامل» (٣/ ٣٠)، و«خزانة الأدب» (٥/ ١٢٣) -بلفظ: «فاليوم قرَّبت»-، و«إيضاح شواهد الإيضاح» (١/ ٣٨٥).

(٤) قاله ذو الأصبع العدواني في ابن عَمٍّ له كان ينافسه، انظر: «خزانة الأدب» (٧/ ١٨٤)، «شرح شواهد المغني» (١/ ٤٣١)، «الدر الفريد» (٢/ ٣٩)، «الممتع في صنعة الشعر» (٢٨٦) للقيرواني، «حماسة الخالديين - الأشباه والنظائر» (٨٢)، «أمالي القالي» (١/ ٢٥٦).

التي تدب على وجه الأرض، فرجال الجماعة الإسلامية هم نجوم السماء، وجماعة التبليغ خنافس تدبُّ على وجه الأرض في كل مكان، لا تنفع صديقًا للإسلام، ولا تضر عدوًّا له، بل هي صديقة لأعداء الإسلام في كل مكان: في الهند، وأوربا، وفلسطين، والبلاد الشيوعية[1].

ومن حكاياتهم السخيفة: إن الشيخ الملا جامي النحوي الطرقي الهندي أعدَّ قصائد مدح، يمدح بها النبي ﷺ، فعلم بذلك النبي ﷺ، فأمر أمير مكة أن يمنع الجامي من التوجه إلى المدينة، وإنشاد القصائد عند حجرة النبي ﷺ، لئلا يضطر النبي ﷺ عند سماع القصائد أن يخرج له يده؛ ليقبِّلَها[2].

قال محمد تقي الدين: وكفاهم خزيًا وعارًا أن يذكروا هذه الخرافات على أنها كرامات، وفي **كتبهم السخيفة:** أن النبي ﷺ يخرج من قبره، ويمر يديه على وجه حاج يأكل الربا، فينقلب سواد وجهه نورًا[3].

○ جماعة الخرافات:

يقول الشيخ سردار محمد الباكستاني الساكن بباب المجيدي مِن المدينة النبوية: وهذه تجربتي مع جماعة التبليغ -في مدة عشر سنين- ومشايخها وعلمائها، يقلِّدون أبا حنيفة تقليدًا أعمى، ويغلون معهم في الصلحاء الآخرين. إن كل ما صدر مِن أفواه المشايخ والعلماء يحمل على الخير ويؤوَّل، ولو كان ضد الكتاب والسنة صريحًا، وكل ما صدر من الذين لا يتعلقون بجماعتهم؛ فيدسون في أقوالهم، ويدخلون مِن أكاذيب الأقوال وافتراءاتها، ولا يجدون

---

(١) هذه العبارات أوهمت كثيرًا من الناس أن تقي الدين الهلالي يمدح الجماعة الإسلامية لأبي الأعلى المودودي بإطلاق، والأمر ليس كذلك، وسنكشف في (الملحق الثاني) في آخر هذا الكتاب عن موقف الهلالي من أبي الأعلى المودودي وجماعته، فانظره غير مأمور.

(٢) «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (٤١).

(٣) «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (٤١).

في أنفسهم أن يعطوا هذا المخالف المقام اللائق، ويحملوا قوله على النية الصادقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون على هذه الفكرة الخاطئة، وعلى هذا الفهم الضيق للإسلام، وعلى هذا التعصب المذهبي البغيض، ثم إنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

أصحاب جماعة التبليغ لا[(١)] يفرقون بين الدين والدنيا، والسياسة عندهم شجرة ممنوعة، (ومع هذا قاموا مع ذو الفقار علي بوتو[(٢)] في الانتخابات

---

(١) هكذا في جميع طبعات «السراج المنير»: «لا يفرقون»، والصواب حذف «لا»، ونقل تقي الدين الهلالي ما قبله وما بعده عن محمد أسلم في «جماعة التبليغ، عقيدتها وأفكار مشايخها» (٤٢)، وهي فيه دونها، وهو الصواب.

(٢) في جميع الطبعات: «بوهتو»! وهو ذو الفقار علي بوتو، رئيس وزراء باكستان، وزعيم حزب الشعب، ولد سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م لأب إقطاعي في السِّند، اسمه (شاه فواز)، دخل مدرسة الكاتدرائية (الكنيسة) في بومباي، ثم أكمل تعليمه في كاليفورنيا ولندن، وعاد ليمارس المحاماة.

وصرَّح الجنرال يحيى خان (رئيس باكستان) بأنه كان أحد المتآمرين في عملية الانفصال بين الباكستانيين، مستغلًا حرب باكستان مع الهند، وقد أسندت إليه رئاسة الوزراء إثر الانفصال، بين ١٩٧١ - ١٩٧٧م، ومن أقواله في مؤتمر صحفي: «إن السياسة لا تعرف الأخلاق، ولا الثبات على المبادئ»! في الخامس من تموز يوليو ١٩٧٧م قام الجيش الباكستاني بقيادة رئيس الأركان الجنرال محمد ضياء الحق بالاستيلاء على السلطة وعزل حكومة ذو الفقار علي بوتو، بعد أن فشلت في التوصل إلى حل للأزمة السياسية بالمحادثات التي أجرتها مع التحالف الوطني الباكستاني، وبعد أن قاد الأخير حركة احتجاج واسعة النطاق ضد تزوير الانتخابات العامة التي جرت في شهر آذار (مارس)، وكان يوسف لوري رئيس تحرير جريدة «فرونتر جارديان» الإنگليزية قد تقدم بطلب إلى المحكمة العليا في بيشاور عاصمة ولاية سرحاد ضد بوتو، وحمَّله مسؤولية انفصال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية، وضرب وتفكيك الجيش الباكستاني، كما تقدم رئيس المحامين ظفر علي شاه إلى قاضي محكمة منطقة روالبندي، حين حمَّل بوتو قتل ٧ أشخاص وجرح ٢٠٠ آخرين في مؤتمر الأحزاب في روالبندي عام ١٩٧٣م، وقد اعتقل في شهر رمضان ١٣٩٧هـ للتحقيق معه في قضية قتل، وذكر رشيد عزيز مساعد المدعي العام في البنجاب أمام =

الماضية في باكستان.

وتزعمُ جماعة التبليغ أنّ مَن مات ولم يبايع شيخ الطريقة مات ميتةً جاهليةً، وهذا ورد عن النبي ﷺ في خليفة المسلمين(١) الذي يجمع كلمتهم ويجاهد بهم في سبيل الله، ويحكم بشرع الله، ويأمر بالمعروف ويغير كل منكر بيده، وبأيدي أتباعه وعماله، أما مبايعة دجاجلة التصوف فهي كمبايعة إبليس).

قال محمد أسلم(٢): ومن طريقتهم أنهم يذكرون ذكرًا جهريًّا يخالف السنة حسبما أرشدهم الشيخ، ويرتكبون معصية الله أحيانًا في طاعة الشيخ -والعياذ بالله-، وقد تفوق محبة الشيخ على محبة الله، ومحبة الرسول ﷺ -والعياذ بالله-، ويخافون من سخط الشيخ وغضبه، كما يخاف من سخط الله، وسخط رسوله.

قال محمد أسلم: فهذه جماعة تبليغية حنفية، أشعرية، ماتردية، ديوبندية، چشتية، نقشبندية، سهروردية، قادرية.

= المحكمة أن اعترافات بالاشتراك في القتل قد أدلى بها خمسة من أعضاء قوة الأمن الاتحادية، وهي وحدة شبه عسكرية شكلها بوتو، وقد حكمت المحكمة العليا في لاهور بالموت على بوتو وأربعة من ضباط الأمن المتعاونين معه، واعتبرته «المجرم الرئيس» في القضية، وقالت: «إنه استخدم قوات الأمن الاتحادية لتحقيق أغراضه الشخصية، وللانتقام من شخص اعتبره عدوًّا له»، وقد تشفع له معظم زعماء العالم لتخفيف الحكم عليه دون فائدة، فنفذ فيه حكم الإعدام في ١٨ مارس (آذار)، وكانت تنتظره في المحكمة أربع عشرة جناية أخرى، وقد تجاوز عدد الذين قتلهم الألف في فترة حكمه، كما أنّ العدد الذي قام بسجنه قياسي، حيث تجاوز المئة ألف سجين، وأعدم في ٧ ربيع الأول سنة ١٣٩٩هـ - ٤ شباط (فبراير) سنة ١٩٧٩م.

ترجمته في: «تتمة الأعلام» (٣/ ١٩١).

(١) عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «**مَنْ كرِهَ مِنْ أَميرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩). وانظر ما قدّمناه عن البيعة في التعليق على (ص٣٦٠) و(ص٤٠٨).

(٢) في كتابه «جماعة التبليغ» (٤٢).

قال محمد أسلم[١]: قال الشيخ عبدالرحيم شاه؛ الذي كان من أقطاب جماعة التبليغ مدة من الزمان، ثم تاب إلى الله من طريقتهم وأخذ يوجه الانتقاد لهم، فمن جملة ما قاله فيهم: إن هذه الجماعة **يتصدى أفرادها للدعوة والتبليغ، وهم جهال بالعقائد، والأصول، والفروع، ومَن خرج منهم للسياحة مرة أو مرتين، نفخ الشيطان في أنفه، فيظن أنه بلغ أعلى الدرجات، ويحتقر العلماء، ويفتي بالجهل، ويصدر الأحكام جُزافًا، بلا دليل ولا برهان، فكلما ازداد الإنسان تعمُّقًا في جماعة التبليغ ازداد بُعدًا من علماء الكتاب والسنة.**

قال: فنقول لهم: «هل هذه السُّنة التي تزعمون أنكم عليها كانت متروكة عند الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، ولم يطلع عليها أحد غيركم؟ **فأهل هذه الجماعة يحصرون الدين، والعلم، والإيمان، في أنفسهم، والهدى والصلاح يرونهما وقفًا عليهم**»[٢].

○ اعتراف أحد أقطاب جماعة التبليغ بأخطاء جماعته:

هذا الرجل هو احتشام الحسن، زوج أخت محمد إلياس وخليفته الأول، ومعتمده الخاص، وقد قضى مدة طويلة من حياته في قيادة جماعة التبليغ ورفقة محمد إلياس الدهلوي، اسمعوا ما قال:

قال: إن الدعوة المنبثقة من مركز نظام الدين في دهلي **-حسب علمي وفهمي- ليست موافقة للكتاب والسنة، ولا لمنهج مجدد الألف الثاني، ولا الشاه ولي الله الدهلوي، والعلماء المحققين**[٣].

○ من أين أخذ محمد إلياس فكرة تأسيس جماعة التبليغ؟

قال محمد أسلم[٤]: نسبة هذه الجماعة مصدرها الشيخ الكبير محمد

---

(١) في «جماعة التبليغ» (٤٣). (٢) «أصول دعوة وتبليغ» (ص ٤٦). (منه)

(٣) نقلًا عن كتابه «نرند کی کی صراط مستقيم» بعنوان «تنبيه».

(٤) في «جماعة التبليغ» (ص٤٥ - ٤٦) بتصرف واختصار من المصنف.

سعيد النُّورِسِي الكردي(١) (ولد سنة ١٢٩٣هـ وتوفي سنة ١٣٧٩هـ)، وهو

---

(١) ولد سنة ١٢٩٣/ ١٨٧٦م في قرية (نُوْرَس) -فهو النُّوْرسي وليس النَّوْرسِي إذًا-، وتقع هذه القرية في جنوب شرقي تركيا، وهي من مناطق الأكراد، وكان معظّمًا لابن عربي الصوفي!

درس في الكُتَّاب، ثم انتقل من قرية إلى أخرى، ومن مركز إلى آخر ليدرس على المشايخ، وقرأ قراءة ذاتية مطولة، واستوعب كثيرًا من الكتب دراسة وحفظًا.

في سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م ذهب إلى بلدة (وان) ليدرس فيها كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ، وتضلَّع من العلوم حتى لقب ببديع الزمان، واعترف له العلماء بالتقدم والذكاء والمعرفة.

لَمَّا تولّى الهالك مصطفى كمال السلطة في تركيا ألغى السلطنة العثمانية في ١/ ١١/ ١٩٢٢م، ثم ألغى الخلافة في ٣/ ٣/ ١٩٢٤م، ومنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبُدلت الأرقام والحروف العربية إلى اللاتينية، وحُرِّم الأذان بالعربية وصار بالتركية، وحظر الحجاب، وحظر طبع الكتب الإسلامية، وأرغم الرجال على لبس القبعات، وأُسست محاكم لإرهاب الناس عامة والعلماء والدعاة خاصة، ونصبت المشانق، وساد البلاد خوف ورهبة، ونشط الصحفيون في نشر الأخلاق السيئة، والاستهزاء بالدين، وانتشر الإلحاد، وصارت البلاد في مهب الريح، وهنا نفي بديع الزمان -في جملة من نفي- إلى مناطق مختلفة، ثم نفي إلى (بارلا)، وهي منطقة نائية، وجرت له عدة محاكمات أظهر فيها صنوفًا من الثبات والقوة واليقين.

عكف في منفاه على كتاب الله -تعالى- يستمد منه المعالم الأساسية للمنهج الذي ارتضاه في حياته، وفي أثناء هذه القراءة المطولة انقدحت في ذهنه معاني كثيرة سطرها في ١٣٠ رسالة عرفت باسم (رسائل النور)، وكان يمليها على من يرافقه، ثم استنسخها طلابه بخط اليد إلى أن بلغ المستنسخ ست مئة ألف نسخة!! ولم تجد طريقها للمطابع إلا بعد سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

انتشر طلابه في تركيا، وانتشرت إثر ذلك دعوته في تركيا وأجزاء من العالم العربي والإسلامي في حياته وبعد وفاته، وصارت هناك مؤسسة تنشر أفكار الشيخ، وصار هناك مئات الآلاف من المتلمذين على رسائله، وعقدت مئات الندوات والمؤتمرات التي تناقش فكره.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في ٢٥ رمضان ١٣٧٩هـ-٢٣ مارس ١٩٦٠م، ودفن في مدينة (أورفة)، وبعد ٤ أشهر من وفاته نبشت السلطات قبره، ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة حتى الآن.

=

واضع هذه الأصول الستة التي اختارتها جماعة التبليغ، لا كما يزعمه التبليغيون أن صاحب الفكرة[1] هو الشيخ محمد إلياس، وتسمية جماعة التبليغ مساجد باسم النور مأخوذة من اسم هذا الشيخ النورسي الكردي، ولما أخذ محمد إلياس هذه الفكرة في المدينة النبوية ذهب بها إلى الهند ونشرها.

وقال الشيخ عامر عثماني رئيس تحرير مجلة «التجلي» الأردية:

○ أحد كبار علماء ديوبند ينتقد طرائق المتصوفة:

«والتصوف وإن أخذ بالاحتياط والاعتدال لا بد أن يأتي معه سحر المكاشفات وخوارق العادة، والأمور الغيبية، والتصرفات، ثم إذا اختلط بهذه الأمور اعتقاد المريدين في المشايخ، تراكمت الظلمات بعضها فوق بعض، حتى تكون هذه الأمور تحدِّيًا لأصول الشَّريعة، ومن هنا يضطر النُّقَّاد الذين عيارهم الكتاب والسنة إلى القول بأن التَّصوُّفَ سُكْرٌ، ومغنطةٌ، وعدوٌّ للشَّريعة، وفي الفكر الدِّيوبَنْدِي كثيرٌ من التقليد الأعمى، والتعصب المذهبي وهذا مرٌّ لكنه حقٌّ، وصواب مئة في المئة، وقد احتالوا على العوام بزعمهم أن شيوخهم محفوظون من الخطأ، يريدون بذلك أنهم معصومون، وقد تجنبوا لفظ العصمة لا معناها.

= أفرده بالتأليف جماعة من الباحثين، مثل: أورخان محمد علي في «سعيد النورسي، رجل القدر في حياة أمة»، ومحمد بن موسى الشريف في «الصفات التي أنضجت دعوة النورسي وفكره»، وعاصم الحسيني في «سيرة إمام مجدد، قبسات من حياة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي»، وعابد توفيق الهاشمي في «إخلاص الإمام بديع الزمان النورسي»، ونجم الدين شاهين في «ذكريات عن سعيد النورسي»، ومحسن عبدالحميد في «النورسي الرائد الإسلامي الكبير» وغيرهم.

(١) يزعم التبليغيون أن طريقتهم مأخوذة عن طريق إلهام الله للشيخ محمد إلياس، ووضَّح أثرَ دعوة النورسي في جماعة التبليغ: الشيخ سعيد رمضان البوطي في كتابه «حياة بديع الزمان وآثاره وإصلاحاته»، وانظر: «جماعة التبليغ» (٤٥) لمحمد أسلم، «نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية» (٤ - ٥) لسيف الرحمن أحمد.

قال[١]: ولا يريد مشايخنا الديوبنديون أن يعترفوا بأخطائهم، ولا يريد أحد منهم أن يتبرأ من هذه الخرافات التي في كتب مشايخهم، فأكابرنا يتيقَّنون أن الكمالات المنسوبة إلى مشايخهم من علم الغيب، واستجابة الدعاء، والتصرف في الكون، والروحانيات، والمكاشفات، والإلهام، عندهم حق وصدق قطعًا[٢].

---

(١) في «جماعة التبليغ» (٤٧).

(٢) مصيبة كبرى نزلت على المسلمين: هي انحطاط التصوف علمًا وعملًا، وامتزاج جوهره الطاهر بكدورة جهلة وفسقة، وقيام حكومة الزوايا والخوانق مكان أهل الصلاح والطهارة، وبدأ هذا بنحو اليوم، وبالخصوص في ديار مصر والشام، التي كانت مأمنًا وملجأ لبقيّة السلف من المسلمين، فاستتبَّت سلطة الخوانق الرسمية وأهل الخرق، فمن الذي يستطيع أن يواجه فرقة في قبضتها اليوم سلطان العصر وجماعة العوام؟ انظر: «التذكرة» (٤٦٨) لعلَّامة الهند أبي كلام آزاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

خاتمة لمؤلف هذا الكتاب

ختم القائد محمد أسلم -جزاه الله عن الأمة الإسلامية خيرًا- بما كشف من مُخَبَّآت طائفة التبليغ؛ ليحاسب نفسه مَن أراد الله به خيرًا منهم، وأكثرهم لا يريدون إلا الخير، ولكنهم لم يجدوا مَنْ ينبِّههم عليه، وأما **رؤساؤهم في الهند**[1] **فعندهم موانع قويَّة من قبول النصيحة**، وجمود وتقليد شديد، وعصبية لا يكاد يخرق سورها منهم إلا من سبقت له الحسنى، **والواجب على كلِّ مسلم أن يتعلَّم توحيد الله بأنواعه الأربعة**[2]: **توحيد الربوبية، وتوحيد العبادة، وهما متلازمان لا يُقبل أحدُهما بدون الآخر**.

فتوحيد الربوبية: أن تعلم وتعتقد بأنَّ الذي أوجدك من العدم، وأفاض عليك النِّعم، وحفظ عليك وجودك، وأمدَّك بكلِّ ما تحتاج إليه، وبيده حياتُك، وموتك، وضرك، ونفعك، وفلاحك، وإخفاقك: هو الله رب العالمين، لا شريك له لا مِن الملائكة ولا مِن الأنبياء ولا مِن الصالحين.

وتوحيد الألوهية: ويسمى -أيضًا- توحيدَ العبادة، وهو القسم الثاني: ألَّا تدعوَ لجلب خير، أو دفع شر، إلا الله، ولا تستغيثَ في الشدائد إلا بالله، ولا تذبحَ بقصد التعظيم إلا لله، ولا تنذرَ نذرًا إلا لله، ولا تحلفَ إلا بالله، ولا تتبعَ

(١) وغيرها، فالتعصُّب يعمي، ويحول دون رؤية الحقائق الواضحة، ولا قوة إلا بالله!

(٢) أقام المصنف على هذه الأنواع تفسيره البديع «سبيل الرشاد»، وكان ديدنه أينما رحل وحل، وضمنها في كثير من مقالاته وإرشاداته، وهي موضوع حديثه في حفلة تأبين علال الفاسي، وأصرَّ على إتمام كلمته مع معارضة الحاضرين! في حادثة بسطناها فيما تقدم (ص١٤١).

في الدين إلا ما أنزل الله في الكتاب والسنة، ولا تحكمَ أو تحاكمَ إلا إلى شرع الله، ولا تطلبَ الهداية إلا من الله، ولا تعملَ عملًا تريد به ثواب الله إلا لله، ولا تتوكلَ في جميع أمورك إلا على الله، ولا تواليَ أو تعاديَ(١) إلا في الله، ولا تحبَّ أو تبغضَ إلا في الله، إلى غير ذلك من أنواع العبادة.

وأدلة توحيد الربوبية كثيرة:

منها: قوله -تعالى- في سورة الأعراف (رقم الآية: ٥٤): ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

وأدلة توحيد العبادة كثيرة:

منها: قوله -تعالى-: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ١ - ٣].

فسمَّاهم الله كاذبين وكَفَّارين، أي: شديدي الكفر.

النوع الثالث من أنواع التوحيد:

توحيد الأسماء والصفات: وهو أن تصفَ اللهَ بما وَصف به نفسَه في كتابه، وبما وصفه به رسولُه ﷺ، وعلامةُ ذلك: أننا نقول لأبنائنا وتلاميذنا كما قال النبي ﷺ للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**»(٢).

---

(١) في الأصل: «ولا توالِ أو تعادِ».

(٢) قطعة من حديث رواه مسلم في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة): باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة، رقم (٥٣٧) بعد (٣٣)، من حديث معاوية ابن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تكلمت عنه وعن طرقه بتفصيل وإسهاب، انظر: «إعلام الموقعين» (٤/ ٧٠- ٧٣، بتحقيقي)، «الموافقات» (١/ ٦٠- ٦٤، بتحقيقي).

ونأمرهم أن يجيبوا بما أجابت به الجارية؛ فيرفعوا أصابعهم إلى السماء فيقولون: هو في السماء، فوقَ عرشه، المجيدُ بذاته، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، يتكلم إذا شاء، ومِن كلامه: القرآنُ، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وما أنزل الله على كل نبي ورسول، بحرف وصوت، وينزل إلى سماء الدنيا، ولا نقول: كيف ينزل؟ ولا كيف استوى؟ ويحب التوابين، ويبغض الكافرين، ويجيء يوم القيامة لفصل القضاء، ويضحك كما يليق بجلاله وكماله.

ولا ننتسب إلى أي فِرقة مِن فِرق المتكلِّمين، ولا إلى أي مذهب من مذاهب المتفرِّقين، ونتَّبع في العقائد أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين، والأئمة المجتهدين، ومنهم: إمام أهل السنة في زمانه الذي ابتُلي فصبر، أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ.

أما في الفروع فنتبع ما جاء عن الله ورسوله بدون تقيد بمذهب ولا فِرقة.

النوع الرابع: توحيد الاتباع.

ودليله: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ في (أول سورة الأعراف) [٣].

فهذه الأنواع الأربعة تدلُّ عليها: (لا إلهَ إلَّا اللهُ محمَّدٌ رسولُ الله)، مضى عليها السلف الصالح، وأخبرنا الصادق المصدوق: أنَّ طائفة مِن أمّة الاستجابة لا تزال ثابتة على هذه الأصول، لا يضرهم مَن خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله[1]، أي: حتى يبعث الله -تعالى- ريحًا تقبض روح كل مؤمن[2]، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق[3]، فمن طلب هذه الطائفة

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٩٣٧) في (كتاب الفتن وأشراط الساعة): باب ذكر الدجال وصفته وما معه، من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) قطعة من الحديث السابق.

بجدٍّ وإخلاص، وجدها في أنحاء الأرض، لا تختص ببلد دون بلد.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، واحفظنا مِن مكر الماكرين، واهدنا صراطك المستقيم، وثبِّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واختم لنا بالحسنى، يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ منه صباح يوم الثلاثاء الثالث شوال (سنة ١٣٩٨ هـ) بمدينة مكناس، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين[١].

(١) آخره، والحمد لله رب العالمين.

الملاحق

الملحق الأول
في بيان تصوف مؤسس جماعة التبليغ وأمرائهم[١]

إذا أراد الإنسان أن يتعرف على أي جماعة أو حركة، ويطلع على أفكارها وأغراضها ومقاصدها؛ فعليه أن يتعرف على أفكار مؤسس تلك الجماعة وقوادها، ويطلع على مراحل حياتهم.

وهذا مبحث فيه بيان جوانب من حياة مؤسسي جماعة التبليغ وأمرائها؛ لأن دراسة هذه الشخصيات تُجلِّي بوضوح أفكار جماعة التبليغ ومعتقداتها، وفَرْق بينهم وبين من أيَّدهم بغفلة وجهل، وهو على معتقد سليم، وكان الخير الذي بين جنباته من غيرهم لا منهم، افحص تجد!

○ الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ

مولده ونشأته:

هو الشيخ محمد إلياس الحنفي الديوبندي[٢] ....

(١) استفدته من أطروحة الماجستير التي قدمها الباحث الأستاذ محمد جنيد عبدالمجيد بعنوان «جماعة التبليغ في الهند، دراسة وتقويم» (١٣٤ - ١٨١) بتصرف (اختصار وزيادة)، وهي مقدمة لكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، سنة ١٤١٩ - ١٤٢٠هـ، بإشراف فضيلة الشيخ أحمد عبداللطيف آل عبداللطيف -حفظه الله تعالى-.

(٢) نسبة إلى دار العلوم ديوبند من مديرية سهارنفور بالهند، وهي أكبر مدرسة للحنفية في الهند، أسست عام ١٢٩٢هـ على الخطوط التي رسمها النبي ﷺ -حسب زعمهم- («مبشرات دار العلوم» ص٤٥)، ويزعمون أنه يأتي إليها مع خلفائه الأربعة لتدقيق حساباتها؛ كما ذكر الشيخ أشرف علي التهانوي في كتابه «حكايات أولياء» (٤٣٤ - ٤٣٥)، وينظر ما تقدم (ص٢٧٣).

الچشتي[(١)] الكاندهلوي[(٢)] ثم الدهلوي[(٣)] ابن محمد إسماعيل بن غلام حسين بن الحكيم كريم بخش، وينتهي نسب الشيخ محمد إلياس -كما ورد في بعض المصادر- من جهة أبيه وأمه- إلى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو صدِّيقي نسبًا.

ولد الشيخ محمد إلياس في كاندهلة سنة ١٣٠٣هـ يوافق ١٨٨٥م بين أخواله في أسرة دينية متصوفة، وسمي بـ(أختر إلياس) اسمًا تاريخيًّا[(٤)]، لكنه اشتهر بـ(محمد إلياس)، وترعرع في هذه البيئة، فكانت جدته من أمه الشهيرة بـ(أمي بي) تقول عنه وهو طفل صغير: «أجد فيه رائحة الصحابة»، وأحيانًا تضع يدها على ظهره وتقول: «ما لي أرى صور الصحابة تتحرك وتمشي معك؟»، مع أنها أصبحت عمياء لا تبصر في آخر حياتها، فتعرفه بمجرد رائحته، وأما الأطفال الآخرون؛ فلا تعرفهم إلا بالمساءلة[(٥)].

وهكذا كان يقول عنه شيخه محمود الحسن[(٦)] حينما رآه في الطفولة: «أجد فيه رائحة الصحابة»[(٧)].

---

(١) نسبة إلى الطريقة الصوفية الچشتية المنسوبة للشيخ معين الدين حسن السنجري الچشتي (ت٦٢٧هـ)، وجُعل قبره وثنًا يُعبد في بلدة أجمير -إحدى مدن الهند-، وهذه الطريقة منتشرة في بلاد الهند، ولها فروع شتَّى.

(٢) نسبة إلى موطنه كاندهلة من مديرية مظفر نگر بقرب دهلي من جهة الغرب الشمالي، انظر: «أوجز المسالك» (١/ ٦).

(٣) نسبة إلى دهلي عاصمة الهند.

(٤) «مولانا محمد إلياس أور أن كي ديني دعوت» (٤٨)، «تذكرت حضرت مولانا محمد يوسف» (٢٧)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٣٢)، «حيات خليل» (٢/ ٥٩٨)، «تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند» (٢/ ٤١٠)، وينظر ما علقناه على (ص.....).

(٥) «تبليغي تحريك كى ابتداء أور أس كى بنيادى أصول» (٢٣)، «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٥١).

(٦) هو محمود الحسن بن ذي الفقار علي الحنفي الديوبندي، أحد أعلام الحنفية وأساطين مذهبهم وأئمتهم في الفقه والتصوف، وسبقت ترجمته (ص......).

(٧) «تبليغي تحريك كى ابتداء أور أس كى بنيادى أصول» (٢٣).

وكان أبوه الشيخ محمد إسماعيل رجلًا صوفيًا، بايع الشيخ محمد يعقوب الدهلوي على الطريقة النقشبندية، وأخذ علومها من مولانا مظفر حسين، ومرة توجه إلى شيخ الطريقة رشيد أحمد الكنكوهي ليتعلم منه طريق السلوك، فقال الشيخ: لا حاجة لك إليها؛ فإنك وصلت إلى مرتبة الإحسان[١].

عاش الشيخ محمد إسماعيل في العزلة والغربة، مع اشتغاله بالذكر، والعبادة، وتلاوة القرآن وتعليمه، وخدمة المسافرين بقرية نظام الدين بدهلي[٢]، وكان يبايع الآخرين، مما أدى إلى استقامتهم وصلاحهم[٣].

توفي الشيخ بدهلي في ٤ شوال سنة ١٣١٥هـ يوافق ٢٦ فبراير ١٨٩٨م، ودفن في المقر الرئيسي التبليغي بنظام الدين دهلي.

يقول الشيخ محمد إلياس: «صلَّى الناس عليه عدة مرات لكثرة الازدحام، وحصل التأخير في دفنه، وأثناء ذلك رأى شيخ من أصحاب الإدراك أن الشيخ محمد إسماعيل يقول: ودِّعوني بالسرعة؛ فإني خجل جدًّا؛ لأنَّ النبي ﷺ مع صحابته في انتظاري»[٤].

أما والدة الشيخ محمد إلياس (بي صفية): فقد كانت عابدة زاهدة حافظة للقرآن الكريم، يذكر عن أورادها الأستاذ أبو الحسن النَّدْوي فيقول: إنها كانت تلتزم يوميًا مع الأشغال المنزلية بالأوراد التالية:

(الصلاة والسلام على النبي ﷺ) خمسة آلاف مرة.

---

(١) «أكابر علماء ديوبند أتباع شريعت كى روشنى مين» (ص٣٧) لمحمد زكريا الكاندهلوي.

(٢) «مولانا محمد إلياس أور أن كى ديني دعوت» (ص٤٤).

(٣) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (ص٥٨).

(٤) حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٤٧ - ٤٨)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (٦٣)، وينظر (ص٤٠٧).

أقول: هذا من القضايا الغيبية التي لا تُقبل إلا من المعصوم، ولو فتح باب الكشف والإدراك؛ لكثرت الدعاوى، وهذه الأمور تجد رواجًا في البيئات الصوفية.

لفظ الجلالة (الله) خمسة آلاف مرة.

البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) ألفًا وتسع مئة مرة.

(يا مغني) ألفًا ومئة مرة.

(لا إله إلا الله) ألفًا ومئتي مرة.

(يا حيُّ يا قيوم) مئتي مرة.

(حسبي الله ونعم الوكيل) خمس مئة مرة.

(سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر) مئتي مرة.

(الاستغفار) خمس مئة مرة.

(أفوض أمري إلى الله) مئة مرة.

(حسبنا الله ونعم الوكيل) مئة مرة.

(رب إني مغلوب فانتصر) مئة مرة.

(رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) مئة مرة.

(لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) مئة مرة.

ومع هذا كانت تتلو القرآن منزلًا منه يوميًّا[١].

وكانت تتلو القرآن كله وعشرة أجزاء زيادة عليه كل يوم في شهر رمضان المبارك، وعلى ذلك؛ فكانت تتلو القرآن في كل رمضان أربعين مرة، وذلك بجانب القيام لشؤون البيت ووظائفه[٢].

نشأ الشيخ محمد إلياس في مثل هذا الجو الديني الصوفي، وتلقى فيه

---

(١) «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (ص٥٠)، «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٢٣).

لعل الراوي بالغ في الأعداد، ويلاحظ -أيضًا- أن منها ما هو أوراد مبتدعة؛ مثل: وِرد لفظ الجلالة مفردًا لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه -رضي الله عنهم أجمعين-.

(٢) «الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي» (١٠)، «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٢٣).

تعاليمه الأولى، ودرس مبادئ العلوم في قريته، وحفظ القرآن الكريم عند أبيه[١].

رحلاته العلمية ومبايعته على الطرق الصوفية:

ارتحل الشيخ محمد إلياس مع أخيه الكبير الشيخ محمد يحيى إلى كنكوه في سنة ١٣١٤هـ، وهناك قرأ عليه معظم الكتب الدينية، وبدأ دراسة الحديث على يده، وكان يواظب أثناء قيامه هناك على حضور مجالس الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي[٢] ليلًا ونهارًا، واستفاد منه كثيرًا، كما بايع على يده على الطرق الصوفية الأربعة بالألفاظ التالية: «بايعت على رشيد أحمد في الأسرة الچشتية، النقشبندية[٣]، السهروردية[٤]، القادرية[٥]».

كان لهذه المجالس تأثير بالغ في حياة الشيخ محمد إلياس دينيًّا وروحيًّا[٦]، ولما توفي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي سنة ١٣٢٣هـ؛ تأثر قلب الشيخ محمد إلياس بهذه الحادثة المؤلمة كثيرًا، حتى قال: «ما أصابتني مصيبة إلا اثنتان: إحداهما وفاة الوالد، والأخرى وفاة الشيخ»[٧]، كما طرأ عليه حالة عجيبة، وزاد عليه السكوت والمراقبة، حتى لا يتكلم طول النهار إلا نادرًا كلمة أو

---

(١) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٣٣)، «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٥١).

(٢) سبقت ترجمته (ص٣٣٦).

(٣) نسبة إلى خواجة بهاء الدين بن محمد البخاري، وهي مليئة بالخرافات، ولها فروع شتَّى منتشرة في بلاد الهند وخراسان وغيرها.

(٤) نسبة إلى أبي حفص شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي، وهي -أيضًا- مليئة بالبدع والخرافات، «الديوبندية» (٢٤) نقلًا عن «الماتريدية» (١/ ١٧٥) لشمس الدين السلفي.

(٥) نسبة إلى الشيخ عبدالقادر بن أبي صالح موسى الجيلاني البغدادي (ت٥٦١هـ).

(٦) «أردو دائرة معارف إسلامية» (١٩/ ٣٧٤)، «مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٥٤)، «تذكرة الرشيد» (٢/ ٩٧).

(٧) «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٥٦ - ٥٧).

كلمتين، يتحدث عنه الشيخ محمد زكريا فيقول: «كانت عادته في ذلك الوقت أن يفرش حصيرًا عند قبر الشاه عبدالقدوس الكنكوهي[١]، ويجلس عليه على ركبتيه ساكتًا جدًّا، ثم يشتغل بالنوافل من بعد المغرب إلى العشاء»[٢].

ثم رحل إلى ديوبند سنة ١٣٢٦هـ، وجلس في حلقة دروس الشيخ محمود الحسن، وسمع منه «سنن الترمذي» و«صحيح البخاري»، ثم أتمَّ دراسة الحديث على أخيه الشيخ محمد يحيى في أربعة أشهر[٣].

وحينما حضر عند الشيخ محمود الحسن؛ أبدى رغبته لتجديد البيعة على يده، فأشار الشيخ عليه بالشيخ خليل أحمد السهارنفوري؛ فجدد البيعة على يده، وأتم منازل السلوك تحت إشرافه، حتى أصبح خليفة ونائبًا له، وصار مجازًا فيما بعد[٤].

واتصل في هذه الفترة بالمشايخ الديوبندية الآخرين؛ مثل: الشاه عبدالرحيم الرائيفوري[٥]، والشيخ أشرف علي التهانوي، واستفاد منهم علميًّا وتربويًّا[٦].

وكان يلتزم بأذكار الصوفية وأورادهم، ويبايع من يرغب في البيعة على يديه من ذويه وغيرهم، ويلزمهم -أيضًا- بأذكار الصوفية.

يتحدث عنه ختنه الشيخ محمد زكريا: «أنه كان من دأبه الذكر الجهري الچشتي المسمَّى بـ(التسبيح الاثني عشري) أحد عشر شهرًا في آخر الليل، وفي رمضان من العصر إلى المغرب؛ لأجل ما كان له أعمال أخر في آخر

---

(١) سبقت ترجمته (ص٣٣٨).

(٢) «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٥٨)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٣٥).

(٣) «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٥٧)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٣٥).

(٤) «حيات خليل» (٥٩٩)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٣٥).

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) «مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٥٩).

الليل برمضان، فيبدأ الذكر في الشهر المبارك بعد العصر، ويختم قبل المغرب بدقيقتين أو ثلاث»[(١)]، وداوم عليه إلى آخر حياته، بل كان يؤكد عليه مريديه من التبليغيين، وكما حثَّ عليه في إحدى رسالاته إلى كبار التبليغيين الميواتيين، أما الذي التزم هذا الذكر: أمره أن يقضي أربعين يومًا في رائيفور بزاوية عبدالقادر الرائيفوري[(٢)].

ويقول السيد محمد شاهد السهارنفوري: «إن الشيخ محمد إلياس واظب على الذكر الجهري إلى آخر حياته، **وكان يحثُّ ويؤكد عليه خدمه والمقيمين في المركز التبليغي**، وبالتالي حينما توفي؛ فكان هناك عشرون نفرًا في المركز يهتمون بهذا الذكر»[(٣)].

أما طريقة هذا الذكر؛ فقد بينها الشيخ محمد زكريا كما يقول: أن يجلس متوركًا بعد التهجد أو بعد الفجر طاهرًا متوجهًا إلى القِبلة، ويبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ويتوب، ثم يقول: «اللهم طهِّر قلبي عن غيرك، ونوِّر قلبي بنور معرفتك»، ثم يصلِّي على النبي ﷺ إحدى عشرة مرة، ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ [الإخلاص:١] ثلاث عشرة مرة، ويهدي ثوابها إلى مشايخ سلسلته، ويتصور لمحات أن الفيضان الإلهي ينزل في قلبه من قلب الشيخ، وقلبه في مقابل الشيخ، ومربوط به.

ثم يجلس متربعًا ويبدأ الذكر بلحن مترنم، يُميل رأسه إلى القلب قليلًا، ويمدُّ كلمة (لا) بالقوة من القلب، و(إله) على كتفه اليمنى، ويُميل رأسه إلى ظهره متصورًا أنه رمى كل ما سوى الله وراء ظهره، ثم يترك نفسه ويضرب ضربة لفظ (إلا الله) على قلبه.

---

(١) «أكابر علماء ديوبند» (٥٣).

(٢) «نسبت وإجازت محمد زكريا» (ص٤)، «ذكر واعتكاف كى أهميت» (١٢، ٥٢)، «مكاتيب حضرت مولانا محمد إلياس» (١٣٧).

(٣) «سوانح حضرت جى ثالث» (١/ ٦٥).

ويتصور أنه أدخل النور والعشق الإلهي في القلب، وهكذا يفعل النفي والإثبات مائتي مرة، وفي أثناء هذا يقول في القلب: «محمد رسول الله» بعد كل إحدى عشرة مرة، ثم يغمض عينيه في لمحة وأخرى، ويتصور أن الفيضان الإلهي ينزل من العرش في صدره.

ثم يضرب ضربة متعاقبة بـ(إلا الله) أربع مئة مرة على قلبه، ثم يتصور لمحة ولمحتين بورود الفيض، ثم يضيف باسم الذات (الله الله) بحيث يقرأ الهاء الأولى مضمومة والثانية ساكنة، ويغمض عينه ويميل رأسه إلى كتفه اليمنى، ويضرب كلتي الضربتين للفظ الجلالة (الله الله) على قلبه، ويقوم بها متتالية ست مئة مرة.

وأثناء هذا يقول أحيانًا: «الله حاضري، الله ناظري، الله معي»، وبعد ذلك يضرب بضربة لفظ الجلالة (الله) -بالهاء الساكنة- مائة مرة على قلبه.

ويعلِّم المرشد هذا الذكر مريده، بحيث يجلس المريد أمام المرشد؛ فيقوم به المرشد أولًا ثم الطالب.

وإذا حصل الخلل منه يقوم المرشد بإصلاحه، وبعد زمن إذا رغب المريد في إضافة الذكر، وتوجد عنده القوة الدماغية؛ فيضيف -بإجازة الشيخ- اسم الجلالة فقط ألف أو ثلاثة آلاف أو ستة آلاف مرة -كما قرَّره الشيخ-[(١)].

ويؤكد ذلك المفتي عزيز الرحمن صاحب كتاب «تذكرة محمد يوسف» فيقول: «إنَّ الشيخ محمد إلياس التزم هو بأذكار الصوفية، وأمر بها مريديه -أيضًا-».

فبايع الشيخ إنعام الحسن، والشيخ محمد يوسف سنة ١٩٣٥م، وأرشدهما بعد البيعة إلى الأنفاس القدسية[(٢)]، ثم وجه الشيخ محمد يوسف

---

(١) «صقالة القلوب» (٧٣ - ٧٤) ملخصًا.

(٢) الأنفاس القدسية: تتحقق بالتصاق اللسان في سقف الفم، والذكر بإخراج النفَس من الأنف على صورة لفظ (الله)، انظر: «صقالة القلوب» (٨٤).

إلى اسم الذات (لفظ الجلالة) ثلاثة آلاف مرة، والشيخ إنعام الحسن اثني عشر ألف مرة، وإضافة إلى ذلك كان يرغب في قراءة «الحزب الأعظم» و«حصن حصين» و«قصيدة البردة»(١).

ويقول الشيخ محمد ثاني حسني: أراد الناس أن يبايعوا على يد الشيخ محمد إلياس في مرض موته، **وحينما تمت الإجازة والخلافة للشيخ محمد يوسف؛ فحرَّر الشيخ محمد زكريا شهادة الإجازة والخلافة التي أعطاها الشيخ محمد إلياس لولده الشيخ محمد يوسف، فكتب فيه: «أنا أجيز هؤلاء للبيعة»، فأضاف فيها الشيخ محمد إلياس وأملى: «أنا أجيزها نيابة عن الرسول ﷺ»**(٢).

وتم تعيين الشيخ محمد إلياس للتدريس في مدرسة مظاهر العلوم التي كان يدرس فيها أخوه الشيخ محمد يحيى من قبل، وكان ذلك في سنة ١٣٢٨هـ.

واستمر في ذلك إلى أن توفي أخوه الشيخ محمد يحيى عام ١٣٣٤هـ(٣)، ثم توفي أخوه الأكبر من أمه الشيخ محمد عام ١٣٣٦هـ الذي كان يسكن مكان والده بعد وفاته بمسجد في قرية نظام الدين بدهلي.

وكان رجلًا تقيًّا متوكِّلًا وزاهدًا في الدنيا، وهو من تلامذة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، كان يدرِّس المواد الابتدائية في المدرسة التي أسسها والده بمسجد نظام الدين، وكان معظم الطلاب فيها من ميوات(٤).

وفي مرض موته حضر الشيخ محمد إلياس إلى دهلي لعيادة أخيه، وبقي

---

(١) «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٧٧ - ٧٨)، و«ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس» (٦٠)، وأحب أن أشير إلى خطورة ما في قصيدة البردة من الأبيات البدعية والشركية، وسبق التنويه عليها (ص٣٠٤، ٣٠٥).

(٢) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (١٩٦) ملخصًا.

(٣) «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٦١ - ٦٤)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (١٣٥).

(٤) هي منطقة في جنوب دهلي (عاصمة الهند).

حتى توفي أخوه ودُفن في جانب أبيه، وبعد ذلك أصرَّ المحبُّون والمعتقدون لهذه الأسرة، وعرضوا على الشيخ محمد إلياس أن يقيم هناك، ويقوم بأعمال والده وأخيه الفقيد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، ووعدوه بإعانة المدرسة ومصاريفها؛ فأبدى الشيخ رغبته، واستأذن من شيخه خليل أحمد السهارنفوري رئيس مدرسة مظاهر العلوم -آنذاك-، وأخذ منه الإجازة لمدة سنة، وانتقل إلى مدرسة نظام الدين بدهلي التي عرفت -فيما بعد- بـ(مدرسة كاشف العلوم).

وعانى الشيخ معاناة رهيبة في ذلك الوقت، وكان يغرق جل وقته في الرياضة الروحية التي اكتسبها وراثة، وقد تجلى هذا أثناء قيامه بنظام الدين؛ فكان يرغب في الخلوة والعزلة.

يروي عنه رفيقه الحاج عبدالرحمن[1] فيقول: «إنه كان يجلس في الخلوة قرب قبر عبدالرحيم خان خانان[2] وقبر السيد نور محمد بدايواني[3] ساعات

---

(١) ولد في أسرة هندوسية بميوات، وفي صغره رأى النبي ﷺ في المنام يأمره بالإسلام، فأسلم على يد الشيخ محمد بن محمد إسماعيل وقرأ عليه، وبايع على يد الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، ورافق الشيخ محمد إلياس في جميع أموره الدينية، وأسلم على يده جماعة من الناس، توفي عام ١٣٦٤هـ.
انظر: «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٧٠)، «حضرت مولانا إنعام الحسن» (٤٠٨).

(٢) هو مرزا عبدالرحيم بن بيرم خان اللاهوري ثم الدهلوي، ولد في لاهور وتربى في مهد السلطنة، وكان بطلًا وشجاعًا، خصَّه الملك أكبر بأنظار العناية والقبول، وكان من أهل التفنن في اللغات، نال منزلة في الإمارة لا يرام فوقها، لقبه الملك أكبر بـ(خان خانان) أي: أمير الأمراء، أما في العقائد والنظريات فكان متصوفًا، توفي في دهلي ١٠٣٦هـ ودفن قرب قبر نظام الدين، وما زال يُعبد ويُزار.
انظر: «نزهة الخواطر» (٥/ ٢١٦ - ٢١٧)، «أردو دائرة معارف إسلامية» (١٢/ ٨٨٥ - ٨٨٨).

(٣) هو نور محمد الحسيني النقشبندي البدايواني، أحد أعلام الصوفية في الهند، أخذ الطريقة عن الشيخ محمد محسن الدهلوي، والشيخ سيف الدين بن محمد معصوم السرهندي، واشتغل عليهما مدة طويلة حتى غلب عليه الاستغراق، وامتد إلى خمس=

طويلة، ويتغذى، ويصلي جميع الصلوات بالجماعة هناك؛ لأننا نذهب إليه ليصلي بالجماعة، والطلبة -أيضًا- يذهبون هناك -أحيانًا- ليأخذوا الدروس منه»[١].

واستشعر الشيخ محمد إلياس أنه لا يتم الإصلاح على نطاق واسع إلا بفتح الكتاتيب والمدارس في ميوات، لذا؛ اشترط عليهم أن لا تتم زيارته إلا أن يعِدوه بفتح الكتاتيب في قريتهم، وذهب الشيخ إلى ميوات، وطلب منه إيفاء عهدهم، وألحَّ عليه حتى تم فتح كتيبة بعد جهد جهيد، حتى نشأت في هذا السفر عشر كتاتيب.

وبعد مدة قصيرة وصلت هذه الكتاتيب إلى مئات يُدرَّس فيها القرآن الكريم وغيره من العلوم الابتدائية[٢].

وقد نجح الشيخ محمد إلياس في الحصول على العلماء والدعاة الذين تربَّوا على يد الشيخ أشرف علي التهانوي، **وكلَّفهم بالجولات الدينية في القرى والأرياف، فكانوا يجمعون الناس ويقومون بالنصح والإرشاد**[٣].

وإضافة إلى هذه الجهود المذكورة: قام الشيخ محمد إلياس في هذه الأسفار بحسم النزاعات والخصومات القديمة التي كانت منتشرة في القرى، وأصلح بين الفريقين، المتخاصمين بحل المشاكل والصراعات، وكان موفقًا بفضل الله -تعالى-.

= عشرة سنة، فكان لا يصحوا إلا في أوقات الصلوات، ثم أفاق، وكان غاية في الزهد والورع، توفي عام ١١٣٥هـ، بمدينة دهلي.
انظر: «نزهة الخواطر» (٦/ ٣٥٩).

(١) «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٧١)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٣٧).

(٢) «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (٨٤ - ٨٥).

(٣) «تبليغي تحريك كى ابتداء أور أس كى بنيادى أصول» (١٢)، «مين بهى حاضرتها وهان» (٧٧).

ومع هذا المجهود الذي بذله الشيخ محمد إلياس من إنشاء الكتاتيب ونشر التعليم الوعظ والإرشاد؛ توصل إلى نتيجة: أن الخطب أعظم من ذلك وأوسع، ورأى أن هذه الجهود لا تسد الفراغ وحاجات المجتمع، ولا يتحقق الغرض المطلوب، ولا بد من أخذ علاج آخر لهذا الداء المنتشر، ومن أساليب أخر لإصلاح الفرد والمجتمع.

واقتنع -أخيرًا- بأن التعليم -وحده- لا يكفي، فلا بد من الاتصال بطبقات الشعب على اختلافها، وهذه كانت نقطة تحول في حياته، وتأسيس جماعة التبليغ.

مذهبه وعقيدته:

من خلال حياته وسيرته يتضح للباحث أن الشيخ محمد إلياس كان حنفي المذهب، ديوبندي التلقي، ولا يخفى أن الديوبندية[1] تتبنى الفكر الأشعري والماتريدي.

---

(١) للاطلاع على معتقدات الديوبندية؛ انظر: «الديوبندية: تعريفها، عقائدها» للسيد طالب الرحمن، و«المهند على المفند» للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، شيخ ومرشد محمد إلياس الكاندهلوي، وهو محشو بمعتقدات بدعية، مثلًا يقول: «إنا -بحمد الله- ومشايخنا -رضوان الله عليهم أجمعين- وجميع طائفتنا وجماعتنا: مقلِّدون لقدوة الأنام وذروة الإسلام الإمام الهمام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان -رضي الله -تعالى- عنه في الفروع، ومتَّبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الاعتقاد والأصول، ومنتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية، المنسوبة إلى السادة النقشبندية، والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة الچشتية، وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة القادرية، وإلى الطريقة المرضية المنسوبة إلى السادة السهروردية -رضي الله عنهم أجمعين-» (ص٢٣ - ٢٤).

ويقول: «عندنا وعند مشايخنا: زيارة قبر سيد المرسلين من أعظم القربات، وأهم المثوبات، وأنجح لنيل الدرجات؛ بل قريبة من الواجبات، وإن كان حصوله بشد الرِّحال وبذل المهج والأموال، وينوي وقت الارتحال زيارته -عليه ألف ألف تحية وسلام-» (ص٢٨).

ويقول: «عندنا وعند مشايخنا يجوز التوسل في الدعوات بالأنبياء والصالحين من =

وأما من الناحية السلوكية:

فهو منخرط في التصوف؛ لأن البيئة المتصوفة التي نشأ فيها الشيخ محمد إلياس كان لها أثر كبير في أفكار الشيخ وسلوكه، وقد تسربت فيه عقائد وأفكار مشايخه الذين تتلمذ وبايع على أيديهم، لذا؛ نجد خللًا كبيرًا خلال دراسته العقدية والسلوكية، ومنه:

- الالتزام بالبيعة على مشايخ الطرق الأربعة: چشتية، نقشبندية، سهروردية، قادرية.

= الأولياء والشهداء الصديقين في حياتهم وبعد وفاتهم» (ص٣١).
ويقول: «عندنا وعند مشايخنا حضرة الرسالة ﷺ حيٌّ في قبره الشريف، وحياته ﷺ دنيوية من غير تكليف، وهي مختصة به -صلى الله عليه وسلم- وبجميع الأنبياء -صلوات الله عليهم- والشهداء، لا برزخية» (ص٣٢).
ويقول: «ليس هو -محمد بن عبد الوهاب- ولا أحد من أتباعه وشيعته من مشايخنا في سلسلة من سلاسل العلم من الفقه والحديث والتفسير والتصوف...» (ص٤٠).
والحقيقة أنَّ الكتاب المذكور «المهند على المفند» بما فيه من الأسئلة والأجوبة: تم تأليفه ردًّا على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته؛ كما نجد في بداية الكتاب العبارة التالية: «أيها العلماء الكرام والجهابذة العظام! قد نَسَب إلى سماحتكم الكريمة أناس عقائد الوهابية، وأتوا بأوراق ورسائل لا تُعرف معانيها لاختلاف اللسان؛ فنرجو أن تخبرونا بحقيقة الحال، ومرادات المقال، ونحن نسألكم عن أمور اشتهر فيها خلاف الوهابية عن أهل السنة والجماعة» (ص٢٢).
وإنَّ هذا الكتاب ليس مجرد رأي ومعتقدات السهارنفوري فحسب؛ وإنما هو عبارة عن معتقدات كافة كبار علماء ديوبند من القديم والجديد، أمثال: الشيخ محمود الحسن، والشيخ أشرف علي التهانوي والشاه عبدالرحيم الرائيفوري، والمفتي كفاية الله، والشيخ محمد يحيى السهارنفوري، والقاري محمد طيب، والشيخ محمد يوسف البنوري، وأمثالهم، حدود ستين عالمًا -رحمهم الله- الذين سجلوا توقيعاتهم على هذا الكتاب تصديقًا وتأكيدًا لما فيه، قائلين بكل صراحة: «إن جميع ما كتبه الشيخ السهارنفوري في هذا الكتاب حق وصواب، وإنَّ هذه هي معتقداتنا ومعتقدات مشايخنا».
يقول ناشر هذا الكتاب: «كأن «المهند» وثيقة تاريخية متفق عليها، احتفظ فيها المسلك الديوبندي كالأصول» (ص١٣).

- استخدام المصطلحات الصوفية في الوعظ والتذكير[١].
- الاشتغال بأشغال الصوفية من التسبيح الاثني عشري وغيره.
- الإجازة بقراءة «دلائل الخيرات» و«قصيدة البردة» وغيرها[٢].
- التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته، وبالأنبياء والصالحين.
- المراقبة عند القبور، وحصول الفيوض الباطنية.
- الاعتماد على المنام اعتمادًا كليًا في أمر الدين.

ويتضح أكثر وضوحًا بما سبق من ذكرنا نماذج من كتاب «تبليغي نصاب» أي: المقرر في منهج التبليغ، وقرره أمراء الجماعة على التبالغة، وهم متفقون على محتوياته، من غير نكير بينهم، ومن اعترض عليهم، مورست معه طريقتهم في الاحتواء والتسكيت، وهذا معايش معهم! ومشاهد منهم!

وفاته:

كان الشيخ محمد إلياس رجلًا نحيفًا ضعيف البنية، وقد أصيب في آخر حياته بمغص[٣]، فلم يزده إلا ضعفًا وهزلًا، ونظرًا إلى هذا؛ كتب قبل وفاته في ١٢ يوليو يوم الأربعاء إلى الشيخ محمد زكريا والشيخ عبد القادر الرائيفوري والشيخ ظفر أحمد العثماني: «بأنني أعتمد على بعض الأشخاص من عندنا، أرجو منكم أن تختاروا واحدًا منهم، وقولوا للذين يريدون البيعة مني: أن يبايعوا على يديه»، فتشاور هؤلاء فيما بينهم، واتفقت آراؤهم على الشيخ محمد يوسف الذي كان ممن رشحهم الشيخ محمد إلياس، فأخبروه بأن المولوي محمد يوسف أهل بذلك، **فقال الشيخ: «إذا أنتم اخترتموه؛ فالله يبارك فيه، وأنا أؤيده»**.

---

(١) «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (١٣٠).

(٢) انظر: «ملفوظات حضرت مولانا محمد إلياس» (٦٠)، «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٧٨)، «المهند» (٣٦).

(٣) المَغْص -بالتسكين-: تقطيع في المِعَى ووجع، والعامة تقول: مَغَص -بالتحريك-، انظر: «الصحاح» (٣/ ١٠٥٧).

وأضاف -أيضًا-: «كنت قلقًا مضطربًا؛ ولكن الآن اطمئن قلبي، **وسيستمر هذا العمل بعدي -إن شاء الله-**».

وفي منتصف الليل أصابته النوبة بالارتباك، ثم في آخر الليل طلب المولوي محمد يوسف والمولوي إكرام الحسن، وقال لولده محمد يوسف: «**تعال يا يوسف! والتصق بي وأنا ذاهب**»، وتوفي قبل أذان الفجر، وذلك في ٢١ رجب سنة ١٣٦٣هـ يوافق ١٤ يوليو سنة ١٩٤٤م.

وبعد صلاة الفجر تمت الخلافة للمولوي محمد يوسف في سيل الدموع، ولُفَّ رأسه بعمامة الشيخ محمد إلياس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصلَّى عليه الشيخ محمد زكريا في جمٍّ غفير، ودُفن بجنب أبيه وأخيه في ناحية المسجد الجنوبية الشرقية بنظام الدين بدهلي[1]، اللهم اغفر له وارحمه وتجاوز عن سيئاته؛ آمين.

○ الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي

مولده ونشأته:

هو الشيخ محمد يوسف بن الشيخ محمد إلياس (مؤسس الجماعة) الكاندهلوي، ولد يوم الأربعاء ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٥هـ المصادف ليوم ٢٠ مارس ١٩١٧م في كاندهلة، وسمَّاه والده بـ(محمد يوسف).

شهد منذ نعومة أظفاره أسرة دينية متصوفة، **فترعرع في هذا المحيط الديني الصوفي، وفي أحضان الأمهات العابدات الزاهدات، وبين عطف الشيوخ وعناية العلماء المتصوفين، مثل: الشيخ خليل أحمد السهارنفوري**[2].

---

(١) حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى دينى دعوت» (١٩٢ - ١٩٥) ملخصًا، «أردو دائرة معارف إسلامية» (٣٧٥)، «حيات خليل» (٦٠٢).

(٢) انظر: «مقدمة حياة الصحابة» (١/ ١٧ - ١٨)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٥٨)، «تذكرة حضرت جي مولانا محمد يوسف كاندهلوي» (٧٦)، «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف صاحب» (٤١).

رحلاته العلمية ومبايعته على الطرق الصوفية:

حفظ القرآن الكريم من الحافظ إمام خان الميواتي، وهو ابن عشر سنين[1]، ودرس التجويد على المقرئ معين الدين.

يقول محمد ثاني الحسني: إن الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الذي كان شيخ المشايخ ومرجع الخلائق في وقته، كانت له عناية خاصة بمحمد يوسف في تربيته وتهذيبه، والشيخ محمد يوسف يعامله كمعاملة الولد العزيز مع والده الشفوق الحنون؛ فكان يناديه بـ(أبي)[2].

تلقى العلوم الابتدائية على يد والده الشيخ محمد إلياس بمدرسة كاشف العلوم في نظام الدين بدهلي، فقد درَّسه الصرف، وحفَّظه «قصيدة البردة»، و«قصيدة بانت سعاد»، ودرس المواد الأخرى على الأساتذة الآخرين[3].

وبعدما تلقى العلوم الابتدائية التحق بمدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور، وأتمَّ دراسة الحديث الشريف على كبار شيوخ الحديث؛ كالشيخ عبد اللطيف مدير المدرسة الأسبق، والشيخ منظور أحمد خان، وأخيرًا الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ابن عمه الكبير الذي أشرف على توجيه الشيخ وتربيته.

وقد تخرَّج الشيخ محمد يوسف من المدرسة في سنة ١٣٥٤هـ، وكان ولوعًا بالعلم من أول عمره، فكان يقضي أكثر أوقاته في دراسة الكتب ومطالعتها[4]، وكان له شغف بتأليف الكتب، على الرغم من أشغال كثيرة من أعمال التبليغ وغيرها، ومن أهم مؤلفاته: «أماني الأحبار شرح معاني الآثار» للطحاوي، «حياة الصحابة».

---

(١) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٥٩)، «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٧٨).

(٢) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٥٩).

(٣) «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٧٨).

(٤) مقدمة «حياة الصحابة» (١/ ١٨).

كما قام بعد تخرجه بتدريس الحديث الشريف في مدرسة كاشف العلوم في نظام الدين بدهلي[١].

ولا يخفى أن البيئة التي ولد وترعرع فيها الشيخ محمد يوسف كان فيها رواج كبير للاتصال بالشيوخ والمبايعة على أيديهم، ولذلك؛ فإن أعضاء الأسرة -كلهم- كانوا يتصلون بالشيوخ والموجِّهين، ويأخذون عنهم العلم، ويبايعونهم[٢].

وحينما عرف عنه مرشده وحموه وابن عمه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي أنه لم يبايع إلى الآن من الشيخ محمد إلياس؛ قال: كنت أظن أنك بايعت على يد العم، فعلى كلٍّ لا تتأخر.

فالتمس الشيخ محمد يوسف من أبيه الشيخ محمد إلياس أن يبايعه؛ فلبَّى رغبته، واغتسل وبايعه بكل فرح وانبساط، وقال: «بارك الله، ومبارك إن شاء الله»[٣]، وكان ذلك سنة ١٩٣٥م، ثم أرشده بعد البيعة إلى الأنفاس القدسية، ووجهه إلى اسم الذات (لفظ الجلالة) ثلاثة آلاف مرة، وحثَّه على قراءة «الحزب الأعظم» و«حصن حصين»[٤]، ثم أصبح خليفة له في الطريقة، وكان يلتزم بالذكر الجهري الچشتي.

يؤكد ذلك ما يبينه الشيخ محمد زكريا من ارتباط الشيخ محمد يوسف بأشغال الصوفية والذكر الجهري الچشتي؛ فيقول: «إنَّ الشيخ محمد يوسف خلف الشيخ محمد إلياس في الإمارة، وكان له خليفة في الطريقة -أيضًا-، وحضوره في الزاوية الصوفية برائيفور وإشرافه على الذكر الجهري في المركز التبليغي بنظام الدين: من أكبر الشواهد على ذلك، وقد شاهدنا كثيرًا: أن

(١) «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٩٣).
(٢) مقدمة «حياة الصحابة» (١/ ١٨).
(٣) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٨١).
(٤) «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٧٨).

المسجد والغرفة العلوية الكبيرة بمركز نظام الدين كانت تضج بالذكر الجهري وقت التهجد في حياة الشيخ محمد يوسف»[١].

وإضافة إلى ذلك: كان له علاقة وطيدة بالمشايخ الصوفية الآخرين، وخاصة مع الشيخ حسين أحمد المدني، فكلما يسافر إلى سهارنفور يذهب إلى ديوبند لزيارته ذهابًا وإيابًا، ويجلس عنده بكل أدب واحترام، ويقيم عنده ليلة في الغالب، وكذلك الشيخ حسين أحمد المدني -أيضًا- يأنس به، ولذا؛ إذا شارك في الاجتماعات التبليغية، يسأل كل من يصافحه:

هل قدمت الأربعينة (چله) -يعني: مدة أربعين يومًا- أم لا؟ فإن كان جوابه في النفي؛ فيسجل له الأربعينة (چله).

وحينما توفي الشيخ حسين أحمد المدني؛ كان الشيخ محمد يوسف يطلب ممن يشارك في السياحة التبليغية أن يهدي ثواب خروجه في الأربعينة (چله) إلى روح الشيخ حسين أحمد المدني؛ بل ويطلب أن تكون النية من حين مقابلته، ولا تؤجل النية إلى حين الخروج؛ تأكيدًا وحرصًا على إهداء الثواب لشيخه حتى لا تتغير نية الخارجين[٢].

والشيخ محمد يوسف إذا أراد سفرًا مهمًّا؛ يرى زيارة كبار مشايخه أمرًا واجبًا، فكان يستأذن ويطلب الدعاء منهم، وكما كان يقوم بزيارتهم بعد الرجوع -أيضًا-.

وإذا رجع من السفر قدم لهم تقاريره، واستفاد من شفقتهم وعنايتهم، ومن هؤلاء الشيوخ: الشيخ محمد زكريا، والشيخ عبد القادر الرائيفوري، فكان يزوره من حين إلى آخر[٣].

---

(١) «ذكر واعتكاف كی أهميت» (٥٧).

(٢) «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٩٧)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٢٣٩).

(٣) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٣٧٢).

وكانت علاقته بمدرسة مظاهر العلوم ودار العلوم ديوبند علاقة وطيدة، ورابطة قوية؛ لأنَّ مدرسة مظاهر العلوم درس فيها الشيخ محمد يوسف، ثم صار مشرفًا عليها فيما بعد، كما درَّس فيها والده من قبل، ولذا؛ أساتذتها وطلابها كانوا يزورون مركز نظام الدين من البداية(١).

وأما دار العلوم ديوبند فكانت محببة لدي مشايخ الجماعة، ونظرًا لتوطيد العلاقات والروابط؛ كان يرسل الجماعات إلى ديوبند وسهارنفور **ليتشربوا أفكار مشايخها وعلمائها**(٢).

وكان لهذا المحيط الديني الصوفي أثر كبير في فكره وسلوكه وحياته العلمية والعملية، لذا؛ نجده يكثر استخدام المصطلحات الصوفية في المحاضرات حتى يصعب على المستمعين فهمها(٣)، كما نراه يبايع مريديه على الطريقة السائدة عند مشايخه بربط الأردية بعضها ببعض حتى تصل إلى مكان بعيد؛ نظرًا لكثرة المريدين الذين يبلغون المئات بل الآلاف، ويمسكها المبايعون كلهم صغارًا وكبارًا، ويبايعون به، وهكذا النساء يفعلن كما يفعل الرجال، وكن جمًّا غفيرًا يبايعنه ممسكات الأردية(٤).

وقد سبق بأن الشيخ محمد إلياس استخلف ولده الشيخ محمد يوسف قبل وفاته، **وفوَّض إليه أمانة الدعوة والتبليغ في ٢١ رجب سنة ١٣٦٣هـ.**

يتحدث عنه الشيخ محمد زكريا كيف أنه بعد أخذ الخلافة تقدم وسلك مدارج السالكين؛ فيقول:

«كان مملوكي فأضحى مالكي إن هذا من أعاجيب الزمن

---

(١) المرجع السابق (٣١٣).

(٢) «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٩٧)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٣٤٧).

(٣) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٢٥١).

(٤) المرجع السابق (٦٩٢ - ٦٩٣) ملخصًا.

... بعد وصال العم (الشيخ محمد إلياس) ارتقى وسار سيرًا إلى الأمام، اعتقدت أنا وحضرة الشيخ الرائيفوري (عبد القادر) -نور الله مرقده- أن النسبة الخاصة[1] من العم -نور الله مرقده- قد انتقلت إليه، وكنا نشاهدها في كل أمر، ونلاحظ ترقياته المستمرة منذ ذلك الحين، حتى حدثت فيه حالة من الحماسة والحدة بعد وصال حضرة المدني -قدس سرَّه-، واستطاع أن يعرب عما في نفسه بكل شجاعة، وبدون أدنى خوف أمام كل واحد كائنًا من كان، وما زال يرتقي، وبعد وصال الشيخ الرائيفوري -نور الله مرقده- ظهرت في كلامه ومحاضراته الأنوار والتجليات، ولا يبعد أن هذا نتيجة حب الشيخين للمرحوم وثمرة شفقتهما وعنايتهما الخاصة له...»[2].

ويؤكد على انتقال النسبة قائلًا: «بعد وفاة العم محمد إلياس حينما

---

(١) النسبة الخاصة: اصطلاح صوفي خاص يتحدث عنه الشيخ محمد زكريا فيقول: «إنَّ لدى الصوفية نسبة خاصة تنتقل عند انتقال الشيخ إلى الشخص الذي يكون بينهما أكثر نسبة اتحادية».

انظر: «آپ بيتی» (٤/ ١٢٤).

وتحدث عن نفسه فقال: «إن مرشدي -خليل أحمد السهارنفوري- حينما وضع العمامة على رأسي أحسست دخول شيء في نفسي، ففهمت من هذا لعل هذا هو انتقال النسبة».

انظر: «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٩٧).

ويقول محمد ثاني حسني مؤلف «سوانح محمد يوسف»: «انتقال النسبة اصطلاح عند أهل التصوف، وهذا يظهر -أحيانًا- بحيث يتعجب الإنسان ويتحيَّر عقله على هذا العطاء الرباني، فالذين يطالعون أحوال العلماء والمشايخ والصوفية يعرفون جيدًا أنهم يفوزون -في الغالب- بهذه الدرجة بعد مجاهدات كبيرة وإتعاب أنفسهم سنوات؛ فيكونون خلفاء مشايخهم الحقيقيين، لكن هذه النعمة العظمى قد يجدها الإنسان بطريقة وهبية، فهو يفوز بهذه الدرجة الرفيعة رغم تصورات الناس وأخيلتهم، وكان أمر الشيخ محمد يوسف من هذا النوع».

انظر: «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (١٩٧).

(٢) «حضرت جی كی يادگار تقريرين» (٨٩ - ٩١) لمنشي أنيس أحمد.

صلَّى بنا الشيخ محمد يوسف صلاة الصبح؛ جذب قلبي، وعرفت في حينه أن الشيخ محمد إلياس قد وهب النسبة الخاصة ولده، حيث طلبه قبل أن يغرغر إذ كان نائمًا، فقال له: «**يا يوسف ! تعال التصق بي فإني ذاهب**»؛ **فألقى نفسه على صدره، وفي تصوري أنه في ذلك الحين ألقيت عليه النسبة**»[١]، وكما كان والده مؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس يرابط ويراقب عند القبور؛ فالشيخ محمد يوسف سلك مسلك والده، فهو -أيضًا- كان يراقب القبور.

كما ذكر القائد محمد أسلم الباكستاني عن الشيخ محمد سردار الباكستاني -الساكن في باب المجيدي بالمدينة المنورة- أنه قال: ظللت في جماعة التبليغ عشر سنوات -تقريبًا-، وكثيرًا ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ في ذلك الوقت قريبًا من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في محطة نظام الدين مقر الجماعة بدهلي، فكنا نجلس حول قبره وقتًا طويلًا في حالة المراقبة ساتري الرؤوس.

وكان الشيخ محمد يوسف يقول: إن صاحب هذا القبر شيخنا محمد إلياس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به.

وكذلك كنا نجلس -أيضًا- على قبر الشيخ عبد الرحيم الرائيفوري في هيئة المراقبة، وكان الشيخ محمد يوسف يجلس مراقبًا عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات خلال إقامته في المدينة المنورة[٢].

مذهبه وعقيدته:

ومن خلال هذا العرض اتضح لنا **نشأة الشيخ في جو صوفي، متشبعًا بالأفكار الصوفية، وهو على وجه الإجمال كوالده مذهبًا ومشربًا واعتقادًا؛**

---

(١) «آپ بيتى» (٤/ ١٢٥).

(٢) «جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها» (٢٧)، وينظر ما تقدم من كلام تقي الدين الهلالي (ص٤٢٤).

فكان يعتقد بعقائد علماء ديوبند وسهارنفور، والمعتقدات التي يعتقدها على سبيل الإجمال.

منها ما يأتي:

- التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ بعد وفاته(١).
- المراقبة عند القبور والاستمداد بها.
- الاهتمام بالمبايعة الصوفية والأذكار المبتدعة.
- الاستدلال بالمنام في الأمور الدينية(٢).
- الحث والترغيب إلى التوكل وترك الأسباب(٣).
- الاعتقاد بأن النبي ﷺ رأى ذات الباري -تعالى- في المعراج كما رأى الجنة والنار(٤).

وفاته:

قام الشيخ برحلة طويلة إلى باكستان في ١٠ شوال سنة ١٣٨٤هـ المصادف ١٢ فبراير سنة ١٩٦٥م، وقد زار جميع المدن الكبرى في باكستان الغربية والشرقية(٥)، وعقد فيها اجتماعات كبرى، وقد لقي الشيخ في هذه الرحلة من التنقلات والخطابات واللقاءات المستمرة ما أتعب قلبه، وكلَّ خاطره، وأورثه السعال والحمَّى، وأخيرًا ألقى كلمة في حفل بلاهور على شدة مرضه وتعبه، وظل يعاني من الشدة والألم طول الليل.

وفي اليوم التالي -يوم الجمعة- نقل إلى المستشفى، ولكنه قبل أن يصل إليه توفي، وذلك في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٨٤هـ يوافق ٢ إبريل ١٩٦٥م، إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) «حضرت جى كى يادگار تقريرين» (٩٦ - ٩٧)، «فرمودات يوسفي» (١٩٤).

(٢) انظر: «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٦٦٨).

(٣) انظر: «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (١٠٠ - ١٠١).

(٤) انظر: «حضرت جى كى يادگار تقريرين» (١١ - ١٢).

(٥) وهي بنگلاديش -حاليًا-.

واجتمع حشد من الناس إلى جنازته، وصلوا عليه في لاهور مرتين، واتصل بهم الشيخ محمد زكريا هاتفيًّا، وطلب جثمانه إلى نظام الدين بدهلي، فذهب به رفقاؤه إلى دهلي بالطائرة ليلًا، وصلَّى عليه الشيخ محمد زكريا مع جمٍّ غفير، ودُفن بالجانب الغربي من قبر والده في نظام الدين بدهلي، في حدود الساعة الحادية عشرة ظهرًا في ٣ إبريل سنة ١٩٦٥م(١).

○ الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي

مولده ونشأته:

هو الشيخ محمد إنعام الحسن بن الشيخ إكرام الحسن بن حكيم رضى الحسن بن حكيم محمد إبراهيم بن نور الحسن بن أبي الحسن بن المفتي إلهي بخش الكاندهلوي(٢).

ولد الشيخ محمد إنعام الحسن في وطنه الأم كاندهلة في ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٣٦هـ يوافق ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨م، وبها نشأ وتربى.

وله صلة بالشيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة، فالشيخ محمد إلياس خال لأبيه؛ لأن شقيقة محمد إلياس كانت زوجة لجد إنعام الحسن.

وأما صلته بالشيخ محمد زكريا: فقد كان صهرًا له؛ إذ تزوج إنعام الحسن بابنة الشيخ محمد زكريا كما تزوج محمد يوسف، وبذلك يعتبر عديلًا للشيخ محمد يوسف.

رحلاته العلمية ومبايعته على الطرق الصوفية:

حفظ القرآن الكريم في صغر سنِّه على أستاذه منگتو، وتلقى مبادئ القراءة

---

(١) «حياة الصحابة» (١/ ٢١ - ٢٢)، «حضرت جی کی یادگار تقریرین» (٥٦ - ٥٩) مختصرًا، «مسلمانان پاکستان وهند» (٢/ ٤١٢ - ٤١٣).

(٢) مجلة «الداعي»، صفر وربيع الأول ١٤١٦هـ (٦١ - ٦٢)، «تعمير حيات» ٢٥ يونيو ١٩.

قال أبو عبيدة: وله ترجمة في «تتمة الأعلام» (٢/ ٧٦ - ٧٧).

على جدِّه من أمِّه الحكيم عبدالحميد، ثم انتقل في العاشرة من عمره سنة ١٩٢٨م إلى مركز نظام الدين بدهلي مع مؤسس جماعة التبليغ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي، ودرس كتب النحو والصرف و«مشكاة المصابيح» عليه، كما درس «تفسير الجلالين» على الشيخ احتشام الحسن الكاندهلوي.

ثم التحق عام ١٣٥٢هـ يوافق ١٩٣٤م بمدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور لتلقي التعليم العالي، ودرس هناك بعض كتب الفقه والأصول؛ مثل: «كنز الدقائق» و«أصول الشاشي» على العلَّامة صديق أحمد الكشميري، والمفتي عبدالشكور، والمقرئ سعيد أحمد، والمفتي جميل أحمد[(١)].

ولكن الشيخ محمد إلياس استدعاه فرجع إلى دهلي وأتمَّ بقية الكتب هناك بمدرسة كاشف العلوم، ثم رجع مع الشيخ محمد يوسف في شوال عام ١٣٥٤هـ إلى مدرسة مظاهر العلوم لدراسة الحديث الشريف، فدرس معه على الأساتذة أنفسهم، وتمَّ زواجهما بابنتَي الشيخ محمد زكريا على يد الشيخ حسين أحمد المدني في الاجتماع السنوي بمدرسة مظاهر العلوم عام ١٣٥٤هـ ثم رجع إلى دهلي بمقر الجماعة في جمادى الأولى عام ١٣٥٥هـ قبل أن يكمل دراسته في المدرسة لمرض الشيخ محمد يوسف[(٢)].

وأكمل تعليمه العالي مع الشيخ محمد يوسف على الشيخ محمد إلياس، وتلقى التربية منه، وعليه تخرَّج في التزكية والإحسان، وقد أبدى الشيخ ثقته الغالية به لدى لحاقه بالرفيق الأعلى[(٣)].

واشتغل الشيخ إنعام الحسن بالتدريس هناك؛ فكان يدرِّس الكتب الحديثية، وأخيرًا كان يهتم بتدريس «صحيح البخاري»، وإضافة إلى ذلك

---

(١) «حضرت جى مولانا إنعام الحسن» (٤)، «معارف» يوليو (٩٥/ ٧٥)، «الداعي» صفر ١٤١٦هـ (٦١).

(٢) «حضرت جى مولانا إنعام الحسن» (٤ - ٥)، «سوانح حضرت جى ثالث» (١/ ١٩٢).

(٣) «الداعي» صفر ١٤١٦هـ (٦١)، «معارف» يوليو (٩٥/ ٧٥).

كان مرتبطًا مع مرشده ومربِّيه الشيخ محمد إلياس في حركته التبليغية، حتى كان من النخبة المختارة الذين رافقوا الشيخ محمد إلياس حينما سافر لأداء الحج سنة ١٩٣٧م لتوسيع نطاق العمل التبليغي[١].

ولازم الشيخ محمد يوسف في حلِّه وترحاله، وكان ساعده الأيمن طوال حياته.

إن الشيخ إنعام الحسن نشأ كسابقه في المجتمع الصوفي الذي يأتي إليه كبار الصوفية.

يقول الأستاذ مرغوب أحمد صاحب كتاب «حضرت جى»: «قد تربي الشيخ إنعام الحسن في البيئة الروحانية التي يفد إليها المشايخ أصحاب النسبة[٢] من حين إلى آخر؛ مثل: الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ عبدالقادر الرائيفوري، والشيخ محمد زكريا، فصحبة المشايخ -وخاصة توجيهات وعنايات الشيخ محمد إلياس- جعلته صاحب النسبة، شهد بذلك الشيخ محمد إلياس قبل وفاته، حينما رشح بعض الأشخاص لتتم البيعة على يد أحد منهم، فقال: «هؤلاء أصحاب النسبة»، وكان الشيخ إنعام الحسن من المرشَّحين»[٣].

وفي هذه البيئة كان لا بد لكل مريد من شيخ يبايعه، لذا؛ وجهه حموه الشيخ محمد زكريا أن يبايع على يد مرشده الشيخ محمد إلياس؛ **فبايعه مع الشيخ محمد يوسف في سنة ١٩٣٥م**[٤]**، وعلَّمه -بعد البيعة- الأنفاس القدسية، وأرشده اسم الذات (لفظ الجلالة) اثني عشر ألف مرة، ورغَّبه قراءة «الحزب الأعظم» و«حصن حصين»**[٥].

---

(١) انظر: المرجعين السابقين.
(٢) النسبة: الحال الذي يُتعرَّف به صاحبه، «اللمع» (٤٣٥) للطوسي.
(٣) «حضرت جى مولانا إنعام حسن» (٩/ ١٠)، «آپ بيتى» (٤/ ١٢٣).
(٤) «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٧٨).
(٥) «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٧٨).

يتحدث عنه مرغوب أحمد فيقول: «إنَّ الشيخ محمد إلياس قد منحه الإجازة والخلافة في سنة ١٣٦٣هـ فانتشر على يده فيض الشيخ محمد إلياس في أنحاء العالم انتشارًا كبيرًا؛ لأنَّ الشيخ إنعام الحسن قد تمت على يده بيعة آلاف؛ بل مئات آلاف من الناس»[(١)].

وقد كان يقوم منذ عهد الشيخ محمد يوسف بتعليم الأشغال والأذكار الصوفية؛ كما يقول الشيخ محمد زكريا: «إنَّ الشيخ إنعام الحسن خليفة ومجاز للشيخ محمد إلياس في السلوك والطريقة، ومنذ عهد الشيخ محمد يوسف هو الذي يشرف على شعبة الأشغال والأذكار الصوفية، وإن كان يبايع البيعة العمومية الشيخ محمد يوسف؛ نظرًا إلى بعض المصالح التبليغية.

ولكن من التزم الأذكار المعينة له، ثم أراد المزيد منها؛ يرسله الشيخ محمد يوسف إلى الشيخ إنعام الحسن ليتعلَّم منه طريقة التسبيح الاثني عشري، والأنفاس القدسية؛ وغيرها»[(٢)].

يذكر في هذا الصدد الحافظ محمد يوسف تاندوي فيقول: «إني عرضت على الشيخ محمد يوسف ذات مرة أن يعلِّمني بعض الأذكار، فقال فورًا: «اذهب إلى الشيخ إنعام واسأله»، فذهبتُه وعرضتُ عليه غرضي، وبيَّنتُ له أن الشيخ محمد يوسف أرسلني إليك لهذا الغرض، فنظر إليَّ نظرة ثم قال: «إنك مريض»، فتحيَّرتُ حينما سمعت من فمه؛ لأنني في الواقع كنت مريضًا آنذاك، ولم يعرفه أحد، ولما أصررت عليه قال: «اجلس متربعًا»، فجلست، فأمرني بإبراز عرق الركبة اليسرى قليلًا، ثم فرج بيديه بين إبهام رجلي اليمنى والإصبع التي تليها، وأمر بإمساك العرق في تلك الفرجة، ثم أمرني باسم

---

(١) «حضرت جى مولانا إنعام الحسن» (١١)، ويؤكد ذلك مكاتبة شيخنا سعد الحصين له بهذا الخصوص، وعدم نكرانه لذلك، ينظر ما تقدَّم (ص١٣٥).

(٢) «ذكر واعتكاف كى أهميت» (٥٧).

المفرد «الله الله» أربع مئة مرة، بعدما لقنني بالنفي والإثبات»[١].

وبعدما تولى الإمارة الشيخ إنعام الحسن -كما أشرت في المبحث السابق-؛ استمر على المبايعة، **حتى لا تكاد تجد اجتماعًا إلا قام الشيخ بالبيعة فيها، وقلَّ ما قام الشيخ بالبيعة في الاجتماعات للرجال إلا قام للنساء -أيضًا-**[٢].

وأحب أن أستشهد على ما قلت ببعض النماذج التي ذكرها السيد محمد شاهد السهارنفوري صاحب كتاب «سوانح حضرت جى ثالث»؛ حيث يتحدث عن اجتماع بهوپال المنعقد في ١٤٠٣هـ فيقول: «...فقد قام الشيخ إنعام الحسن بعد صلاة المغرب بنصائح مختصرة، ثم بايع جمًّا غفيرًا، ونصحهم بالأوراد والوظائف، كما علَّم بعض الأصحاب ذكر التسبيح الاثني عشري، وفي اليوم الثاني من الاجتماع في الساعة الحادية عشرة حضر في اجتماع النساء ببيت (أبا ميان) وبايعهن بعد البيان (الوعظ)... وبعد صلاة المغرب خاطب الذين ينخرطون في السلوك والإحسان ثم بايعهم»[٣].

ويتحدث عن اجتماع (داكا) المنعقد في ١٤٠٣هـ فيقول: «حسب العادة اليومية قد **بايع على يد الشيخ إنعام الحسن كثير من الناس، واستأذن عشرة أشخاص ذكر التسبيح الاثني عشري؛ فسمح لهم**»[٤].

ومن صور البيعة لدى الشيخ إنعام الحسن: أن يجلس المريدون على هيئة التشهد إن لم يكن لديهم عذر، ويُنشر حبل من كرسي الشيخ إلى الحضور، ويؤمرون بربط الأردية والعمائم والغُتر به، ويفعل هذا امتثالًا بقول الشيخ

---

(١) «سوانح حضرت جى ثالث» (٣/ ٣٥٥)، وهذا ذكر يلتزمه أهل البيعة منهم.
(٢) «سوانح حضرت جى ثالث» (٢/ ٢٣، ٢٥، ٣٩، ١١٩، ١٢٨).
(٣) «سوانح حضرت جى ثالث» (٢/ ٢٨٧).
(٤) «سوانح حضرت جى ثالث» (٢/ ٤٨٨).

محمد إلياس؛ كما نقله الشيخ إنعام الحسن عنه أنَّه قال له: «إذا دعوتَ أو تبتَ فأمسك حبلًا أو نحوه... فبذلك يتطرق إلى قلب الرجل أنه يعتصم بشيء».

وفي ختام البيعة يلقن الشيخ إنعام الحسن مريديه أن يردِّدوا على ألسنتهم: «بايعنا على يد حضرة الشيخ محمد إلياس بواسطة إنعام»، ثم يركز على خمسة أشياء:

١- الاهتمام بالصلوات المكتوبة والنوافل.

٢- الذكر (الذكر الجهري الچشتي)[(١)].

٣- تلاوة القرآن الكريم يوميًّا.

٤- الاستماع إلى كتب الفضائل (للشيخ محمد زكريا) دبر كل صلاة يوميًّا.

٥- السياحة في حلقات ومساجد الحي، ولثلاثة أيام شهريًّا في القرى المجاورة، ولمدة أربعين يومًا سنويًّا على الأقل.

وتتم هذه البيعة سرًّا في مكان خاص، ولعل سبب ذلك: لئلا يطلع عليها العرب، وقد يقوم بتعليم الذكر الخاص لعدد منتخب في حدود العشرة، وهم ينتخبون من آلاف الأشخاص، ويتم هذا التعليم في غرفة مظلمة على طريقةٍ ما أنزل الله بها من سلطان[(٢)].

ولم يكتف الشيخ إنعام الحسن بمبايعة الإنس -فقط-؛ بل بايع على يديه مئات من الجن كما يتحدث السيد محمد شاهد السهارنفوري عن عهده فيقول: إنَّ عهد إمارة الشيخ محمد إنعام الحسن كان عهدًا مباركًا ومتطورًا؛

---

(١) إذا أطلقوا (الذكر) أرادوا به الذكر الجهري الچشتي المسمى بـ(التسبيح الاثني عشري).
انظر: «ذكر واعتكاف كى أهميت» (١٢، ٥٢).

(٢) مجلة «الدعوة» ديسمبر ١٩٩٣م (٢٤ - ٢٦)، «تبليغي جماعت تحقيقي جائزة» (١٩ - ٢٤) ملخصًا.

من حيث أن خلقًا كثيرًا انخرطوا في سلكه وانتسبوا إليه، وهذه السلسلة الروحانية التي قام بها الشيخ محمد إلياس قد راجت في عهد الشيخ محمد إنعام في جميع الطبقات من العوام والخواص، حتى نسمع صدى كلمات بيعته في جميع قارات العالم؛ وهو: «بايعنا على يد حضرة الشيخ محمد إلياس بواسطة إنعام».

وهذه السلسلة الروحانية -كما راجت في الإنس- راجت في الجن -أيضًا-، فمئات من الجن كانوا يحضرون في الاجتماعات ويبايعون على يديه، ثم يخرجون في الجماعات، ثم ذكر لها بعض النماذج[1].

وهو يلقن مريديه أذكار الصوفية المختلفة، مثلًا: يكتب إلى أحد مريديه فيقول: اقرأ (الله الله) ثلاثة آلاف مرة، و(الله الله) اعتبرها مرة واحدة[2].

ويستدل لذكر الاسم المفرد (لفظ الجلالة) بقوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾[3] [الزمر:٤٥].

وكان الشيخ يحث المريدين على الذكر الجهري، ويحدد لهم الوقت المناسب بعد التهجد[4]، مع قيامه بتعليم الذكر الجهري، وكان يقول: «إنَّ أكثر الأشغال مؤثِّرًا من الأشغال الصوفية لصفاء الروح هو الذكر الجهري»[5].

---

(١) «سوانح حضرت جى ثالث» (٣/ ٣٣١).

(٢) «سوانح حضرت جى ثالث» (٣/ ٣٤٧).

(٣) انظر: المرجع السابق (٣/ ٤١٩).

أقول: إن هذا الاستدلال في غير محله، لم يقل به النبي ﷺ الذي أنزل عليه القرآن، ولا صحابته الكرام، ولم يفسره أحد من المفسرين الأعلام؛ بل إنهم يفسرون بأن المشركين إذا قيل لهم: (لا إله إلا الله) انقبضوا.

انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٥١/ ٤٦٢) للقرطبي، «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٨) لابن كثير، «فتح القدير» (٤/ ٧٦٤) للشوكاني.

(٤) «سوانح حضرت جى ثالث» (٣/ ٢٥٣).

(٥) «سوانح حضرت جى ثالث» (٣/ ٤٥٣).

وقد سأله أحمد حسن بجنوري -أحد مريديه- عن طريقة التسبيح الاثني عشري؟ فكتب إليه: إن التسبيح الاثني عشري الذي بيَّنتُ لك من قبل أبيِّن طريقتها مرة ثانية، بحيث تقرأ سورة الفاتحة وآية الكرسي وسورة الإخلاص ثلاث ثلاث مرات، وتهدي ثوابها إلى مشايخ السلاسل الأربعة، ثم تصلي الصلاة على النبي ﷺ إحدى عشرة مرة، والاستغفار إحدى عشرة مرة، ثم تقرأ: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أسألك من فضلك، يا الله! يا الله! يا الله! أن تطهر قلبي عن غيرك، أن تنور قلبي بنور معرفتك أبدًا، لا حول ولا قوة إلا بالله» ثلاث مرات، ثم اقرأ (لا إله إلا الله) مائتي مرة بنفس التصور والطريقة التي علَّمتك إياها، وبعد كل عشر مرات تقول: «محمد رسول الله ﷺ»، وبعده (إلا الله) أربع مئة مرة، ثم (إلا الله) ست مئة مرة، وفي الأخير (الله) بضربة واحدة مائة مرة، ثم تجلس في المراقبة وتصوَّر أن نور الله يدخل في القلب»[1].

هذه بعض النماذج من أوراده التي علمها مريديه، وهناك أوراد أخرى، من أراد أن يطلع عليها؛ فليراجع كتاب «سوانح حضرت جى ثالث» للسيد محمد شاهد السهارنفوري.

مذهبه وعقيدته:

من الأمر الطبيعي أن يتأثر الرجل من البيئة التي ينشأ وينمو فيها؛ **فالشيخ إنعام الحسن قد ترعرع تحت إشراف الشيخ محمد إلياس والشيخ محمد زكريا في المحيط الديني الحنفي الصوفي الذي يفد إليه كبار هذه الطائفة.**

فحصل له التأثير من هؤلاء الموجِّهين والمرشدين، وانخرط في سلكهم، لذا؛ كان يعتقد معتقدات مشايخه، والتي سبق أن ذكرتها في ترجمة الشيخين محمد إلياس ومحمد يوسف.

---

(١) «سوانح حضرت جى ثالث» (٣/ ٥٥٣ - ٦٥٣).

وكان مما يعتقد: أن الأمة خلقت لأجل خلق النبي ﷺ، اعتمادًا على الحديث الموضوع: «**لَوْلاكَ لَوْلاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأفلاك**»[(١)].

أشار إليه في رسالة العزاء التي أرسلها إلى أعضاء الجماعة بعد وفاة الشيخ محمد يوسف[(٢)].

كما كان يشد الرحال لزيارة قبور المشايخ والصوفية للمراقبة وقراءة الفاتحة عليه، أمثال: قبر شيخ الطريقة رشيد أحمد كنكوهي بكنكوه[(٣)]، وقبر شيخ الطريقة الچشتية معين الدين في أجمير[(٤)]، وقبر الشيخ بو علي قلندر والسيد أحمد السرهندي بسرهند[(٥)]، وغيرهم[(٦)].

وأحبُّ أن أنبِّه على أنه لم يرد عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ الفاتحة عند زيارة القبور مع تكرار زيارته لها، وعلى هذا؛ فقراءة الفاتحة عند زيارة القبور خلاف المشروع عن النبي ﷺ، ولو كان ذلك مشروعًا لفعله وبيَّنه لأصحابه؛ رغبة في الثواب، ورحمة بالأمة، وأداء لواجب البلاغ.

وفاته:

توفي الشيخ إنعام الحسن بنظام الدين بدهلي في ١٠ محرم الحرام سنة ١٤١٦هـ يوافق ١٠ يونيو سنة ١٩٩٥م، إثر نوبة قلبية شديدة ألَمَّت به في نحو التاسعة من الليلة المذكورة، وقد توفَّر الأطباء البارعون المتخصصون في

(١) ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٩٨٢)، وقال: «موضوع»، وأقرَّه السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٢٧٢)، وذكره الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الموضوعة» (١/ ٤٥٠)، (ح٢٨٢)، وقال: «موضوع».

(٢) «حضرت جی مولانا إنعام الحسن» (٣١)، «حضرت جی کی یادگار تقریرین» (٨٨)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٨٤٦ - ٩٤٦).

(٣) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٥٤٢)، «سوانح حضرت جی ثالث» (٢/ ١٠٦).

(٤) «سوانح حضرت جی ثالث» (٢/ ١٢٢ - ١٦٣).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٣٧٢، ٣٧٧).

(٦) انظر: المرجع السابق (٢/ ١٠٢، ٣٧٠، ٣٧٥، ٤٧، ٤٨).

أمراض القلب على معالجته نحو ثلاث ساعات متتالية، ولكن أجل الله كان محتومًا، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، وصلَّى عليه ابنه الشيخ زبير الحسن بجمع كبير.

وانتشر نعي وفاته في أرجاء الهند -كلها-؛ بل في العالم -كله-، فتوافد الناس من كل أنحاء الهند ومن شتَّى أقطار الدنيا ليحضروا الصلاة عليه، ووُوري جثمانه بجوار الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، بجانب مقر الجماعة في نظام الدين بدهلي[1].

○ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (المشرف الأعلى على الجماعة)[2]

مولده ونشأته:

يحدِّثنا عن مولده ونشأته الشيخ أبو الحسن الندوي ومحمد ثاني الحسن؛ فيقولان ما ملخصه: هو الشيخ محمد زكريا بن الشيخ محمد يحيى بن الشيخ إسماعيل الكاندهلوي، ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان في كاندهلة سنة ١٣١٥هـ يوافق ٢ فبراير سنة ١٨٩٨م، وفتح عينيه في بيت عريق في العلم والصلاح والسلوك والمجاهدة.

رضع بلبان العلم والدين، **ونشأ في المجتمع الصوفي وتربَّى في أحضانهم**، ونقل إلى كنكوه، وهو قريب العهد بالفطام، فدبَّ ودرج بين الصالحين والعلماء الصوفية، وأدرك شيخ الطريقة رشيد أحمد الكنكوهي، وسعد بحنانه وعطفه الأبوي؛ لما بينه وبين والده من اختصاص، وعقل أول ما عقل أيامه وشفقته.

وقد بلغ الثامنة من عمره حين انتقل الشيخ إلى رحمة الله -تعالى-، وبقي

---

(١) مجلة «الدعوة» صفر ١٤١٦هـ (٠٦)، «فرقان» يوليو ٩٥م (٤٧)، «مظاهر العلوم» يونيو ٩٥م (٩)، «تعمير حيات» ٢٥ يوليو (١٩، ١٥)، «حضرت مولانا إنعام الحسن» (٢٠ - ١٢).

(٢) «حيات خليل» (٦٠٩ - ٦١١).

في كنكوه إلى أن بلغ الثانية عشرة من عمره، ووالده يعتني بتربيته أشد الاعتناء، ويحاسبه على النقير والقطمير، ويأخذه بعلو الهمَّة في كل شيء، والإقبال على العلم وصحبة الصالحين إقبالًا كليًّا، والابتعاد عن الاختلاط بالناس[١].

وبصرف النظر عمَّا فيه من مبالغة في الثناء؛ يهمنا أن للشيخ محمد زكريا قرابة بمؤسس الجماعة الشيخ محمد إلياس، كما تبين لنا من نسبه أنه ابن أخ محمد إلياس، وحيث أنه تزوَّج بابنة الشيخ رؤوف الحسن كما تزوج الشيخ محمد إلياس، وبذلك يعتبر عديلًا لعمه محمد إلياس، وتزوَّج الشيخ محمد زكريا بابنة عمه محمد إلياس بعد وفاة زوجته الأولى؛ فصار صهرًا له.

رحلاته العلمية ومبايعته على الطرق الصوفية:

بدأ حروف الهجاء على زوجة الدكتور عبدالرحمن المظفرنگري من خدام الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي[٢]، وحفظ القرآن الكريم على والده، ورعاه والده رعاية دقيقة، حتى كان يأمره أن يقرأ كل ما يحفظه من القرآن الكريم مائة مرة، وقرأ مبادئ اللغة الفارسية والعربية وبعض كتب الأردية -مثل: «بهشتي زيور»- على عمه وصنو أبيه الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس جماعة التبليغ[٣].

وانتقل مع والده سنة ١٣٢٨هـ إلى مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور، وتلقى بقية العلوم والفنون معظمها على والده، وبعضها على مشايخ المدرسة الآخرين.

فدرس النحو، والصرف، و«ترجمة معاني القرآن الكريم»، والحديث الشريف، وقصيدة «البردة»، و«بانت سعاد»، و«القصيدة الهمزية»، على والده، وقرأ كتب المنطق على الحافظ عبداللطيف أمين عام المدرسة وعلى

(١) انظر: مقدمة «أوجز المسالك» (٦١ - ٧١)، «حيات خليل» (٣٠٦ - ٥٠٦) بتصرف.
(٢) «آپ بيتى» (٩٥ - ١٦).
(٣) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٦٧ وما بعدها).

الشيخ عبدالوحيد السنبهلي[١].

فقد أقبل على العلم إقبالًا بالقلب والقالب، واشتغل به بهمة عالية، وتهيأ تهيؤًا كبيرًا لدروس الحديث، فقرأ الكتب الستة على والده سنة ١٣٣٣هـ غير «سنن ابن ماجه»[٢]، ثم قرأ «صحيح البخاري» و«سنن الترمذي» مرة أخرى على المربي الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري بعد وفاة أبيه سنة ١٣٣٤هـ، وكان ذلك اعتمادًا على الرؤية التي رآها، وامتثالًا لطلب واقتراح من الشيخ لما توسم فيه من النجابة وصدق الطلب وعلو الهمة، ولما بينه وبين والده من الحب العميق، والرباط الوثيق، وقضى هذه المدة في عكوف كامل على الدراسة، وفي إجهاد النفس وإرهاقها في المطالعة، والاطلاع على المصادر، والاستعداد للدروس، حتى إنه لا ينام أكثر من ساعتين أو ثلاث في طول الليل والنهار[٣].

منهج دراسة الحديث النبوي الشريف:

أما المنهج الذي سلكه الشيخ محمد زكريا في دراسة الحديث النبوي لدى والده؛ فيتحدث عنه قائلًا: «إنه كان من لائحة التعليم والدراسة أن نبين بعد دراسة كل حديث: هل هو موافق للحنفية أو مخالف لهم؟ وإذا كان مخالفًا لهم؛ **فنذكر أدلة الحنفية والرد على الحديث الشريف، وهذا كان من مستلزمات دراسة الحديث التي كانت في ذمتي... وأحيانًا ما كنت أستطيع أن أرد على الحديث؛ فوالدنا يرشدنا إليه**»[٤].

وبعدما تخرَّج الشيخ محمد زكريا من مدرسة مظاهر العلوم؛ عُين فيها

---

(١) مقدمة «أوجز المسالك» (٧، ٧١)، «تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف» (٠٣)، «آپ بيتى» (٩٦ - ٠٧)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٦٧).

(٢) مقدمة «أوجز المسالك» (٧١).

(٣) مقدمة «أوجز المسالك» (٧١)، «آپ بيتى» (١/ ٢٩).

(٤) «آپ بيتى» (١/ ٢٣ - ٢٤).

مدرِّسًا، وكان ذلك في غرَّة محرم سنة ١٣٣٥هـ، وعمره -حينئذ- عشرون سنة، فكان من أصغر الأساتذة سنًّا، وأسند إليه تدريس كتب لا تسند إلى أمثاله في العمر وفي أول التدريس، فأول ما فوَّض إليه: «أصول الشاشي»، وبعض الكتب الابتدائية في النحو والمنطق والفقه، ولم يزل يتدرج فيها حتى أسند إليه تدريس «مشكاة المصابيح» وبعض أجزاء من «صحيح البخاري» بأمر من شيخه خليل أحمد السهارنفوري.

وأثبت المدرِّس الشاب جدارته وقدرته على التدريس، حتى أصبح رئيس أساتذة هذه المدرسة، وانتهت إليه رئاسة تدريس الحديث -أخيرًا-، حتى اشتهر بـ(شيخ الحديث)، وكان أكثر اشتغاله بتدريس «سنن أبي داود»، وكان يدرِّس النصف الثاني من «صحيح البخاري» في آخر السنة، وبعد وفاة الشيخ عبداللطيف مدير المدرسة؛ آل إليه تدريس «الجامع الصحيح» بكامله، فواظب عليه مدة طويلة مع ضعف بصره وأمراضه الكثيرة، ولم يعتذر عنه إلا في أول السنة الدراسية، وذلك في سنة ١٣٨٨هـ[1].

وله مؤلفات كثيرة؛ من أهمها: «أوجز المسالك إلى موطأ مالك»، «لامع الدراري على جامع البخاري»، «تبليغي نصاب» (فضائل أعمال)، «مشايخ تصوف» (غير مطبوع)، «مشايخ چشتية» (غير مطبوع)، «أصول الحديث على مذهب الحنفية» (غير مطبوع)[2].

وقد عرفنا فيما مضى أنَّ البيعة على الطرق الصوفية أمر متبع ورائج في البيئة التي نشأ فيها الشيخ محمد زكريا، فهو يمثلها قائلًا: «إنَّ التصوف روح كبارنا وكبار مظاهر العلوم ودار العلوم ديوبند، **فلعله لا يوجد أحد في هاتين المدرستين الذي لم يبايع على أحد المشايخ، ولم يشتغل بالذكر والشغل**

---

(١) مقدمة «أوجز المسالك» (١/ ٨، ١٨)، «آپ بيتى» (٢/ ٩٧ - ١٠٢)، «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٨٥ - ٨٦).
(٢) انظر: «آپ بيتى» (٢/ ١٣٩ - ١٦٩).

(الصوفي) إلى حدٍّ ما»[1].

وقال مرة: «**إن التصوف شغل أساسي لمشايخنا**»[2].

ولهذا لما أراد الشيخ خليل أحمد السهارنفوري السفر إلى أرض الحجاز للقيام فيها مدة طويلة؛ تهافت الناس عليه تهافت الفراش على النور للبيعة، ورغبها الشيخ محمد زكريا، وعرض على شيخه السهارنفوري؛ **فحدد له الوقت بعد المغرب، وأمسك يده بين يديه ولقَّنه كلمات البيعة، ورأى هذا المنظر الشاه عبدالرحيم الرائيفوري والشيخ محمد يحيى والد محمد زكريا، فتعجَّب على أنه قام بهذا العمل الجليل العظيم بدون أن يطلعه على الأمر!** ولكن الشيخ الرائيفوري صوَّبه وحسَّنه، ودعا له كثيرًا، **وهكذا تمَّت البيعة في شوال سنة ١٣٣٣هـ**[3].

كما كان مجازًا عن الشيخ خليل أحمد السهارنفوري للبيعة في الطرق الأربعة؛ كما يتحدث محمد ثاني حسني فيقول: «وأجاز الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الشيخ محمد زكريا عند عودته من المدينة المنورة سنة ١٣٤٥هـ للبيعة في الطرق الصوفية الأربعة (الچشتية، والنقشبندية، والقادرية، والسهروردية)، واهتمَّ لها اهتمامًا بالغًا، وأخذ عمامته من رأسه، وقدمها للشيخ سيد أحمد[4] أن يلف بها رأس الشيخ محمد زكريا، وحينما وضعها على رأسه أدركته الرقة حتى ندَّت منه الصيحة، ودمعت عين الشيخ (السهارنفوري) -أيضًا-.

وذكر الشيخ محمد زكريا في بعض مجالسه: «إني أحسست دخول شيء

(١) «آپ بيتى» (٢١٠).

(٢) مجلة «الفرقان» خصوصي أشاعت ٢ محرم ١٤٠٦هـ (١٧٢).

(٣) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٨٢).

(٤) هو الأخ الكبير للشيخ حسين أحمد المدني صاحب «الشهاب الثاقب»، وهو مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، انظر: «سوانح مولانا محمد يوسف» (٩٧).

في نفسي بمجرد وضع العمامة على رأسي؛ ففهمت من هذا: لعل هذه هي حقيقة انتقال النسبة»[١].

وبعد ذلك بدأ يبايع بأمر عمه الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس الجماعة، فبادئ ذي بدء طلبت منه نساء من أسرته أن يبايعهن ولكنه اعتذر، فالتجأن إلى الشيخ محمد إلياس **فأجلسه وأمره أن يبايعهن، ووضع عمامته على رأسه شفقة عليه، وأخذ عمامته من رأسه وأعطاه منها طرفًا، وأرسل طرفًا آخر إلى النسوة من وراء الحجاب، وأمر أن يبايعهن بين يديه، وهذه كانت بداية عهده بالمبايعة، ولم يزل يترقى فيها إلى آخر حياته**[٢]، حتى بايع كابتن عثمان في الجو على متن الطائرة وهو قائدها يوم ٢٨ رجب سنة ١٣٩٧هـ يوافق ١٤ يوليو سنة ١٩٧٧م، حينما كان الشيخ مسافرًا من جدة إلى كراتشي[٣].

وأصبح مرجعًا لأهل العلم والسلوك يومًا فيومًا، يقول عنه النَّدْويُّ: «إنه كان أكبر خلفاء الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وناشر علومه ومفيض بركته»[٤].

ولما كان الشيخ زكريا شديد الحب لمشايخه -مثل: الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (ت١٣٦٣هـ)، والشيخ محمد عاشق إلهي ميرتهي (ت١٣٦٠هـ)، والشيخ حسين أحمد المدني (١٣٧٧هـ)، والشيخ عبدالقادر الرائيفوري (ت١٣٨٢هـ)-؛ فآلت إليه نيابة كل واحد منهم بعد وفاتهم في إكمال المبتدئين، وتربية المريدين، وتوجيه القاصدين، واعتبروه مشرفًا روحانيًّا، وخليفة ووارثًا لكل من مشايخهم.

---

(١) «سوانح مولانا محمد يوسف» (٩٧).

(٢) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٩٨)، وانظر: «سوانح حضرت جى ثالث مولانا محمد إنعام الحسن الكاندهلوي» (١/ ٢٠٤).

(٣) مجلة «الفرقان» محرم ١٤٠٦هـ (١٩٧).

(٤) مقدمة «أوجز المسالك» (١٧)، وهذا تعبير أبي الحسن الندوي، ونلاحظ ما يحمله من المخالفة العقدية.

وبعد وفاة الشيخ محمد يوسف سنة ١٣٨٤هـ أصبح مرجعًا لجماعة التبليغ، وللاحتفاظ على مبادئها وأصولها، ولصيانتها من مخاطر وفتنة الزمن، وكان يحمل عبئًا كبيرًا على عاتقه لقيامه بالتربية الروحانية لكلٍّ من أعضائها النشيطين، وظل مشرفًا أعلى على المقرر الرئيسي التبليغي بنظام الدين وعلى المسؤولين هناك إلى آخر حياته[1].

كان الشيخ يتمنى البقاء في المدينة المنورة، وحصَّل لهذا الغرض الإقامة النظامية في عهد جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود رحمهما الله[2].

ثم نجح في الحصول على التابعية السعودية في آخر حياته، وذلك في ٥ رجب سنة ١٣٩٧هـ يوافق ٣١ يونيو سنة ١٩٧٧م[3].

مذهبه وعقيدته:

من خلال عرض حياته اتضح للباحث أنه كان -كمن سبقه- حنفي المذهب، صوفي المشرب، ديوبندي التلقي، وقد يتبين اعتقاده أكثر وضوحًا حينما نتدارس كتابه «تبليغي نصاب» أي: «منهج التبليغ» أو «المقرر في منهج التبليغ»؛ لأنه منهج علمي لأهل التبليغ يقرؤونه ويدرسونه دراسة حفظ وإتقان[4].

ويمكننا أن نقول: إنه كان يعتقد بمعتقدات مشايخه أصحاب مدرسة مظاهر العلوم ديوبند، ومنها:

١- التوسل والاستشفاع بالنبي ﷺ والصالحين بعد مماتهم[5].

٢- الاعتقاد بأن الرسول ﷺ حي في قبره حياة دنيوية، ويطلع على أحوال الأمة ويشاهدها، فلا فرق بين حياته ومماته في هذا[6].

---

(١) «سوانح حضرت مولانا محمد يوسف» (٩٨ - ١٠٠)، «حيات خليل» (٦٠٩، ٦١١).
(٢) مجلة «الفرقان» محرم ١٤٠٦هـ (١٨٣ - ١٨٤).
(٣) مجلة «الفرقان» (١٩٦).
(٤) مقدمة «أوجز المسالك» (٩).
(٥) «فضائل الحج» (١١٤ - ١١٦).
(٦) نفس المصدر (١١٢).

٣- المراقبة عند قبر النبي ﷺ[1].

٤- رؤية الرسول ﷺ في اليقظة رأي العين[2].

٥- الاعتقاد في الصوفية والمشايخ أنهم يتصرفون في الكون[3].

وفاته:

توفي الشيخ محمد زكريا في المدينة المنورة عام ١٤٠٢هـ، وقد جاء في قصة وفاته من القضايا المؤكدة لمشربهم الصوفي، والمخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، كما سيقت قصة وفاته للتأكيد على مكانته وولايته؛ إذ يزعم أحمد بن محمد أبو عبدالله -أحد تلاميذه ومواطني المدينة- فيقول: «حضر إلى الشيخ محمد زكريا ملك الموت في آخر السنة ١٤٠١هـ، فاستأجله وطلب منه أن يبقيه زمنًا يسيرًا كي يزور المسلمين زيارة وداع، ويدعوهم مرة أخيرة إلى الالتزام بكتاب الله وسنة نبيِّه، وأهمية تمسكهم بمذهب معين من المذاهب الأربعة، كما دعاهم إلى إحياء الطرق الصوفية.

فسافر إلى بلاد الهند وباكستان وبعض بلاد إنكلترا وجنوب أفريقيا، ثم عاد الشيخ إلى الحجاز ونزل مكة، وفي هذا الوقت جاء إليه ملك الموت مرة ثانية؛ فاستأجله الشيخ على أن يميته في المدينة المنورة، ولما رجع إليها قبض الملَك روحه، وكان ذلك في أوائل شعبان سنة ١٤٠٢هـ يوافق ٢٤ مايو ١٩٨٢م[4].

ودُفن في البقيع بين إحاطة أهل البيت وبين قبر شيخه خليل أحمد السهارنفوري -كما كانت رغبته-.

---

(١) مقدمة «أوجز المسالك» (١/ ٢١)، مجلة «البلاغ» رمضان ١٤٠٢هـ (ص٩)، «حيات خليل» (٦١١)، «سوانح حضرت جي ثالث» (٢/ ٣٧٩).

(٢) «آپ بيتى» (١/ ١٩).

(٣) «آپ بيتى» (١/ ٥٠ - ٥٣)، «فضائل صدقات» (٣٨٨).

(٤) «بحث في تخريج أحاديث جماعة التبليغ» (٣٤) للخضر الأمريكي.

كما جاءت بعض المبالغات لبيان فضله وولايته؛ فيقول مريده الدكتور محمد إسماعيل الميمني: إنه بعد دفنه -نوَّر الله مرقده- رأى أحد المجازين للشيخ قائلًا يقول: «يفتح له أبواب الجنة الثمانية»، وذهب آخر في الصباح التالي إلى القبر الأقدس فأحسَّ وهو يصلِّي ويسلِّم أن رسول الله ﷺ يقول: «أحلَّ شيخكم في أعلى عليين، ومثله لا يوجد إلا نادرًا في مئات آلاف بل في عشرات ملايين»(١).

قال أبو عبيدة: هذه هي صوفية مؤسس التبليغ وأمرائهم والقائمين على دعوتهم، وهي دليل صريح واضح فاقع على تصوف الجماعة، وهذا لا يمنع أن يلتحق بهم أناس ليسوا على هذا المعتقد، والكلام محصور في تصوف أئمتهم وكبرائهم، ولذا؛ لا تتعجل أخي القارئ إن علمت بعض من تلقى العقيدة الصحيحة من غيرهم، وهو بينهم، فهؤلاء مغفلون، ولا يعرفون حقيقة جماعة التبليغ، وهم -بغفلة منهم- من أكبر مروِّجي هذه الجماعة، ومثلهم -إن لم يزد عليهم- من يمدحهم من السلفيِّين، ويزعم أن المشايخ إنما تكلَّموا فيهم، وهم لا يعرفونهم، ولا يعرفون دعوتهم! بئس ما قالوا! وهذه تهمة لهم لافترائهم على الله عَزَّوَجَلَّ، وما مناظرات(٢) شيخنا الألباني لأعيانهم إلا أكبر دليل على حذقه بمعرفة دعوتهم، وطرق ألاعيبهم في الاستدلال بالنصوص!

وأخيرًا: قد بلغني عنهم أن مشكلة شخصية لي معهم، وهذا -والله!- كذب، وليس لي مع واحد منهم مشكلة، ولكن جماعات(٣) منهم -من بلدان شتَّى- يحتجون بتوبة شيخنا الألباني من الكلام فيهم، وأنه تراجع عن التحذير منهم، وهم يستدلون بشهادتي على سماعي له، وأني تبتُ -مثله-، وكفَّرتُ

(١) مجلة «البلاغ» دار العلوم كراتشي شوال ١٤٠٢هـ (١٩).

(٢) وقفتُ له على ثلاث مناظرات، وأعمل مع أخي الفاضل أبي حسين محمد عثمان -حفظه الله تعالى- على جمع جميع المناظرات، وأسأل الله التوفيق والسداد.

(٣) يستحيل تواطؤهم على الكذب.

عن خطيئتي بالخروج معهم مرتين، وكل مرة أربعة أشهر.

وأقول: هذا أمر معهود منهم[1]، وهو كذبٌ عليَّ، ولا وجود له -البتة-، فهذه هي مشكلتي معهم، وما استجد عليَّ شيء معهم، وأدعو الله -تعالى- أن يصلحهم، وأن يرزقني وإياهم الموت على التوحيد، وأن نحيى عليه، وأن يشرفنا بالدعوة إليه على منهج جميع الأنبياء -عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سبق له أمثلة في (ص١٨).

الملحق الثاني
في خرافة تقبيل أحمد الرفاعي ليد الرسول ﷺ

○ **كلام تقي الدين الهلالي عن الخرافة بإيجاز:**

أشار المصنف(١) إلى خرافة الرفاعي التي ذكرها التبليغي الصوفي محمد زكريا الكاندهلوي في كتابه «فضائل الحج» (ص١٥٠)، وإنشاده البيتين المنسوبين إليه، وذلك قوله:

فِي حالَةِ البُعدِ رُوحي كُنْتُ أُرْسِلُها ... تُقَبِّلُ الأرضَ عنِّي وهْيَ نَائِبَتي
وهذِهِ دوْلَةُ الأشباحِ قدْ حَضَرَتْ ... فامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْظَى بِها شَفَتِي

قالوا: فخرجت اليد الشريفة، حتى قبَّلها الرفاعي، ثم رجعت.

وردَّها تقي الدين الهلالي بقوله: «**كذب وبهتان**، فإنه لم يكن أحدٌ يقبِّل الأرض بين يدي النبي ﷺ، ولا يرضى بذلك النبي ﷺ، وإنما يُفعل ذلك بين يدي الجبابرة، ولم يكن النبي ﷺ في حياته يمدُّ يده إلى الناس يقبِّلونها فكيف ذلك بعد وفاته؟ فما أسفه عقول المشركين، يتمسَّكون بنسج العنكبوت».

○ **ذكر القصة بالتفصيل:**

يذكرُ الصوفية بعامَّة، والرفاعية بخاصَّة -ضمن كرامات «الإمام، القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين»(٢)، أبي العباس أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- هذه القصَّة:

لمَّا حجَّ سنة (٥٥٥هـ) وقف تجاه الحجرة الشريفة النبوية وقال على

---

(١) (ص٤٤٨).

(٢) من «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٧٧).

رؤوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي. فقال له عليه وعلى آله الصلاة والسلام: وعليك السلام يا ولدِي. سمعَ ذلك كلُّ مَن في المسجد النبوي؛ فتواجد سيدُنا السيد أحمد وأرْعِدَ واصفر لونه وجثا على ركبتيه، ثم قام وبكى وأنَّ طويلًا وقال: يا جداه!

فِي حالَةِ البُعدِ رُوحي كُنْتُ أُرْسِلُها تُقَبِّلُ الأرضَ عنِّي وهْيَ نَائِبَتِي
وهذهِ دوْلَةُ الأشباحِ قدْ حَضَرَتْ فامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْظَى بِها شَفَتِي

فمدَّ له رسول الله ﷺ يده الشريفة العطرة مِن قبره الأزهر المكرم، **فقبَّلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل**، والناس ينظرون اليد الشريفة، وكان في المسجد مع الحجَّاج: الشيخُ عبدالقادر الجيلاني، والشيخ حياة بن قيس الحراني، والشيخ خميس، والشيخ عدي بن مسافر الشامي، وغيرُهم(١).

وجاء في بعض رواياتها: «فانشقَّ التابوت، ومدَّ النبي ﷺ يده إلى الرفاعي؛ ليقبِّلها أمام جمع من الناس يزيدون على التسعين ألفًا، وكان من بينهم: عبدالقادر الجيلاني، وعدي بن مسافر، وحيوة بن قيس الحراني».

○ شهرتها:

هذه القصة مشهورة جدًّا بين الصوفية عمومًا، والرفاعية خصوصًا، ولا تكاد تجد كتابًا من الكتب التي تحدَّثت عن مناقب الصوفية أو تَرجمت لأعلامهم؛ إلا وذكرتها، لكن بعد المدَّة التي وضعت فيها هذه القصة، ولذا تجدها مشهورة جدًّا في كتب المتأخِّرين، وتجد فيها تهديدًا ووعيدًا لمَن يكذِّبها، **وهذه أمارة مِن أمارات اختلاقها ووضعها**؛ كما سيأتي، **وهذا برهان ودليل شهرتها:**

---

(١) **من مثل:** أحمد الزعفراني الواسطي، وعبدالرزاق بن أحمد الحسيني الواسطي، وأحمد الزاهد الأنصاري ابن الشيخ منصور البطائحي، قاله الرواس في «مراحل السالكين» (١١٣).

ذكرَها على أنها حقيقة مسلَّمةٌ لا شيةَ فيها، وعلى أنها متواترة (!!) عن الإمام أحمد الرفاعي؛ كلٌّ مِن:

- محمد أبو الهدى الرفاعي الخالدي الصيادي:

ذكرها في كثير من كتبه، مثل: «قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر» (١٥، ٢٠، ١٨)، و«حكم الرفاعي» (٥١)، و«ضوء الشمس في قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس» (١/ ١٧٤)، و«المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية» (٣٤، ٥٩)، و«تنوير الأبصار» (٦)، و«ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد» (٣٣)، و«الكنز المطلسم» (٥)، و«الكليات الأحمدية» (٢٠١)، و«الغارة الإلهية» (٥٦)، و«نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف» (١٤)، و«التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الأمجد» (٥٩).

وقد صنَّف الصيادي هذا كتابًا مفردًا يدافع فيه عن هذه القصة، وسماه بـ«الفخر المخلَّد في منقبة اليد»، وهو مطبوع.

- السيوطي في كتابه «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» (٢/ ٢٦١ - مع «الحاوي للفتاوي»)، وفيه: «وفي بعض المجاميع حج سيدي أحمد الرفاعي...» وذكرها.

- عبدالقادر النعيمي في (زوائده) على «تظريف المجالس» (ق١٢٩/ ب - نسخة باريس).

- صاحب «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (ص١٧٧).

- أحمد الفاروثي، ذكرها في كتابه «إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين» (٣٤).

- يوسف النبهاني في «جامع كرامات الأولياء» (١/ ٢٩٨).

- العدوي في «مشارق الأنوار»، وعنه يوسف النبهاني في «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» (ص١٠٨-١٠٩).

- إبراهيم البرنزمي، ذكرها في كتابه «إجابة الداعي في مناقب القطب الرفاعي» (١٨).

- عبدالكريم الرافعي في كتابه «سواد العينين في مناقب سيدي أبي العلمين» (١٠).

- تقي الدين الواسطي في كتابه «ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ الرفاعيين» (١٢).

- عبدالغني النابلسي في «ديوانه» المسمى «ديوان الحقائق ومجموع الرقائق» (١٠٠).

- أحمد العمري في كتابه «العقود الجوهرية».

- محمد نجيب خياطة في مقدمة تحقيقه لكتاب الشيخ أحمد الرفاعي «حال أهل الحقيقة مع الله» (٩ - ١٣).

- مقدم كتاب «المجالس الرفاعية» (ص٢٦ - ٢٧).

وغيرهم كثير كثير.

أمّا الوعاظ والخطباء؛ فيرددُها -كثيرًا- مَن له مشربٌ صوفي منهم، وكنتُ قد سمعتُها في صباي -لأول مرة- من الشيخ عبدالله عزام[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وقد اعتنى بهذه القصة الرواس (محمد مهدي الصيادي) (ت١٢٨٧هـ) في كتابه «مراحل السالكين» (١١٢ - ١١٦)، وعنون لها: (شهادة الأثبات لثابت الشرف وأجلِّ الكرامات، وإرث المصطفى والمرتضى والأئمة الثقات)،

(١) ثم نمي إليَّ أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ينكرها فيما بعد، والله أعلم، وأخبرني الأخ أمجد المستريحي أن حسنًا السقاف -وكان أمجد أحد ملازميه فيما مضى، ثم تركه- زار الزاوية الرفاعية في جبل النصر سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٩٠م)، وسئل عن هذه القصة، فقال: «هذه قصة ثابتة وصحيحة، ولا يكذبها إلا منافق وأحمق»، فقيل له: ألم يذكرها أحد من العلماء الأقدمين؟ فقال: «هذه قصة خاصة للصوفية الرفاعية، ولم يتناقلها غيرهم؛ فهي كرامة لهم»!!

ومهَّد لها بكلام وعقبها بأمورٍ فخام، ولذا أسوق لك ما قال على وجه الكمال والتمام، **قال ما نصه:**

«قال سيدنا، القطب، الغوث، الجواد، السيد عز الدين أحمد الصياد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب «المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية»: قال الشريف الكبير حسن بن محمد الحسيني رَحِمَهُ اللَّهُ: ظهرَ في أم عبيدة بواسط العراق رجلٌ من العرب يتحدَّث الناس بكراماته وأقواله في الشريعة والحقيقة، واشتهر بالكرامات والعنايات والبركات، وأقرَّت له بالولاية الجهابذةُ السادات، واتَّفق على تفرُّده في عصره أهلُ العلم والصلاح، فسألتُ عنه فقيل لي: هو رجل من العرب، مِن بطن بني رفاعة، اسمه أحمد بن أبي الحسن الرفاعي؛ فعظُمَ ذلك عليَّ، وقلتُ في خاطري: هذا أمر عجيب! فإن الفتح الذي يبلغنا عنه لا يكون إلا لأهل البيت، والذين بلغوا أدنى مِن هذا الفتح مِن الأولياء ما بلغوه إلَّا بواسطة أهل بيت النبوة، وبعد خدمتهم والانتساب إليهم، حصل لهم ما حصل من الفتح والبركة؛ كإبراهيم بن أدهم، وأبي يزيد البسطامي، وغيرِهما مِن أولياء الكون، وهذا الرجل لا نعرفه ولا يعرفنا، ونرى أنّ أسراره تشابه أسرارنا، وإذا ذُكر تحنُّ إليه قلوبنا ويتحرك دمُنا، وقد قيل:

إذا غـاب عَنْـكَ أصْـلُ الفَتـى   فَفِعْلُـــهُ كـافٍ عَـنِ البَحْـثِ

وهذا الرجل أفعاله تدلُّ على أنه من هذه الشجرة المطهَّرة، فلما تزايد هذا الفكر عندي كتبت إليه كتابًا وشوقته به لزيارة النبي ﷺ، وكان القصد الاطِّلاع على حقيقة أمره، فلما وصل إليه الكتاب؛ كتب أنه في عامه القابل عازم -إن شاء الله- على أداء فريضة الحج، وزيارة سيد المخلوقين ﷺ، وكان ذلك؛ فإنه في العام الثاني وهو عام خمس وخمسين وخمس مئة جاء إلى الحجاز فأدَّى فريضة الحج، ووصل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان بمعيَّته -مِن فقراء طريقته ومُحبيه- خلقٌ لا يُحصى

عددهم، وقد انضمَّ له قوم من الشام والحجاز واليمن والمغرب وغيرها؛ حتى أن القافلة التي دخل بها المدينة المنورة تجاوزت تسعين ألفًا، وكان في القافلة المباركة المذكورة جماعةٌ من أكابر أولياء العصر: كالشيخ عدي بن مسافر الشامي، والشيخ أحمد الزعفراني الواسطي، والشيخ حيوة بن قيس الحراني، والشيخ عبدالقادر الجيلاني البغدادي، والشيخ عبدالرزاق بن أحمد الحسيني الواسطي، والشيخ كنز العارفين أحمد الزاهد الأنصاري ابن الشيخ منصور البطائحي الرباني، وجماعة، فلما وصل الحرم الشريف النبوي؛ وقف تجاه حجرة النبي ﷺ وقد امتلأ الحرم المبارك بالزائرين وأكابر الرجال وراء ظهره صفوفًا، وكان أقربهم لديه من أتباعه: الشيخ يعقوب بن كراز العبيدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والإمام الفقيه الشيخ عمر أبو الفرج الفاروثي الواسطي، والشيخ عبدالسميع الهاشمي العباسي، وكان ذلك بعد صلاة العصر يوم خميس؛ فأطرق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال على رؤوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي. قال له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من قبره المبارك: «وعليك السلام يا ولدي»، سمع ذلك من حضر، فلما منَّ عليه ﷺ بالجواب جهرًا؛ تواجد وارتعد واصفرَّ وبكى وأنَّ، وجثا على ركبتيه، ثم قام وقال: يا جدَّاه!

فِي حالَةِ البُعدِ رُوحي كُنْتُ أُرْسِلُها   تُقَبِّلُ الأرضَ عنِّي وهْيَ نَائِبَتِي
وهذهِ دوْلةُ الأشباحِ قدْ حَضَرَتْ   فامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْظَى بِها شَفَتِي

فانشقَّ تابوت الرسالة ومدَّ له رسولُ الله ﷺ يده الشريفة إلى خارج الشباك النبوي؛ فقبَّلها والناس ينظرون، وقد كادت تقوم قيامة الناس لِمَا حلَّ بهم من سلطان الهيبة المحمدية، وقد كنت بالجانب الغربي من الحرم؛ فكدت أموت جزعًا لبُعدي عن الحجرة النبوية، ووالله! إني رأيتها حيثُ خرجت من القبر كالصقيل اليماني.

وأخبرني الشريف نُميلة الحسيني القاضي -وهو ثقة- أنه سمع كلام النبي ﷺ

للسيد أحمد حين كانت يدُه الكريمة بيدِه وأنه يقول له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اصعد المنبر، البس الزِّيَّ الأسود(١) وعِظ الناس؛ فإن الله نفع بك أهل الأرض، وهذه البيعة لك ولذريَّتك إلى يوم القيامة»، وقال لي الشريف نُميلة المذكور: رأيت اليد الطاهرة وذراعها المبارك الشريف مكونًا مِن نور، والكف المبارك طويل الأصابع أبهج من البرق المنير، وكذلك قال كل مَن حضر في الحرم الشريف النبوي، ولما آن انصراف السيد أحمد مِن حضرة الحضور؛ اضطجع في باب الحرم وسأل الناس أن يدوس كلهم عنقه برجله تواضعًا وانكسارًا؛ فتخطى العامة عنقه المبارك، وانصرف الخاصة من أبواب أُخر، ثم إني في اليوم الثاني دعوته إليَّ -وقد عظم أمره لديَّ-؛ فحضر عندنا، وبعد أن استقرَّ به الجلوس، التفتَ إليَّ وكاشفني بما في ضميري قائلًا: يا شريف! أتشك في أمر ابن عمك؟ فقلت: يا سيدي! إن جدَّنا ﷺ أمرنا أن نحكم بالظاهر والله يتولَّى السرائر(٢).

قال: صدقت، سلْ ما بدا لك. فقلت: أي سيدي! مِن أي القبائل أنت؟ ومن أي بطون العرب؟ وإلى أي عصابة تنتمي؟ فأمر أصحابه؛ فأتوا بصحيفة مكتوب فيها نسبُه الشريف، وعليها خطوط العلماء والأشراف والسادات والأمراء وملوك المغرب والعراق والحجاز، وهو مكتوب اسمه بذيلها على عادة المشجرات، فتلوناها في حرم رسول الله ﷺ، وشهد على مضمونها

(١) يزعم أصحاب الطريقة الرفاعية بأن الرسول ﷺ قد ألبس الرفاعي الخرقة السوداء، وهي موجودة إلى الآن يتوارثها كل شيخ كبير من مشايخ الصوفية، والحقيقة أنهم كلَّهم (أي: مشايخَ الصوفية) يدَّعِي بأن الخرقة -هي- عنده! والله أعلم! وانظر عن (لبس الخرقة) ما تقدم (ص٤٢٧).

ومثلها: (السجادة النبوية)، انظر كلام تقي الدين الهلالي عنها في كتابه «رحلة من الزبير إلى لا أدري، من الزبير إلى جنيف»، وتعليقي عليها.

(٢) هذا لم يثبت، ولا أصل له عند أهل الصنعة الحديثية.

الألوف من المسلمين، وقد دلَّ مضمونها على أن صورتها معلَّقة في الكعبة بأمر الهواشم، ولها صورة أُخرى في خزانة آل عبيد الله الأعرج الحسيني أمراء المدينة المنورة؛ فحمدت الله -تعالى- على أن منَّ عليَّ بمعرفته، وجعلني مِن محبِّيه وشيعته، وقد أخذ عليَّ العهد والميثاق وألزمني طريقته المباركة، نفعني الله به والمسلمين».

قلت: وهذه الواقعة الجليلة والمزيَّة المقدَّسة الجميلة التي اختصه الله بها واختصها به؛ هي خارقة من أشرف الخارقات، وكرامة من أجلِّ الكرامات؛ سارت بذكرها الركبان، وقد ساق لها الجهبذ الأمجد الأنصاري في العقود أسانيد باهرة وأخبارًا زاهرة، وهي أشهر من أن يشار إليها أو أن يُنبَّه عليها؛ لاشتهارها في جميع البلاد الإسلامية، ولدى الأمة المحمدية، في المشارق والمغارب والأمصار والقفار، اشتهار الشمس في رابعة النهار، ولذلك اكتفينا بذكرها اعتمادًا على اشتهار أمرها، والله المعين».

○ تهديد الرفاعية لمن ردَّها أو أنكرها:

عدَّ الرفاعية هذه القصة متواترة، وصرَّحوا بأنَّ **منكِرها مرتد!! خارج عن ملَّة الإسلام تارةً**، وبأنه ذو زيغ وضلالة تارةً أخرى، وبأنه منافق طبع الله على قلبه تارةً ثالثة، وترى هذه التهديدات في المؤلفات المذكورات آنفًا؛ فلا داعي للإطالة بنقل مثل هذه الهذيانات، والعبارات السامجات، والأقوال الباطلات، والتهديدات الباردات، **وأجتزئ على نقل نصَّيْن منها لأدلل على مرادي مِن هذا العنوان:**

الأول: قال الصيادي في «قلادة الجواهر» (١٠٤): «فخروج يد النبي ﷺ لسيدي أحمد بن الرفاعي ممكن، ولا يشك فيه إلا ذو زيغ وضلالة، أو منافق طبع الله على قلبه، وإنكارها يؤدِّي إلى سوء الخاتمة»، وقال: «**وإنكار هذه الكرامة كفر**».

والآخر: ما قاله المعلّق على «حال أهل الحقيقة مع الله»، وهو محمد نجيب خياطة، **قال ما نصه (ص١٠-١٣)**:

«وهذه الكرامة اشتهرت بين الناس وتناقلها العام والخاص؛ حتى صارت متواترة لا تُنكر، وجاحدها لا يُعوَّل عليه ولا يُنصَر، رواها علماء متعددون، وأئمة معتبرون، قولهم في الدين حجة، ونقلهم سند ومحجة.

قال الإمام الأسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد البسملة والحمدلة: «وقع السؤال عن مدِّ يدِ النبي ﷺ من قبره الشريف إلى الولي الكبير، الإمام الشهير، مولانا السيد أحمد الرفاعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هل هو ممكن أم لا؟ وهل أسانيد هذه الرواية المشهورة عالية صحيحة؟

والجواب عن السؤال المذكور حررته بهذا الكتاب، وسميته «الشرف المحتم فيما منَّ الله به على وليِّه السيد أحمد الرفاعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من تقبيل يد النبي ﷺ»».

ثم قال: «وأول ما أقول: إن حياة النبي ﷺ هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا قطعًا، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك، وقام بذلك البرهان وصحت الروايات وتواترت الأخبار، وقد كتبت في حياة الأنبياء كتابًا مخصوصًا، وبسطت فيه الأدلة والأخبار، وها أنا أذكر لك بعضها».

وسرد بعضًا منها، ثم قال: «وقال اليافعي عفيف الدين: الأولياء يرد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السماوات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبي ﷺ إلى موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يصلِّي في قبره. قال: وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي. قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل، ونصوص العلماء في حياة الأنبياء كثيرة لا تحصى، فلنكتف بهذا المقدار، وحيث إن الحياة ثبتت، وسماع كلامهم ورؤيتهم -عليهم الصلاة والسلام- صح وقوعها عند الأولياء؛ فخروج يد

النبي ﷺ لسيدي السيد أحمد الرفاعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ممكن، ولا يشك فيه إلا ذو زيغ وضلالة أو منافق طبع الله على قلبه، وإن إنكار هذه المزية ومثلها يؤدي إلى سوء الخاتمة، حمانا الله لما فيه من إنكار المعجزة الدائمة والكرامة الباهرة».

ثمَّ ساق أسانيد هذه الكرامة وطرقها، ثم قال: «ومن المعلوم أن هذه المنقبة المباركة بلغت بين المسلمين مبلغ التواتر، وعلت أسانيدها، وصحت رواياتها، واتفق رواتُها، وإنكارُها مِن شوائب النفاق -معاذ الله-».

○ ردُّ القصة وبيان وهائها ونكارتها:

إنّ مجرد تهديد منكر هذه القصة بكفره وسوء خاتمته؛ إنما كان بسبب ضعف الدليل الذي يمكن أن يقدمه الرفاعية لإثباتها، وإلا؛ فالقصة مِن أساسها لا تثبت، **والأدلة على عدم ثبوتها كالآتي:**

الأول: إن أصحاب كتب وتراجم الصوفية الأوائل؛ كالسبكي، والشعراني، وابن الملقن، والمناوي؛ لم يتعرضوا لذكر هذه الحادثة، مع أنهم كانوا أقرب إلى عصر الرفاعي من المتأخرين كالصيادي، وليس من المعقول أن يحرصوا على جمع كل ما روي عنه؛ فيروون قصة الجرادة والبعوضة، ويهملون هذه الحادثة التي اهتزت لها بقاع الأرض، على حد تعبير الصيادي!

الثاني: إن المؤرخين غير المتصوفة؛ كالذهبي، وابن كثير، وابن خلكان؛ لم يتعرضوا لذكر هذه الحادثة إطلاقًا، ولو أنها وقعت حقيقة؛ لتسابقوا إلى كتابتها، وقد ذكروا ما اشتهر به الرفاعيون من دخول النيران واللعب بالحيات وركوب السباع؛ غير أنهم لم يتطرقوا إلى ذكر هذه الحادثة، الأمر الذي يبعث على الجزم بأن حبكها كان متأخِّرًا عنهم.

الثالث: إن رواة هذه الحادثة هم الصوفية الذين شهد الرفاعي نفسه بأنهم يكذبون على مشايخهم وأئمتهم، حيث قال: «واحذر الفرقة التي دأبها التفكه بحكايات الأكابر وما ينسب إليهم؛ فإن أكثر ذلك مكذوب عليهم»، وقال: «يا

بني! إذا نظرت في القوم الذين ادَّعوا التصوف؛ وجدت أنَّ أكثرهم من الزنادقة الحرورية والمبتدعة»(١).

الرابع: إنهم رووا عن الرفاعي(٢) -أيضًا- أنه في العام الثاني زار القبر مرة أخرى، قال الصيادي: «ولمّا حج الرفاعي عام وفاته، وزار قبر النبي الذي هو أفضل من الجنة، بل من العرش والكرسي(٣)؛ أنشد قائلًا:

إنْ قيلَ زُرْتُم بما رَجَعْتُمْ ... يا أشْرَفَ الرُّسْلِ ما نقولُ

فخرج صوت من القبر الشريف سمعه كل من حضر في ذلك الروض المعطر وهو يقول:

قُولوا رَجَعْنا بِكُلِّ خيرٍ ... واجْتَمَعَ الفرْعُ والأصولُ»

فالرفاعي نجده في كل مرة لا يخاطب النبي إلا بالشعر، والنبي لا يجيبه إلا بالشعر؛ لماذا لا يخاطبه بلغة القرآن من غير شعر ولا نثر ولا سجع؟ وهل نسي القوم قول الله -تعالى-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩](٤)؟!

الخامس: إنه يلزم من تكليم الرفاعي للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإمساك يده عيانًا أن يصير صحابيًّا؛ فينال شرف الصحبة، ولو قالوا بأنها كانت رؤيا لما لزم ذلك، لكنهم يصرُّون على أن الحادثة كانت يقظة لا منامًا.

---

(١) «قلادة الجوهر» (١٠٤، ١٠٩)، و«ضوء الشمس» (١/ ١٧٦).

(٢) ذكرها العيدروسي في «النور السافر» (ص١٥١) وقال: «إن بعض الأولياء...» ولم يسمِّه!

(٣) تفضيل قبر النبي ﷺ على الجنة والعرش والكرسي كلام ليس بسديد، وطولتُ في مناقشته في مقدمتي لتحقيق «مقامة المرور بين العلمين إلى مفاخرة الحرمين» (ص٢٠ - ٢٦) للعلامة المحدِّث نور الدين علي بن يوسف الزرندي المدني (ت٧٧٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

(٤) ورد صاحب «الكشف عن حقيقة الصوفية» (ص٥٠٤) على هذه الفرية بقوله: «**الجواب:** يقول -سبحانه-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾»؛ فهل نُسخت الآية كرامةً لأحمد الرفاعي، وهذه الحادثة إن لم تكن من أكاذيبهم؛ **فدور إبليس واضح فيها.**

السادس: إنَّ هذا العددَ الهائل الذي ذكروه «تسعين ألفًا» مِن الناس؛ لا تتسع له المنطقة المحيطة بالمسجد برمتها، ولا يستطيع هذا العددُ رؤيةَ تقبيل اليد -كلُّهم- في وقت واحد، وحتى لو وقفوا صفوفًا طويلة لرؤية يد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لاستغرق ذلك أيامًا لكثرة عددهم الهائل؛ فهل بقي النبي مادًّا يده أيامًا، أو على الأقل يومًا كاملًا؛ ليراه هذا الحشد الهائل من الناس؟!

السابع: إنهم ذكروا في سياق القصة أن الرفاعي نودي من الحضرة العلية: أن قم يا أحمد وزُرْ البيتَ الحرام، وزُرْ قبرَ النَّبيِّ ﷺ. فقال: سمعًا وطاعة. فإن أرادوا بذلك أن الهاتف هو الله -تعالى-؛ فهذه إذن كرامة أعظم من مجرد تقبيل يد النبي ﷺ؛ فلماذا لم يعيروها اهتمامهم؟!

الثامن: إن سياق الكلام الذي نسبوه إلى النبي ﷺ ينفي أن يكون هذا من كلامه، مثل أن يقول للرفاعي: «البس الزي الأسود»، وكذلك قوله: «فإن الله نفع بك أهل السماوات والأرض»؛ فبماذا انتفع به أهل السماوات؟! ثم إنه لم يكن يرد السلام بصيغة المفرد: «وعليك السلام»، ولم يعهد عنه لفظ: «يا ولدي»، ولم يقلها للحسن ولا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

التاسع: ادَّعى الصيادي أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني كان موجودًا وقت الحادثة، وقد أراد الصيادي من ذكر الجيلاني أن يجعل منه شاهدًا على ما حدث، ولكن أين شهادة الجيلاني نفسه بذلك، وهو لم يذكر في مصنفاته كـ«الغنية» و«الفتح الرباني» شيئًا من ذلك، ولا روى عنه أصحابه ولا مترجموه أنه شهد على ذلك، بل لم يُعرف عنه -أبدًا- أنه رافق الرفاعي إلى الحج، إن الصيادي يأتي لنا بشهود لم يشهدوا؛ إذ لن يستطيع الجيلاني بعد موته أن ينكر هذه الدعوى المنسوبة إليه!

العاشر: إن هذين البيتين اللَّذَين أنشدهما الرفاعي عند القبر منسوبان إلى غيره.

قال الشيخ الآلوسي: «إن كثيرًا من أهل العلم والأدب نسب البيتين إلى غير الرفاعي؛ قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في «تذكرته»: «حكي أن ابن الفارض لما اجتمع بالشهاب السهروردي في مكة أنشده:

فِي حالَةِ البُعدِ رُوحي كُنْتُ أُرْسِلُها ... تُقَبِّلُ الأرضَ عنِّي وهْيَ نَائِبَتي
وهذِهِ نَوْبَةُ[1] الأشباحِ قدْ حَضَرَتْ ... فامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْظَى بِها شَفَتِي»

قال: وممن نقل ذلك الشهاب الخفاجي في كتابه «طراز المجالس»»[2].

الحادي عشر: إن النبي ﷺ ما كلَّم أحدًا من أصحابه ولا أزواجه ولا أحفاده ولم يمد يده لأحد منهم؛ فلماذا يتميز الرفاعي عن كل هؤلاء؟

قال الشيخ الآلوسي: «إنّ حسن الظن بأحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقتضي عدمَ مخالفته للسنة النبوية والشريعة المحمدية؛ فقد كان -على ما يروي الثقات- على خلاف المنتمين إليه مِن المبتدعة الغلاة؛ فإنه لم يزل على المنهج المستقيم، والصراط القويم؛ فكيف يسوغ لمن تأدَّب بالآداب النبوية أن يتجاسر في ذلك المقام، ويطلب منه ما لم يطلبه غيره من أكابر الصحابة وأئمة أهل البيت؟

وقد صحَّ عن عمرَ أنه قال في بعض الأمور: «ليتني سألت رسول الله ﷺ عنه»، وقد بلغك ما عرى فاطمة البتول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من الحزن العظيم بعد وفاته ﷺ؛ فهل بلغك عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه ظهر لها كما يظهر للصوفية؟ وقد سمعت بذهاب عائشة إلى البصرة وما كان من وقعة الجمل؛ فهل سمعت تعرضه ﷺ لها قبل الذهاب، وصده إياها عن ذلك؟».

الثاني عشر: إن الصيادي ذكر أن عليَّ بن أبي طالب وقف عند قبر رسول الله ﷺ وبكى حتى كادت تزهق روحه، وأنشد عنده أبياتًا من الشعر؛ فقال:

كُنْتَ السَّوادَ لِنَاظِري ... فبكى عليكَ النَّاظِرُ
مَن شاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ ... فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحاذِرُ

---

(١) تقدَّم في (ص٤٤٨، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١٠): «دولة».

(٢) «غاية الأماني في الرد على النبهاني» (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦).

وإن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بكت عند قبر أبيها -صلوات الله وسلامه- عليه بكاءً شديدًا، وأنشدت تقول:

مـاذا علـى مَـنْ شَـمَّ تُرْبَـةَ أَحْمَـدٍ ... أن لا يَشُـمَّ مـدى الزَّمـانِ غَوالِيـا
صُبَّـتْ علـيَّ مصائـبٌ لـو أنَّهـا ... صُبَّـتْ علـى الأيَّـامِ صِـرْنَ لياليـا

وإنَّ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقيت تبكيه وحزنها متواصل حتى لحقت بعده بستة أشهر[١].

فلم يحصل لهم ما حصل للرفاعي، ولم يمد الرسول لهم يدًا، ولم يُسمعْهم صوتًا، وإنما قدَّم عليهم الرفاعيَّ وأولياء المتصوفة؛ فتارة يُظهر يده -بل نفسه- على فريق منهم، وتارة يمد يده، وتارة ينشد لهم شعرًا!

الثالث عشر: إن الرفاعي كان ينهى عن إظهار الكرامة، ويراها استدراجًا وفتنة؛ إذ كان يقول: «يا أخي! أخاف عليك من الفرح بالكرامة وإظهارها، فإن الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض»[٢]، بينما القصة هنا تفيد أنه نادى الخلائق أن يرافقوه إلى المدينة؛ ليروا ما سيحصل له من الكرامة.

وفي الختام أشير إلى ما ادَّعاه محمد سليم حمامي في تعليقه على كتاب «ضوء الشمس» للصيادي، أن من بين الكتب التي ذكرت هذه الحادثة:

١- «البرهان المؤيد».

٢- «الشرف المحتم فيما منَّ الله به على وليه أحمد الرفاعي من تقبيل يد النبي ﷺ».

أمَّا كتاب «البرهان المؤيد»؛ فإنه لا يتضمن ذكر هذه القصة ولا بطريق الإشارة، ويحتمل أن يتحدث محقق الكتاب عن الحادثة، والمحقق على ما

---

(١) «ضوء الشمس» (١/ ١٩٠ - ١٩١)، «قلادة الجوهر» (٣٠٩).

(٢) «البرهان المؤيد» (٨١ - ٨٢)، و«قلادة الجوهر» (١٥٠)، و«المعارف المحمدية» (١٠).

أعلم هو الدكتور صلاح عزام، أمَّا أن يكون الرفاعي نفسه قد تحدث عنها فيما خلف من كتب؛ فهذا ما لا يظهر لي حسب خبرتي في الطريقة، واطِّلاعي على أغلب المصادر التي كتبت عنها.

وأمَّا كتاب «الشرف المحتم» للسيوطي؛ فإنه منسوب إليه، **ولا يثبت للأسباب الآتية:**

أولًا: إن الرسالة مقتبسة من كلام الصيادي في كتابه «قلادة الجوهر» و«ضوء الشمس» وغيرهما، وهي من عباراته بحذافيرها.

ثانيًا: إن الرسالة تتضمن رمي كل من أنكر هذه الحادثة بالكفر والنفاق والموت على سوء الخاتمة، ومثل هذا لا يعرف عن السيوطي، وإنما حكم الصيادي الرفاعي بكفر منكرها، واعتبرها بمنزلة أركان الإيمان، والعبارة منقولة عنه حرفًا بحرف[(١)]؛ فكيف أخذ السيوطي عنه وهو متقدِّم عليه في الزمن؟!

ثالثًا: إن الصيادي كان ينقب شرقًا وغربًا عمن تحدث عن هذه الحادثة، ولقد كان واسع الاطِّلاع، مُلِمًّا بكل كتاب من كتب الأئمة المتقدم منها والمتأخر، ومع ذلك؛ فلا هو استشهد بالسيوطي، ولا ذكر رسالته، مما يؤكد أن الرسالة ظهرت بعده.

رابعًا: إنه لو كان الصيادي -مثلًا- هو الذي اقتبس عبارة السيوطي من رسالته؛ فلماذا لا يشير إليها، لا سيما وأن الاستشهاد برجل كالسيوطي أعظم حجة وأقوى دليلًا من مجرد النقل عنه مع ترك بيان رسالته؟!

كل هذه القرائن تؤكد أن الرسالة مجموعة من عبارات الصيادي نفسه، ومنحولة إلى السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)].

---

(١) قارن (ص٤ - ٦) من الرسالة المنسوبة للسيوطي مع «قلادة الجوهر» (١٥، ١٠٤، ١٠٨)، و«ضوء الشمس» (١/ ١٧٥).

(٢) ما تقدَّم مأخوذ من كتاب «الرفاعية» (ص٤٠ وما بعدها) لعبدالرحمن دمشقية.

خامسًا: لم يذكر أحد ممن جمع مؤلفات السيوطي -لا هو ولا غيره- هذا الكتاب له.

ولهذه القصة نظائرُ كثيرة، وهي قائمة على أنّ النبي ﷺ له حياةٌ خاصة به كحياته في الدنيا، فهو يقوم ويمشي، ويتنقل بعد وفاته، ويستغيث به الأموات، وكتبُ مناقب أئمة الصوفية طافحة بهذا، وهذا يخالف القرآن، ومما لم يثبت به حديثٌ ولا أثر، وحياتُه ﷺ في البرزخ حياةٌ خاصة به، وهي حياة مكرمة، تُعرض عليه ﷺ صلاةُ أمته عليه، ونثبت ما ورد في النص، ونبتعد عن الخرافات، التي للأسف هي معدودة عند القوم كرامات!

وإن القصة المذكورة عن الشيخ أحمد الرفاعي **باطلة**، وإن بعض المتسبين للعلم يهابون التعرض لكل مَن ادَّعى الولاية بحالة أو مقالة ولو كان ذلك مكذوبًا، وما ذلك إلا من **ضعف البصيرة، وقلَّة الرسوخ في العلم، وعدم التحقق بحقائق الدين التي يضمحل أمامها كل باطل، وتسقط تجاهها كل دعوى كاذبة، كما كان عليه سلَف هذه الأُمَّة وخلَفها مِن الإنكار على كل مَن أدخل في دين الله -تعالى- ما ليس منه؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون.**

ومما ينبغي التنبه له أمور:

أولًا: على المفتري الناسب الردة لمن أنكر هذه القصة ما يستحق، فإنَّ مَن ينكرها لم يخالف الشريعة من أي وجه من الوجوه؛ فكيف يزعم بعضهم أنّ منكِرها مرتد؟ ومِن أين لهم معرفة الغيب حيث زعموا أن منكرها منافق، أو سيختم له بالسُّوء؟!

ثانيًا: زَعْمُ بعضهم أنّ لهذه القصَّة أسانيدَ عاليةً؛ غيرُ صحيح، ولا وجود له البتَّة، وهو من باب التكاثر والتشبع بما لم يُعطَوا.

ثالثًا: استدلالُ بعضهم بالأحاديث الواردة في حياة الأنبياء في قبورهم على صحَّة هذه القصة وأمثالها؛ مِن الجهالات والضلالات؛ فإن الأحاديث تُثبت

لهم حياةً برزخية خاصة، وصلتُهم بالحياة الدنيوية تحتاج إلى دليل خاص.

الفساد الذي حوته هذه القصة:

هذه القصة -وأمثالها كثير- تحتوي على فسادٍ عظيمٍ في العقيدة، **ويمكن إجمال ذلك بما يلي:**

أولًا: فيها دعاء ومخاطبة الموتى والتلقِّي عنهم، ولم يقتصر ذلك على رسول الله ﷺ بل تعداه إلى الأولياء -زعموا-، **وإليك بعض الأمثلة على ذلك:**

- إن أبا المظفر المنصور أنشد قصيدة عند قبر الشيخ الرفاعي؛ فظهر صوت الرفاعي من القبر يقول له: وعليك السلام[(١)].

- وإن السيدة نفيسة -صاحبة الضريح- كانت كثيرًا ما تكلم أحد المشايخ المتصوفة وهي في قبرها[(٢)].

- وإن السيد أحمد البدوي أخرج يده من القبر ووضعها بيد الشعراني ليبايعه، وكان من شروط المبايعة أن يكون تحت رقابة البدوي أينما ذهب؛ فأقره البدوي، وقال -وهو في قبره-: «نعم»[(٣)]، وهذه شبيهة بقصة مد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يده ليبايع الرفاعي؛ حيث قال له: «هذه البيعة لك ولذريتك إلى يوم القيامة»[(٤)].

- ولا ننسى أن نسجل دعوى أحد الصوفية المعاصرين، شيخ الأزهر سابقًا، الشيخ عبدالحليم محمود: أنه حين أراد تأليف كتب عن السيد البدوي عكف على قبره بمدينة طنطا يستأذنه السماح له بكتابته؛ فزعم أنه أذن له مع أنه ميت منذ مئات السنين، والدليل على عدم صحة قوله: أنه قد حذف هذه المقولة في الطبعة الثانية لكتابه هذا، ولو كان متثبتًا وواثقًا مما كتب؛ فلماذا يرجع عنه؟!

---

(١) «العقود الجوهرية» (٧٧ - ٧٨)، و«ترياق المحبين» (٨).

(٢) «لطائف المنن والأخلاق» (٤٠٣).

(٣) «طبقات الشعراني» (١/ ١٨٦).

(٤) «المعارف المحمدية» (٣٤).

فهذه القصص وأمثالها تعمل في الأمة عمل السُّوء؛ فهي بمثابة المعول الذي يهدم العقيدة الصحيحة، والتصورات الحقَّة.

«ولقد وقع الخاصة والعامة في زمننا الحاضر -إلا من رحم ربك- في أمر خطير عظيم: وهو دعاء غير الله -تعالى- من الأنبياء والأولياء والصالحين في أمور لا يقدرون عليها فيما لو كانوا على قيد الحياة؛ كيف وقد اختارهم الله إليه، وقضى عليهم بالموت؟ هذه الأمور التي لا يقدر على إجابتها إلا الله وحده لا شريك له؛ فترى العامة وكثيرًا من الخاصة يعكفون على أصحاب القبور؛ يطوفون حولها سبعة أشواط، وينادون أصحابها لقضاء حوائجهم؛ كالمغفرة، والهداية، ودفع الضر، وكشف الكربات، وجلب الرزق، وهبة الأولاد ذكورًا وإناثًا، ويقولون: يا فلان! أنا دخيلك، وفي جوارك... أدركني، أغثني... العارف لا يُعرَّف! أنت أعلم بحالي. وأمثال ذلك من الشرك الأكبر.

وإذا دفعتك عقيدتك الطيبة لأن تنصحهم وتفهمهم أن مثل هذه الأمور من العبادات، ولا يمكن أن تصرف إلا لمستحقها وهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد؛ قامت قيامتهم! وإن مما يدمي القلوب ويفري المهج حزنًا ولوعة على ما آلت إليه حال المسلمين: هو أن يَهُبَّ بعض الذين هم محسوبون على الأمة مِن العلماء هَبَّةً عظيمة ويقولوا لك: اتركهم يا أخي! نواياهم طيبة، إنهم لا يقصدون طلب الدعاء من أصحاب القبور، ولكن لجهلهم وعدم معرفتهم لا يعبرون عن مرادهم إلا بدعائهم، إنما يريدون التوسل بهم إلى الله. وإذا قلت له: حسنًا، تفضل يا صاحب الفضيلة وعلِّمهم وعدِّل من ألفاظهم؛ حتى لا يقعوا في الشرك الأكبر، وهذا الذي قلته لي قله لهم. فيقول لك: لا لا يا أخي، اتركهم على نواياهم فنواياهم طيبة! ولا يتقدم ولا خطوة واحدة لنصحهم، وإذا نصحتهم أنت قامت قيامته، ونعتك بشتى النعوت التي أقل ما يقال فيها: إنها تنابز بالألقاب، ولكن إياك يا أخي المسلم أن يصدَّنَّك عن

إذاعة الحق أمثالُ هؤلاء، فاصدع بالحق والله ناصرك. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

وإنك لترى -أيضًا- في حلقات الرقص -التي يسمونها كذبًا وزورًا وبهتانًا «حِلق الذِّكر»- من المنكرات التي أسلفنا مما تتصدع له القلوب من دعوة غير الله -تعالى-، وفي شكل مزرٍ، ولو أبصره أعداء الإسلام لشمتوا بالإسلام وأهله، ولجعلونا أضحوكة؛ من ارتفاع بالأصوات، إلى القفز، والرقص، والتمايل، والضرب على الدُّفِّ والصنج والطُّنبور، والأغاني من المردان والتكسر والتمايل، والدمدمة والهمهمة بما لا معنى له، ويسمون ذلك (ذكر الله)! وحاشا أن يكون ذكرُ الله متدنيًا إلى مثل هذا الدرك الأسفل، هذا عدا عن الشركيات في ألفاظهم؛ كقولهم مثلًا: يا شيخي! يا رفاعي! أدركني بالفرج، وإذا لم تدركني فإلى مَن ألتجئ؟ وأمثال ذلك، والرفاعي بريء مما يشركون؛ فقوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقوله ﷺ: **«ارْبَعُوا على أَنْفُسِكُم، فإنَّكُم لَيسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا»**[1] لأكبر وأبلغ رد على أولئك الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، هداهم الله أو عاملهم بما يستحقون»[2].

«وهذه القصص تعمق فكرة العودة إلى الدنيا مرة ثانية بعد الموت، مع أنها عقيدة الكافرين الأُوَل، وما يزال -بسبب أمثال هذه القصص وغيرها- بين المسلمين من يقول بهذه العودة إلى الدنيا، ويجعلون هذا لأوليائهم عندما ينادونهم ويستغيثون بهم لتفريج الكرب؛ فيعتقدون أنهم يحضرون حالًا لنجدتهم في هيئات مختلفة، ويدعون أنهم يرونهم ويكلِّمونهم؛ فتأمَّل يا أخي المسلم! كم هو أثر إبليس اللعين في نفوسهم، إلى درجة جعلهم يعتقدون بعقيدة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) من كلام شيخنا محمد نسيب الرفاعي الحلبي رحمه الله تعالى في «تيسير العلي القدير» (١/ ١٤٥).

الكفار السابقين، وهم يظنون أنهم ما يزالون من أمة محمد ﷺ، ويقولون: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله»، يقولونها تردادًا من غير فهم، بدليل أنهم ينقضونها وهم لا يشعرون، وذلك بدعائهم واستغاثتهم بغير الله في أمور لا يكشفها عنهم إلا الله -تعالى-، وإن ما يرونه من الخيالات ما هي إلا الشيطان تمثَّل لهم بمن ينادون، ليزيدهم طغيانًا وتثبيتًا في الشرك، نعوذ بالله من الخذلان، وسوء المنقلب، اللهم ثبتنا على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]»[١].

ثانيًا: فيها فتح لباب الخرافة، وتعظيم للمشايخ، ووضعهم فوق منزلتهم التي أمر الله بها، ولذا رأينا في الأمثلة السابقة كيف جرَّت هذه القصة لحكايات فيها مخالفات مكشوفات، وكفريات واضحات! وقد تجرَّأ بعضهم على وضع قصص كثيرة عن حياة الشيخ أحمد الرفاعي، والكذب فيها مكشوف، ولا يسع الناظر فيها إلا أن يقول: «يا مقلب العقول! ثبت عقلي على دينك»، **مِن مثل:**

- إنهم زعموا أن النبي ﷺ رئي في الرؤيا أنه شد الرحال إلى قرية الرفاعي والكعبة تسير معه، وقد قال: «ها أنا والكعبة زائرون، وجلس ينادي أهل القرى في طريقه أن يزوروا معه الشيخ أحمد الرفاعي»[٢]، ثم تبين للراوي أن الرؤيا حقيقية؛ فقام وذهب إلى قرية الرفاعي مشاركًا موكب النبي ﷺ والكعبة.

ثالثًا: على فرض صحة هذه القصة؛ ما هي قيمة كتب الحديث والسنة، وما الداعي للنظر في الطرق والأسانيد، ما دام أنه ﷺ حيٌّ يخاطب الناس ويرد

---

(١) من كلام شيخنا محمد نسيب الرفاعي الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في «تيسير العلي القدير» (٣/ ٥٦٨).

(٢) «روضة الناظرين» (٥٩).

وانظر: طامات وأوابد منسوبة للشيخ الرفاعي في «الكشف عن حقيقة الصوفية» (٥٠٤ وما بعدها).

عليهم؟ وما فائدة الاجتهاد؟ وكيف نوفِّق بين هذا الزعم وخواء أصحابه من الحديث الصحيح وعدم إلمامهم بأحكام الشريعة ما دام رسول الله ﷺ يأتيهم متى شاؤوا، ويجالسهم أنَّى ذهبوا وارتحلوا؟!

رابعًا: هذه القصة تفتح للزنادقة بابًا، وهو: أن التكليف خاص بالعوام، ساقط عن الخواص؛ إذ لهم مصادر تلقٍّ أخرى، ويجرّ هذا إلى انتشار ضلالات تهدم الدين.

○ جهود مشكورة في محاربة القصَّة:

اعتنى العلماء وطلبة العلم وهداة الحق بتفنيد هذه القصة، وبيان العوار الذي فيها، من مثل: الآلوسي في «غاية الأماني»، وعبدالرحمن دمشقية في كتابه القيم «الرفاعية»، وسبق نقل ذلك عنهم(١).

وممن له جهد مشكور في محاربة هذه القصة: شيخنا الداعية محمد نسيب الرفاعي(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ؛ فسمعتُه غير مرة يردِّد وهاءَها وبطلانها، ويقول: «أنا أحقُّ الناس بالدفاع عنها لو كانت ثابتة، ولأنني رفاعي»، ثم أخبرني بأنَّ له رسالةً مفردةً في بيان (أكذوبة هذه القصة) وَسَمَها بـ«العمل المؤمَّل المقبول في ردِّ أكذوبة تقبيل الرفاعي ليد الرسول ﷺ»، وأثبت هنا ما في هذا الكتاب بعد الحمدلة والديباجة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

«أمَّا ما يتعلق بقصة تقبيل الرفاعي رَحِمَهُ اللَّهُ ليد المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فإنها قصة مكذوبة وليس لها أساس من الصحة، وهي كذبٌ على الله -سبحانه-، وعلى رسوله ﷺ، وعلى السيد أحمد الرفاعي رَحِمَهُ اللَّهُ نفسه من عدة وجوه، كما أنها تكذيب للقرآن الكريم والسنة المطهرة، واستهتارٌ بالعقل السليم، وهي -أي: هذه القصة وأمثالها- قد أضرَّت بالإسلام والمسلمين،

---

(١) انظر: (ص ٥١٧ وما بعدها).

(٢) ونقل رد شيخ شيوخنا العلَّامة محمد راغب الطباخ رَحِمَهُ اللَّهُ لها فيما سيأتي في ثنايا كلامه؛ فتنبه.

حتى جعلت هذا الدينَ الكريم -في أعيُن أعدائه، وأبنائه الجاهلين به- دينًا محشوًّا بالخرافات والخزعبلات والأباطيل، وموضعَ التندُّر والسخرية منه، ومجالًا واسعًا للمستشرقين الأخباث، لأن يعرضوا الدين الإسلامي بهذا العرض القبيح، معتمدين في نقولهم على مثل هذه الكتب -أي: كتب الصوفية-، أمثال «الطبقات» للشعراني، وكتاب «الإنسان الكامل» لعبدالكريم الجيلي، و«فصوص الحكم» لابن عربي، وما شاكلها من الكتب المحشوة بالكفر والزندقة، والخرافات والخزعبلات، على أنها بزعمهم كتب إسلامية معتمدة؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله، **وها إنني أفصِّلُ لكم الموضوع من وجوه:**

أما كونها كذبًا على الله -تعالى-، فلأن الله -سبحانه- هو الذي سيعيد الروح إلى رسول الله ﷺ؛ حتى يستطيع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يخرج يده الشريفة من القبر ويمدَّها طويلًا حتى تصل إلى فم السيد أحمد الرفاعي ليستطيع تقبيلها؛ فهل حقًّا أعاد الروح إلى جسد الرسول ﷺ؟ كلا، لم يفعل جَلَّ وَعَلَا ؛ لأنه -سبحانه- هو الذي أنزل في كتابه العزيز قوله -سبحانه-: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]؛ أي: إن ما بين الأحياء والأموات برزخ، أي: حاجز؛ فلا يصل هؤلاء إلى هؤلاء، وليس بين الطرفين أي اتصال إلى يوم القيامة.

ولهذا يقال لعالم الأموات: عالم البرزخ، وللأموات: أهل البرزخ، وينتهي هذا البرزخ يوم البعث والنشور، وهو أول عالم الآخرة؛ فهناك لا بأس من التلاقي، بل سيكون ولا شك هذا التلاقي لأنه انتهى عالم الدنيا، وصار الجميع في عالم الآخرة؛ فبدهيٌّ أن يحصل اللقاء، ويفهم بعد ذلك كله أنه لا رجعة بعد الموت إلى الدنيا.

ومن المعلوم الذي لا شك فيه ولا ريب: أن رسول الله ﷺ قد مات؛ بدليل قوله -تعالى-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وأن بينه وبين عالم الدنيا برزخًا -أي: حاجزًا- إلى يوم يبعثون، وهذا الحاجز يمنعُ من اتصاله

بأحدٍ من عالم الدنيا أو اتصال أحد من الأحياء به، إذًا؛ فإن الله قد منع هذا الاتصال بصريح كتابه العزيز؛ فكيف يمكن أن تعود الروح إليه ليُخرج يده إلى الرفاعي ليقبِّلها؟!

وإذا كان لا يمكن أن تعود الروح إليه ﷺ، وذلك بتقدير من الله -تعالى-؛ فمعنى ذلك: أن الله لم يُعِدْ إلى رسوله روحه ﷺ، وإذا لم يُعِدْ روحه إليه لا تمتدُّ يده، لأن الأصل لا روح فيه؛ فالفرع لا روح فيه من باب أولى، وإذا لم تمتدَّ يده ﷺ صار تقبيلها أمرًا غير واردٍ أصلًا، وهو في الوقت نفسه كذبٌ على الله؛ لأنه لم يردَّ الروح إليه ﷺ.

إذًا؛ فالقائلون بهذه القصة وبحقيقة وقوعِها إنَّما يكذبون على الله -تعالى-، والعياذُ به -تعالى- من الخذلان وسوء المنقلب في الدارين، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢]، وقال -تعالى-: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [يونس: ٦٠].

أما كونها كذبًا على رسول الله ﷺ: فقد أصبح الأمر لازمًا وملزومًا، فإذا لم يردَّ الله جَلَّ وَعَلَا إلى الرسول ﷺ روحَه إلى جسده؛ فصار لازمًا ألا يتحرك جسدُه، وبقي هامدًا في قبره فضلًا عن أن تتحرك يده ﷺ، فإذا لم تتحرك يده من مكانها؛ فلا يمكن لها أن تمتدَّ من القبر في شكلٍ من الأشكال، وإذا انتفى امتدادُ اليد؛ لَزِمَ انتفاءُ وقوع تقبيلها لا من الرفاعيِّ ولا من غيره، ولَزِمَ أن يكون القائلون بوقوع التقبيل -حقيقةً- كاذبين على رسول الله ﷺ كذبًا متعمدًا عليه؛ لأنه لم يمد يده، وهو ميت، وجسده ميت، ويده ميتة[1]، أمَّا الكاذبون؛ فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

---

(١) تذكر أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون، ولكن حياتهم برزخية، ولا صلة لها بالحياة الدنيا.

وقد صحَّ قولُه ﷺ: «مَن كَذَبَ عليَّ متعمِّدًا؛ فَلْيتبوأ مقعدَه مِن النَّار»[(١)].

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «مَن كذب عليَّ؛ فليلج النار»[(٢)].

وقد صحَّ عنه -صلوات الله وسلامه عليه- أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع منه، وولد صالح يدعو له»[(٣)].

والذي لا جدال فيه ولا شكَّ ولا ريب: أن مدَّ اليد بعد الوفاة ليس من الأعمال المذكورة في الحديث المتقدم، بل هو عملٌ من الأعمال التي تنقطع بموت صاحبها.

وعلى هذا؛ فإن رسول الله ﷺ عندما يقول قولًا فيه أمرٌ أو نهيٌ أو إيضاحٌ؛ فما علينا -نحن المسلمين- إلا أن نأتمرَ بأمره، وننتهيَ عمَّا نهى عنه، ونتَّبعَ إيضاحه وهديه بلا أي تدخُّل لآرائنا وأهوائنا، لأنه -صلوات الله وسلامه عليه- هو الصادق المصدوق، وقد شهد الله له في كتابه العزيز بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣- ٤]، وكل عمل أو قول يخالف قول رسول الله ﷺ؛ فهو باطل ومردود على صاحبه، لا سيما أن الله جَلَّ جَلَالُهُ يأمرنا بقوله -تعالى-: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

ومما آتانا به الرسول الأكرم أنه انقطع عمله بعد وفاته؛ لأنه من بني آدم، وكل من كان من بني آدم أو من غيره ينقطع عمله بعد وفاته؛ إلا من أعمالٍ عملها قبل وفاته، فأجر أعماله لا ينقطع نفعه عن صاحبه، بل يبقى جاريًا ببقاء الانتفاع بأعماله الصالحة مِن قِبل العاملين بها إلى يوم القيامة.

وهذه القصة عنه ﷺ مكذوبة؛ بدليل استحالة وقوعها بناءً على ما تقدَّم من آياتٍ وأحاديث صحيحة، وما نظنُّ أحدًا يخاف الله -تعالى-، ويؤمن به

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم١١٠)، ومسلم في «مقدمة صحيحه» (٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وللطبراني جزء مفرد في طرقه.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٠٦) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وباليوم الآخر، ويؤمن برسول الله ﷺ يسمع مثل هذه القصة الباطلة، ثم يسمع الأدلة مِن قول رسول الله ﷺ ببطلانها؛ إلا أن يتبعَ قوله ﷺ ويتركَ كل ما عداه.

وأمَّا مَن يظل مُصرًّا على باطله بعدما علم الحقيقة وظهر له الحق؛ فيكون -ولا شكَّ- مكذِّبًا لرسول الله ﷺ، ومشاققًا له -صلوات الله وسلامه عليه-، فيصدق فيه قوله -تعالى-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله -تعالى-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣]، ثم ليس من سنته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تقبيل يده طوال حياته، وكان ينهى عنها ويقول: «**هذه فعلة الأعاجم بملوكها**»(١)، فإذا كان ينهى عنها في حياته؛ كيف يفعلها بعد مماته؟!

أما كونها كذبًا على الرفاعي نفسه؛ فإليكم البيان:

لمَّا أثبتنا أن الحادثة كذبٌ على الله؛ لأنه -تعالى- لم يردَّ إلى الرسول ﷺ روحه إلى بدنه؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]؛ فعُلم مِن هذا أنَّ الأموات جميعًا مستوون باستحالة عودتهم إلى الدنيا بعد وفاتهم، لا يشذُّ عن هذه القاعدة الإلهية لا نبي ولا رسول ولا ملَك ولا أيُّ مخلوق، إذًا، فلا يمكن أن يستجيب أحدٌ من الأموات بالعودةِ إلى الدنيا إلى يوم القيامة.

وأثبتنا -أيضًا- استحالة خروج اليد لاستحالة ردِّ الروح إلى بدنه الشريف؛ لأن اليد جزءٌ من البدن فلا تردُّ الروح إليها من باب أولى، لا سيما أن الرسول يثبتُ انقطاع العمل بالوفاة لسائر البشر؛ فمن أين للرفاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يحظى بتقبيل يده الشريفة ﷺ بعد كل هذه الاستحالات؟ بل وحاشا السيدَ الرفاعي

---

(١) **الحديث موضوع**، انظر: «السلسلة الضعيفة» (٥٧٤).

رَحِمَهُ اللَّهُ أن يطلب من الرسول ﷺ أن يقبِّل يده وهو يعلم -جيدًا- استحالةَ تلبية هذا الطلب شرعًا، لا سيما والرفاعي مِن العلماء الذين لا يجهلون مثل هذه الحقائق، بل هي لديه مِن البدهيات والمسلَّمات؛ فلا يجيزُ لنفسه ولا لغيره أن يتكلَّم بها، فضلًا عن طلبها مِن الرسول ﷺ أو مِن غيره مِن الأموات.

ثم إنَّ للرفاعي رَحِمَهُ اللَّهُ مؤلفاتٍ خلَّفها مِن بعده؛ فبدهي -إن كانت هذه الحادثة واقعةً- أن يذكرها ولو في كتابٍ أو مؤلَّفٍ من مؤلفاته، من قبيل التحدُّث بنعم الله عليه بحدوث هذه الواقعة التي لم تكن لأحدٍ من العالمين، فمستحيل ومن أبعدِ المستحيلات أن لا يذكرها الرفاعي رَحِمَهُ اللَّهُ إن كانت قصةً واقعيةً ولو من قبيل التلميح، فضلًا عن التصريح، وإننا نتحدَّى أولئك الكذابين أن يثبتوا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ ذكرها في أي مؤلَّف من مؤلفاته، كأن يقول -مثلًا-:

«وفي سنة ٥٤٠ هجرية وبعد أن أدَّيت مناسك الحج؛ شددت الرحال إلى زيارة مسجد الرسول ﷺ، ولما وقفت أمام قبره أنشدتُ هذين البيتين مخاطبًا رسول الله ﷺ:

فِي حالةِ البُعْدِ روحي كُنْتُ أُرْسِلُها ... تُقَبِّلُ الأرضَ عَنِّي وَهْيَ نائِبَتِي
وهذهِ دوْلةُ الأشباحِ قدْ حَضَرَتْ ... فامْدُدْ يَمِينكَ كَيْ تَحْظَى بِها شَفَتِي

فما رأيتُ إلا والرسول الأعظم مدَّ لي يدَه الشريفة؛ فحظيتُ بتقبيلها».

فكل ذلك لم يحصل، ولا ذكره في أي مؤلَّف أو كتاب من كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ، لا تنويهًا ولا تلميحًا ولا تصريحًا البتة.

كلُّ هذا يزيدنا قطعًا بكذب هذه القصة واختلاقها على السيد أحمد الرفاعي رَحِمَهُ اللَّهُ، بل هو بريءٌ منها البتة، لأنّ حالَهُ وقالَهُ يكذبان وقوعها.

وأمَّا كونها كذبًا على القرآن: فلأنها مخالفة تمام المخالفة لما جاء في القرآن العظيم قوله -تعالى-: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

وقوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١].

وقوله -تعالى-: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠].

وقوله -تعالى-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أي: لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة»[(١)].

أمَّا كونها كذبًا على السنة: لقد ثبت في أحاديث عدَّة أن الأموات لا يرجعون إلى الدنيا بعد وفاتهم؛ لأن القيامة واحدة لا تتعدد، وقد سبق أنْ رَوينا مِن آيات القرآن قبل قليل ما يُفيد ذلك، فالذي يقول بالرجعة إلى الدنيا بعدما سمع مِن الآيات والأحاديث بعدم الرجعة؛ فيكون قد كذَّب آياتِ ربه وحديثَ رسوله ﷺ، فمن هذه الأحاديث الصحاح: قال طلحة بن خراش: سمعت جابر بن عبدالله يقول: لما قتل عبدالله بن عمرو بن حرام يومَ أُحد؛ قال رسول الله ﷺ: **«يا جابر! ألا أُبشِّرُكَ بما لقي اللهُ به أباك، ما كلَّم الله أحدًا إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحًا؛** فقال: **يا عبدي! تمنَّ عليَّ أُعطِكَ. قال: يا رب! تحييني فأقتل فيك ثانية. فقال الرب** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب! فأبلغ من ورائي»**[(٢)].

وهي -أيضًا- كذب على التاريخ: يدَّعي مروِّجو هذه الحادثة الباطلة أنها وقعت سنة (٥٥٠) هجرية، وذلك لما شدَّ الرفاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الرِّحالَ إلى المسجد النبوي بعد قضائه فريضة الحج.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠ و٢٨٠٠)، والحاكم (٢/ ١١٩ - ١٢٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٦٠٢ - ٦٠٣) وغيرهم بإسنادٍ حسن.

ولا شك ولا ريب في أن مدَّ اليدِ من قبل رسول الله ﷺ من عالم البرزخ إلى عالم الدنيا بعد (٥٤٠) سنة على وفاته[١] حادثة عظيمة تهتزُّ لها الدنيا؛ فلا ينبغي لها أن تمر دون أن يكون لها الصدى المدوِّي في العالمين؛ لأن هذه الحادثة لم تجر لمخلوقٍ قط، يضاف إلى ذلك أنها نُسبت لا إلى شخص عادي؛ إنما القصة نسبت إلى رسول الله ﷺ، وأن يده امتدت إلى فم رجل مِن عالَم الدنيا فقبَّلها، بعد (٥٤٠) عامًا من وفاته، نعم، ليست الحادثة عادية، حتى يهملها التاريخ؛ فلا تذكر في أي صفحة من صفحاته الغابرة، وإن المؤرخين قد جمعوا في كتبهم وتأريخهم حوادث كثيرة، ما نظنُّها -مهما بلغت من الأهمية التاريخية- تبلغ مبلغ هذه الحادثة العظمى أهميةً!!

ولكن مع كلِّ ذلك؛ فليس في كتب المؤرِّخين عامة أي ذكر لها البتة، وإني قد سألت مؤرِّخًا مشهودًا له بعلمه بالتاريخ، وهو أستاذنا السلفي الصالح الشيخ راغب الطَّباخ العالم الحجة في علم التاريخ؛ وله مؤلفات تاريخية معروفة -رحمه الله وغفر له- عن هذه الحادثة، فأجاب -رحمه الله رحمةً واسعة-: «**إن هذه الحادثة لا أصل لها ولا أساس**. فقلت له: فتِّش لنا يا فضيلة شيخنا في بطون كتب التاريخ، لعلك تعثر على ذكر لها. فقال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: فتشتُ قبلكم في كتب التاريخ المعتمدة كتابًا كتابًا، وفصلًا فصلًا، وسَنَةً سَنَةً، وبخاصة توقفت عند ذكر سنة (٥٥٠)، وفتشت وقائعها واقعة واقعة، فلم أجد لها ذكرًا، مع أن هناك حوادث قد تكون تافهة لا شأن لها، والتي لم تكن من الأهمية في شيء، ومع ذلك مروية في حوادث سنة (٥٥٠)، أما حادثة تقبيل اليد التي نحن بصدد التنقيب عنها؛ فلم نجد لها أثرًا، ولم نجد لها ذكرًا في تلك الكتب...» انتهى كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهكذا ثبت أن الحادثة لا أساس لوقوعها تاريخيًّا، أفبعد كل هذا؛ هل

(١) ما بين هجرته ﷺ ووفاته عشر سنين. (**المؤلف**)

يكون لها نصيب من الصِّحَّة؟ فإذا سمع العقلاء هذا السؤال سيجيبون: لا، أمَّا غير العقلاء فإنهم أحرار؛ فليقولوا ما يشاؤون لأن القلم رُفع عنهم، فإذا أخذ الله ما وهب؛ أسقط ما وجب.

أمَّا من الناحية العقلية؛ فإن العقل ولا شك هبةٌ وهبها الله -تعالى- لبني آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد فضَّلهم -سبحانه- به على غير العقلاء تفضيلًا، فهو وسيلةٌ لفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهم ما يتَّصل بنا في الحياة الدنيا، ولولاه لسقط التكليف، وتعطلت الشرائع والقوانين، فاستعمال العقل إذن شيءٌ ضروري، بل هو مادة الحياة الإنسانية، وضابطها الفعلي وميزانها العملي، ولولاه ما استقام أمرُ الحياة، ولا عُمِّرت الأرضُ، ولا تسلسلت الأجيال.

لـولا العُقـولُ لـكانَ أدْنَـى ضَيغَـمٍ أدْنَـى إلـى شَـرَفٍ مِـنَ الإنسـانِ

وهنا تظهر نعمة الله -تعالى- في هذه الهبة العظيمة التي أنعم بها على الإنسان؛ فالحمد والشكر الأتمَّان الأكملان للباري جَلَّجَلَالُهُ، وتقدَّست أسماؤه، وتعالت صفاته؛ فتعالوا أيها العقلاء نعالج ما اختلفنا فيه على ضوء هذه النعمة الكبرى، وهي العقل.

يا إخواننا في الإسلام! تعلمون أن هذه الحادثة إن صحت يترتب عليها جواز إمكانية اجتماع الأحياء بالأموات، جزئيًّا كان أو كليًّا، وهذا ممتنع دينًا وعقلًا؛ فهذا الممتنع دينًا وعقلًا ممكنٌ في نظر أولئك الذين يزعمون أنها حادثة واقعية، وأنها حصلت فعلًا... «أما الدين، أما العقل»؛ فالظاهر أنهم لا يعطون لهذه المفاهيم وزنًا، فكثيرًا ما يدَّعون أنهم يجتمعون بالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وبغيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ويأخذون عنهم الأدعية ويُصحِّحون الأحاديث الضعيفة والمكذوبة، وكل ذلك يقظةً لا منامًا، وحقيقةً لا خيالًا، كما يزعمون اتصالهم بالأولياء الموتى؛ حتى إن المريد الذي حال الموت بينه وبين شيخه، فلم يكمِّل له شيخه علمه ولا التَّلقِّي عنه حيًّا، فإنه بعد الموت يمكنه

التلقِّي منه، وهو في القبر بشكل أقوى، اللهم أعِذْ عقولنا من الخَبَل... إلى آخر ما هنالك من الدَّجل الرخيص والتهاويل والدعاوى العريضة، التي أقل ما يقال فيها: إنها أقوال الذين يتخبطهم الشيطان من المس، بل قُلْ: هي أقوال المتآمرين -على علمٍ- على هذا الدين الكريم، ليشوهوا جماله، ويطفئوا نوره، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

كما أنهم يدَّعون -هداهم الله- أن هذا الذي تقدَّم منهم ذكره لا يجري إلا لأهل التُّقى، والورع، والزهد، والفهم، والعلم، والتجرد، والإخلاص -زعموا-!! فنقول وبالله المستعان:

إن السلف الصالح من هذه الأمة المحمدية، والرعيل الأول منهم من الصحابة والتابعين، وتابعيهم ممن شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية بقوله: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(١)، إن هؤلاء السلف أعتقد أنه مهما بلغ الأدعياء من المنزلة التي يدعونها لأنفسهم، نعم، مهما بلغوا من المنزلة بزعمهم؛ لا يبلغون ولا بنسبة واحد من ملايين مما كان عليه سلف الأمة الصالح، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ فها هو مثلًا أبو بكر الصديق الذي وصفه رسول الله ﷺ بأنه «**خير الناس بعد النبيين**»(٢)؛ لم يدَّعِ أنه اجتمع برسول الله ﷺ بعد وفاته -ولا مرة واحدة-، في الوقت الذي كان من أشدِّ الناس حاجة للاجتماع به، والسؤال منه عن حلِّ المشاكل التي حدثت بعد وفاته ﷺ، فلما توفِّي رسول الله ﷺ؛ طاشت عقول الناس هلعًا

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٦٥١)، ومسلم رقم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩١٤)، والطبراني في «الكبير» كما في «المجمع» (٩/ ٤٤) من حديث سلمة بن الأكوع، وفي إسناده إسماعيل بن زياد، وهو ضعيف. وخيرة أبي بكر ثابتة بالتواتر عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم علي بن أبي طالب.

وحُزنًا، فهذا هو عمر بن الخطاب، وهو من أشد الناس ثباتًا وصمودًا؛ لم يصدق أن رسول الله ﷺ قد مات وقال كلمته المشهورة: «كل مَن زعم أن رسول الله قد مات قطعت رأسه بهذا الحسام»، لولا أن وقف أبو بكر وقال: «من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت»، ثم تلا قوله -تعالى-: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ...﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ فقال عمر: والله كأني لم أقرأها[1]، ومِن الناس مَن ارتدَّ عن الإسلام، ومنهم مَن ترك الصلاة، ومنهم مَن منع الزكاة، ومنهم مَن ادَّعى النبوة، وما إلى ذلك من المشاكل العظام والأمور الجسام التي حدثت بعد وفاته ﷺ.

وقد واجه خليفةُ رسول الله ﷺ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلك الفتن، فاستشار الصحابة، واختلفت آراؤهم، وما كان أحرى بأبي بكر في مثل تلك الدقائق الحرجة أن يجتمع برسول الله ﷺ -إن كان يعلم حقًّا إمكانية ذلك-، ويسأله عن كيفية حلِّ تلك المشاكل الواقعة، والفتن الداهمة بعد وفاته ﷺ؛ فهل فكر أبو بكر أن يفعل ذلك، أو هل خطر على باله كذلك؟ لا وألف لا...

وهل أولئك الزنادقة مخترعو أكذوبة تقبيل اليد، ومبتدعوها؛ هم على معرفةٍ بإمكانية الاجتماع بالموتى والتلقِّي عنهم، ويخفى ذلك على أبي بكر والرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ؟!

وقد جرى بعد خلافة الشيخين الصديق والفاروق أمور وخلافاتٌ ووقائعُ، كان أحرى بمن حدثت معهم كعليٍّ وعائشة ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أن يأتوا قبر رسول الله ﷺ، ويسألوا منه عن الحق أين هو؟ وفي أي جانب مِن المختلفين؟ فكل هذا -أيضًا- لم يحصل مِن أحد مِن المذكورين؛ لأنهم جميعًا يعلمون بداهةً أن هذا مستحيل، ولن يعود الموتى أو يحيوا إلى يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٧ - ٣٦٦٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولكن الزنادقة مُنتحلي أكذوبة تقبيل اليد، ومروِّجيها؛ يُصرُّون على وقوعها وكما يقول المثل: «جمل ولو طار»[1]، على أن إصرارهم هذا ينمُّ عن تجهيل الصَّحابة، وعن اتِّهام رسول الله ﷺ بأنه كان راضيًا عمَّا حدث بعده من الأمور الجسام والفتن العظام؛ لأنه كان باستطاعته أن يتصل بذاته بالصحابة -طالما كان ذلك ممكنًا-، ويحكم بحكمه في كلِّ ما جرى، ويعيِّن المحقَّ من المبطل، فمحمدٌ ﷺ وهو رسول الله وأفضل الرسل وأفضل الخلق أجمعين؛ أولى بهذا الاتِّصال، وهو معقول بالنسبة إلى زعمهم، فلِمَ لم يفعل؟! أيحجم رسول الله ﷺ عن تدارك الخطر عن صحابته، ويرضى ذلك الخلاف بينهم، ثم يطلب الرفاعي رَحِمَهُ اللَّهُ تقبيل يده الشريفة؛ فيلبِّيه ويُخرجَ له يده من القبر، فيُقبِّلُها الرفاعي، وبعد (٥٤٠) سنة من وفاته ﷺ؟ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

وكما قلنا آنفًا: يبرأ الرفاعي رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه الأكذوبة، لا سيَّما وهو العالم الفاهم البصير، الذي له مِن خوفه مِن الله ومِن اتباعه لسنة رسول الله ﷺ ما يمنعه مِن أن يدَّعي مثل هذا الادعاء، وهو البريء مما ينتحله باسمه الكذابون المفترون المبطلون.

ولكنَّ (القوم...) رغم كل ذلك؛ ما يزالون مصرِّين على إذاعة هذه الأكذوبة، ويتبنَّاها جيلٌ جاهلٌ عن جيلٍ جاهلٍ، ولكن بفضل الله جَلَّجَلَالُهُ وإذنه نشأ جيلُ العودة إلى الكتاب والسنة، جيلُ الفهم، والعلم، والعقل السديد، والذهن الرشيد، الذي أعلنها مدويةً في العالمين: تلك العودة الكريمة إلى كتاب الله جَلَّجَلَالُهُ وسنَّة نبيه ﷺ، ونبذ تلك العقائد الزائفة والبدع الزائغة؛ فأنعِمْ بهم مِن جندِ لله العلي العظيم، ومِن أنصارٍ مخلصين لسنة النبي الرسول

---

(١) المثل الشامي المتأخر على الألسنة: (عنزة ولو طارت)، انظر: «الرد المفحم» (٦٩)، «تحريم آلات الطرب» (٤٤) كلاهما لشيخنا الألباني.

الكريم، وأعظمْ بهم مِن مؤَذنين بـ «حيَّ على الفلاح» والتقوى والرشاد، والحمد لله -تعالى- على ما أكرم عباده بالحق على أيديهم، وقيادة الناس إلى الصراط المستقيم، وطريق السلف الصالح السويّ، ومحجتهم البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

وإننا ندعوكم أيها (القوم...) إلى هذا المنهج القويم، وندعو الله أن يهديكم إليه، ويفتح عقولكم عليه، ويردكم إلى خير ما يرد إليه عباده الصالحين.

من أين أتيتم بما تصرُّون عليه: أمن قرآن، أم من سنة، أم من أقوال الصحابة، أم تابعيهم، أم تابعي تابعيهم...؟ إنَّ إصراركم هذا، إن دلَّ على شيءٍ؛ فإنما يدلُّ على أنكم غافلون إلى حدٍّ لم تمروا على الآيات القرآنية التي تنصُّ على أن لا عودة إلى الدنيا بعد الموت، كقوله -تعالى-: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]؛ أي: مِن وراء الأحياء والأموات حاجزٌ يَحجزُ ما بينهما إلى يوم القيامة.

أو أنكم متمسِّكون بذنَبِ ضلالةٍ؛ فاجتذبكم الشيطان إليها، وزيَّنها لكم، حتى اطمأنت إليها قلوبكم وظننتم أنها الحق؟!

ولو تكلَّفتم عناءَ مراجعة كتاب ربكم لقرأتم فيه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولو شئتم لرجعتم إلى سنة نبيِّكم، فقرأتم فيها: «**ما تركت لكم شيئًا يقربكم إلى الجنة إلا أمرتكم به، وما تركت لكم شيئًا يقربكم من النار إلا حذَّرتكم منه**»(١)، فهل تجدون فيهما ما يؤيِّد هذه الحادثة؟

أما وقد علمتم أن ما في كتاب الله وسنة رسوله لم يكن ليؤيِّد دعواكم، بل على العكس تمامًا ليس فيهما ولا حرفٌ واحد تستطيعون اللجوءَ إليه في نصر ما ذهبتم إليه؛ أفلا يهيب بكم هذا إلى الرجوع إلى الله، والتوبة إليه مِن فريتكم

---

(١) انظر تخريجه في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٨٠٣).

على الله ورسوله، وعلى الرفاعي نفسه؟ فهو يبرأ إلى الله -تعالى- منها ومِن قائليها والمروِّجين لها.

نعم... والله! إنْ تُبْتُمْ إلى الله؛ لوجدتم الله رؤوفًا رحيمًا، ولبدَّل الله سيئاتكم حسناتٍ، ولغفر لكم، وسلككم في عباده الصالحين؛ فهل تفعلون؟ يا ليتكم تفعلون، وإنا لمنتظرون.

○ ما قيلَ في هذه الحادثة من حيثُ الرواية:

قال شيخنا الشيخ راغب الطباخ -رحمه الله وغفر له-: «إن الواسطي قد انفرد برواية هذه الحادثة، ويرويها بلفظ: «قيل...»، وإن من المعلوم لدى العلماء أن لفظ «قيل» من ألفاظ التضعيف، فقوله: «قيل: إنه جرى كذا وكذا» فيه دليل على شكِّه في صحة هذه الحادثة، وإن كل مَن ذكر هذه الحادثة نقلها عن الواسطي، والواسطي -كما ذكرنا- ذكرها بصيغة التضعيف، ثم إذا أُضيف إليها ما ذكرنا من تحقيقٍ قبل قليل، يتأكَّدُ القارئ بأنَّ القصة لا أساسَ لها من الصِّحة، وأنها مكذوبة ومنتحلة، انتحلها الذين يريدون بالإسلام سوءًا، عليهم دائرة السوء، وخابوا وخسروا، ونعوذ بالله من الخزي وسوء المنقلب في الدارين».

○ حقيقة هذه القصة:

حدَّثني أحد بني عمي الشيخ رضا الرفاعي بعد عودته من منفاه في القسطنطينية -رحمه الله وغفر له-، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المجاهدين القادة ضدَّ الاستعمار الفرنسي؛ فقد وجد في إحدى المكاتب في القسطنطينية كتيبًا باللغة العربية ومعنونًا بـ«قصة تقبيل الرفاعي ليد المصطفى»، وكان الشيخ ممن ينكرون هذه القصة؛ فهرع إلى الكتاب وأخذه وقرأه بشوقٍ ولهفة.

وهو يتلخَّص فيما يلي:

كان عبدالقادر الجيلاني وأحمد الرفاعي متعاصرَيْن، وكان الجيلاني

أكبر سِنًّا من الرفاعي -رحمهما الله، وغفر لهما، وأسكنهما الغرفات في الجنان-، ولكن لم يلتقيا، وكان كل واحد منهما يرسل الرسائل الشفهية والخطية إلى الآخر، ويتبادلان السلامات والتحيات هكذا على البُعد، إلى أن قدر الله وذهب الرفاعي إلى الحج سنة (٥٥٠) هجرية، فبعد أن قضى مناسك الحج؛ شدَّ الرِّحال إلى المسجد النبوي ليزور المسجد، ثم يسلِّم على الرسول الأعظم -صلوات الله وسلامه عليه-؛ فوصل المدينة، ودخل المسجد، وصلَّى ركعتين في الروضة الشريفة، ثم ذهب إلى قبر رسول الله ﷺ؛ فسلَّم عليه السلام الشرعي، فرأى أمامه رجلًا أُخْبِرَ بأنه هو الشيخ عبدالقادر الجيلاني؛ ففرح فرحًا عظيمًا، وأنشد بين يديه:

فِي حالَةِ البُعدِ رُوحي كُنْتُ أُرْسِلُها ... تُقَبِّلُ الأرضَ عنِّي وهْيَ نَائِبَتي

وهذِهِ دوْلَةُ الأشباحِ قدْ حَضَرَتْ ... فامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْظَى بِها شَفَتِي

فأخذ الشيخ أحمد الرفاعي يد الشيخ عبدالقادر الجيلاني وقبَّلها أمام الناس، وفي جانب شبكة قبر رسول الله ﷺ.

فهذه خلاصة ما ورد في الكتيِّب المذكور، وكفى الله المؤمنين القتال؛ فلا يد رسول الله خرجت من القبر، ولا قبَّلها الشيخ أحمد الرفاعي، وما كان ليدري الشيخ أحمد الرفاعي أن سيستغل الكذابون تقبيل الرفاعي ليد الجيلاني أمام قبر رسول الله بأن يروِّجُوا بين الناس أنَّ الرفاعي أنشد البيتين أمام رسول الله، فأجابه بأن أخرج رسول الله ﷺ يده وقبَّلها؛ **فروَّجوا هذا الكذب الذي سيجزيهم الله عقابه الذي لا يطاق.**

○ تعليقنا على هذه الرواية:

لا نعلم بالضبط صحة هذه الرواية التي وردت في الكتيِّب المذكور الموجود في إحدى مكاتب القسطنطينية؛ فلا نستطيع أن نجزم بصحَّتها أو ببطلانها، ولكن على كل حالٍ؛ ليست مستحيلة الوقوع، بل على العكس؛

فهي محتملةُ الوقوع جدًّا، فقد تكون وقعت بالفعل، لأنها أمر عادي بسيط[١]، قد يحدث في اليوم ملايين المرات بين الناس في طول الدُّنيا وعرضها؛ فلا يبعد أن تحدث بين الرفاعي والجيلاني -رحمهما الله وغفر لهما-؛ إذ كانا وقتئذ حيَّيْن يرزقان، وليس هناك مانعٌ يمنعُ وقوعَ الحادثة، بخلاف ما يرويه الكذَّابون من أن الرفاعي أنشد البيتين أمام قبر رسول الله ﷺ؛ فخرجت يده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقبَّلها الشيخ أحمد الرفاعي أمامَ الآلاف من الناس كما قال الخرَّاصون؛ فلا يؤيِّد ذلك نقلٌ ولا عقلٌ ولا تاريخٌ، بل ولا دين ولا شرعٌ قويمٌ.

وأظن أن في هذا القدر من الشرح كفاية؛ فالرجاء من أخي وحبيبي في الله الأخ عبدالمحسن وإخوانه المكرمين أن يعرضوا هذا الذي كتبته على أولئك الذين ما زالوا يُصرُّون على صحة وقوع الحادثة على الشكل الذي يزعمون، كما أرجو أن تنقلوا إليَّ اعتراضاتهم، أو عليَّ موافقاتهم -إن شاء الله-، وأرجو الله -تعالى- أن يوفقكم لإقناعهم بالحق، والإقلاع عن مثل هذه الخرافات والخُزعبلات الفارغة» انتهى كلام شيخنا محمد نسيب الرفاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال الشيخ **إحسان إلهي ظهير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ردِّها بعد سردها:

«فانظر جرأة هؤلاء القوم على الكذب، ثم الإصرار عليه ونسج هذه العبارة وذكر ذلك العدد الضخم؛ أي: تسعين ألفًا من الناس، مع العلم بالبداهة بأن هذا العدد الضخم لا يمكن وقوفهم أمام الحجرة الشريفة، ولا يسعهم المكان في وقت واحد، ورؤيتهم وسماعهم لو وقع في تلك الجهة وفي ذلك المكان، ثم سردهم هذه الأسماء بكل وقاحة، مع أنه لو وقع هذا كله أمامهم؛ لملؤوا الدنيا بذكره، وكتبهم بحكايته.

---

(١) نعم، هي أمر سهل، وليس فيها -على هذا النحو- كذب على رسول الله ﷺ، وغاية ما فيها صواب أو خطأ، مع التنويه أن استخدام لفظة (بسيط) هنا غير صحيحة من ناحية لغوية، انظر: «تقويم اللسانين» (٥٠ - ٥١، بتحقيقي) للهلالي.

-وأيضًا- ذلك الجمع الحاشد لو رأوا هذا الأمر وسمعوه؛ لساروا بذكره ومشوا بروايته، وكل هذا لم يحدث ولم يذكر في كتاب من كتب ذلك المكان في التاريخ والسير والطَّبقات، اللهم إلا كتب المتصوفة، والمتصوفة الرفاعيين بالذات؛ حتى كتب الطبقات الصوفية -أيضًا- خالية بذكرها -أيضًا-، وكذلك الكتب التي تذكر الرفاعية بالخير والثناء والمدح فيهم، كما لا يوجد في كتب الشيخ الجيلاني إشارة إلى هذا ولا اسم ولا رسم، وقد قيل قديمًا: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

ولم يكتفوا بهذه الأكذوبة إلا وأضافوا إليها أخرى؛ حيث قالوا: إنه حجَّ مرة ثانية، وذلك في العام الذي توفِّي فيه، وزار قبره ﷺ الذي هو أفضل من الجنة، بل العرش والكرسي...»[1] إلخ ما نقلناه.

○ هم... ينكرونها... ولكن...!

أخبرني الأخ أمجد المستريحي -وكان صوفيًّا رفاعيًّا، ثم تاب الله عليه- أنه سأل شيخ الطريقة الرفاعية في الأردن عن هذه القصة؛ فقال: «يا شيخ أمجد! بيني وبينك، هذه القصة أنا غير مقتنع بها نهائيًّا، ولكن نحكيها للناس وللعوام على سبيل التبرك! ولتعظيم قدر مشايخهم»، وعندما استفسر عن سبب عدم اقتناعه بها، قال: «لأنها قصة (مخبوصة)، ولا يوجد لها أي إسناد يعتمد عليه، وكل شيخ صوفي يذكرها في كتاب على وجهٍ يختلف عن الآخر»، ثم كتب إليَّ الأخ أمجد أن ذلك كان مساء (١٠/ ٧/ ١٩٩٤م).

قال أبو عبيدة: وفي إظهار هذه القصة مفاسد لا يعلمها إلا الله، فلو وقعت حقيقة -وهيهات-؛ كان ينبغي كتمها على العامة، كتب إلي الأخ أمجد ما نصه: «عندما سمع أحد الصوفية في جبل النصر في الأردن بهذه القصة من شيخه المذكور الذي ينفيها؛ تواجد، وأخذ يبكي، ووقع على الأرض يصيح،

(١) «دراسات في التصوف» (ص٢٢٨).

وهو يقول: (هَيُّه... هيُّه[1]...)؛ فقالوا له: من هو؟ قال: الإمام الرفاعي. فقال شيخه المذكور: نعم، لقد جاءه الإمام الرفاعي. وبعد انتهاء الجلسة؛ جلستُ (أمجد) وذلك الصوفي، وقلتُ له: بالله عليك! ماذا رأيتَ لما تواجدتَ؟ قال: تكتم السِّر. قلتُ: نعم. فقال: هذه كذبة، وأنا ما رأيتُ شيئًا، وموَّهتُ على المشايخ».

وليس الشيخ أحمد الرفاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أول مَنْ كُذب عليه؛ فقد كُذب على رسول الله ﷺ وعلى صحابته وتابعيهم، وعلى أمثاله مِنَ المشايخ والأئمة؛ فها هو ابنُ رجب يذكر في «ذيل طبقات الحنابلة» أنَّ رجلًا ألَّف مجلدين في كرامات الشيخ عبدالقادر الجيلاني، كلُّها كذب!

ولا يفوتني التنويه بعبارات الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تكذيبه لهذه القصة في هذا الكتاب[2]، فجزاه الله خيرًا.

---

(١) كلمة عاميَّة دارجة في بلاد الشام بمعنى: «هذا هو».
(٢) انظر ما تقدَّم (ص ٤٤٨).

الملحق الثالث
رأي الهلالي في أبي الأعلى المودودي وجماعته

أدرك الهلالي أبا الأعلى المودودي[١] في غربة، ولا سيما في تلك الحِقبة التي لحقت بالمسلمين في شبه القارة الهندية، ووجود الأصوات العالية -آنذاك- لتحكيم الشريعة، وأُعجب الهلالي بذلك؛ وذكر في بعض «رسائله» نحو ما ذكره في هذا الكتاب «السراج المنير»، **وعبارته في «الرسائل»:**

«ولم أرَ مِن الكُتَّاب مَن ينادي بتطبيق الشريعة في المعاملات -كلِّها- مثل أبي الأعلى المودودي -أيَّده الله-؛ فلم يُقَصِّر في ذلك، وأُدخل السجن! فلم تلِن له قناة، ولا زال يوالي جهاد القلم في مصنفاته ورسائله، غير مبالٍ بمَن يناصبه العداء، وأنا لا أكتمكم ما أنا عليه مِن الحزن والأسف والضيق مِن جرَّاء هِجران الشرع المحمدي في الإدارة والمحاكم والمدارس والأسواق وغيرها، وهذا جعلني أفكر في الفرار مِن القوم؛ لمَّا لم أجد نصيرًا ولا مؤيدًا، ولا قوة إلا بالله!»[٢].

ويذكر الهلالي في (الحلقة الثانية عشرة) مِن «دواء الشاكين»[٣] المودوديَّ، ويقول عنه: «صديقنا الأُستاذ»، وازداد تأثر الهلالي بالمودودي وجماعته؛ لمَّا جاءه مسعود النَّدوي من باكستان إلى بغداد، وكان الهلالي يَعرف منه وينكر.

وانحرافات المودودي المنهجية ليست بقليلة، ولا سهلة، وأكثر مَن تأثَّر به: سيد قطب، ولا سيَّما في تكفير المجتمعات، ولا قوة إلا بالله!

وكان لأبي الحسن الندوي سبق التحذير من هذا الفكر؛ فقد ناقشه في كتابه

---

(١) التقى به في باكستان سنة (١٩٥١م).

(٢) «رسائل الهلالي الشخصية» (٣/ ١٥٢٠ - ط الأولى).

(٣) نشرت في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة الرابعة، العدد السادس، (شوال ١٣٨٠هـ - مارس ١٩٦١م)، (ص١٠-١٢).

«التفسير السياسي للإسلام في براءة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب» (ص٨٤ وما بعدها)، وفي كتابه «النبوة والأنبياء في ضوء القرآن» (ص٣٦ وما بعدها)، وصرَّح في الأول (ص٢٠) منهما أنه وضعه في رمضان ١٣٩٨هـ - أغسطس ١٩٧٨م، وبرهن فيهما أن هذا المسلك يخالف المقصد من بعثة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ولا يقبل الهلالي مِن المودودي عدم عنايته بالعِلم الشرعي، وتساهله في عدم نصرة السُّنَّة النبوية.

يقول الهلالي: «وكتبُ المودودي فيما عدا العبادة -فإنه فيها حنفي صرف- مفيدة، ولا تخلو مِن أخطاء، وأنا أعرفه معرفة شخصية في الهند والحجاز، وحركته إسلامية، وأعداؤه مبطلون»[(١)].

○ عدم صفاء المودودي في مشربه العقدي:

مِن أكثر ما يزعج الهلالي ويغضبه: خلاف معتقد السَّلف الصالح، ولم أظفر له بكلمة عن ذلك.

ولكني ظفرتُ في مكتبة مسجد إبراهيم الخليل -وأنا في الإمارات العربية/ دبي- **بخط شيخنا الألباني** تعليقة له -كعادته عند قراءة الكتب-، فيها تعقب خطير ومهم لكلام أبي الأعلى المودودي حول (العلو) و(الاستواء) المذكورَين في القرآن الكريم.

قال المودودي في كتابه «الحكومة الإسلامية» (ص٩٩): «إنَّ تفصيل كيفية استواء الله على العرش أمر شاق بالنسبة إلينا»، فعلَّق شيخنا الألباني: «بل مستحيل».

وما كنتُ أظن أنَّ أحدًا يعتقد خلاف ما ورَد في القرآن، ويتكلَّم بكلام مِن عنده؛ كقول المودودي في «الحكومة الإسلامية» (٩٩): «على أي حال؛ فتفصيل معنى الاستواء على العرش -أيًّا كان-، إنما الغرض مِن ذِكره في القرآن: أن يستقر في ذهن الإنسان أنَّ الله ليس هو خالق الكون فحسب؛ بل

---

(١) «رسائل الهلالي الشخصية» (١/ ٣٣١- ٣٣٢، ط الأولى).

هو -أيضًا- مُدَبِّر أمره، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يستقر في مكان بعينه بعد أن فرغ مِن خَلق العالَم؛ وإنما هو مستمر في إجراء حكمه وممارسته بالفعل على الدنيا بأسرها، مِن أصغر أمر إلى أعظم وأجلّ شأن فيها، فسلطات الحكم والسيادة والسيطرة بين يديه فعلًا، وكل شيء تابع لأمره، وكل ذرة خاضعة لحكمه وقضائه، ومصائر الموجودات متصلة ومرتبطة بحكمه وأمره».

فعلَّق عليه شيخنا الألباني بقوله:

«**هذا المعنى** صحيح في نفسه، **ولكنه باطل كتفسير لآية:** ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ لأنَّ (ثم) تفيد -لغةً- التراخي، وهي تعطي أنَّ الاستواء لم يكن قبل، فهل يصح: إنه لم يكن لحظة ما مدبِّرًا لأمره و...؟!».

وقال -أيضًا- عند قول المودودي فيه (ص١٠١) في تفسير ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: «بمعنى أن الله ليس مجرد خالق؛ بل هو حاكم -كذلك- وآمِر».

فعلَّق الشَّيخ بخطه:

«**هذا تأويل جديد اللفظ، قديم المعنى، إذ هو كالتفصيل لتأويل الخلف للآية، بأن المعنى (استولى على العرش)**»(١).

وهذا المعنى ينكره الهلالي، ويضلل صاحبه.

ومن أبرز ما يمايز الهلالي عن فكر المودودي: أنه سلفي، وعاش وهو يدعو إلى المعتقد الصحيح، ومات على ذلك.

ومن العلامات الفارقة بين الهلالي وأصحاب هذا الفكر: أنه يرى طاعة أولياء أمور المسلمين، ولا يجوز الخروج عليهم؛ **بخلاف المودودي الذي تهوَّر في موضوع التكفير، وتلقَّف ذلك عنه سيد قطب، وزاد عليه، وشهر التكفير، وأصبح ينظر إلى المجتمعات على أنها جاهلية!! فالهلالي يمنع التحزب لأي حزب والتعصُّب له، ويرى أن السَّلف برآء من هذا.**

وذَكر الهلالي أن من الضلال إحداث المذاهب والتعصب لها، وقال:

---

(١) انظر خط شيخنا الألباني: في وثيقة رقم (١١) في آخر الكتاب.

«يجب على المسلمين في كل زمان ومكان أن يكونوا في دين الله كما كانَ أصحابُ رسول الله ﷺ، لم يكن عندهم مذاهب ولا طرق ولا فِرق ولا نِحل، فلو كان التفرُّق حقًّا لكان أصحاب رسول الله ﷺ على مذاهب (بكرية، وعمرية، وعثمانية، وعلوية)، حاشاهم من ذلك وهم خير القرون.

نسأل الله أن يجعلنا ممن اتبعهم بإحسان»[1].

ونردد مع العلَّامة الهلالي:

«إنَّ ما نراه اليوم مِن أحوال العرب وسائرِ المسلمين مِن تخبطٍ في الظلمات؛ إنّما سببُه الإعراضُ عن القرآن، واتخاذُهم إياه مهجورًا، وأنهم لن يخرجوا مِن ظلماتهم إلا بالرجوع إليه، والاستضاءة به، واتخاذِه إمامًا وحكمًا، والتمسكِ بسُنَّة رسول الله ﷺ التي تبيِّنه وتشرحُه»[2].

وركَّز الهلالي على هذا المفهوم، وأعاده وكرَّره، **فها هو يقول:**

«لا يرتاب أحدٌ -لا مسلم ولا كافر- أنّ القرآنَ أخرج العرب مِن الظلمات إلى النور، وأخرجَ جميع الدول الإسلامية السابقة مِن ظلمات الجهل والفقر والذلة والتشتت والضعف إلى أضدادها، وفي قتال المسلمين لجميع دول أوروبا بملوكها وجيوشها مدة مئة وتسعين سنة على أرض فلسطين وما حولها، وانتصارِ المسلمين عليهم: شاهدٌ من أعظم الشواهد للمقارنة مع استيلاء ثلاثةِ ملايين مِن غرباء الآفاق مِن اليهود على المسجد الأقصى -أحد المساجد الثلاثة المقدسة عند المسلمين-، ويقابلُ هذه الملايين الثلاثةَ مئةُ مليون مِن العرب، وستُّ مئة مليون مِن المسلمين غير العرب[3]، وقد حارب العربُ اليهودَ -مِرارًا وتكرارًا- فلم يحصلوا على طائل[4]، فكلُّ مَن اتبع

---

(١) «سبيل الرشاد» (٢/ ١٦٧ - بتحقيقي).

(٢) انظر: «سبيل الرشاد» (٢/ ٢٧٤ - بتحقيقي). (٣) هكذا كان عددهم -آنذاك-!

(٤) بل جعله في «سبيل الرشاد» (٤/ ١٩٣ - بتحقيقي) من العذاب الأكبر، قال: «إن عَجزَ ثمان مئة مليون عن مقاومة ثلاثة ملايين: من العذاب الأكبر، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:٣٣]».

القرآن والسُّنَّةَ مِن الشعوب والدول والأفراد؛ يُخرجُه اللهُ مِن الظلمات إلى النور، وكلُ مَن خالفهما -بعدَ المعرفة- يخرجْه اللهُ مِن النور إلى الظلمات، ومِن المخالفين لهما: المقلِّدون وأصحابُ الطَّرائق الذين فرَّقوا دينَهم وصاروا شِيَعًا»[1].

ويقول -أيضًا-:

«أُعيد وأُكرر: إنّ كلَّ شعب، أو أُمة، أو فرد بلغه أمرُ ربه بواسطة رسل الله -تعالى- فعصى أمره، وكذب رسله؛ يعذبْه اللهُ في هذه الدنيا عذابًا أليمًا، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٦] ولا يفلح أبدًا، فإن قلتَ: «هذه الأمم الأوروبية نراها تعيش في سعادةٍ دنيوية، عزيزةً منصورة، موسَّعًا عليها في الرزق؛ مع أنها عتت عن أمر ربها!»؛ **فالجواب**: مَن بلَّغها الإسلام على وجهه؟! ونحن نعلم أن ارتقاءها بدأ عند انحطاط المسلمين ورجوعهم إلى الوراء»[2].

ويقول -أيضًا-:

«القرآنُ كنز عظيم جاءنا به النبيُّ الكريم، فاستغله سلف هذه الأمة أحسنَ استغلال، وبلغوا به أَوْجَ العُلا في سعادة الروح والجسد، وحكموا به مشارق الأرض ومغاربها وملأوا الدنيا عِلمًا وعدلًا، ثم خَلَفَ مِن بعدهم خُلوف نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم؛ فرُدّوا إلى أسفل سافلين، وهم في ظلماتهم يعمهون، وقد تعلَّقوا بالسراب يظنون أنه شراب! **ولن يجدوا لدائهم دواءً، ولا لمشاكلهم حلًّا إلا بالرجوع إلى القرآن: درسًا، وتعليمًا، وتحكيمًا، ويتخذونه سراجًا لهم يضيء ظلمات الحياة الدنيا، ويسعدهم في الأخرى**»[3].

ويقول -أيضًا-:

«ومِن طَبْع الأحزاب والفِرق أنْ يفرح كلُّ حزب بما عنده، ويدَّعي أنه

---

(١) «سبيل الرشاد» (٢/ ١٧٠ - بتحقيقي). (٢) «سبيل الرشاد» (٤/ ١٩٥- بتحقيقي).
(٣) «سبيل الرشاد» (٤/ ٢١٦- ٢١٧، بتحقيقي).

الحق، ولكن عند الصباح يحمد القوم السرى، والصباح: الموت وما بعده، فحينئذ يفرح أهل الحق الذين وحَّدوا الله، واتبعوا رسله، ويندم أهل الباطل الذين أشركوا بالله وابتدعوا في دين الله»[١].

وقال في كتابه «قبسة من أنوار الوحي» عند شرحه لِما ثبت في «صحيح مسلم» (٩٥) عن تميم الداري: «**الدِّين النصيحة**». قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»:

«والنصحية لخلفاء المسلمين: بطاعتهم في المعروف، وإعانتهم على أداء واجبهم في الحكم، وإرشادهم وعدم الخروج عليهم، ما لم يرَ المرء كفرًا بواحًا عنده من الله فيه برهان»[٢].

والخلاصة: إن الهلالي كان يمدح (الجماعة الإسلامية) لأبي الأعلى المودودي في أمور، ولا سيما عند مقارنتهم مع الإخوان المسلمين، وأنهم جماعة قائمة على فَهْم، ويعرفون هدفهم والطريق إليه، وليسوا (مجتمعين على عواطف، ولا وسيلة لهم إلا الخُطب والكلام)!

ولكن هل كان الهلالي مع (الجماعة الإسلامية) للمودودي؟

الجواب قطعًا بالنفي، وإن وجد منه ميل لهم، إلا أن بعضه مؤقت، فتغيَّر مع مضي الزمن، وأمَّا أهدافهم العامة في نصرة الإسلام والمسلمين؛ فهو معهم، لكنه ليس في تنظيمهم، ويتبرأ من المخالفات الشرعية عندهم، وهو كذلك صنع مع الإخوان المسلمين.

وفي مقابلة أجراها معه الأستاذ محمد إسحاق[٣]، ونشرها بعنوان ....

(١) «سبيل الرشاد» (٢/ ٩٤- بتحقيقي).

(٢) «قبسة من أنوار الوحي» (٢٨٢ - بتحقيقي).

(٣) ولد في ١٥/ ٣/ ١٩٢٥م في (كوت كبورة) بإمارة (فريد كوت) (بنجاب الشرقية بالهند)، وتلقى تعليمه في المرحلة الابتدائية على جدِّه الأمجد: ميان محمد رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم هيَّأ الله عَزَّوَجَلَّ له شيوخًا من مشاهير العلماء في ذلك العصر؛ الذين كان يشار إليهم=

= بالبنان في علمهم وفضلهم وزهدهم وتقواهم، بخاصة في دعوتهم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة؛ ومنهم: العلامة الشيخ الحافظ محمد الغوندلوي (١٣١٥-١٤٠٥هـ)، والعلامة محمد إسماعيل السلفي (١٣١٤-١٣٧٨هـ)، والعلامة محمد عطاء الله حنيف الفوجياني (١٤٠٨هـ).

واستفاد الأستاذ بهتي في حياته العلمية والإدارية -أيضًا- من توجيهات المشاهير؛ أمثال: العلامة الشيخ محمد داود الغزنوي (ت١٩٦٣م)، والعلامة محمد حنيف الندوي (ت١٩٨٧م)، ويعتز الأستاذ بهؤلاء المشاهير في كتاباته؛ اعترافًا بعلمهم وفضلهم.

دخل الأستاذ بهتي في معترك الحياة بعد تخرجه سنة ١٩٤١م -تقريبًا-، واشتغل بالسياسة -أيضًا-، وشكلوا حزبًا لمعارضة الاستعمار وتحرير الهند منه، وكان كياني ذيل سينگ (رئيس جمهورية الهند سابقًا) رئيسًا له، وكان الشيخ أمينًا عامًّا له، وقضى مدّة من الزمن في سبيله وراء القضبان، وتسكّع في كسب الرزق عدة سنوات، ثم وصل إلى ما قدَّره الله من العلم والفضل، حتى بدأ يُعدُّ من المؤلِّفين البارزين في القارة الهندية.

وأول اشتغاله بالكتابة كان حوالي سنة ١٩٤٩م في مجلَّة «الاعتصام» الصادرة من لاهور تحت إدارة الأستاذ محمد حنيف الندوي -آنذاك-، حتى وصل إلى رئاسة تحريرها، وأصدر أثناءها أعدادًا ممتازة لها حول مواضيع مهمة؛ مثل: عدد خاص عن (حجية الحديث النبوي)، و(ثورة ١٨٥٧م ضد الاستعمار البريطاني)، و(الدستور)، و(العيد)، وغيرها من الأعداد الممتازة؛ التي جَمعت في طيَّاتها مقالات مهمة نافعة لكبار علماء القارة الهندية، وكذلك أصدر عددًا خاصًّا عن (الحرمين الشريفين) لأخبار «أهل الحديث» الأسبوعية لاهور سنة ١٩٨٧م؛ وهو عدد ممتاز بحكم معلوماته الواسعة عن المملكة العربية السعودية وآل سعود وآل الشيخ في مئات الصفحات من القطع الكبير، وقضى حياته -منذ ذلك الوقت (أي: منذ أكثر من ثُلثي القرن)- في التصنيف والتأليف، وقد باشر سابقًا رئاسة التحرير لعدد من الجرائد والمجلات، وكَتب مقدِّمات على كتب المؤلِّفين، وقام بالنقد والتعريف بكتب لا تعد ولا تحصى.

وقدَّم خدمةً جليلة في مجال التصنيف والتأليف، وألَّف ما يزيد عن أربعين كتابًا حتى وفاته، وألَّف كُتبًا عديدة في تأريخ دخول الإسلام في الهند، ودعوة أهل الحديث وشخصياتها البارزة من القرن الأول حتى الآن، وخاصةً في شبه القارَّة الهندية، التي =

....

= كانت كثيرة منها في طي النسيان؛ فأحيا ذكرها بالكتابة حولها، وأبرز جهودها في التصنيف والتأليف، والدعوة والإرشاد، والبحث والمناظرة، وغيرها من مجالات البحث والتحقيق.

ونُشر له من البحوث والمقالات في الجرائد والمجلات ما لا يُحصى؛ لأنه كان رئيس التحرير لكثير منها، فبحكم منصبه؛ توفَّر له المجال للكتابة الغزيرة المستمرة في مواضيع مختلفة إلى مدَّة مديدة، ومن الجدير بالذكر أنه كتب في «دائرة المعارف الإسلامية» (الأردية) ما يقارب ستة وعشرين مقالًا في مواضيع شتَّى بكل جدارة ومهارة.

وكان رئيس تحرير مجلة «الاعتصام» لمدة خمس عشرة سنة، ومجلة «المعارف» (الصادرة من إدارة الثقافة الإسلامية) لمدة اثنتين وعشرين سنة، و«التوحيد» الأسبوعية لعدَّة أشهر، وأنشأ جريدة «المنهاج» لمدة سنة وثمانية أشهر، وأدار كل هذه الجرائد والمجلات بكل ثقة واعتماد، طالما صدرت برئاسته.

وقدَّم برامج متنوعة في الإذاعة والتلفاز لمدَّة خمس وثلاثين سنة -تقريبًا-، وعرَّف فيها -بعد أخذ الإذن من إدارتها- بأكثر من أربعين من الشخصيات السلفية البارزة في شبه القارة الهندية، وبكل همة وشجاعة؛ لأن التعريف بها يعتبر غريبًا على مسامع الناس في الوقت الحالي، فكيف به في تلك الفترة المتعصبة الدقيقة من الزمن؟

ولو جُمعت هذه الأعمال كلها في كتاب؛ لبلغت مائة مجلد، تزيد صفحاتها عن ستين ألف صفحة -تقريبًا-.

وباشر الأستاذ أمانة السِّر بمكتب جمعية أهل الحديث بباكستان (بعد انفصالها عن الهند) منذ إنشائها سنة ١٩٤٧م، وبقي فيها إلى سنة ١٩٦٥م -تقريبًا-.

ثم انتقل إلى إدارة الثقافة الإسلامية (وهي مؤسسة حكومية)، وبقي فيها كاتبًا ومترجمًا ومديرًا لمجلتها زُهَاء اثنتين وعشرين سنة، وأنجز خلال هذه المدة أعمالًا علمية متعددة؛ من أهمها: كتاب «فقهاء الهند» في (١٠ مجلدات)، ويحتوي على ثلاثة آلاف ترجمة، وترجمة «الفهرست» لابن نديم (ت٣٩٠هـ) والتعليق عليه، وغيرها من أعمال البحث والتحقيق.

ولقد زهد الأستاذ بهتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المناصب العضوية في إدارات الدولة، وإلا؛ فقد عُرض عليه منصب المشير في المسائل الفقهية المهمة في المحكمة الشرعية، وكذلك عضوية اللجنة الإسلامية للتخطيط من قبل رئيسها؛ فرفضهما متعللًا بأنه لا يحب أن يباشر أي عمل يحول دون التأليف والتصنيف. =

....

نذر حياته كلها -من بداية وظيفته- للتنظيم والإدارة والتصنيف والتأليف، ورئاسة تحرير المجلات وغيرها، ولكن بعد الانفصال عن الوظيفة في إدارة الثقافة الإسلامية؛ أكبَّ على كتابة السِّيَر والتراجم لعلماء شبه القارة الهندية وفضلائها، وخاصة أهل الحديث منهم، وصدرت مجلات بأسماء مختلفة في الموضوع، بلغت آلاف التراجم، والتي لم تكن تُعرف من قبل، فجزاه الله خيرًا عن العلم والعلماء.

يتحلى الشيخ بقوة الذاكرة الخارقة في تحديد الأسماء والأمكنة والأزمنة في كتابة السِّيَر والتراجم، حتى فيما قال: «يغلب ظني كذا»، فاستثبت - ذات مرة-؛ فتبين أنه هو الصحيح، ويملك شجاعة كبيرة للتعبير عما تطمئن إليه نفسه، من غير أن يخاف فيه لومة لائم، ولا يتنازل عن قناعاته في أمور العقيدة والدين، مهما كانت الظروف والملابسات، ويحظى بملكة عجيبة في تصوير الأحداث؛ بحيث ينفجر المرء بكاءً بقراءتها إن كانت مُحزنة، وكذلك في التنكيت والظرافة؛ بحيث لا يتمالك الإنسان على نفسه من الضحك بمجرد تصوُّرها، ويتمتع بالقلم السيَّال والملاحظة الدقيقة، والكلام البديه، والبيان الواضح، والأدب الرفيع، والأسلوب الظريف؛ فلا يكاد يمل القارئ من كتاباته -أبدًا-.

تتميز مجالسه وكتاباته بالنصح والإرشاد، مع حسن الخُلق، وعلو الأدب، وظرافة الطبع، وبلاغة الكلام، وفصاحة اللسان، وهو -باختصار- مثل دائرة معارف عامة أو موسوعة متجولة، مع تواضعه الجم في عرض الوقائع والأحداث، والتعليق عليها بكل جدارة ومهارة.

ومن خصائص كتاباته:

- تتوفر فيها عناصر الحب والوئام، ولا تكاد توجد فيها أمور الفرقة والاختلاف.
- إيضاح منهج الكتاب والسنة، وإظهار الطمأنينة عليه، والدفاع عن العقيدة وعدم التنازل عنه.
- إيضاح موقفه من الأمور بكل صراحة وصرامة، دينية كانت أو سياسية، حركية كانت أو اجتماعية.
- يوجد فيها تشجيع لاختيار الأخلاق الفاضلة، والخصال الحميدة، والتنديد بالظلم والظالمين، بكل ما فيه من معنى.
- تحتج كتاباته على عدم الاهتمام بمصالح المُلك والمِلة من قِبل الأحزاب السياسية.
- تتميز باللطافة والظرافة؛ بحيث لا يمل منها القارئ مهما كانت طويلة.

وقد كُتبت عنه البحوث والمقالات، وجمعت في مجموعات، وسُجِّلت عنه الرسائل =

(شخصية علمية وأدبية للعالم الإسلامي: الدكتور السيد تقي الدين الهلالي المراكشي - الحلقة الثانية) في مجلة «الاعتصام» غوجرانواله، باللغة الأردية، بتأريخ ٥ أكتوبر ١٩٥١م؛ سأل الهلالي عن جماعة الإخوان المسلمين في مصر؟ فقال: «**لو كان هدفها الأساسي تبليغ الإسلام، ولم تعرِّض نفسها لسياسة البلاد؛ لكانت جماعة مباركة**».

قال محمد إسحاق -على إثره مباشرة-: «ولما قلت له: ما رأيكم عما قاله مسعود عالم في كتابه «في ديار العرب» عنكم وعن أهل الحديث؟

قال: سأكتب عنه في مقال مستقل، لكنه ظلم وجار على أهل الحديث في «في ديار العرب»، وأيضًا أورد فيه بعض الأسرار الذاتية التي ينبغي لها أن تخفى في الصدور، لا تظهر في السطور».

ونقل تلميذه مسعود الندوي في «شهور في ديار العرب»[1] الآفة العامة عن الإخوان؛ **فيقول الهلالي:**

= العلمية للحصول على الماجستير والدكتوراة؛ اعترافًا بعلمه وفضله في هذا الباب، والكمال لله -وحده-.

هكذا استمر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عطائه الفياض في مجال السير والتراجم، وعاش حياةً حافلة جاوزت ثلاثة وتسعين من عمره حسب الحساب القمري، وواحدًا وتسعين حسب الشمسي، حتى جاءه الأجل المحتوم بعد وعكة صحية مختصرة في الساعة الثانية ليلة الثلاثاء ١٠ ربيع الأول ١٤٣٧هـ يوافق ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٥م في لاهور، ودفن فيها بحضور الجم الغفير من العلماء وطلبة العلم، وغيرهم من الأقرباء والمحبين من أنحاء باكستان، فرحمه الله رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

ترجمه أخونا الفاضل صلاح الدين مقبول أحمد في مقالة بعنوان (فضيلة الأستاذ محمد إسحاق بهتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤرِّخ شبه القارة الهندية)، نشرت في مجلة «صوت الأمة» الهندية، الصادرة عن الجامعة السلفية، المجلد (٤٨)، العدد الثاني، جمادى الأولى ١٤٣٧هـ - فبراير ٢٠١٦م، (ص٥٠ - ٥٧)، وانظر: «الإجازات الهندية وتراجم علمائها» (١/ ٢٩١، ٣٤٧).

(١) (ص١١١).

«حركة الإخوان بتمامها قائمة على العواطف والأحاسيس، ولا يوجد لديها أساس فكري، ولهذا؛ فهي قاصرة عن إيجاد الحلول العلمية والعملية للمشكلات الحالية؛ فلا يمكن لقوة الخطابة[1] -فقط- أن تحدث تغييرًا ثابتًا في نظام الحياة».

ويقول -أيضًا- كما فيه[2]-:

«لا يوجد لدعوة الإخوان المسلمين هدف معين، ولا يمكن لأي حركة أن تؤسس -فقط- على العواطف، وهؤلاء لديهم حلقة وجماعة، لهذا؛ نعمل معهم -أيضًا-، ولكن عامة أعضائها لا يعرفون لهم هدفًا معينًا».

وصرَّح مسعود الندوي في كتابه -هذا-[3] أن الهلالي يخالف دعوة الإخوان، واعتبره -هذه المرة- ممن أساء إليهم! **وعبارته -بالحرف-:**

«ومن المؤسف أن يسيء أستاذنا الهلالي إلى دعوة الإخوان المسلمين -هنا- من خلال اتباعه لطريقته -هذه-[4] التي تشبه طريقة أهل الحديث عندنا[5]، ومن الجدير بالذِّكر: أن محمد محمود الصواف يفهم هذه الحقيقة، رغم أنه سلفي المشرب، ويشعر بالنتائج الخطيرة لدرس الأستاذ الهلالي وسط هذه البيئة؛ حيث لا يؤدي الناس الصلوات، ويعتبر الذهاب إلى المسجد علامة على التخلف والرجعية، فإن الإصرار على الجهر بـ(آمين) و(رفع اليدين)؛ هو ظلم للدعوة -نفسها-، وليرحمنا الله».

قال أبو عبيدة: هذا رأيُه، والواجبُ نصرةُ السنَّة، وتربيةُ النَّاس عليها، وتعليقُهم بها، فإنَّ القرآنَ الكريم -في مجمل تعاليمه- جاء لتصحيح المفاهيم، والسنَّةَ النَّبوية جاءت لتصحيح السلوك، والأصل فيهما الاجتماع لا الافتراق، ولا يُمكن للأمة أنْ تَنهضَ إلا بهما، فتأمَّلْ، ولا تكنْ مِنَ الغافلين، هذا وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

---

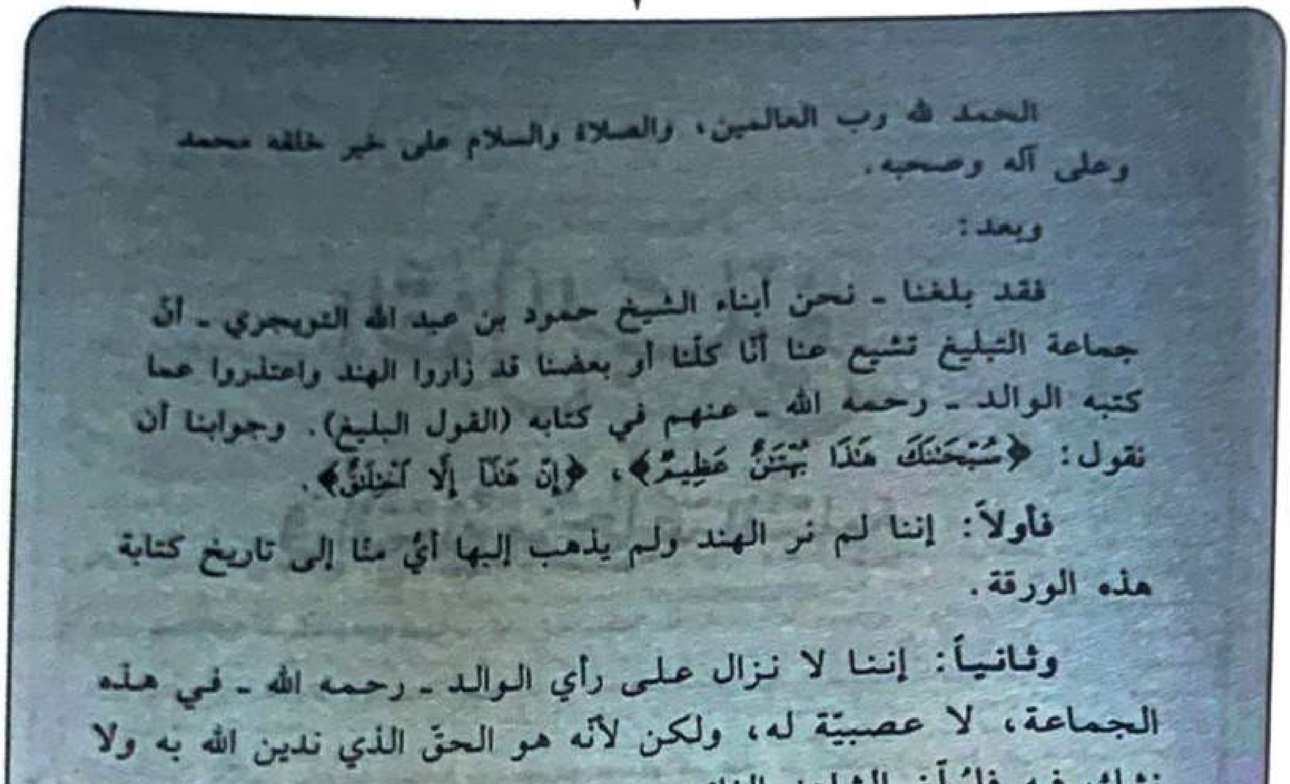
(١) مما في ذلك المهرجانات والمؤتمرات والخطابات في اللقاءات العامة.

(٢) (ص٢١٣-٢١٤). (٣) (ص٢٣٠).

(٤) يريد: المسائل الفرعية وأهميتها. (٥) أي: في شبه القارة الهندية.

ملحق الوثائق

وثيقة رقم (١)



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فقد بلغنا - نحن أبناء الشيخ حمود بن عبد الله التويجري - أن جماعة التبليغ تشيع عنا أنا كلّنا أو بعضنا قد زاروا الهند واعتذروا عما كتبه الوالد - رحمه الله - عنهم في كتابه (القول البليغ). وجوابنا أن نقول: ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾.

فأولاً: إننا لم نر الهند ولم يذهب إليها أيّ منا إلى تاريخ كتابة هذه الورقة.

وثانياً: إننا لا نزال على رأي الوالد - رحمه الله - في هذه الجماعة، لا عصبيّة له، ولكن لأنه هو الحقّ الذي ندين الله به ولا نشك فيه فليُبلّغ الشاهد الغائب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أبناء الشيخ حمود التويجري:

عبدالله ١٤١٦/٢/٤هـ — محمد — عبدالعزيز

عبدالكريم — صالح — إبراهيم

خالد

تنويه أبناء الشيخ حمود التويجري عما أشاعه التبليغيون عنهم وأذاعوه من تراجع العلّامة التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن طعنه بحق في جماعة التبليغ.

وثيقة رقم (٢)

الى كل مسلم غيور همه الفكر للدين والدعوة الى الله وفقني الله وإياه للصواب والسداد .
الله العلي القدير وهو الهادي الى الصراط المستقيم لامعبود لنا سواه ولا معطي ولا مانع غيره ولا معين ولا مغيث
عز جل جلاله لايحتاج الى واسطة ولاتوسل باحد من المخلوقين كائناً من كان سبحانه الفعال لما يريد وهو اقرب الى
حبل الوريد واشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له ولا شبيه له في ذاته واسمائه وصفاته له الكمال المطلق
بربوبيته وألوهيته واسمائه وصفاته واشهد ان نبينا محمد رسول الله سيد الخلق وافضل الرسل وخاتم النبيين طاعة
طاعة الله وبمتابعته ننال حب الله والتقرب اليه فلا فلاح لنا ولا عزة لنا في الدنيا والاخرة الا بطاعة الله على
ة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاللهم صلي وسلم وبارك على هذا النبي الكريم المبعوث رحمة للعالمين الذي
ثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهو القائل (انما بعثتم ميسرين ومنذرين
ريس لامعسرين وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به واتبعوا النور الذي جاء به وساروا على دربه مبشرين ومنذرين
شروا في العالم دعاة الى الله ورسوله بانفسهم واموالهم وبذلوا كل غالي ورخيص في سبيل خدمة الاسلام حتى
م الله ورضي عنهم ورضوا عنه . اما بعد
فاني كتبت هذا الخطاب لما احزنني كثيرا وتألمت من تفرق بعض اخواننا في الله الذين تعارفنا معهم على
له ورسوله والدعوة اليه بسبب امر لانختلف معهم في كثير او قليل بل نحن جميعا متفقون على ان اخواننا في
وباكستان عندهم اخطاء لا سيما بالنسبة لما جاء في كتاب تبليغي نصاب ونحن معهم كمتعاونين على الاصلاح
ستطعنا وما لمسناه من الاغلبية الساحقة لا سيما العرب انهم لم يتأثروا بتلكم الاخطاء بل انهم استفادوا كثيرا
و بعد الفساد ومع ذلك فنحن لانعتبر انهم قدوتنا في كل شيء فهم يخطئون كما نحن نخطيء ونحن لسنا بأعلى
حيث أن الشركيات والاخطاء اصبحت منتشرة لا يسلم منها احد فاذا كان عند اخواننا في كثير من بلاد العالم
الاولياء والصالحين فنحن عندنا شرك الشهوات والعاديات [redacted] مما لاجدال فيها الا اننا لانختلف
ولكن في قرارة نفوسنا واعمالنا نحن اكثر شركا منهم وهذا الخروج في سبيل الله وتعاوننا مع جميع المسلمين
الله رحمة بنا لاسيما في هذا الزمان وبسبب خروجنا بدأ يتخلص كثير منا من هذا الشرك والمعاصي فهم لهم
كبير علينا ومع ذلك هم يعتبرون انفسهم تلاميذ لنا كما سمعنا ورأينا من كثير من مشايخهم وهم يحبون
ستفيدوا منا بل يريدون أن تعود الدعوة الصادقة من مصدرها من أهل الحرمين فلا بد أن نحسن الظن بهم ونعالج
ر بحكمة وروية لا بالعجلة والجدال والنقاش الذي فيه التنفير والتفرق فجميع الأخوة لمسوا فوائد الخروج واستفادوا
نوسهم ولم يقع في الاخطاء الا الشواذ من الناس فكيف نحكم على العمل كله بالخطاء وشيدا في تنفير الناس عنه
هذا هو طريق الاصلاح ايها المصحف الكريم .
فاذا كنا مصلحين حقا ونريد أن يتخلص الناس من الشركيات والخرافات والصوفيات فعلينا أولا أن نتأتي بهم الى
بهم في الخروج في سبيل الله ونبين لهم محاسن الخروج والفوائد التي جنيناها حتى اذا اقتنع بالخروج نبين له
لم ترى بعض الناس او بعض المشيخة في هذا الخروج عندهم من البدع فانتبه لها واحذر ان تتأثر به بل عليك
هم وتنبيههم عليها بلطف وحكمة وتقول انت تخرج لاصلاح نفسك وصلاح غيرك فاحب لهم ما تحبه لنفسك وما عليك
بلاغ والهداية بيد الله وعليك أن تدعو الله لجميع الناس بالهداية والتوفيق لا سيما في اوقات الليل ومع الصبر
ني والحكمة تزول هذه البدع والشركيات باذن الله بحسب صدقنا وجهدنا واخلاصنا وتضحياتنا لا باعتزالنا عنهم
ايخ في الهند يفخرون كما عرفنا منهم أن يأتيهم التذكير من قبل مشايخ المملكة لانهم لايريدون الخوض في
ئل الخلافيه سواء كانت في العقيده او العبادات ولذلك سمعت من بعضهم انهم تركوا البيعة نهائيا وطلبوا من الا
تراءة كتاب تبليغي نصاب ويحبون من يتولى تلخيص وتصحيح حياة الصحابة ومثل هذا التغيير لا يتم في يوم
حتاج الى وقت طويل وحكمة وروية وتعاون الجميع بشكل اخوي وحسن ظن فما احوجنا في هذا الزمان الى تآلف
المسلمين وتعاونهم ولن يقوى الدين ولا يتم الايمان ولن تزول البدع والمخالفات الا بالتحابب والتعاون بين المسلمين
يقول عليه الصلاة والسلام (لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا ادلكم على امر اذا فعلتموه
يتم افشوا السلام بينكم) ويقول عليه الصلاة والسلام (بحسب امرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على
م حرام دمه وماله وعرضه) ومن كفر مسلم فقد كفر . ولقد
جعلني الله واياكم ممن يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب .
م ورحمة الله وبركاته ....

الشيخ أحمد شفيع

رسالة الشيخ أحمد شفيع التبليغي إلى
تقي الدين الهلالي حول كتابه «السراج المنير». وهي محفوظة
في الهند ضمن أوراق الشيخ عبدالحميد الرحماني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وثيقة رقم (٣)

-٣١-

فلنبدأ أولاً بما يمس العقيدة ثم البدع والخرافات بشكل عام ثم بدع التصوف فإنه
فهذه ثلاثة أقسام مع إيراد ما يمس إليه الحاجة من التعليقات.

القسم الأول :- ما يمس العقيدة

١- الشرك وما يدعو إليه :-

أ- النص :- آج ٦ ذی الحجہ جمعہ کی صبح کو اس رسالہ کو ختم کرتا ہوں۔ اللہ جل شانہ اپنے لطف وکرم سے اپنے پاک رسول صلی اللہ علیہ وسلم کے طفیل میرے جو لغزشیں اس میں ہوئی ہوں ان کو معاف فرمائے۔ (١)

الترجمة (اليوم السادس من ذي الحجة صباح يوم الجمعة أختتم هذه الرسالة وأدعو الله أن يعفو الأخطاء التي صدرت بفضله وفضل رسوله)

ب- النص :- ......

(١٦) دنیا بھر کے اولیاء ابدال واقطاب کا ایک معتد بہ طبقہ ہر سال حج میں شرکت کرتا ہے ان کے فیوض وبرکات انوار وکمالات سے استفادہ کا بہترین موقع ہے۔ (٢)

الترجمة (إن الأولياء والأبدال والأقطاب يشتركون في الحج من جميع أنحاء العالم فهذه فرصة للاستفادة من فيوضهم وبركاتهم وأنوارهم وكمالاتهم).

التعليق :- ولا يخفى ما في هذين النقلين من الشرك بالله تعالى، فكيف يقول المسلم اللهم اغفر لي بفضلك وفضل رسولك وهل هذا إلا مثل قول القائل اللهم اشفني بفضلك وفضل رسولك واللهم ارزقني من فضلك وفضل رسولك كيف وقد زجر النبي صلى الله عليه وسلم من جمع بين الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في ضمير واحد في مثل قول القائل (ومن يعصهما فقد غوى)[٣] ونهى عن قول القائل (ما شاء الله وشاء فلان)[٤] وقد قال تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء)[٥] وهل جاء وقد علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته أو أحد من أئمة هذا الدين طلب المغفرة من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

وأما حضور الأولياء والأبدال والأقطاب في مواسم الحج وطلب الفيوض والبركات والأنوار والكمالات منهم فأصل الشرك ومعدنه وماذا بقي لله ليسأل في الحج الذي شرعه لتعظيم شعائره وإعلاء ذكره.

١- انظر فضائل أعمال ص ١٢٥ باب فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الناشر إدارة اشاعت دينيات/ أنار كلي لاهور.

٢- انظر كتاب تبليغي نصاب ج/٢ ص ٤٩ باب فضائل الحج الناشر إدارة نشريات إسلام اردو بازار لاهور.

٣- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه (أن رجلاً خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ... ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله). رواه مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث رقم ٨٧٠.

٤- عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » رواه أبو داود بسند صحيح.

٥- سورة آل عمران (الآية ٧٣).

مصورة ما نقله تقي الدين الهلالي في «السراج المنير» من كتاب «تبليغي نصاب» بالأردية مع ترجمته إلى العربية وبيان رد فضيلة الشيخ حسن جناحي عليه.

تابع وثيقة رقم (٣)

-٣٣-

٢- وحدة الوجود :-

النص :- یااللہ معاف فرمانا کہ حضرت کے ارشاد سے تحریر ہوا ہے جھوٹا ہوں کچھ نہیں ہوں تیرا ہی ظل ہے تیرا ہی وجود ہے میں کیا ہوں کچھ نہیں ہوں اور وہ جو میں ہوں وہ تو ہے اور میں اور تو خود شرک در شرک ہے ⑤

الترجمة :- (قال رشيد أحمد كنكوهي في رسالة إلى مرشده حاجي امداد الله يا الله اعف عني بأني كتبت بحكم [illegible] أنا كذاب وما أنا بشيء ليس هناك إلا ظلك ووجودك وما أنا بشيء إنما أنا أنت وأنا وأنت شرك في شرك).

التعليق :- وهذه دعوة صريحة إلى وحدة الوجود وسيأتي مزيد من التفصيل في الفصل الأخير.

٣- تكررت روايات تشتمل على الغلو في الصالحين ونسبة علم الغيب إليهم فمن ذلك قوله

أ- النص :- شیخ ابو یعقوب سنوسی کہتے ہیں کہ میرے پاس ایک مرید آیا اور کہنے لگا کہ میں کل کو ظہر کے وقت مر جاؤں گا۔ چنانچہ دوسرے دن ظہر کے وقت مسجد حرام میں آیا طواف کیا اور تھوڑی دور جا کر مر گیا میں نے اس کو غسل دیا اور دفن کیا جب میں نے اس کو قبر میں رکھا تو اس نے آنکھیں کھول دیں میں نے کہا کہ مرنے کے بعد بھی زندگی ہے کہنے لگا کہ میں زندہ ہوں اور اللہ کا ہر عاشق زندہ ہی رہتا ہے۔ ⑦

الترجمة :- (قال الشيخ أبو يعقوب سنوسي : جاء في مريد لي وقال : سأموت غدًا وقت الظهر فلما كان اليوم التالي جاء المسجد الحرام وطاف بالبيت وتنحى غير بعيد ومات. فغسلته ودفنته فلما وضعته في قبره فتح عينيه وقال أنا حي وكل عاشق لله يكون حيًا).

ب- النص :- شیخ ابو یزید قرطبی فرماتے ہیں میں نے یہ سنا کہ جو شخص ستر ہزار مرتبہ لا الٰہ الا اللہ پڑھے اس کو دوزخ کی آگ سے نجات ملے۔ میں نے یہ خبر سن کر ایک نصاب یعنی ستر ہزار کی تعداد اپنی بیوی کے لئے بھی پڑھا اور کئی نصاب خود اپنے لئے پڑھ کر ذخیرۂ آخرت بنایا۔ ہمارے پاس ایک نوجوان رہتا تھا جس کے متعلق مشہور تھا کہ یہ صاحب کشف ہے جنت دوزخ کا بھی اس کو کشف ہوتا ہے مجھے اس کی صحت میں کچھ تردد تھا۔ ایک مرتبہ وہ نوجوان ہمارے ساتھ کھانے میں شریک تھا کہ دفعۃً اس نے ایک چیخ ماری اور سانس پھولنے لگا اور کہا کہ میری ماں دوزخ میں جل رہی ہے اس کی حالت مجھے نظر آئی۔ قرطبی کہتے ہیں کہ میں اس کی گھبراہٹ دیکھ رہا تھا مجھے خیال آیا کہ ایک نصاب اس کی ماں کو بخش دوں جس سے اس کی سچائی کا بھی مجھے تجربہ ہو جائے گا۔ چنانچہ میں نے ایک نصاب ستر ہزار کا ان نصابوں میں سے جو اپنے لئے پڑھے تھے اس کی ماں کو بخش دیا۔ میں نے اپنے دل میں چپکے ہی سے بخشا تھا اور میرے اس پڑھنے کی خبر بھی اللہ کے سوا کسی کو نہ تھی مگر وہ نوجوان فوراً کہنے لگا کہ چچا میری ماں دوزخ کے عذاب سے ہٹا دی گئی۔ قرطبی کہتے ہیں کہ مجھے اس قصہ سے دو فائدے ہوئے۔ ایک تو اس برکت کا جو ستر ہزار کی مقدار پر میں نے سنی تھی اس کا تجربہ ہوا دوسرے اس نوجوان کی سچائی کا یقین ہو گیا۔ ⑧

یہ ایک واقعہ ہے اس قسم کے نہ معلوم کتنے واقعات اس امت کے افراد میں پائے جاتے ہیں۔

الترجمة :- (وقال الشيخ أبو يزيد قرطبي سمعت أن من يذكر لا إله إلا الله سبعين ألف مرة ينجو من نار جهنم لما سمعت هذا الخبر ذكرت نصابًا يعني سبعين ألف مرة لزوجتي وعدة نصاب لي ذخر الآخرة وكان عندنا شاب [illegible] واشتهر عنه أنه صاحب كشف ويحكي له كشف الجنة والنار وكنت أنا مترددًا في هذا ومرة كان معنا في الغداء إذ صرخ [illegible] منقبضًا في التنفس و[illegible] في النار وأنا أرى هذا المنظر. قال القرطبي كنت أشاهد هذا الموقف [illegible] هذا الشاب [illegible] نصابًا [illegible] بالتجربة. ففعلت سرًا [illegible] وكان هذا الشاب قال فورًا يا عمي قد نجت أمي من النار. قال القرطبي [illegible] في هذه القصة فائدتان [illegible] في صدق هذا الشاب. وأمثال هذه القصة كثيرة في هذه [illegible]).

١- المرجع : تبليغي نصاب ج ٢ ص [illegible] الناشر إدارة نشريات [illegible] اردو بازار لاهور
٢- [illegible] ص ٤٧٦
٣- [illegible]

تابع وثيقة رقم (٣)

-٣٩-

٥- النص: - (١٢) یوسف بن علی کہتے ہیں کہ ایک ہاشمی عورت مدینہ منورہ میں رہتی تھی اور بعض خدام اس کو ستایا کرتے تھے وہ حضور اقدس صلی اللہ علیہ وسلم کی خدمت اقدس میں فریاد لیکر حاضر ہوئی تو روضۂ شریفہ سے یہ آواز آئی اما لک فیّ اسوۃ فاصبری کما صبرت او نحو ہذا۔ کیا تیرے لئے میرے اتباع میں رغبت نہیں جس طرح میں نے صبر کیا تو بھی صبر کر۔ وہ عورت کہتی ہیں کہ اس آواز کے بعد جس قدر کلفت مجھے تھی وہ سب جاتی رہی اور وہ خدام جو مجھے ستایا کرتے تھے مر گئے ①

الترجمة: - (يقول الشيخ يوسف بن علي أن امرأة هاشمية كانت تسكن المدينة وبعض الخدم يظلمونها فشكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم من الروضة (أما لك فيّ أسوة فاصبري كما صبرت أو نحو ذلك) فقالت هذه المرأة بعدما سمعت هذا الصوت ذهب عني كل هم وغم ومات الخدم الشرار الذين كانوا يظلمونني).

٦-

النص: - اسنے کہا میں اپنی ماں کیساتھ حج کو گیا تھا میری ماں وہیں رہ گئی (یعنی مر گئی) اسکا منہ کالا ہو گیا اور اسکا پیٹ پھول گیا جس سے مجھے یہ اندازہ ہوا کہ کوئی بہت بڑا سخت گناہ ہوا ہے اس سے میں نے اللہ جل شانہ کی طرف دعا کیلئے ہاتھ اٹھائے تو میں نے دیکھا کہ تہامہ (حجاز) سے ایک ابر آیا اس سے ایک آدمی ظاہر ہوا اسنے اپنا مبارک ہاتھ میری ماں کے منہ پر پھیرا جس سے وہ بالکل روشن ہو گیا اور پیٹ پر ہاتھ پھیرا تو ورم بالکل جاتا رہا میں نے اُنسے عرض کیا کہ آپ کون ہیں کہ میری اور میری ماں کی مصیبت کو آپنے دور کیا۔ انہوں نے فرمایا کہ میں تیرا نبی محمد صلی اللہ علیہ وسلم ہوں میں نے عرض کیا مجھے کوئی وصیت کیجئے تو حضور نے فرمایا کہ جب کوئی قدم رکھا کرے یا اٹھایا کرے تو اللّٰھم صل علی محمد و علی آل محمد پڑھا کر (نزہۃ) ②

الترجمة: - (قال إني ذهبت مع أمي إلى الحج وماتت أمي هناك واسود وجهها وانتفخ بطنها ففهمت أنها ارتكبت إثما كبيرا فرفعت يدي للدعاء فرأيت أن سحابا ظهر من تهامة وخرج منها رجل ومسح بيده على وجه أمي فتنور وجهها ومسح بيده على بطنها فذهب الانتفاخ فقلت له من أنت فقد أزلت مصيبتي ومصيبة أمي قال هذا الرجل أنا نبيك محمد فقلت أوصني فقال صلى الله عليه وسلم كلما تخطو خطوة قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد).

١- انظر كتب تبليغي نصاب ج/٢ ص ١٣١ باب فضائل الحج الناشر ادارة اشاعت دينيات حضرت نظام الدين دلهي

٢- انظر فضائل الأعمال ص ١٠٨ باب فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الناشر ادارة اشاعت دينيات - أنار كلي لاهور.

تابع وثيقة رقم (٣)

✓

-٤٧-

-٢٦

النص ② متعدد روایات میں ہے کہ حضرت عمر بن عبد العزیز مستقل طور پر شام سے قاصد بھیجا کرتے تھے کہ قبر اطہر پر ان کا سلام پیش کریں. ①

الترجمة: — وقد تعددت الروايات عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرسل الركب قاصدًا ليوصلوا سلامه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

التعليق: — « أن ما نقل عن عمر بن عبد العزيز من إيراد البريد من الشام قاصدًا المدينة لمجرد الزيارة ليس بصحيح عنه ② وأيضًا لا يخفى عليه ورود الحديث » وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ③ » وفي الحديث الآخر « فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم ④ »

تعليق عام: — وليس في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم حديث حسن ولا صحيح ولا روى أهل السنن المعروفة، كسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه والترمذي ولا أهل المسانيد المعروفة كمسند أحمد ونحوه ولا أهل المصنفات كموطأ مالك وغيره في ذلك شيئًا بل عامة ما يروى في ذلك أحاديث مكذوبة موضوعة. ⑤

وأما شد الرحال لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم ففي ذلك الحديث المرفوع « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى. » ⑥ فإن كان التقدير لا تشد الرحال إلى شيء إلا إلى ثلاثة مساجد وهو أظهر فالحديث واضح في تحريم شد الرحال إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان التقدير لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد فإنه يدل على غير المساجد بطريق الفحوى والتنبيه، وهذا لم يعرف في الأخبار الصحيح عن السلف الأول شد الرحال لمجرد زيارة القبر لكن إلى المسجد النبوي ثم تجعل زيارة القبر تبعًا لذلك وحتى هذا لم يكن مشتهرًا وكانوا يكرهونه لا كثار زمنه.

ولا يخفى أنه بسبب الغلو في التعلق بالقبور اقتحم باب الشرك لا سيما في هذه العصور المتأخرة التي صار فيها الحج تابعًا لزيارة القبر متوقفًا عليه عند كثير من الجهلة مع ما يقارن ذلك من الشرائع والبدع.

ولهذا سد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب لقوله (لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ». ⑦

١- كتاب تبليغي نصاب ج/٢ ص ٢٠١ باب فضائل الحج الكتاب إدارة نشريات إسلام أردو بازار لاهور
٢- كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي ص ٢٠٤
٣- رواه أبي داود
٤- رواه في المختارة لضياء المقدسي انظر فتح المجيد ص ٢٧١
٥- بتصرف من مجموع فتاوى ابن تيمية ص ٣٥٦، ٣٥٧ ج/٢٤
٦- رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وابن ماجه
٧- رواه أبو داود

تابع وثيقة رقم (٣)

-٤٩-

٣- المضمون: یہ ایک کھلی ہوئی بات ہے کہ اس امت محمدیہ علی صاحبہا الف الف تحیۃ و سلام میں کلمہ طیبہ کا جتنا زور اور کثرت ہے کسی امت میں بھی اتنی کثرت نہیں ہے۔ مشائخ سلوک کی لاکھوں نہیں ہزاروں کی تعداد ہے اور ہر شیخ کے کم و بیش سینکڑوں مرید اور تقریباً سب ہی کے یہاں کلمہ طیبہ کا ورد کم از کم پانچ ہزار کی مقدار روزانہ کے معمولات میں داخل ہے۔ جامع الاصول میں لکھا ہے کہ لفظ اللہ کا ذکر کم از کم پچیس ہزار روزانہ اور زیادہ کی کوئی حد نہیں اور صوفیہ کے لئے کم از کم پانچ ہزار روزانہ ہے اور لا الہ الا اللہ کی مقدار کے متعلق لکھا ہے کہ کم از کم پانچ ہزار روزانہ یہ مقدار مشائخ سلوک کی تجویز کے موافق کم و بیش ہوتی رہتی ہیں۔ (١)

الترجمة:- هذا شيء واضح أن ذكر هذه الكلمة لا يوجد في أي أمة من الأمم كما يوجد في الأمة المحمدية على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية فإن عدد مشايخ السلوك يبلغ الملايين ولكل شيخ مئات من المريدين ويلتزم كل واحد منهم تقريباً يوجد ورد هذه الكلمة يومياً لا يقل عن خمس الآف المرات وجاء في جامع الأصول أن أقل مقدار الورد بلفظ الجلالة (الله) خمس وعشرين ألف مرة ولم يحد للزيادة والصوفية خمس الآف مرة يومياً وجاء في مقدار ورد لا إله إلا الله حسب تقدير مشايخ السلوك وهذا المقدار يجوز الزيادة والنقص.

٤- المضمون:- حضرت تھانوی نور اللہ مرقدہ زاد السعید میں تحریر فرماتے ہیں کہ سب سے زیادہ لذیذ تر اور شیریں تر خاصیت درود شریف کی یہ ہے کہ اس کی بدولت عشاق کو خواب میں حضور پر نور صلی اللہ علیہ وسلم کی دولت زیارت میسر ہوتی ہے۔ بعض درودوں کو بالخصوص بزرگوں نے آزمایا ہے۔ شیخ عبد الحق محدث دہلوی رحمۃ اللہ علیہ نے کتاب ترغیب اہل السعادات میں لکھا ہے کہ شب جمعہ میں دو رکعت نماز نفل پڑھے اور ہر رکعت میں گیارہ بار آیت الکرسی اور گیارہ بار قل ہو اللہ اور بعد سلام سو بار یہ درود شریف پڑھے ان شاء اللہ تین جمعے نہ گزرنے پائیں گے کہ زیارت نصیب ہوگی وہ درود شریف یہ ہے اللھم صل علی محمد النبی الامی وآلہ واصحابہ وسلم۔ (٢)

الترجمة:- "قال التهانوي في زاد السعيد من أحلى وألذ من آثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أنه يتيسر للعشاق رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرب الصلحاء بعضها وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي المحدث في كتاب ترغيب أهل السعادات" أنه يصلي في ليلة الجمعة ركعتين وكل ركعة يقرأ آية الكرسي احدى عشرة مرة والإخلاص احدى عشرة مرة وبعد السلام الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة إن شاء الله ما تمضي ثلاث جمعات إلا تحصل له زيارة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهذه الصلاة هي: اللهم صل على محمد النبي الأمي وآله وأصحابه وسلم".

التعليق:- انظر التعليق ص ٤٥

١- كتاب فضائل أعمال باب فضائل الذكر ص ٤٦٨ الناشر كتب خانه فيضي لاهور
٢- كتاب فضائل أعمال باب فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ص ٥٠ الناشر إدارة اشاعت دينيات انار كلي لاهور

تابع وثيقة رقم (٣)

- ٥٠ -

النوع الرابع: مأخذه من [illegible]

١- النص: - [illegible] صحابہ کرام سے بھی نقل کیا ہے۔ (١)

[illegible]

٢- النص: - ابراہیم بن شیبان کہتے ہیں کہ میں حج سے فارغ ہو کر مدینہ منورہ حاضر ہوا اور میں نے قبر شریف کے پاس جا کر سلام عرض کیا تو میں نے حجرہ شریف کے اندر سے وعلیک السلام کی آواز سنی۔ (٢)

الترجمة: - قال ابراهيم بن شيبان [illegible] وسلمت على النبي صلى الله عليه وسلم عند القبر الشريف [illegible]

٣- النص: - سید احمد رفاعی مشہور بزرگ اکابر صوفیہ میں سے ہیں ان کا قصہ مشہور ہے کہ جب ٥٥٥ھ میں وہ زیارت کے لیے حاضر ہوئے اور قبر اطہر کے قریب کھڑے ہو کر دو شعر پڑھے تو دست مبارک باہر نکلا اور انہوں نے اس کو چوما۔ (٣)

الترجمة: - أن السيد أحمد الرفاعي كان من أكابر الصوفية وقصته مشهورة أنه لما حضر في سنة ٥٥٥ للزيارة وقام قريبا من القبر النبوي الطاهر وأنشد بيتين فخرج يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبر فقبله.

٤- النص: - ایک بزرگ کہتے ہیں کہ میں نے ایک مرید کو غسل دیا اس نے میرا انگوٹھا پکڑ لیا میں نے کہا میرا انگوٹھا چھوڑ دے مجھے معلوم ہے کہ تو مرا نہیں ہے یہ ایک مکان سے دوسرے مکان میں انتقال ہے۔ اس نے میرا انگوٹھا چھوڑ دیا۔ شیخ ابن الجلاء مشہور بزرگ ہیں وہ فرماتے ہیں کہ جب میرے والد کا انتقال ہوا اور ان کو نہلانے کے لیے تختہ پر رکھا تو وہ ہنسنے لگے نہلانے والے چھوڑ کر چلے گئے کسی کی ہمت ان کو نہلانے کی نہ پڑتی تھی۔ ایک اور بزرگ ان کے رفیق آئے انہوں نے غسل دیا۔ (٤)

الترجمة: - قال رجل صالح إني غسلت مريدي فمسك إبهامي فقلت اترك إبهامي فإني أعرف أنك لم تمت وهذا مكان وهناك انتقال من مكان إلى مكان فترك الإبهام. ويقول الشيخ ابن الجلاء لما مات والدي ووضعته للغسل فصار يضحك فهرّ الذين كانوا يغسلون [illegible] صالح فغسله

١- تبليغي نصاب ج ٢ ص ٤٧٦ باب فضائل الصدقات الناشر ادارة اشاعت دينيات حضرت نظام الدين نيو دلهي
٢- فضائل اعمال باب فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٣٦ الناشر ادارة اشاعت دينيات [illegible] لاهور
٣- = = = = ص ١١٧-١١٨ = = = =
٤- تبليغي نصاب ج ٢ ص ٤٧٦ باب فضائل الصدقات الناشر ادارة اشاعت دينيات حضرت نظام الدين نيو دلهي

تابع وثيقة رقم (٣)

-٥١-

٥-

النص :- مولانا جامی نور اللہ مرقدہ کی وہ مشہور نعت ہے جو یوسف زلیخا کے شروع میں ہے۔ جب اس ناکارہ کی عمر تقریباً دس گیارہ سال کی تھی گنگوہ میں اپنے والد صاحب رحمۃ اللہ علیہ سے یہ کتاب پڑھی تھی۔ اسی وقت ان کی زبانی اس کے متعلق ایک قصہ بھی سنا تھا اور وہ قصہ بھی خواب میں اس کی طرف ذہن کے منتقل ہونے کا داعیہ بنا۔ قصہ یہ سنا تھا کہ مولانا جامی نور اللہ مرقدہ یہ نعت کہنے کے بعد جب ایک مرتبہ حج کے لیے تشریف لے گئے تو ان کا ارادہ یہ تھا کہ روضۂ اقدس کے پاس کھڑے ہو کر اس نظم کو پڑھیں گے۔ جب حج کے بعد مدینہ منورہ کی حاضری کا ارادہ کیا تو امیر مکہ نے خواب میں حضور اقدس صلی اللہ علیہ وسلم کی زیارت کی۔ حضور اقدس صلی اللہ علیہ وسلم نے خواب میں ان کو یہ ارشاد فرمایا کہ اس کو (جامی کو) مدینہ نہ آنے دیں۔ امیر مکہ نے ممانعت کر دی مگر ان پر جذب و شوق اس قدر غالب تھا کہ یہ چھپ کر مدینہ منورہ کی طرف چل دیے۔ امیر مکہ نے دوبارہ خواب دیکھا، حضور صلی اللہ علیہ وسلم نے فرمایا وہ آ رہا ہے اس کو یہاں نہ آنے دو۔ امیر نے آدمی دوڑائے اور ان کو راستہ سے پکڑوا کر بلایا۔ ان پر سختی کی اور جیل خانہ میں ڈال دیا۔ اس پر امیر کو تیسری مرتبہ حضور اقدس صلی اللہ علیہ وسلم کی زیارت ہوئی۔ حضور صلی اللہ علیہ وسلم نے ارشاد فرمایا کہ یہ کوئی مجرم نہیں بلکہ اس نے کچھ اشعار کہے ہیں جن کو یہاں آ کر میری قبر پر کھڑے ہو کر پڑھنے کا ارادہ کر رہا ہے۔ اگر ایسا ہوا تو قبر سے مصافحہ کے لیے ہاتھ نکلے گا جس میں فتنہ ہوگا۔ ①

الترجمة :-
قصة الجامي
«بعد أن حج لما أراد أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليقرأ عليه صلى الله عليه وسلم قصائده المدحية فخشي النبي صلى الله عليه وسلم أنه لو جاء على قبره وقرأ قصائده لاضطر إلى اخراج يده للمصافحة فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة عن خروج الجامي إلى المدينة».

٦-

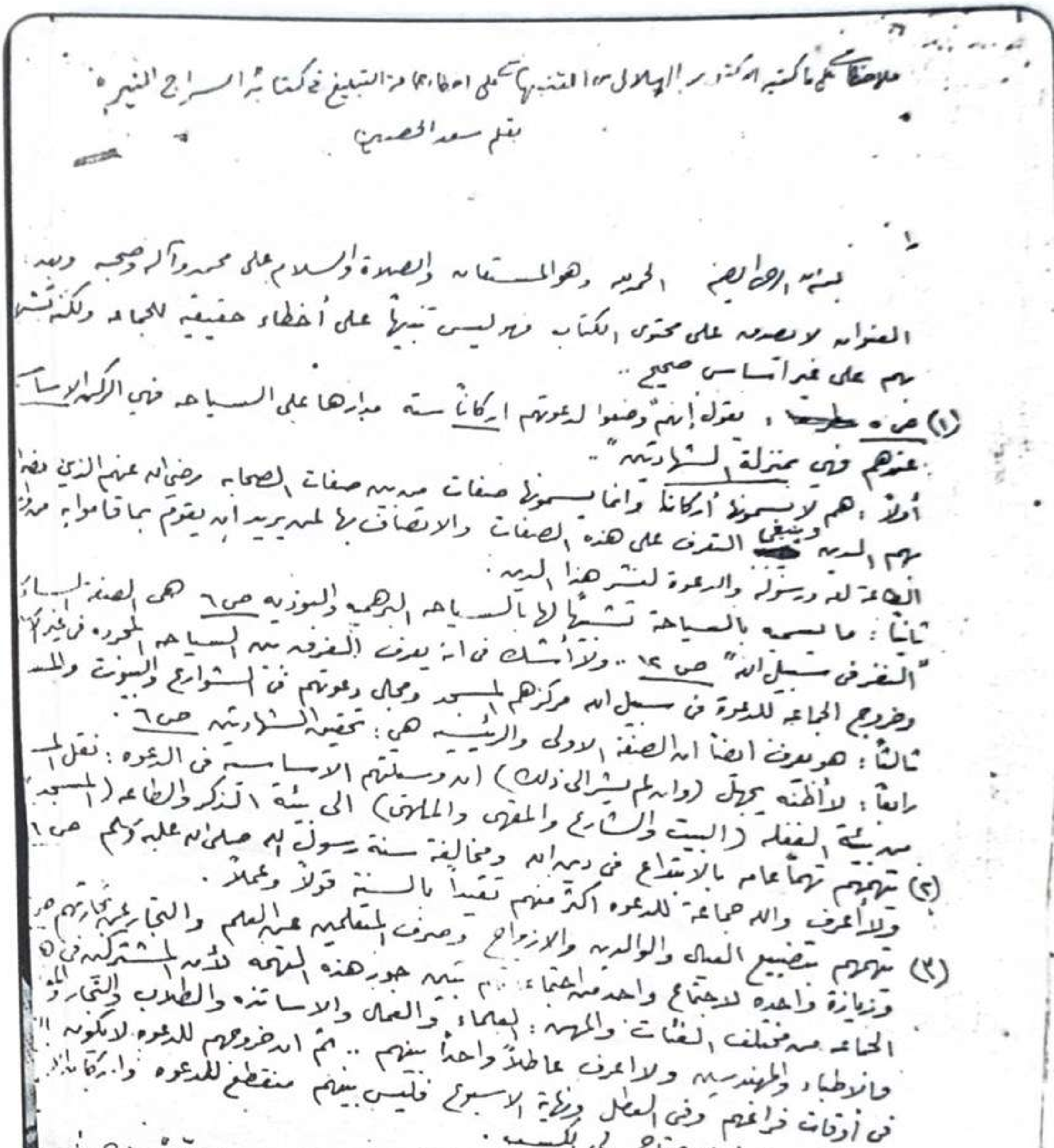
النص :- حضرت شاہ صاحب رحمہ اللہ تحریر فرماتے ہیں کہ میرے والد نے مجھ سے بتایا کہ وہ ایک دفعہ بیمار ہوئے تو خواب میں نبی کریم صلی اللہ علیہ وسلم کی زیارت ہوئی۔ حضور صلی اللہ علیہ وسلم نے ارشاد فرمایا میرے بیٹے کیسی طبیعت ہے؟ اس کے بعد شفا کی بشارت عطا فرمائی اور اپنی داڑھی مبارک میں سے دو بال مرحمت فرمائے۔ مجھے اسی وقت صحت ہو گئی اور جب میری آنکھ کھلی تو وہ دونوں بال میرے ہاتھ میں تھے۔ حضرت شاہ صاحب فرماتے ہیں کہ والد صاحب نور اللہ مرقدہ نے ان دو بالوں میں سے ایک مجھے مرحمت فرمایا تھا۔ ②

الترجمة :-
قال الشاه ولي الله في ص ١٥ في كتابه «الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين»: قال لي والدي أنه مرض مرة فزار النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف أنت يا بني ثم بشرني بالشفاء وأعطاني شعرتين من لحيته وشفيت فوراً ولما استيقظت وجدت الشعرتين في يدي. وقال الشاه ولي الله أن والدي أعطاني شعراً منهما.

١- فضائل أعمال ص ١١٧ باب فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الناشر خواجه محمد إسلام ادارة اشاعت دينيات أنار كلي لاهور

٢- فضائل اعمال ص ١١٢ باب فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الناشر خواجه محمد إسلام ادارة اشاعت دينيات أنار كلي لاهور

وثيقة رقم (٤)



ملاحظات على ما كتبه الدكتور الهلالي [illegible] المنبهة على اخطاء جماعة التبليغ في كتابه "السراج المنير"

بقلم سعد الحصين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وهو المستعان والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وبعد

العنوان لا يصدق على محتوى الكتاب فهو ليس تنبيهاً على أخطاء حقيقية للجماعة ولكنه تشنيع بهم على غير أساس صحيح..

(١) ص ٥ [illegible] ، يقول إنهم "وضعوا لدعوتهم أركاناً ستة مدارها على السياحة فهي الركن الأساسي عندهم وهي بمنزلة الشهادتين".

أولاً: هم لا يسمونها أركاناً وإنما يسمونها صفات من صفات الصحابة رضي الله عنهم الذين [illegible] بهم الدين [illegible] وينبغي التعرف على هذه الصفات والاتصاف بها لمن يريد أن يقوم بما قاموا به من الدعوة إلى الله ورسوله والدعوة لنشر هذا الدين.

ثانياً: ما يسميه بالسياحة تشمل الا السياحة الرحمية والموازية ص ٦ هي الصفة [illegible] "الخروج في سبيل الله" ص ٩ .. ولا أشك في أنه يعرف الفرق بين السياحة [illegible] وخروج الجماعة للدعوة في سبيل الله مركزهم المسجد ومحال دعوتهم في الشوارع والبيوت [illegible]

ثالثاً: هو يعرف أيضاً أن الصفة الأولى والرئيسة هي: تحقيق الشهادتين ص ٦

رابعاً: لا أظنه يجهل (وإن لم يشر إلى ذلك) أن وسيلتهم الأساسية في الدعوة: نقل [illegible] من بيئة الفعل (البيت والشارع والمقهى والملاهي) إلى بيئة الذكر والطاعة (المسجد [illegible] ص ١

(٢) يتهمهم اتهاماً عاماً بالابتداع في دين الله ومخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً. ولا أعرف والله جماعة للدعوة أكثر منهم تقيداً بالسنة [illegible]

(٣) يتهمهم بتضييع العيال والوالدين والأزواج وصرف المتعلمين عن العلم والتجار عن تجارتهم [illegible] وزيارة واحدة للاجتماع واحدة من اجتماعاتهم [illegible] جوهر هذه التهمة لأن المشتركين في الجماعة من مختلف الفئات والمهن: العلماء والعمال والأساتذة والطلاب والتجار [illegible] والأطباء والمهندسين ولا أعرف عاطلاً واحداً بينهم .. ثم إن خروجهم للدعوة لا يكون إلا في أوقات فراغهم وفي العطل ونهاية الأسبوع فليس بينهم منقطع للدعوة وإنما [illegible] ليس عنده من لا يحتاج إلى الكسب.

(٤) يقول إنهم لا يخوضون في السياسة حتى لا يتعطل "ركن السياحة المبتدع المضلل" .. (ص [illegible]

رسالة الشيخ سعد الحصين إلى تقي الدين الهلالي حول كتابه «السراج المنير».

وهي محفوظة في الهند ضمن أوراق الشيخ عبدالحميد الرحماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

تابع وثيقة رقم (٤)

٤

مالنا واساس دعوتنا كما انه أساس دين البراهمة) .. والواقع انني لا اعرف ايضاً جماعة للدعوة
أكثر اتصالاً بالمسئولين ومناصحة لهم .. ولقد زرت معهم نائب رئيس الوزراء في بنجلاديش وجميع
السفراء العرب .. ومعظمهم الحضور يحضر اجتماعهم الرئيسي في بنجلاديش .. كما زرت معهم عدداً
لا احصيه من العلماء والتجار والمسئولين الرسميين والقضاة وامراء المناطق ..
هم لا يشتركون في اللغو السياسي في المفاضلة مثلاً بين السادات وحافظ الاسد والبكر الخ
ولا يشتركون في الانتخابات لأنها لا تقوم على اساس صحيح في جميع البلاد الاسلامية
وغالباً غير الاسلامية بما في ذلك أمريكا .. ولكنهم ينصحونهم ويقومون على السياسة الشرعية
بقدر استطاعتهم وفقههم لا أكثر من أي جماعة أخرى أعرفها .
٥) يقول انهم يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ص ؟ ولم اجد احداً يتهمهم بهذه التهمة
إلا ويعترف بتأثيرهم في إصلاح الفاسدين .. بل يقول بعض مناوئيهم: انهم لا نتيجة
لهم الا بين عصاة المسلمين لأنه لهم طريقة ثابتة (بإذن الله) في تغيير واقعهم من الغفلة
عن ذكر الله الى ذكر الله .
٦) يقول انه أخبرني أحد رؤسائهم انه أقام يوماً وليلة في قبة يقصد من دون الله ص ١٠ من
هو هذا الذي قال له .. وماذا كان نص مقالته .. حتى نحكم حكماً صحيحاً لأنه هذا
الله يلوي الكلام ويقول عن نقلت شخص الغائب عنه .. ثم هل هو احد رؤسائهم فعلاً؟
ولنفرض انه واحداً من امرائهم (ولكل ثلاثة منهم امير عند الحدث) أخطأ فهل يصح
تخطئة كل الجماعة وكل الحركة بسبب ذلك .. ويستنكر منه مثل هذا الهجوم على كتاب
كلام منسوب لأحدهم مع انه ليس للجماعة خصوصية تامة .. وهذا رأس أكبر منتقديهم .
٧) مع انه كتب كراسة على اساس ما اسماه ركيكة للشيخ محمد اسلم عفا الله عنه فانه لم ينقل
اعتراف محمد اسلم بفضلهم وتأثيرهم .. فلما وجد انه ما سماه مبادئ جماعة التبليغ ص ١٢
ترد ما سمعه انه اتهمهم به ص ٥ حاول أن يرد أكثر نصوصه على انه منه تألف محمد
اسلم .. وانما نقلاً محمد اسلم نقلاً أقرب الى الصحة من كل ما ذكره عنهم . ص ١٤ - ١٥ .
٨) اتهمهم باتباع مذهب ابي حنيفة ولوائه صلاتهم "مخالفة لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٢" وهذه التهمة
السخيفة لا تخص جماعة الدعوة والتبليغ في كل مكان انما هي لأهل الهند واتباع المذهب في كل مكان .

تابع وثيقة رقم (٤)

(٥) تُصفحات من ص ٤٤ إلى ٤٩ سيرة لمدرسة ديوبند ومؤسسيها وللماتوريدية
والتيجانية ولا يتضح لي ما علاقة جماعة الدعوة بكل هذا .. إلا أنه أشار إلى
أن مؤسس الجماعة ديوبندي ولكن ما علاقة كل ذلك بالملابسة من المساهمة في
نشاط الجماعة وسرد به ألفاظ سيئة لمدرسة ديوبند إلا الإشارة إلى أنها حنفية
المذهب ..

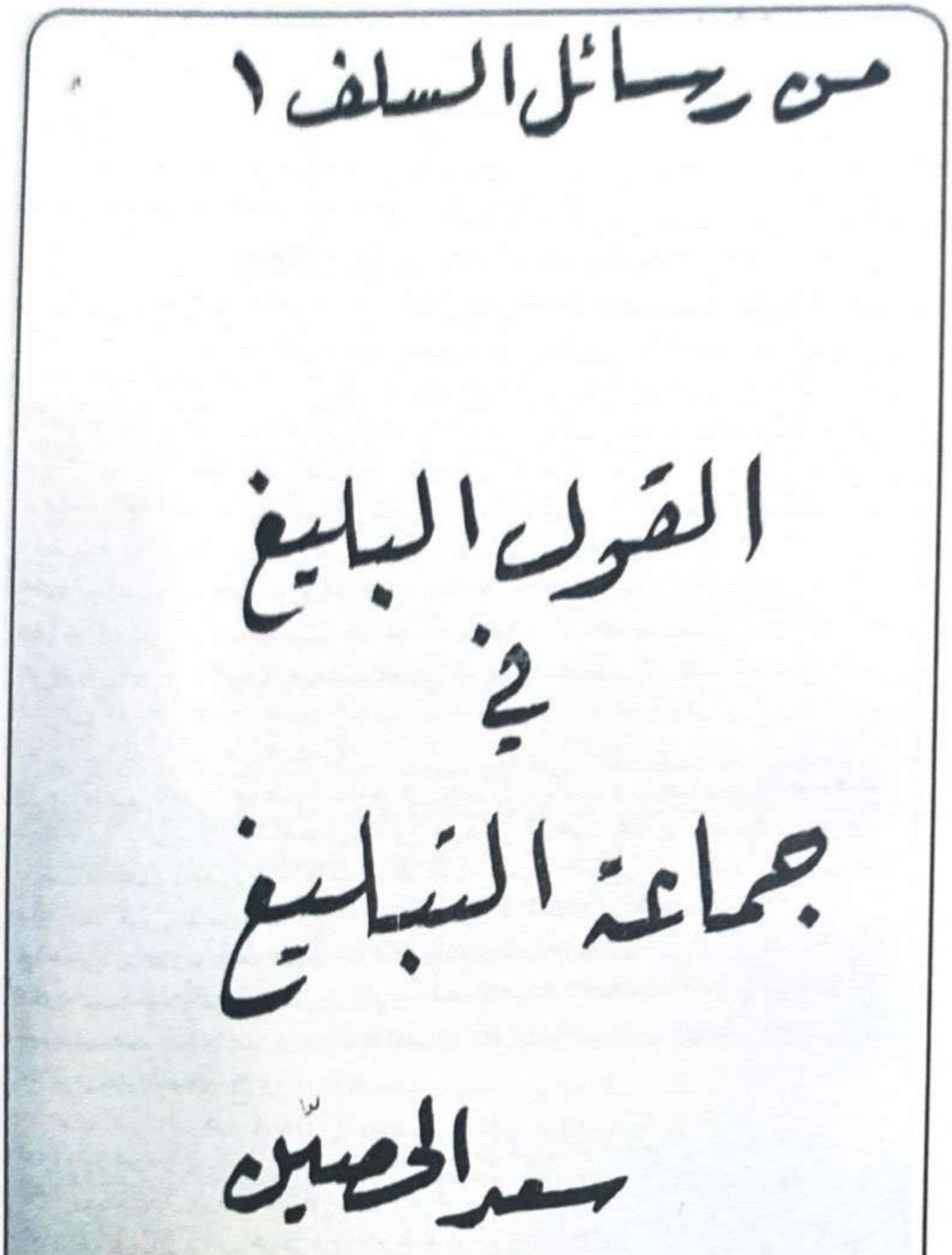
والمعروف والمؤكد أنه ليس لجماعة الدعوة مذهب محدد ولا يتعرضون للخلاف بين
المذاهب لأن من مهماتهم الرئيسة تجميع المسلمين [illegible] تفريقهم .. وإذا كان
أكثرهم من الهند أحناف فأكثرهم في مصر شوافع وفي السعودية حنابلة وفي
المغرب مالكية .. وفي المغرب تتفق جماعة الدعوة مع الأخ الهلالي في ترك القراءة
الجماعية القرآنية بعد المغرب والفجر لأنها طارئة ولم تؤثر عن زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

(٦) معترضين على تفسير روي له عن مؤسس الجماعة لآية "كنتم خير أمة أخرجت للناس" بأنها
تعني الخروج للدعوة متنقلاً وقد تكون هذه هي الرواية الصحيحة في كل كتابه لأني سمعت من الذين
سمعوا منهم ولا ينسبها إلى محمد إلياس ولكن تبقى هذا التفسير والله أعلم بمراده والظاهر
أن المعنى أعم .. وعلى كل فهي ليست من أساسيات منهج الدعوة وإنما مجرد فقرة ترد
في موعظة أو أخرى .. وكل منا يخطئ .

(٧) ينقل عن آخر من ص ٤٨ أن أمير الجماعة في المغرب طلب التبرع لعدد من [illegible] الفرنسيين للخروج للدعوة
في أوروبا .. والله أعلم بصدق هذه الرواية .. لكن المعروف عن هذه الجماعة أنهم لا يقبلون
التبرعات لأنفسهم ولا يطلبونها للخارجين معهم .

(٨) بقية الكتاب ترديد لبعض الاتهامات السابقة .. ونقل الروايات للأخ محمد أسلم عنه وعن
أمراء الجماعة وشيوخهم .. وهو يأخذ هذه الروايات وكأنها آية منزلة من الكتاب
حديث صحيح .. ومن بين هؤلاء الأخ / أبو الحسن الندوي .. والله أعلم بالحقيقة ولكني
بالمقارنة بين ما حققه الأخ / تقي الدين الهلالي والأخ / محمد أسلم في سبيل الدعوة الرسمية
وما قدمه الأخ / أبو الحسن الندوي وجماعة التبليغ في سبيل الدعوة أتصور أن البون
شاسعاً ولعلني مخطئ في ظني أنه الباعث على العداء هو الحسد .. حسد الفئة إذ لم ينالوا
وصلى الله على محمد وآله وصحبه ...

وثيقة رقم (٥)


من رسائل السلف ١

القول البليغ
في
جماعة التبليغ

سعد الحصيّن

أول الكتاب الذي وجهه الشيخ سعد الحصيّن لشيخه العلّامة عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُمَااللَّهُ في التحذير من جماعة التبليغ.

تابع وثيقة رقم (٥)

- ٣ -

نحو

تعرضنا - استطراداً - فيما سبق إلى بعض مآخذها وآثارها.

ويضاف إلى ذلك أن يمكن الحكم عليها بالنجاح في تحقيق هدفها الظاهر العام وهو الإصلاح الديني بمفهومها وحدودها.. يدل على ذلك أنها انتشرت في كل مكان - واجتذبت عدداً من عوام المسلمين (وهم الأغلبية) من المعصية إلى الطاعة ومن الغفلة إلى الذكر.. وفتحت باب الدعوة إلى الله لكل مسلم (بصرف النظر عن حدود القدرة والحاجة). وأثبتت أن الطرق البسيطة القديمة في الإدارة صالحة في هذا العصر كما كانت صالحة بالأمس ومغنية عن الإدارة المعقدة المستوردة في الدعوة والإصلاح.
ويمكن الاستفادة منها لعلاج بعض أمراض العصر: الرفاهية - الشبعة الثقافية الغربية - الإسراف - المحرمات - العلاقات المصلحية.

على أنه يجب ملاحظة أمرين:

١) أن الفترة التي انتشرت فيها خلال العقدين الأخيرين كانت فترة صحوة دينية عامة وانتشار لجميع الطرق والأحزاب والجماعات الدينية صالحها وفاسدها. وقبل هذه الفترة كانت جماعة التبليغ بعيدة عن قوة الانتشار التي مرت بها أكثر الفئات والتجمعات.

٢) وجوب فصل جماعة التبليغ في بلاد التوحيد عن قيادتها الصوفية إذا كان يرجى لها الوصول إلى مرحلة الدعوة على بصيرة.. وربطها بأحد العلماء المعروفين بالنشاط في العلم والعمل والدعوة المتطوعة إلى الله حتى تؤتي ثمارها في مستقبل الإسلام والمسلمين.

وعسى أن يهدينا الله جميعاً لأقرب من هذا رشداً، وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. للبلاغ:

سعد الحصين
في ١٤٠٧/١١/١٦

حواشي على الصفحة ٩:
(١) هذه الرسالة ص ٤
(٢) و(٣) جماعة التبليغ: عقائدها وأفكار مشايخها لمياء محمد أسلم ص ٢٤ و٢٦ و٢٧.
(٤) شهد بهذه [illegible] عن كل من الشيخ [illegible] العراقي المدرس بثانوية ملز والشيخ فؤاد الهاشم نائب أمير الجماعة في الكويت وكلاهما ملتزم بالدعوة حتى الآن.

آخر الكتاب الذي وجهه الشيخ سعد الحصيّن لشيخه العلَّامة عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في التحذير من جماعة التبليغ.

وثيقة رقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والإفتاء

فضيلة الأخ المكرم الشيخ الدكتور: محمد بن فهد بن عبدالعزيز الفريح
عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإجابة لرسالتكم رقم (بدون) وتاريخ ١٤٣١/٢/٢٢هـ، حول جماعة التبليغ ورأي سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمه الله- وإبراء للذمة، وأداء للأمانة وهو ما قلته في جامعة الملك خالد بأبها، في أول مناسبة بعد وفاة سماحته رحمه الله.

إذ سئلت كما سألتموني:

وأفيدكم عن هذا: بأنني مع سماحته كالمعتاد، بعد صلاة الفجر في أحد الأيام، أقرأ عليه رحمه الله كالمعتاد الفتاوى والكلمات والمحاضرات، وقد كان سماحته يعدّل في المحاضرات وفي الفتاوى، بل يحذف ما لا يرى مناسبته، وليس بغريب فالعلماء لهم الرأي الأول والرأي الثاني، كالإمام الشافعي رحمه الله.

وعندي في صندوق: الأسس لفتاوى سماحته، حيث كنت أكتب تاريخ العرض على سماحته وتاريخ التوقف (بلغ) لنبدأ في الجلسة الثانية وفي هذه الأسس نماذج كثيرة عن تبديل أو توقف، أو إلغاء من سماحته، احتفظ به للأمانة، وتسليمه لمن يأتي بعدي للاسترشاد، وإبراء الذمة.

- وكان معي في ذلك اليوم مجموعة من فتاوى سماحته، عن: جماعة التبليغ التي يتداولها الناس، فأخبرت سماحته عنها، وسوف أقرأها عليه، فوافق ولما قرأتها عليه أخذها مني ومزّقها وألقاها في سلة المهملات. وقال: لا يصح عني في جماعة التبليغ إلا ما ينشر في جريدة الدعوة، فخذها وأثبتها.. وهذا ما حصل فقد وضعت تلك الفتوى بعدما أحضرت لسماحته في جلسة أخرى مجلة الدعوة فأقرها وهي ما نشر في العدد (١٤٣٨) بتاريخ ١٤١٤/١١/٣هـ، وقد جاءت في الجزء الثامن من مجموع فتاوى ومقالات لسماحته ص (٣٣١).

كما أمرني سماحته رحمه الله، بأخذ نسخة من فتاوى لسماحته عن جماعة التبليغ

الرقم: ٣٣٤/٢/م التاريخ: ٦ / ٢ / ١٤٢١هـ المشفوعات: -

رسالة الشيخ محمد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إلى الدكتور محمد بن فهد الفريح -حفظه الله- حول تكذيب العلَّامة ابن باز لمدحه جماعة التبليغ.

تابع وثيقة رقم (٦)

المملكة العربية السعودية
الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والإفتاء

والإخوان المسلمين وبعد قراءتها عليه أقرها بعد التعديل البسيط ، وجاءت في الجزء السابع المتزامن طبعه مع الجزء الثامن ص ١٢٠ - ١٢٢ .

- وبعدهما كانت فتوى مختصرة عن جماعة التبليغ في الجزء التاسع ص (٣٠٧، ٣٠٨) .

وكل هذه الفتاوى الثلاث متقاربة الزمن ، حيث كان قد علق بذهنه رحمه الله ؛ أن جماعة التبليغ عندهم قصور في فهم العقيدة ، ولذلك نصّ في الفتوى ؛ بأنه يرى أن جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين وغيرهم من الجماعات التي لا أنصح بإتباع أحد منهم ، إلاَّ فيما وافق الكتاب والسنة ، وهم الذين يدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً .

وقال عن جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرة في مسائل العقيدة ، فلا يجوز الخروج معهم ، إلا لمن لديه علم وبصيرة بالعقيدة الصحيحة ، التي عليها أهل السنة والجماعة ، حتى يرشدهم وينصحهم ويتعاون معهم على الخير ، فهم يحتاجون إلى المزيد من العلم ، وإلى من يبصرهم من علماء التوحيد والسنة .

ومن هنا يدرك فضيلتكم الرأي الأخير لسماحة الشيخ عبدالعزيز -رحمه الله- في هذه الجماعات ، وفق الله الجميع لما يرضيه آمين .

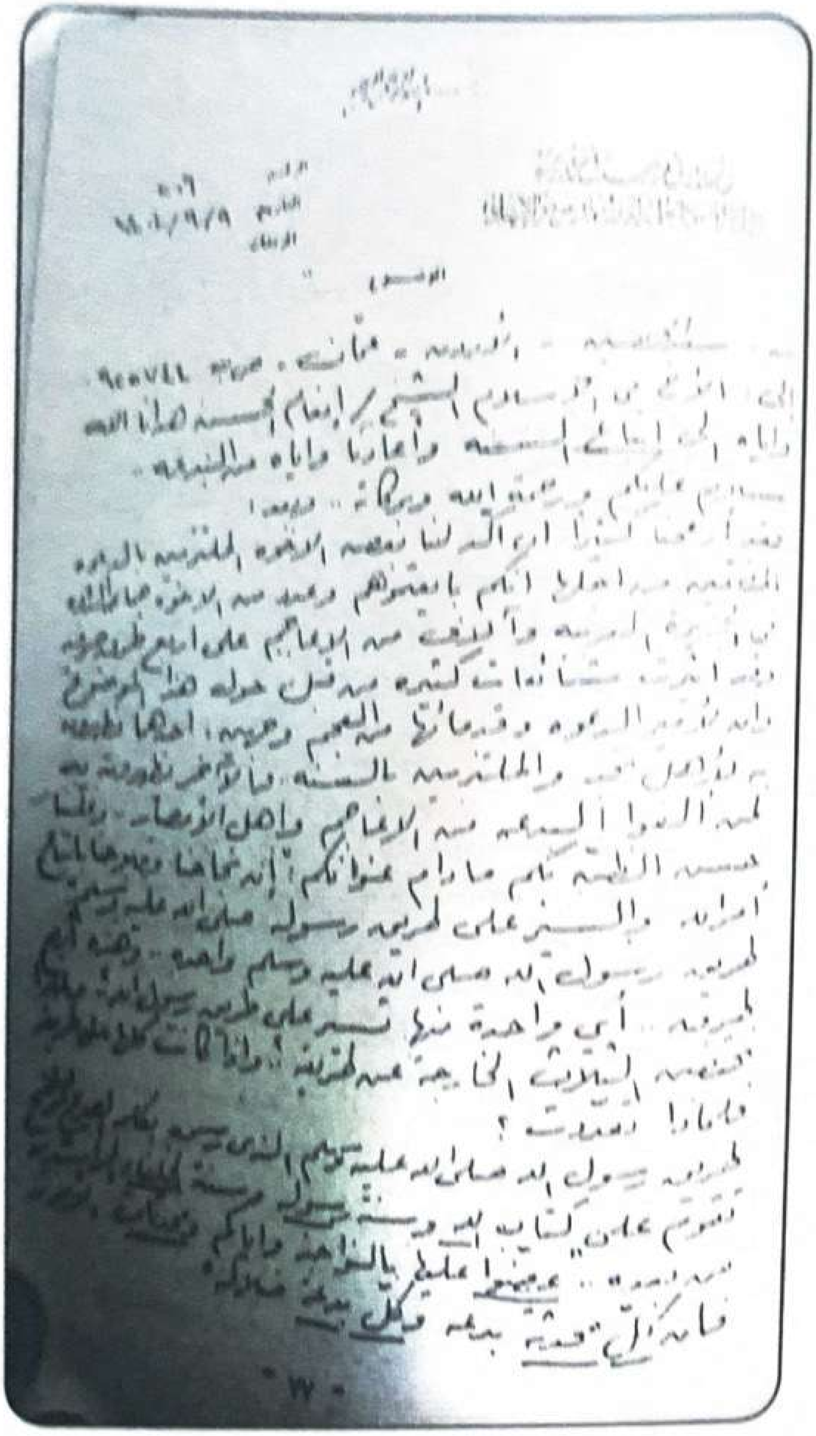
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته !!!

مستشار سماحة مفتي عام المملكة
ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

د . محمد بن سعد الشويعر

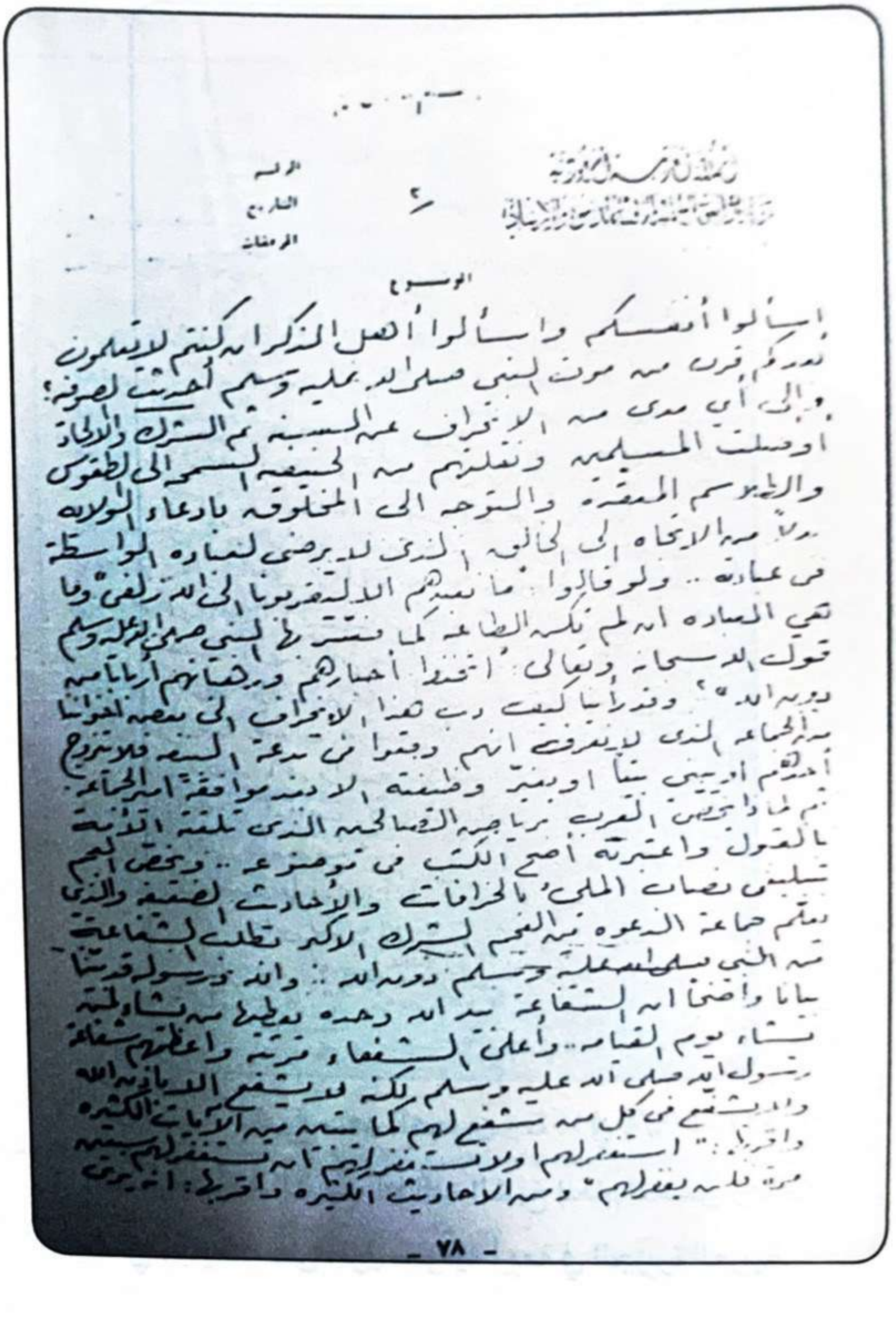
الرقم: ٢٢٤٠/٢/٣ التاريخ: ٩ / ٢ / ١٤٢١هـ المشفوعات: ـــ

وثيقة رقم (٧)



مكاتبة الشيخ سعد الحصين رَحِمَهُ اللَّهُ في ١٤٠٤/٩/٩هـ لأمير جماعة التبليغ -آنذاك- الشيخ إنعام الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ في مبايعته على طرق صوفية أربعة في الجزيرة العربية.

تابع وثيقة رقم (٧)



الرقم

التاريخ

المرفقات

الموضوع

اسألوا أنفسكم واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
بعد كم قرن من موت النبي صلى الله عليه وسلم أحدثت الصوفية؟
وإلى أي مدى من الانحراف عن السنة ثم الشرك والإلحاد
أوصلت المسلمين ونقلتهم من الحنيفية السمحة إلى الطقوس
والرسوم المعقدة والتوجه إلى المخلوقين بادعاء الولاية
بدلًا من الاتجاه إلى الخالق الذي لا يرضى لعباده الوساطة
في عبادته .. ولو قالوا: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" وما
هي العبادة إن لم تكن الطاعة لما فسر لنا النبي صلى الله عليه وسلم
قول الله سبحانه وتعالى: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من
دون الله"؟ وقد رأينا كيف دب هذا الانحراف إلى بعض إخواننا
من الجماعة الذين لا يعرفون أنهم وقعوا في بدعة السنة فلا يتزوج
أحدهم أو يبيع شيئًا أو يبني وظيفته إلا بعد موافقة أمير الجماعة.
ثم ما دخل على العرب برابطة الصالحين الذي تلقفته الأذهان
بالقبول واعتبرته أصح الكتب في موضوعه .. وبخاصة أنه
يشتمل نصائح الملوك بالخرافات والأحاديث الضعيفة والذي
يعلم جماعة الدعوة من الفهم الشرك الأكبر بطلب الشفاعة
من النبي صلى الله عليه وسلم دون الله .. والله ورسوله قد بينا
بيانًا واضحًا أن الشفاعة بيد الله وحده يعطيها من يشاء لمن
يشاء يوم القيامة .. وأعلى الشفعاء مرتبة وأعظمهم شفاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لا يشفع إلا بإذن الله
ولا يشفع في كل من يشفع لهم كما يتبين من الآيات الكثيرة
واقرأوا: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم" ومن الأحاديث الكثيرة واقرأوا: ...

- ٧٨ -

تابع وثيقة رقم (٧)

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

٧

الرقم
التاريخ
المرفقات
الموضوع

وربما منهم من يذادون عن الحوض فيقول: "يارب أمتي أمتي
فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فيقول: سحقاً
سحقاً". أرجو الله ألا تكونوا وألا نكون منهم.. ولكن الصوفية
حدثت في الدين وشرع فيه لم يأذن به الله.. والله سبحانه وتعالى
أكمل دينه وأي حدث فيه اتهام له بعدم الكمال ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قد بين لنا من الذكر ووعيدنا من الزجر
ما رضينا عنه وحدوث الصوفية وانفعالات وشطحات أولو
كافة من خير لصالح الرسول فليس من خير الاحصنة عليه
والسادة التي عمل الصحابة وتابعي السنة في القرون المفضلة
ويبرر لنا أن نثبت على ما ثبتوا عليه حتى لقوا الله راضيا عنهم
ولا بد من أن نتبع الدوام وأشباههم وأغلب المتصوفة منهم..
ومعروف المنحرفين عن منهج الرسول القدوة بعد أن
تأثرت بالفلسفة اليونانية فأفسدت معتقدات علماء الصوفية.
نستغفر الله من كل خطأ أو زلل وخاصة بعضنا وتطاولنا
على من حذرنا من الوجه الخفي للصوفية القائمة على الدعوة
ونسأل أن تظهر لنا الحقيقة المرة.. ونعوذ بالله من التنقص للناس.
ونحب أنفسنا من أمرين لا ثالث لهما:
الأول: إزالة المنكر من منهج الدعوة وخاصة ما أحدث بعد
ومن الناس رحمه الله وخاصة تبليغ نصاب.. وعدم تبني دعوة
الدعاة من العرب والعجم لبدعة الصوفية.. ودعوة الشيخ
عبد القادر من شركه المتمثل في كتابه الشام المملوء بالكلام
أو إبعاده عن المركز في أي وقت.. غفر الله لنا وللجميع

تابع وثيقة رقم (٧)

المملكة العربية السعودية
[illegible]

الرقم
التاريخ
المرفقات

الموضوع

ثانياً: أن نحاول بعون الله وحوله وقوته تصحيح عزل الدعوة عن مركزيها في الباكستان والهند وسائر ضلالات الضالين من القائمين عليها والتحذير منهم رداً على ما فعلناه من قبل من الذب عنهم عندما كنا على جهل بالحق من أحوالهم. ونبرأ إلى الله من كل بدعة ومن خطأ هذا ما ندين الله به ونسأل الله [illegible] ونرجوه مخلصين أن يخفف عنا الحساب والعقاب.

أما علاقتنا بالدعوة فستكون بحول الله أقوى مما كانت بتنقيتها من البدع والحيل وليست ملكاً لأحد. ونرجو الله الاستقلال التام من ما سبق بعد أن كان التدخل فيها يصد عنها أكثر طلاب العلم الشرعي الحريصين على صحة العقيدة وسلامة المنهج.

ونحن لا نطلب شيئاً.. لا نطلب إلا الحرية بالدعوة إلى منهج السلف [illegible] الساسي رحمه الله بلا صوفية ولا شرك ولا خرافة [illegible] الملي بالإجازات الضعيفة التي لا يجوز [illegible] العوام الذين يتشبثون بلا تمييز عجزاً عن دقة [illegible] من أمرهم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب وخطأ وزلل وأرجو الله أن يعيننا ويعين دعوتنا من شياطين الإنس والجن وأن يعيننا على إدراك الحق والثبات عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سعد الحصين

الملحق الديني بالأردن.

- ٨٠ -

وثيقة رقم (٨)

بسم الله الرحمن الرحيم في عنيزة ١/٥/١٤٠٧هـ

من محمد الصالح العثيمين إلى الأخ المكرم إبراهيم العبد الرحمن الحصين حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد وصلني كتابكم المتضمن السؤال عن جماعة التبليغ الذين انقسم الناس فيهم إلى مادح وقادح فتسألون عن رأيي فيهم.

أفيدكم بأن الذي يظهر لي من حال الجماعة هو الميل إلى الانقطاع للعبادة والزهد في الدنيا وأن تكون صلة العبد بربه دائمًا وهذا أمر محمود بلا شك داخل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وقوله في الثناء على الذاكرين (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) الآيات. وإن كان ذكر الله عز وجل يشمل ما هو أعم من التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد.

ولا أظن أحدا يشك في أن لهؤلاء القوم من التأثير في الدعوة فكم من ضال هداه الله على أيديهم وكم من فاسق وفقه الله تعالى للطاعة بدعوتهم لأن لهم أسلوبا رقيقا وعاطفة لينة لكن عند القوم شيء من الطرق تحتاج إلى تمحيص وتحرير لتكون على وجه سليم تزول به الشبهة وتندفع به الحجة.

فمن ذلك الأصول الستة التي جعلوها أساس دعوتهم وسموها الصفات وهي:

١/ تحقيق لا إله إلا الله محمد رسول الله ٢/ الصلاة ذات الخشوع والخضوع ٣/ العلم مع الذكر ٤/ إكرام المسلمين بما يستحقونه بحسب إسلامهم ٥/ إخلاص النية لله ٦/ الدعوة والتبليغ بالحكمة

ولا شك أن هذه الأعمال محمودة إذا كانت على وفق الشرع وقام العبد بمقتضياتها ولكنها قاصرة جدا ولو جعلوا أساس دعوتهم ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم لو جعلوا هذا هو الأساس لكان أجدر وأبعد أن يعترض عليهم معترض.

وعلى كل حال فالقوم لهم تأثير بالغ ما عملت جماعة مثلهم. ومع هذا فإن أمنيتي أن تذوب هذه الجماعات المتفرقة: التبليغ. السلفيون. الإخوان الخ حتى تنصهر في جماعة واحدة وحزب واحد هو حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. والله يعلم أني أكره هذا التفرق والتمزق وأسأل الله تعالى أن يجمع

فتوى الشيخ ابن عثيمين في جماعة التبليغ

وثيقة رقم (٩)

Kingdom Of Saudi Arabia
DR.ABDALLAH ZEED HAMAD AL-MOSALAM
MEMBER OF TEACHING AUTHORITY
IN QASSEM UNIVERSITY

المملكة العربية السعودية
الدكتور عبد الله بن زيد بن حمد المسلم
عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم

التاريخ ٥/٦/١٤٢١هـ الرقم .... المرفقات ....

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبة الغرّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا

أمـــا بعـــد :

فلقد كنا في جلسة مع شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله تعالى) مع مجموعة من طلبة العلم لديه والدعاة في لقاء منه (رحمه الله) دوري ، نقرأ في بعض الكتب ونستفيد من توجيهاته وآرائه السديدة (رحمه الله تعالى) فسألته بمسمع من الجميع هذا السؤال :

شيخنا - حفظكم الله - :هل جماعة التبليغ ، والإخوان المسلمين من أهل السنة أو من أهل البدع ؟

فقال (رحمه الله وأسكنه فسيح جناته) بالحرف الواحد من غير زيادة ولا نقص :

جماعة التبليغ والإخوان من أهل البدع

فسأله أحد الحاضرين :

يا شيخ : إذا قلت : إن جماعة التبليغ _ ولم يسأل إلا عن جماعة التبليغ _ إذا قلت إنهم مبتدعة فسوف يقول من بجواري في المجلس- : أنت مبتدع ؟

فقال له الشيخ (غفر الله له) سائلاً : أنت منهم ؟؟؟؟

فقال : لا لا يا شيخ ماني منهم(بالعامية) ـأي لست منهم

ثم سأل آخر: يا شيخ إذا تأثر أحد بالإخوان يكون منهم ؟؟

فقال الشيخ :- قبل أن يجيبه – مثل إيش ؟؟

فقال : مثل لو تأثر بهم في الحاكمية

فقال الشيخ محمد (رحمه الله) : نعم يكون منهم .

قاله وكتبه
عبدالله بن زيد المسلم
٥/٦/١٤٢١هـ

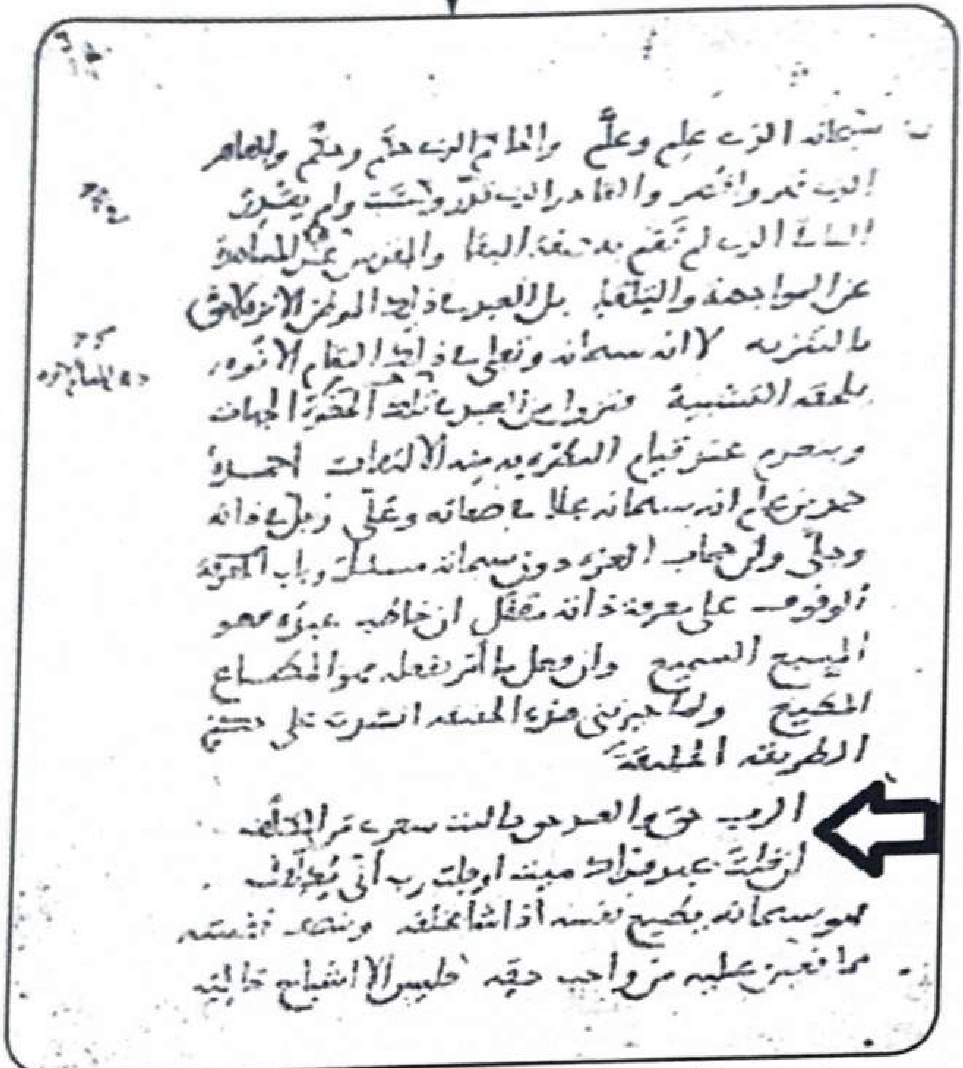
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد فقد حضرت هذا اللقاء
وسمعت هذا الجواب كتبه
محمد بن عبد[illegible]

Kingdom Of Saudi Arabia - Al-Qassem - P.O. Box: 2233 - Onaiza: 51911
Tel: 06 / 3630018 - Fax: 06 / 3630018 - Mob: 0555147086
Email: az_m0018@hotmail.com

المملكة العربية السعودية – القصيم – ص ب: ٢٢٣٣ – عنيزة: ٥١٩١١
هاتف: ٣٦٣٠٠١٨/٠٦ – فاكس: ٣٦٣٠٠١٨/٠٦ – الجوال: ٠٥٥٥١٤٧٠٨٦
البريد الالكتروني Email: az_m0018@hotmail.com

سؤال عبدالله بن زيد المسلم للشيخ ابن عثيمين عن جماعة التبليغ

وثيقة رقم (١٠)



الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

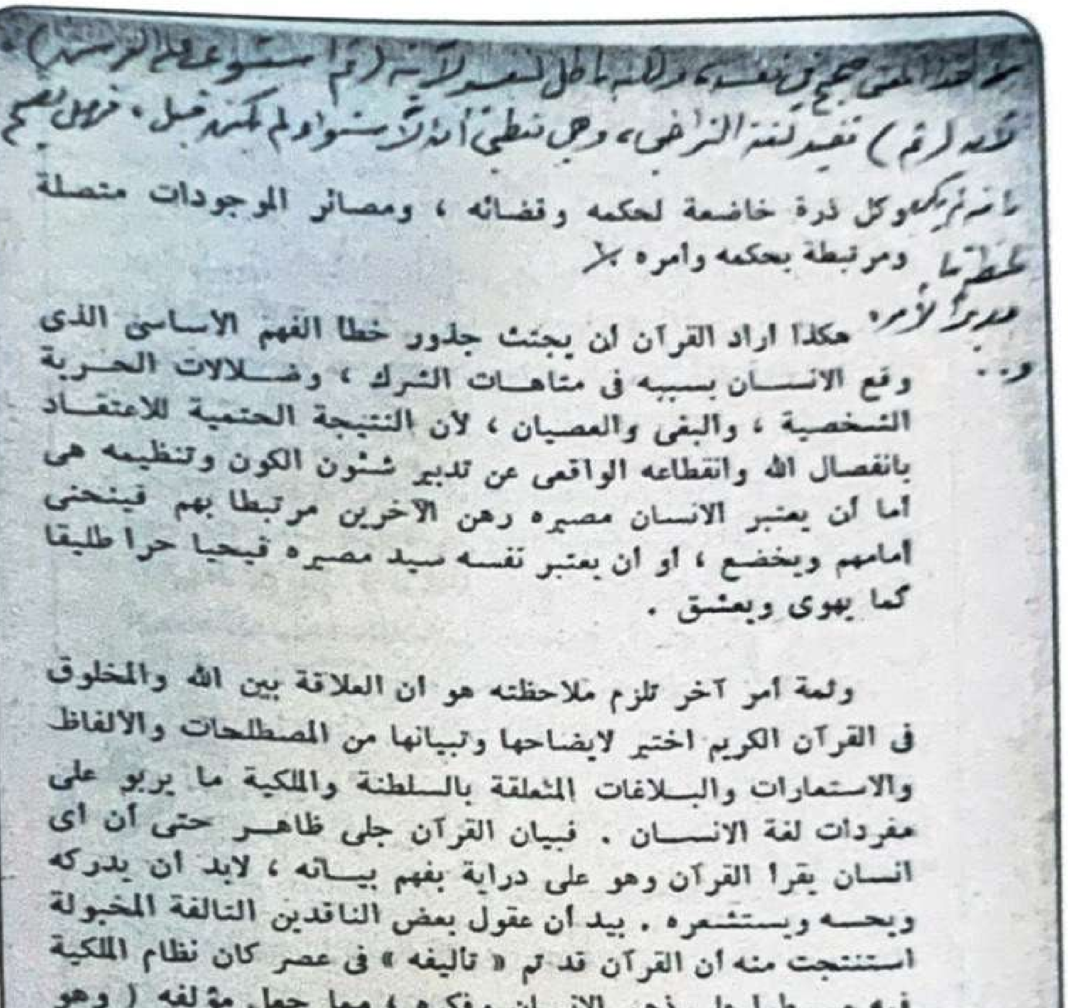
صورة من «الفتوحات المكيَّة» لابن عربي، بخطِّ يده الآثمة،
مخطوط قونيا (متحف الآثار الإسلامية بإستانبول)
رقم (١٨٤٥)، كتبها سنة (٦٣٦هـ)، وفيها أبياته الشهيرة[١]:

الـربُّ حــقٌّ والعبــد حــقٌّ	**يـا ليـت شعـري مـن المُكلَّـفْ**
إن قلْـتَ عبـدٌ فـذاك ميـتٌ	**أو قلْـتَ ربٌّ أنّـى يُكلَّــفُ[٢]**

(١) وانظرها: في «الفتوحات المكيَّة» (١/ ٤٢) و(٨/ ٢٢٤).

(٢) بواسطة كتاب (ابن عربي، عقيدته وموقف علماء المسلمين منه، من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر)، (ص٨١٩) للبحاثة الدكتور دغش بن شبيب العجمي.

وثيقة رقم (١١)


وكل ذرة خاضعة لحكمه وقضائه ، ومصائر الموجودات متصلة ومرتبطة بحكمه وامره .

هكذا اراد القرآن ان يجتث جذور خطا الفهم الاساسى الذى وقع الانسان بسببه فى متاهات الشرك ، وضلالات الحرية الشخصية ، والبغى والعصيان ، لان النتيجة الحتمية للاعتقاد بانفصال الله وانقطاعه الواقعى عن تدبير شئون الكون وتنظيمه هى اما ان يعتبر الانسان مصيره رهن الآخرين مرتبطا بهم فينحنى امامهم ويخضع ، او ان يعتبر نفسه سيد مصيره فيحيا حرا طليقا كما يهوى ويعشق .

وثمة امر آخر تلزم ملاحظته هو ان العلاقة بين الله والمخلوق فى القرآن الكريم اختير لايضاحها وتبيانها من المصطلحات والالفاظ والاستعارات والبلاغات المتعلقة بالسلطنة والملكية ما يربو على مفردات لغة الانسان . فبيان القرآن جلى ظاهر حتى أن اى انسان يقرأ القرآن وهو على دراية بفهم بيانه ، لابد ان يدركه ويحسه ويستشعره . بيد ان عقول بعض الناقدين التالفة المخبولة استنتجت منه ان القرآن قد تم « تاليفه » فى عصر كان نظام الملكية فيه مسيطرا على ذهن الانسان وفكره ، مما جعل مؤلفه (وهو عنه هؤلاء الظالمين محمد عليه الصلاة والسلام) يظهر الله فى صورة الملك . غير ان الحقيقة الابدية الدائمة التى يعرضها القرآن ، والتى تخالف هذا تماما ان الملكية فى السموات والارض هى ملكية ذات واحدة فقط ، اما الحاكمية فهى شيء خاص بهذه الذات ، وان نظام الكون هذا هو نظام مركزى تام تدير كافة السلطات فيه ذات واحدة ، ومن ثم فاى شخص او جماعة يدعى لنفسه او لغيره حاكمية كلية او جزئية فى ظل هذا النظام هو ولا ريب سادر فى الافك والزور والبهتان المبين ، كما انه ليس ثم طريق سليم ومنهاج قويم لمن يعيشون تحت هذا النظام الا ان يؤمنوا بهذه

خط شيخنا الألباني من تعليقه على كتاب

«الحكومة الإسلامية» لأبي الأعلى المودودي

تابع وثيقة رقم (١١)

الذات الها ومعبودا واحدا بالمعانى الدينية ، وسلطانا حاكما بالمعانى السياسية والاجتماعية .

وعبارة ((**له الخلق والأمر**)) فى الآية السابقة تبين المعانى المجملة التى حوتها عبارة ((**استوى على العرش**)) . بمعنى ان الله ليس مجرد خالق فقط بل هو حاكم كذلك وآمر . فهو قد خلق الخلق ولم يهب احداً حق تنفيذ حكمه فيهم ، ولم يخلق الناس كلهم او بعضهم فى حرية واستقلال ذاتى فيفعلون ما يريدون ؛ وانما تدبير امر الكون الفعلى بيد الله وحده ، كما ان دوران الليل والنهار ليس دورانا ذاتيا وحركة آلية بل يجرى بأمره وحكمه ؛ يوقفه ان اراد ويغيره اذا شاء ، ولا الشمس والقمر والنجوم تملك طاقتها وقوتها بذاتها بل هى مسخرات فى يده تعالى تسخير العبيد تجرى فيما شاءه لها من عمل .

(ز)

((**ان الله يحكم ما يريد**)) .   المائدة ١

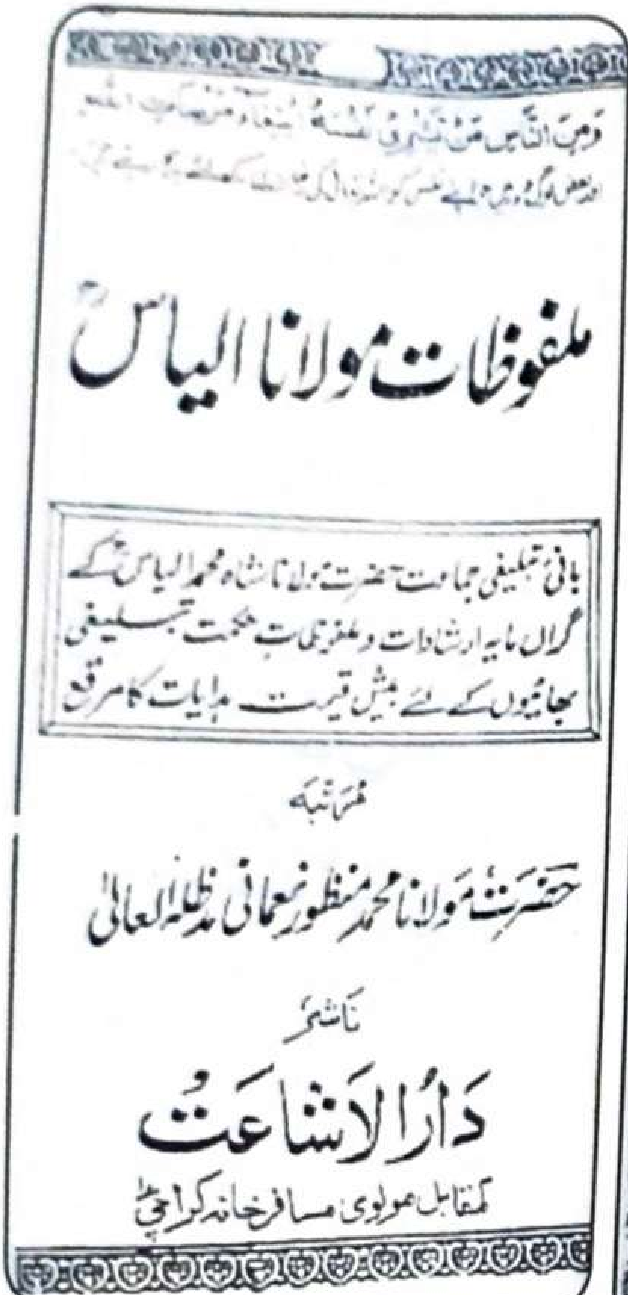
يعنى ان الله هو الحاكم المطلق ، وله وحده السلطة العليا المطلقة ، يحكم ما يريد ، وليس للعباد حق المساءلة والنقاش فى احكامه ، فجميعها مبنى على الحكمة قائم على المصلحة . والعبد

كتب نقل منها المصنِّف

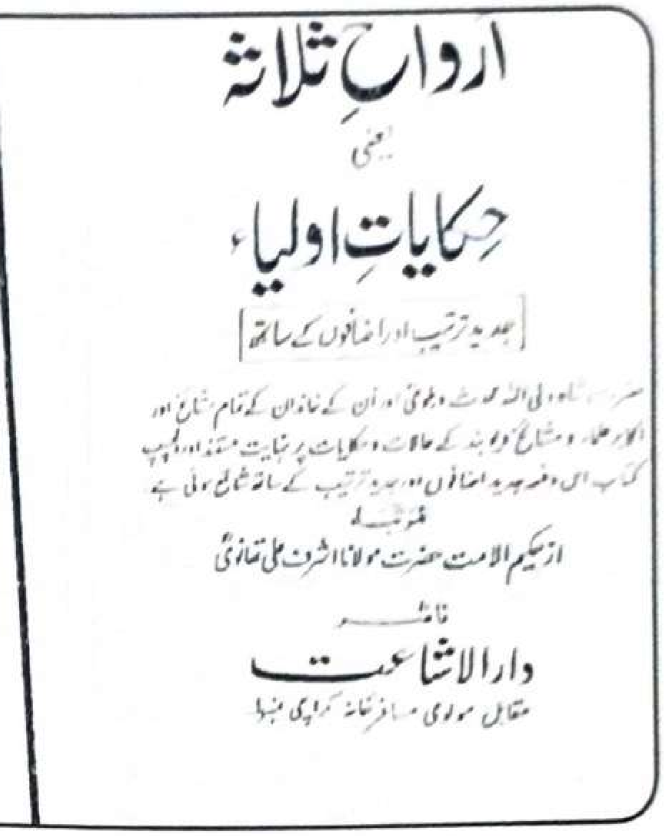


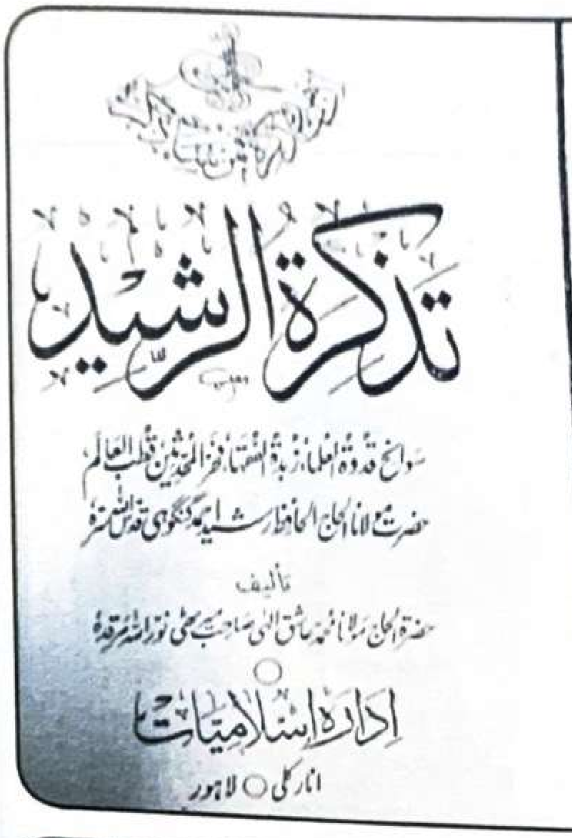
كتاب «تبليغي نصاب».

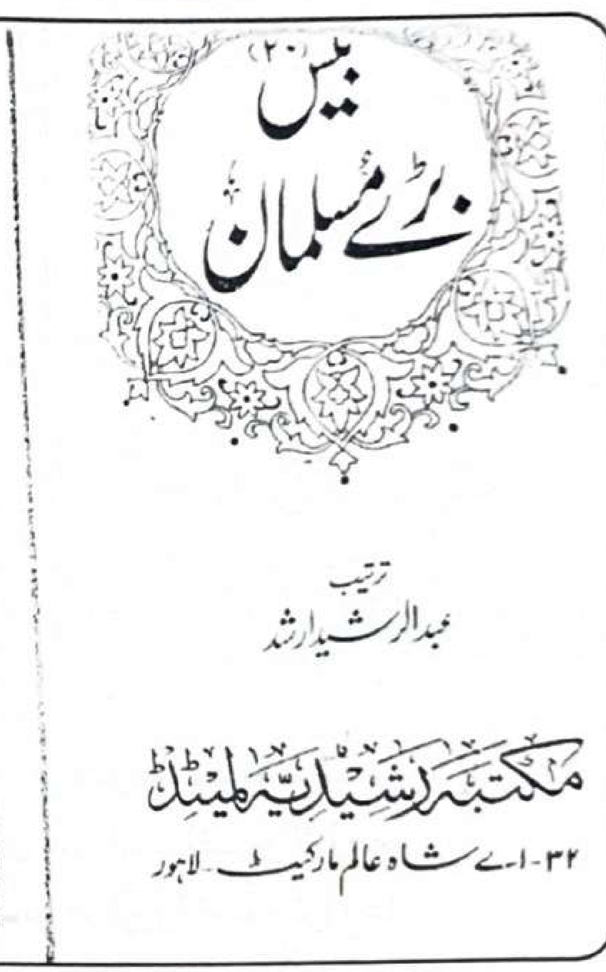


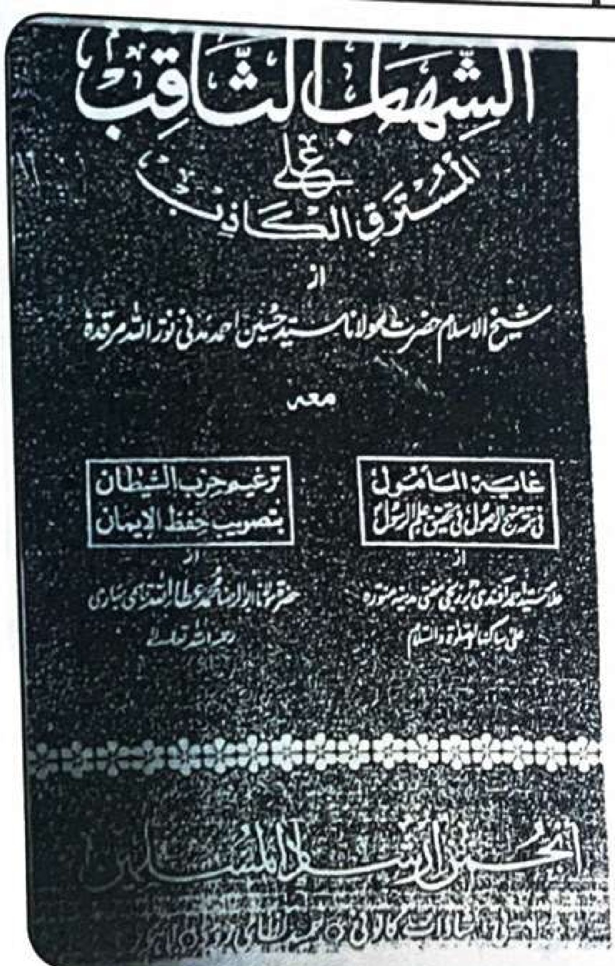


كتابَي «فضائل الأعمال» و«ملفوظات مولانا إلياس»، وهما من الكتب التي نقل منها المصنِّف، والأول هو تغيير اسم «تبليغي نصاب»، غيَّروا اسمه ترويجًا له، لنفرة الناس من الاسم الأول، بسبب تحذير العلماء منه، وينظر (ص....) من الكتاب.



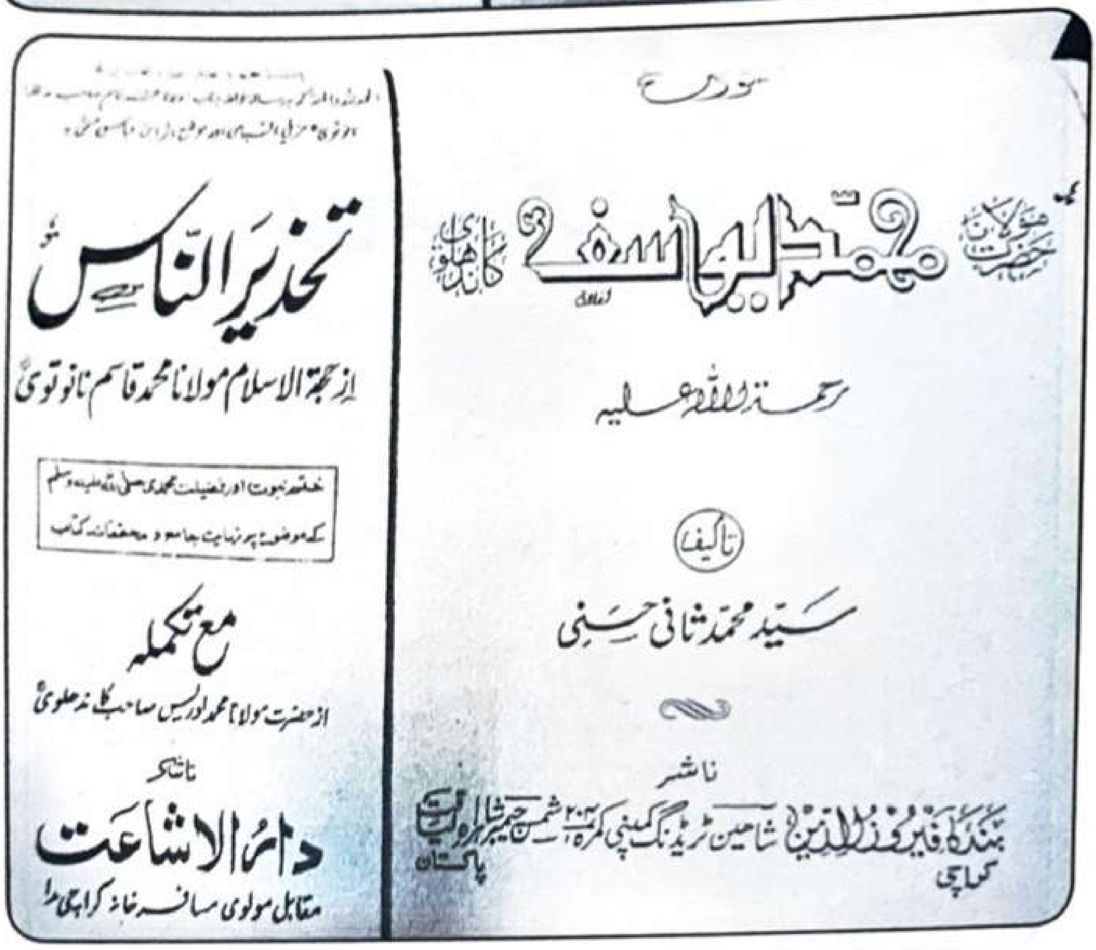




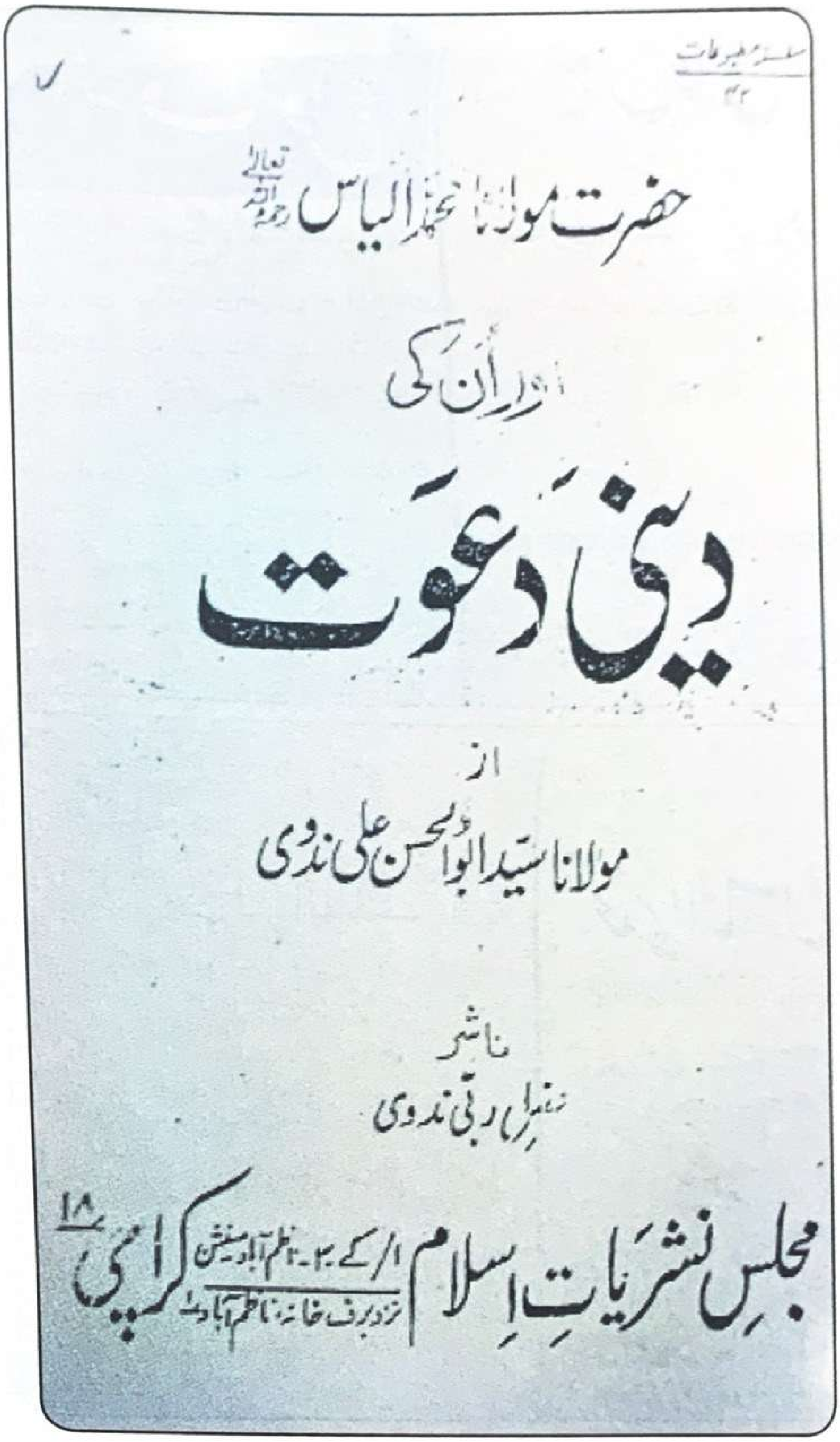


«أرواح ثلاثة» أو «حكايات أولياء» و«تذكرة الرشيد» و«بيس برى مسلمان» و«الشهاب الثاقب»، ونقل المصنف منها بالواسطة.





«أشرف السوانح» و«سوانح قاسمي» و«تذكرة حضرت مولانا محمد يوسف الكاندهلوي» و«تحذير الناس»، ونقل منها المصنف بالواسطة.



سلسلۂ مطبوعات
٣٢

حضرت مولانا محمد الیاس رحمۃ اللہ تعالیٰ

اور اُن کی

دینی دعوت

از

مولانا سید ابوالحسن علی ندوی

ناشر

مجلسِ نشریاتِ اسلام ١/کے ٣-٣ ناظم آباد مینشن نزد برف خانہ ناظم آباد کراچی ١٨

كتاب «حضرت مولانا محمد إلياس اور أن كى

دينى دعوت»، ونقل منه المصنف بالواسطة.

الفهارس العامة[1]

١ - فهرس الآيات القرآنية الكريمة

٢ - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

٣ - فهرس الآثار والأقوال

٤ - فهرس الأعلام

٥ - فهرس الكتب

٦ - فهرس الأشعار

٧ - الموضوعات والمحتويات

(١) فهارس الآيات والأحاديث والآثار لمتن الكتاب والتعليق عليه، وما بالتعليق وضعنا بجانب رقم الصفحة (ت)، وبقية الفهارس لمتن الكتاب.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٥٢٤
﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	٣٧٢ ت
سورة البقرة		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ... وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	١٥٩-١٦٠	٣٢، ٢٤٠
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	١٨٦	٥٢٣
﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٢١٣	٣٥٩
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾	٢٣٣	٢٤٨ت
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ﴾	٢٢٨	٢٤٨ ت
﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾	٢٥٥	٣١٦ت
﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾	٢٨٠	١٥٧ت، ١٦٣
سورة آل عمران		
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ﴾	٧	١٥١
﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	٢٣١
﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾	٥٣	٤٦٠
﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾	٩٧	٢٤٨ ت

سورة يونس

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
بعث الله ريحًا تقبض روح	النواس بن سمعان	٤٥٩
بلغوا عني ولو آية	عبد الله بن عمر	١٥١
بني الإسلام على خمس	ابن عمر	٢٣١
بين الرجل وبين الشرك والكفر	جابر بن عبد الله	٢٥٧ (ت)
تركت فيكم أمرين لن تضلوا	أبو هريرة	١٨٥
تركت فيكم شيئين لن تضلوا	أبو هريرة	٣٧٦
تركت فيكم ما لن تضلوا	جابر بن عبد الله	٣٧٦ (ت)
التمائم شركٌ	ابن مسعود	٤٤٠
التوسل إلى الله بالإحسان إلى الأجير	عبد الله بن عمر	٢٩٨
توفي النبي ﷺ يوم الاثنين	عائشة	٣٧٧ (ت)
توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين	عكرمة	٣٧٧ (ت)
ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة	أنس بن مالك	٣٤٥ (ت)
حبك الشيء يعمي ويصم	أبو الدرداء	١١٣
حتى لا أدع فيها إلا مسلمًا	عمر بن الخطاب	٢٤٨ (ت)
حديث جبرائيل	عمر بن الخطاب	٢٢٥
... حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة	أنس بن مالك	٣٠٧ (ت)
خرج النبي ﷺ إلى الطائف	عائشة	٣٤، ٢٦٨-٢٦٩
خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله	درة بنت أبي لهب	٣٤٧
خير الناس بعد النبيين	سلمة بن الأكوع	٥٣٤
خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم	عمران بن حصين	٥٣٤
خير أمتي القرن الذين يلوني	ابن مسعود	٣٤٧ (ت)

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
لأستغفرن لك، ما لم أنه عنك	المسيب بن حزن	٣٢٩
لَعن الله اليهود والنصارى	عائشة وابن عباس	١٠٥، ٢٥٥
لعن الله من ذبح لغير الله	علي بن أبي طالب	٣٢٦ (ت)
لغدوةٌ في سبيل الله خيرٌ من الدنيا	أنس بن مالك	٥٤
لقد جئتكم بها بيضاء نقية	جابر بن عبد الله	٣٨٢
لقد حجرت واسعًا	أبو هريرة	٣٥٩
لقد ذاق طعم الإيمان من رضي	العباس	٣٤٥ (ت)
لن يفترقا حتى يردا علي الحوض	أبو هريرة	٣٧٧ (ت)
اللهم العن رعلًا، وذكوان	أنس بن مالك	٣٨٥
لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني	عبد الله بن الحارث	٣٨٢
لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك		٤٩٣
ليبلغ الشاهد منكم الغائب	أبو بكرة	١٥٣
ليرفعن أقوامٌ منكم إلي	سهل بن سعد	٣٠٦، ٤٤٤
ما تركت لكم شيئًا يقربكم	...	٥٣٧
ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك	أنس بن مالك	٣٦١ (ت)
المرء مع من أحب	ابن مسعود وأبو موسى	١٣١
مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن	ابن عمر	٣٨٥
من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا	معاذ بن جبل	٢٥٧ (ت)
من تعلق بتميمة فلا أتم الله له	عقبة بن عامر	٤٤٠ (ت)، ٤٤١ (ت)

فهرس الآثار والأقوال

فهرس الأعلام

فهرس الكتب

فهرس الأشعار

صدر البيت	الروي	القائل	الصفحة
سلامي على نجد ومن حل في نجد	يجدي	الصنعاني	٣٠٣
لقد سرني ما جاءني من طريقه	وحدي	الصنعاني	٣٠٤
مسماه كل الكائنات بأسرها	القرد	الصنعاني	٤٣٤
ياعلماء الدين يا ملح البلد	فسد	--	٢٩
قفا واسألا عن عالم حل سوحها	الرشد	الصنعاني	٣٠٣
وحرق قصدا للدلائل دفترا	العد	الصنعاني	٣٠٤
وصيرها الجهال للذكر صورة	الحمد	الصنعاني	٣٠٤
وأكفر أهل الأرض من ظن أنه	الند	الصنعاني	٤٣٤
محمد الهادي طريقة أحمد	المهدي	الصنعاني	٣٠٤
وعلى الأصول فقس فروعك لا تقس	الحائر	ابن عبد البر	٢٨٢
تبا لقاض أو لمفت لا يرى	السائر	ابن عبد البر	٢٨١
لافرق بين مقلد وبهيمة	دعاثر	ابن عبد البر	٢٨١
من شاء بعدك فليمت	أحاذر	علي بن أبي طالب	٥١٧
وعيرني الواشون أني أحبها	عارها	أبو ذؤيب	٣٣٢
وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد	حاضر	ابن عبد البر	٢٨٢
دعوا كل قول غير قول محمد	كمخاطر	ابن المقري	٢٧١
كنت السواد لناظري	الناظر	علي بن أبي طالب	٥١٧

صدر البيت	الروي	القائل	الصفحة
ومن يأكل بدين الحق يسلك	المآل	الهلالي	٣٢٥
حباه الله بعد النحس سعدا	بال	الهلالي	٣٢٥
نصحتك إن قبلت اليوم نصحي	أبالي	الهلالي	٣٢٥
وأهل الشرك كلهم بغاث	اختبال	الهلالي	٣٢٤
فكيف الآكلون بدين شرك	الحبال	الهلالي	٣٢٥
وتبتدع الموالد قصد أكل	الخبال	الهلالي	٣٢٤
ودين الله أصبح في ضياع	مبال	الهلالي	٣٢٤
وبيع العرض عند الحر شين	للوبال	الهلالي	٣٢٥
ألا يا حمزة المغرور مهلا	للوبال	الهلالي	٣٢٤
دواما ما بدى في الليل نجم	تالي	الهلالي	٣٢٥
ومن طلب القتال بلا سلاح	القتال	الهلالي	٣٢٤
متى ما شاهد الغرباء هبوا	بالقتال	الهلالي	٣٢٤
وسنة خير خلق الله أضحت	رجالي	الهلالي	٣٢٤
تموت الحرة الشماء جوعا	حال	الهلالي	٣٢٥
ولا ترضى ببيع الدر نبلا	بحال	الهلالي	٣٢٥
وبعضهم بكى في إثر خل	بارتحال	الهلالي	٣٢٣
ومن يعرض عن السنن العوالي	النزال	الهلالي	٣٢٤
بدين الشرك تأكل كل يوم	الهزال	الهلالي	٣٢٥
بكى قوم على جاه ومال	الهزال	الهلالي	٣٢٣
ويكسي الخزي في دنياه دوما	صالي	الهلالي	٣٢٤
أتدعو للنزال ليوث غاب	النضال	الهلالي	٣٢٤

صدر البيت	الروي	القائل	الصفحة
بقدر لغات المر يكثر نفعه	أعوان	صفي الدين الحلي	١٤٥
أنا من أهوى ومن أهوى أنا	بدنا	الحلاج	٣١٥
الله يعلمني والله يعلمكم	يجزيني	ذو الأصبع العدواني	٤٤٩
العلم قال الله قال رسوله	فيه	الذهبي	٣٠٨
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	فقيه	الذهبي	٣٠٨

الموضوعات والمحتويات